

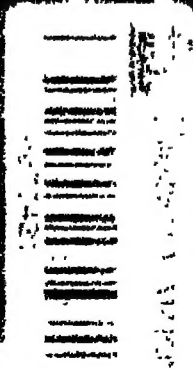
تَجْدِيد

مَجَالِدُ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الثاني

كتاب التاريخ



شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

دار الجيلة

بيروت

حقّق الطبع بحفظة للنّاشر
طبعة ثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل الكريم .

واعلم أن الذي ذكره المرتضى رحمه الله تعالى ، وأورده على قاضي القضاة^(١) جديولاظم ؛ متى ادعى قاضي القضاة أن العدالة إذا ثبتت ظناً أو قطعاً لم يجوز العدول عنها والتبرؤ إلا بما يوجب القطع ، ويُعلم به علماً يقينياً زوالها ؛ فأمّا إذا ادعى أن المعلوم لا يزول إلا بما يوجب العلم ، فلا يرد عليه ما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى .

وله أن يقول : قد ثبتت بالإجماع إمامة عثمان ، والإجماع دليل قطعي عند أصحابنا ، وكل من ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التي بها ثبتت إمامته ، لأنه لا يجوز أن تكون إمامته معلومة وشرائطها مظنونة ؛ لأنّ الموقوف على المظنون مظلون ، فتكون إمامته مظنونة ، وقد فرضناها معلومة ، وهذا خلف ومحال . وإذا كانت عدالته معلومة لم يجوز القول بانتفاء وزوالها إلا بأمر معلوم .

والأخبار التي رويت في أحداثه أخبار آحاد لا تنفي العلم ، فلا يجوز العدول عن المعلوم بها ، فهذا الكلام إذا رتب هذا الترتيب اندفع به ما عارض به المرتضى رحمه الله تعالى .

(١) انظر ص ٢٤ من الجزء الثاني ، وما بعدها .

[بقية رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار

من الدفاع عن عثمان] (*)

فأما كلام المرتضى رحمه الله تعالى عَلَى الفصل الثانى من كلام قاضى القضاة ، وهو الفصل المحكى عن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى ، فنحن نورده . قال رحمه الله تعالى^(١) :

أما قوله : لو كان ما ذكر من الأحداث قادِحاً لوجب من الوقت الذى ظهرت الأحداث فيه أن يطلبوا رجلاً ينصبونه فى الإمامة ، لأن ظهور الحدث كوته ، فلهذا رأيناهم طلبوا إماماً بعد قتله دل على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث . فليس بشئ معتمد ؛ لأن تلك الأحداث وإن كانت مزيلةً عندهم لإمامته ، وفاسخة لها ، ومقتضية لأن يعقدوا لغيره الإمامة ،^(٢) إلا أنهم لم يكونوا قادرين على أن يتفقوا على نصب غيره ،^(٣) مع تشبهه بالأمر ؛ خوفاً من الفتنة والتنازع والتجاذب ، وأرادوا أن يخلع نفسه ، حتى تزول الشبهة ، وينشط مَنْ يصلح للأمر لقبول العقد والتكفل بالأمر . وليس يجرى ذلك مجرى موته ؛ لأن موته يحسم الطمع فى استمرار ولايته ، ولا تبقى شبهة فى خلوة الزمان من إمام . وليس كذلك حدته الذى يسوغ فيه التأويل عَلَى بعده ، وتبقى معه الشبهة فى استمرار أمره . وليس نقول^(٤) : إنهم لم يتمكنوا من ذلك كما سأل نفسه ، بل الوجه فى عدولهم ما ذكرناه من إرادتهم حسم^(٥) المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة .

(*) تابع لما ورد فى الجزء الثانى ص ٣٢٨ وما بعدها .

- (١) الشافى ٢٦٦ وما بعدها ؛ وعبارته فى أول هذا الفصل : « فأما عد الأحداث التى نعمت عليه ، فنحن نتكلم عليها وعلى ما أورده من المآذير فيها بمشيئة الله تعالى عند ذكره لذلك ؛ فأما ما حكاه عن أبى على من قوله : لو كان ما ذكره من الأحداث قادِحاً . . . » . وانظر ص ٣٦٢ من الجزء الثانى .
- (٢ - ٣) كذا فى ا ، ح ، وفى ب والشافى : « فإنهم لم يقدموا على نصب غيره . . » .
- (٤) الشافى : « ليس نقول » .
- (٥) الشافى : « والحسم » ، وكذلك فى الشافى .

قال : فأما قوله : إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حُصر فيها وقُتِل ؛ بل كانت تقعُ حالاً بعد حال ، فلو كانت توجبُ الخلع والبراءة ، لما تأخر من المسلمين الإنكارُ عليه ، ولكان المقيمون من الصحابة بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد ؛ فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد ؛ إلا أنه غيرُ منكر أن يكون نكيرهم إتما تأخر لأنهم تأولوا ماورد عليهم من أفعاله على أجل الوجوه ؛ حتى زاد الأمرُ وتفاقم ، وبعد التأويل ، وتعدّر التخريج ، ولم يبق للظن الجليل طريق ، فحينئذ أنكروا ، وهذا مستمرٌ على ماقدّمنا ذكره ، من أن العدالة والطريقة الجميلة يُتأول لها في الفعل والأفعال القليلة ، بحسب ما تقدّم من حُسن الظن به ، ثم ينتهى الأمر [بعد ذلك]^(١) إلى بُعْد التأويل ، والعمل على الظاهر القبيح .

قال : على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين بخلعه من أول حَدَث ، بل معتقدين أن إمامته لم تثبت وقتاً من الأوقات ، وإنما منعهم من إظهار ما في نفوسهم ماقدّمناه من أسباب الخوف والتقية ؛ لأن الاعتذار بالوجل^(٢) كان عامّاً ، فذا تبين أمره حالاً بعد حال ، وأعرضت الوجوهُ عنه ، وقلّ العاذرُ له ، قويت الكلمة في خَلعه . وهذا إما كان في آخر الأمر دون أوله ، فليس يقتضى الإمساك عنه إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطأ إلى الجميع ؛ على ما ظنّه .

قال : فأما دفعه بأن تكون الأمة أجمعت على خله بخروجه^(٣) نفسه وخروج مَنْ كان في حيزه عن القوم ، فليس بشيء ، لأنه إذا ثبت أن مَنْ عَداه وعدّ أعبيده والرّهيط من فُجّار أهله وفَسّاقهم ، كَرُّوا ومن جرى مجراه ، كانوا مجمعين على خله ، فلا شبهة

(١) من كتاب الشاي .

(٢) كذا في ج ، وو حاشيتها : « يسي أكثر الناس يعتذرون بالخوف » ، وو ا ، ب : « لأن الإعتذار بالرجل » ، وو الشاي : « لأن الاعتذار بالرجل » .

(٣) ب : « بإخراجه » .

في أن الحق في غير حَيزه ، لأنه لا يجوز أن يكون هو المصيب ، وجميعُ الأمة مبطل ؛ وإِثْمًا يدعى أنه على الحق لمن يَنَازِع في إجماع مَنْ عداه ، فأما مع التسليم لذلك ، فليس يبقى شبهة ، وما نجد مخالفينا يعتبرون في باب الإجماع بإجماع الشذّاذ والنفر القليل الخارجين من الإجماع ، ألا ترى أنهم لا يحفلون^(١) بخلاف سعد^(٢) وأهله وولده في بيعة أبي بكر لقتلهم وكثرة مَنْ يَازِئهم ؛ ولذلك لا يعتدّون بخلاف مَنْ امتنع من بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويحملونه شاذًّا ؛ لا تأثير بخلافه^(٣) ، فكيف فارقوا هذه الطريقة في خلع عُثمان ! وهل هذا إلّا تقلّب وتكَلُّف !

قلت : أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبي بكر بالإجماع ، فاعتراض حُجَّتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيّد ، وليس يقول أصحابنا في جوابه : هؤلاء شذّاذ فلا يحفل بخلافهم ؛ وإنما المعتبر بالكثرة التي يَازِئهم . وكيف يقولون هذا ، وحجّتهم الإجماع ولا إجماع ! ولكنهم يُجيبون عن ذلك بأن سعدا مات في خلافة عمر ، فلم يبق مَنْ يخالف في خلافة عمر ، فأنعقد الإجماع عليها ، وبإيع ولد سعد وأهله من قبل ؛ وإذا صحت خلافة عمر صحت خلافة أبي بكر ؛ لأنها فرع عليها ؛ ومحال أن يصحّ الفرع ، ويكون الأصلُ فاسدا ؛ فهكذا يجيب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجّوا بالإجماع ؛ فأما إذا احتجّوا بالاختيار فلا يتوجّه نحوهم الاعتراض بخلاف سعد وأهله وولده ؛ لأنه ليس من شرط ثبوت الإمامة بالاختيار إجماعُ الأمة على الاختيار ؛ وإنما يكفي فيه بيعة خمسة من أهل الحل والعقد على الترتيب الذي يرتّب أصحابنا الدلالة عليه ؛ وبهذا الطريق يثبت عندهم إمامة عليّ عليه السلام ، ولم يُحفل بخلاف معاوية وأهل الشام فيها .

(١) يقال : لم يحفل بالأمر ؛ إذا لم يبال به .

(٢) هو سعد بن عبادة الأنصاري ، وانظر حديث السقبة في تاريخ الطبري (حوادث السنة الحادية عشرة) .

(٣) ١ ، ج : « لا تأثير له » .

قال رحمه الله تعالى : فأما قوله : إن الصحابة كانت بين فريقين : من نصره^(١) كزيد بن ثابت وابن عمر وفلان وفلان ، والباقيون ممتنعون انتظاراً لزوال العارض ولأنه حاضيق عليهم الأمر في الدفع عنه ، فمجيئ ، لأن الظاهر أن أنصاره هم الذين كانوا معه في الدار ، يقاتلون عنه^(٢) ، ويدفعون المهاجرين عليه .

فأما من كان في منزله ما أغنى عنه فتية ، فلا يُعدّ ناصراً ، وكيف يجوز من أراد نصرته ، وكان معتقداً لصوابه ، وخطأ المطالبين له بالخلع ، أن يتوقف عن النصره طلباً لزوال العارض ! وهل تُراد النصره إلا لدفع العارض ، وبند زواله لا حاجة إليها ! وليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيق هو عليهم الأسر فيها ، بل من كان معتقداً لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها ، ولا يُحفل بنهيها عنها ، لأن المنكر مما قد تقدم أمر الله تعالى بالنهي عنه ، فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره .

قال : فأما زيد بن ثابت ، فقد روى ميله إلى عثمان ، وما ينفى ذلك وبإزائه جميع المهاجرين والأنصار ! وليله إليه سبب معروف ، فإن الواقدي روى في "كتاب الدار" ، أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحضر الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر ، فضيا إليها وهي عازمة على الحج ، فكلّمها في أن تُقيم وتذوّب عنه ، فأقبلت على زيد بن ثابت ، فقالت : وما منعك يا بن ثابت ولك الأشراف قد اقتطعكم^(٣) عثمان ، ولك كذا وكذا ، وأعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار ! قال زيد : فلم أرجع عليها حرفاً واحداً ، وأشارت إلى مروان بالقيام ، فقام مروان وهو يقول :

(١) الشافعي : « من نصره » .

(٢) ب : « يقاتلون غيره » .

(٣) الشافعي : « قد قطعكم » .

حَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا^(١)
فَنَادَتْهُ عَائِشَةُ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْعَتَبَةِ : يَا بَنَ الْحَكَمِ ، أَعْلَى تُمَثِّلُ الْأَشْعَارَ ! قَدْ وَاللَّهِ
سَمِعْتُ مُقَاتِلَتَ ، أَتَرَانِي فِي شَكِّ مِنْ صَاحِبِكَ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ الْآنَ فِي
غِرَارَةٍ مِنْ غِرَائِرِي تَحِيطُ عَلَيْهِ ، فَأَلْقِيهِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : فَخَرَجْنَا مِنْ
عَفْذِهَا^(٢) عَلَى الْيَأْسِ مِنْهَا^(٣) .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى
نُصْرَةِ عُثْمَانَ . فَوَقَفَ عَلَيْهِ جَبَلَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَبَّابَةَ الْمَازَنِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا يَمْنُوكَ يَا زَيْدُ أَنْ
تَذُبَّ عَنْهُ ؟ أَعْطَاكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَحَدَاتِقٍ مِنْ نَخْلٍ لَمْ تَرِثْ عَنْ أَبِيكَ مِثْلَ
حَدِيقَةٍ مِنْهَا .

فَأَمَّا ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَاقِدِيِّ رَوَى أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ فِينَا إِلَّا خَاذِلٌ
أَوْ قَاتِلٌ . وَالْأَمْرُ عَلَى هَذَا أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْفَى .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِنْقَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَإِنَّمَا
أَنْقَذَهُمَا - إِنْ كَانَ أَنْقَذَهُمَا - لِيَمْنَعَا مِنْ انْتِهَاكِ حَرِيمِهِ وَتَعَمُّدِ قَتْلِهِ ، وَمَنْعِ حُرْمِهِ^(٤) وَنِسَائِهِ مِنْ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمْ يُنْفِذْهُمَا لِيَمْنَعَا مِنْ مَطَالِبَتِهِ بِالْخُلْعِ ، وَكَيْفَ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصْرُوحٌ بِأَنَّهُ
يَسْتَحِقُّ بِأَحَدَاتِهِ الْخُلْعَ ، وَالْقَوْمُ الَّذِينَ سَعَوْا فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ كَانُوا يَنْدُونُ وَيُرْوَحُونَ ،
وَمَعْلُومٌ مِنْهُ ضَرُورَةُ أَنَّهُ كَانَ مُسَاعِدًا عَلَى خُلْعِهِ وَنَقْضِ أَمْرِهِ ، لَا سِيَّمَا فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى .
فَأَمَّا ادِّعَاؤُهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْقَلَبْ قَتْلَتَهُ ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي

(١) الإِجْذَامُ : الإِقْلَاعُ ؟ وَالْبَيْتُ لِلرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ ؟ مِنْ أَيْيَاتِ الْخَمَاسَةِ ٢ - ٤٨٤ - ٤٨٧ ، بِمَعْرِفَةِ
الرِّزْوَقِ . وَفِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ زَحَافٌ بِالْحَرَمِ ؟ وَهُوَ جَائِزٌ فِي أَوَّلِ التَّقَارُبِ وَالطَّوِيلِ ، وَرَوَايَةُ
الْأَسَانِ : « وَحَرَقَ » ؟ بِلَا خَرَمٍ . وَقَيْسٌ هُوَ ابْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ .
(٢ - ٢) (٢ - ٢) الشَّاقِ : « عَلَى النَّاسِ » .
(٣) ب : « حَرَمَهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أ ، وَكُتَابُ الشَّاقِ .

هى أظهر من هذه الرواية ، وإن صحت فيجوز أن تكون محمولة على لَمَنْ مَن قُتِلَ مَعْمَدًا قُتِلَ ، قاصداً إليه ، فإن ذلك لم يكن لم .

فأما ادّعاؤه أن طلحة رجع لما ناشده عثمان يوم الدار ، فظاهرُ البطلان وغير معروف في الرواية ، والظاهر المعروف أنه لم يكن على عثمان أشد من طلحة ، ولا أغلظ منه . قال : ولو حكينا من كلامه فيه ما قد روى لأفينا قطعة كثيرة من هذا الكتاب ، وقد روى أن عثمان كان يقول يوم الدار : اللهم اكفني طلحة ، ويكرّر ذلك ، علماً بأنه أشد القوم عليه . وروى أن طلحة كان عليه يوم الدار دِرْعٌ وهو يُرمى الناس ، ولم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل^(١) .

فأما ادّعاؤه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ستكون فتنة » ، وإن عثمان وأصحابه يومئذ على الهدى ، فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا تكون في مقابلة للعلوم ضرورة من إجماع الأمة على خلعها وخذله ، وكلام وجوه المهاجرين والأنصار فيه ، وبإزاء هذه الرواية ما يملأ الطروس عن النبي صلى الله عليه وآله وغيره ، مما يتضمن ما تضمنته . ولو كانت هذه الرواية معروفة لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار ، وقد احتج عليهم بكل غث وسمين ، وقبل ذلك لما خوصم وطولب بأن يخلع نفسه ، ولاحتج بها عنه بعض أصحابه وأنصاره ، وفي علمنا بأن شيئاً من ذلك لم يكن ، دلالة على أنها مصنوعة موضوعة .

فأما ما رواه عن عائشة من قولها : « قُتِلَ وَاللَّهِ مَظْلُومًا » فأقوال عائشة فيه معروفة ومعلومة ، وإخراجها قيص رسول الله صلى الله عليه وآله وهى تقول : « هذا قيصة لم يَبَلْ ، وقد أبلى عثمان سنته » ، إلى غير ذلك مما لا يُنحصى كثرة .

(١) ب : « الرجال » ، وما أثبتته عن ا ، ج ، وكتاب الشافى .

فأما مدخها له وثناؤها عليه ؛ فإتسما كانا عَقِيبَ عِلْمِهَا بِانْتِقَالِ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ انْتَقَلَ إِلَيْهِ ، وَالسَّبَبُ فِيهِ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، وَقَوَّلْتُ بَيْنَ كَلَامِهَا فِيهِ مُتَقَدِّمًا وَمُتَأَخِّرًا .
فأما قوله : لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَخْبَارِ الْأَحَادِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهَا فِي مُقَابَلَةِ مَا يَدَّعِيهِ مِمَّا طَرِيقُهُ أَيْضًا الْأَحَادُ ، فَوَاضِحُ الْبُطْلَانِ ، لِأَنَّ إِطْبَاقَ الصَّحَابَةِ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ — إِلَّا مَنْ كَانَ فِي الدَّارِ مَعَهُ عَلَى خِلَافِهِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ مُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ مُبَارِزٍ ، وَبَيْنَ مُتَقَاعِدٍ خَاضِلٍ — مَعْلُومٌ ضَرُورَةُ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ الْأَخْبَارَ ، وَكَيْفَ يَدَّعِي أَنَّهَا مِنْ جِهَةِ الْأَحَادِ حَتَّى يَمَارِضَ بِأَخْبَارِ شَاذَةٍ نَادِرَةٍ ! وَهَلْ هَذَا إِلَّا مَكَابِرَةٌ ظَاهِرَةٌ !

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّا لَا نَعْدِلُ عَنْ وَلَايَتِهِ بِأُمُورٍ مُحْتَمَلَةٍ ، فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَقُلْنَا إِنْ مُحْتَمَلٌ هُوَ مَا لَا ظَاهَرَ لَهُ ، وَيَتَجَاوِزُهُ أُمُورٌ مُحْتَمَلَةٌ ، فَأَمَّا مَا لَهُ ظَاهَرٌ فَلَا يَسْمَى مُحْتَمَلًا وَإِنْ سَمَاهُ بِهِذِهِ التَّسْمِيَةَ ، فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ عَمَّا يُعَدَّلُ مِنْ أَجَلِهِ عَنِ الْوَلَايَةِ ، وَفَضَّلْنَا ذَلِكَ تَفْصِيلًا يَبِينُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَجْتَهِدَ بِرَأْيِهِ فِي الْأُمُورِ الْمُنَوَّطَةِ بِهِ ، وَيَكُونُ مُصِيبًا وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى عَاقِبَةٍ مَذْمُومَةٍ ، فَأَوَّلُ مَا فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِمَامِ وَلَا غَيْرِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْمَلَ فِيهَا إِلَّا عَلَى النَّصِّ ، ثُمَّ إِذَا سَلَّمْنَا الْجَهْدَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَاهُنَا أُمُورًا لَا يَسُوغُ فِيهَا الْجَهْدَ ، حَتَّى يَكُونَ مَنْ خَبَّرَنَا عَنْهُ بِأَنَّهُ اجْتَهِدَ فِيهَا غَيْرَ مُصَوَّبٍ ^(١) ، وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ يَبَيِّنُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مَا نَعَاطَاهُ مِنَ الْأَعْذَارِ عَنْ إِحْدَاثِهِ ^(٢) عَلَى جِهَةِ التَّفْصِيلِ .

قُلْتُ : الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِقْصَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ الْمُبَسَّوطةِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذَاكَ ، وَلَكِنْ يَكْفِي قَاضِي الْقَضَاءِ أَنْ يَقُولَ :

(١) كُنَّا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي كِتَابِ الشَّافِيِّ : « غَيْرُ مُصَدَّقٍ » .

(٢) الشَّافِيُّ : « فِي أَحْدَاثِهِ » .

قد ثبت بالإجماع صحّة إمامة عثمان ؛ فلا يجوز الرجوع عن هذا الإجماع إلا بإجماع معلوم على خَلعه وإباحة قَتله ، ولم يُجمع المسلمون على ذلك ، لأنّه قد كان بالمدينة مَنْ يُنكر ذلك وإن قَلوا ، وقد كان أهلُ الأمصار يُنكرون ذلك ، كالشام والبصرة والحجاز واليمن ومكّة وخراسان ، وكثير من أهل الكوفة ، وهؤلاء مسلمون ، فيجب أن تُعتَبَر أقوالهم في الإجماع ، فإذا لم يدخلوا فيمن أُجْلِبَ عليه لم ينعقد الإجماع على خَلعه ولا على إباحة دمه ، فوجب البقاء على ما اقتضاه الإجماع الأوّل .

[ذكر المطاعن التي طُعن بها على عثمان والردّ عليها]

فأمّا الكلام في المطاعن المفصّلة التي طُعن بها فيه ، فنحن نذكرها ، ونحكي ما ذكره قاضي القضاة وما اعترضه به المرتضى رحمه الله تعالى (١) .

الطعن الأوّل :

قال قاضي القضاة في " المغني " : فمّا طُعن به عليه قولهم : إنّه ولي أمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه ، ومنّ ظهر منه الفسق والفساد ، ومنّ لا علمَ عنده ، مراعاةً منه لحرمة القرابة ، وعدولاً عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين ؛ حتى ظهر ذلك منه وتكرّر ؛ وقد كان عمرُ حدّره من ذلك ؛ حيث وصفه بأنّه كَلِفٌ بأقاربه ، وقال له : إذا وُلِّيتَ هذا الأمرَ فلا تسلّطْ بنى أوى مُعِيطٍ على رقاب الناس . فوقع منه ما حدّره إياه ، وعُوتِبَ في ذلك فلم ينفع العتبُ ، وذلك نحو استعماله الوليد بن عُقبة (٢) ، وتقليده إياه ،

(١) نقله المرتضى في الشاق ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) هو الوليد بن عُقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه ، وأمهما أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس . ولاء عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص ؛ ثم عزله عنها بعد أن ثبت عليه شرب الخمر ؛ في خبر مشهور . الإصابة ٣ : ٦٠١ .

حتى ظهر منه شربُ الخمر ؛ واستعمله سعيد بن العاص ^(١) حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة ، وتوليته عبد الله بن أبي سرح ^(٢) ، وعبد الله بن عامر بن كرز ^(٣) ؛ حتى روى عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما نظّم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر ، كاتبه بأن يستمر على ولايته ، فأبطن خلاف ما أظهر ، فعمل من غرضه خلاف الدين . ويقال : إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه ، وظفر بذلك الكتاب ، ولذلك عظم التظلم من بعد ، وكثر الجمع ، وكان سبب الحصار والقتل ؛ حتى كان من أمر مروان وتسلمه عليه وعلى أموره ما قُتل بسببه ؛ وذلك ظاهر لا يمكن دفعه .

قال رحمه الله تعالى : وجوابنا عن ذلك أن نقول : أما ما ذُكر من توليته من لا يجوز أن يستعمل ، فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه حين استعملهم علم من أحوالهم خلاف الستر والصلاح ؛ لأن الذي ثبت عنهم من الأمور القبيحة حدث من بعد ، ولا يمنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده ؛ وإنما كان يجب تحفظته لو استعملهم ؛ وهم في الحال لا يصلحون لذلك .

فإن قيل ، فلما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم ؟
 قيل : كذلك فعل ؛ لأنه إما استعمل الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي . ولاء عثمان الكوفة بعد الوليد ابن عقبة ؛ ثم شكاه أهل الكوفة ؛ لتجبر وغلبة فيه ، وكتبوا إلى عثمان : لا حاجة لنا في وليدك ولا سعيدك ؛ فمزله . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١ .

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري ، أخو عثمان من الرضاة ؛ كان على الصعيد في زمن عمر ، ثم ضم إليه عثمان مصر كلها ؛ وافتتح لإفريقية ، الإصابة ٣ : ٣٠٩ .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبدشمي ، ابن خال عثمان بن عفان . عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن مصر وعثمان بن أبي العاص عن فارس ؛ وجمع ذلك كله لعبد الله بن عامر . الاستيعاب لابن عبد البر ٩٣١ .

فلما شهد عليه بذلك جلده الحدّ وصرّفه . وقد روى مثله عن عمر ، فإنه وثى قدامة بن مظلوم بعض أعماله ، فشهدوا عليه بشرب الخمر ، أشخصه وجلده الحدّ ؛ فإذا عدّ ذلك في فضائل عمر لم يجز أن يعدّ ما ذكره في الوليد من معائب عثمان . ويقال : إنه لما أشخصه أقام عليه الحدّ بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد اعتذر من عزله سعد بن أبي وقاص بالوليد ؛ بأن سعداً شكاه أهل الكوفة ، فأدّاه اجتهداه إلى عزله بالوليد .

فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة ووثى مكانه أبا موسى ، وكذلك عبد الله ابن أبي سريح عزله ووثى مكانه محمد بن أبي بكر ، ولم يظهر له من مروان^(١) ما يوجب أن يصرفه عمّا كان مستعملاً فيه ، ولو كان ذلك طعناً لوجب مثله في كل من وثى ، وقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وثى الوليد بن عتبة ، فحدث منه ما حدث . وحدث من بعض أمراء أمير المؤمنين عليه السلام الخيانة ، كالقنقاع بن شور ، لأنه ولاه على ميسان فأخذ ما لها ولحق بمعاوية ، وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال أذربيجان . ووثى أبا موسى الحكم ، فكان منه ما كان ، ولا يجب أن يُعاب أحد بفعل غيره ؛ وإذا لم يلحقه عيب في ابتداء ولايته فقد زال العيب فيما بعده .

وقولهم : إنه قسم أكثر الولايات في أقاربه ، وزال عن طريقة الاحتياط للمسلمين ، وقد كان عمر حذره من ذلك ، فليس بعيب ؛ لأن تولية الأقارب كتولية الأبعد ؛ في إذا يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصة . ولو قيل إن تقديمهم أولى لم يتمتع ، إذا كان المولى لهم أشدّ تمكناً من عزلهم ، والاستبدال بهم ، وقد وثى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس البصرة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقُسم بن العباس مكة ؛ حتى قال مالك الأشتر عند ذلك :

(١) كذا في ج ، وفي ب والشافعي : « في باب مروان » .

عَلَىٰ مَاذَا قَتَلْنَا الشَّيْخَ أُمْس ! فَيَا يُرْوَى ؛ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَعِيبَ إِذَا أَدَّى مَا وَجِبَ عَلَيْهِ
فِي اجْتِهَادِهِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ حَيْثُ وَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّهُ يَقْتُلُهُ وَيَقْتُلُ
أَصْحَابَهُ ، فَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَشَدَّ أَنْكَارٍ ، حَتَّى حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي ظَهَرَ
لَيْسَ كِتَابَهُ وَلَا الْفَلَامُ غَلَامُهُ وَلَا الرَّاحِلَةُ رَاحِلَتُهُ ؛ وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مِّنْ خَاطِبِهِ فِي ذَلِكَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَبِلَ عَذْرَهُ . وَذَلِكَ بَيِّنٌ ؛ لِأَنَّ قَوْلَ كُلِّ أَحَدٍ مَقْبُولٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ،
وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْكِتَابَ يَجُوزُ فِيهِ التَّزْوِيرُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْخَبَرِ الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ الْكَذِبُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي زَوَّرَ الْكِتَابَ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ
عِنْدَهُ ، فَهَلَّا أَقَامَ فِيهِ الْحَدَّ ؟

قِيلَ : لَيْسَ يَجِبُ بِهَذَا الْقَدْرُ أَنْ يُقَطَّعَ عَلَىٰ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ
غَلِبَ ذَلِكَ فِي الظَّنِّ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْكَمَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يَسُومُونَهُ تَسْلِيمَ مَرْوَانَ إِلَيْهِمْ ؛
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُقِيمَ الْحَدَّ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ أَوْ التَّأْدِيبَ ، وَلَا يَحِلُّ
لَهُ تَسْلِيمُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُثَبِّتُوا عِنْدَهُ مَا يَوْجِبُ فِي مَرْوَانَ الْحَدَّ وَالتَّأْدِيبَ
لِيَفْعَلَهُ بِهِ ؛ وَكَانَ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ وَالحَالُ هَذِهِ يَسْتَحِقُّ التَّعْذِيبَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ
الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يُوجِبُ قَوْدًا وَلَا دِيَةً وَلَا حَدًّا ، فَلَوْ ثَبَتَ فِي مَرْوَانَ مَا ذَكَرُوهُ لَمْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ وَإِنْ
اسْتَحَقَّ التَّعْزِيرَ ، لَكُنْهُ عَدْلٌ عَنْ تَعْزِيرِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ؛ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ ظَنَّ أَنَّ
هَذَا الْفِعْلَ فَعَلَ بَعْضُ مَنْ يَعَادِي مَرْوَانَ تَقْبِيحًا لِأَمْرِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مِنْ فَعْلِهِ ؛ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ اجْتِهَادُهُ وَظَنُّهُ ؛ وَبَعْدَ فَإِنَّ هَذَا الْحَدَّثَ مِنْ أَجْلِ مَا تَقَمُّوا عَلَيْهِ ؛
فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يُوجِبُ خَلْعَ عُثْمَانَ وَقَتْلَهُ ؛ فَلَيْسَ إِلَّا هَذَا ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا
الْأَمْرَ لَوْ ثَبَتَ مَا كَانَ يُوجِبُ الْقَتْلَ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يَوْجِبُ الْقَتْلَ ؛ سِوَا قَبْلِ وَقُوعِ
الْقَتْلِ لِلْأُمُورِ بِهِ ؛ فَفَقُولُ ^(١) لَمْ : لَوْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَلَى عُثْمَانَ أَوْ كَانَ يَجِبُ قَتْلُهُ أَفَلَا يُمْكِنُهُمْ إِدْعَاءُ

(١) الشَّاقِ « فَيَقَالُ لَهُمْ » .

ذلك ، لأنه بخلاف الدين ؛ ولا بد أن يقولوا : إن قتلَه ظلم ، وكذلك حبسه في الدار ، ومنعه من الماء ، فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك ، وأن يقال : إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئاً .

وفي القول بأن الصحابة اجتمعوا على ذلك كلمهم تخطئة لجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك غير جائز ، وقد علم أيضاً أن المستحق للقتل والخلع لا يحل أن يمنع الطعام والشراب ، وعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صيفين ؛ وقد تمكن من منعهم ؛ وكل ذلك يدل على كونه عثمان مظلوماً ، وأن ذلك من صنع الجهال ، وأن أعيان الصحابة كانوا كارهين لذلك . وأيضاً فإن قتلَه لو وجب لم يجوز أن يتولاه العوام من الناس ؛ ولا شبهة أن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفة ؛ وإذا صح أن قتله لم يكن لهم ، فمنعهم والتكبير عليهم واجب .

وأيضاً فقد علم أنه لم يكن من عثمان ما يستحق به القتل ؛ من كفر بعد إيمان ، أو زناً بعد إحسان ، أو قتل نفس بغير حق ؛ وأنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام ؛ فقتله على كل حال منكر ، وإنكار المنكر واجب .

وليس لأحد أن يقول : إنه أباح قتل نفسه ، من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم ، لأنه لم يمتنع من ذلك ؛ بل أنصفهم ، ونظر في حالهم ، ولأنه لو لم يفعل ذلك لم يحل لهم قتله ، لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع ؛ وللروى أنهم أحرقوا بابَه ، وجمعوا عليه في منزله ، وبمَجْوَه بالسيف والمشاقص^(١) ، وضربوا يد زوجته لما وقعت عليه ، وانتهبوا متاع داره ؛ ومثل هذه القتل لا تحل في الكافر المرتد ، فكيف يُظن أن الصحابة لم ينكروا ذلك ، ولم يعدوه ظلماً ؛ حتى يقال إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه ؛ وقد تظاهر الخبر بما جرى من تجمع القوم عليه ، وتوسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم ، وأنه

(١) المشاقص : جرم مشقوس ؛ وهو النصل العريض .

بذل لهم ما أرادوه ، وأعتبهم^(١) وأشهد على نفسه بذلك ؛ وإن الكتاب الموجود بعد ذلك المتضمن لقتل القوم ، ووقف عليه - ومَن أوقفه عليه أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) - خلف أنه ما كتبه ، ولا أمر به ؛ فقال له : فمن تهم ؟ قال : ما اتهم أحدا ، وإن للناس لحيلًا .

والرواية ظاهرة أيضا بقوله : إن كنت أخطأت أو تعمدت فإني تائب ومستغفر ؛ فكيف يجوز والحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام وحرمة البلد الحرام ! ولا شبهة في أن القتل على وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ! ولولا أنه كان يمنع من محاربة القوم ظنًا منه أن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثُر أنصاره . وقد جاء في الرواية أن الأنصار بدأت معوته ونصرتة ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد بعث إليه ابنه الحسن عليه السلام ، فقال له : قل لأبيك فلتأتني ؛ فأراد أمير المؤمنين عليه السلام المصير إليه ، فمنعه من ذلك محمد ابنه ، واستعان بالنساء عليه ، حتى جاء الصريح^(٣) بقتل عثمان ، فمدّ يده إلى القبلة ، وقال : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . فإن قالوا : إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض ، وأنه داخل تحت آية المحاربين .

قيل : فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل ، لأن ذلك يجري مجرى الحد ، وكيف يدعى ذلك ، والمشهور عنه أنه كان يمنع من مقاتلتهم ، حتى روى أنه قال لعبيده ومواليه ، وقد هموا بالقتال : مَنْ أغمد سيفه فهو حرٌّ ! ولقد كان مؤثراً لنكير ذلك الأمر بما لا يؤدي إلى إراقة الدماء والفتنة ، ولذلك لم يستعين بأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وإن كان لما اشتد الأمر ، أعانه من أعان ، لأن عند ذلك تجب النصرة والمعونة ، فحيث

(١) أعتبهم : أَرْضاهم .

(٢) عبارة الشافعي : « وذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقفه على الكتاب » .

(٣) الصريح : المسقيث .

كانت الحال متماسكة ، وكان ينهى عن إنجاده وإعانتته بالحرب امتنعوا وتوقفوا ، وحيث اشتد الأمر أعانه ونصره من أدركه ، دون من لم يغلب ذلك في ظنه .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال ^(١) : أما قوله : لم يكن عالما بحال الفسقة الذين ولّاهم قبل الولاية ؛ فلا تعويل عليه ؛ لأنه لم يول هؤلاء النفر إلا وحالهم مشهورة في الخلاعة والمجانة والتجريم والتهتك ؛ ولم يختلف اثنان في أن الوليد بن عتبة لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر والاستخفاف بالدين على استقبال ولايته للكوفة ؛ بل هذه كانت سنته والعادة المعروفة منه ؛ وكيف يخفى على عثمان - وهو قريبه ولصيقه وأخوه لأمه - من حاله ما لا يخفى على الأجانب الأبعاد ، ولهذا قال له سعد بن أبي وقاص في رواية الواقدي ، وقد دخل الكوفة - : يا أبا وهب ^(٢) ، أمير أم زائر ؟ قال : بل أمير ، فقال سعد : ما أدري أتحقتُ بعدك أم كُست ^(٣) بعدى ؟ قال : ما تحقتُ بعدى ولا كُستُ بعدك ، ولكن القوم ملكوا ^(٤) فاستأنروا ، فقال سعد : ما أراك إلا صادقا .

وفي رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أن الوليد لما دخل الكوفة مرة على مجلس عمرو بن زُرارة النخعي ، فوقف ، فقال عمرو : يامعشر بني أسد ، بئسما استقبلنا به أخوكم ابنُ عَفَّان ! أمِن عدله أن ينزع عَفَّان بن أبي وقاص ، الهين اللين السهل القريب ، ويبعث بذله أخاه الوليد ، الأحق للماجن الفاجر قديما وحديثا ! واستعظم الناس مقدمه ، وعزل سعد به ، وقالوا : أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمّة محمد صلى الله عليه ! وهذا تحقيق ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية ، لا ريب فيها عند أحد ، فكيف

(١) الشافعي ص ٢٦٩

(٢) أبو وهب كنية الوليد بن عتبة .

(٣) من الكيس ، وهو خلاف الحق .

(٤) كذا في ح والشافعي ، وفي ب : « ولوا » .

يقال : إنه كان مستوراً حتى ظهر منه ما ظهر ! وفي الوليد نزل قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ^(١) ، فالؤمن ها هنا أمير المؤمنين عليه السلام ، والفاسق الوليد ، على ما ذكره أهل التأويل . وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ^(٢) ، والسبب في ذلك أنه كذب على بنى المصطلق عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وادعى أنهم منعوه الصدقة . ولو قصصنا مخازيه المتقدمة ومساربه لطال بها الشرح . وأما شربه الخمر بالكوفة وسكره ، حتى دخل عليه [من دخل] ^(٣) وأخذ خاتمه من إصبعه ، وهو لا يعلم ، فظاهر ، وقد سارت به الركبان . وكذلك كلامه في الصلاة ، والتفاتة إلى من يقتدى به فيها وهو سكران ، وقوله لم : أزيدكم ؟ فقالوا : لا ، قد قضينا صلواتنا ، حتى قال الخطيئة في ذلك :

شَهِدَ الْخَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ ^(٤)

(٢) سورة الحجرات ٦ .

(١) سورة السجدة ١٨ .

(٣) تكملة من كتاب الشافي .

(٤) كذا وردت الرواية في الأصول والشافعي ؛ وروى صاحب الأغانى ٤ : ١٧٦ (ساسي) بسنده عن مصعب الزبيري ، قال : قال الوليد بن عقبة بعدما جلد : اللهم إنهم شهدوا على بزور ، فلا ترضهم عن أمير ، ولا ترض عنهم أميراً ؛ فقال الخطيئة يكذب عنه :

شَهِدَ الْخَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ
خَلَعُوا عَنَّاكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ نَرَا شِمَائِلَ مَا جَدِ أَنْفٍ
بُعْطِي عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ تَنْزَعُ إِلَى طَمَعٍ وَلَا قَفَرٍ

فقال رجل من بني بجل يرد على الخطيئة :

نَادَىٰ وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَزِيدُكُمْ - نَمِلًا - وَمَا يَذْرَى
لِيَزِيدَكُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشُّعْبِ وَالْوَتْرِ =

نَادَى وَقَدْ فَدَتْ صَلَاتُهُمْ أَزِيدُكُمْ - نَيْلًا - وما يدرى
ليزِيدهمُ خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا منه قَسَادهمُ على عَشْرِ
فَابُوا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ فَعَلُوا لَقَرْنَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
حَبَسُوا عِيَانَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ خَلَّوْا عِيَانَكَ لَمْ تَزَلْ مَجْرَى
وقال فيه أيضا :

تَكَلَّمْ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا عِلَانِيَةً وَجَاهَرَ بِالنِّفَاقِ^(١)
وَمَجَّ الْخَمْرَ فِي سَنَنِ الْمَصَلَّى وَنَادَى وَالْجَمِيعُ إِلَى افْتِرَاقِ
أَزِيدُكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمَدُونِي فَمَا لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلَاقِ

وأما قوله : إنه جلده الحدّ وعزله ، فبعد أي شيء كان ذلك ، ولم يعزله إلا بعد
أن دافع ومانع ، واحتجّ عنه وناضل ! ولو لم يقهره أمير المؤمنين عليه السلام على رأيه
لما عزّله ، ولا أمكن من جلده . وقد روى الواقدي أن عثمان لما جاءه الشهود بشهود
على الوليد بشرب الخمر أو عذم وتهديهم .

قال الواقدي : ويقال إنه ضرب بعض الشهود أيضا أسواطًا ، فأتوا أمير المؤمنين
عليه السلام ، فشكوا إليه ، فأثنى عثمان ، فقال : عطّلت الحدود ، وضربت قوما شهدوا
على أخيك ، فقلّبت الحكم ، وقد قال لك عمر : لا تحملُ بنى أمية وآل أبي مُعَيْطٍ على
رقاب الناس ! قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئًا من أمور المسلمين ،
وأن تسأل عن الشهود ؛ فإن لم يكونوا أهلَ ظَنَّةٍ ولا عداوة ، أقمت على صاحبك الحدّ .
وتكلّم في مثل ذلك طلحة والزبير وعائشة ، وقالوا أقوالا شديدة ، وأخذته الألسن من
كلّ جانب ، فحينئذ عزّله ، ومكّن من إقامة الحدّ عليه .

= فَابُوا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْعَشْرِ

وانظر ديوان الخطبة ٨٥ .

(١) ديوانه ١١٩

وقد روى^(١) الواقدي أن الشهود لما شهدوا عليه في وجهه ، وأراد عثمان أن يحمده ألبسه جبة خز ، وأدخله بيتا ، فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه ، قال له الوليد : أنشدك الله أن تقطع رحي وتغضب أمير المؤمنين ! فلما رأى علي عليه السلام ذلك ، أخذ السوط ودخل عليه ، فجلده به . فأى عذر لعثمان في عزله وجلده بعد هذه الممانعة الطويلة ، والمدافعة الشديدة !

وقصة الوليد - مع الساحر الذي كان يلعب بين يديه ، ويفر الناس بمكره وخديعته ، وأن جندب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك ودخل عليه فقتله ، وقال له : احب نفسك إن كنت صادقا ، وأن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر ، حتى أنكر الأزدي ذلك عليه ، فحبسه وطال حبسه حتى هرب من السجن - معروفة مشهورة .

فإن قيل : فقد وثى رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عتبة هذا صدقة بنى المصطلق ، وولاه عمر صدقة تغلب ، فكيف تدعون أن حاله في أنه لا يصلح للولاية ظاهرة !

قلنا : لا جرم ، إنه غر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذب على القوم حتى نزلت فيه الآية التي قدمنا ذكرها ، فعزله . وليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة ، فأما عمر فإنه لما بلغه قوله :

إِذَا مَا شَدَدْتُ الرَّأْسَ مَنَى بِمَشْوَذٍ فَوَيْلَكَ مَنَى تَغْلِبَ ابْنَةُ وَإِثْلُ^(٢) عَزَلَهُ .

وأما عزل أمير المؤمنين عليه السلام بعض أمرائه لما ظهر من الحدث كالتعاقب ابن شور وغيره ، ولذلك عزل ميمر قدامة بن مظعون لما شهد عليه بشرب الخمر ، وجلده له ؛ فإنه لا يشبه ما تقدم ؛ لأن كل واحد من ذكرناه لم يول إلا من هو حسن الظاهر عنده وعند الناس ، غير معروف باللعب ولا مشهور بالفساد . ثم لما ظهر منه ما ظهر

(١) كذا في ج ، وفي ب والشافعي : « وروى » .

(٢) اللسان ٥ : ٣١ وروايته : « فنيك » ، والمشوذ : العمامة .

لم يحام عنه ولا كذب الشهود عليه وكأبرهم ، بل عزله مختاراً غير مضطراً ، وكل هذا لم يجر في أمراء عثمان ، وقد بينا كيف كان عزل الوليد وإقامة الخديعة عليه .
فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّه الحكم مختاراً ، لكنه غلب على رأيه وقهر على أمره ، ولا رأى لمقهور .

فأما قوله : إن ولاية الأقارب كولاية الأبعد ؛^(١) بل الأقارب أولى ؛ من حيث كان التمكن من عزله أشد . وذكر تولية أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) أولاد العباس رحمه الله تعالى^(٣) وغيرهم - فليس بشيء ؛ لأن عثمان لم يُنقَم عليه تولية الأقارب من حيث كانوا أقارب ، بل من حيث كانوا أهل بيت الظنة والتهمة ، ولهذا حذّره عمر وأشعر بأنه يحملهم على رقاب الناس . وأمير المؤمنين عليه السلام لم يول من أقاربه متهماً ولا ظنينا ؛ وحين أحسن من ابن العباس ببعض الرؤية لم يمهله ولا احتمله ، وكتبه بما هو شائع ظاهر ؛ ولو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النص عليه ، وشرط عليه يوم الشورى ألا يحمل أقاربه على رقاب الناس ، ولا يؤثرهم لكان القرابة بما لا يؤثر به غيرهم - لكان صارفاً قوياً ، فضلاً عن أن ينضاف إلى ذلك ما انضاف من خصائص الذميمة وطرائقهم القبيحة .

فأما سعيد بن أبي العاص ؛ فإنه قال في الكوفة : إنما السواد بستان قریش، تأخذ منه ماشاءت وتترك، حتى قالوا له : أنجعل ما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ! ونابدوه، وأفضى الأمر إلى تسييره من سائر الكوفة ؛ والقصة مشهورة ، ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سعيداً من دخولها ، وتكلموا فيه وفي عثمان كلاماً ظاهراً ، حتى

(١ - ١) كذا في الأصول . وفي الشافعي : « بل الأبعد أولى أن يقدم الأقارب عليهم » .

(٢ - ٢) الشافعي : « عبد الله وعبيد الله وقتما بنى العباس وغيرهم » .

كادوا يخلعون عثمان ؛ فاضطرحينثذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى ، فلم يصرف سعيداً مختاراً ، بل ماصرفه جُملة ؛ وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم ^(١) .

فأما قوله : إنه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه ، وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه ، ولا الفلام غلامه ، ولا الراحلة راحلته ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قبل عذره ؛ فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ما جرت عليه ؛ لأن جميع مَنْ يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم والفلام والراحلة ، وإنما أنكر أن يكون أمر بالكتابة ؛ لأنه روى أن القوم لما ظفروا بالكتاب قدّموا المدينة ، فجمعوا أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ، ثم فكروا الكتاب بمحضر منهم ، وأخبروه بقبصة الفلام ، فدخلوا على عثمان والكتاب مع أمير المؤمنين ، فقال له : أهذا الفلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : أفأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله أنه ما كتب الكتاب ، ولا أمر به ؛ فقال له : فإخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك ، ولا تعلم به !

وفي رواية أخرى أنه لما واقفه عليه ، قال عثمان : أما الخط خط كاتبى ، وأما الخاتم فعلى ^(٢) خاتمي ، قال : فن تهم ؟ قال : اتهمك وأتهم كاتبى ؛ فخرج أمير المؤمنين عليه السلام مغضباً ، وهو يقول : بل بأمرك ، ولزيم داره ، وبمُد عن توسط أسره ، حتى جرى عليه ما جرى .

وأعجب الأمور قوله لأمر المؤمنين عليه السلام : «إني اتهمك» وتظاهر بذلك وتلقيه إياه في وجهه بهذا القول ؛ مع بعده من التهمة والظنة في كل شيء ، وفي أسره خاصة ؛ فإن القوم في الدفعة الأولى أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه ؛ حتى قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه وأصلحه ، وأشار عليه بأن يقاربهم ويعينهم ؛ حتى انصرفوا عنه ، وهذا

(١) ساقطة من أ ، ج ، وهى في ب والشاق .

(٢) أ : « فهو » .

فعل النصيح المشفق الحديب المتحنن ، ولو كان عليه السلام - وحوشي من ذلك - متهماً عليه لما كان للهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة ؛ لأن الكتاب بخط عدوه مروان^(١) ؛ وفي يد غلام عثمان ، ومحمول على بعيره ، ومختوم بخاتمه ، فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين عليه السلام في هذا المكان ، لولا العداوة وقلة الشكر للنعمة !

ولقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئاً لا زيادة عليه في باب الحجة ؛ لأنهم قالوا له : إذا كنت ما كتبت ولا أمرت به ، فأنت ضعيف ؛ من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما تختمه بخاتمك ، وينفذه بيد غلامك وعلى بعيرك بغير أمرك ؛ ومن تم عليه ذلك لا يصلح أن يكون والياً على أمور المسلمين . فاخترع عن الخلافة على كل حال .

قال : ولقد كان يجب على صاحب " المغني " أن يستحي من قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام قبل عذره ؛ وكيف يقبل عذر من يتهمه ويستفشه ؛ وهو له ناصح ! وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد سماع هذا القول منه معروف .

وقوله : إن الكتاب يجوز فيه التزوير ، ليس بشيء ، لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب والغلام والبعير ؛ وهذه الأمور إذا انضاف بعضها إلى بعض ، بعد فيها التزوير ؛ وقد كان يجب على كل حال أن يبحث عن القصة وعن زور الكتاب ، وأخذ الرسول ، ولا ينقم عن ذلك ؛ حتى يعرف من أين دُهي ؛ وكيف تمت الحيلة عليه ، فيحتريز من مثلها ، ولا يفتى عن ذلك إغضاء سائر له ، خائف من بحثه وكشفه .

فأما قوله : إنه وإن غلب على الظن أن مروان كتب الكتاب ، فإن الحكم بالظن لا يجوز ، وتسليمه إلى القوم على مأسأله إياه ظلم ، لأن الحد والأدب إذا وجب عليه ، فالإمام يقيمه دونهم ؛ فتمثل بما لا يجدي ، لأننا لا نعمل إلا على قوله في أنه لم يعلم أن

(١) الشافى : « بخط عدو الله وعدو رسوله وعدو أمر المؤمنين » .

مروان هو الذى كتب الكتاب ، وإنما غلب على ظنه ؛ أما كان يستحق مروان بهذا الظنّ بمض التعنيف والزجر والتهديد ! أو ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه ، وقوة الأمارات فى أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يُبعد عنه ، ويطرده من داره ويسلّيه ما كان يخصّه به من إكرامه ! وما فى هذه الأمور أظهر من أن ينبّه له .

فأما قوله : إنّ الأمر بالقتل لا يوجب قوداً ولا ديةً ، سيّما قبل وقوع القتل المأمور به ، فهب أن ذلك على ما قال ، أما أوجب^(١) الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديباً ولا تمزيراً ولا طرداً ولا إبعاداً !

وقوله : لم يثبت ذلك ، قد مضى ما فيه ، وبين أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف ، وتهديد المتهم وطرده وإبعاده والتبرؤ من التهمة بما يُتبرأ به من مثلها .

فأما قوله : إن قتله ظلم وكذلك حبسه فى الدار ، ومنعه من الماء ، وأنه لو استحق القتل أو اخلع لا يحلّ أن يُمنع الطعام والشراب ، وقوله : إن من لم يدفع عن ذلك من الصّحابة يجب أن يكون مخطئاً ، وقوله : إن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس ، فباطل ، لأنّ الذين قتلوه غير منكرين أن يكونوا تهمدوا قتله ، وإنما طالبوه بأنّ يخلع نفسه لما ظهر لهم من إحدائه ، ويعتزل عن^(٢) الأمر اعتزالاً يتمكّنون معه من إقامة غيره ، فليج وصمّ على الامتناع ، وأقام على أمر واحد ؛ فقصد القوم بحصره أن يُلجئوه إلى خلع نفسه ، فاعتصم بداره ، واجتمع إليه نفر من أوباش بنى أمية ، يدفعون عنه ، ويرمون من دنا إلى الدار ، فأنهى الأمر إلى القتال بتدرّج ؛ ثم إلى القتل ؛ ولم يكن القتال ولا القتل مقصودين فى الأصل ، وإنما أفضى الأمر إليهما على ترتيب ، وجرى ذلك مجرى

(١) الشافى : « يوجب »

(٢) ج والشافى : « يعتزل الأمر » .

ظالم غلب إنسانا على رَحْله أو متاعه ، فالواجبُ على المغلوب أن يُمانعه ويدافعه ليخلص ماله من يده ، ولا يقصدَ إلى إتلافه ولا قتله ، فإن أفضى الأمرُ إلى ذلك بلا قصدِ كلن معذورا ، وإِتما خاف القومُ - في الثاني به ، والصبر عليه ، إلى أن يخلع نفسه - من كُتْبِه التي طارت في الآفاق ، يستنصر عليهم ويستقدم الجيوش إليهم ، ولم يأمنوا أن يَرِدَ بعض من يدفع عنه فيؤذى ذلك إلى الفتنة الكبرى والبلية العظمى .

وأما منع الماء والطعام فما فُعل ذلك إلا تضيقا عليه ؛ ليخرج ويخرج إلى الخلع الواجب عليه . وقد يُستعمل في الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنائيات ، وتعذر إقامة الحدِّ عليه لمكان الحرم . على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر منع الماء والطعام ، وأنفذ من مكن من تحمل ذلك ، لأنه قد كان في الدار من الحرم والنسوان والصبيان من لا يحلُّ منعه من الطعام والشراب . ولو كان حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتضاfer فيه حكم منع الطعام والشراب في القُبْحِ والمسكر ، لأنكره أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنع منه كما منع من غيره ، فقد روى عنه عليه السلام أنه لما بلغه أن القوم قد منعوا الدار من الماء ، قال : لا أرى ذلك ، إن في الدار صبيانا وعيالا ، لا أرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجُرمِ عثمان . فصرح بالمعنى الذى ذكرناه ، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما أنكر المطالبة بالخلع ، بل كان مساعدا على ذلك ومشاورا فيه .

فأما قوله : إن قتل الظالم إتما يحلُّ على سبيل الدفع ؛ فقد بينا أنه لا يتكر أن يكون قتله وقع على ذلك ^(١) الوجه ، لأنه في تمسكه بالولاية عليهم وهو لا يستحقها ، في حكم الظالم لهم ، فمدافعتهم واجبة .

وأما قصة الكتاب الموجود ؛ فلم يحكمها على الوجه ؛ وقد شرحنا نحن الرواية الواردة بها .

وأما قوله : إنه قال : إن كنت أخطأت أو تعمدت ؛ فإنى نائب مستغفر ؛ فقد أجابه القوم عن هذا ، وقالوا : هكذا قلت في المرة الأولى ؛ وخطبت على المنبر بالتوبة والاستغفار ؛ ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه ^(١) ؛ فكيف تثق بتوبتك واستغفارك !

فأما قوله : إن القتل على وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ؛ فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيلة ؛ وأنه لا يمتنع أن يكون إنما وقع على سبيل المدافعة .

فإنما ادعاؤه أنه منع من نصرته ، وأقسم على عبيده بترك القتال ؛ فقد كان ذلك لعمري في ابتداء الأمر ظناً منه أن الأمر ينصلح ؛ والقوم يرجعون عما هموا به ؛ فلما اشتد الأمر ، ووقع اليأس من الرجوع والنزوع ، لم يمنع أحداً من نصرته والمخاربة عنه ، وكيف يمنع من ذلك ، وقد بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستنصره ويستصرخه ؛ والذي يدل على أنه لم يمنع في الابتداء من محاربتهم إلا للوجه الذي ذكرناه دون غيره ، أنه لا خلاف بين أهل الرواية في أن كتبه تفرقت في الآفاق يستنصر ويستدعى الجيوش ؛ فكيف يرغب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره الغائب !

فأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأتيه ، حتى منعه ابنه محمد ، فقول بعيد عما جاءت به الرواية جداً ، لأنه لا إشكال في أن أمير المؤمنين عليه السلام لما واجهه عثمان بأنه يهيمه ويستغشه ، انصرف منضبطاً عامداً ، على أنه لا يأتيه أبداً ، قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال .

فأما قوله في جواب سؤال مَنْ قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين في الأرض؛ وأن آية المحاربة تنفأوله ، وأنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك الفعل بنفسه ؛ لأن ذلك يجري مجرى الحد ؛ فطريف ؛ لأن الإمام يتولى ما يجري هذا المجرى إذا كان منصوباً ثابتاً ، ولم يكن على مذهب القوم هناك إمامٌ يجوز أن يتولى ما يجري مجرى الحدود ؛ ومتى لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين والذِّب عن الأمة ؛ جاز أن تتولى الأمة ذلك بنفسها .

قال : وما رأيتُ أحجبَ من ادعاء مخالفينا أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كانوا كارهين لما جرى على عثمان ، وأنهم كانوا يعتقدونه منكراً وظلماً ، وهذا يجري عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الأخبار ، وسماع ماورد من شرح هذه القصة ؛ لأنه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم في دار عزهم ، وبحيث ينفذ أمرهم ونهيهم لا يجوز أن يتم . ومعلوم أن نفراً من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة فيقبلوا جميع المسلمين على آرائهم ، ويفعلوا بإمامهم ما يكرهونه برأى منهم وسمع ، وهذا معلوم بطلانه بالبداهة والضرورات قبل تصفح الأخبار وتأملها . وقد روى الواقدي عن ابن أبي الزناد ، عن أبي جعفر القاري مولى بني مخزوم ، قال : كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة ، عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وكفانة بن بشر الكندي ، وعمر بن الحقيق الخزازي . والذين قدموا المدينة من الكوفة مائتين ، عليهم مالك الأشتر النخعي . والذين قدموا من البصرة مائة رجل ، رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي ، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل ، ولعمري لو قام بعضهم فحنا التراب في وجوه أولئك لا نصر فوا ، وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الواقدي في هذا الباب أكثر مما تضمنه غيرها .

وروى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قلت له :

كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان ؟ فقال : إنما قَتَلَهُ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله .

وروى عن أبي سعيد الخدري ، أنه سُئِلَ عن مقتل عثمان : هل شهده أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ؟ فقال : نعم ، شهده ثمانمائة .

وكيف يقال : إن القوم كانوا كارهين ، وهؤلاء المصريون كانوا يذنون إلى كل واحد منهم ، ويروحون ويشاورونه فيما يصنعونه ! وهذا عبد الرحمن بن عوف وهو عاقدُ الأمير لعثمان ، وجالبه إليه ، ومُضَيَّرُهُ في يده ، يقول — على مارواه الواقدي ، وقد ذكر له عثمان في مرضه الذي مات فيه — : عاجلوه قبل أن يتأذى في مُلْكِهِ ؛ فبلغ ذلك عثمان فَبَعَثَ إلى بئر كان عبد الرحمن يَسْقِي منها نَعْمَهُ ، فَنَعِمَ منها ، ووصى عبد الرحمن ألا يصلى عليه عثمان ؛ فصلى عليه الزبير — أو سعد بن أبي وقاص — وقد كان حَلَفَ لما تناهت أحداثُ عثمان ألا يكلمه أبدا .

وروى الواقدي ، قال : لما تَوَفَّى أبو ذرَّ بالربذة^(١) تذاكر أمير المؤمنين عليه السلام وعبدُ الرحمن فعلَ عثمان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام له : هذا عمالك ! فقال عبدُ الرحمن : فإذا شئت نخذ سيفك وأخذُ سيفي ، إنه خالف ما أعطاني .

فأما محمد بن مسلمة ؛ فإنه أرسلَ إليه عثمانُ يقول له عند قدوم المصريين في الدفعة الثانية : اردد عني ، فقال : لا والله لا أكذبُ الله في سنة مرتين ؛ وإنما عني بذلك أنه كان أحدَ من كلم المصريين في الدفعة الأولى ، وضمن لهم عن عثمان الرضا .

وفي رواية الواقدي أن محمد بن مسلمة ، كان يموت وعثمان محصور ، فيقال له : عثمان مقتول ، فيقول : هو قَتَلَ نفسه .

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال ؛ قرية من ذات عرق ؛ على طريق الحجاز ؛ بها قبر أبي ذر الغفاري — واسمه جندب بن جنادة ، وقد كان خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . ياقوت .

فأما كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وطلحة والزبير وعائشة ، وجميع الصحابة واحدا واحدا ؛ فلو تعاطينا ذكرَه لَطال به الشَّرْح ؛ ومن أراد أن يقف على أقوالهم مفصلة ، وما صرَّحوا به من خَلْمه والإجلاب عليه ؛ فعليه بكتاب الواقدي^(١) ، فقد ذكرَ هو وغيرُه من ذلك مالا زيادة عليه .

الطعن الثاني :

كونه ردَّ الحَكَم بن أبي العاص^(٢) إلى المدينة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله طَرَدَه ، وامتنع أبو بكرٍ من ردِّه ، فصار بذلك مخالفاً للسَّنة ولسيره مَنْ تقدَّمه ، مدَّعياً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، عاملاً بدعواه من غير بيِّنة .

قال قاضي القضاة رحمه الله : وجوابنا عن ذلك أن الرويَّ في الأخبار أنه لما عُوتِب في ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ؛ وإنما لم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنه شاهد واحد ، وكذلك روى عنهما ، فكأنهما جعلاً ذلك بمنزلة الحقوق التي تختص ، فلم يقبل فيه خبر الواحد ، وأجرياه تجرئ الشهادة ، فلما صار الأمر إليه حَكَم بعلمه ، لأنَّ للحاكم أن يحكم بعلمه في هذا الباب وفي غيره عند شيخينا ، ولا يفصلان بين حدِّ وحق ، ولا بين أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية ، ويقولان : إنه أقوى من البيِّنة والإقرار .

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إنَّه لا وجهَ يقطع به على كذب روايته في إذن

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ؛ نقل ابن الدِّيم أنه خلف بعد وفاته ستائة قطر كتباً ؛ كل قطر منها حل رحلين ؛ وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار ؛ وقبل ذلك يبيع له كتب بالي دينار . ثم أورد أسماء كتبه ؛ منها كتاب التاريخ الكبير . توفي سنة ٢٠٧ . الفهرست ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) هو الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، عم عثمان بن عفان ؛ وانظر ترجمته وأخباره في أسد الغابة ٣ : ٣٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم في رده ، ولا بد من تجويز كونه صادقا ؛ وفي تجويز ذلك كونه معذورا .

فإن قيل : الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة ، وقد كانت التهمة في ردّ الحكم قوية لقرابته !

قيل : الواجب على غيره ألا يتهمه ؛ إذا كان لفعله وجه يصحّ عليه ؛ لأنه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه، وتخل أفعاله على الصحة، ومتى طرفنا عليه التهمة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام . وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط رحمه الله تعالى : إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد ؛ لأن النفي إذا كان صلاحا في الحال لا يمتنع^(١) أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات وتغير حال النفي ؛ وإذا كان لأبي بكر أن يستردّ عمر من جيش أسامة للحاجة إليه - وإن كان قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفوذه - من حيث تغيرت الحال ، فغير ممتنع مثله في الحكم .

اعترض للمرئضى رحمه الله تعالى على هذا، فقال : أما دعواه أن عثمان ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أذن في ردّ الحكم فشيء لم يُسمع إلا من قاضي القضاة ، ولا يُدْرَى من أين نقله ، ولا في أيّ كتاب وجده ! والذي رواه الناس كلهم خلاف ذلك ؛ روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وقال : لا نساكني في بلد أبدا ، فجاء عثمان فكلّمه فأبى ، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك ، ثم كان من عمر مثل ذلك ، فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه ، فشيء في ذلك على والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف

(١) ب : « فلا يمتنع » .

وعمار بن ياسر ؛ حتى دخلوا على عثمان فقالوا له : إنك قد أدخلت هؤلاء القوم - يعنون الحكم ومن معه - وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أخرجهم ؛ وإنا نذكرك الله والإسلام ومعادك ؛ فإن لك معاداً ومُقَلَباً ، وقد أبت ذلك الولاية قبلك ، ولم يطمع أحد أن يكلمها فيهم ؛ وهذا شيء يخاف الله فيه عليك . فقال عثمان : إن قرابتهم مني ما تعلمون ؛ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم ، وإنا أخرجهم لكلمة بلغت عن الحكم ؛ ولم يضربكم مكانهم شيئاً ، وفي الناس من هو شرّ منهم . فقال عليّ عليه السلام : لا أجدرُ شرّاً منه ولا منهم ، ثم قال : هل تعلم عمر يقول : والله ليحملن بني أبي مُعيط على رقاب الناس ! والله إن فعل ليقتلنّه ، فقال عثمان : ما كان منكم أحد ليسكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه ، وينال من المقدرة ما نلت إلا قد كان سيّدخله ، وفي الناس من هو شرّ منه . قال : ففضب عليّ عليه السلام ، وقال : والله لتأتينا بشرّ من هذا إن سلّيت ، وسترى يا عثمان غيب ما تفعل ! ثم خرجوا من عنده .

وهذا كما ترى خلاف ما ادّعاه صاحب " المغني " ، لأن الرجل لما احتفل ادّعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أطمعه في ردّه ، ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هي الموجبة لردّه ومخالفة الرسول عليه السلام . وقد روى من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في ردّ الحكم أغلظا له وزبراه ، وقال له عمر : يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أدخله ! والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل : غير عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأن أشقّ بائنيتين كما تُشقّ الأبلّة ^(١) أحبّ إليّ من أن أخالف لرسول الله أمراً ، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم ؛ وما رأينا

(١) الأبلّة : خوس القمل ؛ والمثل : « المال بيني وبينك شقّ الأبلّة » مثل يضرب في المساواة والمشاركة في الأمر .

عثمان قال في جواب هذا التمينف والتوبيخ من أبي بكر وعمر: إن عندى عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، لا أستحق معه عتاباً ولا تهجيناً، وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معظّم له، أن يأتي إلى عدوّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مصرّح بعداوته والوقعة فيه؛ حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته، طرده رسول الله، وأبعده ولعنه؛ حتى صار مشهوراً بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيكرمه ويرده إلى حيث أخرج منه، ويصلّه بالمال العظيم: إما من مال المسلمين أو من ماله! إن هذا لعظيم كبير قبل التصفّح والتأمل والتعلّل بالتأويل الباطل!

فأما قول صاحب "اللفنى": "إن أبا بكر وعمر لم يقبلوا قوله لأنه شاهد واحد، وجعلنا ذلك بمنزلة الحقوق التي تخصّ، فأقول ما فيه أنه لم يشهد عندهما بشيء واحد في باب الحكم على مارواه جميع الناس؛ ثم ليس هذا من باب الذى يُحتاج فيه إلى الشاهدين، بل هو بمنزلة كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد. وكيف يجوز أن يُجرى أبو بكر وعمر بحجوى الحقوق ما ليس منها! وقوله: لا بدّ من تجويز كونه صادقا في روايته؛ لأنّ القطع على كذب روايته لا سبيل إليه ليس بشيء؛ لأننا قد بينّا أنه لم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذاً، إنما ادعى أنه أطمعه في ذلك. وإذا جوزنا كونه صادقا في هذه الرواية؛ بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا.

فأما قوله: الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجهٌ يصحّ عليه؛ لانتصابه منصّباً يزىل التهمة؛ فأقول ما فيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمة، والتهمة قد تكون لها أمارات وعلامات؛ فما وقع منها عن أمارات وأسباب تهم في العادة كان مؤثراً؛ وما لم يكن كذلك فلا تأثير له، والحكم هو عم عثمان، وقرينه ونسيبه، ومن

قد تكلم في رده مرة بعد أخرى ، ولوالٍ بعد والٍ ؛ وهذه كلها أسباب التهمة ، فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه في هذا الباب خاصة ؛ لتطرق التهمة إليه .
فأما ما حكاه عن أبي الحسين الخياط من أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يأذن في رده لجاز أن يرده إذا أداه اجتهاده إلى ذلك ؛ لأن الأحوال قد تتغير - فظاهر البطلان ؛ لأن الرسول عليه السلام إذا حذر شيئا أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحة المحظور أو حذر المباح ، ومن يجوز الاجتهاد في الشريعة لا يقدم على مثل هذا ؛ لأنه إنما يجوز عندهم فيما لانص فيه . ولو سوغنا الاجتهاد في مخالفة ما تناوله النص لم يؤمن أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر وإسقاط الصلاة ، بأن تتغير الحال ، وهذا هدم للشريعة . فأما الاستشهاد باسترداد عمر من جيش أسامة فالكلام في الأمرين واحد^(١) .

* * *

الطعن الثالث :

أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عدة المسلمين ، نحو ما روي أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربعائة ألف دينار ، وأعطى مروان مائة ألف عند فتح إفريقية ، وبيروى خمس إفريقية ، وغير ذلك ، وهذا بخلاف سيرة من تقدمه في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق ، وإيثار الأبعد على الأقارب .
قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أن من الظاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار ، كثير المال ، فلا يمتنع أن يكون إنما أعطى أهل بيته من ماله ، وإذا احتمل ذلك وجب حملُه على الصحة .

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إن الذي روي من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش زوجهم بناته ؛ إلى كل واحد منهم مائة ألف دينار ، إنما هو من ماله ، ولارواية
(١) بهما في الثاني ١٧٦ : « وقد مضى ما فيه » .

تصحّ أنه أعطاهم ذلك من بيت المال ، ولو صحّ ذلك اسكان لا يمتنع أن يكون أعطاهم من بيت المال ليردّ عوّضه من ماله ، لأنّ للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك ، كما له أن يُقرض غيره .

وقال شيخنا أبو علي أيضا : إن مارويّ من دفعه خمس إفريقية لما فُتحت إلى مروان ؛ ليس بمحفوظ ولا منقول على وجهٍ يجب قبوله ؛ وإنما يرويه مَنْ يقصد التشنيع . وقد قال الشيخُ أبو الحسين الخياط : إن ابن أبي سرح لما غزا البحر ، ومعه مروان في الجيش ، ففتح الله عليهم ، وغنموا غنيمةً عظيمةً ، اشترى مروان من ابن أبي سرح الخمس بمائة ألف ، وأعطاه أكثرها ؛ ثم قَدِمَ على عثمان بشيراً بالفتح ، وقد كانت قلوب المسلمين تملّقت بأمر ذلك الجيش ؛ فرأى عثمان أن يهب له ما بقى عليه من المال ، وللإمام فِعْلٌ مثل ذلك ، ترغيباً في مثل هذه الأمور .

قال : وهذا الصنيع كان منه في السّنة الأولى من إمامته ، ولم يبرأ أحد منه فيها ، فلا وجهٌ للتعلق بذلك .

وذكر أبو الحسين الخياط أيضا فيما أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم ، فلا يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحا . وذكر في إقطاعه القطائع ابني أمية ، أنّ الأئمة قد تحصّل في أيديهم الضياع لأمالك لها ، ويعلمون أنّها لا بدّ فيها من يقوم بإصلاحها وعمارتها ، ويؤدّي عنها ما يجب من الحقّ ، فله أن يصرف من ذلك إلى مَنْ يقوم به ، وله أيضا أن يهدّ بعضها على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح والتألف ، وطريقُ ذلك الاجتهاد .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما قوله : يجوز أن يكون إنما أعطاهم من ماله ، فالرواية بخلاف ذلك ، وقد صرح الرجلُ بأنّه كان يعطى من بيت المال

صلةً لرحمه ، ولما عوتب على ذلك لم يعتذر عنه بهذا الضرب من العذر ، ولا قال : إن هذه العطايا من مالى ، فلا اعتراض لأحد فيها . روى الواقدي بإسناده عن السور بن عتبة ، قال : سمعتُ عثمان يقول : إن أبا بكرٍ وعمر كانا يتأولان فى هذا المال ظلف^(١) أنفسهما وذوى أرحامهما ، وإني تأولتُ فيه صلةً رحى .

وروى عنه أيضا أنه كان بحضرته زياد بن عبيد ، مولى الحارث بن كلدة الثقفى ، وقد بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة ، فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصَّحاف ، فبكى زياد ، فقال : لا تبك ، فإنَّ عمر كان يمنع أهله وذوى قرابته ابتغاء وجه الله ، وأنا أعطى أهلى وولدى وقرابتي ابتغاء وجه الله .

وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة .

وروى الواقدي أيضا بإسناده ، قال : قدِّمتُ إبلًا من إبل الصدقة على عثمان ، فوهبها للحارث بن الحكم بن أبى العاص .
وروى أيضا أنه ولّى الحكم بن أبى العاص صدقاتٍ قضاة ، فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاها بها .

وروى أبو مخنف والواقدي أنَّ الناس أنكروا على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف ، وكلَّه على الزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن فى ذلك ، فقال : إن له قرابةً ورحما ، قالوا : فما كان لأبى بكر وعمر قرابة وذوورحم ؟ فقال : إن أبا بكر وعمر كان يحسبان فى منع قرابتهما ، وأنا أحتسبُ فى إعطاء قرابتي ، قالوا : فهديهما . والله - أحبُّ إلينا من هديك .

وروى أبو مخنف أنَّ عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، قدم على عثمان من مكة ، ومعه ناس ، فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ، ولكل واحد من القوم بمائة ألف

(١) ظلف نفسه عن الشيء : منعها ، وفى الأصول : « طلاق » ، والصواب ، أثبتته من كتاب الشافى .

وصك^(١) بذلك على عبد الله بن الأرقم - وكان خازن بيت المال - فاستكثره ورد الصك به . ويقال : إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا ، فأبى وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما أنت خازن لنا ، فاحملك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراي خازن المسلمين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا ألي لك بيت المال أبدا ، وجاء بالفتاح فعلقها على المنبر ، ويقال : بل ألقاها إلى عثمان ، فرفعها إلى نائل مولاه .

وروى الواقدي أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم ، فلما دخل بها عليه ، قال له : يا أبا محمد ، إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول : إنا قد شغلناك عن التجارة ، ولك ذوو رحم أهل حاجة ، ففرق هذا المال فيهم ، واستمعن به على عيالك ، فقال عبد الله بن الأرقم : مالي إليه حاجة ، وما عملت لأن يثيبني عثمان ، والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدره على أن أعطى ثلاثمائة ألف ، ولئن كان من مال عثمان ما أحب أن أرزاه^(٢) من ماله شيئا . وما في هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه ويُنبه عليه .

فأما قوله : ولو صح أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض ؛ فليس بشيء ؛ لأن الروايات أولا تخالف ما ذكره ، وقد كان يحب لما نغم عليه وجوه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال ، أن يقول لهم : هذا على سبيل القرض ، وأنا أرد عوضه ، ولا يقول ما تقدم ذكره ، من أنني أصيل به رحمي ؛ على أنه ليس للإمام أن يقرض^(٣) من بيت مال المسلمين إلا ما ينصرف في مصلحة لهم مهمة ؛ يعود عليهم نفعها ، أو في سد خلة وفاقة لا يتمكنون من القيام بالأمر معها ؛ فأما أن يقرض المال ليتسع به ،

(١) صك : كتب ، والصك : الكتاب .

(٢) مأجب أن أرزاه ، أى ما أحب أن أصيب منه شيئا .

(٣) أى يقرض هوليضى ، وأن يدفع عوضه له من ماله ، وانظر س ١-٣ من س ٣٤ من هذا الجزء

وَيُمرَّحُ فِيهِ مَرَاتِي بَنِي أُمِيَّةٍ وَفَسَّاقِهِمْ فَلَا أَحَدٌ يَجِيزُ ذَلِكَ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ حَاكِيًا عَنْ أَبِي عَلِيٍّ : إِنَّ دَفْعَهُ خُمْسَ إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى مَرْوَانَ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَلَا مَنْقُولٍ - فَبَاطِلٌ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِذَلِكَ يَجْرِي بِجَرَى الْعِلْمِ بِسَائِرِ مَا تَقْدِمُ ، وَمَنْ قَرَأَ الْأَخْبَارَ عِلْمَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ لَا يَعْتَرِضُ فِيهِ شَكٌّ ، كَمَا يَعْلَمُ نَظَائِرُهُ .

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى الزَّيْبِرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، قَالَ : أَغْزَانَا عُثْمَانُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ إِفْرِيقِيَّةً ، فَأَصَابَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ غَنَائِمَ جَلِيلَةً ، فَأَعْطَى عُثْمَانُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ تِلْكَ الْغَنَائِمَ . وَهَذَا كَمَا تَرَى يَتَضَمَّنُ الزِّيَادَةَ عَلَى إِعْطَاءِ الْخُمْسِ ، وَيَتَجَاوِزُهُ إِلَى إِعْطَاءِ الْأَهْلِ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمُسَوَّرِ ، قَالَتْ : لَمَّا بَنَى مَرْوَانُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ ، دَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، وَكَانَ الْمُسَوَّرُ يَتَمَنَّى دَعَاهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ وَهُوَ يَحْدِثُهُمْ : وَاللَّهِ مَا أَنْفَقْتُ فِي دَارِي هَذِهِ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ دِرْهَمًا فَمَا فَوْقَهُ ، فَقَالَ الْمُسَوَّرُ : لَوْ أَكَلْتُ طَعَامَكَ وَسَكَتَ كَانَ خَيْرًا لَكَ . لَقَدْ غَزَوْتُ مَعَنَا إِفْرِيقِيَّةً ، وَإِنَّكَ لَأَقْلُنَا مَا لَا وَرَقِيْقًا وَأَعْوَانًا ، وَأَخَفْنَا ثَقَلًا ، فَأَعْطَاكَ ابْنُ عَمِّكَ خُمْسَ إِفْرِيقِيَّةٍ ، وَعَمِلْتَ عَلَى الصَّدَقَاتِ ، فَأَخَذْتَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ .

وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي نَخْفٍ أَنَّ مَرْوَانَ ابْتَاعَ خُمْسَ إِفْرِيقِيَّةٍ بِمِائَتِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَكَلَّمَ عُثْمَانَ ، فَوَهَبَهَا لَهُ ، فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَى عُثْمَانَ . وَهَذَا بَعِينُهُ هُوَ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْخَلِيطُ وَاعْتَذَرَ عَنْهُ بِأَنَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ تَعَلَّقَتْ بِأَمْرِ ذَلِكَ الْجَيْشِ ، فَرَأَى عُثْمَانُ أَنْ يَهْبَ لِمَرْوَانَ ثَمَنَ مَا ابْتَاعَهُ مِنَ الْخُمْسِ لَمَّا جَاءَهُ بِشِيرًا بِالْفَتْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْغِيبِ . وَهَذَا الْإِعْتِذَارُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّ الَّذِي رَوَيْنَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْبَابِ خَالٍ مِنَ الْبُشَارَةِ ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي أَنَّهُ سَأَلَهُ تَرَكَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَهُ وَابْتَدَأَ هُوَ بِصَلَاتِهِ ، وَلَوْ أَتَى بِشِيرًا بِالْفَتْحِ كَمَا ادَّعَوْا لَمَّا جَازَ أَنْ يَتْرَكَ عَلَيْهِ خُمْسَ الْغَنِيمَةِ الْعَائِدَةِ نَفْعُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ،

لأنّ تلك البشارة لا تبلغُ إلى أن يستحقّ البشير بها مائتي ألف درهم ، ولا اجتهدَ في مثل هذا ، ولا فرق بين من جَوَزَ أن يؤديَ الاجتهادَ إلى مثله ومن جَوَزَ أن يؤديَ الاجتهادَ إلى دفع أصل الغنيمة إلى البشير بها ، ومن ارتكب ذلك ألزم جوازَ أن يؤديَ الاجتهادَ إلى إعطاء هذا البشير جميعَ أموال المسلمين في الشرق والغرب .

فأما قوله : إنه وصلَ بنى عمّه لحاجتهم ، ورأى في ذلك صلاحا ؛ فقد بيّنا أن صِلاته لم كانت أكثرَ مما تقتضيه الخلّة والحاجة ، وأنه كان يصلُ فيهم المياسيرَ . ثم الصلاحُ الذي زعم أنّه رآه : لا يخلو إمّا أن يكون عائداً على المسلمين ، أو على أقاربه ؛ فإن كان على المسلمين فمعلومٌ ضرورةً أنّه لا صلاحَ لأحد من المسلمين في إعطاء مَرَوَان مائتي ألف دينار ، والحكمم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم ، وابن أسيد ثلثمائة ألف درهم ؛ إلى غير ما ذكرنا ، بل على المسلمين في ذلك غاية الضرر . وإن أراد الصّلاحَ الراجع إلى الأقارب فليس له أن يصلحَ أمرَ أقاربه بفساد أمر المسلمين ، وينفعهم بما يضرّ به المسلمين .

وأما قوله : إن القطائعَ التي أقطعها بنى أميّة ؛ إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعودُ على المسلمين ؛ لأنّ تلك الضياع كانت خرابا لا عامر لها ، فسلّمها إلى من يعمّرها ويؤدّي الحقّ عنه ؛ فأول ما فيه أنّه لو كان الأمر على ما ذكره ، ولم تكن هذه القطائع على سبيل الصّلة والمعونة لأقاربه لما خفيّ ذلك على الحاضرين ، ولكانوا لا يمدّون ذلك من مثالبه ، ولا يوافقونه عليه في جملة ما وافقوه عليه من إحدائه . ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ما روى من جوابه ؛ لأنّه كان يجب أن يقول لهم : وأيّ منفعة في هذه القطائع عائدة على قرابتي حتى تمدّوا ذلك من جملة صِلاتي لهم ؛ وإيصال المنافع إليهم ! وإنما جعلتهم فيها بمنزلة الأكرّة الذين يُنتفع بهم أكثر من انتفاعهم أنفسهم ، وما كان

يجب أن يقول ما تقدمت روايته ؛ من أنى محتسب في إعطاء قرابتي ، وأن ذلك على سبيل الصلة لرحمى ، إلى غير ذلك مما هو خالٍ من المعنى الذى ذكره .

الطعن الرابع :

أنه حمى الحمى عن المسلمين ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم سواء في الماء والكلاء .

قال قاضى القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه لم يحرم الكلاء لنفسه ، ولا استأثر به ، لكنه حماه لإبل الصدقة التى منفعتها تعود على المسلمين . وقد روى عنه هذا الكلام بعينه ، وأنه قال : إنما فعلت ذلك لإبل الصدقة ، وقد أطلقته الآن ، وأنا أستغفر الله ، وليس فى الاعتذار ما يزيد عن ذلك .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما أولاً فالمرءى بخلاف ما ذكر ، لأن الواقدي روى بإسناده ، قال : كان عثمان يحمى الربذة والشرف^(١) والبقيع ، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ، ولا لبني أمية حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمى الشرف لإبله وكانت ألف بعير ، وإبل الحكم بن أبى العاص ، ويحمى الربذة لإبل الصدقة ، ويحمى البقيع لحيل المسلمين وخيله وخيول بني أمية .

قال : على أنه لو كان إنما حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيباً ؛ لأن الله تعالى ورسوله أباحا الكلاء ؛ وجعلاه مشتركاً ؛ فليس لأحد أن يغير هذه الإباحة . ولو كان

(١) فى معجم البلدان : قال الأصمى : « الشرف : كبد نجد ؛ وكانت من منازل بني آكل المرار من كندة الملوك فيها اليوم حمى ضرية ، وفيه الربذة ؛ وهى الحمى الأيمن » .

في هذا الفعل مُصيباً ، وأنه إنما حواه لمصلحة تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر الله منه ويعتذر ، لأن الاعتذار إنما يكون من الخطأ دون الصواب .

الطعن الخامس :

أنه أعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها ، وذلك بما لا يحل في الدين .
قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه إنما جاز له ذلك لعلمه بحاجة المقاتلة ، واستثناء أهل الصدقة ، ففعل ذلك على سبيل الإقراض ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مثله ، وللإمام في مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا الجرى ؛ لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض^(١) من الناس ، فأن يجوز له أن يتناول من مال في يده ، ليرد عوضه من المال الآخر أولى .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن المال الذي جعل الله تعالى له جهة مخصوصة ، لا يجوز أن يعدل به عن جهته بالاجتهاد ، ولو كانت المصلحة في ذلك موقوفة على الحاجة لشرطها الله تعالى في هذا الحكم ، لأنه سبحانه أعلم بالمصالح واختلافها ميّناً ، ولكان لا يجعل لأهل الصدقة منها القسط مطلقاً .

وأما قوله : إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعل مثله ، فهي دعوى مجردة من برهان ، وقد كان يجب أن يروى ما ذكر في ذلك . وأما ما ذكره من الاقتراض ، فأين كان عثمان عن هذا العذر لما وُقف عليه !

الطعن السادس :

أنه ضرب عهد الله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه .

(١) كذا في ج ؛ وهو الصواب ، وفي ب : « يقرض » ، تحريف .

قال قاضى القضاة : قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى : لم يثبت عندنا ولا صحح عندنا ما يقال من طعن عبد الله عليه ، وإكفاره له ، والذي يصح من ذلك أن عبد الله كره منه جمعة الناس على قراءة زيد بن ثابت وإحراقه المصاحف ، وثقل ذلك عليه كما يتقل على الواحد منا تقديم غيره عليه .

وقد قيل : إن بعض موالى عثمان ضربه لما سمع منه الواقعة في عثمان ، ولو صح أنه أمر بضربه لم يكن بأن يكون طعناً في عثمان بأولى من أن يكون طعناً في ابن مسعود ؛ لأن للإمام تأديب غيره ، وليس لغيره الواقعة فيه إلا بعد البيان . وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب أن ابن مسعود إنما عابه لعزله إياه ؛ وقد روى أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره ، ولما أحضر إليه عطاءه في مرضه ، قال ابن مسعود : منعتني إياه إذ كان ينفعني ، وجئتني به عند الموت لا أقبله . وأنه وسط أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليزيل ما في نفسه فلم يجب وهذا يوجب ذم ابن مسعود إذ لم يقبل الندم ، ويوجب براءة عثمان من هذا العيب ، لو صح ما صح ما رووه من ضربه .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : المعلوم المروى خلاف ما ذكره أبو على ، ولا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود على عثمان ، وقوله فيه أشد الأقوال وأعظمها ، والعلم بذلك كالم بكل ما يدعى فيه الضرورة ، وقد روى كل من روى السيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم أن ابن مسعود كان يقول : ليتني وعثمان برمل عالج^(١) يمشو على وأحشو عليه حتى يموت الأعمى منى ومنه !

وروا أنه كان يطعن عليه ، فيقال له : ألا خرجت عليك ، ليخرج معك فيقول : لأن أزاول جبلاً راسياً أحب إلى من أن أزاول ملوكاً مؤجلاً .

(١) عالج : رمال بين فيد والقريات ، ينزلها بعض طي ، متصلة بالثعلبية . مرصد الاطلاع ٢ : ٩١١ .

وكان يقول كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً : « إن أصدق القول كتابُ الله ، وأحسنَ الهدى هدىُ محمد ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » . وإنما كان يقول ذلك معرّضاً بعثمان ، حتى غضب الوائد ابن عتبة من استمرار تعريضه ، ونهاه عن خطبته هذه ، فأبى أن ينتهي ، فكتب إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان يستقدمه عليه .

وروى أنه لما خرج عبدُ الله بن مسعود إلى المدينة مزججاً عن الكوفة خرج الناس معه يشيعونه ، وقالوا له : يا أبا عبد الرحمن ، ارجع ، فوالله لا نوصله إليك أبداً ؛ فإننا لا نأمنه عليك ، فقال : أمر سيكون ، ولا أحب أن أكون أولَ مَنْ فتحه .

وقد روى عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول : ما وزنُ عثمانُ عندَ الله جناح ذباب ، وتعالى ما روي عنه في هذا الباب بطول ، وهو أظهر من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ؛ وإنه بلغ من إصرار عبد الله على مظاهرتة بالعداوة أن قال لما حضره الموت : مَنْ يَقْبَلُ مِنِّي وصيةً أوصيه بها على ما فيها فسكت القوم ، وعرفوا الذي يريد ، فأعادها ، فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى : أنا أقبلها ، فقال ابن مسعود : ألا يصليَ على عثمان ، قال : ذلك لك ، فيقال : إنه لما دُفِن جاء عثمان منكراً لذلك ، فقال له قائل : إن عماراً ولي الأمر ، فقال لعمار : ما حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال : عهد إلى ألا أؤذنك ، فوقف على قبره وأثنى عليه ، ثم انصرف وهو يقول : رفعتهم والله أيديكم عن خيرٍ من بقي ، فتمثل الزبير بقول الشاعر :

لَا أَلْفَيْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَفِي حَيَاتِي مَارَوْذَتِي زَادِي ^(١)

ولما مرض ابنُ مسعود مرضه الذي مات فيه ، أتاه عثمان عائداً ، فقال : ما تشكي ؟ فقال : ذنوبي ، قال : فما تشهي ؟ قال : رحمة بي ، قال : ألا أدعو لك طيباً ؟ قال :

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ، ديوانه ٤٨ .

الطيبُ أمرضني ، قال : أفلا أمر لك بمطائلك ؟ قال : منعتني وأنا محتاج إليه ، وتُعطينيه وأنا مستغن عنه ! قال : يكون لولدك ، قال : وزقهم على الله تعالى ، قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك حَقِّي .

قال : وصاحبُ ” المغني ” قد حكى بعض هذا الخبر في آخر الفصل الذي حكاه من كلامه ، وقال : هذا يوجب ذمَّ ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر ؛ وهذا منه طريف ؛ لأنَّ مذهبه لا يقتضي قبولَ كلِّ عذر ظاهر ، وإنما يجب قبولُ العذر الصادق ، الذي يَنبَغ في الظَّن أن الباطن فيه كالظاهر ، فمن أين لصاحب ” المغني ” أن اعتذار عثمان إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التي يجب معها القبول ! وإذا جازَ ما ذكرناه لم يكن كَلَى ابن مسعود لومٌ في الامتناع من قبول عُذْرِهِ .

فأما قوله : إنَّ عثمان لم يضر به ، وإنما ضَرَّ به بعضُ مواليه لما سمعَ وقيعتَه فيه ، فالأمر بخلاف ذلك ، وكلَّ مَنْ قرأ الأخبار عَلم أنَّ عثمانَ أمر بإخراجه عن المسجد على أعنفِ الوجوه ، وبأمره جرى ماجرى عليه ، ولو لم يكن بأمره ورضاه لوجب أن يفكر على مولاه كسر ضلعه ، ويمتدِّر إلى مَنْ عاتبه على فعله بابن مسعود بأن يقول : إني لم آمر بذلك ، ولا رضيتَه من فاعله ، وقد أنكرت عليه فعله .

وفي علمنا بأنَّ ذلك لم يكن دليلاً على ما قلنا ، وقد روى الواقدي بإسناده وغيره أنَّ ابن مسعود لما استقدم المدينة ، دخلها ليلةَ جمعة ، فلما علم عثمانُ بدخوله ، قال : أيُّها الناس ، إنه قد طرقكم الليلة دُوبَّةٌ ، مَنْ تَمَشَّى على طعامه بقيءٌ ويسلح . فقال ابن مسعود : لست كذلك ، ولكنتي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وصاحبُه يوم أحد ، وصاحبُه يوم بيعة الرضوان ، وصاحبُه يوم الخندق ، وصاحبُه يوم حُنين . قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عثمان : اسكتي ؛ ثم قال لعبد الله ابن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن عبد العزَّى بن قصي : أخرجْه لإخراجا عنيفا ، فأخذه

ابن زمة ، فاحتمله حتى جاء به باب المسجد ، فضرب به الأرض ، فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمة الكافر بأمر عثمان وفي رواية أخرى إن ابن زمة الذي فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مُسَدِّماً^(١) طوالاً. وفي رواية أخرى: إن ما فعل ذلك يَحْمُومُ مولى عثمان. وفي رواية، إنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبدالله: أنشدك الله، ألا تخرجنى من مسجد خليلي صلى الله عليه وسلم .

قال الراوى : فكأنى أنظر إلى مُحْوِشَةٍ^(٢) ساقى عبدالله بن مسعود ورجلاه تحتلقلان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد، وهو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لسافا ابن أم عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر. وهذه قصة أخرى؛ وذلك أن أبا ذر رحمه الله تعالى لما حضرته الوفاة بالرَّبَذَةِ، وليس معه إلا امرأته وغلأمه عَهِدَ إليهما أن غَسِّلَانِي ثُمَّ كَفَّنَانِي، ثُمَّ ضَعَانِي على قارعة الطريق، فأول ركب يمرّون بكم قولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه عليه ، فأعينونا على دَفْنِهِ ، فلما مات فعلاوا ذلك ، وأقبل ابن مسعود في ركب من العراق معتمرين ، فلم يرعهم إلا الجنائزة على قارعة الطريق ، قد كادت الإبل تطوُّها ، فقام إليهم العبد، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه ، فأنهّل ابن مسعود باكياً ، وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه عليه ، قال له : « تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَثُ وحدك » ، ثم نزل هو وأصحابه ، فواروه . قال : فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعنًا في عثمان بأولى من أن يكون طعنًا في ابن مسعود ، فبواضح البطلان ، وإنما كان طعنًا في عثمان دون ابن مسعود ؛ لأنه لا خلاف

(١) السدم : الأوج .

(٢) المحوشة : دقة الساقين .

بين الأمة في طهارة ابن مسعود وفضله وإيمانه ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وثنائه عليه ، وأنه مات على الجُملة المحمودة منه ، وفي جميع هذا خلاف بين المسلمين
في عثمان .

فأما قوله : إن ابن مسعود كره جمعَ عثمان النَّاس على قراءة زيد ، وإحراقه
المصاحف؛ فلا شك أن عبد الله كره ذلك ، كما كرهه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتسكّموا فيه ، وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلاً ، وما
كرهه عبد الله من ذلك إلا مكروهاً ، وهو الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : « مَنْ
سرّه أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » . وروى عن ابن عباس
رحمه الله تعالى أنه قال : « قراءة ابن أم عبد هي القراءة الأخيرة » ؛ إن رسول الله صلى الله
عليه كان يُعرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان ، فلما كان العام
الذي توفّي فيه عُرض عليه دفعتين ، فشهد عبد الله ما نُسِخ منه ، وما صحّ فبهى
القراءة الأخيرة .

وروى عن الأعشى ، قال : قال ابن مسعود : لقد أخذتُ القرآن من في رسول الله
صلى الله عليه ، سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لفلّام في الكتاب ، له ذؤابة .

فأما حكايته عن أبي الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عاب عثمان لعزله إياه ،
فعبد الله عند كل من عرفه بخلاف هذه الصورة ، وأنه لم يكن ممن يخرج على عثمان ويظعن
في إمامته بأمر يعود إلى منفعة الدنيا ، وإن كان عزله بما لا شبهة فيه في دين ولا أمانة عيباً
لا شك فيه .

الطعن السابع :

أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة ، وأحرق المصاحف ، وأبطل مالا شئ أنه نزل من القرآن ؛ وأنه مأخوذ عن الرسول صلى الله عليه ، ولو كان ذلك مما يسوغُ سبق إليه رسول الله صلى الله عليه ، وفعله أبو بكر وعمر .

قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أن الوجه في جمع القرآن على قراءة واحدة تحصيل القرآن وضبطه ، وقطع المنازعة والاختلاف فيه . وقولهم : لو كان ذلك واجبا لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم غير لازم ؛ لأن الإمام إذا فعله صار كأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله ، ولأن الأحوال في ذلك تختلف ، وقد روى أن عمر كان عزم على ذلك فمات دونه . وليس لأحد أن يقول : إن إحراقه للمصاحف استخفاف بالدين ، وذلك لأنه إذا جاز من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرب المسجد الذي بُني ضراباً وكفراً ، فغير ممتنع إحراق المصاحف .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن اختلاف الناس في القراءة ليس بموجب لما صنعه ؛ لأنهم يروون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ » ، فهذا الاختلاف عندهم في القرآن مباح مستند عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح ! فلو كان في القراءة الواحدة تحصيل القرآن كما ادعى ؛ لما أباح النبي صلى الله عليه وسلم في الأصل إلا القراءة الواحدة ؛ لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته ، من حيث كان مؤيداً بالوحى ، موثقاً في كل ما يأتى ويذكر . وليس له أن يقول : حدث من الاختلاف في أيام عثمان ما لم يكن في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ما أباحه ؛ وذلك لأن الأمر

لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة ، والأمر المبتدع ، ولا يحمله ما أحدث من القراءة على تحريم المتقدم بلا شبهة .

وقوله : إن الإمام إذا فعل ذلك ؛ فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله تملل بالباطل ؛ وكيف يكون كما ادعى ، وهذا الاختلاف بعينه قد كان موجوداً في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو كان سبب الانتشار الزيادة في القرآن ، وفي قطعه تحصيل له ، لكان عليه السلام بالنهي عن هذا الاختلاف أولى من غيره ؛ اللهم إلا أن يقال : حدث اختلاف لم يكن ؛ فقد قلنا فيه ما كفى .

وأما قوله : إن عمر قد كان عزم على ذلك فأتى دونه ؛ فما سمعناه إلا منه ؛ ولو فعل ذلك أى فاعل كان لكان منكراً .

فأما الاعتذار عن كون إحراق المصاحف لا يكون استخفافاً بالدين ، بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار ، فبين الأمرين بونٌ بعيد ؛ لأن البنين إنما يكونون مسجداً وبيتاً لله تعالى بنية الباني وقصده ، ولولا ذلك لم يكن بعض البنين بأن يكون مسجداً أولى من بعض ، ولما كان قصد الباني لذلك الموضع غير القربة والعبادة ، بل خلافها وضدها من الفساد والمكيدة . لم يكن في الحقيقة مسجداً ، وإن سمي بذلك مجازاً على ظاهر الأمر ، فهذه لا حرج فيه ، وليس كذلك ما بين الدفتين ؛ لأنه كلام الله تعالى الموقر للمعظم ، الذي يجب صيانه عن اليدلة والاستخفاف ، فأى نسبة بين الأمرين !

الطعن الثامن :

أنه أقدم على عمار بن ياسر بالضرب ، حتى حدث به فتى ، ولهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله ، وكان يقول : قتلناه كافراً .

قال قاضي القضاة : وقد أجاب شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى عن ذلك ، فقال : إن ضرب عمار غير ثابت ، ولو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذي كان يقوله لم يجب أن يكون طعناً عليه ؛ لأنّ للإمام تأديب مَنْ يستحق التأديب . ومما يبعد صحة ذلك أنّ عماراً لا يجوز أن يكفره ، ولما يقع منه ما يستوجب به الكفر ؛ لأنّ الذي يكفر به الكافر معلوم ؛ ولأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابة أولى بذلك ، ولوجب أن يحتجوا على خلعهم ، ولوجب أن يكون قتله مباحاً لهم ، بل كان يجب أن يقيموا إماماً ليقتله على ما قدمناه . وليس لأحد أن يقول : إنما كفره عمار من حيث وثب على الخلافة ، ولم يكن لها أهلاً ؛ لأننا قد بينّا القول في ذلك ؛ ولأنه كان منصوباً لأبي بكر وعمر على ما تقدم ، وقد بينّا أن صحة إمامتهما تقتضي صحة إمامة عثمان .

وقد روى أن عماراً نازع الحسن بن علي عليهما السلام في أمر عثمان فقال عمار : قتل عثمان كافراً ، وقال الحسن عليه السلام : قتل مؤمناً ؛ وتعلق بعضهما ببعض ، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : ماذا تريد من ابن أخيك ؟ فقال : إني قلت كذا ، وقال كذا ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أتكفر بربّ كان يؤمن به عثمان ؟ فسكت عمار ؛ وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لما نُقِمَ عليه ضربه عماراً احتج لنفسه ، فقال : جاءني ^(١) سعد وعمار ، فأرسلا إلى أن ائتنا ، فإننا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها ، فأرسلت إليهما : إني مشغول ، فأنصرفا ، فوعدا كما يوم كذا ، فأنصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف ، فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف ، فتناوله بنير أسرى ؛ ووالله ما أسرته به ولا رضيت ؛ وها أنا ، فليقتصّ مني .

قال : وهذا من أنصف قول وأعدله .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما الدفع لضرب عمار ، فهو

(١) كذا في الأصول وكتاب الشافي ٢٧٧ ، وأمل الصواب : « جاء سعد » .

كالإنكار لطلوع الشمس ظهوراً وانتشاراً ، وكلُّ من قرأ الأخبار ، ونصق السيرة ، يعلم من هذا الأمر مالا تثنيه عنه مكابرة ولا مدافعة ؛ وهذا الفعل - أعنى ضرب عمار - لم تختلف الرواة فيه ؛ وإنما اختلفوا في سببه ، فروى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف ، في إسناده أنه كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حلي وجوهر ، فأخذ منه عثمان ماحلي به بعض أهله ، فأظهر الناس الطمن عليه في ذلك ، وكلموه فيه بكل كلام شديد ؛ حتى أغضبوه ، فخطب فقال : لناخذن حاجتنا من هذا الشيء ؛ وإن رَغِمَتْ به أنوف أقوام ! فقال له علي عليه السلام : إذَنْ تُمنع من ذلك ، ويحَال بينك وبينه ، فقال عمار : أشهد الله أن أنفي أول راعم من ذلك ؛ فقال عثمان : أعلی يا بن ياسر تجترى ! خذوه ، فأخذ ، ودخل عثمان ، فدعا به فضر به حتى غشي عليه ، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلى ، وقال : الحمد لله ، ليس هذا أول يوم أودينا في الله تعالى ! فقال هشام بن الوليد بن المغيرة الخزومي - وكان عمار حليفاً لابي مخزوم - : يا عثمان ، أما على فاتقيته ، وأما نحن فاجترأت علينا ، وضربت أخانا حتى أشفيت به ^(١) على التلف ؛ أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم الشأن ! فقال عثمان : وإنك لها هنا يا بن القسريّة ، قال : فإنهما قسريتان - وكانت أم هشام وجدته قسريتين ^(٢) من بجيلة - فشتمه عثمان ، وأمر به فأخرج ، فأتى به أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فإذا هي قد غضبت لعمار ، وبلغ عائشة رضي الله تعالى عنها ما صنع لعمار ، فغضبت أيضاً ، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونعلا من نعاله ، وثوبا من ثيابه ، وقالت : ما أسرع ما تركتم سعة نبيكم ، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد !

(١) أشفيت به ، أي جعلته مشرفاً على الهلاك . (٢) قسر : بطن في بجيلة .

وروى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مرّ بقبر جديد، فسأل عنه، فقيل : عبد الله بن مسعود؛ فنضب على عمار لكتابه إياه موته، إذ كان المتولى للصلاة عليه، والقيام بشأنه، فعندها وطئ عثمان عماراً حتى أصابه الفتق .

وروى آخرون أن القداد وعماراً وطلحة والزبير وعدّة من أصحاب رسول الله صلى عليه وآله كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان، وخوّفوه به، وأعلموه أنهم مؤابوه إن لم يُقْلِع، فأخذ عمار الكتاب، فأتاه به . فقرأ منه صدراً، ثم قال له : أعلّى تقدم من بينهم ! فقال : لأنّى أنصحهم لك، قال : كذبت يا بن سمية ! فقال : أنا والله ابن سمية، وابن ياسر ! فأمر عثمان غلماناً له، فشدّوا يديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه - وهى فى الخفين - على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً ففشى عليه .

قال : فضرّبُ عمار كلّ ما ترى غير مختلف فيه بين الرواة، وإنما اختلفوا فى سببه، والخبر الذى رواه صاحب " الملقى "، وحكاه عن أبى الحسين الخياط مانعاً عنه، وكتبُ السيرة المعلومة خالية منه ومن نظيره، وقد كان يجب أن يُضيفه إلى الموضع الذى أخدمته، فإنّ قوله وقول من أسند إليه ليس بحجة؛ ولو كان صحيحاً لكان يجب أن يقول بدل قوله : « ها أنا فليقتصّ منى » - إذا كان ما أمر بذلك، ولا رضى عنه، وإنما ضربه الغلام الجانى - « فليقتصّ منه »، فإنه أولى وأعدل .

وبعد؛ فلا تنافى بين الروایتين لو كان ما رواه معروف، لأنه يجوز أن يكون غلامه ضربه فى حال، وضربه هو فى حال أخرى، والروایات إذا لم تتعارض لم يجز إسقاط شىء منها .

فأما قوله : إن عماراً لا يجوز أن يكفّر، ولم يقع منه ما يوجب الكفر؛ فإنّ تكفير عمار وغير عمار له معروف، وقد^(١) جاءت به الروایات، وقد روى من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عماراً كان يقول : ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع، وأنا شرّ

(١) : ا : قد .

الأربعة ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) ، وأنا أشهد أنه قد حَكَمَ بغير ما أنزل الله .

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له : بأى شيء كفرتم^(٢) عثمان ؟ فقال : بثلاث : جعل المال دولةً بين الأغنياء ، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة من حارب الله ورسوله ، وعمل بغير كتاب الله .
وروى عن حذيفة أنه كان يقول : ما في عثمان بحمد الله أشك ، لكنى أشك في قاتله ، لا أدرى أ كافر قتل كافراً ، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله ؛ وهو أفضل المؤمنين إيماناً !
فأما ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عماراً في ذلك ، وترافعهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فهو أولاً غير دافع لكون عمار مكفراً له ، بل شاهد بذلك من قوله عليه السلام . ثم إن كان الخبر صحيحاً فالوجه فيه أن عماراً كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعُدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالفتية ، فأمسك عمار متابعة لغرضه^(٣) .

فأما قوله : لا يجوز أن يكفر من حيث وثب على الخلافة ، لأنه كان مصوباً لأبي بكر وعمر لما تقدم من كلامه في ذلك ؛ فإننا لا نسلم له أن عماراً كان مصوباً لها ، وما تقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه .

فأما قوله عن أبي عليّ : إنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذي كان يقوله فيه لم يكن طعناً ، لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك ، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب "المفنى" ، أو من حكى كلامه من أبي عليّ وغيره من أن يعتذر - من ضرب عمار ووقّده حتى لحقه من القسّ ماترك له الصلاة ، ووطئه بالأقدام امتهاً واستخفافاً - بشئ من العذر ،

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) ١ : « أ كفرتم » .

(٣) الشافى : « لما فهم من غرضه » .

فلا عذر يُسمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : « عمار جلدة ما بين العين والأنف ومتى تُنكأ الجلدة يذم الأنف » . وروى أنه قال عليه السلام « ما لهم ولعمار ! يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » . وروى العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ عادى عماراً عادله الله ، ومن أبغض عماراً أبغضه الله » ؛ وأى كلام غليظ سمعه عثمان من عمار يستحق به ذلك للمكروه العظيم الذى يجاوز مقدار ما فرضه الله تعالى في الحدود ! وإنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه أحداثه ومعايبه أحياناً على ما يظهر من سبب أفعاله . وقد كان يجب عليه أحد أمرين : إما أن ينزع عما يواقف عليه من تلك الأفعال ، أو يبين من عذره عنها وبرائه منها ما يظهر ويشهر ؛ فإن أقام مقيم بعد ذلك على توبيخه وتفسيره زجره عن ذلك بوغظ أو غيره ، ولا يقدم على ما يفعله الجبابة والأكاسرة من شفاء الغيط بغير ما أنزل الله تعالى وحكم به .

الطعن التاسع :

إقدامه على أبى ذر مع تقدمه في الإسلام ، حتى سيّره إلى الرّبذة ونقاه ، وقيل : إنه ضربه .

قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك : إن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال : إن الناس اختلفوا فى أمر أبى ذر رحمه الله تعالى . وروى أنه قيل لأبى ذر : عثمان أنزلك الرّبذة ؟ فقال : لا ؛ بل اخترت لنفسى ذلك .

وروى أن معاوية كتب يشكوه وهو بالشام ، فكتب عثمان إليه أن صير إلى المدينة ، فلما صار إليها قال : ما أخرجك إلى الشام ؟ قال : لآتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم يقول : « إذا بلغت عمارة المدينة موضع كذا فاخرج عنها » ؛ فلذلك خرجت ، فقال : فأى البلاد أحب إليك بعد الشام ؟ قال : الرَبْذَة ، فقال : صِرْ إليها .

قال : وإذا تكافأت الأخبار لم يكن لهم في ذلك حجة ، ولو ثبت ذلك لكان لا يمتنع أن يُخرج به إلى الرَبْذَة لصلاح يرجع إلى الدين ، فلا يكون ظُلماً لأبي ذَرٍّ ؛ بل يكون إشفافاً عليه ، وخوفاً من أن يناله من بعض أهل المدينة مكروه ، فقد رُوِيَ أنه كان يُقْلِظُ في القول ويخشن الكلام ، فيقول : لم يبق أصحابُ محمد على ماعهد ، ويُنْتَرُ (١) بهذا القول ؛ فرأى إخراجَه أصْلَحَ لما يرجع إليه وإليهم وإلى الدين ؛ وقد رُئِيَ أن عمر أخرج عن المدينة نصر بن الحجاج لما خاف ناحيته ، وقد ندب الله سبحانه إلى خفض الجناح للمؤمنين ، وإلى القول للذين للكافرين ، وبين للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لو استعمل القضاة لانفضوا من حوله ، فلما رأى عثمان من خشونة كلام أبي ذَرٍّ ، وما كان يُورده مما يخشى منه التغير فعل ما فعل .

قال : وقد رُوِيَ عن زيد بن وهب ، قال : قلت لأبي ذَرٍّ رحمه الله تعالى ، وهو بالرَبْذَة : ما أبزلك هذا المنزل ؟ قال : أخبرك ؛ إني كنت بالشام في أيام معاوية ، وقد ذكرت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢) ، فقال معاوية : هذه في أهل الكتاب ، فقلت : هي فيهم وفينا ؛ فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك ، فكتب إلى أن اقدم عليّ ، فقدمت عليه ؛ فأتاك الناس إلى كأنهم لم يعرفوني ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فغيرني وقال : انزل حيث شئت ، فنزلت الرَبْذَة .

(١) ينفر : يصيح .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط قريباً مما تقدم ، من أن إخراج أبي ذر إلى الرَبْذَةَ كان باختياره ، وروى في ذلك خبراً ، قال : وأقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فتطرح ، ويُرجع إلى الأمر الأول في صحة إمامة عثمان وسلامة أحواله .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال :

أما قول أبي عليّ إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الرَبْذَةَ متكافئة ، فمعاذ الله أن تتكافأ في ذلك ! بل المعروف والظاهر أنه نفاه أولاً إلى الشام ، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة إلى الرَبْذَةَ . وقد روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم ، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشر الكافرين بعذاب أليم ، ويتلو قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فرفع ذلك مروان إلى عثمان ، فأرسل إلى أبي ذر نائلاً مولاه : أن انتهِ عما يبلغني عنك ، فقال : أيناهي عثمان عن قراءة كتاب الله ، وعيب من ترك أمر الله ! فوالله لأن أَرْضِيَ الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضاه . فأغضب عثمان ذلك ، وأحفظه فتصابر .

وقال يوما : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعبُ الأحرار : لا بأس بذلك ، فقال له أبو ذر : يابن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا ! فقال عثمان : قد كثُرَ أذاك لي وتوَلَّمتُ بأصحابي ، الحق بالشام . فأخرجه إليها ، فكان أبو ذر يُنكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية ثلثمائة دينار ؛ فقال أبو ذر : إن كانت هذه

من عطائي الذي حرمتموني به على هذا قبلتها ، وإن كانت صلاة فلا حاجة لي فيها ، وردّها عليه .

وبنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذرّ : يا معاوية ، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهو الإسراف .

وكان أبو ذرّ رحمه الله تعالى يقول : والله لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إنني لأرى حقاً يظلموا وباطلاً يُحمى ؛ وصادقاً مكذباً ، وأثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه ؛ فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : إن أبا ذرّ لمُفسِدٌ عليكم الشام ، فتدارك أهلك إن كانت لكم حاجة فيه . فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أما بعد ؛ فاحمل جُنْدَباً^(١) إلى علي أغلظ مَرَكَب وأوعره ، فوجه به مع مَنْ سار به الليل والنهار ؛ وحمله على شارف^(٢) ليس عليها إلا قَتَب^(٣) ، حتى قديم به المدينة ، وقد سقط لَحْمٌ فَخِذِيهِ من الجهد ؛ فلما قدم أبو ذرّ المدينة ؛ بعث إليه عثمان أن الحق بأبي أرض شئت ، فقال : بمكة ؟ قال : لا ، قال : فبيت المقدس ؟ قال : لا ، قال : فأحدُ المصرين^(٤) ؟ قال : لا ؛ ولكني مسيرك إلى الرَبْذَةِ ، فسيّره إليها ، فلم يزل بها حتى مات .

وفي رواية الواقدي أن أبا ذرّ لما دخل على عثمان ، قال له : لا أنعم الله بك عينا يا جُنْدَب ! فقال أبو ذرّ : أنا جُنْدَب وَسَمَانِي رسول الله صلى الله عليه عبد الله ، فاخترتُ اسمَ رسول الله الذي سَمَانِي به على اسمي ؛ فقال عثمان : أنت الذي تزعمُ أنا نقول إن يدَ الله مغلولَةٌ ؛ وإن الله فقير ونحن أغنياء ! فقال أبو ذرّ : لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم

(١) جندب : اسم أبي ذرّ النخعي .

(٢) الشارف : الناقة المسنة الهرمة .

(٣) القَتَب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) المصران : هما الكوفة والبصرة .

مالَ الله على عباده ؛ ولكِنِّي أَشْهَدُ لِسَمِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَمَلُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَ اللَّهِ حَوَلًا ، وَدِينَ اللَّهِ دَخَلًا » ، فَقَالَ عُمَانُ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَسْمَعْتُمُوهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : مَا سَمِعْنَاهُ ، فَقَالَ عُمَانُ : وَيْلَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ ! أَتَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ! فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَمَا تَنْظُرُونَ أَنِّي صَدَقْتُ ! قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي ، فَقَالَ عُمَانُ : ادْعُوا لِي عَلِيًّا ، فَدَعَى ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ عُمَانُ لِأَبِي ذَرٍّ : اقْصُصْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ فِي بَنِي أَبِي الْعَاصِ ، فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ عُمَانُ لِعَلِيِّ : هَلْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا ، وَقَدْ صَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ عُمَانُ : بِمِ^(١) عَرَفْتَ صِدْقَهُ ؟ قَالَ : لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « مَا أَظَلَّتْ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » ، فَقَالَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : لَقَدْ صَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : أَحَدُكُمْ أَنَّى سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ تَهْمُونَنِي ! مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أَعَيْتُ حَتَّى أَسْمَعَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ !

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهْبَانَ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ يَوْمَ دُخِلَ بِهِ عَلَى عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : نَصَحْتُكَ فَاسْتَفْشَشْتَنِي ، وَنَصَحْتُ صَاحِبَكَ فَاسْتَفْشَشْتَنِي ؛ فَقَالَ عُمَانُ : كَذَبْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ تَرِيدُ الْفِتْنَةَ وَتَجِبُهَا ، قَدْ أَنْفَلْتُ^(٢) الشَّامَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : اتَّبِعْ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ ، لَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ كَلَامٌ ، قَالَ عُمَانُ : مَا لَكَ وَذَلِكَ لَا أَمَّ لَكَ ! قَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ لِي عَذْرًا إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَغَضِبَ عُمَانُ وَقَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الشَّيْخِ الْكَذَّابِ ، إِمَّا أَنْ أَضْرِبَهُ أَوْ أَحْبِسَهُ أَوْ أَقْتُلَهُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْفَنِيهِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ . فَتَكَلَّمَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ حَاضِرًا - وَقَالَ : أَشِيرُ عَلَيْكَ

(١) الشافعي : « كيف » .

(٢) أَنْفَلْتُ الشَّامَ : أَيِ أَنْفَدْتُ أَهْلَهُ ؛ وَأَصْلُهُ فِي الْأَدِيمِ ؛ يُقَالُ : أَنْفَلْتُ الْأَدِيمَ ؛ إِذَا أَنْفَدْتَهُ فِي الدِّيَاغِ .

وَوَالشَّافِعِيُّ : « قَبِلْتُ » .

بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَقَلْبُهُ كَذِبٌ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾^(١) ، قال : فأجابه
عثمان بجوابٍ غليظ ، لا أحبّ ذكره ، وأجابه عليه السلام بمثله ، قال : ثمّ إن عثمان
حَظَرَ على النَّاس أن يَعايدُوا أبا ذرٍّ ، أو يكلموه ؛ فسَكَتَ كذلك أيامًا ، ثمّ أمرَ أن يؤتَى
به ، فلما أتى به وقَفَ بين يديه ، قال : ويحك يا عثمان ! أما رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه
ورأيتَ أبا بكر وعمر ! هل رأيتَ هذا هديهم ! إنك لتَبتِشُ بى بَطنش جبار ؛ فقال :
أخْرِجْ عَنَّا من بلادنا ، فقال أبو ذرٍّ : ما بفض إلى جوارك ! فإلى أين أخرج ؟ قال : حيث
شئتَ ، قال : فأخرج إلى الشام أرض الجهاد ؟ قال : إنما جلبتُك من الشام لما قد أفسدتها
أفأردك إليها ! قال : فأخرج إلى العراق ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : تقدّم على قوم أهل
شُبَّهٍ وطعن في الأئمة ، قال : فأخرج إلى مصر ؟ قال : لا ، قال : فإلى أين أخرج ؟ قال :
حيث شئتَ ، قال أبو ذرٍّ : فهو إذن التعرّب^(٢) بعد الهجرة ؛ أأخرج إلى نجد ؟ فقال عثمان :
الشرف الأبعدُ أَقْصَى فَأَقْصَى ، امض على وجهك هذا ، ولا تعدّون الرّبذة ..

فخرج إليها .

وروى الواقدي عن مالك بن أبي الرجال ، عن موسى بن ميسرة أن أبا الأسود الدؤلي ،
قال : كنتُ أحبّ لقاءَ أبي ذرٍّ لأسأله عن سبب خُروجه ، فنزلت الرّبذة ، فقلت له :
ألا تخبرني ؟ أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت مكرها ؟ فقال : كنت في نَفَرٍ من نفور
المسلمين ، أغني عنهم ، فأخرجتُ إلى مدينة الرسول عليه السلام ، فقلت : أصحابي ودارُ
هجرتي ، فأخرجت منها إلى ماترى ، ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مرّ بى
رسول الله صلى الله عليه ، فضربنى برجله وقال : لا أراك نائما في المسجد ، فقلت : بأبى أنت

(١) سورة غافر ٢٨ .

(٢) التعرّب : الإقامة بالبادية .

وأُمي ! غلبتني عيني، فمتمتُ فيه ، فقال : كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ فقلت : إذن ألحق بالشام ، فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الإسلام، وأرض الجهاد ؛ فقال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ فقلت : أرجع إلى المسجد ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفي فأضرب به ، فقال صلى الله عليه وآله : « ألا أدلك على خيرٍ من ذلك، أنسَقُ معهم حيث ساقوك ، ونسَمَعُ وتطيعُ » ، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع ؛ والله ليلقيَنَّ اللهَ عثمان وهو آثم في جَنَبي .

وكان يقول بالربذة : ماترك الحقَ لى صديقا . وكان يقول : فيها ردِّي نى عمانُ بعد الهجرة أعرابيا .

والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تحصر وأوسع من أن نذكرها . وما يحيلُ نفسه على ادعاء أن أبا ذرٍّ خرج مختارا إلى الربذة إلا مكابر . ولسنا نذكر أن يكون ما أورده صاحب كتاب " المفني " من أنه خرج مختارا قد روي ، إلا أنه من الشاذِّ النادر . وبإزاء هذه الرواية الغدّة كلّ الروايات التي تنضمّن خلافها ؛ ومن تصفّح الأخبار علم أنها غير متكافئة على ما ظنّ صاحب المفني ؛ وكيف يجوز خروجه عن اختيارٍ وإنما أشخص من الشام على الوجه الذي أشخص عليه : من خشونة للركب ، وقُبْح السَّير به للموجدة عليه . ثم لما قدّم مُنِيع الناس من كلامه، وأغلظ له في القول ؛ وكلّ هذا لا يشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره . وكيف يظنّ عاقل أن أبا ذرٍّ يختار الربذة منزلاً مع جدّتها وقحطها وبُعدها عن الخيرات ؛ ولم تكن بمنزِل مثله !

فأما قوله : إنه أشفق عليه من أن يناله بعضُ أهل المدينة بمكروه من حيث كان يُغلِظ لهم القول، فليس بشيء ؛ لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله ، عاتبا بمثل عتبه ؛ إلا أنهم كانوا بين مجاهرٍ بما في نفسه، وخفيٍّ ماعنده ؛ وما في أهل المدينة إلا

من رَأَى لأبَى ذَرٍّ مِمَّا حَدَّثَ عَلَيْهِ ، ومن استغفله ؛ ومن رَجَعَ إِلَى كُتُبِ السِّيرَةِ عرف ما ذكرناه .

فأما قوله : إن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج، فبأبعد ما بين الأمرين أو ما كنا نظن أن أحداً يسوّى بين أبي ذَرٍّ وهو وَجْهُ الصَّحَابَةِ وعينُهُم ، ومن أجمع المسلمون على توقيره وتعظيمه، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله مدحه من صدق اللّٰهجة بما لم يتدخ به أحداً، وبين نصر بن الحجاج الحدّ الذي كان خاف عمر من افتتان النساء بشبابه؛ ولا حظّ له في فضل ولا دين أعلى أن عمر قد ذمّ بإخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه، فإذا كان من أخرج نصر بن حجاج مذموماً ، فكيف من أخرج أبا ذَرٍّ !

فأما قوله : إن الله تعالى والرسول قد ندّبا إلى خفض الجناح ، ولين القول للمؤمن والكافر ، فهو كما قال ؛ إلا أن هذا أدب كان ينبغي أن يتأدّب به عثمان في أبي ذَرٍّ ، ولا يقابله بالتكذيب ، وقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله على صدّقه ؛ ولا يسمعه مكروه الكلام؛ فإتما نصّح له، وأهدى إليه عيوبه، وطأته على مالو نزع عنه لكان خيراً له في الدنيا والآخرة .

الطعن العاشر :

تعطيله الحدّ الواجب على عبّيد الله بن عمر بن الخطاب ، فإنه قتل الهرمزان مسلماً فلم يقده به ، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلبه لذلك .

قال قاضي القضاة في الجواب عن ذلك : إن شيخنا أبا عليّ رحمه الله تعالى قال : إنه لم يكن للهرمزان وليّ يطلب بدمه ، والإمام وليّ من لا وليّ له ، وللوليّ أن ينفو كما له أن يقتل ، وقد روي أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه ، فأجابوا عنه إلى ذلك .

قال : وإنما أراد عثمانُ بالعفو عنه ما يعودُ إلى عزِّ الدين ، لأنه خاف أن يبلغ العدوُّ قتلَه ؛ فيقال : قتلوا إمامهم وقتلوا ولده ولا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شماتة ؛ وقد قال الشيخُ أبو الحسين الخياط : إن عامَّةَ المهاجرين أجمعوا على أنه لا يُقاد بالهرمزاني ، وقالوا لعثمان : هذا دمُ سفيك في غير ولايتك ، وليس له ولي يطلب به ، وأمره إلى الإمام ، فأقبل منه الدُّبَّةُ ، فذلك صلاحُ المسلمين .

قال : ولم يثبت أن أميرَ المؤمنين عليه السلام كان يطلبه ليقْتله بالهرمزاني ، لأنه لا يجوز قتلُ مَنْ عفا عنه وليُّ المقتول ؛ وإنما كان يطلبه ليضع من قدره ، ويصغر من شأنه .

قال : ويجوز أن يكون مروي عن عليٍّ عليه السلام من أنه قال : لو كنتُ بذلك عثمانُ لقتلته ، يعني أنه كان يرى ذلك أقوى في الاجتهاد ، وأقرب إلى التشدد في دين الله سبحانه .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، قال :

أما قوله : لم يكن للهرمزاني ولي يطلب بدمه ، فالإمام يكون وليه ، وله أن يعفو عنه ، كما له أن يقتص ؛ فليس بمعتد ، لأنَّ الهرمزان رجلٌ من أهل فارس ، ولم يكن له ولي حاضر يطلب بدمه ، وقد كان الواجب أن يبذل الإنصاف لأوليائه ويؤمنوا متى حضروا ، حتى إنه لو كان له ولي يريد المطالبة حضر وطالب . ثم لو لم يكن له ولي لم يكن عثمانُ ولياً دمه ، لأنه قُتل في أيام عمر ، فصار عمر ولي دمه ، وقد أوصى عمر على ما جاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله إن لم تقم البيعة العادلة على الهرمزان وجُفينة ،^(١) أنهما أمرأا بالتولية غلامٌ المغيرة بن شعبة بقتله ، وكانت وصيته بذلك إلى أهل السورى ، فقال : أيُّكم ولي هذا الأمر فليفعل كذا وكذا بما ذكرناه ، فلما مات عمر ، طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء

(١) جُفينة ؛ كان نصرانيا من أهل الحيرة وكان ظمرا لسعد بن أبي وقاص ؛ أقدمه إلى المدينة للصلح ألقى بينه وبينهم ؛ ولعلم بالمدينة الكتاب . تاريخ الطبرى : ٤٢٠ .

الوصية في عبيد الله بن عمر ، فدافع عن ذلك وعَلَّاهم ؛ ولو كان هو وليّ الدم على ما ذكرنا لم يكن له أن يعفو وأن يُبطل حدّاً من حدود الله تعالى ، وأى شئمة للعدو في إقامة حدّ من حدود الله تعالى ! وإنما الشئمة كلّها من أعداء الإسلام في تعطيل الحدود . وأى حرج في الجمع بين قتل الإمام وابنه ، حتى يقال : كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام وابنه قُتلا ، وإنما قُتل أحدهما ظلماً ، والآخر عدلاً ، أو أحدهما بغير أمر الله ، والآخر بأمره سبحانه ! وقد روى زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن أمير المؤمنين عليه السلام أتى عثمان ؛ بعد ما استخلف ، فسكّته في عبيد الله ولم يكلمه أحد غيره ؛ فقال : اقتل هذا الفاسق الخبيث الذي قتل أميراً مسلماً ؛ فقال عثمان : قتلوا أباه بالأس ، وأقتله اليوم ! وإنما هو رجل من أهل الأرض ؛ فلما أتى عليه مرّة عبيد الله على عليّ عليه السلام ، فقال له : إيه يا فاسق ! أما والله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربن عنقك ؛ فلذلك خرج مع معاوية عليه .

وروى القنّاد ، عن الحسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، أن المسلمين لما قال عثمان : إني قد عفوت عن عبيد الله بن عمر ، قالوا : ليس لك أن تعفو عنه ، قال : بلى إنه ليس بـجفينة والهـرمزان قرابة من أهل الإسلام ؛ وأنا وليّ أمر المسلمين ، وأنا أولى بهما ، وقد عفوت ، فقال عليّ عليه السلام : إنه ليس كما تقول ، إنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين ؛ إنه قتلها في إمرة غيرك ، وقد حكم الوالي الذي قتلها في إمارته بقتله ؛ ولو كان قتلها في إمارتك لم يكن لك العفو عنه ، فاتق الله ؛ فإن الله سائلك عن هذا ؛ فلما رأى عثمان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيد الله ، أمره فارتحل إلى الكوفة ، وأقطعها بها داراً وأرضاً ؛ وهي التي يقال لها : كويّفة^(١) ابن عمر ، فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه ؛ وكثر كلامهم فيه .

(١) الكويّفة ، ذكرها ياقوت ، فقال : « كويّفة ابن عمر منسوبة إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب ؛ نزلها حين قتل بنت أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة المبادي » . معجم البلدان ٧ : ٣٠٤ .

وروي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ما أسمى عثمان يومَ ولّى حتى نَقَمُوا عليه في أمر عبيد الله بن عمر؛ حيث لم يقتله بالهرمزان. فأما قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلبه ليقْتَلَه؛ بل ليَضَع من قدره؛ فهو بخلاف ما صرح به عليه السلام من أنه إن تمكن ليضربَ بنَ عتقه.

وبعد؛ فإن وليّ الدم إذا عَقَا عنه على ما دَعَوْا لم يكن لأحد أن يستخفّ به، ولا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله.

وأما قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يتوجّده مع عفو الإمام عنه؛ فإنما يكون صحيحاً لو كان ذلك العفو مؤثراً؛ وقد بينّا أنه غير مؤثر.

وأما قوله: يجوز أن يكون عليه السلام رأى أن قتله أقوى في الاجتهاد، وأقرب إلى التشدد في دين الله؛ فلا شك أنه كذلك، وهذا بناء منه على أن كل مجتهد مصيب؛ وقد بينّا أن الأمر بخلاف ذلك؛ وإذا كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي قتله، فهو الذي لا يسوغُ خلافه.

الطعن الحادى عشر

وهو إجمالى؛ قالوا: وجدنا أحوال الصحابة دالة على تصديقهم المطاعين فيه، وبراءتهم منه؛ والدليل على ذلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه، ولا أنكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار؛ بل أسلموه ولم يدفعوا عنه؛ ولكنهم أعانوا عليه، ولم يمنعوا من حصّره ولا من منع الماء عنه؛ ولا من قتله، مع تمكنهم من خلاف ذلك، وهذا من أقوى الدلائل على ما قلناه؛ ولو لم يدل على أمره عند ما روى عن علي عليه السلام أنه قال: الله قتله وأنا معه، وأنه كان في أصحابه عليه السلام من يصرح بأنه قتل

عثمان ؛ ومع ذلك لا يُقيدهم بل ولا ينكر عليهم ، وكان أهل الشام يصرون بأن مع أمير المؤمنين قتلة عثمان ، ويجعلون ذلك من أوكد الشبه ، ولا ينكر ذلك عليهم ؛ مع أننا نعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو أراد أن يتعاضد هو وأصحابه على المنع عنه لما وقع في حقه ما وقع ؛ فصار كفه وكف غيره عن ذلك من أدل الدلائل على أنهم صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث ؛ وأنهم لم يقبلوا منه ما جعله عذرا .

وأجاب قاضي القضاة عن هذا ، فقال :

أما تركه بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بثابت ، ولو صح لكان طعنا على من لزمه القيام به ، وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إنه لا يمتنع أن يشتغلوا بإبرام البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام خوفاً على الإسلام من الفتنة ، فيؤخروا دفنه .

قال : وبعيد مع حضور قريش وقبائل العرب وسائر بني أمية ومواليهم أن يُترك عثمان ولا يُدفن هذه المدة ، وبعيد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لا يتقدم بدفنه ، ولو مات في جواره يهودي أو نصراني ولم يكن له من يواريه ماتركه أمير المؤمنين ألا يدفن ، فكيف يجوز مثل ذلك في عثمان ؛ وقد روي أنه دفن في تلك الليلة ؛ وهذا هو الأولى . فأما التعلق بأن الصحابة لم تنكر على القوم ، ولا دفعت عنه ، فقد سبق القول في ذلك ؛ والصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه تبرأ من قتل عثمان ، ولعن قتلته في البر والبحر والسهل والجبل ؛ وإنما كان يجري من جيشه هذا القول منه على جهة المجاز ؛ لأننا نعلم أن جميع من كان يقول : نحن قتلناه لم يقتله ؛ لأن في الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرون بذلك ؛ والذين دخلوا عليه وقتلوه اثنان أو ثلاثة ؛ وإنما كانوا يقصدون بهذا القول ؛ أي احسبوا أننا قتلناه فما لكم ! وذلك أن الإمام هو الذي يقوم بأمر القود ، وليس للخارج عليه أن يطالب بذلك ؛ ولم يكن لأمر المؤمنين عليه السلام أن يقتل قتلته لو عرفهم بيئته أو إقرار ، وميزهم من غيرهم إلا عند مطالبة ولي الدم ، والذين كانوا أولياء

الدم لم يكونوا يطالبونه ، ولا كانت صفتهم صفة من يطالب ؛ لأنهم كانوا كلهم أو بعضهم يدعون أن عليا عليه السلام ليس بإمام ، ولا يحل لولي الدم مع هذا الاعتقاد أن يطالب بالقود ، فلذلك لم يقتلهم عليه السلام ؛ هذا لو صح أنه كان يميزهم ، فكيف وذلك غير صحيح .

فأما ما روي عنه من قوله عليه السلام : « قتل الله وأنا معه » فإن صح ففعناه مستقيم ؛ يريد أن الله أماته وسُميتني وسائر العباد .

ثم قال سائلا نفسه : كيف يقول ذلك وعثمان مات مقتولا من جهة المكلفين ! وأجاب بأنه وإن قُتل ، فالإماتة من قبل الله تعالى . ويجوز أن يكون ماناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة لا بحالة ، فإذا مات صحت الإمامة على طريق الحقيقة .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال .

أما تضييقه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن ؛ فليس بحجة ؛ لأن ذلك قد رواه جماعة الرواة ، وليس يخالف في مثله أحد يعرف بالرواية ؛ وقد ذكر ذلك الواقدي وغيره ؛ وروى أن أهل المدينة منعو الصلاة عليه ، حتى يحل بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواليه ، ولما أحسوا بذلك رموه بالحجارة وذكروه بأسوأ الذكر ، ولم يقع التمكن من دفنه إلا بعد أن أنكر أمير المؤمنين عليه السلام المنع من دفنه ، وأمر أهله بتولي ذلك منه .

فأما قوله : إن ذلك إن صح كان طعنا على من لزمه القيام بأمره ، فليس الأمر على ما ظنه ، بل يكون طعنا على عثمان من حيث لا يجوز أن يمنع أهل المدينة - وفيها وجوه الصحابة - من دفنه والصلاة عليه إلا لاعتقاد قبيح ؛ أو لأن أكثرهم وجهورهم يعتقد ذلك ؛ وهذا طعن لا شبهة فيه ؛ واستبعاد صاحب " المفني " ، لذلك ؛ مع ظهور الرواية به

لَا يَلْقَفَتْ إِلَيْهِ ؛ فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتِيعَادَ صَاحِبِ " الْمَغْنَى " مِنْهُ أَلَّا يَتَقَدَّمَ بِدَفْنِهِ ؛ فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ تَقَدَّمَ بِذَلِكَ بَعْدَ مَا كَسَتْهُ مَرَاوِضُهُ . وَأَعْجَبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَوْلُ صَاحِبِ " الْمَغْنَى " : إِنْهُمْ أَخْرَوْا دَفْنَهُ تَشَاغُلًا بِالْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَأَيُّ شُغْلٍ فِي الْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمْنَعُ مِنْ دَفْنِهِ ، وَالِدْفَنُ فَرَضٌ عَلَى الْكَفَايَةِ ، لَوْ قَامَ بِهِ الْبَعْضُ وَتَشَاغَلَ الْبَاقُونَ بِالْبَيْعَةِ لَجَازَ ! وَلَيْسَ الدَّفْنُ وَلَا الْبَيْعَةُ أَيْضًا مَفْتَقَرَةٌ إِلَى تَشَاغُلِ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَانَ دُفِنَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَمَا تُرَفُّ هَذِهِ الرَّوَايَةُ ؛ وَقَدْ كَانَ يُجِبُ أَنْ يُسَنِّدَهَا وَيَعْرِضَهَا إِلَى رَاوِيهَا ، أَوِ الْكِتَابَ الَّذِي أَخَذَهَا مِنْهُ ؛ فَالَّذِي ظَهَرَ فِي الرَّوَايَةِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .

فَأَمَّا إِحَالَتُهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى الْقَوْمِ الْمُجَلِّبِينَ عَلَى عُمَانَ ؛ فَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ .

فَأَمَّا رَوَايَتُهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَرُّؤُهُ مِنْ قَتْلِ عُمَانَ ، وَلَعَنَهُ قَتْلَتَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ ؛ فَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بَرِيئًا مِنْ قَتْلِهِ ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ عُمَانَ ، وَلَا مَالَأْتُ فِي قَتْلِهِ ؛ وَالْمَالَأَةُ هِيَ الْمَعَاوَنَةُ وَالْمُوَاظَرَةُ ، وَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنَّهُ مَا قَتَلَ وَلَا وَازَرَ عَلَى الْقَتْلِ .

فَأَمَّا لَعْنَةُ قَتْلَتِهِ ^(١) فَضَعِيفٌ فِي الرَّوَايَةِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رُوِيَ ؛ فَأُظْهِرَ مِنْهُ مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ الصَّلْتِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَارٍ بْنِ يَاسِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قُتِلَ ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ وَلَا كَرِهْتُهُ ، وَلَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَلَا نَهَيْتُ عَنْهُ .

وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ عَفَّانَ بْنِ جَرِيرٍ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنْ أَبِي جَلْدَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا

(١) ا ، ج : « قَتْلَةُ عُمَانَ » .

عليه السلام، يقول وهو يخطب، فذكر عثمان، وقال: والله الذي لا إله إلا هو؛ ما قتلته ولا مالات على قتله ولا ساءني^(١).

وروى ابن بشير، عن عبيدة السلماني، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: مَنْ كَانَ سَائِلِي عَنْ دَمِ عُمَانَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ. وقد رُويَ هذا اللفظ من طرق كثيرة.

وقد روى شعبة عن أبي حمزة الضبعي، قال: قلتُ لابن عباس: إِنْ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا، يَقُولُ: أَلَا مَنْ كَانَ سَائِلِي عَنْ دَمِ عُمَانَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ - فَقَالَ: صَدَقَ أَبُوكَ؛ هَلْ تَدْرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ! إِنَّمَا عَنِيَ: اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَ اللَّهِ.

قال: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَصْحَحُ الْجَمْعُ بَيْنَ مَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ؟

قلنا: لا تنافي بينها، لأنه عليه السلام تبرأ من مباشرة قتله والمؤازرة عليه، ثم قال: ما أمرتُ بذلك ولا نهيتُ عنه؛ يريد أن قاتليه لم يرجعوا إليّ، ولم يكن مني قول في ذلك بأمر ولا نهى. فأما قوله: «اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ»، فيجوز أن يكون المراد به: اللَّهُ حَكَمَ بقتله وأوجبه وأنا كذلك؛ لأنّ من المعلوم أن الله تعالى لم يقتله على الحقيقة، فإضافة القتل إليه لا تكون إلا بمعنى الحكم والرضا؛ وليس يمتنع أن يكون مما حكم الله تعالى به، ما لم يتولّه بنفسه، ولا آزر عليه، ولا شاع فيه.

فإن قال قائل: هذا ينافي ما روي عنه من قوله: «ما أحببت قتله، ولا كرهته»، وكيف يكون من حكم الله وحكمه أن يُقتل وهو لا يحب قتله!

قلنا: يجوز أن يريد بقوله: «ما أحببت قتله ولا كرهته» أن ذلك لم يكن مني على سبيل التفصيل، ولا خطر لي ببال؛ وإن كان على سبيل الجملة يحبّ قتل مَنْ غلب المسلمين

(١) كذا في أ، ج، والشار، وفي ب: «ولا سأل».

على أمورهم، وطالبوه بأن يعتزل، لأنه ^(١) «مستولٍ عليهم بغير حق» فامتنع من ذلك، ويكون فائدة هذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله، والأمر به على سبيل التفصيل أو النهي عنه. ويجوز أن يريد أنبي ما أحببت قتله؛ إن كانوا تعمدوا القتل؛ ولم يقع على سبيل المانعة وهو غير مقصود. ويريد بقوله: «ما كرهته» أني لم أكرهه على كل حال، ومن كل وجه.

فأما لعنه قتلته فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ماذكرناه؛ وإن صح فهو مشروط بوقوع القتل على الوجه المحذور من تعمد له، وقصد إليه وغير ذلك؛ على أن التولي للقتل على ما صحت به الرواية كنانة بن بشير التميمي، وسودان بن حمران المرادي؛ وما منهما من كان غرضه صحيحا في القتل، ولا له أن يقدم عليه، فهو ملعون به. فأما محمد بن أبي بكر؛ فما تولى قتله؛ وإنما روى أنه لما جئنا بين يديه قابضا على لحيته، قال له: يا ابن أخي؛ دعه لحيتي؛ فإن أباك لو كان حيا لم يقعد مني هذا المقعد؛ فقال محمد: إن أبي لو كان حيا ثم يراك تفعل ما تفعل لأنكره عليك، ثم وجأه ^(٢) بجماعة قد أح كانت في يده فحزت في جلده ولم تقطع، وبادره من ذكرناه في قتله بما كان فيه قتله.

فأما تأويله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «قتله الله وأنا معه»؛ على أن المراد به؛ الله أماته وسيميتني؛ فبعيد من الصواب، لأن لفظة «أنا» لا تكون كناية عن المفعول، وإنما تكون كناية عن الفاعل؛ ولو أراد مذكروه لكان يقول: «وإياي معه»؛ وليس له أن يقول: إننا نجعل قوله: «وأنا معه» مبتدأ محذوف الخبر، ويكون تقدير الكلام: «وأنا معه مقتول»؛ وذلك لأن هذا ترك للظاهر وإحالة على ما ليس فيه؛ والكلام إذا أمكن حمله على معنى مستقل ظاهره به من غير تقدير وحذف كان أولى مما يتعلق بمحذوف؛ على أنهم إذا جمعوه مبتدأ وقدروا خبراً لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم بأولى من تقدير خلافه، ويحمل بدلا من لفظة «المقتول» المحذوفة لفظة «معين» أو «ظهير».

(١ - ١) ب: «لأنه مستول عليه بحق» وما أثبتته من أ، ج وكتاب الشافعي.

(٢) وجأه: ضربه.

وإذا تكافأ القولان في التقدير وتعارضاً سقطا، ووجب الرجوع إلى ظاهر الخبر؛ على أن عثمان مضي مقتولا، فكيف يقال: إن الله تعالى أماته، والقيل كافٍ في انتفاء الحياة؛ وليس يحتاج معه إلى نافي للحياة يسمى موتا.

وقول صاحب "اللفظ": يجوز أن يكون ماناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة؛ ليس بشيء؛ لأن الروى أنه ضرب على رأسه بمود عظيم من حديد، وأن أحد قتلته قال: جلست على صدره فوجأته تسع طعنات، علمت أنه مات في ثلاث، ووجأته الست الآخر لما كان في نفسى عليه من الخنق.

وبعد: فإذا كان جائزا، فنأين علمه أمير المؤمنين عليه السلام حتى يقول: إن الله أماته؟ وإن الحياة لم تنتف بمافعه القاتلون^(١)، وإنما انتفت بشيء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى مما^(٢) لا يعلمه على سبيل التفصيل إلا علام الغيوب سبحانه.

والجواب عن هذه الطاعن على وجهين؛ إجمالا وتفصيلا:
أما الوجه الإجمالي، فهو أننا لا ننكر أن عثمان أحدث أحداثا أنكرها كثير من المسلمين، ولكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجة الفسق، ولا أحبطت ثوابه، وأنها من الصفائر التي وقعت مكفرة^(٣)؛ وذلك لأننا قد علمنا أنه مغفور له، وأنه من أهل الجنة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه من أهل بدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله أجمع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»؛ ولا يقال: إن عثمان لم يشهد بدرًا؛ لأننا نقول: صدق، إنه لم يشهد بها، ولكنه تخلف على رقية ابنة رسول الله

(١) الشافعي: «القتلة»، وفي ب: «القاتلون» تحريف.

(٢) كذا في أ، ح والشافعي، وفي ب: «فيا».

(٣) الصفائر المكفرة: التي يعصى إثمها.

صلى الله عليه وآله بالمدينة لمرضاها، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله بسنجه وأجره باتفاق سائر الناس .

وثانيها : أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ولا يقال : إنه لم يشهد البيعة تحت الشجرة ، لأننا نقول : صدقتم ، إنه لم يشهدا، ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى أهل مكة ، ولأجله كانت بيعة الرضوان ، حيث أُرْجِفَ ^(٢) بأن قريشا قتلت عثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كانوا قتلوه ؛ لأضرمتها عليهم نارا » ؛ ثم جلس تحت الشجرة ، وباع الناس على الموت ، ثم قال : « إن كان عثمان حيا فأنا أبيع عنه » ، فصيح بشماله على يمينه ، وقال : « شمالي خير من يمين عثمان » . روى ذلك جميع أرباب أهل السيرة متفقا عليه .

وثالثها : أنه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة . وإذا كانت الوجوه الثلاثة دالة على أنه مغفور له ، وأن الله تعالى قد رضى عنه ؛ وهو من أهل الجنة ، بطل أن يكون فاسقا ؛ لأن الفاسق يخرج عندنا من الإيمان ، ويحبط ^(٣) ثوابه ، ويحكم له بالنار ولا يُغفر له ، ولا يُرضى عنه ، ولا يرى الجنة ولا يدخلها ، فاقضت هذه الوجوه الصحيحة الثابتة أن يُحكم بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصفات المكفرة ، توفيقاً بين هذه الوجوه ، وبين روايات الأحداث المذكورة .

وأما الوجه التفصيلي فهو مذکور في كتب أصحابنا المطولة في الإمامة ؛ فليطلب من مظانه ، فإنهم قد استقصوا في الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لا مزيد عليه .

(١) سورة الفتح ١٨

(٢) يقال : أرجف القوم ؛ إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا الناس في الاضطراب .

(٣) ب ، ج : « ينحبط » وما أثبتته عن أ .

[بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعل]

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلي، وبعث أمير المؤمنين عليه السلام إياه إلى معاوية، فنحن نذكره نقلاً من "كتاب صفين"، لنصر بن مزاحم بن بشار المنقري؛ ونذكر حال أمير المؤمنين عليه السلام، منذ قدم الكوفة بعد وقعة الجمل، ومراسلته معاوية وغيره، ومراسلة معاوية له ولغيره، وما كان من ذلك في مبدأ حالهما إلى أن سار على عليه السلام إلى صفين.

قال نصر^(١): حدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني، قال: لما قدم على عليه السلام الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس الجعفي - وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان -^(٢):

أما بعد، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له، وما لهم من دونه من والٍ؟^(٣). وإني أخبرك عن نبي^(٤) من سرنا إليه من جوع طلحة والزبير، عند نكبتهم بيعتي^(٥)، وما صنعوا بعاملي عثمان ابن حنيفة. إني نهضت من المدينة بالمهاجرين والأنصار؛ حتى إذا كنت بالمذئب^(٦)، بعثت إلى أهل الكوفة الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس ابن عباد، فاستفرتهم فأجابوا، فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فأعذرت في

(١) وقعة صفين للمنقري ص ١٩ وما بعدها.

(٢) همدان؛ بالإجماع: مدينة بلاد الجبال من فارس.

(٣) سورة الرعد ١١.

(٤) ب: «أنباء».

(٥) كتاب صفين: «بيعتهم».

(٦) المذئب: ماء عن يمن القادسية لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال (مراد الاطلاع).

الدعاء ، وأَقَلْتُ العَثْرَةَ ، وناشدتهم عَهْدًا^(١) ببيعتهم ؛ فأبَوْا إِلَّا قتالِي ، فاستغفرتُ اللهَ عليهم ، فقتِلَ مَنْ قَتَلَ ، وولَّوْا مدبرين إلى مصرهم ، وسألوني ما كنتُ دعوتهم إليه قبل اللقاء ، فقَبِلْتُ العافية ، ورفعتُ السيفَ ، واستعملت عليهم عبدَ الله بن العباس ، وسرتُ إلى الكُوفَةِ ؛ وقد بعثتُ إليك زُحْرَ بن قيس ، فأسأله عَمَّا بدا لك . والسلام .

قال : فلما قرأ جريرُ الكتاب ، قام فقال : أيها الناس ، هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان من أمرِهِ وأسرِ عدوِّهِ ما تَحَمَّدُ اللهَ عليه ، وقد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، ولو جُعِلَ هذا الأمرُ شوري بين المسلمين كان أحقُّهم بها . ألا وإنَّ البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ، وإنَّ عليًّا حاملُكم على الحق ما استقمتم ؛ فإنْ ملتم أقام ميثَكم . فقال الناس : سمعنا وطاعة ، رضينا رضينا .

فكتب جرير إلى عليّ عليه السلام جواب كتابه بالطاعة .

قال نصر : وكان^(٢) مع عليّ رجل من طيِّئ ، ابن أخت لجرير ، فَحَمَلَ زُحْرَ بن قيس شعراً له إلى خاله جرير : وهو :

جَرِيرَ بن عبدِ الله لا تَرُدِّ المَدَى	وبايِعَ عليًّا إنني لك ناصِحٌ
فإنَّ عليًّا خيرُ مَنْ وطِئُ الحَصَا	سوى أحمدٍ ، واللوت غادرٌ ورائحٌ
وَدَعْ عنك قولَ النَّاكثين فإنما	أولاك - أبا عمرو - كلابٌ نواجِ ^(٣)
وبايِعْ إذا بايعته بنصيحةٍ	وَلَا يَكُ مِنْهَا في ضَمِيرِكَ قَادِحٌ
فإنك إنْ تَطَلَّبَ بها الدين تُعْطَهُ	وإن تَطَلَّبَ الدنيا فإنك راجِ ^(٤)

(١) صفين : ٢٠ ، ٢١ .

(١) صفين « عقد » .

(٢) أبو عمرو ، كنية جرير بن عبد الله البجلي .

(٣) وقعة صفين : « فيمك رايح » .

وإن قلتَ عثمان بن عفان حَقَّه على عظيمٍ والشُّكُورُ مُنَاصِحُ
فحقُّ عليٍّ إذ وَلِيكَ كَحَقِّهِ وشكرك ما أوليتَ في القَاسِ صَاحِبُ
وإن قلتَ لا أرضى عليًّا إِمَامَنَا فدع عنك بجرأ ضلِّ فيه السَّوَاجِ
أبى الله إلا أَنَّهُ خَيْرُ دَهْرِهِ وأفضل مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ^(١)

قال نصر : ثم إن جريراً قام في أهل همدان خطيباً ، فقال : الحمد لله الذي اختار لنفسه الحمد ، وتولاه دون خلقه ؛ لا شريك له في الحمد ، ولا نظير له في الجُد ، ولا إله إلا الله وحده ، الدائم القائم ، إله السماء والأرض ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالنور الواضح ، والحق الناطق ؛ داعياً إلى الخير ، وقائداً إلى الهدى ، ثم قال : أيها الناس ؛ إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلا ربيعٌ من القول ، ولكن لا بد من ردِّ الكلام . إن الناس بايعوا علياً بالمدينة عن غير محابة له يبيعهم ؛ لعله بكتاب الله وسنن الحق ؛ وإن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير محابة حدثت^(٢) ، وألبا عليه الناس ، ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب ، وأخرجا أم المؤمنين ، فلقبهما فأعزرا في الدعاء ، وأحسن في البقية ، وسمل الناس على ما يعرفون ، فهذا عيان ما غاب عنكم ؛ وإن سألتم الزيادة زدناكم ، ولا قوة إلا بالله ، ثم قال :

أَنَا نَا كِتَابُ عَلِيٍّ فَلَمْ رَدَّ الْكِتَابَ بِأَرْضِ الْعَجَمِ
وَلَمْ نَنْصِ مَا فِيهِ لِمَا أَتَى وَلَمْ نَذُمَّ وَلَمَّا نَلَمْ
وَنَحْنُ وَلَاؤُهُ عَلَى تَغَرُّنَا نَضِيمُ الدَّرِيزَ وَنَحْمِي الدَّمَمِ
نُسَاقِيهِمُ الْمَوْتَ عِنْدَ الْإِقَاءِ بِكَأْسِ الْمَنَآيَا وَنَشْفِي الْقَرَمِ

(١) يريد بهم قريش البطاح ؛ وهم الذين يتزلون بين أخشي مكة ؛ والأخشان جيلان بها .

(٢) ب : « على غير حدث » .

فَصَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى أَحَدٍ رَسُولَ الْمَلِكِ تَمَامَ النِّعَمِ^(١)
 رَسُولَ الْمَلِكِ وَمِنْ بَعْدِهِ خَلِيفَتَنَا الْقَائِمَ الْمَدْعَمَ
 عَلِيًّا عَنَيْتُ وَصَى النَّبِيُّ نُجَالِدُ عَنْهُ غَوَاةَ الْأَمَمِ
 لَهُ الْفَضْلُ وَالسَّبْقُ وَالْمَكْرُمَاتُ وَبَيْتُ النَّبُوَّةِ لَا يُهْتَضَمُ

قال نصر : فسرّ الناس بخطبة جرير وشعره .

وقال ابن الأوزار القسري في جرير يمدحه بذلك :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ وَالْأَنْبَاءِ تَنْمِي لَقَدْ جَلَى بِخَطْبَتِهِ جَرِيرُ
 وَقَالَ مَقَالَةً جَدَعَتْ رِجَالًا مِنْ الْحَيِّينَ خُطْبَهُمْ كَبِيرُ
 بَدَا بِكَ قَبْلَ أُمْتِهِ عَلَى وَثُوكَ إِن رَدَدْتَ الْحَقَّ رِيرُ^(٢)
 أَتَاكَ بِأَمْرِهِ زَخْرُ بْنُ قَيْسٍ وَزَخْرٌ بِأَلْفِي حَدَّثَتْ خَيْرُ
 فَكُنْتَ لَمَّا أَتَاكَ بِهِ سَمِيعًا وَكَدْتَ إِلَيْهِ مِنْ فَرَحٍ تَطِيرُ
 فَأَنْتَ بِمَا سَعَدْتَ بِهِ وَلِيَّ وَأَنْتَ لِمَا تَعَدَّ لَهُ نَصِيرُ
 وَأَحْرَزْتَ الثَّوَابَ وَرُبَّ حَادٍ حَدَا بِالرَّكْبِ لَيْسَ لَهُ بَعِيرُ^(٣)

[بيعة الأشعث لعل]

قال نصر: ^(٤) وكتب علي عليه السلام إلى الأشعث - وكان عامل عثمان على أذربيجان -

(١) لم يذكر هذا البيت في كتاب صفين ، وذكر موضعه :

طَحَنَاهُمْ طَحْنَةً بِالْقَنَاءِ وَضَرَبَ سَيْوفُ تَطِيرُ اللَّحْمَ
 مَضْمِنًا يَقِينًا عَلَى دِينِنَا وَدِينَ النَّبِيِّ مُحَلَّى الظُّلَمِ
 أَمِينَ الْإِلَٰهَ وَبُرْهَانِهِ خَلِيفَتَنَا الْقَائِمَ الْمَدْعَمَ

(٢) يقال : مع رير ؛ إذا كان فاسدا .

(٣) بعمه في كتاب صفين :

لِيَهْنِكَ، مَا سَبَقَتْ بِهِ رِجَالًا مِنْ الْعُلِيَاءِ وَالْفَضْلِ الْكَبِيرِ

(٤) وقعة صفين ٢٤ .

يدعوه إلى البيعة والطاعة ، وكتب جرير بن عبد الله البجلي إلى الأشعث ، ، يحضه على طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقبول كتابه : أما بعد ؛ فإنني أتتني بيعة على ، فقبلتها ولم أجدها إلى دفعها سبيلا ؛ لأنني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان ، فلم أجده يلزمني ، وقد شهد المهاجرون والأنصار ؛ فكان أوفق أمرهم فيه الوقوف ؛ فأقبل بيعة ؛ فإنك لاتنقلب إلى خير منه ؛ واعلم أن بيعة علي خير من مصارع أهل البصرة . والسلام .

قال نصر : فقبل الأشعث البيعة ، وسمع وأطاع ، وأقبل جرير سائرا من ثغر همدان حتى ورد على عليه السلام الكوفة فبايعه ، ودخل فيما دخل فيه الناس من (١) طاعته ولزوم أمره .

[دعوة علي معاوية إلى البيعة والطاعة ، ورد معاوية عليه]

قال نصر : (٢) فلما أراد علي عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولا ، قال له جرير : ابعتني يا أمير المؤمنين إليه ؛ فإنه لم يزل لي مستخصا (٣) وودا (٤) ، آتية (٥) فأدعوه ؛ على أن يسلم لك هذا الأمر ، ويجامعك على الحق ، على أن يكون أميرا من أمرائك ، وعاملا من عمالك ، ما عيل بطاعة الله ، واتباع ما في كتاب الله ، وأدعوا أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ؛ فجاههم قومي وأهل بلادى ، وقد رجوت ألا يصونى .

فقال له الأشعث : لاتبعته ولا تصدقه ؛ فوالله إني لأظن هواه هوام ، ونيته نيتهم .

فقال له علي عليه السلام : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا . فبعثه على عليه السلام ، وقال له عليه السلام حين أراد أن يبعثه : إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الرأي والدين من قد رأيت ، وقد اخترتكم عليهم لقول رسول الله فيك :

(١) ب : د ق .

(٢) وقعة صفين للنفري ٣٢ وما بعدها .

(٣) كذا في الأصول ، وفي صفين . مستنصحا .

(٤) ودا ، يضم الواو ؛ أي ذا ود ؛ على حذف المضاف .

(٥) كتاب صفين . نأتيه .

« إنك من خير ذى يمن »^(١) ، أنت معاوية بكتابي ، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فانبذ^(٢) إليه وأعلمه أتى لا أرضى به أميرا ، وأن العامة لا ترضى به خليفة .
فانطلق جرير حتى أتى الشام ، ونزل بمعاوية ، فلما دخل عليه حمّد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد يا معاوية ، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرّمين ، وأهل المصرين ، وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروص - والعروض عُمان - وأهل البحرين واليمامة ؛ فلم يبق إلا هذه الحصون التي أنت فيها ، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها ، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل . ودفع إليه كتاب على عليه السلام ، وفيه :

أما بعد ؛ فإن بيعتي بالمدينة لزمّتك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بؤيعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولالغائب أن يرّد ؛ وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، إذا اجتمعوا على رجل فسموه^(٣) إماما ، كان ذلك لله رضا ؛ فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباع سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ماتولى ، ويصليهم جهنم وساءت مصيرا . وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، فكان نقضهما كرتيهما ، فجاهدتهما على ذلك ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحبّ الأمور إلىّ فيك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء ، فإن تعرضت له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك . وقد أكرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حارم القوم إلى أحلك

(١) أى من خير أهل اليمن .

(٢) فانبذ إليه ؛ فى اللسان : « النابذة : أن يكون بين فريقين مختلفين عهد وهدنة بعد القتال ؛ ثم أرادوا قرض ذلك العهد ، فينبذ كل فريق منهما إلى صاحبه العهد الذى تهادنا عليه ؛ ومنه قوله تعالى : **وَلَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ كُلَّيَّ سَوَاءٌ** .

(٣) ب : « وسموه » .

وإياهم على كتاب الله؛ فأمّا تلك التي تُرِيدُهَا تُخَذُّعَةُ الصَّبِيِّ عن اللبن . ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هوائك ، لتجدتي أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء^(١) الذين لا يحملُ لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى . وقد أرسلتُ إليك [وإلى من قبلك]^(٢) جرير بن عبد الله البجليّ ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايع ، ولا قوة إلا بالله .

فلما قرأ الكتاب ، قام جرير فخطب ، فقال :

الحمد لله الحمود بالعوائد ، وللمأمول منه الزوائد ، المرتجى منه الثواب ، المستعان على النوائب ؛ أحمدّه وأستعينه في الأمور التي تحيّرُ دونها الألباب ، [وتضمحلّ عندها الأسباب]^(٣) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلّ شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل للماضية ، والقرون الخالية ، [والأبدان البالية ، والجيلة الطاغية]^(٤) ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وأدى الحق الذي استودعه الله ، وأمره بأدائه إلى أمته صلى الله عليه وسلم ، من رسول ومبتعث ومنتجب^(٥) .

أيّها الناس ؛ إن أمرَ عثمان قد أعيانَ شهده ، فكيف بمن غاب عنه ! وإن الناس بايعوا عليّاً غير واثق ولا مواتر ؛ وكان طلحة والزبير يمنّ بايعاه ثم نكثا بيعته على غير حدّث ، ألا وإنّ هذا الدين لا يحتمل الفتن ؛ [ألا وإن العرب لا تحتمل الفتن]^(٦) ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة ملحمة إن يشفّع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس .

(١) الطلقاء : جمع طليق ؛ وهم الأسارى الذين أطلقهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة ولم يسترقهم .

(٢) تكملة من كتاب معين .

(٣) التجب : المصطفى المختار .

وقد بايعت الأمة^(١) علياً ، ولو ملكنا والله الأمور^(٢) ، لم نختار لها غيره [ومن خالف هذا استعجب]^(٣) فادخل يامعاوية فيما دخل فيه الناس .

فإن قلت : استعملني عثمان ثم لم يمز لي ؛ فإن هذا قول لو جاز لم يقر لله دين ، وكان لسكل امرئ ما في يديه ؛ ولكن الله جعل للآخر من الولاة حق الأول ، وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضا .
ثم قعد .

قال نصر : فقال معاوية : أنظر وتنظر ؛ وأستطلع رأي أهل الشام .
فمضت أيام ، وأمر معاوية مناديا ينادي : الصلاة جامعة ! فلما اجتمع الناس صعد المنبر ،
ثم قال :

الحمد لله الذي جعل الذنائب للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهانا ، يتوقد قبسه في الأرض المقدسة ؛ جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ؛ فأحلهم أرض الشام^(٤) ، ورضيتهم لها ، ورضيها لهم ؛ لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه ، والقوام بأمره ، والذائبين عن دينه وحرّماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما ، وفي سبيل الخيرات أعلاما ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم ألفة المؤمنين ، والله نستعين على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الالتمام ، وتباعد بعد القرب . اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون إراقة^(٥) دماننا ، وإخافة سبلنا . وقد علم الله أنا لا نريد لهم^(٦) عقابا ، ولا نهتك لهم حجابا ، ولا نوطئهم زلقا ، غير أن الله الحميد كسانا

(١) صفين : « العامة » .

(٢) صفين : « أمورنا » . (٣) من صفين .

(٤) صفين : « فأحلها أهل الشام » .

(٥) صفين : « مراقة دماننا » ، وهما بمعنى .

(٦) صفين : « لم نرد بهم عقابا » .

من الكرامة ثوباً لن نزرعه طوعاً ؛ ما جأوب الصّدَى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ؛
 حملهم على ذلك البنى والحد ، فنستعين الله عليهم . أيها الناس ، قد علمتم أنى خليفة أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم ، وأنى لم أقم رجلاً منكم على
 خِزَابَةٍ^(١) قط ، وأنى وليُّ عثمان ، وقد قُتل مظلوماً ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ
 مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا بُسْرَفَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾^(٢) ،
 وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم ، فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك ، وأوثقوا له
 على أن يبدلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم ؛ حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله .
 قال نصر : فلما أمسى معاوية اغتم بما هو فيه ، وجنّه الليل وعنده أهل بيته ، فقال :

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَاعْتَرَتْني وَسَاوِيْسِي لَاتِ أَتَى بِالْثُرَّاهِ الْبَسَاسِ^(٣)
 أَنَانِي جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بَقْلُكَ الَّتِي فِيهَا اجْتَدَاعُ الْمَعَاطِسِ
 أَكِيدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدُّنْيِ بِالْبَاسِ
 إِنِ الشَّامُ أُعْطِي طَاعَةً يَمْنِيَّةً تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِي الْجَالِسِ
 فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمُ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ تَفْتُ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابَسِ
 وَإِنِّي لِأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِآيسِ^(٤)

قلت : الجبهة هاهنا : الخليل ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله : « ليس في الجبهة
 صدقة » ، أى زكاة .

(١) أقامهم على الخِزَابَةِ ؛ أى حملهم على أمر يستنحيا منه .

(٢) سورة الإسراء ٣٣ .

(٣) البساس : الأمور الباطلة . والآيات والخبر في الكامل ١ : ٣٢٦ .

(٤) الكامل : « يئس » .

قال نصر : فاستحثه^(١) جرير بالبيعة ، فقال : يا جرير ؛ إنها ليست بخلسة ، وإنه أمر له ما بعده ؛ فأبلغني ربي [حتى أنظر]^(٢) ، ودعا ثقاته^(٣) ؛ فأشار عليه أخوه بمبرو ابن العاص ، وقال له : إنه من قد عرفت ، وقد اعتزل عثمان في حياته ؛ وهو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن يشمن له دينه^(٤) .

وقد ذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه عمرأ ، وما شرط له من ولاية مصر ، واستقدامه شرحبيل بن السمط رئيس اليمينية وشيخها والمقدم عليها ، وتأسيس الرجال إليه يفرونه بعلّ عليه السلام ، ويشهدون عنده أنه قتل عثمان ، حتى ملثوا صدره وقلبه حقداً وترّة وإحنة كلّ على عليه السلام وأصحابه بما لا حاجة إلى إعادته^(٥) .

قال نصر : فحدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني ، قال :
(٥) جاء شرحبيل إلى حصّين بن نمير ، فقال : ابعث إلى جرير فليأتنا ، فبعث حصّين ابن نمير إلى جرير : أن زُرنا ففعدنا شرحبيل ، فاجتمعوا عند حصّين ، فتكلّم شرحبيل ،

(١) وقعة صفين ٢٤٩

(٢) من كتاب وقعة صفين

(٣ - ٣) وقعة صفين : « فقال له عتبة بن أبي سفيان - وكان نظيره - : اجتمعن على هذا الأمر بمبرو ابن العاص ، وأمن له دينه ؛ فإنه من قد عرفت ، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته ؛ وهو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن يرى فرصة » .

(٤) الجزء الثاني في ص ٦١ وما بعدها .

(٥) صدر هذا الخبر كما ورد في كتاب وقعة صفين ٥٢ : « لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه ، ودخل على معاوية ؛ فتكلّم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا شرحبيل ، إن جرير بن عبد الله يدعونا إلى بيعة على ، وعلى خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان ، وقد حبست نفسي عليك ؛ وإنما أنا رجل من أهل الشام ، أرضى مارضوا ، وأكره ما كرهوا ؛ فقال شرحبيل : أخرج فأنظر ؛ فخرج فلقبه هؤلاء النفر الموطئون له ؛ فتكلّم بخبره بأن عليا قتل عثمان بن عفان . فخرج منضبا إلى معاوية فقال : يا معاوية ؛ أبي الناس إلا أن عليا قتل عثمان ؛ ووالله لئن بايعت لنخرجك من الشام أو لقتلك . قال معاوية : ما كنت لأخالف عليك ؛ وما أنا إلا رجل أهل الشام . قال : فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذا قال ، ففر معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق ؛ وأن الشام كله مع شرحبيل ؛ فخرج شرحبيل فأتى حصّين بن نمير ... » ؛ وقد نقله المؤلف مختصراً فيما سبق في الجزء الثاني ص ٥٢-٥٣ .

فقال : يا جرير أتيتنا بأمر ملفف^(١) لعلقينا في لهوات الأسد ، وأردت أن تخلط الشام بالعراق ، وأطريت^(٢) عليا ، وهو قاتل عثمان ، والله سائلك عما قلت يوم القيامة .
فأقبل عليه جرير وقال : يا شر حبيل ، أما قولك : إني جئت بأمر ملفف ؛ فكيف يكون ملففاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، وقوتل على رذة طلحة والزبير !
وأما قولك : إني ألقيك في لهوات الأسد ، ففي لهواتها ألقيت نفسك .
وأما خلط أهل الشام بأهل العراق ، فخلطهما على حق خير من فرقهما على باطل .

وأما قولك : إن علياً قتل عثمان ، فوالله ما في يدك من ذلك إلا القذف بالنبي من مكان بعيد ؛ ولكنك ملئت إلى الدنيا ؛ وشيء كان في نفسك على زمن سعد ابن أبي وقاص .

فبلغ ما قالاه إلى معاوية ، فبعث إلى جرير فزجره . قال نصر : وكتب إلى شر حبيل كتاب لا يعرف كاتبه^(٣) فيه :

شَرَحْبِيلُ ابْنُ السَّمُطِ : لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى	فَالْكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ مِنْ بَدَلْ
وَلَا تَكُ كَالْمُجْرِمِ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ	فَقَدْ خَرَّقَ السَّرْبَالُ وَاسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ
وَقُلْ لَابْنِ حَرْبٍ : مَا لَكَ الْيَوْمَ خَلَّةٌ	تَرُومُ بِهَا مَارُمْتَ وَقَطَعَ آهُ الْأَمَلِ ^(٤)
شَرَحْبِيلُ : إِنَّ الْحَقَّ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ	فَكُنْ فِيهِ مَأْمُونٌ الْأَدِيمِ مِنَ النَّفْلِ
وَأَرُوذُ وَلَا تُقْرِطْ بِشَيْءٍ نَخَافُهُ	عَلَيْكَ ، وَلَا تَعَجَلْ ، فَلَخَيْرٍ فِي الْعَجَلِ ^(٥)

(١) أى جلب من هنا وهامنا .

(٢) صفين : « أطرات » ، وهما بمعنى : « مدحت » .

(٣) وقعة صفين : « وكتب جرير إلى شر حبيل » .

(٤) وقعة صفين : « مالك اليوم حرمة . . . واقطع » .

(٥) الإرواد : الإمهال ، والفرط : السبق .

مقال ابن هند في على عضيهة^(١) وَللَّهِ فِي صَدْرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَجَلٌ^(٢)
وَمَا مِنْ عَلَى فِي ابْنِ عَفَانٍ سَقَطَةٌ^(٣) بقول ، ولا مالا عليه ولا قتل^(٤)
وَمَا كَانَ إِلَّا لَزَامًا قَعَرَ بَيْتِهِ^(٥) إِلَى أَنْ أَتَى عُمَانَ فِي دَارِهِ الْأَجَلُ
فَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا فَخَسِبَهُ^(٦) مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ بَعْضُ الَّذِي احْتَمَلَ^(٧)
وصى رسول الله مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَمَنْ بِاسْمِهِ فِي فَضْلِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
قال نصر : فلما قرأ شُرْحُ بَيْلِ الْكِتَابِ ذُعِرَ وَفَكَّرَ ، وقال : هذه نصيحة لى في ديني ،
ولا والله لا أعجل في هذا الأمر بشيء [وفي نفسى منه حاجة]^(٨) ، وكاد^(٩) يحول عن نصر
معاوية ويتوقف^(١٠) ، فلَفَقَ^(١١) له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون ، ويعظمون عنده قتل
عثمان ، ويرمونه به علياً ، و يقيمون الشهادة الباطلة ، والكتب المختلفة ؛ حتى أعادوا
رأيه ، وشَحَذُوا عِزْمَهُ^(١٢) .

- (١) العضيهة : الإفك والبهتان . وفي ب : « وقال ابن هند » ، والوجه ما أثبتته من ج .
(٢) مالا عليه ، أصله : « مالا » بالهمز ؛ والمالأة : المعاونة . وفي صفين : « ولا جلب عليه » .
(٣) في صفين :

* مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ قَوْلُ الَّذِي احْتَمَلَ *

- (٤) من كتاب وقعة صفين .
(٥ - ٥) في وقعة صفين : « واستتر له القوم » .
(٦) كذا في ح ، وفي ا ، ب ، « فلقوله » تصحيف ، وفي صفين : « فلفف » .
(٧) بقية الخبر في كتاب كتاب وقعة صفين : « وبلغ ذلك قومه ، فبعث ابن أخته من بارق - وكان يرى رأى على بن أبي طالب - فبايعه بعد ، وكان ممن لحق من أهل الشام ، وكان ناسكا ، فقال :
لعمري أجبى الأشقي ابن هندٍ لقد رمى شُرْحُ بَيْلَ بالسَّهْمِ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
وَلَفَفَ قَوْمًا يَسْحَبُونَ ذِيولَهُمْ جميعاً وأولى الناس بالذنب فاعله
قَالَ نِي يَمَانِيًا ضَعِيفًا نَحْنَا عُهُ إِلَى كُلِّ مَا يَهْوَوْنَ تَحْدَى رَوَاحِلُهُ
فَطَاطَا لَهَا لَمَّا رَمَوْهُ بِثَقْلَهَا - ولا يرزق التقوى من الله خاذله =
(٦ - نهج - ٣)

قال نصر : وحدثنا^(١) عمر بن سعد بإسناده قال :^(٢) بعث معاوية إلى شَرْحِبِيل ابن السَّمط :

إنه قد كان من إجابتك إلى الحق ، وما وقع فيه أجرك على الله ، وقبيله عنك صلحاء الناس ما علمت ؛ وإن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يتم إلا برضا العامة ، فيسرفي مدائن الشام ، وناد فيهم بأن علياً قتل عثمان ، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه . فسار شَرْحِبِيل ، فبدأ بأهل حِمْص ، فقام فيهم خطيباً - وكان مأموناً في أهل الشام ناسكاً متألهاً ، فقال :

أيها الناس ، إن علياً قتل عثمان ، فغضب له قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ، فلقبهم فهزم الجمع ، وقتل صلحاءهم وغلب على الأرض ، فلم يبق إلا الشام ؛ وهو واضح سيفه على عاتقه ، ثم خائض غمرات^(٣) الموت ، حتى يأتىكم أو يحدث الله أمراً ، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية ، فخذوا وانهبوا .

فأجابه الناس كلهم إلا نساءً من أهل حِمْص ؛ فإنهم قالوا له : ييوتنا قبورنا ومساجدنا ، وأنت أعلم بما ترى .

قال : وجعل شَرْحِبِيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها ، لا يأتى على قوم إلا أقبلوا

= لِيَأْكُلَ دَيْسًا لابنِ هَنْدٍ بَدِينَهُ أَلَا وَابْنُ هَنْدٍ قَبْلَ ذَلِكَ آكَلُهُ
وَقَالُوا عَلَى فِي ابْنِ عَفَانَ خُدْعَةٌ وَدَبَّتْ إِلَيْهِ بِالشَّيْءِ غَوَائِلُهُ
وَالَّذِي أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ لَقَدْ كَفَّ عَنْهُ كَفًّا وَوَسَائِلُهُ
وَمَا كَانَ إِلَّا مِنْ صَحَابِ مُحَمَّدٍ وَكَلَّمَهُمْ تَغْلِي عَلَيْهِ مَرَايِلُهُ

فلما بلغ شرحبيل هذا القول قال : هذا بعث الشيطان ؛ الآن امتحن الله قلبي ؛ والله لأسيرن صاحب هذا الشعر أو ليفوتني ؛ فهرب الفتي إلى الكوفة - وكان أصله منها - وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

(١) صفين ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) في صفين : « محمد بن عبيد الله وعمر بن سعد بإسناده ، قال » .

(٣) صفين : « غمار الموت » .

ما أنام به ، فبعث إليه النجاشي بن الحارث^(١) - وكان له صديقا :

شَرَحْبِيلُ مَالِدَيْنِ فَارَقَتْ دِينَنَا^(٢) وَلَكِنْ لِبَغْضِ الْمَالِكِيِّ جَرِيرٍ
وَشَحْنَاءَ دَبَّتْ بَيْنَ سَعْدٍ وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَتْ كَالْحَادِي بِغَيْرِ بَصِيرِ
[وَمَا أَنْتَ إِذْ كَانَتْ بِجَمِيلَةٍ عَاتِبَتْ قَرِيشًا فَيَا اللَّهَ بُعْدَ نَصِيرِ^(٣)]
أَنْفَصِلَ أَمْرًا غِيبَتْ عَنْهُ بِشْبَهَةٍ وَقَدْ حَارَفِيهِ عَقْلُ كُلِّ بَصِيرِ
يَقُولُ رِجَالٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَّةً وَلَا لَتِي لَقَوْكَهَا بِمَحْضُورِ
[وَمَا قَوْلُ قَوْمٍ غَائِبِينَ تَقَاذِفُوا مِنْ الْغَيْبِ مَا دَلَامُ بَغُورِ^(٤)]
وَتَرَكْ أَنْ النَّاسَ أَعْطَوْا عَهْدَهُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْسٍ بِهِ وَسُرُورِ
إِذَا قِيلَ هَاتُوا وَاحِدًا يَتَقَدَّى بِهِ^(٥) نَظِيرًا لَهُ لَمْ يَفْصَحُوا بِنَظِيرِ
لَمَلِكٍ أَنْ تَشْقَى الْغَدَاةَ بِمَجْرِبِهِ فَلَيْسَ الَّذِي قَدْ جِئْتَهُ بِصَغِيرِ

قال نصر: وحدثنا^(٥) عمر بن سعد عن نُمَيْرِ بْنِ وَعْلَةَ، عن الشَّعْبِيِّ، أَنَّ شُرَحْبِيلَ بْنَ السَّمُطِ
ابن الأسود بن جَبَلَةَ [الكندي]^(٣) دخل على معاوية ، فقال له : أنت عاملُ أمير المؤمنين
وابن عمِّه ، ونحن المؤمنون ، فإن كنتَ رجلاً تُجَاهِدُ عَلِيًّا وَتَقْتُلُهُ عُثْمَانَ حَتَّى نَدْرِكَ ثَارَنَا
أَوْ تَذْهَبَ أَرْوَاحُنَا اسْتَعْمَلْنَاكَ عَلَيْنَا ؛ وَإِلَّا عَزَلْنَاكَ وَاسْتَعْمَلْنَا غَيْرَكَ مِنْ نَزِيدٍ ، ثُمَّ جَاهَدْنَا
مَعَهُ حَتَّى نَدْرِكَ بَدَمَ عُثْمَانَ أَوْ نَهْلِكَ .

فقال جرير بن عبد الله - وكان حاضرا : مهلاً يا شُرَحْبِيلُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَقَّنَ الدِّمَاءَ ،
وَلَمْ يَشْعَثْ ، وَجَمَعَ أَمْرَ الْأُمَّةِ ، وَدَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَكُونٌ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تُفْسِدَ بَيْنَ النَّاسِ ،

(١) في حواشي صفين : « والمروفي في شعرائهم النجاشي الحارثي ؛ واسمه قيس بن عمرو بن مالك ؛
من بني الحارث بن كعب ؛ وهو ممن حده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لشره بالحرر » .

(٢) وقعة صفين : « أمرنا » .

(٣) من كتاب وقعة صفين .

(٥) وقعة صفين ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) وقعة صفين : « تقتدونه » .

وَأَمْسِكَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ قَبْلَ أَنْ بِشِيعَ وَيُظْهِرَ عَنْكَ قَوْلُ لَا تَسْتَطِيعَ رَدَّهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْرَهُ أَبَدًا . ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : صَدَقَ صَدَقَ ! الْقَوْلُ مَا قَالَ ، وَالرَّأْيُ مَا رَأَى . فَأَيْسَ جَرِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَمِنْ عَوَامِ أَهْلِ الشَّامِ .

قَالَ نَصْرٌ : ^(١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْجُرْجَانِيِّ ، قَالَ : كَانَ مَعَاوِيَةُ قَدْ أَتَى جَرِيرًا قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا جَرِيرُ ؛ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا ، قَالَ : هَاتِهِ ، قَالَ : أَكْتُبْ إِلَى صَاحِبِكَ يَجْعَلُ لِي الشَّامَ وَمِصْرَ جَبَايَةً ، فَإِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ فِي عُنُقِي بَيْعَةً ، وَأَسْلَمَ لَهُ هَذَا الْأَمْرُ ؛ وَأَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ جَرِيرٌ : أَكْتُبْ مَا أُرَدْتُ أَكْتُبْ مَعَكَ ^(٢) .

فَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَكُتِبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَرِيرٍ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ إِلَّا يَكُونُ لِي فِي عُنُقِهِ بَيْعَةً ، وَأَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَّتَكَ وَيُبْطِنَكَ حَتَّى يَذُوقَ أَهْلَ الشَّامِ ؛ وَإِنَّ الْغَيْرَةَ بِنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَى أَنْ أَسْتَعْمَلَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ ، وَأَنَا حِينْتُذُ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَيُّتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِي رَأْيَ أَنْ أَخُذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ، فَإِنْ بَايَعَكَ الرَّجُلُ ؛ وَإِلَّا فَأَقْبِلْ وَالسَّلَامَ .

قَالَ نَصْرٌ : وَفُشَا ^(٣) كِتَابُ مَعَاوِيَةَ فِي الْعَرَبِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ :
مَعَاوِيَةُ إِنَّ الشَّامَ شَامُكَ فَاعْتَصِمْ بِشَامِكَ لَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْأَفَاعِيَا
وَحَارِمَ عَلَيْهِمَا بِالصَّوَارِمِ وَالْقَفَا وَلَا تَكُ مَوْهُونُ الذَّرَاعِينَ وَانِيَا ^(٤)
وَإِنَّ عَلِيًّا نَظَرُ مَا تَجِيبُهُ فَأَهْدِ لَهُ حَرَبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا

(١) وقعة صفين ٥٨ .

(٢) صفين : ١٥ أكتب بما أردت وأكتب معك .

(٣) صفين ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) صفين : « بالفتايل . . . محشوش الذراعين » .

وإلا فسلم إن في السلم راحة لمن لا يريد الحرب فاختار معاوية
وإن كتابا يابن حرب كتبته على طمع ، بزجى إليك الدواهي
سألت عليا فيه ما لن تناله ولو نلته لم يبق إلا لياليا
وسوف ترى منه التي ليس بعدها بقاء ، فلا تكثر عليك الأمانيا
أمثل علي تعتريه بخدعة وقد كان ما جرّبت من قبل كافيا
قال : وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية أيضا يوقظة ويشير عليه بالحرب ، وألا يكتب

جواب جرير :

معاوية إن للك قد جب غاربه وأنت بما في كفك اليوم صاحبه
أتاك كتاب من علي بخطه هي الفصل فاختار سلمه أو تحارب به
فلا ترج عند الواترين مودة ولا تأمن اليوم الذي أنت راهبه
وحاربته إن حاربت حرب ابن حرة وإلا فسلم لا تدب عقارب به^(١)
فإن عليا غير صاحب ذيله فلي خدعة ما سوغ الماء شارب به
[ولا قابل ما لا يريد وهذه يقوم بها يوما عليه نواده]^(٢)
فلا تدعن الملك والأمر مقبل وتطلب ما أعيت عليك مذهب به^(٣)
فإن كنت تنوي أن تجيب كتابه فقبح مملية وقبح كاتبه
وإن كنت تنوي أن ترد كتابه وأنت بأمر لا محالة راكبه
فألق إلى الحى اليمانين كلمة تنال بها الأمر الذي أنت طال به
تقول : أمير المؤمنين أصابه عدو ومالام عليه أثار به
أفانين منهم قاتل ومحرض بلا ترة كانت ، وآخر سالبه

(١) ب : « حرا بن حرة » ، والصواب ما أثبتته من ا ، ج وكتاب صفين .

(٢) من كتاب صفين .

(٣) ب : « عليه » ، والصواب ما أثبتته من ج وصفين .

وكنْتُ أميراً قَبْلُ بالشَّامِ فيكمُ فحسبي وإياكم من الحقِّ واجِبُهُ
فجيئوا ، ومَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ نُدافِعُ بِحَرٍّ لَا تُرَدُّ غَوَارِبُهُ (١)
فَأَقْلَلْ وَأَكْثَرْ مَا لَهَا الْيَوْمَ صَاحِبُ سَوَاكَ ، فَصَرِّحْ لَسْتُ مُنْ تَوَارِبُهُ

قال نصر : وخرج (٢) جرير يوما يتجسَّس الأخبار ؛ فإذا هو بسلام يتفنى على قعوده ،
وهو يقول :

حُكِّمَ وَعَمَّارُ الشَّجَا وَمُحَمَّدُ وَأَشْتَرُوْا الْمَكْشُوحَ جَرَّ وَالِدًا وَاهِيًا (٣)
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزُّبَيْرِ نَجَاجَةٌ وصاحبه الأدنى أناروا الدواهي (٤)
فَأَمَّا عَلَى فَاسْتَجَارَ بَيْتَهُ فلا أمرٌ فيها ولم يكُ ناهيا
قَتَلَ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَا شِئْتَ بَعْدَهُ فلو قلت : أخطأ الناسُ لم تكُ خاطيًّا
وإن قلت : عَمَّ الْقَوْمُ فِيهِ يَفْتَنَةُ فحسبك من ذاك الذي كان كافيا
فَقُولَا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَخُصَّامِ الرِّجَالِ الْأَقْرَبِينَ الْأَدَانِيَا :
أَيَقْتُلُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بَيْنَكُمْ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ لَيْسَ إِلَّا تَعَامِيَا
فَلَا نَوْمَ حَتَّى نَسْتَبِيحَ حَرِيمَكُمْ وَنُخْضِبَ مِنْ أَهْلِ الشَّانِ الْعَوَالِيَا

فقال جرير : يا بن أخي ، مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : غلام من قريش ، وأصلي من ثَقِيف ،
أنا ابن المفيرة بن الأخنس بن شُرَيْق ، قُتِلَ أَبِي مع عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ . فعجب جريرُ

(١) كذا في ج ، وصغير وفي ا ، ب : « تَجِيئُوا » ؛ والنوادر : أعالى للوج .

(٢) وقعة صفين ٦٠ .

(٣) حكيم بن جبلة بن حصن العبدي ، كان عُثْمَانُ بعثه إلى السند ؛ ثم نزل البصرة ، وقتل بها يوم
الجل . وعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر 'صديق' ؛ والأشتر : مالك بن الحارث . والمكشوح المرادى ،
واسمه هيرة بن هلال ، ونسبه في جبلة .

(٤) صفين : « أَشَابَ النَّوَاصِيَا » .

من شعره وقوله ، وكتب بذلك إلى عليّ عليه السلام ، فقال عليّ : والله ما أخطأ
الغلام شيئا .

قال نصر :^(١) وفي حديث صالح بن صدقة ، قال : أبطأ جريرٌ عند معاوية حتى أتته
الناس ، وقال عليّ عليه السلام : قد وقتُ جرير وقتاً لا يُقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً ،
وأبطأ كلّي عليّ حتى أيس منه .

قال : وفي حديث محمد وصالح بن صدقة ، قالا : فكتب عليّ عليه السلام إلى
جرير بعد ذلك :

إذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية كلّي الفصل ؛ ثم خيّر وخذه بالجواب بين حرب
مُخزبة^(٢) أو سلم مُخْطِية ، فإن اختارَ الحرب فابذ إليه ، وإن اختار السلم نفذه ببيعته .
والسلام .

قال : فلما انتهى الكتابُ إلى جرير أتى معاوية ، فاقرأه الكتاب ، وقال له :
يا معاوية ، إنّه لا يطبع على قلب إلا بذنب ، ولا يُشرح صدرٌ إلا بتوبة ، ولا أُغنّ
قلبك إلا مطبوعاً عليه ، أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل ، كأنك تنتظر شيئاً في
يد غيرك .

فقال معاوية : ألقاك بالفصل^(٣) في أول مجلس إن شاء الله .
فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم ، قال : يا جرير الحق بصاحبك ، وكتب
إليه بالحرب ، وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جُمَيْل :
أَرَى الشَّامَ تَكَرَّرَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَمْ كَارَهُونا

(١) وقعة صفين ٦١ .

(٢) صفين : « مجلة » .

(٣) صفين : « بالفيصل » .

وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد اللبّرد في كتاب "الكامل" ،^(١) : إن علياً عليه السلام لما أراد أن يبعث جريراً إلى معاوية ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أذخرك من نُصرتي شيئاً ، وما أطمع لك في معاوية . فقال عليّ عليه السلام : إنما قصدى حُجة أقيمها [عليه] .^(٢) فلما أتى جرير معاوية دافعه بالبئعة ، فقال له جرير : إنّ المنافق لا يصلّي حتى لا يجد من الصلاة بُدّاً . فقال معاوية : إنها ليست بخدعة الصبيّ عن اللّبن ، فأبلغني ربيقي^(٣) ، إنه أمر له ما بعده .

قال : وكتب مع جرير إلى عليّ عليه السلام جواباً عن كتابه إليه : من معاوية بن صَخْر إلى عليّ بن أبي طالب ؛ أما بعد فلمعري لو بأيمك القوم الذين بأيعوك وأنت برىء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ؛ ولكنتك أغريت بعثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقويّ بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك ؛ حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، ولمعري^(٤) ليس حُجبتك عليّ كحجبتك على طلحة ، والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أبايحك ، وما حجبتك على أهل الشام كحجبتك على أهل البصرة ، لأنّ أهل البصرة أطاعوك ولم يُطعنك أهل الشام . فأما شرفك في الإسلام ، وقرابتك من النبي صلى الله عليه وموضعك من قریش ، فلست أدفعه .

(١) الكامل ٣ : ٢٠٩ وما بعدها - بشرح الرصني ؛ مع تصرف في الخبر .

(٢) من كتاب الكامل .

(٣) أي أنظرني بقدر ما أبلغ ربيقي .

(٤) - ٤ () الكامل : « حاجتك على كحجبتك على طلحة . . . » .

ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله :
أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهْمُ كَارِهُونَا

قال أبو العباس المبرد^(١) رحمه الله تعالى : ^(٢) فكتب إليه عليّ عليه السلام جوابا
عن كتابه هذا :

من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب^(٣) :
أما بعد ؛ فإنه أتاني منك كتابٌ امرئٌ ليس له بَصَرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ،
دعاه الهوى فأجابه ؛ وقاده الضلال فاتبعه ، زعمتَ أنك إنما أفسدت عليك بيعتي خطيئتي
في عثمان ، ولعمري ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين ، أوردتُ كما أوردوا ، وأصدرت
كما أصدروا ؛ وما كان الله ليجمعهم على الضلال ، ولا ليضربهم بالعمى . وبعد ، فما أنت
وعثمان ! إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه ، فإن زعمتَ أنك
أقوى على ذلك ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى . وأما تمييزك بينك
وبين طلحة والزبير ، وبين أهل الشام وأهل البصرة ، فلعمري ما الأمرُ فيما هناك
إلا سواء ؛ لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر . وأما شرفي
في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه ، وموضعي من قریش ، فلعمري لو استطعت
دفعه لدفعته .

قال : ثم دعا النجاشي^(٤) ، أحد بني الحارث بن كعب ، فقال له : إن ابن جعيل شاعرُ
أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أسمعني قوله ،
قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، ثم أسمعك ، فقال النجاشي يحميه :

(١) في الكامل ٣ : ٢٢٤ - بشرح الرصني ؛ وذكره المنقري في كتاب صفين ٦٤ ، ٦٥ .
(٢ - ٢) في الكامل : فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة :
بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر .

دَعَا يَأْمَعَاوَى مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا نَحْذَرُونَا
 أَنَا كَمْ عَلَىٰ بَآهِلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا^(١)
 عَلَىٰ كُلِّ جَرْدَاءٍ خَيْفَانَةٌ وَأَشْمَثَ نَهْدٍ يَسْرَ الْعُيُونَا^(٢)
 عَلَيْهَا فَوَارِسُ مَخْشِيَةٍ كَأَسَدِ الْأَمْرِ بَيْنَ حَمَيْنِ الْعَرِينَا
 يَرُونَ الطَّعْنَ خِلَالَ الْعَجَاجِ وَضَرْبِ الْفَوَارِسِ فِي النَّقْعِ دِينَا^(٣)
 هُمْ هَزَمُوا الْجَمْعَ الْجَمْعَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَالْمُعَشَرَ النَّكَاشِينَا
 وَأَلَوْا يَمِينًا عَلَىٰ حَلْفَةٍ لِنَهْدِي إِلَى الشَّامِ حَرْبًا زُبُونَا^(٤)
 تُشِيبُ النَّوَاهِدَ قَبْلَ الْمَشِيبِ وَتُلْقِي الْحَوَامِلَ مِنْهَا الْجَيْنِينَا^(٥)
 فَإِنْ تَكَرَّهُوا الْمُلُوكَ الْمُلُوكَ الْعِرَاقِ فَقَدْ رَضِيَ الْقَوْمُ مَا تَكَرَّهُونَا
 قُلْ لِلْمُضِلِّ مِنْ وَائِلٍ وَمَنْ جَعَلَ الْآثَ يَوْمًا يَمِينَا
 جَعَلْتُمْ عَلَيْنَا وَأَشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هِنْدٍ ، أَمَا تَسْتَحْشُونَا !
 إِلَى أَفْضَلِ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ وَصِنُو الرَّسُولِ مِنَ الْعَالَمِينَا
 وَصَهْرِ الرَّسُولِ وَمَنْ مِثْلُهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ يُشِيبُ الْقُرُونَا !
 قلت : أبيات كعب بن جُعيل خيرٌ من هذه الأبيات ، وأخبت مقصدا
 وأدهى وأحسن .

وزاد نصر بن مزاحم في هذه الرسالة بعد قوله : « ولا ليضربهم بالعمى » :
 « وما أَلْبَت^(٦) فتلزمى خطيئة الأمر ، ولا قتلت فيجب على القصاص . وأما قولك إنَّ

(١) لم يذكر الرد في الكامل سوى البيتين الأولين ، وقال : « وبعد هذا ما عسك عنه » .
 (٢) الجرءاء : الفرس القصيرة الشعر . والخيفانة : الحفيفة الوثابة . والهد من الخيل : الجسم المرفرف
 (٣) النقع : التراب .
 (٤) صفين : « وقالوا » . والإيلاء : الحلف .
 (٥) صفين : « تشيب النواهد » .
 (٦) ما أَلْبَت ، أى ما حُرِضت . وفي صفين : « وما أمرت » .

أهل الشام هم الحكم على أهل الحجاز ، فهات رجلاً من أهل الشام يقبل في الشورى ، أو تحل له الخلافة ، فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار ؛ وإلا أتيتك به من قريش الحجاز . وأما ولوعك بي في أمر عثمان ، فما قلت ذلك عن حق العيان ، ولا يقين الخبر^(١) .

وهذه الزيادة التي ذكرها نصر بن مزاحم تقتضي أنه كان في كتاب معاوية إليه عليه السلام أن أهل الشام هم الحكم على أهل الحجاز ؛ وما وجدنا هذا الكلام في كتابه .

[أخبار متفرقة]

وروى نصر بن مزاحم ، قال : لما^(٢) قُتل عثمان ضربت الركبان إلى الشام بقتله ، فبينما معاوية يوماً إذا أقبل رجل متلف ، فكشف عن وجهه ، وقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، أتعرفني ؟ قال : نعم ؛ أنت الحجاج بن خزيمة بن الصمة ، فأين تريد ؟ قال إليك القربان ، أنمي ابن عفان ، ثم قال :

إن بني عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم غير كذب
وأنت أولى الناس بالوئب فئب واغضب معاوي للإله واحتسب
وسير بن سيرة الجريير المتلبس وانهمض بأهل الشام ترشد ونصب
* ثم اهزأ الصعدة للشأس الشغب^(٣) *

قال : يعني عليا عليه السلام .

قلت : المتلبس المستقيم المطرد ، يقال : هذا قياس متلبس ، أي مستمر مطرد .

(٢) وقعة صفين ٨٦ ، ٨٧ .

(١) الخبر : العلم .

(٣) الصعدة ، بالفتح : القناة المستوية .

ويقال : مكان شأس ، أى غليظ صلب . والشَّعْبُ : الهاجج للشر ، ومن رواه : «الشاسى»
بالياء فأصله « الشاسى » بالصاد ؛ وهو المرتفع ، يقال : شصا السحاب إذا ارتفع ، فأبدل
الصاد سینا ، ومراده هنا نسبة على عليه السلام إلى التيه والترفع عن الناس .

قال نصر : فقال له معاوية : أفيك مَهَزْ ؟ فقال : نعم ، فقال أخبر الناس ، فقال
الحجاج : ياأمير المؤمنين - ولم يخاطب معاوية بـ «أمير المؤمنين» قبلها - إني كنت فيمن
خرج مع يزيد بن أسد القسري ، مغنيا لعثمان ، فقدمت أنا وزفر بن الحارث ، فلقينا
رجلا زعم أنه يمتن قتل عثمان ، فقتلناه ؛ وإني أخبرك ياأمير المؤمنين أنك لتقوى على
على بدون مايقوى به عليك ؛ لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت ، ولا يسألون إذا أمرت ؛
وإن مع على قوما يقولون إذا قال ، ويسألون إذا أمر ؛ فقليل يمتن معك خير من كثير ممن
معه . واعلم أنه لا يرضى على إلا بالرضا ، وأن رضا سخطك ، ولست وعلى سواء ؛ على
لا يرضى بالعراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق .

قال نصر : فضاق معاوية صدرا بما أتاه ، ونذم على خذلان عثمان^(١) وقال :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ غَمَةٌ	وَفِيهِ بَكَاءٌ لِلْعَيُّونِ طَوِيلٌ
وَفِيهِ فَنَاءٌ شَامِلٌ وَخَزَايَةٌ	وَفِيهِ اجْتِدَاعٌ لِلْأَنْفِ أَصِيلٌ
مَصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَدَّةٌ ^(٢)	تَكَادُ لَهَا صَمَّ الْجِبَالِ تَزُولُ
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ	أَصِيبَ بِلَا ذَنْبٍ وَذَاكَ جَلِيلٌ
تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةٌ	فَرِيقَانِ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخَذُولٌ
دَعَاهُمْ فَصَمُّوا عَنْهُ عِنْدَ دُعَائِهِ	وَذَاكَ عَلَى مَانِي النَّفُوسِ دَلِيلٌ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ تَبَعِي الْهَوَى	وَقَصْرِي فِيهِ حَسْرَةٌ وَعَوِيلٌ ^(٣)

(١) وقصة صفين ٨٨ ، وفيه : « وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان » .

(٢) ج : « وحده » .

(٣) قصرى فيه ؛ أى حسى .

سَأْبِي أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُتَقَفٍ وَيَبِيضٍ لَمَّا فِي الدَّارِ عَيْنَ صَالِبٍ^(١)
 تَرَكْتُكَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمْ شَجَاكَ فَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَقُولُ
 فَلَسْتُ مَقِيماً مَاحِيَتُ بَيْلَادَةٍ أَجَرَ بِهَا ذَبِيلِي وَأَنْتَ قَتِيلُ
 فَلَا نَوْمَ حَتَّى تُشَجَّرَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا وَيُشْفَى مِنَ الْقَوْمِ الْغَوَاةُ غَلِيلُ^(٢)
 وَنَطَحَتْهُمْ طَعْنَ الرِّحَا بِنَفَالِهَا وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَوْا إِلَيْكَ قَلِيلُ^(٣)
 فَأَمَّا الَّتِي فِيهَا مَوْدَةٌ يَبْنِيهَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَاحِيَتُ سَبِيلُ
 سَأْلِقُهَا حَرَبًا عَوَانًا مُلْحَةً وَإِنِّي بِهَا مِنْ عَامِنَا لَكَفِيلُ

قال نصر: وافتخر الحجاج على أهل الشام بما كلن من تسليمه على معاوية
 بإمرة المؤمنين .

قال نصر: ^(٤) وحدثنا صالح بن صدقة ، عن ابن إسحاق ، عن خالد الخزازي وغيره عن
 لا يُبَيِّمُ ، أن عثمان لما قُتِلَ وَإِنِّي معاوية بكتاب على عليه السلام بعزله عن الشام ، صعد المنبر ونادى
 في الناس أن يحضروا ، فحضروا ، فخطبهم . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال :
 يا أهل الشام ، قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة عثمان ، وقد قُتِلَ
 وأنا ابن عمه ووليه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا ﴾^(٥)
 وأنا أحب أن تملكوني ما في نفوسكم من قتل خليفةكم .

(١) وقعة صفين : « سَأْبِي » ، وسَأْبِي . أى سأطلب ثأره ؛ وأبو عمرو كنية عثمان .

(٢) شجر الخيل : تطعن .

(٣) النفال : جلد يبسط فتوضع فوقه الرما ليسقط عليه الدقيق . وفي اللسان : « وفي حديث على :
 وتقدم الفتن دق الرما بنفالها ، هو من ذلك : والمعنى أنها تقدم دق الرما للحب ؛ إذا كانت منفلة ،
 ولا تنفل إلا عند الطحن » .

(٤) وقعة صفين ٩١ .

(٥) سورة الإسراء ٣٣

فقام مُرّة بن كعب^(١) ؛ وفي المسجد يومئذ أربعائة رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أو نحوها ، فقال : والله لقد قتُ مقامى هذا ، وإأتى لأعلمُ أن فيكم من هو أقدم صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله منى ؛ ولكننى شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار في يوم شديد الحرّ ، وهو يقول : « لَتَكُونَنَّ فِتْنَةٌ حَاضِرَةٌ » ، فرّر رجل مُقْتَنِعٌ ، فقال رسول الله : وهذا [المقنع]^(٢) يومئذٍ على الهدى ، فقامت فأخذت بمنكبه ، وحسرتُ عن رأسه ؛ فإذا عثمان ، فأقبلتُ بوجهه على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ؛ فأصفيق أهل الشام مع معاوية حينئذ ، وبايعوه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يطمع في الخلافة ثم الأمر شورى .

وروى إبراهيم بن الحسن بن ديزيل في "كتاب صفين" ، عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي أن الوليد بن عقبة كتب إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان ، ويحرّضه وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ فإنك من أخى ثقةٍ مُلِيمٍ^(٣)
قطعت الدهر كالسدِّ المعنى تُهدّر في دمشق ولا تريمٍ^(٤)

(١) وثقة صفين : « كعب بن مرة السلمي » .

(٢) من صفين .

(٣) من أبيات ، في اللسان ١٥ : ٣٦ ، ٣٧ . ومليم ، من قولهم : ألام الرجل ؛ إذا أتى ما يلام عليه .
(٤) السدم : الفحل غير الكريم يكره أهله أن يضرب في إبلهم ؛ فيقيد ولا يسرح في الإبل رغبة عنه ؛ فهو يصول ويهدر ، أى يصيح . والمعنى أصله : « الممن » من العنة ، فأبدلت إحدى التوئين ياء ؛ كما قالوا : تظنى ، وأصله : « تظنن » ، وفي المثل : « كالمهدر في العنة » . وانظر بجمع الأمثال للبيداني ٢ : ١٤١ .

فإنك والكتاب إلى عليّ كدافنة وقد حلّم الأديم^(١)
 لك الوبلات أقجمها عليهم نخير الطائي الترة الغشوم^(٢)
 قال : فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أؤنس بن حَجَر :
 وَمُسْتَعْجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْ زَبَنْتَهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرِمِ^(٣)

وروى ابن ديزيل قال: لما عَزَمَ عليّ عليه السلام على السير إلى الشام ، دعا رجلاً ،
 فأمره أن يتجهز ويسير إلى دمشق ، فإذا دخلَ أَنَاخَ راحلته بباب المسجد ، ولأُتْلِقِي من
 ثياب سفره شيئاً ؛ فإن الناس إذا رأوه عليه آثار الغربة سألوه ، فليقل لهم : تركتُ عليّاً
 قد نَهَدَ^(٤) إليكم أهل العراق . فانظر ما يكون من أمرهم .
 ففعل الرجل ذلك ، فاجتمع الناس وسألوه ، فقال لهم ، فكثروا عليه يسألونه فأرسل

(١) الحلم ، بالتحريك : أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فينتقب ؛ تقول منه حلم ، بالكسر ،
 والحلمة : دودة تقع في الجلد فتأكله ؛ فإذا دبغ وهي موضع الأكل ، فيبق رقيقاً ؛ تقول منه : حلم الأديم ؛
 ومعنى البيت : أنت تسعى لإصلاح أمر قد تم فسادك كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه
 الحلمة فنقبت وأفسدته فلا ينتفع به . كذا فسرهُ صاحب اللسان واستشهد بالبيت .
 (٢) في اللسان بعد هذا البيت :

فقومك بالمدينة قد تردوا فهم صرعى كأنهم الهشيمُ
 فلو كنت المصاب وكان حياً تجرد لا ألف ولا سثومُ
 يهنيك الإمارة كل ركب من الآفاق سيرهم الرسمُ

وزاد الطبري بعد البيت الثاني من زيادات اللسان :

ولا نكل عن الأوتار حتى يبي بها ولا برم جثومُ

وذكر الضبي في الفاخر ٣٠ بعض هذه الأبيات ونسبها إلى مروان بن الحكم .
 (٣) ديوانه ٢٧ ، ومقاييس اللغة ٢ : ٣٨٠ ، ٤ : ٢٤٤ ؛ ولم يترمم ؛ أي ماحرك فاه بالكلام ؛
 كذا فسرهُ ابن فارس واستشهد بالبيت . وانظر اللسان ١٥ : ١٤٧ .
 (٤) يقال : نهَدَ لعدوه ؛ إذا أسرع لقتاله .

إليه معاوية بالأعور السلمي يسأله ، فأتاه فسأله ، فقال له ، فأنى معاوية فأخبره ، فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، وقال لهم إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق ، فما ترون ؟ ف ضرب الناس بأذقانهم على صدورهم ؛ لا يتكلمون ، قدام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك أم رأى وعلينا أم فعال ؛ وهي لغة خير^(١) .

فنزول ، ونادى في الناس بالخروج إلى معسكرهم ، وعاد إلى علي عليه السلام ، فأخبره فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، فأخبرهم أنه قدّم عليه رسول كان بعثه إلى الشام ، وأخبره أن معاوية قد نهد إلى العراق في أهل الشام ، فما رأى ؟

قال : فاضطرب أهل المسجد ؛ هذا يقول : الرأي كذا ، وهذا يقول : الرأي كذا ، وكثر اللفظ واللجب ، فلم يفهم علي عليه السلام من كلامهم شيئاً ، ولم يدّر المصيب من الخطي ، فنزل عن المنبر ، وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اذهب بها ابن أكلة الأكباد^(٢) - يعني معاوية .

وروى ابن ديزيل عن عتبة بن مكرم ، عن يونس بن بكير ، عن الأعشى ، قال : كان أبو مرثم صديقاً لعلي عليه السلام ، فسمع بما كان فيه علي عليه السلام من اختلاف أصحابه عليه ، فجاءه ، فلم يرع علياً عليه السلام إلا وهو قائم على رأسه بالعراق ، فقال له : أبا مرثم ، ما جاء بك نحوى ؟ قال : ما جاء بي غيرك ؛ عهدى بك لو وليت أمر الأمة كفيتمهم ، ثم سمعت بما أنت فيه من الاختلاف ؛ فقال : يا أبا مرثم ؛ إني منيتُ بِشَرِّارِ خَلْقِ اللَّهِ ، أريدُهم على الأمر الذي هو الرأي ، فلا يتبعوننى .

(١) وهي لغة فقلت عن طيء أيضاً ؛ وعليها ورد الحديث : « ليس من أمير امصيام في امسفر » .

معنى اللبيب لابن هشام ١ : ٤٨ .

(٢) آكلة الأكباد ؛ هي هند بنت عتبة بن ربيعة ، زوج أبي سفيان وأم معاوية .

وروى ابن ديزيل عن عبد الله بن عمر ، عن زيد بن الحباب ، عن علاء بن جرير
 المنبري ، عن الحكم بن عمير الثمالي - وكانت أمه بنت أبي سفيان بن حرب - قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : كيف بك يا أبا بكر إذا وليت ؟ قال :
 لا يكون ذلك أبدا ، قال : فكيف بك يا عمر إذا وليت ؟ (١) فقال : آكل حَجَرًا ، لقد
 لقيت إذَنْ شَرًّا ، قال : فكيف بك يا عثمان إذا وليت ؟ قال : آكلُ وأطعمُ وأقسمُ
 ولا أظلم ، قال : فكيف بك يا علي إذا وليت ؟ قال : آكل القوتَ وأحى الجُرَّة ، وأقسمُ
 التمرة ، وأخفى الصور - أي العورة - فقال صلى الله عليه وسلم : «أما إنكم كلَّكم سَبَلِي ،
 وسيرى الله أعمالكم» ، ثم قال : يا معاوية ، كيف بك إذا وليت ؟ قال : الله ورسوله أعلم
 فقال : «أنت رأس الحطيم ، ومفتاح الظلم ، حصبا وحقبا ، تتخذ الحسن قبيحا ، والسيئة حسنة ،
 يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ؛ أجلك يسير ، وظلمك عظيم» .

وروى ابن ديزيل أيضا عن عمر بن عون ، عن هشيم ، عن أبي فلج ، عن عمرو بن
 ميمون ، قال : قال عبد الله بن مسعود : كيف أنتم إذا لقيتكم فتنة يهرم فيها الكبير ،
 ويربو فيها الصغير ، تجري بين الناس ، ويتخذونها سُنَّة ، فإذا غيِّرت قيل : هذا مُنْكَرٌ

وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا الحسن بن الربيع البجلي ، عن أبي إسحاق الفزاري
 عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
 مُنْتَقِمُونَ ﴾ * أَوْ نَرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٢﴾ . قال : أكرم الله
 تعالى نبيه عليه السلام أن يريه في أمته ما يكره رفعه إليه ، وبقيت النعمة .

(١-١) في ١، ج : « فقال حجرا » ، وفي حاشية ج : « يحتمل أن يكون بسكون الجيم ، بمعنى النع » .

(٢) سورة الزخرف ٤١ ، ٤٢ .

قال ابن ديزيل : وحدثنا عبد الله بن عمر ، قال : حدثنا عمرو^(١) بن محمد ، قال : أخبرنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي المنهال ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « سألت ربي لأمتي ثلاث خلال ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة : سأله ألا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها ، وسأله ألا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها ، وسأله ألا يجعل بأسهم بينهم فتنة فمنعنيها » .

قال ابن ديزيل : وحدثنا يحيى بن عبد الله الكرايسي ، قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن عمار بن زريق ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا ، ولم يؤمننا أن يفتننا ، أرايت إذا أنزلت فتنة ، كيف أصنع ؟ فقال : عليك كتاب الله تعالى ، قال : أفرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو إلى كتاب الله تعالى ؟ فقال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » ، يعني عمارة .

وروي ابن ديزيل ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا^(٢) ، قال : حدثنا علي بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما إن نساءكم عليه لم تهلكوا ؟ إن وليكم الله ، وإن إمامكم علي بن أبي طالب ، فناصره وصدقوه ، فإن جبريل أخبرني بذلك » .
فإن قلت : هذا نص صريح في الإمامة ، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك ؟
قلت : يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية ، لا في الخلافة .
وأيضا فإننا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما حصله : إن الإمامة كانت لعلي

(٢) ب : « زكريا بن يحيى » .

(١) ب : « عمر » .

عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها ، وإن أقرّها في غيره وسكتَ عنها توليّا ذلك الغير ، وقلنا بصحة خلافته ، وأميرُ المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة ، ولا جردَ السيف ، ولا استنجد بالناس عليهم ؛ فدلّ ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه ؛ فذلك توليّا لهم ، وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح ، ولو حاربهم وجردَ السيف عليهم ، واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة ، من التفتيق والتضليل .

قال ابن ديزيل : وحدّثنا عمرو بن الربيع ، قال : حدثنا السريّ بن شيبان ، عن عبد الكريم ، أن عمر بن الخطاب قال لما طعن : يا أصحاب محمد تناصحوا ؛ فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .

قلت : إن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد الإمامية قال في بعض كتبه : إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطاعتهما فيها ، لأنّ معاوية كان عامله وأميره على الشام ، وعمرو بن العاص عامله وأميره كلّ مصر ، وخاف أن يضعف عثمان عنها ، وأنّ تصير إلى عليّ عليه السلام ، فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنتقل إليهما - وهما بمصر والشام - فيتغلبا كلّ هذين الإقليمين إن أفضت إلى عليّ عليه السلام .

وهذا عندي من باب الاستنباطات التي يوجبها الشنآن والحنق ، وعمر كان أثقّ الله من أن يخطر له هذا ، ولكنه من فراسته الصادقة التي كان يعلم بها كثيرا من الأمور المستقبلية ؛ كما قال عبد الله بن عباس في وصفه : والله ما كان أوس بن حجرة عني أحدا سواه بقوله :

الْأَلَمَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ " كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(١)

وروى ابن ديزيل ، عن عَنان بن مسلم ، عن وهب بن خالد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن مُرة بن كعب ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فتنة فقرّ بها ، فرّ رجل قد تقنّع بثوبه ، فقال عليه السلام : « هذا وأصحابه يومئذ على الحق » ، قممت إليه فأخذت بمكعبه ، فقلت : هو هذا ؟ فقال : نعم ، فإذا هو عثمان ابن عفان .

قلت : هذا الحديث قد رواه كثير من محقّقي أصحاب الحديث ، ورواه محمد بن إسماعيل البخاري في " تاريخه الكبير " بعدة روايات . وليس لقائل أن يقول : فهذا الحديث إذا صحّحتهموه كان حُجّةً للشُّقْيانية ؛ لأننا نقول : الخبرُ يتضمّن أن عثمان وأصحابه على الحقّ ، وهذا مذهبنا ، لأننا نذهب إلى أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنه وناصريّة يوم الدار على الحقّ ؛ وأنّ القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحقّ ؛ فأما معاوية وأهل الشام الذين حاربوا عليّاً عليه السلام بصقّين فليسوا بداخلين في الخبر ؛ ولا في ألفاظ الخبر لفظ عموم يتعلّق به ، ألا ترى أنّه ليس فيه كلّ مَنْ أظهر الاتّصار لعُمان في حياته وبعد وفاته فهو على الحقّ ، وإتّما خلاصته أنّه ستقوم فتنة ، يكون عثمان فيها وأصحابه على الحقّ ، ونحن لا نأبى ذلك ، بل هو مذهبنا .

وروى نصر بن مزاحم في كتاب " صقّين " ، قال : ^(١) لما قدّم عبيد الله بن عمر ابن الخطاب على معاوية بالشام ، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : إنّ الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيتُ أن أقيمه خطيباً يشهد علىّ على بقتل عثمان ، وينالُ منه ، فقال : الرأي ما رأيت ، فبعث إليه ، فأثابه ، فقال له معاوية : يا بن أخي ، إنّ الك

اسم أبيك فانظر بمل عينيك ، وانطق بمل فيك ، فانت المأمون المصدق ، فاصعد المذبح واشتم علياً ، واشهد عليه أنه قتل عثمان .

قال : أيها الأمير ، أما شتمه ؛ فإن أباه أبو طالب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق ، وأما أيامه فما قد عرفت ؛ ولكني ملزيمه دم عثمان ، فقال عمرو بن العاص : قد وأبيك إذن نكأت القرحة .

فلما خرج عبيد الله بن عمر ، قال معاوية : أما والله لولا قتله لهُرمزان ، وخافته علياً على نفسه ما أتانا أبدا ؛ ألا ترى إلى تفریطه علياً ! فقال عمرو : يا معاوية ، إن لم تغلب فاخُلب ، قال : وخرج حديثهما إلى عبيد الله ، فلما قام خطيباً تكلم بحاجته ، فلما انتهى إلى أمر علي أسسك ولم يقل شيئاً ، فلما نزل بعث إليه معاوية : يا ابن أخي ؛ إنك بين عتي وخيانه ، فبعث إليه : إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان ، وعرفت أن الناس محملوها عتي فتركها .

قال : فهجره معاوية واستخف به وفسقه ، فقال عبيد الله :

مُعَاوِيَ لَمْ أَحْرَضْ بِحُطْبَةِ خَاطِبٍ وَلَمْ أَكُ عِيًّا فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ^(١)
وَلَكِنِّي زَاوَلْتُ نَفْسَ أَبِيَّةَ عَلَى قَذْفِ شَيْخٍ بِالْمِزَاقِ غَائِبٍ
وَقَذَفِي عَلِيًّا بَابِنِ عَقَانَ جَهْرَةً كِذَابٌ ، وَمَا طِجِّي سَجَايَا الْمَكَاذِبِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ قَرَّبَ الْقَوْمَ جُهْدَهُ وَدَبُّوا حَوَالِيَهُ دَيْبَ الْعَقَارِبِ
فَمَا قَالَ : أَحْسَنَ وَلَا قَدْ أَسَانَمُ وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ الْمَوَاتِبِ

(١) لم أحرص : لم أكل ولم أعي . وو صفي : « لم أخرس » ، أي لم أكذب .

(٢) رواية كتاب صفي :

* يُجَدِّعُ بِالشَّحْنَا أَنْوَفَ الْأَقَارِبِ *

فَأَمَّا ابْنُ عَفَّانٍ فَأَشْهَدُ أَنَّهُ أَصِيبَ بَرِيثًا لَابِسًا ثَوْبَ تَائِبٍ^(١)
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزَّيْرِ عَجَاجَةٌ وَطَلْحَةٌ فِيهَا جَاهِدٌ غَيْرُ لَاعِبٍ
وَقَدْ أَظْهَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةً فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا هُمَا فِي الْعَوَاقِبِ !
قال : فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه ، وقال : حسبي هذا منك .

وروى نصر ، عن عبيد الله بن موسى ، قال : سمعتُ سُفْيَانَ بْنَ سَعِيدٍ المعروف
بِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، يقول : مَا أَشْكُ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْرِ بَابِعَا عَلِيًّا ، وَمَا نَقَمَا عَلَيْهِ جَوْرًا
فِي حُكْمٍ وَلَا اسْتِثْنَاءًا بَنِي ؛ وَمَا قَاتَلَ عَلِيًّا أَحَدٌ إِلَّا وَعَلَى أُولَى بِالْحَقِّ مِنْهُ .
وروى نصر بن مُزَاحِمٍ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي غُرَّةِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ
سَفَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، تَجَرَّى الْكُتُبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، حَتَّى سَارَ إِلَى الشَّامِ .

قال نصر :^(٢) وَقَدْ رَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْكَنْدُودِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ
الْجَمَلِ ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ .

قال نصر : فَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ
أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَفِيهِمْ قُرَآؤُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ ، فَدَعَوْا لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَيْنَ تَنْزِلُ ؟ أَتَنْزِلُ الْقَصْرَ ؟ قال : لَا ، وَلَكِنِّي أَنْزِلُ الرَّحْبَةَ ، فَزِلْهَا وَأَقْبِلْ حَتَّى دَخَلَ
الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى
رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) بعده في كتاب صفين :

حَرَامٌ عَلَى أَهْلِهِ نَتَفُ شِعْرِهِ فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزَهُ ضَرْبَةُ لَازِبٍ

(٢) وقعة صفين ٥ - ٨ .

أما بعد يا أهل الكوفة ؛ فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتميروا ،
دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيّرتم ، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله ،
فأما في الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجابكم ، ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إنّ
أخوف ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى ، وطول الأمل ؛ أما اتباعُ الهوى فيصدّ عن
الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة ؛ ألا إنّ الدنيا قد ترخّلت مدبرة ، وإن الآخرة
قد ترخّلت مقبلة ؛ ولكلّ واحدة منهما بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل
ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل ؛ الحمد لله الذي نصّر وليّه ، وحذّل عدوّه ، وأعزّ
الصادق الحق ، وأذلّ الناكث المبطل .

عليكم بتقوى الله وطاعة مَنْ أطاع الله من أهل بيت نبيّكم ، الذين هم أولى
بطاعتكم فيما أأعوا الله فيه من المستحلّين للدّعين للقابلين^(١) إلينا ؛ يتفضلون بفضلنا ،
ويجادوننا أمرنا ، وينازعوننا حقنا ، ويُباعدوننا عنه ، فقد ذاقوا وبأل ما اجتروا
فسوف يلقون غيّا . ألا إنه قد قعدَ عن نصرتي رجال منكم ؛ وأنا عليهم عاتبٌ زارٍ ؛
فاهجرؤهم وأسمعوم ما يكرهون ، حتى يُعتبُوا^(٢) ليعرف بذلك حزبُ الله عند الفرقة .
فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي - وكان صاحبَ شرطته - فقال : والله إني
لأرى المهجّر وسماع المكروه لم قليلا ، والله لو أمرتنا لنقتلهم . فقال على عليه السلام :
سبحان الله يا مالٍ ! جُزّت للدّى ، وعدّوت الحدّ ، فأغرقت^(٣) في النّزع . فقال : يا أمير
المؤمنين ، لبعض الغشم أبلغُ في أمرٍ ينوبك من مهادنة الأعادي ؛ فقال على عليه السلام :
ليس هكذا قضى الله ، يا مالٍ ، قال سبحانه : ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(٤) فما بالُ ذِكْرِ الغشم !

(١) كذا في ج وصفين ، وفي ا ، ب : « الغائلين إلينا » .

(٢) الإعتاب : إعطابه العتي ، وهي الرضا (٣) ا ، ج : « وأغرقت » .

(٤) سورة المائدة ٤٥ -

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ ^(١) .
والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو الغشم .

فقام إليه أبو بريدة بن عوف الأزدي - وكان ممن تخلف عنه - فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير ، علام قُتلوا ؟ - أوقال : بم قتلوا ؟ - فقال علي عليه السلام : قُتلوا بما قَتَلُوا شِيعَتِي وَعُمَايَ ، وقتلوا أخا ربيعة العبدى في عصابة من المسلمين ، قالوا : إنا لا نَنكِثُ كما نَنكِثُكُمْ ، ولا نَغْدِرُ كما غَدَرْتُمْ ؛ فوثبوا عليهم فقتلهم ، فسألهم أن يدفعوا إلى قَتْلَةِ إِخْوَانِي أَقْتُلُهُمْ بِهِمْ ، ثم كتابُ الله حَكَمٌ بيني وبينهم ، فأبوا علي ، وقاتلوني - وفي أعناقهم بَيْعَتِي ، ودماء قريب من ألف رجل مِنْ شِيعَتِي - فقتلهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟ فقال : قد كنتُ في شك ، فأما الآن فقد عَرَفْتُ ، واستبان لي خطأ القوم ، وإنك المهتدي المصيب .

قال نصر : وكان أشياخ الحى يذكرون أنه كان عُمَانِيًّا ، وقد شَهِدَ على ذلك صِفَيْنِ مع علي عليه السلام ، ولكنّه بعد ما رجع كان يَكَاتِبُ معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعهُ قطعةً بالفلوجة ^(٢) ، وكان عليه كريما .

قال : ثم إن علياً عليه السلام تهيأ لينزل ، وقام رجالٌ ليتكلمُوا ، فلما رأوه نَزَلَ جلسوا وسكتوا .

قال : ونزل علي عليه السلام بالكوفة على جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ الخزومي .

قلت : جَعْدَةُ ابن أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، كانت تحت هُبَيْرَةَ بن أبي وهب الخزومي ، فأولدها جَعْدَةُ ، وكان شريفا .



(١) سورة الإسراء ٣٣ .

(٢) في مراسد الاطلاع : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى : قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر . قلت : والمشهور هي هذه التي على شاطئ الفرات ، عندها قم نهر الملك من الجانب المشرق .

قال نصر: ولما^(١) قدم على عليه السلام إلى الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل فصلى، ثم تحول فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به، فقال على عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد من خلقه؛ إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه؛ وإذلال خلقه، وقرأ: ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِمِّيَّتُكُمْ ثُمَّ مِمِّيَّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)؛ قال نصر: فلما لحقه عليه السلام ثقله قالوا: أنزل القصر؟ فقال: قصر الخبال، لا تنزلوا فيه^(٣).

قال نصر: ودخل^(٤) سليمان بن صرد الخزاز على على عليه السلام؛ مرجعه^(٥) من البصرة، فمات به وعده، وقال له: ارتبت وتربت وراوغت؛ وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي؛ فما وعد بك عن أهل بيت نبيك؟ وما زهدك في نصرتهم؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبن بما مضى منها، واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي؛ فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من ورائك. فسكت عنه، وجلس سليمان قليلا، ثم نهض، فخرج إلى الحسن بن على عليه السلام؛ وهو قاعد في باب المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين، ومالقيته منه من التوبيخ والتبكي؟ فقال الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال: لقد وثبت أمور سنشرع فيها القسا، وتنتفى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا

(١) كتاب صفين ٨ .

(٢) سورة البقرة ٢٨ .

(٣) صفين: « لا تنزلوا فيه » .

(٤) وقعة صفين ٩ .

(٥) وقعة صفين: « بعد رجسته » .

تَسْتَغْفِرُوا عَنِّي^(١)، وَلَا تَتَّهِمُوا نَصْحِي .

فَقَالَ الْحَسَنُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِظَنِينٍ^(٢) .

قَالَ نَصْرٌ : وَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَزْدِيُّ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ! قَالَ : حَاشَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلَئِكَ .
فَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ فَعَلَ ذَلِكَ .

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا^(٣) عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خُنْفٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَقْدَمَهُ^(٤) مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَهُوَ عَامٌ بَلَغْتُ الْحُلُمَ ؛ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالٌ يُؤْتِبُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : مَا أَبْطَأَ بِكُمْ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ أَشْرَافُ قَوْمِكُمْ ! وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مِنْ ضَعْفِ النِّيَّةِ وَتَقْصِيرِ الْبَصِيرَةِ ؛ إِنْكُمْ لَبُورٌ^(٥) ، وَإِنْ كَانَ مِنْ شَكِّ فِي فَضْلِي وَمُظَاهَرَةِ عَلِيٍّ ؛ إِنْكُمْ لَعَدَوٌ .

فَقَالُوا : حَاشَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! نَحْنُ سِلْمُكَ وَحَرْبُ عَدُوِّكَ . ثُمَّ اعْتَذَرَ الْقَوْمُ فَفَهِمَ مِنْ ذَكَرٍ عَذْرَاءَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَلَّ بِمَرَضٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ غِيْبَةً ؛ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفْتُهُمْ ؛ فَإِذَا عَبْدُ^(٦) اللَّهِ الْمُعْتَمِ الْعَبْسِيُّ ؛ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ ؛ وَكِلَاهُمَا كَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ ؛ وَإِذَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ ؛ وَإِذَا غَرِيبُ بْنُ شَرَحْبِيلٍ الْهَمْدَانِيُّ .

قَالَ : وَنَظَرْتُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ إِلَى أَبِي ، فَقَالَ : وَلَكِنْ خُنْفُ بْنُ مُسْلَمٍ وَقَوْمُهُ لَمْ يَتَخَلَّفُوا ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ كَيْبُطَانٌ فَإِنْ

(١) لَا تَسْتَغْفِرُوا عَنِّي ؛ أَيْ لَا تَنْظُرُوا عَنَابِي لَكُمْ غِشًا .

(٢) الْفَظْلَيْنِ : التَّهْمُ ؛ وَأَصْلُهُ : « مَظْنُونٌ » .

(٣) وَقَعَةُ صَفِيْن ١٠

(٤) وَقَعَةُ صَفِيْن : « حِينَ قَدَمْ » .

(٥) لَبُورٌ ؛ أَيْ هَالِكُونَ ، جَمْعُ بَلْفُظٍ الْفَرْدِ .

(٦) فِي الْأَصُولِ : « عَبِيدُ اللَّهِ » صَوَابُهُ مِنْ صَفِيْن .

أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا كَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١﴾ .

قال نصر : ثم (٢) إن علياً عليه السلام مكث بالكوفة ، فقال الشنّي في ذلك ، [شن بن
عبد القيس] (٣) :

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ قَدْ خَبَتِ الْحُرُ بٌ وَتَمَّتْ بِذَلِكَ النِّعْمَاءُ
وَفَرَّغْنَا مِنْ حَرْبٍ مِّنْ نَّقْضِ الْعَهْدِ وَالشَّامِ حَيَّةٌ صَمَاءُ
تَنْفُثُ السَّمَّ مَا لِمَنْ نَهَشْتَهُ - فَارْمَهَا قَبْلَ أَنْ تَعَضَّ - شِفَاءُ (٤)
إِنَّهُ - وَالَّذِي يَحْجُجُ لَهُ النَّاسُ - وَمِنْ دُونِ بَيْتِهِ الْبَيْتُ
لَضَعِيفُ الشَّعَاعِ إِنْ رُمِيَ الْيَوْمَ - بِجَيْلٍ كَانَهَا أَشْلَاءُ (٥)
تَنْبَارَى بِكُلِّ أَصِيدٍ كَالْفَحْ - لٍ بِكُفَيْهِ صَفْدَةٌ تَمْرَاءُ (٦)
إِنْ تَذَرُهُ فَمَا مَعَاوِيَةُ الدَّهْرُ - رَ بِّعْطِيكَ مَا أَرَاكَ تَشَاءُ
وَلَقِيلُ السَّمَاءُ أَقْرَبُ مِنْ ذَاكَ - وَنَجْمُ الْعِيُوقِ وَالْعَوَاءُ (٧)
قَاعِدٌ بِالْحَدِّ وَالْحَدِيدِ إِلَيْهِمْ - لَيْسَ وَاللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ دَوَاءُ

(١) سورة النساء ٧٢ ، ٧٣ . (٢) كتاب صفين ١١ ، ١٢ .

(٣) تكملة من كتاب وقعة صفين ؟ وهو الأعور الشنّي ، واسمه بشر بن منقذ ، أحد بني شن بن
أقصى بن عبد القيس . وانظر للزُّبَابِ والمُخْتَلَفِ لِلْأَمَدِيِّ ٣٨ .

(٤) في اللسان : « قيل للحية التي لا تجيب الرافي صماء ؛ لأن الرق لا تنفعها » .

(٥) أشلاء الإنسان : أعضاؤه ، وبعده في كتاب صفين :

جَانِحَاتٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ سِخَالًا مُّجَهِّضَاتٍ تَحَاوِلُ الْأَسْلَاءَ

(٦) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى التثقيف .

(٧) العيوق : نجم أحر مضى في طرف الهجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . والعواء : منزل للقمر .

قال نصر : وأتمّ علىّ عليه السلام صلاته يوم دخل الكوفة ، فلما كانت الجمعة خطب الناس ، فقال :

الحمد لله الذى أحمد^(١) وأستعينه وأستهديه ، وأعوذ بالله من الضلالة ؛ مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادى له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، انتجبه لأمره ، واختصه بنبوته . أكرم خلقه عليه ، وأحبهم إليه ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وأدى الذى عليه .

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير مما تواسى به عباده الله ، وأقرب به إلى رضوان الله ، وخير في عواقب الأمور عند الله ، ويتقوى الله أمرتكم ، وللإحسان والطاعة خلقكم ؛ فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فإنه حذر بأشديد ، واخشوا خشية ليست بتعذير^(٢) واعملوا في غير رياء ولا سمعة ؛ فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل له ، ومن عمل لله خلاصا تولى الله أجره . أشفقوا من عذاب الله ؛ فإنه لم يخلقكم عبثا ، ولم يترك شيئا من أمركم سدى ؛ قد سمى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ؛ فلا تغتروا بالدنيا فإنها غرارة لأهلها ، مغرور من اغتر بها ، وإلى فتنة ما هي ، وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون . أسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن به وله^(٣) .

قال نصر : ثم^(٤) استعمل علىّ عليه السلام العمال وفرّقهم في البلاد ؛ وكتب إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي ما تقدم ذكره .

(١) صفين : « إن الحمد لله أحمد » .

(٢) التمهيد هنا : الإهمال والتقصير .

(٣) صفين ١٣ .

(٤) كتاب صفين ١٤ ؛ وفيه : « ثم إن عليا أقام بالكوفة واستعمل العمال » .

قال نصر: (١) وقال معاوية لعمر بن العاص ، أيام كان جريراً عنده ينتظر جوابه : إنني قد رأيتُ أن نُلقيَ إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً ، نذكر فيه أمرَ عثمان ؛ فيما أن ندرك به حاجتنا ، أو نكفّ القوم عنا ، فقال له عمرو : إنما تكتب إلى ثلاثة نفر : رجلٍ راضٍ بعلی فلا يزيدك كتابك إلا بصيرة فيه ، أو رجلٍ يهوى عثمان ؛ فلن يزيدك كتابك على ما هو عليه ، أو رجلٍ معتزٍ ، فلست في نفسه بأوثق من علی .

قال : علی ذاك ، فكتبنا :

أما بعد ؛ فإنه مهما غابَ عنا من الأمور فلم يغب عنا أن علیاً قتل عثمان ؛ والدليلُ علی ذلك مكانُ قتلته منه ؛ وإِنما نطلب قتلته ؛ حتى يُدفعوا إلینا ، فنقتلهم بكتاب الله عزَّ وجلَّ ، فإن دفعهم علی إلینا كَفَفْنَا عنه ؛ وجعلناها شوری بين المسلمين علی ما جعلها علیه عمر بن الخطاب . فأما الخلافة فلنسنا نطلبها ، فأعينونا علی أمرنا هذا ، وانتهصوا من ناحيتكم ؛ فإنَّ أیدینا وأیدیكم إذا اجتمعت علی أمرٍ واحد هاب علی ما هو فيه ، والسلام .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أما بعدُ ، فلعمري لقد أخطأتما موضعَ النصرة وتناولتماها من مكان بعيد ؛ وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً ، وما أنتما والمشورة ، وما أنتما والخلافة ! أما أنت يا معاوية فطليق ، وأما أنت يا عمرو فظنين (٢) ، ألا فكفَّا أنفسكما ، فليس لكم فينا ولی ولا نصير . والسلام .

قال نصر : وكتب (٣) رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر :

(١) كتاب صفين ٧٠ ، ٧١ .

(٢) كتاب صفين : « فظنون » ، والظنين والظنون بمعنى التهم .

(٣) صفين ٧١ .

مَعَاوِيَ إِنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ وَاضِحٌ
نَصَبَ ابْنُ عَفَانٍ لَنَا الْيَوْمَ خُدْعَةً
وَلَيْسَ بِمَا رَبَّصْتَ أَنْتَ وَلَا عَمْرُو
كَانُصِيبُ الشَّيْخَانِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ^(١)
- يعنى طلحة والزبير رحمهما الله -

فَمَهَذَا كَهَذَاكَ الْبَلَاءُ حَذَوْنَعْلِهِ
رَمَيْتُمْ عَلِيًّا بِالَّذِي لَا يَضِيرُهُ
سَوَاءٌ كَرَقَرَأَى يُفَرُّ بِهِ السَّفَرُ^(٢)
وَأِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمَكِيدَةُ وَالْمَكْرُ^(٣)
وَمَا ذُنُبُهُ إِنْ نَالَ عُمَانَ مَعَشَرُ
أَتَوْهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ تَجْمَعُهُمْ مِصْرُ
فَنَارَ إِلَيْهِ لِلْمُسْلِمِينَ بَيْنَعِيَّةٍ
عَلَانِيَةً مَا كَانَ فِيهَا لَهُمْ قَسْرُ
وَبَايَعَهُ الشَّيْخَانِ ثُمَّ تَحَمَّلَا
إِلَى الْعُمَرَةِ الْعُظْمَى وَبَاطَنُهَا الْفَدْرُ
فَكَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا اقْتَصَاصُهُ
يَطُولُ ؛ فَيَا اللَّهَ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ^(٤)
وَمَا أَنْتُمْ وَالنَّصْرَ مِنَّا وَأَنْتُمْ
بَعِيثًا حُرُوبٍ مَا يَبُوءُ لَهَا جَرُُّ^(٥)
وَمَا أَنْتُمْ اللَّهُ دَرُُّ أَيُّكُمْ
وَذِكْرُكُمْ الشُّورَى وَقَدْ وَصَّحَ الْفَجْرُ^(٦)

قال نصر^(٧) : وقام عدي بن حاتم الطائي إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن عندى رجلاً لا يوازى^(٨) به رجل ، وهو يريد أن يزور ابن عمه حابس بن سعد
الطائي بالشام ، فلو أمرناه أن يلتقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام ، فقال علي

-
- (١) كتاب صفين : « إذ زخرف الأمر » .
(٢) الرقراق : ما يترامى للفسافر من رمال الصحراء كأنها الماء .
(٣) كتاب صفين : « لا يضره » .
(٤) اقتصاصه : قصه وحكايته ، وفي صفين : « رجيع فيا لله ما أحدث الدهر » .
(٥) يبوخ الجمر : ينطفيئ .
(٦) صفين : « وقد فليج الفجر » .
(٧) صفين ٧١ - ٧٤ .
(٨) صفين : « لا يجارى به » .

عليه السلام : نعم ، فأمره عدى بذلك^(١) - وكان اسمُ الرجل خُفّافَ بن عبد الله .
 فقدم على ابن عمّه حابس بن سعد بالشام - وحابس سيد طيّبها - فحدث خُفّاف حابسا
 أنه شهد عُمان بالمدينة ، وسار مع عليّ إلى الكوفة ، وكان خُلفاف لسان وهيئة وشعر ،
 ففدا حابس بخُفّاف إلى معاوية ، فقال : إن هذا ابنُ عمّ لي ، قدم الكوفة مع عليّ ،
 وشهد عُمان بالمدينة ، وهو ثقة . فقال له معاوية : هات ، حدثنا عن عُمان ، فقال : نعم حصره
 المكشوح [وحُكّم فيه حُكيم ، ووليه عمار ، وتجرد في أمره ثلاثة نفر : عدى بن
 حاتم]^(٢) والأشتر النخعيّ ، وعمر بن الحنق ، وجدّ في أمره رجُلان وطلحة
 والزبير ، وأبرأ الناس منه عليّ . قال : ثم مَهْ ، قال : ثم تهافّت الناس على عليّ بالبيعة تهافّت
 الفَراش ، حتى ضاعت النعل^(٣) وسقط الرداء ، ووُطِئَ الشيخ . ولم يذكر عُمان ولم يذكر
 له ، ثم تهيّأ للسير ، وخفّ معه المهاجرون والأنصار ، وكره القتال معه ثلاثة نفر : سعد
 ابن مالك ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، فلم يستكره أحداً ، واستغنى بمن خفّ معه
 عَمَن ثَقُل . ثم سار حتى أتى جبل طيّب ، فأتته مناجاة كان ضارياً بهم الناس ؛ حتى
 إذا كان ببعض الطريق أتاه مسيرٌ طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ، فسرّح رجالاً إلى
 الكوفة يدعونهم ؛ فأجابوا دعوته ، فسار إلى البصرة ، فإذا هي في كفّه ، ثم قدم الكوفة
 فحَمِلَ إليه الصبيّ ، ودبّت إليه العجوز ، وخرجت إليه العروس فرحاً به وشوقاً إليه ؛
 وتركته وليس له همة إلا الشام .

فدعّر معاوية من قوله ، وقال حابس : أيها الأمير ، لقد أسمعني شعراً غيرَ به حالي في
 عُمان ، وعظم به عليا عندي .

(١) صفين : « فَرِهَ بذلك » .

(٢) ما بين العلامتين تكلمة من كتاب صفين .

(٣) صفين : « حتى ضلت النعل » .

فقال معاوية : أسمعني يا خفاف ، فأنشده شعرا أوله :

قُلْتُ وَاللَّيْلُ سَاقِطُ الْأَكْنَفِ وَلِجَنِّي عَنِ الْفَرَّاشِ تَجَافٍ
— يذكر فيه حال عثمان وقتله ، وفيه إطالة عدلنا عن ذكره ^(١) . . . ومن جملة :

قَدْ مَضَى مَا مَضَى وَمَرَّ بِهِ الدَّهْرُ كَمَا مَرَّ ذَاهِبُ الْأَسْلَافِ ^(٢)

إِنِّي وَالَّذِي يَحْجُ لَهُ النَّاسُ سٌ عَلَى لُحْقِ الْبُطُونِ عَجَافٍ ^(٣)

تَتَبَارَى مِثْلَ الْقَيْسِ مِنَ النَّوْءِ بِشُعْثٍ مِثْلِ السَّهَامِ نَحَافٍ ^(٤)

ارْهَبَ الْيَوْمَ إِنْ أَتَاكَ عَلَى صَيْحَةٍ مِثْلَ صَيْحَةِ الْأَحْقَافِ

إِنَّهُ اللَّيْثُ غَادِيَا وَشَجَاعٌ مُطْرَقٌ نَافِثٌ بِسَمِّ زُعَافٍ ^(٥)

وَاضِعُ السَّيْفِ فَوْقَ عَاتِقِهِ الْأَيْدِ مَنْ يَفْرِي بِهِ شُتُونُ الْقَحَافِ ^(٦)

سَوِّمَ الْخَيْلَ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمٍ بَايَعُوهُ إِلَى الطَّعَانِ خِيفَافٍ ^(٧)

اسْتَعْدُوا لِلْحَرْبِ طَاغِيَةَ الشَّامِ فَلْيَبُوهُ كَالْيَدِينِ اللَّطَافِ

ثُمَّ قَالُوا أَنْتَ الْجَنَاحُ لَكَ الرَّيْ شُ الْقُدَامَى وَنَحْنُ مِنْهُ الْخَوَافَى ^(٨)

فَانْظُرْ الْيَوْمَ قَبْلَ بَادِرَةِ الْقَوْمِ بِسَلْمٍ تَهْمٌ أَمْ بِخِلَافٍ ^(٩)

قال : فانكسر معاوية ، وقال : يا حابس ، إني لأظن هذا عينا علي ، أخرجه عنك

لثلاثا يُفْسِدُ عَلَيْنَا أَهْلَ الشَّامِ .

(١) كلمة غير واضحة في جميع الأصول .

(٢) القصيدة كاملة في كتاب صفين ٧٣ - ٧٥ .

(٣) اللحق : جمع لاحق ؛ وهو الضامر من الخيل .

(٤) صفين : « مثل الرصاف » .

(٥) الشجاع هنا : الحية .

(٦) القحاف : عظام الجمجم . والشتون : مجتمع قبائل الرأس . وفي صفين : « يذرى » .

(٧) سوم الخيل : أعلمها بعلامة .

(٨) القدامى : الريشات التي تكون في مقدمة الجناح ، الواحدة قادمة . والحوافى : ريشات إذا ضم

الطائر جناحيه خفيت . وفي اللث : « ليس القوادم كالحوافى » .

(٩) صفين : « نادية القوم » .

قال نصر : وحدّثنا عطية بن غفّ^(١) ، عن زياد بن رستم ، قال : ^(٢) كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصّة ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، وإلى محمد بن مسلمة ، دُون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإنه لم يكن أحدٌ من قريش أحبّ إلى أن يجتمع عليه الناس ^(٣) بعد قتل عثمان منك ، ثم ذكرتُ خذلك إياه ، وطعنك على أنصاره ، فتغيّرتُ لك ؛ وقد هَوّن ذلك علىّ خلافك علىّ ، ومحا عنك بعض ما كان منك ، فأعِنّا رَحِمَك اللهُ على حقّ هذا الخليفة المظالم ؛ فإنّي لست أريد الإمارة عليك ، ولكنّي أريدُها لك ؛ فإن أبيتَ كانت شوري بين المسلمين ^(٤) .

فأجابَه عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإنّ الرأي الذي أطعمك فيّ ، هو الذي صيّرك إلى ما صيرك إليه . أترك عليّا في المهاجرين والأنصار ، وطلحة والزبير وعائشة أمّ المؤمنين ، وأتبعك ؛ وأما زعمك أنّي طعنتُ علىّ ، فلمعمرى ما أنا كعليّ في الإيمان والهجرة ، ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكايته في الشركين ؛ ولكنّي عهد ^(٥) إلىّ في هذا الأمر عهدٌ ، ففزعْتَ فيه إلى الوقوف وقلت : إن كان هذا هُدًى ففضلُ تركته ، وإن كان ضلالاً فشرّ نجوت منه ، فأغنِ عَنّا نفسك ، والسلام ^(٦) .

(١) كذا في ١ ، وصفين ، وفي ب : « عناه » ، وفي ج : « مغنى » .

(٢) كتاب صفين ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) صفين : « الأمة » .

(٤) ذكر في كتاب صفين أياتنا مظهرها :

أَلَا قُلْ لِعَبْدِ اللَّهِ وَأَخْصَصْ مُحَمَّدًا وَفَارِسَنَّا أَلَمَامُونَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ

(٥) صفين : « ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله إلىّ فيه عهد » .

(٦) في كتاب صفين : « ثم قال لابن أبي غزيرة : أجب الرجل - وكان أبوه ناسكا ، وكان من أشعر قريش فقال « . . . وذكر أياتنا مظهرها :

مُعَاوِي لَا تَرْجُو الَّذِي لَسْتَ نَائِلًا وَحَاوِلُ نَصِيرًا غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

قال : وكان كتاب معاوية إلى سعد :

أما بعد ؛ فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش ؛ الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وهما شريكان في الأمر ، ونظيراك في الإسلام ، وخفت لذلك أم المؤمنين ، فلا تكرهن ما رضىوا ، ولا تردن ما قبلوا ، فإننا نردّها شورى بين المسلمين ^(١) .

فأجابه سعد :

أما بعد ؛ فإن عمر لم يدخل في الشورى إلّا من تحلّ له الخلافه من قريش ؛ فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلّا بإجماعنا ^(٢) عليه ؛ إلّا إن علياً كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه ؛ وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ؛ فأما طلحة والزبير فلولمّا بيوتهما لسان خيراً لهما ، والله يفر لأمة المؤمنين ما أتت . والسلام ^(٣) .

قال : وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة :

أما بعد ؛ فإنّ لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك ^(٤) ؛ ولكنني أردت أن أذكرك التعمّة التي خرجت منها ، والشك الذي صرت إليه ؛ إنك فارس الأنصار ، وعدّة المهاجرين ؛ وقد ادّعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع إلا أن تمضى عليه ؛ وهو أنّه نهاك عن قتال أهل القبلة ^(٥) ، أفلا نهيت أهل القبلة ^(٥) عن قتال بعضهم بعضاً ؟

(١) في كتاب صفين : ٨٣ « وقال شعرا » ؛ وذكر أبيانا أولها :

أَلَا يَا سَعْدُ قَدْ أَظْهَرْتَ شَكًّا وَشَكُّ الْمَرْءِ فِي الْأَخْذَاتِ دَاهٍ

(٢) كتاب صفين : « بإجماعنا » .

(٣) في كتاب صفين : ٨٤ : « ثم أجابه في الشعر » ، وذكر أبيانا أولها :

مَعَاوِيَ دَاوُكَ الدَّاهِ أَلْعِيَاءَ فَلَيْسَ لِمَا تَجِي بِهِ دَوَاهِ

(٤) كتاب صفين : « متابعتك » .

(٥) كتاب صفين : « الصلاة » .

فقد كان عليك أن تسكره لم ما كره رسول الله صلى الله عليه ، ألم تر عثمان وأهل الدار من أهل القبلة (١) ! فأما قومك فقد عصوا الله ، وخذلوا عثمان ، والله سائلهم وسائلك عما كان يوم القيامة . والسلام .
قال : فكتب إليه محمد بن مسلمة :

أما بعد ، فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه مثل الذى في يده ؛ قد أخبرني رسول الله صلى الله عليه بالذى هو كائن قبل أن يكون ، فلما كان كسرت سيفي ، وجلست في بيتي ، واتهمت الرأي على الدين ؛ إذ لم يصح لي معروف أمر به ، ولا منكر أنهى عنه . وأما أنت فلمعري ما طلبت إلا الدنيا ، ولا اتبعت إلا الهوى وإن تنصر عثمان ميتاً فقد خذلت حياً ، والسلام (٢) .

[مفارقة جرير بن عبد الله البجليّ لعلّ]

قد أتينا على ما أردنا ذكره من حال أمير المؤمنين عليه السلام ، مذ قدم من حرب البصرة إلى الكوفة ، وما جرى بينه وبين معاوية من المراسلات ، وما جرى بين معاوية وبين غيره من الصحابة من الاستنجاد والاستصراخ ؛ وما أجابوه به ؛ ونحن نذكر الآن ما جرى لجرير بن عبد الله عند عودته إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بمالأة معاوية عليهم ، ومفارقتهم جبهة أمير المؤمنين .

قال نصر بن مراحم : (٣) حدثنا صالح بن صدقة ، بإسناده ، قال : قال لما رجع جرير

(١) كتاب صفين : « الصلاة » .

(٢) تنمية الرسالة كما في كتاب صفين ٨٦ : « فاخرجني الله من نعمة ، ولا صبرني إلى شك ؛ إن كنت أبصرت خلاف ما تحبني به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار ، فنحن أولى بالصواب منك » .

(٣) كتاب صفين ٦٦ - ٦٨ .

إلى عليّ عليه السلام ، كثر قول الناس في التهمة لجريّر في أمر معاوية ، فاجتمع جريّر والأشتر عند عليّ عليه السلام ، فقال الأشتر : أما والله يا أمير المؤمنين ، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية ، لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى خِفاقة (١) ، وأقام عنده ؛ حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف أمره إلا سده .

فقال جريّر : لو كنت والله أتيتهم لقتلوك - وخوفه بعمرو ، وذو الكلاع ، وحوشب - (٢) وقال : إنهم يزعمون أنك من قتلة عثمان .

فقال الأشتر : والله لو أتيتهم يا جريّر لم بعيني جوابها ، ولم يشغل عليّ تحملها ، ولملت معاوية على خُطة أمّجله فيها عن الفِكر .

قال : فأنسيتهم إذاً . قال : الآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر !

وروى نصر ، عن عُمير بن وعله ، عن الشعبي قال : (٣) اجتمع جريّر والأشتر عند عليّ عليه السلام ، فقال الأشتر : أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً ، وأخبرتكَ بعداوتة وغشاه وأقبل الأشتر يشتمه ، ويقول : يا أخا بجيلة ، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان (٤) ، والله ما أنت بأهل أن تترك تمشي فوق الأرض ؛ إنما أتيتهم لتتخذَ عندهم يداً بمسيرك إليهم ، ثم رجعت إلينا من عندهم ، تهددنا بهم ، وأنت والله منهم ، ولا أرى سعيك إلا لهم ؛ لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليجبستك وأشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تَسْتَنِمَ هذه الأمور ، ويهلك الله الظالمين .

قال جريّر : وددت والله أن لو كنت مكاني بعثت ؛ إذن والله لم ترجع .

(١) صفين : « من خفاقه » . (٢) صفين : « وحوشب بن ظالم » .

(٣) كتاب صفين ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) كذا في ب وصفين ، وفي ج : « بهمدان » .

قال : فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله ، فارق علياً عليه السلام ، فلحق بقر قيساء^(١) ولحق به ناس من قسر^(٢) من قومه ، فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلاً ؛ ولكن شهدا من أحس^(٣) سبعمائة رجل .

قال نصر : وقال الأشتر فيما كان من تخويف من جرير إياه بعمره وحوشب [وذى الكلاع]^(٤) :

لعمرك يا جريرُ لقول عمرو	وصاحبه معاوى بالشام
وذى كلع وحوشب ذى ظليم	أخف على من ريش النعام ^(٥)
إذا اجتمعوا على نخل عنهم	وعن بازٍ مخالبه دواى
ولست بخائف ماخوفونى	وكيف أخاف أحلام النيام !
وهمهم الذى حاموا عليه	من الدنيا ، وهى ما أمانى ^(٦)
فإن أسلم أعمهم بحرب	يشيب لولهم رأس الغلام
وإن أهلك فقد قدمتُ أمراً	أفوز بفلجيه يوم الخصاص ^(٧)
وقد زادوا على وأوعدونى	ومن ذامات من خوف الكلام !

[نسب جرير بن عبد الله البجلي وبعض أخباره]

وذكر ابن قتيبة في " المعارف " ، أن جريراً قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قرقيساء : بلد بالحلبور عند مصبه .

(٢) قسر : رهط جرير بن عبد الله البجلي .

(٣) أحس : بطن في بجيلة .

(٤) من كتاب صفين .

(٥) صفين : « من زف النعام » . والزف : صغار ريش النعام .

(٦) ب : « وهمها » .

(٧) الفلج : تموز والانتصار .

سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان ، فبايعه وأسلم ، وكان جرير صبيح الوجه جميلاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ . وكان عمر يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وكان طوالاً يفتل في ذِرْوَةِ البعير من طوله ، وكانت نعله ذراعاً ، وكان يخضب لحيته بالزعفران من الليل ويفسلها إذا أصبح ، فتخرجُ مثلَ لون التُّبْرِ . واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية ، وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفى بالشرأة سنة أربع وخمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة ^(١) .



فأما نسبه فقد ذكره ابن الكلبي في " جَهْرَةِ الْأَنْسَابِ " ، فقال : هو جرير بن عبد الله ابن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلب بن جُشَم بن عُيُوف بن حرب بن علي بن مالك ابن سعد بن بدير بن قَسْر - واسمه ملك - بن عبقر بن أنمار بن أراش ابن عمرو بن الفوث بن نَبْت بن زيد بن كَهْلان .

ويذكر أهل السَّيَرَانِ علياً عليه السلام هَدَمَ دار جرير ودور قوم ممن خرج معه ، حيث فارق علياً عليه السلام ، منهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القَسْرِي ، كان خَتَنَهُ عَلَى ابْنَتِهِ ، وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبي أراكة قديماً ، ولعله اليوم نُسِيَ ذلك الاسم .

(١) المعارف ٢٩٢ ، وانظر طبقات فقهاء اليمن للجمدي ٤٥ ، ٤٦ .

(٤٤)

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه ، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام ، فقال :

الأصل :

قَبِحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ أَفْعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى
أَسْكَنَتْهُ ، وَلَا صَدَقَ وَاصِفُهُ حَتَّى بَكَتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ ، وَأَنْتَظَرْنَا
بِمَالِهِ وَفُورَهُ .

الهنج :

خاس به يخيس ويخوس : أى غدر به ، وخاس فلان بالعهد : أى نكث .
وقبح الله فلانا : أى نحاه عن الخير ، فهو مقبوح .

والتبكيث ، كالتقريع والتمنيف . والوفور . مصدر وفر المال : أى تم ، ويحيى
متعدياً . ويروى «موفوره» ، والموفور : التام ، وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

يَا مَنْ مَسَدَحَاهُ فَأَكْذَبْنَا بِقَعَالِهِ وَأَثَابْنَا خَجَلًا
يُرْدَا قَشِيْبًا مِنْ مَدَائِحِنَا مُرْبِلَتْ فَارْدُدُهُ لَنَا سَمَلًا^(١)
إِنَّ التَّجَارِبَ تَهْتِكُ الْمُسْتَوْرَمِينَ أَبْنَاهَا وَتُبْهِرُجُ الرَّجُلَا

[نسب بنى ناجية]

فأما القول في نسب بنى ناجية ؛ فإنهم ينسبون أنفسهم إلى سامة بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . وقريش تدفعهم عن هذا النسب ، ويسمونه بنى ناجية - وهى أمهم - وهى امرأة سامة بن لؤى بن غالب ، ويقولون : إن سامة خرج إلى ناحية البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤى فى مُماظة^(١) كانت بينهما ، فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب ، فعلق بمشفرها أفعى ، ثم عطفت على قتبها فحكته به ، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله ، فقال أخوه كعب بن لؤى يرثيه^(٢) :

عين جودى لسامة بن لؤى
علقت ساق سامة العلاقة^(٣)
رب كأس هرقتها ابن لؤى
حذر الموت لم تكن مهراقة

قالوا : وكانت معه امرأته ناجية ، فلما مات تزوجت رجلا فى البحرين ، فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير ، فلما ترعرع طمعت أمه أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤى بن غالب ، فركل من البحرين إلى مكة ومعه أمه ، فأخبر كعب ابن لؤى أنه ابن أخيه سامة ، فعرف كعب أمه ناجية ، فظن أنه صادق فى دعواه ، فقبله ومكث عنده مدة ؛ حتى قدم مكة ركب من البحرين ؛ فرأوا الحارث ، فسلموا عليه ، وحادثوه ، فسألهم كعب بن لؤى : من أين يعرفونه ؟ فقالوا : هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان ، وشرحواله خبره ، فنفاه كعب عن مكة ونفى أمه ، فرجعا إلى البحرين ، فكانا هناك ، وتزوج الحارث ، فأعقب هذا العقب .

(١) المماظة : المحاصرة والمنازعة .

(٢) ويرى أن قاله هذا الشعراء أزدية كان سامة نزل بزوجهما ، فى خبر وأبيات أخرى ذكره صاحب اللسان

فى ١٢ : ١٩٥ (٣) العلاقة : النية .

وقال هؤلاء : إنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَمَى سامة لم يُعَقِّب »^(١) .

وزعم ابن الكلبي أن سامة بن لؤي ولد غالب بن سامة ، والحارث بن سامة - وأم غالب ابن سامة ناجية - ثم هلك سامة ، خلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، نكاح مَقت^(٢) ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعَقِّبَا ؛ وإن قوما من بني ناجية بن جرهم بن ربان بن عِلاف ، ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ، ونسبوها هذا النسب ، واثموا إلى الحارث بن سامة ، وهم الذين باعهم على عايه السلام على مصقلة بن هُبيرة . وهذا هو قول المهيم بن عدى . كل هذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في " كتاب الأغاني الكبير " ،^(٣) .

ووجدت أنا في " جهرة النسب " لابن الكلبي كلاما قد صرح فيه بأن سامة بن لؤي أعقب ، فقال : ولد سامة بن لؤي الحارث - وأمهم هند بنت تميم - وغالب بن سامة - وأمهم ناجية بنت جرهم بن ربان ، من قضاة ، فهلك غالب بعد أبيه ؛ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فولد الحارث بن سامة لؤيا وعبيدة وربيعة وسعدا ، وأمهم سلمى بنت تميم بن شيبان ابن محارب بن فهر وعبد البيت ، وأمهم ناجية بنت جرهم ، خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مَقت ، فهم الذين قتلهم على عليه السلام .

قال أبو الفرج الأصفهاني : أما الزبير بن بكار ، فإنه أدخلهم في قریش ؛ وهم قریش العازبة ، قال : وإنما سُموا العازبة ؛ لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرهم بن ربان بن عِلاف ، وهو أول من اتخذ الرحال العِلافية ، فسببت إليه ،

(١) بقية المبركا في الأغاني : « وكان بنو ناجية ارتدوا عن الإسلام ، ولما ولي على بن أبي طالب رضى عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الردة ، فسبهم واسترقهم ، فاشترى مصقلة ابن هبيرة منه ، وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزمه الثمن ، فشعت على بن أبي طالب شيئا من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قتل على بن أبي طالب رضى الله عنه » .

(٢) نكاح اللقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه لإدخالها أو مات عنها ؛ وكان يفعل في الجاهلية وحرمة الإسلام .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٠٥ - ٢٠٧ (طبعة الدار) .

واسم ناجية ليلي ؛ وإنما سميت ناجية ، لأنها سارت مع سامة في مفازة ، فمطشت ، فاستقته ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يُريها السراب ؛ حتى أتت إلى الماء فشربت ، فسميت ناجية .

قال أبو الفرج : ولزير بن بكار في إدخالهم في قريش مذهب ؛ وهو مخالفة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وميله إليهم ، لإجماعهم على بفضه عليه السلام ، حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

[نسب علي بن الجهم وذكر طائفة من أخباره وشعره]

ومن المنسبين إلى سامة بن لؤي علي بن الجهم الشاعر ، وهو علي بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كزاز بن كعب بن جابر بن مالك ابن عتبة^(١) بن الحارث بن عبدالمطلب بن سامة بن لؤي بن غالب .

هكذا ينسب نفسه ، وكان مبيضا لعلي عليه السلام ، ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء الطالبين وذم الشيعة ، وهو القائل :

وَرَأْفِضَةٍ تَقُولُ بِشِعْبِ رَضْوَى : إِمَامٌ ، خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامٍ^(٢)

إِمَامٌ مِنْ لَهُ عَشْرُونَ أَلْفًا مِنْ الْأَتْرَاكِ مُشْرَعَةَ السَّهَامِ

وقد هجاه أبو عبادة البحتري ، فقال فيه :

إِذَا مَا حُصِّلَتْ عَلِيًّا قُرَيْشٍ فَلَا فِي الْمِيرِ أَنْتَ وَلَا النَّفِيرِ^(٣)

وَلَوْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا مَعْنَى لَزَادَ الْخَلْقَ فِي عِظَمِ الْأَيُّورِ

(١) في الأغاني : « عينية » .

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٠٥ .

(٣) ديوانه ٢ : ١٠٣٨ (دار المعارف) ، والأغاني ١٠ : ٢٠٦ .

وما الجهمُ بنُ بَذْرِ حِينَ يُمَزَى من الأقسارِ تمّ ولا البُدُورِ^(١)
 عَلَامَ هَجُوتَ مَجْتَهِداً عَلِيّاً بما لَفَقْتَ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ !
 أَمَّا لَكَ فِي اسْتِكَ الْوَجَمَاءُ شُغْلٌ بِكَفُّكَ عَنْ أَذَى أَهْلِ الْقُبُورِ !

وسمع أبو العيناء عليّ بن الجهم يوماً يطعن على أمير المؤمنين ، فقال له : أنا أدري لم
 تطعن على أمير المؤمنين ! فقال : أتني قصّة يبيعه أهلي من مصقلة بن هبيرة ؟ قال : لا ،
 أنت أوضع من ذلك ؛ ولكنته عليه السلام قتل الفاعل من قوم لوط ، والمفعول به ،
 وأنت أسفلهما .

ومن شعر عليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل^(٢) :

ألم ترَ مُظْهِرِينَ عَلِيَّ عَتَباً^(٣) وَهُمْ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّغَاءِ
 قَلَمًا أَنْ بُلِيَتْ غَدَاوًا وَرَاحُوا^(٤) عَلَيَّ أَشَدَّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ
 أَبْتَ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي بِمَالٍ أَوْ بِجَاهٍ أَوْ ثَرَاءٍ^(٥)
 وَخَافُوا أَنْ يُقَالَ لَهُمْ : خَذَلْتُمْ صَدِيقًا ، فَادَّعَوْا قِدَمَ الْجَفَاءِ
 تَظَافَرَتْ الرَوَافِضُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الْإِعْزَالِ عَلَيَّ هِجَاؤِي

(١) الديوان والأغاني : « ومارغناؤك » وفي حواشي الأغاني : « الرغناء أصلها عصب أو عرق في
 الثدي يدر اللبن ؛ واستعملها البحري هنا في الأب » .

(٢) من قصيدة طويلة في ديوانه ٨١ - ٨٥ ؛ وفي الأغاني ١٠ : ٢٠٦ - ٢٠٨ : « كان علي بن
 الجهم قد هجا بختيشوع ، فسبه عند المتوكل ، فحبسه المتوكل ، فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد
 كتب بها إلى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ثم فاهم بعد ذلك إلى خراسان . فقال أول ما حبس قصيدة كتب
 بها إلى أخيه ؛ أولها قوله :

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ

ثم أورد القصيدة .

(٣) الأغاني : « عيا » ، والديوان : « غشا » .

(٤) الديوان : « بليت بنكة فدوا وراحوا » .

(٥) الديوان : « براء » ، وقال في شرحه : الرأى : الرأي .

وَعَابُونِي وَمَا ذَنْبِي إِلَيْهِمْ سِوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الزُّنَاءِ
يعنى بالروافض : نجاح بن مسلمة^(١) ، والنصارى بـخَيْشُوع^(٢) ، وأهل الاعتزال
على^(٣) بن يحيى بن المنجم^(٤) .

قال أبو الفرج : ^(٥) وكان على بن الجهم من الحشوية^(٦) ، شديد النصب^(٧)
عدوًّا للتوحيد والعدل ؛ فلما سَخِطَ للتوكل على أحمد بن أبي دُوَادٍ وكفأه^(٨) ، شتمت
به على بن الجهم ، فهجاه ، وقال فيه^(٩) :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ دَعْوَةٌ بَعَثْتُ عَلَيْكَ جَنَادِيًّا وَحَدِيدًا^(١٠)
مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي مَمِيَّتْهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ - الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ
أَفْضَلُ أَمْرِ الدِّينِ حِينَ وَلِيَّتْهُ وَرَمَيْتَهُ بِأَبِي الْوَلِيدِ وَلِيدًا

(١) نجاح بن مسلمة ؛ كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في عهد التوكل ؛ فكان جميع العمال
يتقونه ؛ وكان التوكل ربما ناداه ؛ وتوفي منكوباً سنة ٢٤٥ . تاريخ الطبرى (وفيات سنة ٢٤٥) .
(٢) هو بخيشوع بن جبريل بن بخيشوع الأكبر المتطبب .
(٣) على بن يحيى بن أبي متصدر النجم ، نديم التوكل وأحد خواصه المتقدمين عنده ؛ توفي سنة ٢٧٥ .
ابن خلكان ١ : ٣٥٦ .

(٤) في طبقات الشراء لابن المعتز ٣٢٠ : « وإنما عني بالروافض الطاهريين ؛ وبأهل الاعتزال بنى
دواد ، وبالنصارى بخيشوع بن جبريل ؛ فإنه كان يعاديه » .
(٥) الأغاني ١٠ : ٢١٧ .

(٦) الحشوية : فرقة من المرجئة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ؛ وعندهم أن تارك النفل كتارك
الفرض ، تفسير القرطبي ٤ : ١٦٢ .

(٧) النواصب : قوم يتدينون ببغضة على . (٨) كفأه ، أى طرده وأبعد .
(٩) ذكر صاحب الأغاني في هذا الخبر أنه لما حبس التوكل على بن الجهم مدح أحمد بن أبي دواد عدة مدائح ،
وسأله أن يقوم بأمره ؛ منها قوله :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ إِنَّمَا تَدْعِي لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَافُ لَا تَنْفَدُ
أَنْتُمْ بَنُو عِمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

فلم يفعل وقعد عنه ؛ فلما نفي التوكل أحمد بن أبي دواد شتم به على بن الجهم ، وهجاه بهذه الأبيات
(١٠) ديوانه ١٢٥ ، ١٢٦ .

— أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد ، وكان رتبته قاضياً^(١) —

لَا مُحْكَمًا جَلَدًا وَلَا مُسْتَظَرَفًا كَهَلًا وَلَا مُسْتَحْدَثًا مُحْمُودًا^(٢)
 شَرِّهَا إِذَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ وَالْعَلَا ذَكَرَ الْقَلَابَا مُبْدَثًا وَمَعِيدًا^(٣)
 وَيَوَدُّ لَوْ مُسِيحَتْ رَيْبُهُ كُلُّهَا وَبَنُو إِيَادٍ صَحْفَةً وَثَرِيدًا
 وَإِذَا تَرَبَّعَ فِي الْمَجَالِسِ خِلْتُهُ صَبَمًا وَخِلْتُ بَنِي أَبِيهِ قُرُودًا
 وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا شَبَهْتُهُ شَرِيفًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدُودًا
 لَا أَصْبَحَتْ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصَرَتْ تِلْكَ الْمُنَاخِرَ وَالْثَنَائَا السُّودَا
 وَقَالَ يَهْجُوهُ لَمَّا قُلِجَ^(٤) :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سَوَى خِيَالِكَ لَامِعًا فَوْقَ الْفِرَاشِ مُمَهَّدًا بُوَسَادٍ
 فَرَحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَرْبَةِ كُلُّهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِفًا بِمَعَادٍ
 كَمْ مَجْلِسٍ لَلَّهِ قَدْ عَطَلْتُهُ كَى لَا يَحْدُثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
 وَلَكُم مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأَتْهَا حَتَّى تَحِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَهَادَى^(٥)
 وَلَكُم كَرِيمَةٌ مَعَشَرٍ أَرْمَلَتْهَا وَحُدُثٍ أَوْثَقَتْ فِي الْأَفْيَادِ
 إِنَّ الْأَسَارَى فِي السَّجُونِ تَفَرَّجُوا لَمَّا أَتَاكَ مَوَاكِيبُ الْعَوَادِ
 وَغَدَا الْمَصْرَعُ الطَّيِّبُ فَلَمْ يَحِذْ لِدَوَاءِ دَائِكَ حِيلَةً لِمُرْتَادِ
 فَذُقِ الْمَهْوَانَ مَعْجَلًا وَمُؤَجَّلًا وَاللَّهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ
 لَا زَالَ فَأَجْلِكَ الَّذِي بَكَ دَائِمًا وَفُجِعَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

(١) وكان يتولى للظالم سرا بسا مراء ، وعزله التوكل سنة ٢٣٧ .
 (٢) الديوان والأغاني : « لا محكمًا جزلاً » والجزل هنا : الجيد الرأي .
 (٣) القلایا : اللغيات ؛ مفردة قلية .
 (٤) ديوانه ١٢٨ ، ١٢٩ ، والأغاني ١٠ : ٢٢٩ .
 (٥) الأغاني : « حتى يزول عن الطريق الهادي » .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "الأغاني"، في ترجمة مروان بن أبي حفصة^(١) الأصغر أن علي بن الجهم خطب امرأة من قریش، فلم يزوجه، وبلغ المتوكل ذلك، فسأل عن السبب، فحدث بقصة بنی سامة بن لؤي، وأن أبا بكر وعمر لم يَدْخُلَا في قریش، وأن عثمان أدخلهم فيها، وأن علياً عليه السلام أخرجهم منها، فارتدوا، وأنه قتل من ارتد منهم، وسبى بقيتهم، فباعهم من مصقلة بن هبيرة، فضحك المتوكل، وبعث إلى علي بن الجهم فأحضره، وأخبره بما قال القوم، وكان فيهم مروان بن أبي حفصة المكنى بأبا السمط وهو مروان الأصغر، وكان المتوكل يغريه بعلي بن الجهم، ويضعه على هجائه وتلبيه، فيضحك منهما، فقال مروان :

إِنْ جَهْمًا حِينَ تَنْسُبُهُ لَيْسَ مِنْ عُنْجَمٍ وَلَا عَرَبٍ
لَجَّ فِي شَتَّى بَلَا سَبَبٍ سَارِقٌ لِلشَّعْرِ وَالنَّسَبِ
مِنْ أَنْاسٍ يَدْعُونَ أَبَا مَالَهُ فِي الدَّاسِ مِنْ عَقَبِ

فغضب علي بن الجهم، ولم يجبه، لأنه كان يستحقه، فأوماً إليه المتوكل أن يزيد، فقال :

أَنْتُمْ يَا بَنَ جَهْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ بَاعُواكُمْ مَنْ تُرِيدُ
أَرْجُو أَنْ تَكَاثُرَ نَاجِهَاراً بِأَصْلِكُمْ وَقَدْ بَاعَ الْجُدُودُ

فلم يجبه ابن الجهم، فقال فيه أيضاً :

عَلَى تَعَرَّضْتَ لِي ضَلَّةً لَجْهَكَ بِالشَّعْرِ يَا مَاتِقُ^(٢)
تَرُومُ قُرَيْشًا وَأَنْسَابَهَا وَأَنْتَ لَأَنْسَابِهَا سَارِقُ
فَإِنْ كَانَ سَامَةٌ جَدًّا لَكُمْ فَأَمَّاكَ مِنِّي إِذَا طَائِقُ

(١) لم أجد هذا الخبر وهذا الشعر فيما طبع من كتاب الأغاني .

(٢) اللائق : الأحق .

[نسب مَصْقَلَة بن هُبيرة]

فَأَمَّا نَسَبُ مَصْقَلَة بن هُبيرة ، فَإِنَّ ابْنَ الْكَلْبِيِّ ، قَدْ ذَكَرَهُ فِي " جَهْرَةِ النِّسَبِ " ،
فَقَالَ : هُوَ مَصْقَلَة بن هُبيرة بن شَيْبَل بن يَثْرُبَ بن اِمْرِيءُ الْقَيْسِ بن رَيْبَعَة بن مَالِكِ بن
ثَعْلَبَة بن شَيْبَانَ بن ثَعْلَبَة بن عُسْكَابَة بن صَعْبِ بن عَلِيّ بن بَكْرِ بن وَائِلِ بن قَاسِطِ بن
هَنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْيَى ، بن جَدِيلَة بن أَسَدِ بن رَيْبَعَة بن نَزَارِ بن مَعَدَة بن عَدْنَانَ .

[خبر بني ناجية مع عليّ]

وَأَمَّا خِبرُ بَنِي نَاجِيَة مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ إِبْرَاهِيمُ بن هَلَالِ الثَّقَفِيِّ
فِي كِتَابِ " الْفَارَاتِ " ، قَالَ :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَانَ ، عَنْ نَصْرِ بن مَزَاحِمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بن سَعْدٍ ،
عَنْ حَدِثِهِ مَنْ أَدْرَكَ أَمْرَ بَنِي نَاجِيَة ، قَالَ : لَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلِيًّا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، دَخَلُوا
فِي الطَّاعَةِ غَيْرَ بَنِي نَاجِيَة ، فَإِنَّهُمْ عَسَّكَرُوا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِهِ فِي خَيْلٍ لِيَقَاتِلَهُمْ ، فَأَتَاهُمْ ، فَقَالَ : مَا بَالُكُمْ عَسَّكَرْتُمْ ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي الطَّاعَةِ
غَيْرَكُمْ أَفَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا ، وَدَخَلْنَا فِيمَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ
مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَنَحْنُ نَبَايِعُ كَمَا بَايَعَ النَّاسُ ؛ فَأَمَرَهُمْ فَأَعْتَزَلُوا . وَفِرْقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَلَمْ نَسْلَمْ ،
وَخَرَجْنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا ؛ قَهَرُونَا فَأَخْرَجُونَا كَرَاهًا ، فَخَرَجْنَا مَعَهُمْ فَهَزَمُوا ،
فَنَحْنُ نَدْخُلُ فِيمَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ ، وَنُعْطِيكُمْ الْجِزْيَةَ كَمَا أُعْطِيَانَا ؛ فَقَالَ : اعْتَزَلُوا فَأَعْتَزَلُوا .
وَفِرْقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا فَلَمْ يُعْجِبْنَا الْإِسْلَامُ ، فَرَجَعْنَا إِلَى النِّصْرَانِيَةِ ، فَنَحْنُ نُعْطِيكُمْ
الْجِزْيَةَ كَمَا أُعْطَاكُمْ النَّصَارَى . فَقَالَ لَهُمْ : تَوَبُّوا وَارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَبَوْا ، فَاقْتُلُوا مُقَاتِلَتَهُمْ
وَسَبَّ ذُرَارِيَهُمْ ، وَقَدَّمْ بِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

[قصة الخريّتين بن راشد الناجيّ وخروجه على عليّ]

قال ابن هلال الثقفى : وروى محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن أبي سيف ، عن الحارث ابن كعب الأزديّ ، عن عمّه عبد الله بن قُعين الأزديّ ، قال : كان ^(١) الخريّتين بن راشد الناجيّ ، أحد بنى ناجيّة ، قد شهد مع عليّ عليه السلام صقيّين ، فجاء إلى عليّ عليه السلام بعد انقضاء صقيّين ، وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه ، يمشى بينهم حتى قام بين يديه ، فقال : لا والله لا أطيعُ أمرَكَ ، ولا أصلى خَلْفَكَ ، وإني غدا لمفارق لك ؛ فقال له : تَكَلَّمْتَ أَمَّاكَ ! إِذَا تَنَقَّضَ عَهْدُكَ ، وَتَعَصَّى رَبَّكَ ، وَلَا تَضُرَّ إِلَّا نَفْسَكَ ، أَخْبِرْنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ! قَالَ : لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ ، وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ إِذْ جَدَّ الْجَدُّ وَرَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنَا عَلَيْكَ رَادٌّ ، وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ ، وَلَكُمْ جَمِيعًا مَبَايِنٌ .

فقال له عليّ عليه السلام : وَيَحْتَكِ ! هَلَمْ إِلَى أَدَارِسِكَ وَأَنَاظِرِكَ فِي الشَّنِّ ، وَأَفَاتَحَكَ أُمُورًا مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ ؛ فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ مَا أَنْتَ الْآنَ لَهُ مُنْكَرٌ ، وَتُبْصِرُ مَا أَنْتَ الْآنَ عَنْهُ عَمٌّ وَبِهِ جَاهِلٌ ، فَقَالَ الْخَرِيَّتُ : فَإِنِّي غَادٍ عَلَيْكَ غَدًا . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اغْدُ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ، وَلَا يَتَحَمَّنَنَّ بِكَ رَأْيُ السُّوءِ ، وَلَا يَسْتَخَفَّنَنَّ الْجُهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِ اسْتَرَشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ .

فخرج الخريّتين من عنده مُنْصَرِفًا إِلَى أَهْلِهِ .

قال عبد الله بن قُعين : فَعَجَلْتُ فِي أَثَرِهِ مُسْرِعًا ، وَكَانَ لِي مِنْ بَنِي عَمِّهِ صَدِيقٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَمِّهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَعْلَمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَرَ ابْنَ عَمِّهِ أَنْ يَشْتَدَّ بِلِسَانِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُنَاصَحَتِهِ ، وَيَخْبِرَهُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ فِي طَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ .

قال : فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ - وَقَدْ سَبَقَنِي - فَقَعْتُ عِنْدَ بَابِ دَارِ فِيهَا رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا مَعَهُ دُخُولَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعُ

(١) وانظر الخبر أيضاً في تاريخ الطبري : ١١٣ وما بعدها .

ولا نديم على ما قال لأمر المؤمنين وما ردّ عليه ، ولكنه قال لهم : يا هؤلاء ، إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل ، وقد فارقت على أن أرجع إليه من غدٍ ، ولا أرى إلا المفارقة ؛ فقال له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتيه ، فإن أتاك بأمرٍ تعرفه قبلت منه ، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه ! قال لهم : نعمَ ما رأيتم ؛ قال : فاستأذنت عليهم فأذنوا لي ، فأقبلت على ابن عمه - وهو مدرك بن الريان الناجي - وكان من كبار العرب - فقلت له : إن لك عليّ حقاً لإحسانك ووُدّك وحقّ المسلم على المسلم^(١) . إن ابن عمك كان منه ما قد ذُكر لك ، فاخلُ به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى ؛ واعلم أنّي خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يفتلك ونفسه وعشيرته فقال : جزاك الله خيراً من أيّخ ! إن أراد فراق أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك هلاكه ، وإن اختار مُناصحته والإقامة معه ففي ذلك حفظه ورُشدّه .

قال : فأردت الرجوع إلى عليّ عليه السلام ، لأعلمه الذي كان ؛ ثم اطمأنت إلى قول صاحبي ، فرجعت إلى منزلي ، فبت ثم أصبحت ، فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ، فجلست عنده ساعة ، وأنا أريد أن أحدثه بالذي كان عليّ خلوة ، فأطلت الجلوس ، ولا يزداد الناس إلا كثرة ، فدنوت منه ، فجلست وراءه ، فأصغى إلى برأسه ، فأخبرته بما سمعته من الخريّت ، وما قلت لابن عمه وما ردّ عليّ ، فقال عليه السلام : دعه ؛ فإن قبيل الحقّ ورجع عرفنا له ذلك وفبلناه منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه ؟ فقال : إنّا لو فعلنا هذا بكلّ من يُتهم من الناس ملأنا السجون منهم ، ولا أراي يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يُظهروا لي الخلاف .

قال : فسكت عنه وتنحيت ، فجلست مع أصحابي هنيئة ، فقال لي عليه السلام :

(١) في الطبري : « بعد حق المسلم على المسلم » .

أذن مِنِّي ، فدنوت ، فقال لي مُسِرًّا : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل ؛ فإنه قلَّ يومٌ لم يكن يأتيني فيه قبل هذه الساعة ، فأتيتُ إلى منزله ، فإذا ليس في منزله منهم ديار ، فدرتُ على أبواب دور أخرى ، كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها دايع ولا مجيب . فأقبلتُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي حين رآني : أوطنوا^(١) ، فأقاموا ، أم جبنوا فظعنوا ؟ قلت : لا بل ظعنوا ، فقال : أبعدهم الله كما بعثت نود ! أما والله لو قد أشعَّت لهم الأسيئة ، وصُبت على هامهم السيوف ، لقد نَدِموا ؛ إن الشيطان قد استهوهم وأضلهم ، وهو غداً متبرئ منهم ، ومُخْلٍ عنهم ؛ فقام إليه زياد بن خَصَفَة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لو لم يكن من مَضَرَّة هؤلاء إلَّا فراقهم إيانا لم يعظم ققدم علينا ، فإنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا ، ولكنا نخاف أن يُفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك ؛ فائذن لي في اتباعهم حتى أردم عليك إن شاء الله .

فقال له عليه السلام : فاخرج في آثارهم راشداً ؛ فلما ذهب ليخرج قال له : وهل تدري أين توجه القوم ؟ قال : لا والله ؛ ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر ، فقال : اخرج رحلك الله حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمرى ؛ فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة ؛ فإن عمالي ستكتب إلي بذلك ، وإن كانوا متفرقين مستخفين ؛ فذلك أخفى لهم ، وسأكتب إلي من حوли من عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قَرِئ عليه كتابي هذا من العمال ، أما بعد ، فإن رجلاً لنا عندهم تبعه ، خرجوا هُرَّاباً نظنهم خرجوا نحو بلاد البصرة ، فأسأل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ، ثم اكتب إلي بما ينتهي إليك عنهم . والسلام .

(١) وطن بالمكان ، أى أقام ، وانظر تاريخ الطبري ٥ : ١١٥ .

نفرج زياد بن خَصَفَة حتّى أتى داره ، وجمع أصحابه فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
يا معشر بكر بن وائل ؛ إن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أموره مهم له ، وأمرني بالانكماش
فيه بالعشيرة ؛ حتى آتى أسره ؛ وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوثق حتى من أحياء العرب في
نفسه ، فاتدبروا معي الساعة ، وتجلوا . فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليهم مائة وثلاثون
رجلا ، فقال : اكتفينا لا نريد أكثر من هؤلاء ؛ نفرج حتى قطع الجسر ،
ثم أتى دير أبي موسى فنزله ، فأقام به بقية يومه ذلك ، ينتظر أمر أمير المؤمنين
عليه السلام .

قال إبراهيم بن هلال : فحدثني محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، عن أبي
الصلت التيمي ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن وأل التيمي ، قال : إني لعند
أمير المؤمنين ؛ إذا فيج^(١) قد جاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب بن عمرو الأنصاري - وكان
أحد عماله - فيه :

لعبد الله على أمير المؤمنين من قرظة بن كعب ، سلام عليك ؛ فإني أتحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد :

فإني أخبر أمير المؤمنين ، أن خيلا مرت من قبل الكوفة متوجهة [نحو نهر] ^(٢) وأن رجلا
من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلى ، يقال له : زاذان فروخ ؛ أقبل من عند أخوال له
فلقوه ، فقالوا له : أأسلم أنت أم كافر ؟ قال : بل مسلم ، قالوا : فما تقول في علي ؟ قال : أقول
فيه خيرا ؛ أقول : إنه أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البشر ووصي رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقالوا : كفرت يا عدو الله ! ثم حملت عليه عصا به منهم ، ففقطوه بأسيا فهم ،
وأخذوا معه رجلا من أهل الذمة يهوديا ، فقالوا له : ما دينك ؟ قال : يهودي ، فقالوا :

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله ؛ فارسي معرب « بيك » . تاج المروس ٢ : ٨٩ .

(٢) تكملة من تاريخ الطبري . ونهر : بلدة على نهر النرس .

خَلُّوا سَبِيلَ هَذَا ، لَسَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا ذَلِكَ الدِّمَى ، فَأَخْبَرَنَا الْخَبِيرُ ، وَقَدْ سَأَلَتْ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يُخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ ، فَلِيَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ بِرَأْيِ أُنْتَهٍ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَابِدُ ؛ فَقَدْ فَهَمْتُ مَا مَذَكَّرْتَ مِنْ أَمْرِ الْعَصَابَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِعَمَلِكَ ، فَقَتَلْتَ الْبِرَّ الْمُسْلِمَ ، وَأَمِنْ عِنْدَهُمُ الْخَالَفُ الْمَشْرُوكُ^(١) ؛ وَإِنْ أَوْلَيْتَ قَوْمَ اسْتِهْوَامِ الشَّيْطَانِ فَضْلًا ، كَالَّذِينَ حَسَبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ، فَأَسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تُنْخَبَرُ^(٢) أَعْمَالُهُمْ أَلَّا تَزِمَ عَمَلَكَ وَأَقِيلَ عَلَى خَرَابِكَ ؛ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ ، وَالسَّلَامُ .
قال : فَكُتِبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصَّفَةَ ، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلِ التَّمِيمِيِّ ، كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَنْزِلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ؛ وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ أَخَذُوا نَحْوَ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى السَّوَادِ ، فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ وَوَسَّلَ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُسْلِمًا مُصَلِّيًّا ، فَإِذَا أَنْتَ لَحَقْتَ بِهِمْ فَارْدُدْهُمْ إِلَيَّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَنَاجِزْهُمْ ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ ، وَسَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ . وَالسَّلَامُ .

قال عبد الله بن وائل : فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ فَضِيزٌ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا أَمْضَى مَعَ زِيَادِ بْنِ خَصَّفَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، إِذَا دَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَكَ ؟ فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَفْعَلُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ وَأَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قال : فَوَاللَّهِ مَا أَحَبَّ أَنْ لِي بِمَقَالَتِهِ

(١) الطبري : « الكافر » .

(٢) كذا في ج والطبري ، وفي أ ، ب : « تحشر » .

تلك مُحَرَّرَ النِّعَم ، فقلت له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا وَاللَّهُ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلَئِكَ ؛ أَنَا وَاللَّهُ
حيث نَحْبَهُ .

ثم مضيت إلى زياد بالكتاب ، وأنا على قَرَسٍ رَائِعٍ كَرِيمٍ ، وَعَلَى السِّلَاحِ ، فَقَالَ لِي
زِيَادُ : يَا بَنَ أَخِي ، وَاللَّهُ مَالِي عَنْكَ مِنْ غَنَى ^(١) ، وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ مَعِيَ فِي وَجْهِ هَذَا ،
فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ اسْتَأْذَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي ، فَسُرُّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا
الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ ، فَقِيلَ : أَخَذُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ فَلَحَقْنَاهُمْ ؛ وَهُمْ نَزَلُوا
بِالْمَدَائِنِ ، وَقَدْ أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَقَدْ اسْتَرَا حَوَاوَعَلَفُوا خِيُولَهُمْ ، فَهَمَّ جَاثُونَ مَرِيحُونَ ،
وَأَتَيْنَاهُمْ وَقَدْ تَقَطَّعْنَا وَلَبِينَا وَنَصِينَا ؛ فَلَمَّا رَأَوْنَا وَثَبُوا عَلَى خِيُولِهِمْ ، فَاسْتَوُوا عَلَيْهَا ، فَجَنَّا حَتَّى
انْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ ؛ فَنَادَى الْخُرَيْتُ بْنُ رَاشِدٍ : يَا عَمِيانَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ، أَمَعَ اللَّهُ وَكِتَابَهُ أَنْتُمْ
أَمْ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ خَصَمَةَ : بَلْ مَعَ اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَعَ مَنْ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ آثَرُهُ عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا ثَوَابًا وَلَوْ أَنَّهَا مِنْذُ يَوْمِ خَلَقَتْ إِلَى يَوْمِ تَفْنَى لَأَثَرًا لِلَّهِ
عَلَيْهَا . أَيُّهَا الْعُمَى الْأَبْصَارُ ، الصَّمُّ الْأَمْعَامُ !

فَقَالَ الْخُرَيْتُ : فَأَخْبِرُونَا مَا تَرِيدُونَ ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ - وَكَانَ مَجْرَبًا رَفِيقًا : قَدْ تَرَى
مَا بَقِيَ مِنَ النَّصَبِ وَاللَّغُوبِ ^(٢) ، وَالَّذِي جَنَّا لَهُ لَا يَصْلُحُ فِيهِ الْكَلَامُ عِلَانِيَةً عَلَى رَسُولِ
أَصْحَابِكَ ؛ وَلَكِنْ تَنْزِلُونَ وَتَنْزِلُ ، ثُمَّ نَخْلُو جَمِيعًا ، فَتَنْذَاكِرُ أَمْرَنَا وَنَنْظُرُ فِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ
فِيمَا جَنَّا لَهُ حِظًّا لِنَفْسِكَ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ فِيمَا أَسْمَعُ مِنْكَ أَمْرًا أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكَ
لَمْ أَرَدَهُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْخُرَيْتُ : انْزِلْ ، فَانْزِلْ ، فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا زِيَادُ ، فَقَالَ : انْزِلُوا عَلَى هَذَا الْمَاءِ ، فَأَقْبَلْنَا حَتَّى
انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ ، فَنَزَلْنَا بِهِ ، فَهُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا فَتَفَرَّقْنَا ، فَتَحَقَّقْنَا عَشْرَةَ وَتِسْعَةً وَثَمَانِيَةً وَسَبْعَةً ،
تَضَعُ كُلُّ حَلْقَةٍ طَعَامَهَا بَيْنَ أَيْدِيهَا ، لَنَا كُلٌّ ثُمَّ تَقُومُ إِلَى الْمَاءِ فَتَشْرَبُ .

(٢) الطبري : « من السقوب والغوب » .

(١) الطبري : « غناء » .

وقال لنا زياد : علقوا على خيولكم ، فعلقنا عليها مغلّياًها ، ووقف زياد في خمسة فوارس ؛ أحدهم عبد الله بن وائل بيننا وبين القوم ، وانطلق القوم ففتحوا ، فزلاوا وأقبل إلينا زياد ، فلما رأى تفرقنا ومحلّقنا ، قال : سبحان الله ! أنتم أصحاب حرب ! والله لو أنّ هؤلاء جاءوكم الساعة على هذه الحالة ما أرادوا من غيرتكم أفضل من أعمالكم التي أنتم عليها ؛ عجّلوا ، قوموا إلى خيولكم . فأسرعنا فتنا من يتوضأ ، ومنا من يشرب ، ومتماّن يسقى فرسه ؛ حتى إذا فرغنا من ذلك أتينا زيادا ، وإن في يده لمرقاً^(١) ينهسه ، فنهس منه نهستين أو ثلاثة ، ثم أتى بإداوة فيها ماء ، فشرّب ثم ألقى العرق من يده ، وقال : يا هؤلاء ؛ إنا قد لقينا العدو ، وإنّ القوم لفي عدتكم ، ولقد حرّرتهم فما ظنّ أحد الفريقين يزيد على الآخر خمسة نفر ؛ فأتى أرى أمرهم سيصير إلى القتال ؛ فإن كان ذلك فلا تكونوا أحجز الفريقين .

ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم بعنان فرسه ، فإذا دنوت منهم وكلت صاحبهم ، فإن تابعتني على ما أريد ؛ وإلا فإذا دعوتكم فاستوثقوا على متون خيلكم ، ثم أقبلوا معاً غير متفرقين . ثم استقدم أماننا وأنا معه ، فسمعت رجلاً من القوم يقول : جاءكم القوم وهم كاللؤلؤ مغيون ، وأنتم جاثون ^(٢) مريحون ^(٣) ؛ فتركتهموهم حتى نزلوا فأكلوا وشربوا ، وأراحوا دوابهم ؛ وهذا والله سوء الرأي .

قال : ودعا زيادَ صاحبهم الخَرَبَتَ ، فقال له : اعتزلْ ننظر في أمرنا ، فأقبل إليه في خمسة نفر ؛ فقلتُ لزياد : أَدْعُوكَ ثلاثةَ نَفَرٍ من أصحابنا ؛ حتى نَلْقَاهُمْ في عَدَدِهِمْ ؟ فقال : ادع مَنْ أَحْبَبْتَ . فدعوت له ثلاثة ؛ فسكنا خمسة وهم خمسة .

فقال له زياد: ما الذي نَعَمْتَ على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا؟ فقال: لم أرضَ

(١) العرق بالفتح : العظم بلحمه ، ويقال : نهش اللحم ، أى أخذه بمقدم أسنانه .

(٢) جم ، من الحمام ، وهو الراحة .

(٣) مريحون؛ من قولهم: أراح فلان: إذا رجعت إليه نفسه بعد الإعياء.

صاحبكم إماما، ولم أرضَ بسيرتكُم سيدة، فرأيتُ أنْ أعتزل، وأكونَ مع مَنْ يدعو إلى الشورى بين الناس؛ فإذا اجتمع الناسُ على رجل هو لجميع الأمة رِضا كُنتُ مع الناس. فقال زياد: ويحك! وهل يجتمع الناس على رجل يُداني عليًّا عالمًا بالله وبكتابه وسنة رسوله، مع قرابته وسابقته في الإسلام! فقال الخِزَيت: هو ما أقول لك، فقال: ففيم قتلتم الرجل المسلم؟ فقال الخِزَيت: ما أنا قتلته؛ قتلته طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا قال: ما إلى ذلك من سبيل، قال: أو هكذا أنت فاعل! قال: هو ما تسمع.

قال: فدعونا أصحابنا، ودعا الخِزَيت أصحابه، ثم اقتتلنا؛ فوالله ما رأيت قتالا مثله منذ خلقني الله، لقد تطاعنا^(١) بالرمح حتى لم يبقَ في أيدينا رُمح، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انمخت، وعُقرت^(٢) عامة خيلنا وخيلهم، وكثُرَت الجراح فيما بيننا وبينهم، وقتل مِنَّا رجلان: مولى لزياد كانت معه رايته يدعى سويدا، ورجل من الأبناء يدعى واقد بن بكر، وصُرع منهم خمسة نفر، وحال الليلُ بيننا وبينهم؛ وقد والله كرهونا وكرهناهم، وهَرُونَا وهَرَرْنَا^(٣)، وقد جرح زياد وجُرِحَت. ثم إنا بئسنا في جانب وتنحَّوْا، فمكثوا ساعة من الليل ثم مضوا، فذهبوا وأصبحنا، فوجدناهم قد ذهبوا؛ فوالله ما كرهنا ذلك؛ فمضينا حتى أتينا البصرة، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز^(٤)، فنزلوا في جانب منها، وتلاحقَ بهم ناسٌ من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة، لم يكن لهم من القوة ما ينهضون به^(٥) معهم حين نهضوا؛ فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز، فأقاموا معهم.

قال: وكتب زياد بن خَصَفَة إلى عليّ عليه السلام:

أما بعد، فإننا لقينا عدوَّ الله النَّاجيَ وأصحابه بالمدائن؛ فدعوناهم إلى الهدى والحق وكلمة

(١) الطبري: «اطعنا».

(٢) عقرت الدابة؛ إذا قطعت قوائمها بالسيوف.

(٣) هزونا وهزرنّا؛ أي كرهونا وكرهناهم.

(٤) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس.

(٥) الطبري: «ما ينهضهم».

السواء ؛ فتولوا عن الحق وأخذتهم العزة بالإثم ، وزيت لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل ؛ فقصدونا وصمدنا صمدهم ، فاقتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن دأكت^(١) الشمس ، واستشهد منا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسة نفر ، وخلوا لنا المعركة ، وقد فشت فينا وفيهم الجراح . ثم إن القوم لما أدركوا الليل خرجوا من تحتهم متنكرين إلى أرض الأهواز ؛ وقد بلغني أنهم نزلوا من الأهواز جانبا . ونحن بالبصرة نداوي جراحنا ، وننتظر أمرك رحمك الله ؛ والسلام .

فلما أتاه الكتاب ، قرأه على الناس ، فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ! إنما كان ينبغي أن يكون مكان كل رجل من هؤلاء الذين بعثتهم في طلبهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقهم استأصلوا شأقتهم^(٢) ، وقطعوا دابرهم ؛ فأما أن تلقاهم بأعدادهم ؛ فلمعمرى ليصبرن لهم ، فإنهم قوم عرب ، والعدّة تصبر للعدّة ، فيقاتلون كل القتال .

قال : فقال عليه السلام له : تجهّز يا معقل إليهم ، ونذّب معه ألفين من أهل الكوفة ، فيهم يزيد بن معقل ، وكتب إلى عبد الله بن العباس بالبصرة رحمه الله تعالى : أما بعد ، فابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا ، معروفا بالصلاح في ألفي رجل من أهل البصرة ، فليتبّع معقل بن قيس ؛ فإذا خرج من أرض البصرة ، فهو أمير أصحابه حتى يلتقي معقلا ؛ فإذا لقيه فعقل أمير الفريقين ، فليسمع^(٣) منه ولْيُطِعه ولا يخالفه ؛ ومُرّ زياد بن خَصَفَة فليقتل إلينا ، فنعم المرء زياد ؛ ونعم القبيل قبيله ؛ والسلام .

(١) دأكت الشمس : اصفرت وجنحت للغيب .

(٢) الشأفة أو الأصل : فرجة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ؛ وإذا قطعت مات صاحبها ؛ وقولهم : استأصل الله شأفته ؛ أى أذهب كما تذهب القرحة ، ومعناه أزاله من أصله .

(٣) الطبرى : « فليسمع من معقل » .

قال : وكتب عليه السلام إلى زياد بن خَصَفَة :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت به الناجي وأصحابه ، الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ؛ فهم حيارى عمون ، يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ؛ فأما أنت وأصحابك فإله سميع وعليم جزاؤكم وإيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يقبل الجاهلون بأنفسهم عليها ، فإني ما عندكم ينفذ وما عند الله باقي ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ^(١) : وأما عدوكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى ، وارتكاسهم في الضلالة ، وردهم الحق ، وجماحهم في التيه ، فذرهم وما يفترون ، ودعهم في طغيانهم يعمهون ، فأتبع بهم وأبصر ؛ فكأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل ، فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعمت وسمعت ، وأحسنتم البلاء . والسلام .

قال : ونزل الناجي جانبا من الأهواز ، واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ؛ بمن أراد كسر الخراج ومن اللصوص ، وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه .

قال إبراهيم بن هلال : فحدثنا محمد بن عبدالله ، قال : حدثني ابن أبي نيف ، عن الحارث بن كعب ، عن عبدالله بن قمين ، قال : كنت أنا وأخي كعب بن قمين في ذلك الجيش مع معقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين ^(٢) عليه السلام يودعه ، فقال : يا معقل بن قيس ؛ أتق الله ما استطعت ؛ فإنه وصية الله للمؤمنين ؛ لا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الذمة ولا تنكبر ؛ فإن الله لا يحب المتكبرين . فقال معقل : الله المستعان ، فقال : خير مستعان .

(١) سورة النحل ٩٦ .

(٢) الطبري : « أقبل إلى علي » .

ثم قام فخرج ، وخرجنا معه ؛ حتى نزل الأهواز ، فأقننا ننتظر بئس البصرة ، فأبطأ علينا ، فقام معقل فقال : أيها الناس ؛ إنا قد انتظرنا أهل البصرة ، وقد أبطئوا علينا ، وليس بنا بحمد الله قلة ولا وحشة إلى الناس ؛ فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذليل ؛ فإني أرجو أن ينصركم الله ويهلكهم . فقام إليه أخى كعب بن قعين فقال : أصبت إن شاء الله رأينا رأيك ، وإني لأرجو أن ينصرنا الله عليهم ؛ وإن كانت الأخرى ؛ فإن في الموت على الحق لتعزية عن الدنيا . فقال : سيروا على بركة الله . فسيرنا ، فوالله ما زال معقل ابن قيس لي ولأخى مكريماً واداً ، ما يعدل بنا أحداً من الجند ، ولا يزال يقول لأخى : كيف قلت : إن في الموت على الحق لتعزية عن الدنيا ؛ صدقت والله وأحسن ، ووقفت وفتك الله ؛ قال : فوالله ما سيرنا يوماً ؛ وإذا بفيج^(١) يشتد بصحيفة في يده .

من عبد الله بن عباس إلى معقل بن قيس ، أما بعد ؛ فإن أدركت رسولى بالمكان الذى كنت مقياً به ، أو أدركت وقد شخصت منه ؛ فلا تبرحن من المكان الذى ينتهى إليك رسولى وأنت فيه ، حتى يقدم عليك بعثنا الذى وجهناه إليك ، فقد وجهت إليك خالد بن معدان الطائى ، وهو من أهل الدين والصلاح والتجدة ، فاسمع منه واعرف ذلك له إن شاء الله . والسلام .

قال : فقرأ معقل بن قيس على أصحابه . فسرؤا به ، وحمدوا الله ، وقد كان ذلك الوجه هالهم . وأقننا حتى قدم علينا خالد بن معدان الطائى ، وجاءنا حتى دخل على صاحبنا ، فسلم عليه بالإمرة ، واجتمعنا جميعاً في عسكر واحد ، ثم خرجنا إلى الناجى وأصحابه ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز ، يريدون قلعة حصينة ، وجاءنا أهل البلد ، فأخبرونا بذلك ، فخرجنا في آثارهم فلحقناهم ، وقد دنوا من الجبل ، فصفقنا لهم ، ثم أقبلنا نحوهم ، فجعل معقل على ميمنته يزيد بن المعقل الأزدي ، وعلى ميسرته منجيب بن راشد الضبي ، ووقف

(١) انظر الحاشية ١ ص ١٣١ من هذا الجزء .

الخُرَيْت بن راشد الناجي بمن معه من العرب ، فكانوا ميمنة ، وجعل أهل البلد والعلوج^(١) ومن أراد كسر الخراج وجماعة من الأكراد ميسرة .

قال : وسار فينا معقل بحر ضنا ، ويقول : يا عباد الله ، لا تبدءوا القوم ، وغضوا الأبصار ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقة مرقّت وعلوجا^(٢) منعوا الخراج ، ولصوصا وأكرادا ، فما تنتظرون ، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد .

قال : فر في الصف يكلمهم ، يقول هذه المقالة ، حتى إذا مرّ بالناس كلهم أقبل فوقف وسط الصف في القلب ، ونظرنا إليه ما يصنع ، فحرك رأسه تحريكين ، ثم حمل في الثالثة ؛ وجمّلنا معه جميعا ، فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولّوا وانهزموا ، وقتلنا سبعين عرييا من بني ناجية ، ومن بعض من اتبعه من العرب ، ونحو ثلثمائة من العلوج والأكراد .

قال كعب : ونظرت ، فإذا صديق مدرك بن الريان قتيلا ، وخرج الخريت منهزما ، حتى لحق بسيف^(٣) من أسياف البحر ؛ وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علي عليه السلام ، ويتر بن لهم فراقه ، ويخبرهم أن الهدى في حربه ومخالفته ، حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح ، وكنت أنا الذي قدّم بالكتاب عليه ، وكان في الكتاب :

لمبد الله على أمير المؤمنين ، من معقل بن قيس . سلام عليك ، فإنّي أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنّا لقينا المارقين ؛ وقد استظهروا علينا بالمشركين ؛

(١) العلوج : كفار العجم ؛ واحده علج .

(٢) السيف ، بالكسر : ساحل البحر .

فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا وَلَمْ نَعُدْ فِيهِمْ سِيرَتَكَ فَلَمْ نَقْتُلْ مِنْهُمْ مُذْرِيًّا وَلَا أَسِيرًا ؛ وَلَمْ نَذُقْ^(١) مِنْهُمْ عَلَى جَرِيحٍ ، وَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قال : فَلَمَّا قَدِمْتُ بِالْكِتَابِ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الرَّأْيِ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ عَامَّتِهِمْ عَلَى قَوْلِ وَاحِدٍ . قَالُوا : نَرَى أَنْ تَكْتُبَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ ؛ يَتَّبِعَ آثَارَهُمْ ، وَلَا يَزَالِ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَنْفِيَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ؛ فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يُفْسِدُوا عَلَيْكَ النَّاسَ .

قال : فَرَدَدْنِي إِلَيْهِ ، وَكُتِبَ مَعِيَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَخَذَلِهِ أَعْدَاءَهُ ، جَزَاكَ اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ الْبَلَاءَ ، وَقَضَيْتُمُ مَا عَلَيْكُمْ ، فَاسْأَلْ عَنْ أَخِي بَنِي نَاجِيَةٍ ، فَإِنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ ، فِيسِرْ إِلَيْهِ حَتَّى تَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيَهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا ، وَلِلْفَاسِقِينَ وَلِيًّا ، وَالسَّلَامُ .

قال : فَسَأَلَ مَعْقِلَ عَنْ مَسِيرِهِ وَالْمَكَانَ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ ، فَنَبَّيْتُ بِمَكَانِهِ بِسَيْفِ الْبَحْرِ بِفَارَسٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ رَدَّ قَوْمَهُ عَنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَفْسَدَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَمَنْ وَالَاهُمْ مِنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ عَامَ صَيِّفَيْنِ ، وَمَنَعُوهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ أَيْضًا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، فَأَخَذُوا عَلَى أَرْضِ فَارَسٍ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَسْيَافِ الْبَحْرِ ؛ فَلَمَّا سَمِعَ الْخُرَيْتُ بْنُ رَاشِدٍ بِمَسِيرِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، يَمْنُ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، فَاسَّرَ إِلَيْهِمْ : إِنِّي أَرَى رَأْيَكُمْ ، وَإِنْ عَلِيًّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْكَمَ الرِّجَالُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَقَالَ لِمَنْ يَرَى رَأْيَ عُمَانَ وَأَصْحَابِهِ : إِنَّا عَلَى رَأْيِكُمْ ، وَإِنَّ عُمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا مَعْقُولًا ؛ وَقَالَ لِمَنْ مَنَعَ الصَّدَقَةَ :

(١) ذُفِفَ عَلَى الْجَرِيحِ : أَجْهَزَ عَلَيْهِ .

شُدُّوا أَيْدِيَكُمْ عَلَى صَدَقَاتِكُمْ ، ثُمَّ صِلُوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ ، وَعُودُوا إِنْ شِئْتُمْ عَلَى قَفَرَاتِكُمْ ؛
فَأَرْضَى كُلَّ طَائِفَةٍ بِضَرْبٍ مِنَ الْقَوْلِ ؛ وَكَانَ فِيهِمْ نَصَارَى كَثِيرٌ ، وَقَدْ كَانُوا أَسْلَمُوا ؛
فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ الْاِخْتِلَافَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَدَيْنَا الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْ دِينِ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ لَا يَنْهَاهُمْ دِينُهُمْ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ ؛ فَرَجَعُوا إِلَى دِينِهِمْ .

فَلَقِيَ الْخُرَيْتَ أَوَّلُكَ ، فَقَالَ : وَنَحْكُمُ ! إِنَّهُ لَا يُنَجِّيكُمْ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا الصَّبْرُ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ
وَلِقَاتِلَهُمْ ، أَنْتَدِرُونَ مَا حُكِّمَ عَلَى فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَى ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ؟ لَا وَاللَّهِ
لَا يَسْمَعُ لَهُ قَوْلًا ، وَلَا يَرَى لَهُ عَذْرًا ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةً ، وَلَا يَدْعُوهُ إِلَيْهَا ؛ وَإِنَّ حُكْمَهُ
فِيهِ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ سَاعَةً يُسْتَمْتَكِنُ مِنْهُ ؛ فَمَا زَالَ حَتَّى خَدَعَهُمْ وَجَاءَهُمْ مَنْ كَانَ مِنْ
بَنِي نَاجِيَةٍ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مُنْكَرًا دَاهِيًا .

قَالَ : فَلَمَّا رَجَعَ مَعْقِلٌ ، قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ كِتَابًا مِنْ عَلَىٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ :
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَىٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا ؛ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَارِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمُرْتَدِينَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ،
وَالْبَعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَافِيًا بِعَهْدِ اللَّهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَائِفِينَ ؛ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ
اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ؛ وَأَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْحَقِّ وَبِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، فَمَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ إِلَى
رَحْلِهِ وَكَفَّ يَدَهُ ، وَاعْتَزَلَ هَذَا الْمَارِقَ ^(١) الْهَالِكَ الْحَارِبَ ^(٢) ؛ الَّذِي حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَسَعَى فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ، فَلَهُ الْأَمَانُ عَلَى مَالِهِ وَدَمِهِ . وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى حَرْبِنَا
وَالْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِنَا ، اسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا . وَالسَّلَامُ .
قَالَ : فَأَخْرَجَ مَعْقِلَ رَايَةَ أَمَانٍ فَنَصَبَهَا ، وَقَالَ : مَنْ أَتَاهَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا
الْخُرَيْتَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ نَابَدُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَتَفَرَّقَ عَنِ الْخُرَيْتِ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ
قَوْمِهِ ، وَعَبَّأَ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ زَحَفَ بِهِمْ نَحْوَهُ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَ الْخُرَيْتِ جَمِيعُ

(١) : « الْفَاسِقُ » .

(٢) سَاقِطَةٌ مِنْ ج .

قومه ! مسلمهم ونصرانيهم؛ وما نعى الصدقة منهم، فجعل مسلميهم يَمَنَّة ، والنصارى وما نعى الصدقة يَمَنَّة، وجعل يقول لقومه : امنعوا اليوم حريمكم، وقاتلوا عن نساءكم وأولادكم، والله لئن ظهروا عليكم ليقُتلنكم وليَسْلُبَنَّكم .

فقال له رجل من قومه : هذا والله ماجرتهُ علينا يدك ولسانك ، فقال لهم : قاتلوا فقد سبقَ السيفُ العذل .

قال : وسار معقل بن قيس يحرّض أصحابه فيما بين اليمنة والميسرة ، ويقول : أيها الناس ، ماتدرون ما سيق إليكم في هذا الموقف من الأجر العظيم ! إن الله ساقمكم إلى قوم مَنَعُوا الصدقة، وارتدّوا عن الإسلام ، ونكثوا البيعة ظلما وعدوانا ؛ إني شهيد لمن قُتل منكم بالجنة ، ومن عاش بأن الله يُقرّ عينه بالفتح والغنيمة ؛ ففعل ذلك حتى مرّ بالناس أجمعين ، ثم وقف في القلب برايته ، وبعث إلى يزيد بن المعقل الأزديّ ، وهو في اليمنة ؛ أن أحِلّ عليهم ، فحمل ، فثبتوا له ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان فيه من اليمنة ، ثم بعث إلى المنجاب بن راشد الضبيّ ، وهو في الميسرة : أن أحِلّ عليهم ؛ فحمل فثبتوا له ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان في الميسرة ، ثم بعث معقل إلى ميمنته وميسرته : إذا حملتُ فاحملوا جميعا . ثم أجرى فرسه وضربها ، وحمل أصحابه ، فصبروا لهم ساعة .

ثم إن النعمان بن صهبان الراسبيّ بصُر بالحرّيت ، فحمل عليه ، فصرّعه عن فرسه ، ثم نزل إليه وقد جرّحه ، فاختلفا بينهما ضربتين ، فقتله النعمان وقُتِل معه في المعركة سبعون ومائة ، وذهب الباقيون في الأرض يمينا وشمالا ، وبعث معقل الخليل إلى رحالم ، فسبي^(١) من أدرك فيها رجالا ونساء وصبياناً، ثم نظر فيهم ، فَمَن كان مسلما خلّاه وأخذ

(١) السبي : الأسر .

بيعتَه ، و خَلَّى سبيل عياله ، وَمَنْ كَانَ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ عَرَضَ عَلَيْهِ الرَّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ
وإِلَّا الْقَتْلَ ؛ فَأَسْلَمُوا . نَخَلَى سَبِيلَهُمْ ، وَسَبِيلَ عِيَالِهِمْ ؛ إِلَّا شَيْخًا مِنْهُمْ نَصْرَانِيَا يُقَالُ لَهُ :
الرَّمَاحِسُ ^(١) بَنُ مَفْصُور ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ^(٢) مُصِيبًا مَذْعَلَتٌ ؛ إِلَّا فِي خُرُوجِي
مِنْ دِينِي ؛ دِينَ الصَّدَقِ ، إِلَى دِينِكُمْ ، دِينَ السُّوءِ ؛ لَا وَاللَّهِ لَا أَدْعُ دِينِي وَلَا أَقْرَبُ
دِينَكُمْ مَا حَيَّيْتُ .

فَقَدَّمَهُ مَعْقِلَ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَجَمَعَ النَّاسَ ، فَقَالَ : أَذَوَا مَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ السَّنِينَ مِنْ
الصَّدَقَةِ ، فَأَخَذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِقَالِينَ ، وَعَمَدَ إِلَى النِّصَارِيِّ وَعِيَالِهِمْ فَاحْتَمَلَهُمْ مَعَهُ ، وَأَقْبَلَ
الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ ؛ يَشْتَمِعُونَهُمْ ، فَأَمَرَ مَعْقِلَ رَدَّهُمْ ؛ فَلَمَّا ذَهَبُوا لِيَنْصَرِفُوا ، نَصَابَحُوا
وَدَعَا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

قَالَ : فَلَقَدْ رَحِمْتُهُمْ رَحْمَةً مَارَحَتْهَا أَحَدًا قَبْلَهُمْ وَلَا بَعْدَهُمْ . وَكَتَبَ مَعْقِلَ إِلَى عَلِيٍّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جُنْدِهِ وَعَنْ عَدُوهِ أَنَا دَفَعْنَا إِلَى عَدُونَا بِأَسْيَافِ
الْبَحْرِ ، فَوَجَدْنَا بِهَا قِبَائِلَ ذَاتِ حَدٍّ وَعَدَدٌ ؛ وَقَدْ جَمَعُوا لَنَا ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ ،
وإِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ وَقَرَأْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَفَعْنَا لَهُمْ
رَايَةَ أَمَانٍ ؛ فَمَالَتْ إِلَيْنَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، وَثَبَّتَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، فَقَبِلْنَا أَسْرَ الَّتِي أَقْبَلْتُ ، وَصَمَدْنَا
إِلَى الَّتِي أَدْبَرْتُ ، فَضْرَبَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ ، وَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ ؛ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ؛ فَإِنَّا مَنَّا
عَلَيْهِ ، وَأَخَذْنَا بِبَيْعَتِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ؛ وَأَمَّا مَنْ ارْتَدَّ
فَمَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الرَّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُمْ ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ
فَقَتَلْنَاهُ ؛ وَأَمَّا النِّصَارِيُّ ؛ فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ وَأَقْبَلْنَا بِهِمْ ؛ لِيَكُونُوا نَسْكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ
الدِّمَّةِ ، كَيْ لَا يَمْنَعُوا الْجِزْيَةَ ، وَلَا يَجْتَرِئُوا عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ؛ وَهُمْ لِلصَّغَارِ وَالذَّلَّةِ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥ : ١٢٨ ، وَفِي الْأَصُولِ : « الرَّمْلَسُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) وَفِي الْأَصُولِ : « مَاظَلْتُ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الطَّبَرِيِّ .

أهل . رحك الله يا أمير المؤمنين ، عليك الصلاة والسلام ، وأوجب لك جنات النعيم . والسلام .

قال : ثم أقبل بالأسارى حتى مرّ على مصقلة بن هُبيرة الشيبانيّ، وهو عامل لمعلّى عليه السلام على أردشير خُرّة^(١) وهم خمسمائة إنسان ، فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامل النّقل^(٢) ، يا مؤوى الضعيف ، وفكّك العصاة، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا . فقال مصقلة: أقسم بالله لأنصدقنّ عليهم ، إن الله يجزى المتصدقين. فبلغ قوله معقل بن قيس ، فقال : والله لو أعلمه قالها توجّعاً لهم وإضرار علىّ لضربت عنقه ، وإن كان فى ذلك فناء بنى تميم وبكر بن وائل .

ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلى إلى معقل ، فقال : بعنى نصارى ناجية، فقال : أبيعكمم بألف ألف درهم ؛ فأبى عليه ، فلم يزل يُراوده حتى باعه إليهم بخمسمائة ألف درهم، ودفعهم إليه، وقال : تجلّ بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال مصقلة : أنا باعث الآن بصدر منه ، ثم أتبعك بصدر آخر ، ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء. وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فأخبره بما كان من الأمر ، فقال له : أحسنت وأصبت ووفقت .

واعتظر علىّ عليه السلام مصقلة أن يبعث بالمال ، فأبطأ به . وبلغ عليّاً عليه السلام أن مصقلة خلّى الأسارى ولم يسألم أن يعينوه فى فكّك أنفسهم بشيء ، فقال : ما أرى مصقلة إلا قد حمل حمالة ، ولا أراكم إلا سترونه عن قريب مُبلّداً^(٣) ، ثم كتب إليه :

(١) أردشير خُرّة ، بالمتج ثم السكون وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وياء سا كنة وراء ، وحاء معجمة مضمومة ، وراء مفتوحة مشددة وحاء : من كورفارس (مرصد الاطلاع) .

(٢) النقل . متاع الإنسان وحشمه .

(٣) المبلدح : اللقى على الأرض من الضرب .

أما بعد ؛ فإن من أعظم الخيانة خيانة^(١) الأمة ، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فابعث بها إلى حين يأتيك رسولى ؛ وإلا فأقبل إلى حين تنظر فى كتابى ؛ فإنى قد تقدمت إلى رسولى ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك ؛ إلا أن تبعث بالمال ، والسلام .

وكان الرسول أبو جرة الحنفى ، فقال له أبو جرة : إن تبعث بهذا المال وإلا فاشخص معى إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة ، وكان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس ؛ فيكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم أقبل من البصرة حتى أتى عليا عليه السلام بالكوفة ، فأقره أياما لم يذكر له شيئا ، ثم سأله المال ، فأدى إليه مائتى ألف درهم ، وعجز عن الباقي .

قال : فروى ابن أبى سيف ، عن أبى الصلت ، عن ذهل بن الحارث ، قال : دنانى مصقلة إلى رخله ، فقدم عشاء فطعمنا منه ، ثم قال : والله إن أمير المؤمنين عليه السلام يسألنى هذا المال ، والله ما أقدر عليه ، فقلت له : لو شئت لم يمض عليك جمعة حتى تجمع هذا المال ، فقال : ما كنت لأحملها قومي ، ولا أطلب فيها إلى أحد .

ثم قال : والله لو أن ابن هند مطالبي بها ، أو ابن عقان ، لتركها لى ؛ ألم تر إلى عثمان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج أذربيجان فى كل سنة ؟ فقلت : إن هذا لا يرى ذلك رأى ، وما هو ببارك لك شيئا . فسكت ساعة ، وسكت عنه ؛ فامكث ليلة واحدة^(٢) بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية .

فبلغ ذلك عليا عليه السلام فقال : ماله ترخه الله ! فعل فعل السيد وفر فرار العبد ، وخان خيانة الفاجر ؛ أما إنه لو أقام فعجز مازدنا على حبسه ، فإن وجدنا له شيئا أخذناه ،

(١) كلمة « خيانة » ساقطة من ا ، ب ؛ ثابتة فى ج والطبرى .

(٢) الطبرى : « فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة » .

وإن لم نجد له مالا تركناه . ثم سار على عليه السلام إلى داره فهدمها .
وكان أخوه نعيم بن هبيرة الشيباني شيعته على عليه السلام ، مناصحا ، فكتب إليه مصقلة
من الشام مع رجل من نصارى تغلب ، يقال له حُلوان :
أما بعد ؛ فإني كنت معاوية فيك ، فوعدك الكرامة ، ومثلك الإمارة ، فأقبل
ساعة تلقى رسولى . والسلام .

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرّح به إلى على عليه السلام ، فأخذ كتابه فقرأه
ثم قدمه فقطع يده ، فمات . وكتب نعيم إلى [أخيه] مصقلة شعرا لم يردّه عليه ^(١) :
لا ترمين هـذاك الله معترضا بالظن منك فإلى وحلوانا
ذاك الحريص على مانال من طمع وهو البعيد فلا يورثك أحزاننا ^(٢)
ماذا أردت إلى إرساله سقمها ترجو سقاط امرئ لم يلف وسباننا
عرضته لعلّى إنه أسد يمشى العرضنة من أساد خفاننا ^(٣)
قد كنت فى خير مصطاف ومرتبّع تحمى العراق وتدعى خير شباننا ^(٤)
حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه للرايين له سرا وإعلانا
لو كنت أدبت مال الله مصطبرا للحق زكيت أخيانا وموتانا ^(٥)
ليكن لحقت بأهل الشام ملتصبا فضل ابن هند فذاك رأى أشجانا
فاليوم تفرغ سن العجز من ندم ^(٦) ماذا تقول وقد كان الذى كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة لم يرفع الله بالمصيان إنسانا ^(٧)

(١) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٠ وما بعدها .

(٢) الطبرى : « فلا يحزنك إذ خاننا » .

(٣) العرضنة : البغى فى المعنى من النشاط . وخفان : مأسدة قرب الكوفة .

(٤) الطبرى : « قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع » .

(٥) رواية الطبرى :

لو كنت أدبت ما للقوم مصطبرا للحق أحييت أخيانا وموتانا

(٦) الطبرى : « سن الفرم » .

(٧) الطبرى : « بالبغضاء لإنسانا » .

فلما بلغ الكتاب إليه علم أن النصراني قد هلك^(١)، ولم يلبث التغلبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم، فأتوا مصقلة، فقالوا: أنت أهلكنا صاحبنا؛ فإما أن تبيعنا^(٢) به، وإما أن تدية؛ فقال: أما أن أجى^(٣) به، فلست أستطيع ذلك؛ وأما أن أدية فنعم، فوداه.

قال إبراهيم: وحدثني ابن أبي سيف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: قيل لعل عليه السلام حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا ولم تستوف أثمانهم في الزق، فقال: ليس ذلك في القضاء بحق؛ قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالى ديناً على الذي اشتراهم.

وروى إبراهيم أيضا، عن إبراهيم بن ميمون، عن عمرو بن القاسم بن حبيب التمار، عن عمار الدهني، قال: لما هرب مصقلة قال أصحاب علي عليه السلام له: يا أمير المؤمنين، فئتنا! قال: إنه قد صار على غريم من الغرماء، فاطلبوه.

وقال ظبيان بن عمار، أحد بني سعد بن زيد مناة في بني ناجية:

هَلَّا صَبَرْتُ لِلْقَرَّاعِ نَاجِيَا وَلِلْمَرْهَقَاتِ تَخْتَلِي الْهَوَادِيَا^(٤)
وَالطُّغْنِ فِي نُحُورِكُمْ تَوَالِيَا وَصَائِبَاتِ الْأَسْهَمِ الْقَوَاضِيَا
وقال ظبيان أيضا:

أَلَا فَاصْبِرُوا لِلطُّغْنِ وَالضَّرْبِ نَاجِيَا وَلِلْمَرْهَقَاتِ يَخْتَلِينِ الْهَوَادِيَا
فَقَدْ صَبَّ رَبُّ النَّاسِ خِزْيًا عَلَيْكُمْ وَصَبَّرَكُمْ مِنْ بَعْدِ عِزِّ مَوَالِيَا

(١) الطبري: « فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك ».

(٢) الطبري: « تبعه ».

(٣) الطبري: « أحبه ».

(٤) تختل: تجز، والهوادى هنا: الأعناق.

سَمَّاكُمْ بِالْخَيْلِ جُرْدًا عَواديا أخو ثقة لا يبرح الدهر غازيا
فصَبَحَكُمْ فِي رَحْلِكُمْ وَخَيْوَلِكُمْ بِضَرْبِ يُرَى مِنْهُ الْمَدَجُّجُ هَاوِيَا
فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِ عِزٍّ وَكَثْرَةٍ عبيدَ العصا لا تمنعون الذَّرَارِيَا

قال إبراهيم بن هلال : وروى عبد الرحمن بن حبيب ، عن أبيه ، أنه لما بلغ علياً عليه السلام مصابُ بنى ناجية ، وقتلُ صاحبهم ، قال : هوتُ أمه ! ما كان أنقصَ عقله وأجرأه ! إنه جاءني مرة فقال : إن في أصحابك رجالاً قد خشيت أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ قلت : إني لا آخذُ على التهمة ، ولا أعاقِبُ على الظن ، ولا أقاتلُ إلا مَنْ خالفني وناصبني ، وأظهر العداوة لي ؛ ثم لست مقاتله حتى أدعوه وأُعذِرَ إليه ^(١) ؛ فإن تاب ورجع قِبلنا منه ، وإن أبي إلا الاعترامَ على حربنا استعنا بالله عليه ، وناجزناه . فكفَ عني ما شاء الله ، ثم جاءني مرة أخرى ، فقال لي : إني قد خَشِيتُ أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين الطائي ، إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما حتى تقتلهما أو تورثهما ، فلا يزالان بمحبسك أبداً . قلت له : إني مستشيرُك فيهما ، فإذا تأمرني به ؟ قال : إني آمرك أن تدعوا بهما فتضرب رقابهما ، فعلمت أنه لا ورعَ له ولا عقل . قلت له : والله ما أظن لك ورعاً ولا عقلاً ، لقد كان ينبني لك أن تعلم أني لأقتل مَنْ لم يقاتلني ، ولم يظهر لي عداوته للذي كنت أعلمُكَّه من رأيي ، حيث جئتنِي في المرة الأولى ؛ ولقد كان ينبني لك - لو أردتُ قتلهم - أن تقول لي : اتق الله ! ثم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم يبادوك ولم يخرجوا من طاعتك !

فأما ما يقوله الفقهاء في مثل هذا السبِّ ، فقبل أن نذكر ذلك نقول : إن الرواية قد

(١) أي يكون لي عنده عذر .

اختلفت في المرتدين من بنى ناجية ، فالرواية الأولى التي رواها محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن نصر بن مزاحم ، تتضمن أن الأمير الذي من قبل علي عليه السلام قتل مقاتلة المرتدين منهم بعد امتناعهم من العود إلى الإسلام ، وسبى ذراريهم ، فقدم بها علي عليه السلام ؛ فعلى هذه الرواية يكون الذين اشتراهم مصقلة ذراري أهل الردة .

والرواية الثانية التي رواها محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، تتضمن أن معقل بن قيس ، الأمير من قبل علي عليه السلام لم يقتل من المرتدين من بنى ناجية إلا رجلا واحدا ، وأما الباقون فرجعوا إلى الإسلام ، والاسترقاق إنما كان للنصارى الذين ساعدوا في الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام ؛ وليسوا مرتدين ؛ بل نصارى في الأصل ، وهم الذين اشتراهم مصقلة .

فإن كانت الرواية الأولى هي الصحيحة ففيها إشكال ؛ لأن المرتدين لا يجوز عند الفقهاء استرقاقهم ، ولا أعرف خلافا في هذه المسألة ، ولا أظن الإمامية أيضا^(١) تخالف فيها ؛ وإنما ذهب أبو حنيفة إلى أن المرأة المرتدة إذا لحقت بدار الحرب جاز استرقاقها ، وسائر الفقهاء على خلافه ؛ ولم يختلفوا في أن الذكور البالغين من المرتدين لا يجوز استرقاقهم ، فلا أعلم كيف وقع استرقاق المرتدين من بنى ناجية على هذه الرواية ؛ على أني أرى أن الرواية المذكورة لم تصرح فيها باسترقاقهم ، ولا بأنهم بيعوا على مصقلة ، لأن لفظ الراوى : « فأبوا ، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقدم بهم على علي عليه السلام » ؛ وليس في الرواية ذكر استرقاقهم ولا بيعهم على مصقلة ؛ بل فيها ما ينافي ببيعهم على مصقلة ، وهو قوله : « فقدم بهم على علي عليه السلام » ؛ فإن مصقلة ابتاع السبي من الطريق في أردشير خرة قبل قدومه على علي عليه السلام ؛ ولفظ الخبر : « فقدم بهم على علي عليه السلام » .

وإنما يبقى الإشكال على هذه الرواية أن يقال : إذا كان قد قدم بهم على علي عليه

(١) ساقطة من ج .

السلام ، فصقلة من اشترى ! ولا يمكن دفع كون مصقلة اشترى قوما في الجملة ، فإن الخبر بذلك مشهور جدا يكاد يكون متواترا .

فإن قيل : فما قولكم فيما إذا ارتدت البالغون من الرجال والنساء ، ثم أولدوا ذرية صفارا بعد الردة ؟ هل يجوز استرقاق الأولاد ؟ فإن كان يجوز ، فهلا حملتم الخبر عليه !
قيل : إذا ارتدت الزوجان فحملت منه في حال الردة وأنت بولد كان محكوماً بكفره ؛ لأنه ولد بين كافرين .

وهل يجوز استرقاقه ؟ فيه للشافعي قولان ؛ وأما أبو حنيفة فقال : إن ولد في دار الإسلام لم يحز استرقاقه ، وإن وُلِدَ في دار الحرب جاز استرقاقه ، فإن كان استرقاقه هؤلاء الذرية موافقا لأحد قولي الشافعي ، فلعله ذاك .

وأما الرواية الثانية ، فإن كانت هي الصحيحة - وهو الأولى - فالفقه في المسألة أن الذمي إذا حارب المسلمين فقد نقضَ عهده ، فصار كالشركيين الذين في دار الحرب ، فإذا ظفر به الإمام جازَ استرقاقه وبيعه ؛ وكذلك إذا امتنع من أداء الجزية أو امتنع من التزام أحكام الإسلام .

واختلف الفقهاء في أمور سبعة : هل ينتقضُ بها عهدهم ، ويجوز استرقاقهم أم لا ؛ وهي أن يزنيَ الذمي بمسلة ، أو يصيبها باسم نكاح ، أو يفتن مسلما عن دينه ، أو يقطع الطريق على المسلمين ، أو يؤوى^(١) للكفار عينا ، أو يدلّ على عورات المسلمين ، أو يقتل مسلما . فأصحاب الشافعي يقولون : إن شرط عليهم في عقد الذمة الكفّ عن ذلك ، فهل ينتقض عهدهم بفعله ؟ فيه وجهان . وإن لم يشترط ذلك في عقد الذمة ، لم ينتقض عهدهم بذلك .

وقال الطحاوي من أصحاب أبي حنيفة : ينتقض عهدهم بذلك ، سواء شروطوا عن

(١) ب : « يؤدى » ، تحريف .

الكف عنه في عقد الذمة ، أو لم يشارطوا عليه .

فنصارى بنى ناجية على هذه الرواية قد انتقض عهدهم بحرب المسلمين ، فأبيحت دماؤهم ،
وجاز للإمام قتلهم و جاز له استرقاقهم كالمشركين الأصليين في دار الحرب ؛ وأما استرقاق
أبي بكر بن أبي قحافة لأهل الردة وسبويه ذراريهم ؛ فإن صحح كان مخالفا لما يقول
الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين ، إلا أن يقولوا إنه لم ينسب المرتدين ، وإنما سبي
من ساعدتهم وأعانهم في الحرب من المشركين الأصليين .
وفي هذا الموضع نظر .

(٤٥)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأنصل :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا تَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ،
وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ ؛ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .
وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنَى لَهَا الْقَنَاءُ ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَيْرَةٌ ، وَقَدْ
عَجِلَتْ لِلْعَالِيَيْنَ ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النََّاظِرِ ؛ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الزَّادِ ،
وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ .

الْبَيْتُ :

مُنَى لَهَا الْقَنَاءُ ، أَى قَدَّرَ . وَالْجَلَاءُ ، بفتح الجيم : الخروج عن الوطن ، قال سبحانه :
﴿ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ ^(١) .

وحلوة خَيْرَةٌ ؛ مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ
خَيْرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

وَالْكَفَافُ مِنَ الرِّزْقِ : قَدَّرَ الْقُوتَ ؛ وَهُوَ مَا كَفَّ عَنْ النَّاسِ ، أَى أَغْنَى .
وَالْبَلَاغُ وَالْبُلْغَةُ مِنَ الْعَيْشِ : مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ .

(١) سورة المعر ٣ .

واعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : أحدهما حمد الله والثناء عايه إلى قوله : « ولا تُفقد له نعمة » ، والفصل الثاني ذكر الدنيا إلى آخر الكلام . وأحدهما غير مختلط بالآخر ولا منسوق عليه ؛ ولكن الرضى رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ، ولا يقف مع الكلام المتوالى ؛ لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير ، ولو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذى جمعه .



[فصل بلاغى فى الموازنة والسجع]

فأما الفصل الأول ، فشتمل من علم البيان على باب كبير يعرف بالموازنة ، وذلك « غير مقنوط » فإنه وازنه فى الفقرة الثانية بقوله : « ولا مخلوط » . ألا ترى أنّ كل واحدة منهما على وزن « مفعول » ، ثم قال فى الفقرة الثالثة : « ولا مأیوس » ، فجاء بها على وزن « مفعول » أيضاً ؛ ولم يمكنه فى الفقرة الرابعة ما أمكنه فى الأولى ، فقال : « ولا مستنكف » فجاء به على وزن « مستفعل » وهو وإن كان خارجاً عن الوزن ؛ فإنه غير خارج عن للمفعولية ، لأن « مستفعل » « مفعول » فى الحقيقة ، كقولك : زيد مستحسن ، ألا ترى أنّ « مستحسناً » من استحسنه ، فهو أيضاً غير خارج عن للمفعولية .

ثم وازن عليه السلام بين قوله : « لا تبرح » وقوله : « لا تفقد » ، وبين « رحمة » و « نعمة » ؛ فأعطت هذه الموازنات الكلام من الطلاوة والصنعة ما لا تجده عليه لو قال : « الحمد لله غير مخلوط من نعمته ، ولا مبعد من رحمته » لأن « مبعد » بوزن « مفعول » ، وهو غير مطابق ولا مماثل لمفعول ، بل هو بناء آخر .

وكذلك لو قال : « لا تزول منه رحمة » ، فإن « تزول » ليست فى المائلة والموازنة

١ « تفقد » كـ « تبرح » ألا ترى أنها معتلة ، وتلك صحيحة ! وكذلك لو قال : « لا تبرح منه رحمة ولا يفقد له إناهم » فإن « إناهم » ليس في وزن « رحمة » ، والموازنة مطلوبة في الكلام الذي يقصد فيه الفصاحة ، لأجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع الأشياء . والموازنة أعم من السجع ، لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل لو أوردناها على حرف واحد ، نحو القريب ، والغريب ، والنسيب ، وما أشبه ذلك . وأما الموازنة فنحو القريب والشديد ، والجليل ؛ وما كان على هذا الوزن وإن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحداً ، وكل سجع موازنة ، وليس كل موازنة سجعاً ؛ ومثال الموازنة في الكتاب العزيز : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١) ؛ وقوله تعالى : ﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَيَكُونُوا عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ ، ثم قال : ﴿ تَوَزَّهُمْ أَزًّا ﴾ ثم قال : ﴿ نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾^(٢) فهذه الموازنة .

ومما جاء من المثال في الشعر قوله :

بأشدَّهم بأساً على أعدائهم وأعزَّهم فقداً على الأصحاب

فقوله : « وأعزهم » بإزاء « أشدهم » ، وقوله : « فقدا » بإزاء « بأساً » .
والموازنة كثيرة في الكلام وهي في كتاب الله تعالى أكثر .

[نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع]

فأما الفصل الثاني فيشتمل على التحذير من الدنيا ، وعلى الأمر بالقناعة ، والرضا بالكفاف ؛ فأما التحذير من الدنيا فقد ذكرنا ونذكر منه ما يحضرنا ؛ وأما القناعة فقد ورد فيها شيء كثير .

(٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(١) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخوين من الأنصار : « لا تيشا من روح الله ما تهزّهزت رؤوسكما ، فإن أحدكم يولد لا قشر عليه ، ثم يكسوه الله ويرزقه » .
وعنه صلى الله عليه وسلم - ويعزى إلى أمير المؤمنين عليه السلام - : « القناعة كنز لا يفقد » .

وما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم : « كفى بالقناعة عزاً ؛ وبطيب النفس نعيماً » .
ومن كلام عيسى عليه السلام : اتخذوا البيوت منازل ، والمساجد مساكن ، وكلوا من بقل البرية ، واشربوا من الماء القراح ، واخرجوا من الدنيا بسلام . لعمري لقد انقطعتم إلى غير الله فما ضييعكم ، أفتخافون الضيعة إذا انقطعتم إليه !
وفي بعض الكتب الإلهية القديمة : يقول الله تعالى : يا بن آدم ، أخاف أن أقتلك بطاعتي هزلاً ، وأنت تتفتق بمعصيتي سمناً !

قال أبو وائل : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي ، فجلسنا عنده ، فقال :
لولا أن رسول الله صلى الله عليه نهى عن التكلف لتكلفنا لكسك ، ثم جاء بخبز وملح
ساذج لا أضرار عليه ، فقال صاحبي : لو كان لنا في ملحنا هذا ستمر^(١) ! فبعث سلمان
بمظهرته ، فرفها على ستمر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا ،
فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك لم تكن مظهرتي مرهونة !

عباد بن منصور : لقد كان بالبصرة من هوأفته من عمرو بن عبّيد وأفصح ؛
ولكنه كان أصبرهم عن الدينار والدرهم ، فساد أهل البصرة .

قال خالد بن صفوان لعمرو بن عبّيد : لم لا تأخذ مني ؟ فقال : لا يأخذ أحد من
أحدٍ إلّا ذلّ له ؛ وأنا أكره أن أذلّ لغير الله .

(١) الستمر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبرة .

كان معاشُ عمرو بن عُبيد من دارِ وِريثها ، كان يأخذ أجرَتها في كلِّ شهر ديناراً واحداً فينبُلُّ به .

الخليل بن أحمد : كان الناس يكتسبون الرغائب بعلمه ، وهو بين أخصاص البصرة ، لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها .

وهب بن منبه : أرملتُ مرةً حتى كدت أقنط ، فأتاني آتٍ في المنام ومعه شبه لوزة ، فقال : افضُضْ ، ففضضتها ، فإذا حريرة فيها ثلاثة أسطر : لا ينبغي لمن عقل عن الله أمره ، وعرف الله عدله ، أن يستبطئ الله في رزقه ، فقنمت وصبرت ، ثم أعطاني الله فأكثر .

قيل للحسن عليه السلام : إن أبا ذرٍّ كان يقول : الفقراء أحبُّ إلى من الغنى ، والسَّقم أحبُّ إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذرٍّ ، أما أنا فأقول : من اتَّكل إلى حُسْن الاختيار من الله لم يتمنَّ أنه في غير الحال التي اختارها الله له ، لعمري يا ابن آدم ، الطير لا تأكل رَغداً ، ولا تخبأ لغد ، وأنت تأكل رغداً ، وتخبأ لغدٍ ، فالطير أحسنُ ظناً منك بالله عز وجل .

حبس عمر بن عبد العزيز النداء عن مسلمة ، حتى برَّح به الجوع ، ثم دعا بسويق فسقاه ، فلما فرغ منه لم يقدر على الأكل ، فقال : يا مسلمة ، إذا كفأك من الدنيا ما رأيت ، فعلام التهافت في النار !

عبد الواحد بن زيد : ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدَّم الصبر إلا الرضا والقناعة ، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا ، وهو رأس الحجة .

قال ابن شبرمة في محمد بن واسع : لو أن إنساناً اكتفى بالتراب لا اكتفى به .

يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل لعبادي المنسخطين لرزقي ، إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا .

كان لبعض الملوك نديم ، فسكير ، ففاته الصلاة ، فجاءت جارية له بجمرة نار ، فوضعتها على رجله ، فانتبه مذعورا ، فقالت : إنك لم تصبر على نار الدنيا ، فكيف تصبر على نار الآخرة ! فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة ، وقد يبيع البقل ، فدخل عليه القُصيل وابن عيينة ؛ فإذا تحت رأسه لبنة ، وليس تحت جنبه حصير ، فقالا له : إنا رَوَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَدْعَ أَحَدٌ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا عَوَّضَهُ خَيْرًا مِنْهُ ، فما عَوَّضَكَ ؟ قال : القناعة والرضا بما أنا فيه . أصابت داود الطائي ضائقة شديدة ، فجاء حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركة أبيه ، فقال داود : هي لعمري من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه ، ولو كنتُ قابلاً من أحدٍ شَيْئاً لقبلتها إعظاماً للميت ، وإيجاباً للحَيِّ ، ولكني أحبُّ أن أعيشَ في عِزِّ القناعة .

سفيان الثوري : ما أكلتُ طعاماً أحدي قط إلا هُنت عليه .

مسعر بن كدام : مَنْ صَبَرَ عَلَى الْخُلِّ وَالْبَقْلِ لَمْ يُسْتَعْبَدْ .

فُضِيل : أصلُ الزهد الرضا بما رزقك الله ، ألا تراه كيف يصنع بعبده ما تصنع الوالدة الشقيقة بولدها ! تطعمه مَرَّةً خبيصاً^(١) ، ومرة صَبِراً ، تريد بذلك ما هو أصح له .

المسيح عليه السلام : أنا الذي كبيت الدنيا كَلَى وَجْهَهَا ، وقدرتها بقدرها ، ليس لي ولد يموت ، ولا بيت يخرب ؛ وسادى الحجر ، وفراشى المَدَر ، وسراجي القمر .

أمير المؤمنين عليه السلام : أكل تَمْرٍ دَقَل^(٢) ، ثم شرب عليه ماء ، ومسح بطنه ، وقال : من أدخلته بطنه النار ، فأبعده الله ، ثم أنشد :

فَإِنَّكَ إِنِ اعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدِّمِ أَجْمَعًا^(٣)

(١) الخبيص : التمر المعمول من السن والصل .

(٢) الدقل : أردأ التمر .

(٣) البيت لحام الطائي ، ديوانه ١٧ / (طبع بيروت) .

في الحديث الصحيح المرفوع: « إن رُوح القدس نَفَثَ في رُوعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فأجلوا في الطلب » .

من كلام الحكماء : من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيمياء الأعظم .

الحسن : الحريص الراغب ، والقانع الزاهد كلاهما مستوفٍ أجله ، مستكمل أكّله ؛ غير مُزداد ولا منتقصٍ بما قدّر له ، فعلام التقمّ في النار !

ابن مسعود، رفعه : « إنه ليس أحد بأَكْيَسَ من أحد ؛ قد كُتِبَ النصيب والأجل ، وقُسمَتِ المعيشة والعمل ؛ والناس يجرّون منهما إلى منتهى معلوم » .

للمسيح عليه السلام: انظروا إلى طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها شيء ، من أرزاقها ، لا تحرث ولا تحصد ؛ والله يرزقها ، فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير ؛ فهذه الوحوش من البقر والحُمُر ، لا تحرث ولا تحصد ؛ والله يرزقها .

سويد بن غفلة : كان إذا قيل له : قد ولى فلان ، يقول : حسبي كسرتي ومِلْحى .
وفد عروة^(١) بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه خلّته ، فقال له :

ألسن القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإشراف من خُلُقِي أنّ الذّى هَوَ رِزْقِي سَوَفَ يَأْتِينِي^(٢)
أَسْعَى لَهُ فَيَعْنِينِي تَطَلُّبُهُ ولو قَعَّـدْتُ أَنَا نِي لَا يُعْنِينِي

فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق ! ثم اشتغل عنه ، فخرج وقعد على ناقته ونصّها راجعا إلى الحجاز ، فذكره هشام في الليل ، فسأل عنه فقيل : إنه رَجَعَ إلى الحجاز ، فتذمّر ونَدِمَ ، وقال : رجل قال حِكْمَةً ، ووفد علىّ مستجديا ، فجهته ،

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٥٦ .

(٢) الإشراف . الحرص ، كذا نُسره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

ورددته ! ثم وجه إليه بالنقود درهم ، فجاء الرسول وهو بالمدينة ، فدفعها إليه ، فقال له : قل
لأمير المؤمنين ، كيف رأيت ! سمعت فأكدت ، وقعدت في منزلي فأتاني رزقي .
عمر بن الخطاب : تعلم أن الطمع فقر ؛ وأن اليأس غنى ، ومن يئس من شيء
استغنى عنه .

أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طائران ، فأكل أحدهما عشيّة ، فلما أصبح
طلب غداء ، فأتته بعض أزواجه بالطائر الآخر ، فقال : « ألم أنهك أن ترفعى شيئاً لغدي ،
فإن من خلق الغد خلق رزقه » .

وفي الحديث المرفوع : « قد أفلح من رزق كفا فاقوته الله بما آتاه » .
من حكمة سليمان عليه السلام : قد جربنا لين العيش وشِدته ، فوجدنا
أهنأ أدناه .

وهب ، في قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ ^(١) ، قال : القناعة .
بعض حكماء الشعراء :

فَلَا تَجْزَعْ إِذَا أَعْسَرَتْ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرَتْ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءَ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
وَلَمَّا الْعُسْرُ يَتَّبِعْهُ يَسَّارٌ وَقِيلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
وَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَجَرُّ رِزْقًا لَكَانَ الْمَالُ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ

عائشة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أردت اللّٰحوق بي فيكفيك
من الدنيا زاد الرّاكب ؛ ولا تُخلّق ثوبا حتى ترّقّية ؛ وإياك ومجالسة الأغنياء » .

يقال : إن جبرائيل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزان الدنيا ، فقال : « لا حاجة لي فيها ، بل جوعتان وشبعة » .

وُجِدَ مكتوبا على صخرة عادية^(١) : يا ابن آدم ، لست ببالغ أملك ، ولا سابق أجلك ، ولا مغلوب على رزقك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، فعلام تقتل نفسك !
الحسين بن الضحاك :

يَارَوْحُ مَنْ عَظُمَتْ قِنَاعَتُهُ حَمَمَ الْمَطَامِعِ مِنْ غَدٍ وَغَدٍ^(٢)
مَنْ لَمْ يَسْكُنْ لِلَّهِ مَثَمًا لَمْ يُنْسِ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أتدري لم رزقتُ الأحق ؟ قال : لا ، قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتياج .

قنط^(٣) يوسف بن يعقوب عليه السلام في الجلب لجوع اعتراه ، فأوحى إليه : انظر إلى حائط البئر ، فنظر فانفرج الحائط عن ذرة على صخرة ، معها طعامها ، فقيل له : أتراني لا أغفلُ عن هذه الذرة ، وأغفلُ عنك ، وأنت نبي ابن نبي !

دخل على عليه السلام المسجد ، وقال لرجل : أمسك علي بنفلي ، نفلع لجامها ، وذهب به ، فخرج على عليه السلام بعد ما قضى صلاته ، ويده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له ، فوجد البغلة عطلا ، فدفع إلى أحد غلمانه الدرهمين ؛ ليشتري بهما لجاما ، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق ؛ قد باعه الرجل بدرهمين ، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه ، فقال على عليه السلام : « إن العبدَ ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ،

(١) عادية ، أى قديمة ؛ نسبة إلى قبيلة عاد البائدة .

(٢) من أبيات في الحيوان ٥ : ٤٨٠ ؛ قال الجاحظ : « وهذا شعر رويته له على وجه الدهر ، وزعم حسين بن الضحاك أنه له ، وكان يدعى ما ليس له » .

(٣) قنط قنوطا ؛ أى يئس .

ولا يزداد على ما قُدِّر له .

سليمان بن المهاجر البجلي :

كَسَوْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ وَجَبِي فَصَانَهُ بِهِ اللَّهُ عَنْ غَشِيَانِ كُلِّ تَجْبِيلٍ
قَلَمٌ يَنْبِذُنِي الْبَخِيلُ وَلَمْ أَقُمْ عَلَى بَابِهِ يَوْمًا مَقَامَ ذَلِيلٍ
وإنَّ قَلِيلًا يَسْتُرُ الْوَجْهَ أَنْ يُرَى إِلَى النَّاسِ مَبْذُولًا لَغَيْرِ قَلِيلٍ
وقف بعض الملوك على سُقْرَاط وهو في المَشْرِقَةِ^(١) ، فقال له : سَلْ حاجتك ، قال :
حاجتي أَنْ تُزِيلَ عَنِّي ظِلَّكَ ، فقد منعتني الرِّفْقُ^(٢) بالشمس ؛ فأحضرَ له ذهباً وكُسوةً
دياج ، فقال : إنه لا حاجةَ بسُقْرَاط إلى حجارة الأرض ولُعاب الدود ؛ إنما حاجته إلى أمر
يصحبه حينما توجّه .

صلى معروف الكرخي خلف إمام ؛ فلما انفتل سأل ذلك الإمام معروفاً : من أين
تأكل ؟ قال : اصبر على حتى أعيده ما صليته خلفك ؛ قال : لماذا ؟ قال : لأن من شكَّ
في الرزق شكَّ في الرازق ، قال الشاعر :

وَلَا تُهْلِكَنَّ النَّفْسَ وَجَدًّا وَحَسْرَةً عَلَى الشَّيْءِ أَسَدَاهُ لَغَيْرِكَ قَادِرُهُ^(٣)
وَلَا تَتَيَأْسَنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ وَإِنْ كَانَ نَهَبًا بَيْنَ أَيْدٍ تُبَادِرُهُ
فَإِنَّكَ لَا تُعْطَى أَمْرًا حَظَّ نَفْسِهِ وَلَا تَمْنَعُ الشَّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ
قال عمر بن الخطاب لعلی بن أبی طالب علیه السلام : قد ملأتُ الناسَ ، وأُحِبِّتُ
أَنْ أَلْحَقَ بِصَاحِبِي ، فقال : إِنْ سَرَّكَ اللَّحُوقُ بِهِمَا فَقَصِّرْ أَمْلَكَ ، وَكُلِّ دُونَ السَّبْعِ ،
وَاخْصِفِ النَّعْلَ^(٤) وَكُنْ كَمِيشٍ^(٥) الْإِزَارَ ، مَرْقُوعَ الْقَمِيصِ ، تَلْحَقُ بِهِمَا .

(١) المشرق : موضع انقعود الشمس في الشتاء
(٢) الرفق بالشئ : الاتعاف به .
(٣) ١ : « سداه لغيرك » ؛ أي أعطاه .
(٤) خصف النعل : خرزها بالخصف .
(٥) يقال : كمش إزاره ؛ إذ قصره وشمره .

وقال بعض شعراء العجم :

غَلَا السَّعْرُ فِي بَغْدَادٍ مِنْ بَعْدِ رُخْصِهِ وَإِنِّي فِي الْحَالَيْنِ بِاللَّهِ وَاثِقُ
فَلَسْتُ أَخَافُ الضُّيْقَ وَاللَّهَ وَاسِيعُ غِنَاهُ ، وَلَا الْحِرْمَانَ وَاللَّهِ رَازِقُ
قِيلَ لِمَنَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ سَدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ وَتُرِكَ فِيهِ ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ
رِزْقُهُ ؟ قَالَ : مِنْ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

قال بعض الشعراء :

صَبَرْتُ النَّفْسَ لَا أَجْزَ عَ مِنْ حَادِثَةِ الدَّهْرِ
رَأَيْتُ الرِّزْقَ لَا يُكْسَ بٌ بِالْعُرْفِ وَلَا التَّكْرِ
وَلَا بِالسَّلَفِ الْأَمَّةِ لِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالذِّكْرِ
وَلَا بِالسُّمْرِ الْأَذْفِ وَلَا بِأَنْتُذِمِ الْبُسْرِ^(١)
وَلَا بِالْعَقْلِ وَالِدِّينِ وَلَا بِالْجَاهِ وَلَا الْقَدْرِ
وَلَا بِدُرِّكَ بِالطَّيْشِ وَلَا بِالْجَهْلِ وَلَا الْهَذْرِ
وَلَكِنْ قِسْمٌ تَجْرِي بِمَا نَذَرِي وَلَا نَذَرِي

جاء فتح بن شخرف إلى منزله بعد العشاء ، فلم يجد عندهم ما يتقشّى به ، ولا وجدَ
دُهناً للسراج وهم في الظلمة ، فجلس ليلة يبكي من الفرح ، ويقول : بأى يد قد كانت منى ،
بأى طاعة تنعم علىّ بأن أترك على مثل هذه الحال !

لقى هَرَمَ بن حَيَّانَ أَوْبَسَا الْقَرِيَّ ، فقال : السلام عليك يا أَوْيسَ بن عامر ! فقال :
وعليك السلام يا هَرَمَ بن حَيَّانَ ، فقال هَرَمُ : أما إِنِّي عَرَفْتُكَ بِالصَّفَةِ ، فكيف عَرَفْتَنِي ؟
قال : إِنَّ أرواحَ الْمُؤْمِنِينَ لَتُشَامُ كَمَا تُشَامُ الْخَلِيلُ ، فيعرف بعضها بعضاً . قال : أَوْصِنِي ،

(١) السمر : ح أسمر ؛ وهو الرمح اللدن اللين . والخذم : جمع خاذم ؛ أى قاطع .

قال : عليك بسيف البحر ، قال : فن أين المعاش ؟ قال : أف لك ! خالطت الشك
الموعظة ، أتفرّ إلى الله بدينك وتهمه في رزقك !
منصور الفقيه :

العَوْتُ أَسْهَلُ عِنْدِي بَيْنَ الْقَنَاءِ وَالْأَسِنَّةِ
وَالْخَيْلُ تَجْرِي سِرَاعاً مَقْطَعَاتِ الْأَعْنَةِ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لِنَذْلٍ عَلَيَّ فَضْلٌ وَمِنْهُ

أعرابي :

أَتَيْتُ أَنْ يَقَارِنَكَ النَّجَاحُ فَأَيْنَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ الْمُتَاحُ^(١)
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني ، قال : « إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ ؛ فَإِنَّهُ فَقْرٌ
حَاضِرٌ ، وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ » .
حكيم : أَحْسَنُ الْأَحْوَالِ حَالُ يَعْبِطُكَ هَهَا مِنْ دُونِكَ ، وَلَا يَحْقِرُكَ لَهَا
مَنْ فَوْقَكَ .

أبو العلاء المعري :

فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْعِيشَ فَاذْغِرْ تَوْشِطاً فَمَنْدَ التَّنَاسُهِ يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ^(٢)
تَوَقَّى الْبِدُورَ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُذَرِّكُهَا النُّقْصَانُ ، وَهِيَ كَوَامِلُ
خالد بن صفوان : كُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ حَالاً ، أَقَلَّ مَا تَكُونُ
فِي الْبَاطِنِ مَا لَا ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ كَرُمَتْ عِنْدَ الْحَاجَةِ خَلَّتْهُ^(٣) ، وَاللَّئِيمُ مَنْ لَوُمْتُ عِنْدَ
الْفَاقَةِ طَعَمْتَهُ .

(١) المتاح : الهيا . (٢) شروح سقط الزند ٥٥٢

(٣) الخلة : الحاجة .

شعر :

وَكَمْ مَلِكٍ جَانِبُهُ مِنْ كَرَاهَةٍ لِإِغْلَاقِ بَابٍ أَوْ لَتَشْدِيدِ حَاجِبٍ
وَلِي فِي غَنَى نَفْسِي مَرَادٌ وَمَذْهَبٌ إِذَا أُبْهِمَتْ دُونِي وَجُوهُ الْمَذَاهِبِ^(١)

بعض الحكماء : ينبغي للعاقل أن يكون في دنياه كالدعوى إلى الولية، إن أتته صحفة تناولها،
وإن جازته لم يرصدها ولم يطلبها .

(٤٦)

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام :

الأفضل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ ،
فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ؛
وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضَجَبًا ، وَالْمُسْتَضَجَبُ
لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .

قال الرضى رحمه الله :

وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفاه
أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام ، وتممه بأحسن تمام ، من قوله : « لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ » ،
إلى آخر الفصل .

الْبَرْخ :

وَعْثَاءُ السَّفَرِ : مشقته ، وأصل الوعث المكان السهل الكثير الدّس ، تَنَيْبُ
فيه الأقدام ، ويشق على مَنْ يمشى فيه ، أَوْعَثَ القوم ، أى وقعوا فى الوعث . والكآبة:
الحزن . والمنقلب ، مصدر من انقلب منقلبًا ، أى رَجَعَ ، وسوء المنظر : قُبْحُ للرأى .

وصدر الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسانيد الصحيحة ،
 وختمه أمير المؤمنين عليه السلام وتممه بقوله : « ولا يجمعهما غيرك » ؛ وهو الصحيح ؛
 لأنَّ مَنْ يُسْتَصْحَبُ لا يكون مستخلفاً ؛ فإنه مستحيل أن يكون الشيء الواحد في المكانين
 مقياً وسائراً ؛ وإنما تصح هذه القضية في الأجسام ؛ لأنَّ الجسم الواحد لا يكون في جهتين
 في وقت واحد ؛ فأما ما ليس بجسم وهو الباري سبحانه ؛ فإنه في كل مكان ؛ لا قلى معنى
 أن ذاته ليست مكانية ؛ وإنما المراد علمه وإحاطته ونفوذ حكمه وقضائه وقدره ؛ فقد صدق
 عليه السلام أنه المستخلف وأنه المستصحب ؛ وأنَّ الأمرين مجتمعان له جل اسمه .
 وهذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب ، من منزله
 بالكوفة متوجهاً إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه ؛ ذكره نصر بن مزاحم في كتاب
 " صغين ^(١) " ، وذكره غيره أيضاً من رواة السيرة .

[أدعية على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية]

قال نصر : لما وضع على عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى
 صغين ، قال : بسم الله ؛ فلما جلس على ظهرها ، قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا
 وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٢) اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر ...
 إلى آخر الفصل . وزاد فيه نصر : « وَمِنَ الْخَيْرَةِ بعد اليقين » . قال : ثم خرج أمامه
 الحرث بن سهم بن طريف ، وهو يرتجز ويقول :

يَا قَرِيبِي سِيرِي وَأُمِّي الشَّامَا وَقَطَمِي الْحُزُونَ وَالْأَعْلَامَا ^(٣)
 وَتَابِذِي مَنْ خَالَفَ الْإِمَامَا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَقِينَا الْعَامَا

(١) كتاب صغين ١٤٩ . (٢) سورة الزخرف ١٣ ، ١٤ .

(٣) صغين : « وأقطمي » ، والحزون : جمع حزن ، وهو ضد السهل من الأرض .

جَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، الطُّغَمَاءَ^(١) أَنْ تَقْتُلَ الْعَاصِيَ وَالْمُهَاجِرَ
* وَأَنْ تُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا *

قال : وقال حبيب بن مالك ، وهو على شُرْطَةٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام ، وهو آخِذٌ بِعِمَّانَ
دَابَّتِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُخْرِجُ بِالْمُسْلِمِينَ فَيُصِيبُوا أَجْرَ الْجِهَادِ بِالْقِتَالِ ، وَتُخَلَّفَنِي بِالْكُوفَةِ
لِحِشْرِ الرِّجَالِ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : إِنَّهُمْ لَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْأَجْرِ شَيْئًا إِلَّا كَفَتْ شَرِيكَهُمْ
فِيهِ ؛ وَأَنْتَ هَاهُنَا أَعْظَمُ غَنَاءَ عَنْهُمْ مِنْكَ لَوْ كُنْتَ مَعَهُمْ . فَخَرَجَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام ، حَتَّى
إِذَا حَازَى الْكُوفَةَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ^(٢) .

قال : وَحَدَّثَنَا عُرْوَةُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام ، عَنْ
أَبَائِهِ : أَنَّ^(٣) عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام خَرَجَ وَهُوَ يَرِيدُ صِفِّينَ ؛ حَتَّى إِذَا قَطَعَ النَّهْرَ ، أَمَرَ مُنَادِيَهُ ،
فَنَادَى بِالصَّلَاةِ ؛ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ؛ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ ،
فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَلَا مَنْ كَانَ مُشِيعًا أَوْ مَقِيمًا فَلْيَتِمَّ الصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّا قَوْمٌ سَفَرٌ ، أَلَا وَمَنْ
صَحِبَنَا فَلَا يَصُومَنَّ الْمَفْرُوضَ . وَالصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ رَكْعَتَانِ .

قال نصر : ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى نَزَلَ دِيرَ أَبِي مُوسَى - وَهُوَ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى فَرَسَيْنِ -
فَصَلَّى بِهِ الْعَصْرَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الطَّوْلِ وَالنِّعَمِ ! سُبْحَانَ
اللَّهِ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْإِفْضَالِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى أَمْرِهِ ؛
إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ^(٤) .

قال نصر : ثُمَّ^(٥) خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى نَزَلَ عَلَى شَاطِئِ نَرَسٍ^(٥) بَيْنَ مَوْضِعِ
حَمَامِ أَبِي بُرْدَةَ وَحَمَامِ عَمْرٍ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُوجِلُ

(١) الطُّغَمَاءُ : أَوْغَادُ النَّاسِ .

(٢) كِتَابُ صَفِينِ ١٥٠ : « حَتَّى إِذَا جَازَ حَدَّ الْكُوفَةِ » .

(٣) كِتَابُ صَفِينِ ١٥٠

(٤) كِتَابُ صَفِينِ ١٥١ .

(٥) نَرَسٌ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَآخِرُهُ سِينٌ مِهْمَلَةٌ : نَهْرٌ خَفِرُهُ نَرَسِيٌّ بَنُ بَهْرَامٍ بِنَوَاحِي الْكُوفَةِ ؛ مَاخِذُهُ
مِنَ الْفَرَاتِ ، وَعَلَيْهِ عِدَّةُ قُرَى . (مَرَاوِدُ الْأَمْثَلِ) .

الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ؛ والحمد لله كلما وَقَبَ ليل وَغَسَقَ ؛ والحمد لله كلما لاح نجم وخَفَقَ .

ثم أقام حتى صلى الغداة ، ثم شخص حتى بلغ إلى قبة قُبَيْن^(١) ، وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر ، فلما رآها ، قال : ﴿ وَالنَّخْلَ بِأَسِقَاتِ لَهَا طَلْعُ نَضِيدٍ ﴾ . ثم أحم دابته النهر ، فعبر إلى تلك البيعة فنزلها ، ومكث قَدَرُ الغداء .

قال نصر : وحدَّثنا عمر بن سعد ، عن محمد بن مُحَمَّد بن سُلَيْم^(٢) قال : لما نظر إلى أبي وهو يسير علياً عليه السلام ، وعلى يقول له : إِنَّ بَابِلَ أَرْضٌ قَدْ خُسِفَ بِهَا ، فحرك دابته لعلنا نصلي العصر خارجاً منها . فحرك دابته ، وجرك الناس دوابهم في أثره ؛ فلما جاز جِسْرَ الفرات^(٣) ، نزل فصلى بالناس العصر .

قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي ، عن أبيه ، عن عبد خير ، قال : كنت مع عليٍّ أسير في أرض بابل ، قال : وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال : فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأينا أفبيح^(٤) من الآخر ؛ قال : حتى أتينا على مكان أحسن مارأينا ؛ وقد كادت الشمس أن تنيب . قال : فنزل عليٌّ عليه السلام ، فنزلت معه ، قال : فدعا الله ، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر . قال : فصليت العصر ، ثم غابت الشمس ، ثم خرج حتى أتى دير كعب ، ثم خرج منه فبات بساباط ، فأتاه دهاقينها يمرضون عليه التزل^(٥) والطعام ، فقال : لا ، ليس ذلك لنا عليكم . فلما أصبح وهو بمظلم سابات^(٦) ،

(١) قُبَيْن ، بالضم ثم الكسر والتشديد ؛ قال صاحب مراصد الاطلاع : « ولاية بالعراق » .

(٢) صفين ١٥١ ، والسند هناك : نصر : عمر ، عن رجل - يعني أبا مخنف ، عن عمه ابن مخنف .

(٣) صفين : « جسر الصراة » ؛ والصراة من أنهار الفرات .

(٤) أفبيح ، من القبيح وهو السعة .

(٥) التزل : طعام الضيف .

(٦) مظلم سابات ؛ موضع مضاف إلى سابات التي بقرب المدائن ؛ قليل الضوء : مراصد الاطلاع ١٢٨٦

قرأ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾^(١) .

قال نصر : وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال :

لَا تَحْسَبْنِي يَا عَلِيُّ غَافِلًا لِأُورِدَنَّ الْكَوْفَةَ الْقَنَابِلَا^(٢)
* بِجَمْعِي الْعَامَ وَجَمْعِي قَابِلَا *

قال : فبلغ ذلك علياً عليه السلام ، فقال :

لَأُورِدَنَّ الْعَاصِيَ ابْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي
مُسْتَحْقِبِينَ حَلَقَ الدَّلَاصِ^(٣) قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ مَعَ الْقِلَاصِ^(٤)
* أَسْوَدَ غَيْلٍ حِينَ لَا مَنَاصِ *

[نزول عليّ بكربلاء]

قال نصر : وحدثنا منصور بن سلام التميمي ، قال : حدثنا حيان التميمي ، عن أبي عبيدة ، عن هرثمة بن سليم ، قال^(٥) : غزونا مع عليّ عليه السلام صفين ، فلما نزل بكرّ بلاء صلى بنا ، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ، ثم قال : واهالك يا ترربة^(٦) ! لِيَحْشَرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قال : فلما رجع هرثمة من غزاته^(٧) إلى امرأته جرّداء بنت سمير - وكانت من شيعة عليّ عليه السلام - حدثها هرثمة فيما حدث ، فقال لها : ألا أعجبك من صديقك أبي حسن !

(٢) صفين ١٥٣

(١) سورة الشعراء ١٢٨

(٣) القنابل : جماعات الخيل والناس .

(٤) مستحقين : حاملين ، والدلاس : الدروع اللينة .

(٥) يقال : جنب الرجل العرس إذا قاده إلى جنبه . والقلاس : جمع فلوس ؛ وهي الشابة من الإبل ؛ بمنزلة الجارية من النساء .

(٦) كتاب صفين ١٥٧ .

(٧) صفين : « من غزوته » .

(٧) صفين : « واهالك أيبتها التربة » .

قال : لما نزلنا كَرْبَلاءَ ، وقد أخذ حَفَنَةً مِنْ تَرَبُّبِهَا فَشَمَّهَا ، وقال : « أوَاهالك أيتها الثَّرىة ! لِيُحْشَرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » : وماءِلمه بالغيب ! فقالت المرأة له : دَعْنَا مِنْكَ أيها الرجل ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا .

قال : فلما بَعَثَ عُبيد الله بن زياد البعث الذي بَعَثَهُ إلى الحسين عليه السلام ، كُنْتُ فِي الْخَلِيلِ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ ؛ فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه ، عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْبُقْعَةَ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرَبُّبِهَا وَالْقَوْلَ الَّذِي قَالَه ، فَكَرِهْتُ مَسِيرِي ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى فَرَسِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ ؛ فَقَالَ الْحُسَيْنُ : أَمَعْنَا أَمْ عَلَيْنَا ؟ فَقُلْتُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا مَعَكَ وَلَا عَلَيْكَ ؛ تَرَكْتُ وَلَدِي وَعِيَالِي ^(١) أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَوَلِّ هَرَبًا حَتَّى لَا تَرَى مَقْتَلَنَا ^(٢) ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ حُسَيْنٍ ^(٣) بِيَدِهِ لَا يَرَى الْيَوْمَ مَقْتَلَنَا أَحَدٌ ثُمَّ لَا يَعِينُنَا ^(٤) إِلَّا دَخَلَ النَّارَ .

قال : فَأَقْبَلْتُ فِي الْأَرْضِ أَشَدَّ هَرَبًا ، حَتَّى خَفِيَ عَلَيَّ مَقْتَلُهُمْ .

قال نصر : وَحَدَّثَنَا مُصْعَبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : جَاءَ ^(٥) عُرْوَةُ الْبَارِقِ إِلَى سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : حَدِيثٌ حَدَّثْتَنَاهُ ^(٦) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : نَعَمْ بِعَثْنِي يُخَنِّفُ بْنُ سَلِيمٍ إِلَى عَلِيٍّ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى صِفِّينَ ، فَأَتَيْتُهُ بِكَرْبِلاءَ ، فَوَجَدْتُهُ يُشِيرُ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : هَاهُنَا ، هَاهُنَا ! فَقَالَ لَهُ

-
- (١) صفين : « تَرَكْتُ أَهْلِي وَوَلَدِي » .
 - (٢) صفين : « حَتَّى لَا تَرَى لَنَا مَقْتَلًا » .
 - (٣) صفين : « فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ » .
 - (٤) صفين : « لَا يَفِيئُنَا » .
 - (٥) صفين ١٥٨ .
 - (٦) صفين : « حَدَّثْتَنِي » .

رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال : ثَقَلْ لآل محمد ينزل هاهنا ، فويل لهم منك ، وويل لكم منهم ! فقال له الرجل : مامنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويل لهم منك تقتلونهم ، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار .

قال نصر : وقدروى هذا الكلام على وجه آخر ، أنه عليه السلام قال : « فويل لكم منهم ، وويل لكم عليهم » ؛ فقال الرجل أما « ويل لنا منهم » ، فقد عرفناه ؛ فويل لنا عليهم ، مامعناه ! فقال : تَرَوْنَهُمْ يُقْتَلُونَ لَا تَسْتَطِيعُونَ نُصْرَتَهُمْ .

قال نصر : وحدثنا سعيد بن حكيم العبسى ، عن الحسن بن كثير ، عن أبيه ، أن علياً عليه السلام أتى كَرْبَلاء ، فوقف بها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، هذه كَرْبَلاء ، فقال : « ذات كَرْب وبلاء » ؛ ثم أوماً بيده إلى مكان ، فقال : هاهنا موضع رِجالهم ، ومُناخ رِكابهم ؛ ثم أوماً بيده إلى مكان آخر ، فقال : هاهنا مَرَّاقُ دمائهم ، ثم مضى إلى ساباط ^(١) .

[خروج علىّ لحرب معاوية وما دار بينه وبين أصحابه]

وينبئني أن نذكر هاهنا ابتداء عزمه على مفارقة الكوفة ، والمسير إلى الشام وما خاطب به أصحابه ، وما خاطبوه به ، وما كاتب به العمال وكاتبوه جواباً عن كتبه ؛ وجميع ذلك منقول من كتاب نَعْرَ بن مزاحم .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : لما أراد علىّ عليه السلام للسير إلى الشام ، دعا مَنْ كان معه من المهاجرين والأنصار ، فجمعهم ؛ ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بَعْدُ ؛ فإنتكم ميامين

الرأى ، مَرَّاجِيجِ الحِلْمِ ، مَبَارَكُو الأَمْرِ ، ومقاويل بالحق ؛ وقد عَزَمْنَا عَلَى السَّيْرِ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوَّكُمْ ؛ فَأَشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ .

فَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَنَا بِالْقَوْمِ جِدَّ خَبِيرٌ ؛ هُمْ لَكَ وَلِأَشْيَاعِكَ أَعْدَاءٌ ؛ وَهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ حَرْثَ الدُّنْيَا أَوْلِيَاءٌ ؛ وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَمَجَادِلُوكَ ^(١) لَا يُبْقُونَ جَهْدًا ، مَشَاحَّةً عَلَى الدُّنْيَا ، وَضَنْغًا بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا ؛ لَيْسَ لَهُمْ إِرْزُؤَةٌ غَيْرُهَا ؛ إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَهْلَالُ مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ؛ كَذَبُوا لَيْسَ لَهُمْ يَنْفِرُونَ ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ؛ انْهَضْ بَنَى إِلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ فَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّقَاقُ ؛ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِمْ ^(٢) ؛ وَاللَّهِ مَا أُرَاهُمْ يُبَايِعُونَ وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يُطَاعُ إِذَا نَهَى ؛ وَيُسْمَعُ إِذَا أَمَرَ ^(٣) .

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبِي الْكَنُودِ أَنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُتَقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا فافْعَلْ ، اشْتَخَصَ بَنَى قَبْلَ اسْتِعَارِ نَارِ الْفَجْرِ ، وَاجْتِمَاعِ رَأْيِهِمْ عَلَى الصَّدُودِ وَالْفِرْقَةِ ، وَادْعُهُمْ إِلَى حَقِّهِمْ وَرَشْدِهِمْ ؛ فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَفَكَ دِمَائِهِمْ ، وَاجِلَدَ فِي جِهَادِهِمْ ، لَقُرْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةٌ مِنْهُ ^(٤) .

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنَ عِبَادَةَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، انْكَمِشْ ^(٥) بَنَى إِلَى عَدُوِّنَا وَلَا تَمَرَّجْ ^(٦) ؛ فَوَاللَّهِ لَجَهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جِهَادِ التَّرِكِ

(١) صفين : « مجامدوك » .

(٢) صفين : « فذلك الظن بهم » .

(٣) كتاب صفين ١٠٣ .

(٤) صفين : « وهو كرامة منه » .

(٥) الانكماش : الجِدُّ فِي السَّيْرِ .

(٦) صفين : « لا تَمَرَّجْ » وَالتَّعَرِيدُ : الْفِرَارُ .

والروم ؛ لإدهانهم^(١) في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غَضِبُوا على رجل حَبَسُوهُ وضربوه وحرَمُوهُ وسَيَرُوهُ ، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ، ونحن لهم فيما يزعمون قَطِينٌ^(٢) - قال :
يعنى رقيق .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو أَيُّوبَ ؛ وغيرهما : لِمَ تَقَدَّمْتَ
أَشْيَاخَ قَوْمِكَ وِبدأتهم بالكلام يا قَيْسُ ؟ فقال : أَمَا إِنِّي عَارِفٌ بِفَضْلِكُمْ ، مَعْظَمُ
لِشَأْنِكُمْ ؛ وَلَكِنِّي وَجَدْتُ فِي نَفْسِي الضَّغْنَ الَّذِي فِي صَدُورِكُمْ جَاشَ حِينَ ذَكَرْتُ
الْأَحْزَابَ .

فقال بعضهم لبعض : لِيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ فَلْيُجِيبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَمَاعَتِكُمْ ، فَقَامَ
سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ ، فحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ نَحْنُ سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَمْتُمْ ،
وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتَ ، وَرَأَيْنَا رَأْيَكَ ، وَنَحْنُ^(٣) يَمِينُكَ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ تَقُومُ [بِهَذَا الْأَمْرَ]^(٤)
فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَتَأْمُرُهُمُ بِالشُّخُوصِ ، وَتُنْخِرُهُمْ بِمَا صَنَعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ
الْبِلَادِ وَهُمْ النَّاسُ ؛ فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ اسْتَقَامَ لَكَ الَّذِي تُرِيدُ وَتَطْلُبُ ؛ فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ
عَلَيْكَ خِلَافٌ مِنَّا ، مَتَى دَعَوْتَنَا أَجَبْنَاكَ ، وَمَتَى أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ^(٥) .

قال نصر : فحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي نُحَيْفٍ ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ
أَبِي خُشَيْشٍ ، عَنْ مَعْبُدٍ ، قَالَ : قَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطِيْبًا عَلَى مَنِيرِهِ ، فَكَانَتْ تَحْتَ الْمَنِيرِ ،
أَسْمَعُ تَحْرِيزَهُ^(٦) النَّاسَ وَأَمْرَهُ لَهُمُ بِالْمَسِيرِ إِلَى صَبْقِينَ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :

(١) الإدهان : الضش والمديعة .

(٢) صفين : « ونحن كف يمينك » .

(٣) من صفين

(٤) صفين ١٠٥

(٥) صفين : « حين حرض الناس » .

سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسُّنَن ، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار . ققام رجل من بنى فزارة ، فقال له : أترى أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فقتلهم لك ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلهم ! كلا ، ها الله^(١) إذا لا نفعل ذلك .

ققام الأشتر ، فقال : مَنْ هذا المارق !^(٢)

فهرب الفزاري ، واشتدَّ الناس على إثره ، فلحق في مكانٍ من السوق تُباع فيه البراذين ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قُتل ؛ فأتى على عليه السلام ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، قُتل الرجل ، قال : وَمَنْ قُتلَهُ ؟ قالوا : قتلته همدان ومعه شوب من الناس ، فقال : قتل عُمَيَّة^(٣) ، لا يُدرى مَنْ قتلته ! دبت من بيت مال المسلمين ؛ فقال بعض بنى تيم اللات بن ثعلبة^(٤) :

أعوذُ بربي أن تكونَ ميني
كما ماتَ في سوقِ البراذينِ أربدُ
تعاوَرَه همدانُ خفقَ نعالهمْ
إذا رُفِعَتْ عنه يدٌ وُضِعَتْ يدُ

ققام الأشتر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يهدنك مارأيت ، ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ؛ إن جميع مَنْ ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ، ولا يحبون البقاء بعدك ، فإن شئت فسير بنا إلى عدوك ، فوالله ما ينجو من الموت مَنْ خافه ، ولا يعطى البقاء مَنْ أحبه ، وإنا لعل بيئتنا من ربنا ؛ وإن أنفسنا لن نموت حتى يأتى أجلها . وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين بالأمس ، وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير !

(٢) صفين : « من لهذا أيها الناس » .

(٤) صفين : « فقال علاقة التيمي » .

(١) الماء هنا للتنبية يقسم بها .

(٣) قتل عُمَيَّة ، أى مينة فتنة وجهالة .

فقال على عليه السلام : الطريق مُشْتَرَك ، والناس في الحق سواء ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ . ثم نزل فدخل منزله ^(١) .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثني أبو زهير العبسي ، عن النضر بن صالح أن عبد الله بن المَعْتَمِ العَبْسِيَّ وحفظة بن الربيع التميمي ؛ لما أمر على عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دَخَلَا عَلَيْهِ فِي رَجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ غَطَفَانَ وَبَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ حَفْظَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ أَرَادَ مَشِينَا إِلَيْكَ فِي نَصِيحَةِ مُقَابِلَتِنَا ، وَرَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّهُ عَلَيْنَا ، فَإِنَّا نَنْظُرُ نَا لَكَ وَلَمْ نَمُكِّ ؛ أَقِمْ وَكَاتِبُ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا تَعَجَّلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ؛ فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَذِيرُ وَلَا تَذِيرُ لِمَنْ تَكُونُ الْغَلَبَةُ إِذَا التَّقِيمُ ؛ وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ! وقال ابن المَعْتَمِ مثل ^(٢) قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل كلاميهما ، فحمد على عليه السلام وأثنى ، ثم قال :

أما بعدُ فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تَرْجَمُونَ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . أما الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ظَفِرُوا أَوْ ظَفِيرَ بِهِمْ ؛ وَإِمْ اللَّهُ إِنِّي لِأَسْمِعَ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يَنْكُرُونَ مَنْكَرًا .

فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرَّيَّاحِيِّ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ هَؤُلَاءِ وَاللَّهِ مَا آثَرُواكَ بِنُصْحٍ ، وَلَا دَخَلُوا عَلَيْكَ إِلَّا بِفِشٍّ ، فَاحْذَرِهِمْ فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ .

وقال له مالك بن حبيب : إِنَّهُ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ حَفْظَةَ هَذَا يَكَاتِبُ مُعَاوِيَةَ ، فَادْفَعْنَا إِلَيْنَا نَحْبِسُهُ حَتَّى تَنْقَضِيَ غَزَاتُكَ ، وَتَنْصَرَفَ .

(١) صفح ١٠٧

(٢) صفح : « وَقَامَ الْمَعْتَمُ فَتَكَلَّمَ » .

وقام من بنى عبس قائد بن بكير وعيَّاش بن ربيعة العبسيَّان ، فقالا : يا أمير المؤمنين إنَّ صاحبنا عبد الله بن المَعتم قد بلغنا أنَّه يكتب معاوية ، فاحبسْه أو مكَّنَّا من حبسه ؛ حتى تنقضيَ غزاتك ثم تنصرف .

فقالا : هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم .
فقال لهما عليّ عليه السلام : الله بيني وبينكم ، وإليه أكلُكم ، وبه أستظهرُ عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) .

قال نصر : وبمَّث على عليه السلام إلى حَنْظَلَة بن الربيع المعروف بحَنْظَلَة الكاتب ، - وهو من الصحابة - فقال له : يا حَنْظَلَة ، أنت عليّ أم لى ؟ فقال : لا لك ولا عليك ؛ قال : فما تريد ؟ قال : اشخص إلى الرُّها ^(٢) ، فإنه فرَج من الفروج ، اصمِد له حتى ينقضيَ هذا الأمر .

فغضب من قوله خيار بن عمرو بن تميم وهم رهطه ، فقال : إنكم والله لا تفرونى من ديني ، دعونى فأنا أعلم منكم ، فقالوا : والله إن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندعُ فُلانة تخرج معك - لأم ولده - ولا وَلَدَها ، ولئن أردت ذلك لقتلتك .
فأعانه ناس من قومه واختلطوا سيوفهم ، فقال : أجْلُونى حتى أنظر . ودخل منزله وأغلق بابه ؛ حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية ، وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير ، وهرب ابن المَعتم أيضا ، حتى أتى معاوية فى أحد عشر رجلا من قومه .
وأما حَنْظَلَة فخرج إلى معاوية فى ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ؛ لكنَّهما لم يقاتلا مع معاوية ، واعتزلا الفريقين جميعا ^(٣) .

(١) صفين : ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام .

(٣) صفين : ١٠٩

وقال : وأمر على عليه السلام بهدم دار حفظة ، فهدمت ؛ هدمها عريضهم شبت بن ربيعة وبكر بن نعيم ؛ قال حفظة بهجوها :

أيا راكبا إما عرّضت فبلغنْ مُنْغَلَّةً عني سِراةَ بني عمرو
فأوصيكم بالله والبرِّ والتقى ولا تنظروا في النَّائباتِ إلى بكرِ
ولا شبتِ ذى النَّخْرَيْنِ كأنه أزبَ جِجالٍ قد رغا ليلة النَّفرِ^(١)

وقال أيضاً يحرّض معاوية بن أبى سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب خطّة ولكل سائلةٍ تَسيلُ قرارُ
لَا تَقْبَلَنَّ دَنِيَّةً تَرْضَوْنَهَا^(٢) فى الأمرِ حتى تُقتلَ الأنصارُ
وَكَمَا تَبُوهُ دِمَاؤُهُمْ بِدِمَائِكُمْ وَكَمَا تَهْدُمُ بِاللِّدْيَارِ دِيَارِ
وتُرى نساؤُهُمْ يَحْكُنَ حَوَاسِرَ ولهنَّ من ثكل الرجالِ جُوارِ^(٣)

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن سعد بن طريف ، عن أبى المجاهد ، عن المحلّ ابن خليفة ، قال : قام عدى بن حاتم الطائى بين يدى على عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :^(٤) يا أمير المؤمنين ، ما قلتَ إلا بعلم ، ولا دعوتَ إلا إلى حق ، ولا أمرتَ إلا بِرُشد ؛ ولكن إذا رأيتَ^(٥) أن تستأنى هؤلاء القوم وتستديمهم - حتى تأتيتهم كتبك ، ويقدم عليهم رُسُلك - فعلت . فإن يقبلوا يُصيبوا رُشدُهم^(٦) ، والعافية أوسعُ لنا ولم ؛

(١) الأزب : الكثير شعر الوجه والشنون ، وفى صفين :

* أَزْبُ جِجالٍ فى مُلَاحِيَةٍ صُغْرٍ *

(٢) صفين : « تعطونها » .

(٣) صفين : « ولهنَّ من ثكل الرجالِ حَوار » .

(٤) صفين ١١٠

(٥) صفين : « فإن رأيت » .

(٦) صفين : « فإن يقبلوا يُصيبوا ويرشدوا » .

وإن يَمَادُوا فِي الشُّقَاقِ وَلَا يَنْزِعُوا عَنِ الْغَىِّ فَسِرْ إِلَيْهِمْ . وقد قَدَّمْنَا إِلَيْهِمْ بِالْعَذْرِ^(١) ،
وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ الْحَقِّ ؛ فَوَاللَّهِ لَمْ يَنْزِعُوا عَنِ الْحَقِّ أَبَدًا ، وَعَلَى اللَّهِ أَهْوَنُ ؛ مِنْ
قَوْمٍ قَاتَلْنَاهُمْ أَهْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَرَكُوهُ ، نَاوَجْنَاهُمْ بِرُكَاةٍ
الْقِتَالِ^(٢) ؛ حَتَّى بَلَغْنَا مِنْهُمْ مَانِحًا ، وَبَلَغَ اللَّهُ مِنْهُمْ رِضَاءًا .

فَقَامَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ الطَّائِي - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبِرَانِسِ^(٣) الْمُجْتَهِدِينَ - فَقَالَ : الْحَدُّ
لِلَّهِ حَتَّى يَرْضَى ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّنَا ، أَمَا بَعْدَ : فَوَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ مَنْ
خَالَفَنَا ، وَلَا تَصْلَحُ لَنَا النَّيَّةُ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى نَسْتَدِيمَهُمْ وَنَسْتَأْنِيَهُمْ - مَا الْأَعْمَالُ إِلَّا فِي تَبَاطٍ ،
وَلَا السَّمْعُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٤) ؛ إِنَّا
وَاللَّهُ مَا أَرْتَبْنَا طَرَفًا عَيْنٍ فِيمَنْ يَتَّبِعُونَهُ^(٥) ، فَكَيْفَ بِاتِّبَاعِهِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ ، الْقَلِيلُ مِنَ
الْإِسْلَامِ حَظُّهُمْ ، أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ وَأَصْحَابِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ^(٦) ؛ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلَا
الْأَنْصَارِ ، وَلَا التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ طَيْئِ قُطَيْبٍ فَقَالَ : يَا زَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ ، أَكَلَامَ سَيِّدِنَا عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ
يُهْجَنُ^(٧) ! فَقَالَ : زَيْدٌ مَا أَنْتُمْ بِأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيٍّ مِنِّي ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعُ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ
وإن سَخِطَ النَّاسُ .

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ^(٨) : دَخَلَ أَبُو زَيْنَبٍ

(١) صَفِين : « الْعَذْر » .

(٢) الْبِرَاكَاةُ : الْإِبْرَاقُ فِي الْحَرْبِ ؛ وَهُوَ أَنْ يَجْثُو الْقَوْمُ عَلَى رُكْبِهِمْ . ، وَيُقَالُ : وَجَنَ بِهِ ، أَيْ ضَرَبَ
بِهِ الْأَرْضَ ، وَفِي صَفِين : « نَاوَجْنَاهُمْ » .

(٣) جَمْعُ بَرَسٍ ؛ وَهُوَ قُلُوبُ طَوِيلَةٌ كَانَتْ يَلْبَسُهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ النَّاسُ وَالزُّهَادُ .

(٤) سُورَةُ الضُّحَى ١١ .

(٥) صَفِين : « يَتَّبِعُونَ دَمَهُ » .

(٦) صَفِين : « وَمُسَدِّدِي أَسَاسِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ » .

(٧) فِي صَفِينِ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ : « قَالَ : فَقَالَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ : الطَّرِيقُ مَشْرُوكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ
سَوَاءٌ ؛ فَسَ اجْتَهِدْ رَأْيَكَ فِي نَصِيحَةِ الْعَامَّةِ فَقَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ » .

(٨) صَفِين ١١٢ : « الْحَارِثُ بْنُ حُصَيْنٍ » .

ابن عوف ، عَلَى عَلَى عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمنا في الخير نصيبا ؛ ولئن كنا على ضلال ، إنك لأتقلنا ظهرا وأعظمنا وزرا ؛ قد أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم العداوة ؛ نريد بذلك ما يعلمه الله تعالى من طاعتك ؛ أليس الذي نحن عليه هو الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحوب الكبير !

فقال عليه السلام : بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصرا ادعوتنا ، صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة كما زعمت ؛ فإنك ولي الله ، تسبح^(١) في رضوانه ، وتركض في طاعته ، فأبشر أبا زينب .

وقال له عمار بن ياسر : اثبت أبا زينب ، ولا تشك في الأحزاب ، أعداء^(٢) الله ورسوله .

فقال أبو زينب : ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة شهدا لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهني - مكانكما .

قال : وخرج عمار بن ياسر ، وهو يقول :

سِيرُوا إِلَى الْأَحْزَابِ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ سِيرُوا نَحِيرُ النَّاسِ أَتْبَاعُ عَلَى
هَذَا أَوْ أَنْ طَابَ سُلُوكُ الْمَشْرِقِ وَقَوْلُنَا الْخَلِيلَ وَهَزَّ السَّمْعَ بِي^(٣)

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن أبي روق ، قال :^(٤) دخل يزيد بن قيس الأرحبي عَلَى عَلَى عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نحن أولو جهاز وعدة ، وأكثر

(١) صفين : « تسبح » .

(٢) صفين : « عدوا لله ورسوله » .

(٣) السيوف المشرقية : منسوبة إلى مشارف الشام ؛ قرى من أرض العرب . والسهمري : الرمح

الصلب ، منسوب إلى سهم زوج ردينة ، وكانا مثقفين للرماح . (٤) صفين ١١٣ .

الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف^(١) ولا علة، فر مناديك؛ فليناد الناس يخرج إلى معسكرهم بالثخيلة؛ فإن أخذ الحرب ليس بالستوم ولا الثنوم، ولا من إذا أمكنه القرمس أجلبها، واستشار فيها؛ ولا من يؤخر عمل الحرب في اليوم لغد وبعد غد.

فقال زياد بن النضر: لقد نصحت لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يعرف فتوكل على الله، وثق به، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معانا؛ فإن يرده الله به خيراً لا يتركوك رغبة عنك^(٢) إلى من ليس له مثل سابقتك وقدميك^(٣)؛ وإلا يذبحهم ويقبلوا ويأبوا لإحاربتنا نجد حربهم علينا هينا؛ ونرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

ثم قام عبد الله بن بدليل بن ورقاء الخزاعي، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن القوم لو كانوا الله يريدون، والله يعملون، ما خالفونا؛ ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة وحباً للأثرة، وضناً بسلطانهم، وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلمنا نحن في نفوسهم، وعداوة يمدونها في صدورهم، لوقائع أوقعها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آبائهم وأعوانهم^(٤).

ثم التفت إلى الناس، فقال: كيف يبائع معاوية علياً، وقد قتل أخاه حفظة، وخأ الوليد، وجده عتبة في موقف واحد؛ والله ما أظلمهم يفعلون^(٥)، ولن يستقيموا لك دون أن تقصف فيهم قنأ المران^(٦)، وتقطع على هامهم السيوف، وتذخر حواجبهم بعماء الحديد، وتكون أمور حجة بين الفريقين.

(١) صفين: « ومن ليس بمضعف ».

(٢-٢) صفين: « إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي صلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام ».

(٣) صفين: « وإخوانهم ».

(٤) صفين: « ما أظن أن يفعلوا ».

(٥) صفين: « تقصد »، وهي بمعنى « تقصف » والمران: الرماح اللدنة.

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد عن الحارث بن حصين عن عبد الله بن شريك ، قال ^(١) : خرج حُجْر بن عدى وعمر بن الحقيق ، يُظهرا البراءة من أهل الشام ؛ فأرسل على عليه السلام إليهما أن كُفَا عَمَّا يَبْلُغُنِي عَنْكُمَا ، فأتياه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا محققين ؟ قال : بلى ؛ قالوا : أو ليسوا مُبْطِلِينَ ؟ قال : بلى ؛ قالوا : فلم منعنا من شتمهم ؟ قال : كرهتُ لكم أن تكونوا لَمَانِينَ شَتَامِينَ تَشْتَمُونَ وتَبْرَأُونَ ؛ ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن أعمالهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ؛ وقلتم مكان لعنكم إياهم ، وبراءتكم منهم : اللهم احقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، واهدِهِم من ضلالهم حتى يعرف الحق منهم مَنْ جِهَلَهُ ، ويرعوِي عن الغي والمدوان منهم مَنْ لَهَجَ بِهِ - لكان أحب إلى وخيراً لكم .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبلُ عِظَتِكَ ، وتؤدَّب بأدبك .

قال نصر : وقال له عمرو بن الحقيق يومئذ : والله يا أمير المؤمنين إني ما أحببتك ولا بايعتُك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تؤتينيهِ ، ولا التماسٍ سلطان ترفع ذكرى به ؛ ولكنني أحببتك بخصال خمس : أنك ابنُ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووصيه ، وأبو الذرية التي بقيتُ فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسبقُ الناس إلى الإسلام ، وأعظمُ المهاجرين سَهْمًا في الجهاد ؛ فلو أني كُفِّتُ نَقْلَ الجبالِ الرَّوَاسِي ، ونَزَحَ البحور الطوامي ؛ حتى يأتني على يومٍ في أمرٍ أقوي به وليك ، وأهينُ عدوك ؛ ما رأيتُ أني قد أدبت فيه كل الذي يحقُّ عليَّ من حقك .

فقال على عليه السلام : اللهم نَوِّرْ قلبه بالتقى ، واهدِهِ إلى صراطك المستقيم ^(٢) ،

(١) صفين ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) صفين : « إلى صراط مستقيم » .

لَيْتَ أَنْ فِي جُنْدِي مِائَةَ مِثْلِكَ ، فَقَالَ حُجْرٌ : إِذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَحَّ جَنْدُكَ ، وَقُلَّ فِيهِمْ مَنْ يَنْشَكَ .

قال نصر : وقام حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ وَأَهْلُهَا الَّذِينَ نُلْقِيهَا وَنَنْقُضُهَا ، قَدْ ضَارَسْنَا وَضَارَسْنَاهَا ^(١) ؛ وَلَنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ مَدَدٍ وَرَأْيٍ مَجْرَبٍ ، وَبِأَسْ عَمُودٍ ، وَأَزْمَتُنَا مَنَاقِدَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَقَتْ شَرَقْنَا ، وَإِنْ غَرَبَتْ غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَكُلَّ قَوْمِكَ بَرِيٍّ مِثْلَ رَأْيِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا حُسْنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا .

قال نصر : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَمَّالِهِ حِينَئِذٍ يَسْتَفْزُهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى مُخَنَفِ بْنِ سَلِيمٍ :

سَلَامٌ ^(٢) عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي أَتُحَدِّثُكَ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ ، وَعَبَّ فِي نُمَاسِ الْعَمَى وَالضَّلَالِ ، اخْتِيَارًا لَهُ - فَرِيضَةً عَلَى الْعَارِفِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أَرْضَاهُ ، وَيَسْخَطُ كُلَّ مَنْ عَصَاهُ ، وَإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالسَّيْرِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بَغْيًا ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِتْنِ ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ ، وَأَمَاتُوا الْحَقَّ ، وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ، وَاتَّخَذُوا الْفَاسِقِينَ وَلِيَّةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِذَا وَلَّى اللَّهُ أَعْظَمَ أَحَدِهِمْ أَبْغَضُوهُ وَأَقْصَوْهُ وَحَرَمُوهُ ، وَإِذَا ظَلَمَ سَاعِدَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحْبَبُوهُ ، وَأَدْنَوْهُ وَبَرَّوهُ ؛ فَقَدْ أَصْرَوْا عَلَى الظُّلْمِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ ؛ وَقَدِيمًا مَا صَدَّوْا عَنِ الْحَقِّ ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ ، وَكَانُوا ظَالِمِينَ . فَإِذَا أُتِيتَ بِكِتَابِي هَذَا ، فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْثَقَ أَصْحَابِكَ فِي نَفْسِكَ ، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا ، لَعَلَّكَ تَلْقَى مَعَنَا هَذَا الْعَدُوَّ

(١) ضَارَسَ الْأُمُورَ : جَرَّبَهَا .

(٢) كِتَابٌ صَفِيحٌ : ١١٦ ، ١١٧ .

المُحِلَّ ، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتجامع الحق ، وتباين الباطل ؛ فإنه لا غناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتبه عبيد الله^(١) بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

قال : فاستعمل نخنف على أصبهان الحارث بن أبي الحارث بن الربيع ، واستعمل قلى همدان سعيد بن وهب ، وكلاهما من قومه ، وأقبل حتى شهد مع علي عليه السلام صفين . قال نصر : وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى علي عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه علي عليه السلام : [من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس]^(٢) :

أما بعد ؛ فقد قدّم عليّ رسولك ، وقرأت كتابك ، تذكّر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصراف عنهم ، وسأخبرك عن القوم ؛ وهم بين مقيم لرغبة يرجوها ، أو خائف من عقوبة يخشاها ، فأرغب رغبهم بالعدل عليه ، والإنصاف له والإحسان إليه ؛ واحلّل عقدة الخوف عن قلوبهم ، واتّهِ إلى أمرى ولا تعدّه ، وأحسن إلى هذا الحى من ربيعة وكلّ من قبلك فأحسن إليه ما استطعت إن شاء الله .

قال نصر : وكتب إلى أمراء أعماله كلهم بنحو ما كتب به إلى نخنف بن سليم ، وأقام ينتظرهم .

قال : فحدثنا عمر بن سعد ، عن أبي رَوْق ، قال^(٣) : قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله ابن بُدَيْل : إن يومنا اليوم عَصَبَصَب^(٤) ما يصبر عليه إلا كل مشيّع^(٥) القلب ، الصادق

(١) صفين : « عبد الله » .

(٢) من صفين .

(٣) صفين ١٢٤-١٢٨ .

(٤) المصصب : الشديد ، وفي صفين : « عصب » .

(٥) المشيّع القلب : القوى الجاد الشجاع .

النّية ، رابط الجأش^(١)؛ وإيم الله ما أظنّ ذلك اليوم يبقى منهم ؛ ولا منا إلا الرّذال^(٢) فقال عبد الله بن بديّان : أنا والله أظنّ ذلك . فبلغ كلامهما عليّاً عليه السلام ، فقال لهما : ليكنّ هذا الكلام مخزوناً في صدوركم لا تظهراه ولا يسمعه منكم سامع ؛ إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكلّ آتية منيته كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته !

قال نصر : فلما سمع هاشم بن عُتبة ما قالاه ، أتى عليّاً عليه السلام ، فقال : سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم ، القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله ، فأحلّوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستوى بهم^(٣) الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الردى ، وحبّب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ؛ كرهبتنا في الآخرة وانتجاز موعد ربنا . وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقة وقدماً ؛ وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ؛ ولكن كُتِبَ عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطه لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرجة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك جدلة ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض مما أقلت ، ولا ما تحت السماء مما أظلت ؛ وأنى واليتُ عدوا لك ؛ أو عاديتُ ولياً لك !

فقال عليه السلام : اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك ، والمراقبة لنبيك^(٤) .

قال نصر : ثم إن عليّاً عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس ، ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

(١) الجأش : القلب ؛ وعلان رابط الجأش ؛ أى شجاع لا يضطرب قلبه خوفاً .

(٢) الرذال ، والرذيل : ما انتقى جبهه وبقى أخسه وأدونه .

(٣) صفين : « واستولاهم » .

(٤) كذا في صفين ، وفي الأصول : « المواقفة »

إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فأنصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة؛ ثم جعل الطاعة حظاً الأنفس ورضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط المعجزة^(١)، وقد تحملت أمر أسودها وأحرها، ولا قوة إلا بالله! ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفة نفسه، وتناول ما ليس له ومالا يدركه معاوية وجنده، الفئة الطاغية الباغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدلّهم بفروره؛ وأنتم أعلم الناس بالحلل والحرام؛ فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة؛ واعلموا أن الملسوب من سلب دينه وأمانته، والمفرور من أثر الضلالة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس عني، وقال: في غيرى كفاية؛ فإن الذود إلى الذود إبل، ومن لا يذذ عن حوضه يهدم. ثم إنى آمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وألا تفتابوا مسلماً، وانتظروا للنصر العاجل من الله إن شاء الله.

قال نصر: ثم قام ابنه الحسن بن هلى عليهما السلام، فقال:

الحمد لله لا إله غيرُه ولا شريك له.

ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمة مالا يحصى ذكره؛ ولا يؤدى شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة؛ ونحن إنما غضبنا الله ولكم؛ إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدهم. فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب؛ وإن الإقدام على الأسنة نخوة وعزيمة، لم يجتمع^(٢) قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

(١) صفين: « المعجزة » .

(٢) صفين: « لم يجتمع » ، والتمتع والامتناع: العز والقوة .

والصلح تأخذ منه مارضيت به والحرب يكفيك من أنفسها جرع^(١)
ثم قام الحسين بن علي عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا أهل الكوفة ،
أنتم الأحبة الكرماء ، والشعار دون الدثار ، جدوا في إطفاء ماذثر بينكم ، وتسهيل^(٢)
ماتو عر عليكم . ألا إن الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع ؛ فمن أخذ لها أهبتها ، واستعدت
لها عدتها ، ولم يألم كلومها قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ،
واستبصار سعيه فيها ، فذاك قمن^(٣) ألا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن
يدفعكم بالفيئة^(٤) ثم نزل .

قال نصر : فأجاب عليا عليه السلام إلى السير جل الناس ؛ إلا أن
أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ، فيهم غيبة السلماني وأصحابه ، فقالوا له : إننا نخرج
معكم ، ولا نترك عسكركم ونعسكر على حدة ، حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ؛ فمن
رأينا أنه أراد مالا يحل له أو بدا لنا منه بغى كئنا عليه . فقال لهم علي عليه السلام : مر حبا
وأهلا ؛ هذا هو الفقه في الدين ، والعلم بالسنة ، من لم يرض بهذا فهو خائن جبار^(٥) .
وأما آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ؛ منهم الربيع بن خثيم ؛ وهم يومئذ
أربعمائة رجل ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إننا قد شككنا في هذا القتال ؛ على معرفتنا
بفضلك ، ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو ؛ نزلنا بهذه الثعور
نكمن^(٥) ثم قاتل عن أهله ؛ فوجه علي عليه السلام بالربيع بن خثيم ، نزل الرمي ،
فكان أول لواء عقده عليه السلام بالكوفة لواء الربيع بن خثيم .

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي ، الخزائن ٢ : ٨٢

(٢) صفين : « إسهاال » .

(٣) صفين : « بالفته » .

(٤) صفين : « جائر » .

(٥) صفين : « تكون به » .

قال نصر : وحدثني عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف
ابن الأحمر ؛ أن ^(١) عليا عليه السلام لم يبرح الثخيلة ، حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة .
قال : وكان كتاب علي عليه السلام إلى ابن عباس :

أما بعد ، فاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكرهم بلائي عندهم ،
وعفوي عنهم في الحرب ، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل . والسلام .
قال : فلما وصل كتابه إلى ابن عباس بالبصرة ، قام في الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ،
وحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أيها الناس ، استمدوا للشخص إلى إمامكم ، وانفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم ؛ فإنكم تقاتلون الحليين القاسطين ؛ الذين لا يقرأون القرآن ،
ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدعون دين الحق ؛ مع أمير المؤمنين ، وابن عم رسول
الله ، الأمر المعروف ، والنهي عن المنكر ، والصادق بالحق ، والقيّم بالمهدي ، والحاكم
بحكم الكتاب ، الذي لا يرثي في الحكم ، ولا يدهن الفجار ، ولا تأخذه في الله
لومة لأثم .

فقام إليه الأحنف بن قيس ، فقال : نعم والله لنجيبنك ، ولنخرجن معك على العسر
واليسر ، والرضا والكراهة ، نحتسب في ذلك الأجر ، ونأمل به من الله العظيم حسن الثواب .
وقام خالد بن المعمر السدوسي فقال : سمعنا وأطعنا ؛ فتى استغفرتنا نقرنا ، ومتى
دعوتنا أجبتنا .

وقام عمرو بن مرجوم العبدي ، فقال : وفق الله أمير المؤمنين ، وجمع له أمر المسلمين ،

(١) كتاب صفين ١٣٠ .

ولمن المحلّين القاسطين، لا يقرءون القرآن ؛ نحن والله عليهم حقّون ، ولم في الله مفارقون ؛
فتى أردتنا صحبك خيلنا^(١) ورجأنا إن شاء الله .
قال : وأجاب الناس إلى السير ، ونشطوا وخفّوا ؛ فاستعمل ابن عباس على البصرة
أبا الأسود الدؤليّ وخرج حتى قدم على عليّ عليه السلام بالنخيلة .

[كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه]

قال نصر : وكتب^(٢) محمد بن أبي بكر إلى معاوية :
من محمد^(٣) بن أبي بكر إلى النಾಯ معاوية بن صخر ، سلام على أهل طاعة الله
يمن هو سلّم^(٤) لأهل ولاية الله . أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق
خلقاً بلا عيب ولا ضعف في قوته ؛ لا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبيداً ،
وجعل منهم شقياً وسعيداً ، وغويّاً ورشيداً ، ثم اختارهم على غيره ، فاصطفى وانتخب
منهم محمداً صلى الله عليه وآله ، فاخصّه برسالته ، واختاره لوحيه ، واثمنه على أمره ،
وبعثه رسولا مصداً قالما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ؛ فدا إلى سبيل أمره
بالحكمه والوعظ الحسنه ؛ فكان أوّل من أجاب وأناب ، وصدّق [ووافق]^(٥) فأسلم
وسلم أخوه وابن عمه - علي بن أبي طالب عليه السلام ، فصدقه بالغيب المكتوم ، وآثره
على كلّ حيم ، ووقاه كلّ هول ، وواساه بنفسه في كلّ خوف ؛ فخارب حربيه ، وسالم
سلّمه ؛ فلم يبرخ مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل^(٦) ، ومقامات الرّوع ؛ حتى برز سابقاً

(١) صفين : « ورجأنا » (٢) صفين ١٣٢ - ١٣٥

(٣) في صفين : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر .

(٤) صفين : « سلّم » .

(٥) من صفين

(٦) الأزل : الشدة والضيق .

لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله ؛ وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ؛ وهو هو السابق المبرز في كل خير ؛ أولُ الناس إسلاما ، وأصدق الناس نية ، وأطيبُ الناس ذرية ، وأفضلُ الناس زوجة ، وخيرُ الناس ابن عم . وأنت اللعينُ ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الفوائل ، وتجهدان على إطفاء نور الله ؛ ونجمعان على ذلك الجوع ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان في ذلك القبائل ؛ على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خلقت ، والشاهدُ عليك بذلك مَنْ يأوى ويلجأ إليك ؛ من بقية الأحزاب ورءوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ والشاهدُ على مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكروهم الله تعالى في القرآن ، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ؛ فهم معه كتائب وعصائب ؛ يحاللون حوله بأسيا فهم ، ويهريقون دماءهم دونه ؛ يرون الفضل في اتباعه ، والشقاق والعصيان في خلافه ؛ فكيف يالك الويل - تعديلُ نفسك بعلى - وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأبو ولده ، وأولُ الناس له اتباعا ، وآخرهم به عهدا ، يخبره بسرّه ، ويُسِرُّه في أمره ؛ وأنت عدوه وابن عدوه ؛ فتمتع ما استطعت بباطلك ، ولبيد ذلك ابن العاص في غوايتك ؛ فكان أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف تسببن لمن تكون العاقبة العليا . واعلم أنك إنما تكايد ربك الذى قد أمّنت كيده ، وأيسنت من روحه ، وهو لك بالمرصاد ؛ وأنت منه في غرور . وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء ! والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية^(١) :

من معاوية بن أبي سفيان ، إلى الزارى على أبيه محمد بن أبي بكر . سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه ، وما أصفى به نبيه ، مع كلام ألقته ووضعت ؛ لرأيتك فيه تضعيف ؛ ولأبيك فيه تمنيف ؛ ذكرت حق

(١) بعدها في صفيث : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ابن أبي طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبي الله ونصرته له ، ومواساته إياه ؛ في كل خوف وهول ؛ واحتجاجك على ، ونفرك بفضل غيرك لا بفضلك . فاحد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ؛ فقد كُفّا وأبوك معنا في حياة نبينا ؛ نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ؛ فلما اختار الله لنبية ماعنده ، وأتم له ما وعدده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حُجَّتَه ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه ، أول من ابتزّه وخالفه ، على ذلك اتفقاً وانساقاً^(١) ؛ ثم دعواهُ إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، وتلكأ عليهما ، فهما به المهوم ؛ وأرادا به العظيم ، فبايعهما وسلم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعا نه على سرهما ، حتى قبضا واقضى أمرهما . ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدى بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأفاصى من أهل المعاصي ، وبطنماً وظهراً^(٢) ، وكشفتما له عداوتكما وغلكما ، حتى بلغتما منه مناكاً ، نفذ حذرَك يا بن أبي بكر ، فستري وبال أمرك ، وقس شبرَك بفترك ، تقصُر عن أن تساوى أو توازى مَنْ يَزِنُ الجبال حلمه ، ولا تَلِينُ على قَسْرِ قناته ولا يُدْرِك ذو مَدَى أناته ، أبوك مَهْدٌ له مِهَادَه ، وبَنَى مُلْكَه وشاده ، فإن يكن مانحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك أسه^(٣) ونحن شركاؤه ، فبهديهِ أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أباك فعمل ما فعل ، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعله ، فِعْبَ أباك بما بدا لك ، أو دَعَّ . والسلام على من أناب ، ورجع من غوايته وناب .

قال : وأمر على عليه السلام الحارث الأعور أن ينادى في الناس : اخرُجوا إلى معسكركم

(١) صفين : « وانساقا » .

(٢) صفين : « أظهرتما » .

(٣) صفين : « أسسه » .

بالتَّخِيلَةِ ، فَنَادَى الْحَارِثُ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ ، وَبَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ حَبِيبٍ الْيَرُبُوعِيِّ صَاحِبِ شَرْطَتِهِ ، بِأَمْرِهِ أَنْ يَحْشُرَ النَّاسَ إِلَى الْمَعْسَكِ ، وَدَعَا عُقْبَةَ بْنَ عَمْرِو الْأَنْصَارِيَّ ، فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْكُوفَةِ - وَكَانَ أَصْغَرَ أَصْحَابِ الْعُقْبَةِ السَّبْعِينَ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ .

قال نصر : ودعا على عليه السلام زياد بن النضر وشریح بن هانيء - وكانا على مَذْحِجٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ - فقال : يا زياد ، اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مُمْسَى وَمُصْبِحٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ ؛ وَلَا تَأْمِنْهَا عَلَى حَالٍ . واعلم أنك إن لم تَزَعْهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تَحِبُّ مَخَافَةَ مَسْكُورِهِ ، سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا وَازْعًا مِنَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ هَذَا الْجُنْدَ ، فَلَا تَسْتَطِيلَنَّ عَلَيْهِمْ ؛ إِنَّ خَيْرَ كَمٍ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ؛ تَعْلَمُ مِنْ طَائِفِهِمْ ؛ وَعَلَّمَ جَاهِلِهِمْ ، وَاحْلَمْ عَنْ سَفِيهِهِمْ ؛ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَدْرِكُ الْخَيْرَ بِالْحِلْمِ وَكَفَّ الْأَذَى وَالْجَهْلَ ^(١) .

قال زياد : أَوْصَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَافِظًا لَوْصِيَّتِكَ ، مُؤَدِّيًا لِأَرْبَكَ ؛ يَرَى الرَّعْدُ فِي نَفَازِ أَمْرِكَ ، وَالنَّيَّ فِي تَضْيِيعِ عَهْدِكَ .

فأمرهما أَنْ يَأْخُذَا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَلَا يَخْتَلِفَا ، وَبِمَتْمَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا عَلَى مَقْدَمَتِهِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ ؛ فَأَخَذَ شَرِيحٌ يَمْتَزِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى حِدَّةٍ ، وَلَا يَقْرُبُ زِيَادًا ، فَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً لَهَا ، قَالَ لَهُ شَوْذِبُ :

لَعَبَدَ اللَّهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مِنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ :
سَلَامٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي أَتَمَدُّ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكَ وَلَيْتَنِي أَمَرَ

(١) الجهل هنا : السفاهة والنضب .

الناس ؛ وإن شَرِيناً لا يرى لى عليه طاعة ولا حقاً؛ وذلك من فعله بى استخفاف بأمرك، وترك لعهدك ، والسلام .

وكتب شريح بن هانىء إلى على عليه السلام :

لعبد الله على أمير المؤمنين من شَرِيح بن هانىء ، سلام عليك ؛ فإنى أحد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن زياد بن النضر حين أشركته فى أمرك ، ووليته جنداً من جنودك، طغى واستكبر ، ومال به العُجب والخيلاء والزهو إلى مالا يَرْضَى الله تعالى به من القول والفعل ؛ فإن رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزله عَنَّا ويبعث مكانه مَنْ يحب فليفعل ؛ فإننا له كارهون ، والسلام .

فكتب على عليه السلام إليهما :

من عبد الله على^(١) أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانىء . سلام عليكم ، فإنى أحد إليكما الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنى قد ولّيتُ مقدمتى زياد ابن النضر، وأمرته عليها، وشريح بن هانىء على طائفة منها أمير؛ فإن انتهى جمعكما إلى بأس، فزياد بن النضر على الناس كلهم ؛ وإن افترقما فكل واحدٍ منكما أمير الطائفة التى وليناه أمرها . واعلم أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا خرَجْتُمَا من بلاد كما فلا تسأما من توجيه الطلائع ، ومن نفَضِ الشَّعَابِ^(٢) والشَّجَرِ^(٣) والخلع^(٤) فى كلِّ جانب ، كى لا يفتزكا عدو ، أو يكون لهم كين . ولا تسيروا الكتاب والقبائل من لدن الصَّباح إلى المساء إلا على تعبئة، فإن دهمكم عدو أو غشيتكم مكروه، كنتم قد تقدمتم فى التعبئة، فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قُبُلِ الأشراف أو سيفاح^(٥)

(١) صفين : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ... » .

(٢) يقال : نفس المكان ينفذه ؛ إذا نظر جميع ما فيه حتى يعلم منه ؛ ومنه قول زهير :

وتنفذ عنها غيب كلَّ حِمْلَةٍ وَنَحْشَى رَمَاةِ الْغَوْثِ مِنْ كُلِّ مَرَصِدٍ

والشعاب : جمع شعبة ؛ وهى ما انشعب وتفرع من الوادى .

(٣) الحمر : ما وارى الإنسان من شجر ونحوه .

(٤) الأشراف : جمع شرف ؛ وهى الأماكن العالية . وسفاح الجبال : أسافلها .

الجبال وأثناء الأنهار ؛ كيما يكون ذلك لكم رِذَاءً ، وتكون مقاتلتكم من وَجْهِ واحد أو اثنين ؛ واجعلوا رقباء كما ^(١) في صياصي الجبال ، وبأعلى الأشراف ، ومناكب الأنهار ، يروُن لكم ، كي لا ^(٢) يأتِيكم عدوٌّ من مكان مخافة أو أمن . وإيّاكم والتفرّق ؛ فإذا أنزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً ؛ فإذا غشيكم الليل فنزلتم خِفِّقُوا عسكرَكم بالرماح والترسة ^(٣) ، ولتكن رمايتكم من وراء ترسيكم ورماحكم يُلُونهم . وما أقمتُ فكذلك فافعلوا كي لاتصابَ لكم غفلة ، ولا تُتْلَقَ لكم غِرة ، فما قوم يحفُّون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون . واحرُّسوا عسكركم بأنفسكم ، وإيّاكم أن تذوقا نَوْماً حتى تُصبحا إلا غِرَّاراً أو مَضْمُضَةً ^(٤) . ثم ليكن ذلك شأنكم ودأبكم حتى تنتهبوا إلى عدوكم ؛ وليكن كل يوم عندى خبركم ورسولٌ من قبيلكم . فإني - ولا شيء إلا ما شاء الله - حثيثُ السَّير في أثركم . عليكم في جريكم ^(٥) بالتَّوَدُّ ، وإيّاكم والمجلة ؛ إلا أن تتمكنكم فرصة بعد الإعذار والحجّة ، وإيّاكم أن تقتلوا حتى أقدم عليكمم ، إلا أن تُبدَأ ، أو يأتِيكم أمرى ، إن شاء الله ^(٦) .

قال نصر : ^(٧) وكتبَ على عليه السلام إلى أمراء الأجناد - وكان قد قسم عسكره أسبَاعاً ، فجعل على كل سُبُعٍ أميراً ، فجعل سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس ، ومعل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرَّباب وقريش

(١) صفين : « رقباءكم » .

(٢) كذا في أ ، و ب ، ج بحذف « كي » .

(٣) الترسة : جمع ترس ؛ وهو صفحة من الفولاذ مستديرة ، ويجمع على تراس أيضاً .

(٤) الفرار : الغليل من النوم . وقوله : « مضضة » ؛ لما جعل للنوم ذوقاً ، أمرهم ألا ينالوا منه إلا بأستهم ولا يسيغوه ؛ فشبهه بالمضضة بالماء واللقائه من الغم من غير ابتلاع ؛ كذا فسره صاحب اللسان (١٠ : ٩) ؛ وأورد كلام الإمام .

(٥) صفين : « حربكم » .

(٦) صفين ١٣٨ - ١٤٠

(٧) صفين ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

وكنانة وأسد ، ونخنف بن سليم على الأزد وبجيلة وخنعم والأنصار وخزاعة ، وحُجر
ابن عدى الكندى على كندة وحضر موت وقضاعة ، وزباد بن النضر على مذحج
والأشعرين ، وسعيد بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من خير ، وعدى بن
حاتم الطائي على طيء ؛ تجمعهم الدعوة مع مذحج ، وتختلف الرايتان : راية مذحج مع
زياد بن النضر ، وراية طيء مع عدى بن حاتم ؛ هذه عساكر الكوفة . وأما عساكر
البصرة فخالد بن معمر السدوسي على بكر بن وائل ، وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد
القيس ، وابن شيان الأزدي^(١) على الأزد ، والأحنف على تميم وضبة والرباب ، وشريك
ابن الأعور الحارثي على أهل العالية :

أما بعد ، فإنى أبرأ إليكم من معة الجنود^(٢) [إلا من جوعة إلى شعبة ، ومن قهر
إلى غنى ، أو عني إلى هدى ؛ فإن ذلك عليهم]^(٣) . فأغربوا^(٤) الناس عن الظلم
والعدوان ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى الله بها عتاً
فيردبها علينا وعليكم دعاءنا ؛ فإنه تعالى يقول : ﴿ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾^(٥) .
وإن الله إذا ماقت قوماً من السماء هلكوا في الأرض ، فلاتألوا أنفسكم خيراً ، ولا الجند
حسن سيرة ، ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة ؛ وأبلاؤا في سبيله ما استوجب عليكم ؛
فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجهدنا ، وأن تنصروه ما بلغت
قوتنا ولا قوة إلا بالله .

(١) في صفين : « صبرة بن شيان » .

(٢) قوله : « أبرأ إليكم من معة الجيش » ، نسيه صاحب اللسان هذا القول إلى عمر بن الخطاب ،
وقال : « وأما معة الجيش التي تراء منها عمر رضى الله عنه ؛ فهي وطأتهم من مروا به من مسلم أو
معاهد ، ولصابتهم لإيائهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بإلحاح يؤذن لهم فيه » ؛ وفي صفين : « معة الجيش » .
(٣) تكملة من كتاب صفين .

(٤) أغربوا الناس ، أى نحوهم ، وفي صفين « فأغربوا الناس » .

(٥) سورة الفرقان ٧٧

قال : وكتب عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذى لهم وعليهم :
أما بعد ؛ فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء ؛ أسودكم وأحمركم ، وجعلكم من
الوالى وجعل الوالى منكم بمنزلة الوالد من الولد ، و [بمنزلة ^(١)] الولد من الوالد ،
[الذى لا يكفيه منعه إياهم طلب عدوه والتهمة به ، ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذى
عليكم ^(٢)] . فحقكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم ، والكف عن فيثكم ؛ فإذا فعل
معكم ذلك ، وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، ونصرتة والدفع عن سلطان الله ،
فإنكم وزعة الله في الأرض ، فكونوا له أعواناً ، ولدينه أنصاراً ، ولا تفسدوا في الأرض
بعد إصلاحها ، إن الله لا يحب المفسدين ^(٣) .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثنا سعد بن طريف ، عن الأصمغ
ابن نباتة ، قال : قال عليّ عليه السلام : ما يقول الناس في هذا القبر ؟ - وفي النخيلة ،
وبالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله - فقال الحسن بن عليّ عليهما السلام : يقولون
هذا قبر هود لما عصاه قومه ، جاء فثات هاهنا ، فقال : كذبوا ؛ لأننا أعلم به منهم ؛ هذا قبر
يهوداً بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بكر يعقوب ؛ ثم قال : أهاهنا أحد من مهرة ^(٤) ؟
فأتى بشيخ [كبير ^(١)] ، فقال : أين منزلك ؟ قال : على شاطئ البحر ، قال : أين أنت
من الجبل ^(٢) ؟ قال : أنا قريب منه ، قال : فما يقول قومك فيه ؟ قال : يقولون : إن فيه قبر
ساحر ، قال : كذبوا ، ذاك قبر هود النبي عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب . ثم قال

(٢) صفين ١٤١ ، ١٤٢ .
(٤) صفين : « أين من الجبل الأحمر » .

(١) تسكلة من كتاب صفين .
(٣) مهرة : حى من اليمن .

عليه السلام : يُحْشَرُ مِنْ ظَهْرِ السَّكُوفَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَى غُرَّةِ^(١) الشَّمْسِ ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قال نصر : فلما نزل على عليه السلام التَّخَيُّلَةُ متوجِّهاً إلى الشام ، وبلغ معاويةَ خبره ، وهو يومئذ بدمشق ، قد ألبس منبر دمشق قميصَ عثمانٍ مختضباً بالدم ، وحول المنبر سبعون ألف^(٢) شيخ يبكون حوله ، لا تجف دموعهم على عثمان ، خطبهم ، وقال : يا أهل الشام ، قد كنتم تكذَّبونني في عليّ ، وقد استبان لكم أمره ؛ والله ما قتل خليفَتكم غيره . وهو أمرٌ بقتله ، وألب الناس عليه ، وآوى قَتَلَتَهُ ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم . يا أهل الشام ، الله الله في دم عثمان ! فأنا وليُّه وأحقُّ مَنْ طلب بدمه ؛ وقد جعل الله لوليِّ المقتول ظلماً سلطاناً ، فأنصروا خليفَتكم المظلوم ، فقد صنع القوم به ما تعلمون ، قتلوه ظلماً وبغياً ؛ وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفي إلى أمر الله .
ثم نزل .

قال نصر : فأعطوه الطاعة وانقادوا له ، وجمع إليه أطرافه ، واستعد للقاء عليّ عليه السلام^(٣) .

(٢) كذا في الأصول وفي كتاب صفين .

(١) غرة الشمس : مطلعها .

(٣) كتاب صفين ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤٧)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة :

الأفضل

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيَّ ؛ تُمَرِّكِينَ بِالنَّوَازِلِ ،
وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سَوْءًا إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ
أَوْ رَمَاهُ^(١) بِقَاتِلٍ .

الْبَيْتُخ :

عُكَاظ : اسم سُوقٍ للعرب بفاحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كلِّ سنة ، يقيمون
شبهًا ويتبايعون ويتناشدون شعرا ويتفاخرون ، قال أبو ذؤَيْب :

إِذَا بُنِيَ الْقِيَابُ عَلَى عُكَاظٍ وَقَامَ الْبَيْعُ وَاجْتَمَعَ الْأُلُوفُ^(٢)

فلما جاء الإسلام هدم ذلك ؛ وأكثر ما كان يُباع الأديم بها ، فنسب إليها .
والأديم واحد والجمع أَدَمٌ ، كما قالوا : أُنِيقُ للجلد الذي لم تَتِمَّ دباغته ، وجمعه أُفُقٌ . وقد
يجمع أديم على أدمة ، كما قالوا : رغيف وأرغفة .
والزلازل هاهنا : الأمور المزعجة ، والخطوب المحركة .

(١) مخطوطة النهج : « ورماء » .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٩٨ ؛ وفي شرحه « على عكاظ ، يريد بككاظ ، ويقال : فلات نازل على
فلات ، وعلى ضريبة ، أى بها . قام البيع ، يريد : قامت السوق » .

وقوله عليه السلام : « تَمَدِّين مَدَّ الْأَدِيم » ، استعارة لما ينافها من العَسْف والخبط .
وقوله : « تُعَرِّكِينَ » ؛ من عَرَكَتِ الْقَوْمَ الحرب إذا مارسهم حتى أُنْعِبَهُم .

[فصل في ذكر فضل الكوفة]

وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام شيء كثير ، نحو قول
أمير المؤمنين عليه السلام : نعمت المدرة .
وقوله عليه السلام : إنه يُحْشَر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا ، وجوهُهم على
صورة القمر .

وقوله عليه السلام : هذه مدينتنا ومحلّتنا ، ومقرّ شيعتنا .
وقول جعفر بن محمد عليه السلام : اللهم ازرهم من رماها ، وعاد من عادها .
وقوله عليه السلام : ترّبة تحيئنا ونحييها .
فأما ما هم به الملوك وأرباب السلطان فيها من سوء ، ودفاع الله تعالى عنها ؛ فكثير .
قال للنصور لجعفر بن محمد عليهما السلام : إني قد هممت أن أبعث إلى الكوفة
من ينقض منازلها ، ويحمر^(١) نخلها ، ويستصفي أموالها ، ويقتل أهل الرّيبة منها ؛
فأشّر على . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المرء ليقتردي بسلفه ، ولك أسلاف ثلاثة :
سليمان أعطى فشكر ، وأيوب ابتلى فصبر ، ويوسف قدر ففقر ؛ فاقتد بأيّهم شئت . فصمت
قليلا ، ثم قال : قد غفرت .

(١) جر النخلة ؛ أي قطع جارتها .

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي في كتاب "المنتظم" أن زياداً لما حصَّبه أهل الكوفة ، وهو يخطب على المنبر ، قطع أيدي ثمانين منهم ، وهم أن يخزب دورهم ، ويحمر نخلمهم ، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة ، يعرضهم على البراءة من عليّ عليه السلام ؛ وعلم أنهم سيمتنعون ، فيحتج بذلك على استئصالهم ، وإخرا ببلدهم .

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري : فإني كعم نفر من قومي ، والناس يومئذ في أمر عظيم ؛ إذ هومت تهويمه^(١) ، فرأيت شيئاً أقبل ، طويل العنق ، مثل عنق البعير أهدر أهمل^(٢) ، فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فرعاً ، فقلت لأصحابي : هل رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : لا ؛ فأخبرهم ، وخرج علينا خارج من القصر ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يقول لكم : إني عنكم اليوم مشغول ؛ وإذا بالطاعون قد ضربه ، فكان يقول : إني لأجد في النصف من جسدي حرّ النار حتى مات ، فقال عبد الرحمن بن السائب :

مَا كَانَ مُنْهِيًّا عَمَّا أَرَادَ بِنَا حَتَّى تَنَاقَلَهُ النَّقَادُ ذُو الرِّقَةِ
فَأَثَبَتِ الشَّقُّ مِنْهُ ضَرْبَةً عَظُمَتْ كَمَا تَنَاقُلُ ظُلُمًا صَاحِبَ الرِّحَةِ^(٣)

قلت : قد يظن ظان أن قوله : « صاحب الرحبة » يمكن أن يحتج به من قال : إن قبر أمير المؤمنين عليه السلام في رحبة المسجد بالكوفة ؛ ولا حجة في ذلك ، لأن أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رحبة المسجد ، يحكم بين الناس ، فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار .

(١) التهويم : هز الرأس من الناس .

(٢) يقال : هدر البعير ؛ صوت في غير شفقة ، والجلل الأهدل : السرخى المشفر .

(٤٨)

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام :

الأفضل :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ، وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ ، وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ
مَنْقُودِ الْإِنْعَامِ ، وَلَا مُكَافِ الْإِفْضَالِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمِي ، وَأَمَرْتُهُمْ
بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْقَةَ إِلَى
شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ ، مُوْطِنِينَ أَكْثَافَ دَجَلَةٍ ، فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ
مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ .

قال الرضى رحمه الله :

يعني عليه السلام بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا السَّمْتُ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ ؛ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ ،
وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَيَعْنِي بِالنُّطْقَةِ مَاءُ
الْفُرَاتِ ، وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبُهَا .

الْبَنْخُ :

وقب الليل ؛ أَيْ دَخَلَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ^(١) .
وَعَسَقَ ، أَيْ أَظْلَمَ . وَخَفَقَ النِّجْمُ ، أَيْ غَابَ .

ومقدمة الجيش ، بكسر الدال : أوله ؛ وما يتقدم منه على جمهور المسكر ؛ ومقدمة الإنسان ، بفتح الدال : صدره .

والمِلطاط : حاقّة الوادى وشَفِيرُهُ ، وساحل البحر ، قال رؤبة :

* نَحْنُ جَمَعْنَا النَّاسَ بِالْمِلطَاطِ *

قال الأصمعيّ : يعنى به ساحل البحر ، وقول ابن مسعود : هذا المِلطاط طريق بقيّة المؤمنين ، هُرَابًا مِنَ الدَّجَالِ - يعنى به شاطئ الفرات .

فأما قول الرضى رحمه الله تعالى : « المِلطاط : السمت الذى أمرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ، ويقال ذلك لشاطئ البحر » ، فلا معنى له ؛ لأنه لا فرق بين شاطئ الفرات وشاطئ البحر ، وكلاهما أمر واحد ، وكان الواجب أن يقول : المِلطاط : السمت فى الأرض ، ويقال أيضاً لشاطئ البحر .

والشَّرْذمة : نفر قليلون ..

وموطنين أكناف دجلة ، أى قد جعلوا أكنافها وطنًا ، أو طنت البُقعة .
والأكناف : الجوانب ، واحدها كَنَف . والأمداد : جمع مَدَد ، وهو ما يمدُّ به الجيش تقوية له .

وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالثَّخِيلَة خارجاً من الكوفة ومتوجّهاً إلى صِفَينَ لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ؛ ذكرها جماعة من أصحاب السير ، وزادوا فيها : « وقد أمرت على المنصر عتبة بن عمرو الأنصارى ، ولم آلكم ولا نفسى ^(١) ؛ فإيتاكم والتخلّفوا لتربص ؛ فإنى قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك متخلّفاً إلا لحقه بكم عاجلاً ، إن شاء الله » ^(٢) .

وروى نصر بن مزاحم عوض قوله : « فَأَنْهَيْتَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ » « فَأَنْهَيْتَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ »^(١).

قال نصر : فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَاللَّهِ مَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إِلَّا ظَنَيْنِ ، وَلَا يَتَرَبَّصُ بِكَ إِلَّا مَنَافِقُ ، فَمَرُّ مَالِكِ بْنِ حَبِيبٍ فَلْيَضْرِبْ أَعْنَاقَ الْمُتَخَلِّفِينَ . فقال : قَدْ أَمَرْتُهُ بِأَمْرِي ، وَلَيْسَ بِمَقْصَرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢).

[أَخْبَارُ عَلِيٍّ فِي جَيْشِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى صَفِين]

قال نصر بن مزاحم : ثُمَّ سَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِير^(٣) ؛ وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ حُرُّ بْنُ سَهْمٍ بْنُ طَرِيفٍ ، مِنْ بَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ مَالِكٍ ، يَنْظُرُ إِلَى آثَارِ كَسْرَى ؛ وَيَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْقُرٍ :

جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ^(٤)
فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا قُلْتَ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَفَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ * فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾^(٥) ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارثِينَ فَأَضْبَحُوا
مَوْرَثِينَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ ، فَسَلَبُوا دَنِيَاهُمْ بِالْعَصِيَةِ . إِيَّاكُمْ وَكُفْرَ النِّعَمِ ، لِأَحْلَلَ بِكُمْ
النِّعَمَ ، أَنْزَلُوا بِهِذِهِ الْفَجْوةَ^(٦).

(١) صفين : « إلى أعداء الله » .

(٢) صفين ١٤٨

(٣) بهر سير : بلد قرب المدائن .

(٤) من قصيدة له في المفضليات ٢١٦ - ٢٢٠

(٥) سورة الدخان ٢٥ - ٢٩

(٦) الفجوة : المكان المتسع في الأرض ؛ وفي صفين ١٥٩ « النجوة » ؛ وهو المكان المرتفع .

قال نصر: وحدثنا^(١) عمر بن سعد، عن مسلم الأعور عن حبة الرُني، قال: أمر على عليه السلام الحارث الأعور؛ فصاح في أهل المدائن: مَنْ كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد؛ فإنني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها، الهالك أكثر ساكنيها، لأمعروف يأمر به، ولا منكر يهون عنه.

قالوا: يا أمير المؤمنين؛ إنا ننتظر أمرك، مُرنا بما أحببت. فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة رجل منهم، وخلف ابنه زياد بعده، فلحقه في أربع مائة رجل منهم.

وجاء على عليه السلام حتى مرّ بالأنبار، فاستقبله بنو خُشْنُشَك^(٢)؛ دهاقينها. — قال نصر: الكلمة فارسية، أصلها «خُشْ» أي الطيب^(٣) —

قال: فلما استقبلوه، نزلوا عن خيولهم، ثم جاءوا يشتدون معه، وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه، فقال: ماهذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منّا نعظم به الأمراء؛ وأما هذه البراذين فهديّة لك، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً، وهياًنا لدوابكم علفاً كثيراً.

فقال عليه السلام: أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء فوالله ما ينفع ذلك الأمراء؛ وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا

(١) صفين ١٦٠، ١٦١

(٢) في الأصول «خشوش»، وما أثبتته من كتاب صفين.

(٣) العبارة كما في كتاب صفين: «قال سليمان: خش: طيب. نوشك: راض، يعني بنى الطيب الراضى، بالفارسية».

له . وأما دوابكم هذه ؛ فإن أحببت أن آخذها منكم ، وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم . وأما طعامكم الذي صنعتم لنا ؛ فإننا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بشئ . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نقوم به ثم نقبل منه ، قال : إذا لا تقومونه قيمته ، نحن نكتفي بما هو دونه . قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فإن لنا من العرب موالٍ ومعارف ؛ أئتمعنا أن هديهم لم أو تمنعهم أن يقبلوا منا ؟ فقال : كل العرب لكم موالٍ ، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم ، وإن غصبكم أحد فأعلمونا . قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إننا نحب أن نقبل هديتنا وكرامتنا . قال : ويحكم ! فنحن أغنى منكم . وتركهم وسار .

قال نصر : وحدثنا^(١) عبد العزيز بن سياه ، قال : حدثنا حبيب بن أبي ثابت ، قال : حدثنا [أبو]^(٢) سعيد التيمي المعروف بمقيصي ، قال : كنا مع علي عليه السلام في مسيره إلى الشام ؛ حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد ، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء ، فانطلق بنا علي عليه السلام حتى أتى [بنا]^(٣) إلى صخرة ضرس^(٤) في الأرض ؛ كأنها رُبضة عذبة^(٥) ؛ فأمرنا فاقبلناها ، فخرج لنا من تحتها ماء ، فشرب الناس منه ، وارتووا . ثم أمرنا فأكلناها عليه . وسار الناس حتى إذا مضى قليلا ، قال عليه السلام : أمينكم أحدٌ يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فانطلقوا إليه ، فانطلق منا رجالٌ ركبانا ومشاة ، فاقتصصنا الطريق إليه ؛ حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه ، فطلبناه ، فلم نقدِر على شيء ، حتى إذا عيَل علينا انطلقنا إلى دبرٍ قريب

(١) صفين ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) من صفين والقاموس .

(٣) الضرس : الأكمة الحشنة .

(٤) الرُبضة ، بضم الراء ويقال بكسرهما ؛ مقدار جثة العنز إذا ربيضت ؛ وفي الأثر : « جاء بثر يدك أنه رُبضة أرنب » أي جثتها . راجع اللسان .

مِثًا ، فسألناهم : أين هذا الماء الذى عندكم ؟ قالوا : ليس قُرْبَنَا ماء ، فقلنا : بلى إنا شربنا منه ، قالوا : أنتم شربتم منه ! قلنا : نعم ، فقال صاحب الدَّيْر : والله ما بُنِيَ هذا الدير إلا بذلك الماء ، وما استخرجه إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ .

قال نصر : ثم مضى عليه السلام ؛ حتى نزل بأرض الجزيرة ، فاستقبله بنو تَغْلِب والنَّعْمِر بن قاسط بِحَزُور^(١) ، فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبيّ : يا يزيد ، قال : كَبَيْك يا أمير المؤمنين ! قال : هؤلاء قومك ؛ من طعامهم فاطمهم ، ومن شراهم فاشرب .

قال : ثم سار حتى أتى الرِّقَّة - وجلّ أهلها عُمانيّة ، فرّوا من السكوفة إلى معاوية - فأغلقوا أبوابها دونه ، وتحصّنوا ، وكان أميرهم سَمَّاك بن مخرقة الأسدى فى طاعة معاوية ، وقد كان فارق عليا عليه السلام فى نحو من مائة رجل من بنى أسد ، ثم كاتب معاوية ، وأقام بالرِّقَّة حتى لحق به سبعمائة رجل .

قال نصر : فروى حَبَّة أن عليًّا عليه السلام لما نزل على الرِّقَّة ، نزل بموضع يقال له البَلِيخ على جانب الفرات ، فنزل راهب هناك من صومعته ، فقال لعليّ عليه السلام : إنَّ عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا ، كتبه أصحابُ عيسى بن مريم ، أعرضه عليك ؟ قال : نعم ، فقرأ الراهب الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . الذى قضى فيما قضى ، وسَطَرَ فيما كتب^(٢) : أنه باعثٌ فى الأميين رسولا منهم ؛ يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلّهم على سبيل الله ، لا فظًّا ولا غليظًا ؛ ولا صَخَابًا فى الأسواق ، ولا يجرى بالسيئة السيئة ، بل يعقو ويصفتح ، أمته المحادون الذين يحمّدون الله على كلِّ نَشْر^(٣) ، وفى كلِّ صَعُود وهَبُوط ، تذلُّ ألسنتهم

(١) الحزور : الناقة التى تنحر ؛ وفى صفين : « بالجزيرة » .

(٢) صفين : « فيها سطر » .

(٣) النشر : المكان المرتفع ، كالنشاز .

بالتكبير والتهليل ، والتسبيح ؛ وينصره الله على من ناواه ؛ فإذا توفاه الله ، اختلفت أمته من بعده ؛ ثم اجتمعت ، فلبثت ما شاء الله ، ثم اختلفت ، فيموت رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحق ولا يركس^(١) الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمان^(٢) . يخاف الله في السر ، وينصح له في العلانية ، لا يخاف في الله فومة لا ثم ؛ فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ؛ فإن القتل معه شهادة .
ثم قال له : أنا مصاحبك ، فلا أفرقك حتى بصيبنى ما أصابك . فسكى عليه السلام ، ثم قال : الحمد لله الذى لم أكُنْ عنده منسياً ، الحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتُب الأبرار .

فمضى الراهب معه ، فكان فيما ذكروا يتقدم مع أمير المؤمنين ويتعشى ، حتى أصيب يوم صفين ؛ فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام : اطلبوه ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه . وقال : هذا ميتاً أهل البيت ، واستغفر له مراراً^(٣) .
روى هذا الخبر نصر بن مزاحم فى كتاب " صفين " عن عمر بن سعد ، عن مسلم الأعور ، عن حبة العرنى . ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني ، بهذا الإسناد عن حبة أيضاً فى كتاب صفين .

وروى ابن ديزيل فى هذا الكتاب ، قال : حدثنى يحيى بن سليمان ، قال : حدثنى يحيى بن عبد الملك بن حميد بن عتيبة ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ومحمد

(١) الركن : رد الشيء مقلوباً ، وفى صفين : « ولا يرتقى فى الحكم » .

(٢) صفين : « الظما » .

(٣) كتاب صفين لنصر ١٦٤ ، ١٦٥ .

ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبي سعيد الخدري ، رحمه الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانتقطع شنع^(١) نعليه ، فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ، ثم قال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلتُ على تنزيله » ، فقال أبو بكر الصديق : أنا هو يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فقال عمر بن الخطاب : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ولكنه ذاكم خاصف النعل » — ويدّ عليّ عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله يصلحها .

قال أبو سعيد : فأتيتُ عليّاً عليه السلام فبشرته بذلك فلم يحفل به ، كأنه شيء قد كان علمه من قبل .

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضاً ، عن يحيى بن سليمان ، عن ابن فضيل ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي صادق ، قال : قدّم علينا أبو أيوب الأنصاريّ العراقيّ ، فأهدت له الأزد جُزرا^(٢) ، فبعثوها معي ، فدخلت إليه فسلمت عليه ، وقلت له : يا أبا أيوب ، قد كرّمك الله عزّ وجلّ بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلّم ، ونزوله عليك ، فإليّ أراك تستقبل الناس بسيفك ، تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين ، فقد قاتلناهم ، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ؛ فهذا وجهنا إليهم — يعني معاوية وأصحابه — وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ، ولم أرم بعد .

ووروى ابن ديزيل أيضاً في هذا الكتاب ، عن يحيى ، عن يعلى بن عبيد الخنفيّ ، عن إسماعيل السديّ ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو

(١) الشنع : قال النعل ؛ وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى تليها .

(٢) الجزر : جمع الجزور ؛ وهو ما يذبح من الإبل .

في الحَجْرَةِ يُوحَى إِلَيْهِ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُهُ حَتَّى اشْتَدَّ الْحَرُّ ، فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَهُ فَاطِمَةُ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ فَقَعَدُوا فِي ظِلِّ حَائِطٍ يَنْتَظِرُونَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَأَاهُمْ فَأَتَاهُمْ وَوَقَفْنَا نَحْنُ مَكَانَنَا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْنَا وَهُوَ يَظْلِمُهُمْ بِثَوْبِهِ ، مُمْسِكًا بِطَرَفِ الثَّوْبِ ، وَعَلَى مِمْسِكٍ بِطَرَفِهِ الْآخَرِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُهُمْ ، فَأَحْبِبْهُمْ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي سَلِمْتُ لِمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ ، وَحَرَبْتُ لِمَنْ حَارَبَهُمْ » قَالَ : : فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ : وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَالِمَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ فَصِيلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَكَمِ النَّخَعِيُّ ، عَنْ رَبَاحِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مُتَلَثِّمُونَ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا ، فَقَالَ لَهُمْ : أَوَلَسْتُمْ قَوْمًا عَرَبِيًّا قَالُوا : بَلَى ، وَلَكِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصِرْ مَنْ انصَرَهُ ، وَاخْذَلْ مَنْ خَذَلَهُ » ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اشْهَدُوا .

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ مَضَوْا إِلَى رَحَالِهِمْ فَتَبِعْتُهُمْ ، فَقُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : نَحْنُ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَذَاكَ - يَعْنُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ - أَبُو أَيُّوبَ ، صَاحِبُ مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَصَافَحْتُهُ .

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ وَعَلَةَ ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ ، أَنَّ (١) عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ ، فِي ثَلَاثِ آلَافٍ ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ طَلِي

الموصل ، ثم نصيبين ، ثم القنى بالرقّة ، فإني موافقها . وسكن الناس وأمنهم ، ولا تقاتل إلا من قاتلك ، وسير البردين^(١) ، وغور بالناس^(٢) . أقم الليل ، ورقه في السير ، ولا تسير أول الليل ؛ فإن الله جعله سكنا ، أرخ فيه بدنك وجندك وظهرك ، فإذا كان السحر ، أو حين يتبلج^(٣) الفجر ، فسر .

فسار حتى أتى الحديثة - وهى إذ ذاك منزل الناس ، وإنما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمد بن مروان - فإذا بكبشين ينتطحان ، ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة^(٤) - قتل بعد ذلك مع الحرورية - فأخذ يقول : إيه ، إيه ! فقال معقل : ما تقول ؟ فجاء رجلان نحو الكبشين ، فأخذ كل واحد منهما كبشا وانصرفا ، فقال الخثعمي لمعقل : لا تغلبون ولا تغلبون ؛ فقال معقل : من أين علمت ؟ قال : أما أبصرت الكبشين ، أحدهما مشرق والآخر مغرب ، التقيا فاقتتلا وانتطحا ، فلم يزل كل واحد من مصاحبه منتصفا ، حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به ! فقال معقل : أو يكون خيرا مما تقول يا أخا خثعم ! ثم مضى حتى وافى عليا عليه السلام بالرقّة .

قال نصر : وقالت طائفة من أصحاب علي عليه السلام له : يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومن قبله من قومك ، فإن الحجة لا تزاد عليهم بذلك إلا عظما . فكتب إليهم عليه السلام : [بسم الله الرحمن الرحيم]^(٥) ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش :

(١) البردان : الفداء والعشى .

(٢) غور بالناس ، أى اتزل بهم في الفائرة ؛ وهى الفائلة ؛ أو نصف النهار .

(٣) صفين : « ينبلج » ، وفى ب : « ينبلج » .

(٤) كذا في صفين ، ا ، ج ، وفى ب : « شرار بن أبي ربيعة » .

(٥) من صفين .

سلام عليكم، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أما بعد : فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا آمَنُوا
 بالتَّوْحِيدِ ، وَعَرَفُوا التَّوْحِيدَ ، وَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ،
 وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْدَاءُ لِلرَّسُولِ ، تَكْذِبُونَ ^(١) بِالْكِتَابِ ، مَجْمَعُونَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ،
 مِنْ تَقَفُّتِهِمْ مِنْهُمْ حَبَسْتُمُوهُ أَوْ عَذَبْتُمُوهُ أَوْ قَتَلْتُمُوهُ ؛ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِعْزَازَ دِينِهِ ، وَإِظْهَارَ
 أَمْرِهِ ، فَدَخَلَتْ الْعَرَبُ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، فَكُنْتُمْ
 فِيمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ ؛ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ؛ عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَفَازَ
 الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ . وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سَوَابِقِهِمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا فَضْلُهُمْ
 فِي الْإِسْلَامِ ؛ أَنْ يَنَازِعَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوَّلَى بِهِ ، فَيَجْجُرُ ^(٢) وَيُظْلِمُ ، وَلَا يَنْبَغِي
 لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَجْهَلَ قُدْرَهُ ، وَيَعْدُو طَوْعَهُ ، وَيُشْقِي نَفْسَهُ بِالْتِمَاسِ مَا لَيْسَ بِأَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ
 أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَقْرَبُهَا مِنَ الرَّسُولِ ، وَأَعْلَمُهَا بِالْكِتَابِ ، وَأَفْقَهُهَا
 فِي الدِّينِ ، أَوْلَمَّا إِسْلَامًا ، وَأَفْضَلُهَا جِهَادًا ، وَأَشَدَّهَا بِمَا تَحْمِلُهُ الْأُمَّةُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ
 اضْطِرَالًا ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وَلَا تَكْفُرُوا بِالْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
 وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ شَرَّارَ هُمُ الْجَاهِلُ الَّذِينَ يَنَازِعُونَ
 بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ لِلْعَالَمِ بَعْلَهُ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَزِدَادُ بِمَنَازَعَتِهِ الْعَالَمَ إِلَّا جَهْلًا .
 أَلَا وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَحَقِّ دِمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ فَإِنْ قَبِلْتُمْ أَصَبْتُمْ
 رُشْدَكُمْ ، وَاهْتَدَيْتُمْ لِحَقِّكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفِرْقَةَ وَشَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ لَمْ تَزِدَادُوا مِنَ اللَّهِ
 إِلَّا لَبْعًا ، وَلَا يَزِدَادُ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا سَخَطًا وَالسَّلَامَ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ جَوَابَ هَذَا الْكِتَابِ ، سَطْرًا وَاحِدًا ؛ وَهُوَ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ

(١) : « مَكْذِبُونَ »

(٢) ب وَصَفِينَ : « يَحْبُوب » .

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الزَّقَابِ
فَقَالَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَتَاهُ هَذَا الْجَوَابُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

قَالَ نَصْر : وَقَالَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الرَّقَّةِ : جَسُّوْا لِي جِسْرًا أُعْبَرْ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ إِلَى الشَّامِ ؛ فَأَبَوْا ، وَقَدْ كَانُوا ضَمُّوا السُّفْنَ إِلَيْهِمْ ؛ فَهَضَّ مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُعْبَرَ
عَلَى جِسْرِ مَتَبِجٍ ، وَخَلَفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ هَذَا الْحَصَنِ ؛ إِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ
إِنْ مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَجَسُّرُوا لَهُ عِنْدَ مَدِينَتِكُمْ حَتَّى يَمُوتَ مِنْهَا ؛ لِأَجْرَدَنْ فَيْكُمُ
السَّيْفُ ، فَلَا تُقْتَلَنَّ مَقَاتِلَكُمْ ، وَلَا تُخْرِبَنَّ أَرْضَكُمْ ، وَلَا تَخْذَنَ أَمْوَالَكُمْ .

فَلَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالُوا : إِنَّ الْأَشْتَرَ يَفِي بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا خَلَفَهُ عَلَىٰ عِنْدَنَا
لِيَأْتِيَنَا بِشَرٍّ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ : إِنَّا نَاصِبُونَ لَكُمْ جِسْرًا ، فَأَقْبَلُوا . فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرُ إِلَىٰ عَلَىٰ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَنَجَّاهُ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْجِسْرَ ، فَعَبَرَ الْأَثْقَالُ وَالرِّجَالُ ، وَأَمَرَ الْأَشْتَرُ فَوَقَفَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ
فَارِسٍ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا عَبَرَ ، ثُمَّ عَبَرَ آخِرُ النَّاسِ رَجُلًا .

قَالَ نَصْر : وَازْدَحَمَتِ الْخَيْلُ حِينَ عَبَرَتْ ، فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ،
فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا ، وَرَكِبَ ، ثُمَّ سَقَطَتْ قَلَنْسُوءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحِجَّاجِ ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ رَكِبَ
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ :

فَإِنْ يَكُ ظَنُّ الزَّاجِرِ الطَّيْرَ صَادِقًا كَمَا زَعَمُوا ، أَقْتُلْ وَشِيكََا وَتَقْتُلْ
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَصِينِ : مَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا ذَكَرْتَ ، فَقَتَلَا مَعًا
يَوْمَ صَفَيْنَ ^(٢) .

(١) سورة القصص ٥٦ .

(٢) صفين ١٦٩ .

قال نصر : فلما^(١) قطع على عليه السلام الفرات ، دعا زياد بن النضر وشرّح بن هانيّ فسرّحهما أمامه نحو معاوية ، على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة ، في اثني عشر ألفا ، وقد كانا حيث سرّحهما من الكوفة مقدّمة له أخذا على شاطئ الفرات من قبل البرّة ، مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات^(٢) ، فبلغهم أخذ على عليه السلام طريق الجزيرة ، وعلموا أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله ، فقالا : والله ما هذا برأى ، أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر ، وما لنا خيرٌ في أن نلقى جموع الشام في قلّة من العدد ، منقطعين عن المدد . فذَهَبُوا ليمبرُوا من عانات ، فنعهم أهلها ، وحبسوا عنهم السفن ، فأقبلوا راجعين حتى عَبَرُوا من هيت ، ولاحقوا عليا عليه السلام بقرية دون قرّة قيسيا ، فلما لحقوا عليا عليه السلام تحجّب ، وقال : مقدّمتي تأتي من ورائي ! فقام له زياد وشرّح ، وأخبراه بالرأى الذي رأيا . فقال : قد أصبتما رُشْدًا . فلما عَبَرُوا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية ، فلما اتّهما إلى معاوية ، لقيهما أبو الأعور السلميّ في جنود من أهل الشام ، وهو على مقدّمة معاوية ، فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبى ، فبعثوا إلى على عليه السلام : إنّنا قد لقينا أبا الأعور السلميّ بسور الروم في جند من أهل الشام ، فدعونا وأصحابه إلى الدخول في طاعتك ، فأبى عليا ، فرنا بأمرك .

فأرسل على عليه السلام إلى الأشتر ، فقال : يا مال ، إن زيادا وشرّحا أرسلنا إلى يعلماني أنّهما لقيّا أبا الأعور السلميّ في جند من أهل الشام بسور الروم ، ونبأني الرسول أنه تركهم متواقفين ؛ فالنّجاء النّجاء إلى أصحابك ؛ فإذا أتيتهم فأنت عليهم ؛ وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك ، والقهم واسمع منهم ، ولا يجر منك شئنا ثمّ على قتالهم قبل

(١) صفين ١٧٠ وما بعدها . (٢) عانات : قرية من قرى الفرات .

دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة ، واجمل على ميمتك زيادا ، وعلى ميسرتك شريحا ، وقف من أصحابك وسطا ، ولا تدن منهم دنوا من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تتباعد عنهم تباعد من يهاب الناس ؛ حتى أقدم عليك ؛ فإني حثيث السير إليك إن شاء الله .

قال : وكتب على عليه السلام إليهما - وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي - : أما بعد ؛ فإني قد أمرت عليك ما لك ، فاسمعا له وأطيعا أمره ؛ وهو ممن لا يخاف رقه ولا سقاطه ^(١) ، ولا بظوه عما الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل ؛ وقد أمرته بمثل الذي أمرتك ، ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ، ويُعذر إليهم إن شاء الله .

قال : نخرج الأشر حتى قدم على القوم ، فاتبع ما أمره به على عليه السلام ، وكف عن القتال ، فلم يزالوا متواقفين ^(٢) ؛ حتى إذا كان عند المساء ، حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة . ثم إن أهل الشام انصرفوا ، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عُدتها وعددها ، فخرج إليهم أبو الأعور السلمي ، فاقتلوا يومهم ذلك ، تحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، وصبر بعضهم لبعض ؛ ثم انصرفوا . وبكر عليهم الأشر ؛ فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التثؤخي ، قتله طبيان بن عمار التميمي ، وما هو يومئذ إلا فتى حديث السن . وإن كان الشامي لفارس أهل الشام ، وأخذ الأشر يقول : ويحكم أروني أبا الأعور !

ثم إن أبا الأعور دعا الناس ، فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة ، وجاء الأشر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أول مرة ، فقال الأشر لسنان بن مالك النخعي . انطلق إلى أبي الأعور ، فادعه إلى المبارزة ،

(١) الرق : الطيش والرق . والسقاط : الخطأ . (٢) متواقفين : وقف بعضهم أمام بعض في الحرب

فقال : إلى مبارزتي أم إلى مبارزتك ؟ فقال : أَوَلَوْ أَمَرْتُكَ بمبارزته فعلت ؟ قال : نعم ؛ والذي لا إله إلا هو ؛ لو أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْتَرِضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ حَتَّى أَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ .
فقال : يابن أخي ، أطل الله بقاءك ا قد والله ازددتُ فيك رغبة ، لا ما أَمَرْتُكَ بمبارزته ، إنما أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوهُ لمبارزتي ؛ فإنه لا يبارز - إن كان ذلك من شأنه - إلا ذَوِي الْأَسْنَانِ والكفاءة والشرف ، وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ؛ ولكنك حديثُ السنِّ ، وليس يبارز الأحداث ؛ فاذهب فادعه إلى مبارزتي .

فأتاهم فقال : أنا رَسُولُ فَأَمْنُونِي ، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور .

قال نصر : فحدثني ^(١) عمر بن سعد ، عن أبي زهير العبسيِّ ، عن صالح بن سنان ، عن أبيه ، قال : فقلت له : إن الأشرير يدعوك إلى المبارزة ، قال : فسكت عني طويلا ، ثم قال : إِنَّ خُفَةَ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ وَهَوَانَهُ ؛ دَعَاهُ إِلَى إِجْلَاءِ عَمَالِ عُثْمَانَ ، وَافْتِرَائِهِ عَلَيْهِ ، يَقْبَحُ مُحَاسِنُهُ ، وَيَجْهَلُ حَقُّهُ ، وَيُظْهِرُ عِدَاوَتَهُ . وَمِنْ خُفَةِ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ أَنَّهُ سَارَ إِلَى عُثْمَانَ فِي دَارِهِ وَقَرَّارِهِ ، فَقَتَلَهُ فِيمَنْ قَتَلَهُ ، وَأَصْبَحَ مَقْبَعًا ^(٢) بدمه ، لا حاجة لي في مبارزته .

فقلت : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَاسْمِعْ حَتَّى أَجِيبَكَ ، فقال : لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك ، اذهب عني ؛ وصاح بي أصحابه فانصرف عنه ، ولو سمع لأسمعته عذرَ صاحبي وحجته .

فرجعت إلى الأشرير ، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة ، فقال : لنفسه نظر .

قال : فتواقفنا ، فإذا هم قد انصرفوا . قال : وصَبَحْنَا عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ غُدْوَةً سَائِرًا نَحْوَ مَعَاوِيَةَ ، فَإِذَا أَبُو الْأَعْمُرِ قَدْ سَبَقَ إِلَى سَهْوَةِ الْأَرْضِ وَسَعَةِ الْمَنْزِلِ ، وَشَرِيعَةِ الْمَاءِ ، مَكَانٍ

(١) كتاب صفين ١٧٣

(٢) صفين : « مبتع » .

أفصح ؛ وكان أبو الأعور على مقدّمة معاوية ، واسمه سفيان بن عمرو ، وقد جعل على ساقته
بُسْر بن أرطاة العامريّ ، وعلى الخليل عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، ودفع اللواء إلى
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على ميمنته حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وعلى رجّالته
من الميمنة يزيد بن زحر الضبيّ ، وعلى اليسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرّجالة من
اليسرة حابس بن سعيد الطائيّ ، وعلى خيل دمشق الضّحّاك بن قيس الفهريّ ؛ وعلى رَجّالة
أهل دمشق يزيد بن أسد بن كُرْز البجليّ ، وعلى أهل خِصّ ذا السّكّلاع ، وعلى أهل
فلسطين مسّلة بن مخلد ، وكان وصول على عليه السلام إلى صيّفين لثمان بقين من المحرم من
سنة سبع وثلاثين .

(٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَاثَ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُذَكِّرُهُ ، وَلَا قَلْبُ مَنْ اثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ .
سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ ؛ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ بِسَاوَاهُ فِي الْمَكَانِ بِهِ .
لَمْ يُطْلِعِ الْمُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجِبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ؛ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُودِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا !

البيان :

بطنت سيرة فلان ، أى أخفيتهُ .

والأعلام : جمع علم ، وهو للنار يهتدى به ؛ ثم جعل لكل ما دل على شيء ؛ ففعل لمعجزات الأنبياء أعلام ، لدلائلها على نبوتهم . وقوله عليه السلام : « أعلام الظهور » ، أى الأدلة الظاهرة الواضحة .

وقوله فيما بعد : « أعلام الوجود » أى الأدلة الموجودة ، والدلالة هى الوجود نفسه ، وسيأتى شرح ذلك .

وقوله : « وامتنع على عين البصير » ، يقول : إنَّه سبحانه ليس بمَرْتَى بالعَيْن ؛ ومع

ذلك فلا يمكنُ مَنْ لم يَرَهُ بعينه أن ينكره ؛ لدلالة كلِّ شيء عليه ، بل لدلالته سبحانه على نفسه ..

ثم قال : « ولا قلب من أثبتته ببصره » ، أى لا سبيل لمن أثبت وجوده أن يحيطَ علما بجميع أحواله ومعلوماته ومصنوعاته ؛ أو أراد أنه لا تعلم حقيقة ذاته ؛ كما قاله قوم من المحققين .

وقد رُوِيَ هذا الكلام على وجه آخر ، قالوا^(١) في الخطبة : « فلا قلبُ مَنْ لم يَرَهُ ينكره ، ولا عينُ مَنْ أثبتته تبصره » ، وهذا غير محتاج إلى تفسير لوضوحه .

وقوله عليه السلام : « فلا استعلاؤه باعده » ، أى ليس علوه ولا قرب به كما نفعله من العلوّ والقرب للمكانين ، بل هو علوّ وقرب خارج من ذلك ، فليس علوه يقتضى بعده بالمكان عن الأجسام ، ولا قربُه يقتضى مساواته إياها في الحاجة إلى المكان والجهة .

والباء في « به » متعلقة بـ « ساوام » ، معناه : ولا قربُه ساوام بنى الحاجة إلى المكان ؛ أى لم يقتضِ قربُه مماثلته ومساواته إياهم في ذلك .

[فصول في العلم الإلهي]

وهذا الفصل يشتمل على عدّة مباحث من العلم الإلهي :

أولها : كونه تعالى عالما بالأمور الخفية .

والثاني : كونه تعالى مدلولاً عليه بالأمور الظاهرة ؛ بمعنى أفعاله .

والثالث : أن هويته تعالى غير معلومة للبشر .

والرابع : نفي تشبيهه بشيء من مخلوقاته .

(١) كذا في جميع الأصول .

والخامس : بيان أن الجاحد لإثباته مكابر بلسانه ، وعارف به بقلبه .
ونحن نذكر القول في جميع ذلك على سبيل اقتصاص المذاهب والأقوال ، ونحيل
في البرهان على الحق من ذلك وبطلان شبه المخالفين فيه ، على ما هو مذكور في كتبنا
الكلامية ، إذ ليس هذا الكتاب موضوعا لذلك ، وإن كنا قد لا نخلي بمض فصوله
من إشارة إلى الدليل موجزة ، وتلويح إلى الشبهة لطيف ؛ فنقول : أما

الفصل الأول

وهو الكلام في كونه تعالى عالما بالأمور الخفية
فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما قال : بَطْنُ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ « وهذا القدر
من الكلام يقتضى كونه تعالى عالما ، يعلم الأمور الخفية الباطنة ؛ وهذا منقسم قسمين :
أحدهما : أن يعلم الأمور الخفية الحاضرة .
والثاني : أن يعلم الأمور الخفية المستقبلية .
والكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين ، فنحمله عليهما معاً . فقد خالف في كل
واحدة من المسألتين قوم ؛ فمن الناس مَنْ نَفَى كونه عالما بالمستقبلات ، ومن الناس مَنْ نَفَى
كونه عالما بالأمور الحاضرة ؛ سواء كانت خفية أو ظاهرة ؛ وهذا يقتضينا^(١) أن نشرح أقوال
العقلاء في هذه المسائل ، فنقول : إنَّ الناس فيها على أقوال :

القول الأول : قولُ جمهور المتكلمين ، وهو أنَّ الباريُّ سبحانه يعلم كلَّ معلوم :
الماضي والحاضر والمستقبل ؛ ظاهرها وباطنها ، ومحسوسها وغير محسوسها ؛ فهو تعالى
العالم بما كان وما هو حاضر ، وما سيكون وما لم يكن ، أن لو كان كيف كان يكون ، كقوله

(١) ب : « يقتضى » .

تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١) ، فهذا علم بأمرٍ مقدّر على تقدير وقوع أصله الذى قد علم أنه لا يكون .

القول الثانى : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم الأمور المستقبلية ، وشبهوه بكونه مدركا ، قالوا : كما أنه لا يدرك المستقبلات ، فكذلك لا يعلم المستقبلات . وهو قول هشام ابن الحكم^(٢) .

القول الثالث : قول مَنْ زعم أنه لا يعلم الأمور الحاضرة ؛ وهذا القول تقيض القول الثانى ؛ وشبهوه بكونه قادرا ، قالوا : كما أنه لا يقدر على الموجود ، فكذلك لا يعلم الموجود ؛ ونسب ابن الراوندى هذا القول إلى معمر بن عباد^(٣) ، أحد شيوخنا ، وأصحابنا يكذبونه فى ذلك ، ويدفعون الحكاية عنه .

القول الرابع : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم نفسه خاصة ، ويعلم كل ما عدا ذاته ، ونسب ابن الراوندى هذه المقالة إلى معمر أيضا ، وقال : إنه يقول : إن العالم غير المعلوم ، والشئ لا يكون غير نفسه ؛ وأصحابنا يكذبون ابن الراوندى فى هذه الحكاية ، وينزهون معمرًا عنها .

القول الخامس : قول مَنْ قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشئ أصلا ؛ وإنما أحدث لنفسه علما عليم به الأشياء ، وهو قول جهم بن صفوان^(٤) .

القول السادس : قول مَنْ قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها ؛ وإنما يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسلية ؛ لأنهم يقولون : يسترسل علمه على المعلومات

(١) سورة الأنعام ٢٨

(٢) هو هشام بن الحكم ؛ من متكلمي الشيعة ، وصاحب المقالة فى التشبيه ؛ وإليه تنسب المشامية ؛ إحدى الفرق الغالية ؛ ذكره الشهرستانى وبسط آراءه فى الملل والنحل ١ : ١٦٤ - ١٦٦

(٣) معمر بن عباد السلمى القدرى ؛ وانظر آراءه فى الملل والنحل للشهرستانى ١ : ٦٥ - ٦٧

(٤) جهم بن صفوان ؛ وإليه تنسب الفرقة الجهمية ؛ من الجبرية ؛ ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم بن أخوز المازنى بمرو ؛ فى آخر ملك بنى أمية ، الشهرستانى ١ : ٧٩ - ٨١ .

إجمالاً لا تفصيلاً ، وهو مذهب الجويني^(١) من متكلمي الأشعرية .

القول السابع : قول مَنْ قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يُفَضِّر القولُ به إلى محال ؛ وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شيء يُفَضِّي إلى محال ؛ وهو أن يعلم ويعلم أنه يعلم ، وهلمَّ جراً إلى ما لا نهاية له ؛ وكذلك المحال لازم إذا قيل إنه يعلم الفروع ، وفروع الفروع ولو ازمتها ولو ازمت لوازمها إلى ما لا نهاية له . قالوا : ومحال اجتماع كل هذه العلوم غير المتناهية في الوجود ، وهذا مذهب أبي البركات البغدادي صاحب المعبر^(٢) .

القول الثامن : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية ؛ وإنما يعلم الكلِّيات التي لا يجوز عاينها التغير ؛ كالعلم بأن كل إنسان حيوان ؛ ويعلم نفسه أيضاً ؛ وهذا مذهب أرسطو وناصرى قوله من الفلاسفة كابن سينا وغيره .

القول التاسع : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً ؛ لا كلياً ولا جزئياً ؛ وإنما وجد العالم عنه لخصوصية ذاته فقط من غير أن يعلمه ؛ كما أن المغناطيس يجذب الحديد بقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب ؛ وهذا قول قوم من قدماء الفلاسفة .
فهذا تفصيل المذاهب في هذه المسألة .

واعلم أن حجة المتكلمين على كونه عالماً بكل شيء ؛ إنما تتضح بعد إثبات حدوث العالم ، وأنه فعله بالاختيار ؛ حينئذ لا بد من كونه عالماً ؛ لأنه لو لم يكن عالماً بشيء أصلاً لما صحَّ أن يحدث العالم على طريق الاختيار ؛ لأنَّ الإحداث على طريق الاختيار ؛ إنما يكون بالفرض والداعي ، وذلك يقتضى كونه عالماً ، فإذا ثبت أنه عالم بشيء أفسدوا حينئذ أن يكون عالماً بمعنى اقتضى له العالمية ، أو بأمر خارج عن ذاته ؛ مختاراً كان أو غير مختار ؛

(١) هو الإمام أبو العباس عبد الملك بن يوسف الجويني ، إمام الحرمين ، التوفى سنة ٤٧٨ هـ . (ابن خلكان) .

(٢) كتاب المعترف بالحكمة ، طبع في حيدرآباد ؛ لأبي البركات علي بن مالك البغدادي ، توفى سنة ٥٦٠ هـ وانظر أخبار العلماء للفنطى ٣٤٣ .

فحينئذ ثبت^(١) لم أنه إنما علم لأنه هذه الذات المخصوصة لا شيء أزيد منها؛ فإذا كان لم ذلك وجب أن يكون عالما بكل معلوم؛ لأن الأمر الذي أوجب كونه عالما بأمر ما؛ هو ذاته يوجب كونه عالما بغيره من الأمور؛ لأن نسبة ذاته إلى الكل نسبة واحدة. فأما الجواب عن شبه المخالفين فذكر في المواضع المختصة بذلك، فليطلب من كتبنا الكلامية.

الفصل الثاني

في تفسير قوله عليه السلام: «ودلت عليه أعلام الظهور»
فنقول: إن الذي يستدل به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين؛ وكلاهما يصدق عليه أنه أعلام الظهور؛ أحدهما الوجود والثاني للوجود.
أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهي طريقة المدققين من الفلاسفة، فإنهم استدلوا على أن مسمى الوجود مشترك، وأنه زائد على ماهيات الممكنات، وأن وجود الباري لا يصح أن يكون زائدا على ماهيته، فتكون ماهيته وجودا؛ ولا يجوز أن تكون ماهيته غاربة عن الوجود؛ فلم يبق إلا أن تكون ماهيته هي الوجود نفسه، وأثبتوا وجوب ذلك الوجود، واستحالة تطرق العدم إليه بوجه ما، فلم يفتقروا في إثبات الباري إلى تأمل أمر غير نفس الوجود.
وأما الاستدلال عليه بالوجود لا بالوجود نفسه؛ فهو الاستدلال عليه بأفعاله، وهي طريقة المتكلمين. قالوا: كل ما لم يُعلم بالبدئية ولا بالحس؛ فإنما يُعلم بآثاره الصادرة عنه؛ والباري تعالى كذلك؛ فالطريق إليه ليس بالأفعال، فاستدلوا عليه بالعالم، وقالوا تارة: العالم محدث وكل محدث له محدث. وقالوا تارة أخرى: العالم ممكن، فله مؤثر.

(١) ج: «يثبت».

وقال ابن سينا : إنَّ الطريقة الأولى وهي الاستدلال عليه بالوجود نفسه أعلى وأشرف ، لأنه لم يحتاج فيها إلى الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته ، واستندبط آية من الكتاب العزيز في هذا المعنى ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ ^(١) .

قال ابن سينا : أقول : إنَّ هذا حُكْم لقوم - يعني المتكلمين وغيرهم ؛ ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله ؛ وتسام الآية : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(١) .

قال : هذا حُكْمُ الصَّادِّقِينَ الَّذِينَ يَسْتَشْهَدُونَ بِهِ لَا عَلَيْهِ ؛ يعني الذين استدلوا عليه بنفس الوجود ، ولم يفتقروا إلى التعلُّق بأفعاله في إثبات ربوبيته .

الفصل الثالث

في أن هويته تعالى غير هوية البشر

وذلك معنى قوله عليه السلام : « وامتنعْ عَلَى عَيْنِ البصير » ، وقوله : « ولا قَلْبُ من أثبتته يبصره » ، وقوله : « ولم يُطْلَعِ العقولُ على تحديد صفته » ؛ فنقول : إنَّ جمهورَ المتكلمين زعموا أنا نعرف حقيقة ذات الإله ، ولم يتحاشوا من القول بأنَّه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلمه نحن منها .

وذهب ضرار ^(٢) بن عمرو : أنَّ اللَّهَ تعالى ماهية لا يملها إلا هو ؛ وهذا هو مذهب

(١) سورة فصلت ٥٣

(٢) هو ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ؛ كان في بدء أمره تلميذاً لواصل ابن عطاء المعتزلي ؛ ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الفرق بين الفرق ٢٠١

الفلاسفة . وقد حُكيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أيضاً ؛ وهو الظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل .

الفصل الرابع

في نفي التشبيه عنه تعالى

وهو معنى قوله عليه السلام : « بُدِّ وقُرْب » ، أى في حال واحدة ، وذلك يقتضى نفي كونه تعالى جسماً ؟ وكذلك قوله عليه السلام : « فلا استعلاؤه باعدّه ، ولا قرُبه ساوأم في المكان به » ، فنقول : إنّ مذهب جمهور المتكلمين نفي التشبيه ، وهذا القول يتنوّع أنواعاً :

النوع الأول : نفي كونه تعالى جسماً مركباً ، أو جوهرًا فرداً غير مركب ، والمراد بالجوهر هاهنا الجرم والحجم . وهو قول المعتزلة ، وأكثر محققي المتكلمين من سائر الفرق ، وإليه ذهب الفلاسفة أيضاً .

وقال قوم من مستضعفي المتكلمين خلاف ذلك ، فذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام ، واختلفت الحكاية عنه ، فروى عنه أنه قال : إنه يشبُرُ نفسه سبعة أشبار . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة السّبيكة . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة البَلُورَة الصافية المستوية الاستدارة من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة ، وروى عنه أيضاً قال : إنه ذو صورة . وأصحابه من الشيعة يدفعون اليومَ هذه الحكايات عنه ، ويزعمون أنه لم يزد على قوله : إنه جسم لا كالأجسام ، وإنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته .

وصدّقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا ، لقول الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِ ﴾ ^(١) .

وحكى عن محمد بن النعمان الأحول، المعروف بشيطان الطاق ، وهشام بن سالم المعروف
بالجوالقي ، وأبي مالك بن الحضرمي ، أنه نورٌ على صورة الإنسان ، وأنكروا مع ذلك
أن يكون جسماً ؛ وهذه مناقضة ظاهرة .

وحكى عن علي بن ميثم مثله . وقد حكى عنه أنه كان يقول بالصورة والجسم .
وحكى عن مقاتل بن سليمان ، وداود الجواربي ، ونعيم بن حماد المصري ، أنه في
صورة الإنسان ، وأنه لحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ؛
وهو مع ذلك لا يشبه غيره ، ولا يشبه غيره ، وافقهم على ذلك جماعة من العامة ومن
لا نظر له .

وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اعفوني من الفرج واللحية وسلّوني عما وراء
ذلك . وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره ، وما سوى ذلك مصمت .
وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجوالقي كان يقول : إن له وفرة سوداء .
وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلوة والمجالسة والمحادثة .

وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ^(٢) ،
فقال : يُقْعَدُ معه عَلَى سريره وينلقه بيده .

وقال بعضهم : سألت مُعَاذاً العنبري ، فقلت : أله وجه ؟ فقال : نعم ؛ حتى عددت

(١) سورة النور ٣٥

(٢) سورة القمر ٥٥

جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن ؛ واستحييت أن أذكر الفرج ؛ فأومأت يدي إلى فرجى ، فقال : نعم ، فقلت أذكر أم أنتى ؟ فقال : ذكر .

ويقال : إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه : أذكر أم أنتى ، فقال له بعض أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ (١) ، فقال : أفدت وأجدت ؛ وأودعه كتابه .

ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد ، وبين يديه لحم في طبيخ سيكبا ، فسأله عن الباري تعالى في جملة مأسأله ، فقال : هو والله مثل هذا الذى بين يدي ، لحم ودم . وشهد بعض المعتزلة عند معاذ بن معاذ ، فقال له : لقد هممت أن أسقطك ؛ لولا أنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة ، فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكنى ألعن من يقول : إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جبل أحر في هودج من ذهب ؛ فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فعليه لعنة الله . فقال : أخرجوه ، فأخرج .

وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى المصلى ، فإذا جماعة بين يدي أمير^(٢) ، والطبول تضرب والأعلام تخفق فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل إلا طبلك ا فقيل له : لا نفل هكذا ، فليس لله تعالى طبل ، فبكى ، وقال : أرايتم هو يحى وحده ولا يضرب بين يديه طبل ، ولا ينصب على رأسه علم ، فإذا هو دون الأمير ا

وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا ، تغلق نفسه من مثلها .

وروى قوم منهم أنه نظر في المرأة فرأى صورة نفسه ، تغلق آدم عليها .

وروا أنه يضحك حتى تبدو نواجذه .

(١) سورة آل عمران ٣٦

(٢) ب د أمير المؤمنين ، والأجود ما أثبتته عن ا ، ج .

ورروا أنه أمر د جند قَطَط^(١) ، في رجليه نملان من ذهب ، وأنه في روضة خضراء
كلّى كرسى تحمله الملائكة .

ورروا أنه يضع رجلاً على رِجل ، ويستلقى فإنها جلسة الرب .
ورروا أنه خلق للملائكة من رَغَب ذراعيه ، وأنه اشتكى عينه فعداته
الملائكة ، وأنه يتصوّر بصورة آدم ، ويحاسب الناس في القيامة ؛ وله حُجَاب من
الملائكة يحبونه .

ورروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ربّي في أحسن صورة ، فسألته
عما يختلف فيه الملائكة الأعلى ، فوضع يده بين كتفيّ ، فوجدت برّدها ، فعدته
ما اختلفوا فيه » .

ورروا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان ؛ وأنه جالس على العرش قد فضل
منه أربع أصابع من كل جانب . وأنه يأتي الناس يوم القيامة ، فيقول : أنا ربكم ،
فيقولون : نعوذ بالله منك ؛ فيقول لهم : أفتعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : يسنّا وبينه علامة ؛
فيكشف لهم عن ساقه ، وقد تحوّل في الصورة التي يعرفونها ، فيخروّن له سجداً .
ورروا أنه يأتي في غمام ، فوقه هواء ، وتحتّه هواء .

وكان بطبرستان قاصّ من المشبهة ، يقصّ على الناس ، فقال يوماً في قصّصه : إن يوم
القيامة تجيء فاطمة بنت محمد ، معها قيصن الحسين ابنها تلتمس القصاص من يزيد
ابن معاوية ، فإذا رآها الله تعالى من بعيد ، دعا يزيد وهو بين يديه ، فقال له : ادخل تحت
قوائم العرش ؛ لا تظفر بك فاطمة ، فيدخل^(٢) ويختبئ ، وتحضر فاطمة ، فتتظلم وتبكي ،
فيقول سبحانه : انظري يا فاطمة إلى قدمي ، ويخرجهما إليها ، وبه جرح من سهم نمرود ،

(١) قَطَط : قصير .

(٢) ب : « فيدخل يزيد » ، ومأثبه عن ا ، ج

فيقول : هذا جرح نمرود في قديمي ، وقد عفوت عنه ، أفلا تمنين أنت عن يزيد افتقوله .
 هي : اشهد يارب أني قد عفوت عنه .
 وذهب بعض متكلمي الجسمة إلى أن الباري تعالى مركب من أعضاء على
 حروف المعجم .

وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد ، في رجليه نعلان من ذهب ،
 وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير .

وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه ، عليه كساء أسود ، ملتصق به .
 وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْهُ
 حَوْلَ الْعَرْشِ ﴾ ^(١) : إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم ، فقال له آخر على سبيل
 الهكم به : يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به ! ففضب وقال : هذا إلحاد .

وروا أن النار تفر وتغيط تفيظا شديدا ، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها ، فتقول :
 قَطَّ قَطَّ ، أى حسبي حسبي . ويرفعون هذا الخبر مسندا . وقد ذكر شبيهه به في الصحاح .
 وروى في السكتب الصحاح أيضا : « أن الله خلق آدم على صورته » ؛ وقيل : إن في
 التوراة نحو ذلك في السفر الأول .

واعلم أن أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة
 غير مستبعدة ، وما لا يحتمل التأويل منها يقطعون ببطالانه ؛ وبأنه موضوع ؛ وللاستقصاء
 في هذا المعنى موضع غير هذا الموضع .

وحكى أبو إسحاق النظام ومحمد بن عيسى برغوث أن قوما قالوا : إنه تعالى القضاء
 نفسه ، وليس بجسم ؛ لأن الجسم يحتاج إلى مكان ونفسه مكان الأشياء .

وقال بُرغوث : وطائفة منهم يقولون : هو الفضاء نفسه ، وهو جسم تحمل الأشياء فيه ؛ وليس بذى غاية ولا نهاية ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ^(١) .

فأما مَنْ قال : إنه جسم لا كالأجسام ؛ على معنى أنه بخلاف العَرَض الذى يستحيل أن يُتوهم منه فعل ، ونفوا عنه معنى الجِسْمِيَّة ، وإنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنى أنه شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالدوات ؛ فأمرهم سهل ؛ لأنّ خلافهم فى العبارة ، وهم : على ابن منصور ، والسكاك ، ويونس بن عبد الرحمن ، والفضل بن شاذان ، وكل هؤلاء من قُدِّمَاء رجال الشيعة . وقد قال بهذا القول ابن كرام وأصحابه ؛ قالوا : معنى قولنا فيه سبحانه إنه جسم ، أنه قائم بذاته لا بغيره .

والتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المندوى ؛ وإنما قال إنه جسم لا كالأجسام ، بالمعنى الذى ذكرناه عن يونس والسكاك وغيرهما ، وإن كان الحسن بن موسى الثوبختي — وهو من فضلاء الشيعة — قد روى عنه التجسيم المَحْض فى كتاب " الآراء والديانات " .

النوع الثانى : نفى الأعضاء والجوارح عنه سبحانه ؛ فالذى يذهب إليه المعتزلة وسائر المحققين من المتكلمين نفى ذلك عنه ، وقد تأولوا ماورد فى القرآن العزيز من ذلك ، من نحو قوله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَى ﴾ ^(٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) وغير ذلك ، وحلوه على وجوه صحيحة جائزة فى اللغة العربية .

وأطلقت الكرامية عليه سبحانه لفظ « اليدين والوجه » ، وقالوا : لا تتجاوز الإطلاق ،

(١) سورة الحج ٧٨

(٢) سورة م ٧٥ .

(٣) سورة الزمر ٤٦

ولا نفسر ذلك ولا نتأوله ؛ وإنما تقتصر على إطلاق ماورد به النص .
وأثبت الأشعرى الـيدـين صفة قائمة بالبارئ سبحانه ؛ وكذلك الوجه من غير تجسيم .
وقالت المجسمة : إنَّ لله تعالى يدين ؛ هما عضوان له ، وكذلك الوجه والعين ، وأثبتوا
له رجلين قد فصلتا عن عرشه ، وساقين يكشف عنهما يوم القيامة ، وقدما يضمها في جهنم
فتمتلئ ؛ وأثبتوا له ذلك معنى لا لفظا ، وحقيقة لا مجازا .
فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيهه ولا تجسيم أصلاً ، وإنما كان يقول بترك
التأويل فقط ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ، ولا يخوض في تأويله ؛ ويقف على
قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) ، وأكثر المحصلين من أصحابه على
هذا القول .

النوع الثالث : نفى الجهة عنه سبحانه ؛ فالذى يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين
من المتكلمين أنه سبحانه ليس في جهة ولا مكان ؛ وأن ذلك من توابع الجسمية أو العرضية
اللاحقة بالجسمية ، فإذا انتفى عنه كونه جسماً وكونه عرضاً لم يكن في جهة أصلاً ؛ وإلى هذا
القول يذهب الفلاسفة .

وذهبت الكرامية والحشوية ^(٢) إلى أن الله تعالى في جهة فوق ، وإليه ذهب هشام
ابن الحكم ، وعلى بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن ، وهشام بن سالم الجواليقي ،
وكثير من أهل الحديث .

وذهب محمد بن الميصم ، متكلم الكرامية إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة
بنفسها عن سائر الموجودات ، لا تحمل شيئاً حلول الأعراض ، ولا تمازج شيئاً عمازجة الأجسام

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام ؛ والحشوية طائفة من المشبهة ؛ سمو بذلك لأنهم لا يتعاشون من
إظهار الحشو . راجع شفاء العليل ١٠٥

بل هو مبينٌ للمخلوقين ؛ إلا أنه في جهة فوق ، وبينه وبين العرش بعد لا يتناهى .
هكذا يحكى التكلمون عنه ، ولم أره فى شئ من تصانيفه . وأحالوا ذلك ؛ لأن ما يتناهى
لا يكون محصوراً بين حاصرين ؛ وأنا أستبعد عنه هذه الحكاية ؛ لأنه كان أذكى من
أن يذهب عليه فساد هذا القول . وحقيقة مذهب مثبتى المكان أنه سبحانه متمكن على
العرش ، كما يتمكن الملك على سريريه ، فقيل لبعض هؤلاء : أهو أكبر من العرش ،
أم أصغر ، أم مساو له ؟ فقال : بل أكبر من العرش ، فقيل له : فكيف يحمله ؟ فقال :
كما تحمِلُ رجلاً الكرسيّ جسمَ الكرسيّ وجسمه أكبر من رجله . ومنهم من يجعله
مساوياً للعرش فى المقدار ، ولا يتمتع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضلُ
عن العرش ؛ وقد سمعت أنا من قال منهم : إنه مستوٍ على عرشه كما أنا مستوٍ على
هذه الدكة^(١) ورجلاه على الكرسيّ الذى وسع السموات والأرض ، والكرسيّ تحت
العرش ، كما يجعل اليوم الناس تحت أسرهم كرامى يستريحون بوضع أرجلهم عليها .
وقال هؤلاء كلهم : إنه تعالى ينزل ويصعد حقيقة لا مجازاً ، وإنه يتحرك وينزل ؛ فن
ذلك نزوله إلى السماء الدنيا ، كما ورد فى الخبر ؛ ومن ذلك إتيانه ومجيئه ، كما نطق به
الكتاب العزيز فى قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ
الْغَمَامِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٣) .

وأطلق ابن الميهم عليه هذه الألفاظ اتباعاً لما ورد فى الكتاب والسنة ، وقال : لا أقول
بمعانيها ، ولا أعتقد حركته الحقيقية ؛ وإنما أرسلها لإرسالا كما وردت . وأما غيره فاعتقد
معانيها حقيقة .

وقال ابن الميهم فى كتاب ” المقالات ” : إن أكثر الحشوية يُجيز عليه تعالى
العدو والهرولة .

(١) الدكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه .

(٢) سورة البقرة ٢١٠

(٣) سورة الفجر ٢٢

وقال قوم منهم : إنه تعالى يجوز أن ينزل فيطوف البلدان ، ويدور في السكك .
وقال بعض الأشعريين : إن سائلاً سأل السكك فقال : إذا أجزت عليه
الحركة ، فهلا أجزت عليه أن يطفر ! فقال : لا يجوز عليه الطفر ، لأن الطفر إنما يكون
فراراً من ضد ، أو اتصالاً بشكل . فقال له : فالحركة أيضاً كذلك ! فلم يأت بفرق .
فأما القول بأنه تعالى في كل مكان ؛ فإن المعتزلة يقولون ذلك ، وتريد^(١) به أنه
وإن لم يكن في مكان أصلاً ، فإنه عالم بما في كل مكان ، ومدبر لما في كل مكان ،
وكأنه موجود في جميع الأمكنة لإحاطته بالجميع .

وقال قوم من قدماء الفلاسفة : إن الباري تعالى روح شديد في غاية اللطافة ، وفي غاية
القوة ، ينفذ في كل العالم . وهؤلاء يطلقون عليه أنه في كل مكان حقيقة لا تأويلاً ؛ ومن
هؤلاء من أوضح هذا القول ؛ وقال : إنه تعالى سائر في هذا العالم سريان نفس الواحد متناً
في بدنه ، فكما أن كل بدن منا له نفس سارية فيه تدبره ، كذلك الباري سبحانه هو
نفس العالم ، وسائر في كل جزء من العالم ؛ فهو إذاً في كل مكان بهذا الاعتبار ، لأن
النفس في كل جزء من البدن .

وحكى الحسن بن موسى النوبختي عن أهل الرواق من الفلاسفة ؛ أن الجوهر الإلهي
سبحانه روح ناري عقلي ؛ ليس له صورة ، لكنه قادر على أن يتصور بأي صورة شاء ،
ويتشبه بالكل ، وينفذ في الكل بذاته وقوته ؛ لا بعلمه وتدييره .

النوع الرابع : نفى كونه عَرَضاً حالاً في الحل ؛ فالذي تذهب إليه المعتزلة وأكثر
المسلمين والفلاسفة نفى ذلك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده ، وكون كل
حال في الأجسام ممكناً بل حادثاً .

(١) ب : « فإن المعتزلة يقولون ذلك ويريدون ... » .

وذهبت الحلولية من أهل الملة وغيرها، إلى أنه تعالى يحلّ في بعض الأجسام دون بعض كما يشاء سبحانه ، وإلى هذا القول ذهب أكثر الغلاة في أمير المؤمنين . ومنهم من قال بانتقاله من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أولاده ، ومنهم من قال بانتقاله من أولاده إلى قوم من شيعته وأوليائه ؛ واتبعهم على هذه المقالة قوم من المتصوفة كالحلاجية والبسطامية وغيرهم .

وذهبت النسطورية^(١) من النصارى إلى حلول الكلمة في بدن عيسى عليه السلام؛ كحلول السواد في الجسم .

فأما اليعقوبية^(٢) من النصارى ، فلا تثبت الحلول ؛ وإنما تثبت الاتحاد بين الجوهر الإلهي والجوهر الجسماني ؛ وهو أشدُّ بُعداً من الحلول .

النوع الخامس : في نفي كونه تعالى محلاً لشيء ؛ ذهبت المعتزلة وأكثر أهل الملة والفلاسفة إلى نفي ذلك ؛ والقول باستحالته على ذاته سبحانه .

وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحلّ في ذاته ، فإذا أحدث جسمًا أحدث معنى حالاً في ذاته؛ وهو الإحداث، فحدث ذلك الجسم مقارناً لذلك المعنى أو عقيبته، قالوا : وذلك المعنى هو قول « كن » وهو المسمى خلقاً، والخلق غير المخلوق؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٣)، قالوا: لكنّه قد أشهدنا ذاتها، فدلّ على أن خلقها غيرها .

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم ؛ طهر في زمن الأمون ، وتصرف في الأنابيل برأيه . وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٢) اليعقوبية أصحاب يعقوب ؛ قالوا بالأفانيم الثلاثة ، لا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحماً ودماً ؛ فصار الإله هو المسيح . . . الشهرستاني ١ : ٢٠٦ - ٢٠٨ .
(٣) سورة الكهف ٥١ .

وصرح ابن الهيثم في كتاب "المقالات" بقيام الحوادث بذات البارئ فقال: إنه تعالى إذا أمر أو نهى، أو أراد شيئاً كان أمره ونهيه وإراداته كائنة بعد أن لم تكن؛ وهي قائمة به، لأن قوله منه يسمع، وكذلك إرادته منه توجد.

قال: وليس قيام الحوادث بذاته دليلاً على حدوثه، وإنما يدل على الحدوث تعاقب الأضداد التي لا يصح أن يقطل منها، والبارئ تعالى لا تتعاقب عليه الأضداد.

وذهب أبو البركات البغدادي صاحب "المعتبر" إلى أن الحوادث تقوم بذات البارئ سبحانه؛ وأنه لا يصح إثبات الإلهية إلا بذلك. وقال: إن المتكلمين ينزهونه عن ذلك، والتنزيه عن هذا التنزيه، هو الواجب.

وذهب أصحابنا وأكثر المتكلمين إلى أن ذلك لا يصح في حق واجب الوجود، وأنه دليل على إمكان ذاته؛ بل على حدوثها. وأجازوا مع ذلك عليه أن يتجدد له صفات - يعنون الأحوال لا المعاني -؛ نحو كونه مدركا بعد أن لم يكن. وكقول أبي الحسين: إنه يتجدد له عالمية بما وجد؛ وكان من قبل عالماً بأنه سيوجد؛ وإحدى هاتين الصفتين غير الأخرى.

وقالوا: إن الصفات والأحوال قيل^(١) مفرد عن المعاني، والمحال إنما هو حلول المعاني في ذاته لا تجدد الصفات لذاته؛ وللكلام في هذا الباب موضع هو أليق به.



النوع السادس: في نفي اتحاده تعالى بغيره؛ ذهب أكثر الفقهاء إلى استحالة ذلك؛ وذهبت اليعقوبية من النصارى إلى أن الكلمة اتحدت بعبسى، فصارت جوهرًا من جوهرين: أحدهما إلهي، والآخر جسماني. وقد أجاز الاتحاد في نفس الأمر لافي ذات

(١) قيل، أي قول..

البارئ قومٌ من قدماء الفلاسفة ، منهم فرغوريوس . وأجازه أيضاً منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تمقل المعقولات ؛ لاتحادها بالجوهر المفارق المفيض للنفوس على الأبدان ؛ وهو المسمى بالعقل الفعّال .

النوع السابع : في نفى الأعراض الجسمانية عنه من التعب والاستراحة ، والألم واللذة ، والنعم والسرور ؛ ونحو ذلك .

وذهبت المعتزلة وأكثَرُ المعتزلة من أهل الملة وغيرهم إلى نفى ذلك ؛ والقول باستحالته عليه سبحانه .

وذهبت الفلاسفة إلى جواز اللذة عليه ؛ وقالوا : إنه يلتذ بإدراك ذاته وكمالها ؛ لأن إدراك الكمال هو اللذة أو سبب اللذة ؛ وهو تعالى أكل الموجودات ، وإدراكه أكل الإدراكات ؛ وإلى هذا القول ذهب محمد الغزالي^(١) من الأشعرية .

وحكى ابن الرواندى عن الجاحظ أن أحد قدماء المعتزلة - ويعرف بأبى شعيب - كان يجوّز عليه تعالى السرور والنعم ، والفيرة والأسف ؛ ويذكر في ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا أحد أغير من الله ، وأنه تعالى يفرح بتوبة عبده ويسرّ بها » . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾^(٢) ، وقال مقال التحسّر^(٣) على الشئ : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(٤) ، وحكى عنه أيضاً أنه يُجوّز عليه أن يتعب ويستريح ؛ ويحتج بقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾^(٥) .

(١) هو الإمام محمد بن محمد أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء .

(٢) سورة الزخرف ٥٥

(٣) كذا في ا ، ج ، وى ب ، ا « حكاية عن التحسّر » .

(٤) سورة يس ٣٠

(٥) سورة ق ٣٨

وهذه الألفاظ كلها عند أصحابنا متأولة محمولة على محامل صحيحة ؛ تشتمل على شرحها الكتب المبسطة .

النوع الثامن : في أنه تعالى ليس بتلَوْن . لم يصرح أحد من العقلاء قاطبة بأن الله تعالى متلَوْن ؛ وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسيم إلى أنه نور ؛ فإذا أبصرته العيون وأدركته أبصرت شخصا نورانياً مضيئاً ؛ لم يزدوا على ذلك ، ولم يصرّحوا بإثبات اللون بهذه العبارة ؛ وإن كان كل مضيء ملوّناً .

النوع التاسع : في أنه تعالى لا يشتهي ولا ينفر ؛ ذهب شيوخنا المتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصحّ عليه الشهوة والثفرة ؛ لأنهما إنما يصحّان على ما يقبل الزيادة والنقصان بطريق الاغتذاء والنمو ، والبارئ سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك ؛ وما عرفت لأحد من الناس خلافاً في ذلك ؛ اللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على معنى الإرادة والكرهية ؛ على سبيل المجاز .

النوع العاشر : في أن البارئ تعالى غير متناهى الذات قالت المعتزلة : لما كان البارئ تعالى ليس بجسم ولا جسماني ، وكانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات المقادير ؛ يقال : هذا الجسم متناه ، أى ذو طرف .

قلنا : إن ذات البارئ تعالى غير متناهية ؛ لا على معنى أن امتداد ذاته غير متناه ؛ فإنه سبحانه ليس بذى امتداد ، بل بمعنى أن الموضوع الذى يصدق عليه النهاية ليس بمتحقق فى حقه سبحانه ؛ قلنا : إن ذاته غير متناهية ؛ كما يقول المهندس : إن النقطة غير متناهية ؛ لا على معنى أن لها امتداداً غير متناه ، فإنها ليست بممتدة أصلاً ؛ بل على معنى أن الأمر

الذى تصدّق عليه النهاية - وهو الامتداد - لا يصدق عليها ؛ فإذا صدق عليها أنها غير متناهية . وهذا قول الفلاسفة وأكثَر المحققين .

وقالت الكرامية : الباري تعالى ذات واحدة منفردة عن العالم قائمة بنفسها ، مباينة للوجودات ، متناهية في ذاتها ؛ وإن كنا لا نطلق عليها هذا اللفظ لما فيه من إيهام اقطاع وجودها ، وتصريح بقائها .

وأطلق هشام بن الحكم وأصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهى الذات ؛ غير متناهى القدرة .

وقال الجاحظ : إن لى قومًا زعموا أنه تعالى ذاهبٌ فى الجهات الست ، التى لا نهاية لها .



النوع الحادى عشر : فى أنه تعالى لا تصح رؤيته . قالت المعتزلة : رؤية الباري تعالى مستحيلة فى الدنيا والآخرة ؛ وإنما يصح أن يُرى للمقابل ذو الجهة .

وقالت الكرامية والحنابلة والأشعرية : تصح رؤيته ويُرى فى الآخرة ؛ يراه المؤمنون ؛ ثم اختلفوا ، فقالت الكرامية والحنابلة : يُرى فى جهة فوق ، وحكى عن مضر وكهمس وأحمد الجبى^(١) أنهم أجازوا رؤيته فى الدنيا ، وملاسته ومصاحفته ؛ وزعموا أن المخلصين يعاقبونه متى شاءوا ، ويسمون الحبية .

وحكى شيخنا أبو الحسين فى " النصفح " عن أيوب السجستاني من المرجئة ، أن الباري تعالى تصح رؤيته ولمسه .

وذهب قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى ، وأن الناس كلهم كافرون ومؤمنون يرونه ؛ ولكن لا يعرفونه .

(١) كنا فى ١ ، وفى الحاشية نقلنا عن القاموس : أحمد بن عبد الله الجبى ، ويقال : الجبائى ، لبيعه الجباب ، محدث ، وفى ب : « انجمى » .

وقال مَنْ ترفع عن هذه الطبقة منهم : لا يجوز أن يرى بعين خلقت للفناء ؛ وإنما يرى في الآخرة بعين خلقت للبقاء .

وقال كثير من هؤلاء : إن محمدا صلى الله عليه وآله رأى ربه بعيني رأسه ليلة للعراج . ورووا عن كعب الأحبار أن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد عليه السلام .

وروا عن المبارك بن فضالة أن الحسن كان يحلف بالله : : قد رأى محمدا ربه . وتعلق كثير منهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ^(١) ﴾ ، وقالوا : كلفه موسى عليه السلام مرتين ، وراه محمد صلى الله عليه وآله مرتين .

وأكر ابن الهيصم مع اعتقاده أقوال الكرامة ذلك ، وقال : إن محمدا صلى الله عليه وآله لم يره ، ولكنه سوف يراه في الآخرة .

قال : وإلى هذا القول ذهبت عائشة وأبو ذر وقتادة ؛ وقد روى مثله عن ابن عباس وابن مسعود .

واختلف من قال : إنه يرى في الآخرة ؛ هل يجوز أن يراه الكافر ؟ فقال أكثرهم : إن الكفار لا يرونه ؛ لأن رؤيته كرامة ، والكافر لا كرامة له . وقالت السالية وبعض الحشوية : إن الكفار يرونه يوم القيامة ؛ وهو قول محمد بن إسحاق بن خزيمة ؛ ذكر ذلك عنه محمد بن الهيصم .

فأما الأشعري وأصحابه ؛ فإنهم لم يقولوا كما قال هؤلاء : إنه يرى كما يرى الواحد ميتا ، بل قالوا : يرى ؛ وليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً ولا شمالاً ولا أماماً ولا وراء ؛ ولا يرى كله ولا بعضه ؛ ولا هو في مقابلة الرأي ولا منحرفاً عنه ؛ ولا تصح الإشارة إليه إذا رُئي ،

وهو^(١) مع ذلك يرى ويبصر . وأجازوا أيضا عليه أن تُسمع ذاته ، وأن تسم وتذاق وتحس ، لأعلى طريق الاتصال ، بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقا عاريا عن الاتصال . وأنكرت الكرامية ذلك ولم يُجيزوا عليه إلا إدراك البصر وحده ، وناقضهم شيخنا أبو الحسين في ” النصّح “ ، وألزمهم أحد أمرين ؛ إما نفي الجميع أو إثبات إدراكه من جميع الجهات ، كما يقوله الأشعرية .

وذهب ضرار بن عمرو ، إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بخاتمة سادسة لاسهذا البصر . وقيل ذلك عن جماعة غيره .

وقال قوم : يجوز أن يحول الله تعالى قوّة القلب إلى العين ، فيعلم الله تعالى بها ، فيكون ذلك الإدراك علما باعتبار أنه بقوّة القلب ، ورؤية باعتبار أنه قد وقع بالمعنى الحال في العين .

فهذه الأنواع الأحد عشر هي الأقوال والمذاهب التي يشتمل قوله عايه السلام بنفي التشبيه عايتها ؛ وسيأتى من كلامه عايه السلام في نفي التشبيه ما هو أشدّ تصرّحا بآمن الألفاظ التي نحن في شرحها .

الفصل الخامس

في بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه ومثبت له بقاءه

وهو معنى قوله عليه السلام : « فهو الذي تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب ذي الحجود » .

لا شبهة في أن العلم بافتقار المتغير إلى المتغير ضروري ؛ والعلم بأن المتغير ليس هو المتغير

(١) ب : « ومع ذلك » .

إما أن يكون ضروريا أو قريبا من الضروري ، فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع ؛ إنما هو جاحد بلسانه لا بقلبه ؛ لأنّ العقلاء لا يحسدون الأوليات بقلوبهم ، وإن كانوا بالسنتهم ؛ ولم يذهب أحد من العقلاء إلى نفي الصانع سبحانه . وأما القائلون بأنّ العالم وجد عن طبيعة ، وأنّ الطبيعة هي المدبرة له ، والقائلون بتصادم الأجزاء في الخلاء الذي لانهاية له ؛ حتى حصل منها هذا العالم . والقائلون بأن أصل العالم وأساس بنيته هو التور والظلمة ، والقائلون بأنّ مبادئ العالم هي الأعداد المجردة ، والقائلون بالهَيُولَى القديمة ؛ التي منها حدث العالم ، والقائلون بعشق النفس للهَيُولَى ؛ حتى تكونت منها هذه الأجسام ؛ فكل هؤلاء أثبتوا الصانع ، وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله . وقال قاضي القضاة : إن أحدا من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم بالكلمية ، ولكن قوما من الوراقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة ؛ لم يذهب أحد إليها ؛ وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ، ولا إله للعالم ولا صانع أصلا ؛ وإنما هو هكذا مازال ، ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر .

قال : وأخذ ابن الراوندي هذه المقالة فنصرها في كتابه المعروف بكتاب " التاج " قال : فأما الفلاسفة القدماء والمتأخرون ، فلم ينفوا الصانع ؛ وإنما نفوا كونه فاعلا بالاختيار ؛ وتلك مسألة أخرى . قال : والقول بنفي الصانع قريب من القول بالسفسطة ؛ بل هو هو بعيه ؛ لأنّ من شك في المحسوس أعذر ممن قال : إن المتحركات تتحرك من غير محرك حرّ كها .

وقول قاضي القضاة هذا ، هو محض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وعينه ، وليس قول الجاحظ هو هذا ، لأنّ الجاحظ يذهب إلى أن جميع المعارف والعلوم الإلهية ضرورية ، ونحن مادّعينا في هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضروري ، فأين أحد القولين من الآخر ؟

(٥٠)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبَعُ ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالُ رِجَالًا ؛ عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ ، فَأَوَّ أَنْ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُتَنَادِينَ ؛ وَأَوَّ أَنْ الْحَقُّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ ، فَيَمُزَّجَانِ ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوِلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْخُسَى .

الْبَيِّنَةُ :

المرتاد : الطالب . والضَّغْثُ من الحَشِيشِ : القبضُ منه ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾^(١) .

يقول عليه السلام : إنَّ المذاهبَ الباطلة والآراءَ الفاسدة التي يفتتنُ الناسُ بها ، أصلُها اتباعُ الأهواء ، وابتداعُ^(٢) الأحكام التي لم تعرف يُخَالَفُ فيها الكتاب ، وتحملُ العصبيةَ والهوى على تولي أقوامٍ قالوا بها ، على غير وثيقة من الدين . ومستندُ وقوع هذه الشبهات امتزاجُ الحقِّ بالباطل في النظر الذي هو الطريق إلى استعلام المجهولات ، فلو أنَّ النظرَ تَحَلَّصَ مقدماته وترتَّبَ قضاياهِ من قضايا باطلة ، لكان الواقعُ عنه هو العلمُ المحض ، وانقطع عنه ألسنُ المخالفين ، وكذلك لو كان النظرُ تَخْلَصُ مقدماته من قضايا صحيحة ، بأن كان كله مبنيًا

(١) سورة من ٤٤

(٢) كذا في ج ، وفي ا ، ب : « اتباع » .

على الفساد، لظهر فسادُه لطلبة الحق، وإنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياه الصادقة بالقضايا الكاذبة.

مثال ذلك احتجاجُ مَنْ أجاز الرؤية بأنّ البارئ تعالى ذاتٌ موجودة، وكلّ موجود يصحّ أن يُرى، فأحدى المقدمتين حقّ، والأخرى باطل، فالتبس أمرُ النتيجة على كثير من الناس.

ومثال ما يكون المقدّمتان جميعاً باطلتين، قول قوم من الباطنية: البارئ لا موجود ولا معدوم؛ وكلّ ما لا يكون موجوداً ولا معدوماً يصحّ أن يكون حياً قادراً، فالبارئ تعالى يصحّ أن يكون حياً قادراً؛ فهاتان المقدّمتان جميعاً باطلتان. لا جرّم أن هذه المقالة مرغوبٌ عنها عند العقلاء!

ومثال ما تكون مقدّماته حقاً كلّها: العالم متغيّر، وكلّ متغيّر ممكن؛ فالعالم ممكن، فهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء.

فإن قيل: فما معنى قوله عليه السلام: «فهناك يستولى الشيطان على أوليائه، ويتجوّ الذين سبقَتْ لهم من الله الحسنَى»، أليس هذا إشعاراً بقول المجيرة وتلويحاً به؟
 قيل: لا إشعار في ذلك بالجبر، ومراده عليه السلام أنه إذا امتزج في النظر الحقّ بالباطل، وتركبت المقدمات من قضايا صحيحة وفاسدة، تمكّن الشيطان من الإضلال والإغواء، ووسوس إلى المسكّفات، وخيّل له النتيجة الباطلة، وأماله إليها، وزيّنها عنده، بخلاف ما إذا كانت المقدمات حقاً كلّها، فإنه لا يقدر الشيطانُ على أن يخيّل له ما يخالف العقل الصريح؛ ولا يكون له مجال في تزوين الباطل عنده، ألا ترى أنّ الأوليات لا سبيل للإنسان إلى جحدها وإنكارها، لا بتخييل الشيطان ولا بنير ذلك!

ومعنى قوله : « على أوليائه » ، أى على مَنْ عنده استعداد للجهل ، وتمرن على اتباع الهوى ، وزهد في تحقيق الأمور العقلية على وجهها ، تقليداً للأسلاف ، ومحبته لا اتباع المذهب المألوف ، فذاك هو الذى يستولى عليه الشيطان ويضله ، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وهم الذين يتبعون محض العقل ، ولا يركنون إلى التقليد ، ويسلكون مسلك التحقيق ، وينظرون النظر الدقيق^(١) ، يجتهدون فى البحث عن مقدمات أنظارهم ، وليس فى هذا الكلام تصريح بالجبر ، ولا إشعار به على وجه من الوجوه ، وهذا واضح .

وحمل الراوندى قوله عليه السلام : « فلو أن الباطل خَلَصَ ... » إلى آخره ، على أن المراد به نفى القياس فى الشرع ، قال : لأن القانسين يحملون المسكوت عنه على المنطوق ، فيمتزج الجحول بالمعلوم ، فيلتبس ويُظَنّ لا متزاج بمضنه ببعض حقاً ، وهذا غير مستقيم ، لأن لفظ الخطبة أن الحق يمتزج بالباطل ، وأصحاب القياس لا يسمون أن استخراج الملة من الحكم المعلوم باطل ، بل يقولون إنه حق ، وإن الدليل الدال على ورود العبارة بالقياس ، قد أمتهم من كونه باطلاً .

واعلم أن هذا الكلام الذى قاله عليه السلام حق إذا تأملته ، وإن لم تفهمه على ما قدمناه من التفسير ، فإن الذين ضلوا من مقلدة اليهود والنصارى وأرباب المقالات الفاسدة من أهل الملة الإسلامية وغيرها ، إنما ضلّ أكثرهم بتقليد الأسلاف ، ومن يحسنُ الظن فيه من الرؤساء وأرباب المذاهب ، وإنما قلدوا الأتباع ، لما شاهدوا من إصلاح ظواهرهم ، ورفضهم الدنيا وزهدهم فيها ، وإقبالهم على العبادة ، وتمسكهم بالدين ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وشدهم فى ذات الله ، وجهادهم فى سبيله ، وقوتهم فى

(١) ج : « النظر التام » .

مذاهبهم ، وصلابتهم في عقائدهم ، فاعتقد الأتباع والخلفاء والقرون التي جاءت بعدهم أن هؤلاء يجب اتباعهم ، وتحريم مخالفتهم ، وأن الحق معهم ، وأن مخالفتهم مبتدع ضال ، فقلدوهم في جميع ما نقل إليهم عنهم ، ووقع الضلال والغلط بذلك ، لأن الباطل استتر وانفمر بما مزجه من الحق الغالب الظاهر المشاهد عيانا ، أو الحكم الظاهر ، ولولاه لما تروج الباطل ، ولا كان له قبول أصلا .

(٥١)

ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام
على شريعة الفرات بصيفين ومنعهم من الماء :

الأصل :

قَدْ اسْتَطَعْتُمْوكم الْقِتَالَ ، فَأَقْرِؤُوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوْؤُوا السُّيُوفَ
مِنْ أَلَدِّ مَاءٍ تَرَوْؤُوا مِنْ أَلْمَاءٍ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ
قَاهِرِينَ .

أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لَمَّةً مِنَ الْفُؤَاةِ ، وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ
أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ .

الشرح :

استطعموكم القتال، كلمة مجازية، ومعناها : طلبوا القتال منكم ؛ كأنه جعل القتال شيئاً
يُستطعم ، أى يُطلب أكله ، وفي الحديث : « إذا استطعمكم الإمام فأطعموه » ، يعنى
إمام الصلاة ، أى إذا أرتجج فاستفتحكم فافتحوا عليه . وتقول : فلان يستطعمنى الحديث ؛
أى يستدعيه منى ويطلبه .

واللَّامَةُ ، بالتخفيف : جماعة قليلة .

وعمس عليهم الخبر ؛ يجوز بالتشديد ، ويجوز بالتخفيف ، والتشديد يعطى الكثرة
وفيهذا ؛ ومعناه أبهم عليهم الخبر ، وجعله مظلماً . ليل عَمَس ، أى مظلم ، وقد عَمَس الليل نفسه

بالكسر ؛ إذا أظلم وعمّسه غيره ، وعمّست عليه عمساً ، إذا أريته أنك لا تعرف الأمر . وأنت به عارف .

والأغراض : جمع غرض وهو الهدف .
وقوله : « فأقرتوا على مذلة وتأخير محلة » ، أي اثبتوا على الذل وتأخر المرتبة والمنزلة ، أو فافعلوا كذا وكذا .

ونحو قوله عليه السلام : « فالموت في حياتكم مقهورين » قول أبي نصر بن نباتة :
والحسين الذي رأى الموت في العز حياء والعيش في الذل قتلاً
وقال التهامي :

وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلُ الْعَلَا بَعُولِهِ وَأَقْلَامِهِ فَأَيَّبَهَا بِحُسَامِهِ^(١)
فَوْتُ الْفَتَى فِي الْعَزِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ وَعَيْشَتُهُ فِي الذَّلِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ

[الأشعار الواردة في الإيلاء والأنف من احتمال الضيم]

والأشعار في الإيلاء والأنف من احتمال الضيم والذل والتحرّض على الحرب كثيرة ؛
ونحن نذكر منها هاهنا طرقاتاً ؛ فمن ذلك قول عمرو بن برة الهمداني :

وَكَيْفَ يَفَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كُلُّونَ الْمَلْحِ أَيْبُضُ صَارُمٍ^(٢)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا مِرَاعَةً مَا دَامَ لِلْسَيْفِ قَائِمٌ
وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ لِلْمَتْعِ بِالْقَنَا يَعْشُ مَا جَدَّ أَوْ تَحْتَرِمُهُ الْخَوَارِمُ^(٣)

(١) ديوانه ٣٣

(٢) من أبيات له في الأغاني ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ (سأسى) .

(٣) الأغاني : « المحارم » .

ومثله :

ومن يطلب المال الممنع بالقنا
يعيش ماحداً أو يؤذ فيما يُمارس
وقال حرب بن يسعر :

عطفت عليه المهر عطفة بابل
فأوجرت له لذن الكموب متقفا
وقال الحارث بن الأرقم :

وماصق صدرى ياسأى بسخطكم
تروك لدار الخسف والضيغ، منكر
إذا سامنى السلطان ذلاً أيتته
وقال العباس بن مرداس السلى :

بأبى قوارس لا يعرى صواهلها
لا والسيوف بأيدينا تجردة
وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبني ككأفوام عبت بهم
لا تعلقني قذاة لست فاعلها
قد علمت بأنى غير مهتضم
وقال المسيب بن علس :

أبلغ ضبيعة أن البلا
د فيها لدى قوة منقصب^(١)

(١) ديوان الأعشى ٣٤٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

وقد يعمد القوم في دارهم إذا لم يضاموا وإن أجدبوا
ويزيحل القوم عند الهوا ن عن دارهم بعد ما أخصبوا
وقد كان سامة في قويمه له مـ طعم وله مشرب
فساموه خسفا فلم يرضه وفي الأرض عن ضميمهم مهرب

وقال آخر :

إن الهوان حار القوم يعرفه والحر يكره والرسلة الأجد^(١)
ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذل لأن غير الحى والوئد^(٢)
هذا على الخسف مشدود برمته وذا يشج فلا يأوى له أحد^(٣)
فإن رخصي له وال ومتمدد مكرهة عن ولادة السوء مفتقد

وقال بعض بنى أسد :

إنى امروا من بنى خزيمة لا أطمع خسفا للعاب نعبا
لست بمعط ظلاما أبدا عجماء ولا أتقى بها عربا

دخل موبك السدوسى إلى البصرة يبيع إبلا ، فأخذ عامل الصدقة بعضها ، فخرج

إلى البادية وقال :

ناقنى أرى المقام على الضميم عظيما فى قبة الإسلام
قد أراى ولي من العالم النض فبجد السنان أو بالحسام

(١) للفتلس ، معاهد التنصيص ٢ : ٣٠٦ . الرسالة : الناقة السهلة السير . والأجد :
للوقة الحلق .

(٢) العير ، بفتح العين : الحمار . وغلط على الرحمى ؟ والمراد به هنا الأهل .

(٣) الرمة : القطعة من الجبل ، وأوى له ، أى رقى .

وقال يزيد بن مفرغ الحيرى :

لاذعرتُ السَّوَامَ فى فَلَقِ الصُّبِّ ح مُعِيرًا وَلَا دُعِيتُ يَرِيدًا^(١)
يَوْمَ أَعْطَى مِنَ الْمَخَافَةِ ضِيًّا والمنايا يَرُصُّدَنى أَن أَحِيدًا^(٢)

وقال آخر :

لا تحسبني يا أما مة عاجزاً دَنِسًا ثِيَابُهُ
إني إذا خفتُ الهوا نَ مُشِيعٌ ذُلُّ رِكَابُهُ^(٣)

مثله قول عنترة :

ذُلُّ رِكَابِي حَيْثُ شَدْتُ مُشَايِي لِي وَأَحْفِزُهُ بِرَأْيِ مُبَرِّمٍ^(٤)

وقال آخر :

أَخْشِيَةَ الْمَوْتِ دَرَّ دَرُّكُمْ أَعْطَيْتُمُ الْقَوْمَ فَوْقَ مَا سَأَلُوا
إِنَّا لَمَمَرُّ الْإِلَهِ تَأْبَى الَّذِي قَا لُوا وَلَمَّا تَقَصَّفُ الْأَسَلُ
تَقْبَلُ ضِيًّا وَتَحْنُ نَعْرِفُهُ ما دام مِنَّا يَظْمُرُهَا رَجُلُ

وقال آخر :

وَرَبَّ يَوْمٍ حَبَسْتُ الْفَنَسَ مُكْرَهَةً فِيهِ لَا كَيْتَ أَعْدَاءِ أَحَاشِيهَا
أَبَى وَأَنْفُ مِنْ أَشْيَاءِ آخُذُهَا رَثَّ الْقَوَى ، وَضَعِيفُ الْقَوْمِ يُعْطِيهَا

مثله للشدّاخ :

أَبَيْتُنَا فَلَا نُعْطَى مَلِيكًا غُلَامَةً لَا سَوْقَةَ إِلَّا الْوَشِيجَ الْقَوْمًا^(٥)

(١) السوام : الإبل الراعية .

(٢) يرصدنى : يراقبنى .

(٣) المشيع : الشجاع .

(٤) من المعلقة ٢٠٥ — بشرح التبريزى . ذل : جمع ذلول ؛ وهو من الإبل وغيرها ضد الصعب ؛ والشائع : الشجاع ؛ مثل المشيع ؛ كأن قلبه لا يخذله فهو يشيمه . وأحفزه : أدغمه . والبرم : الحكم .

(٥) يعنى بالوشيج الرمح .

وإلا حُسَامًا يَبْهَرُ الْعَيْنَ لَمَحُهُ كَصَاعِقَةٍ فِي عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّأَ

[أَيَاة الضَّيْمِ وَأَخْبَارِهِمْ]

سَيِّدُ أَهْلِ الْإِبَاءِ ، الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الْحَيَّةَ وَالْمَوْتَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّیُوفِ ، اخْتِياراً لَهُ عَلَى الدِّينِيَّةِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ عَرِضَ عَلَيْهِ الْأَمَانُ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَنْفَ مِنَ الذَّلَالِ ، وَخَافَ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يَبْلَاهُ بِنُوعٍ مِنَ الْمَوَانِ ؛ إِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ ، فَاخْتَارَ الْمَوْتَ عَلَى ذَلِكَ .

وَسَمِعْتُ النَّقِيبَ أَبَا زَيْدٍ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ الْعَسَلَوِيَّ الْبَصْرِيَّ ، يَقُولُ : كَانَتْ أَيْيَاتُ أَبِي تَمَامٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِيٍّ ^(١) مَا قِيَّاتُ إِلَّا فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
وَقَدْ كَانَ قَبُوتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْخِفَافُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَمَافُ الضَّيْمَ حَتَّى كَانَتْ هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْغِ أَوْ دُونَهُ الْكَفَرُ
فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْخَشَرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ خُرّاً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتْدُسٍ خُضَرُ
لَمَّا قَرَأَ أَصْحَابُ مَصْعَبٍ عَنْهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي بَقَرٍ يَسِيرُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ ، وَأَنْشَدَ :

فَإِنَّ الْأُتَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَبَّجُوا فَسَتُّوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا ^(٢)
فَعَلِمَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقْتَل .

وَمِنْ كَلَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الطُّفِّ ، الْمَقُولُ عَنْهُ ، نَقَلَهُ عَنْهُ زَيْنُ الْعَابِدِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَلَا وَإِنَّ الدَّعَى ابْنَ الدَّعَى ، قَدْ خَيْرَنَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ : السَّلَّةُ ^(٣) »

(١) ديوانه ٣٦٨ - طبع بيروت .

(٢) لسليمان بن قنفة . الكامل ١ : ١٤ ؛ والطف : من ضاحية الكوفة ؛ كان فيها مقتل الحسين عليه السلام .

(٣) السل : انزاعك الشيء وإخراجك إياه في رفيق ؛ وعند السلَّة ؛ أى عند استلال السيوف .

أو الذَّلَّةَ، وهيئات مِنَّا الذَّلَّةُ ! يَا بِي اللَّهِ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَحُجُورٌ طَابَتْ ، وَحُجُزٌ .
طَهَّرْتُ^(١) ، وَأَنْوَفٌ حَيَّةٌ ، وَنَفُوسٌ أُبِيَّةٌ .

وهذا نحو قول أبيه عليه السلام ، وقد ذكرناه فيما تقدم : « إِنَّ أَمْرًا أَمَكْنَ عَدُوًّا مِنْ نَفْسِهِ ، يَمُرُّقُ لَحْمَهُ ، وَيَفْرِى جِلْدَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، لِعَظِيمٍ مُعْجَزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ؛ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ؛ فَأَنَا أَنَا فَدُونُ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمُشْرِفِيَّةِ نَطِيرُ مِنْهُ قَرَّاشُ الْهَامِ ، وَتَطْيِيحُ السَّوَاعِدِ وَالْأَقْدَامِ » .

وقال العباس بن مرداس السُّلَمِيُّ :

مقال امرئٍ يَهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً إِذَا مَعَشَرٌ جَادُوا بِعَرَضِكَ فَانْجَلِ^(٢)
وإنَّ بَوَّءَكَ مِنْزَلًا غَيْرَ طَائِلِ^(٣) غَلِيظًا فَلَا تَنْزِلْ بِهِ وَتَحْوِلِ
وَلَا تَطْمَعَنَّ مَا يَمْلِفُونَكَ لِأَتَهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالْمَثَلِ^(٤)
أَرَاكَ إِذَا قَدْ صَرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا يَقَالُ لَهُ بِالْفَرَبِ أَذِيرُ وَأَقْبِلِ^(٥)
فَتُحْذَهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِمُحْطَةٍ وَفِيهَا مَقَامٌ لِامْرِئٍ مُتَذَلِّلٍ

(١) المجز : جمع حجرة ، حيث يقى طرف الإززار ، كناية عن العفة .

(٢) من أبيات في الحماسة ٢ : ١١ - بشرح التبريزي ، مطلعها :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَلَمَى رَسُولًا يَرُوعُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بَعَسَجَلِ

(٣) الحماسة : « ميركا غير طائل » .

(٤) قال التبريزي : للمثل : هو السم الذى قد خلط به ما يقويه ويهيجه ليكون أنفذ ، أى سقوك السم وإن كانوا أقرباءك فلا تغتر بهم وكن ذا أنفة » . وبعده فى رواية التبريزي :

أبعد الإزار مُجَسَّدًا لَكَ شَاهِدًا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَنْزِيلِ

(٥) الناضح : البحر الذى يستقى عليه الماء ، قال التبريزي : « يقول : أبعد الإزار مخضوبا بالدم أتيت به فى الدار شاهدا تصالحهم ! فإن فعلت ذلك صرت كالناضح للقوم اتقياداً لهم » .

وله أيضا :

فخارب فإن مولاك حارّد نصره ففى السيف مولى نصره لا يحارّد^(١)
وقال مالك بن حريم المنداني :

وكُفْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَمَلُّ أَنَا فِي ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ^(٢)
مَتَى يَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْرُ وَصَارِمًا وَأَنَا حَيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
وقال رُشَيْد بن رُمَيْض العبزى :^(٣)

باتوا نياما وابنُ هند لم يَمِ باتَ يُقاسِمها غُلامٌ كالزَّلمِ^(٤)
خَدَلْجُ السَّاقِينَ خَفَّاقَ الْقَدَمِ^(٥) قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمِ^(٦)
ليسَ براعى لابلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمِ^(٧)
* مَنْ يَلْقَانِي يُودِ كَمَا أُوْدَتِ لِمَمِ *

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِمِجْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسُبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا^(٨)
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا

-
- (١) ديوان الحماسة ٢ : ١٥ - بشرح التبريزى : وحارّد نصره ؛ أى امتنع ؛ والمحاردة فى الأصل ثلّة اللين ، واستعير هنا .
(٢) من قصيدة له فى الأعانى ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ وحريم ، ضبطه البكرى فى اللآلى ٧٤٨ « بالهاء والراء المهملتين ، الهاء مفتوحة ، والراء مكسورة » ، وقال : « ومن روى حريم ، بالزاي فقد صحف » .
(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٣٣ - بشرح التبريزى ؛ من وصف غارة .
(٤) الزلم : القدح . يقاسمها ، أى يمانى الغارة كيف يوقعها ويدبرها .
(٥) خدلج الساقين : ممتثلها . خفّاق القدم : سريع الخطو ؛ ضراب بها للأرض .
(٦) قد لعها ، أى الإبل ؛ وجعل الفعل لليل على الحجاز . والمطم : الذى لا يبقى من السير شيئا ؛ والمعنى أنه جمعها برجل متماهى القوة ، عنيف السوق .
(٧) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .
(٨) للعصين بن حمام المرى ، المفضليات ٦٥ مع اختلاف فى الرواية .

ومن أباء الضيم يزيد بن المهلب ؛ كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته ؛
 لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت إليه الخلافة ، خلعه يزيد بن المهلب ،
 ونزع يده من طاعته ، وعلم أنه إن ظفر به قتلته وناله من الهوان ما القتل دونه ، فدخل
 البصرة وملكها عتوة ، وحبس عدى بن أرطاة عامل يزيد بن عبد الملك عليها ، فسترح
 إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً ، ويشتمل على ثمانين ألفاً من أهل الشام والجزيرة ،
 وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وكان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتديرها ،
 وأعين الناس نقيبة في الحرب ، وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فسار
 يزيد بن المهلب من البصرة ، فقدم واسطاً ، فأقام بها أياماً ، ثم سار عنها فنزل العقر^(١) ،
 واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفاً ، وقدم مسلمة بجيوش الشام ، فلما تراءى
 العسكران ، وشبت الحرب ، أمر مسلمة قائداً من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها
 يزيد بن المهلب فأحرقها ، فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا ، فقتل يزيد
 ابن المهلب : قد انهزم الناس ، قال : وميم انهزموا ؟ هل كان قتال يهزم الناس من مثله ؟
 فقتل له : إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا ، فقال : قبحهم الله ! بق دُخن عليه فطارا
 ثم وقف ومعه أصحابه ، فقال : اضربوا وجوه المهزمين ، ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه ،
 واستقبله منهم أمثال الجبال ، فقال : دعوهم قبحهم الله ! غنم عداء في نواحيها الذئب . وكان
 يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وقد كان أثناه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسطة ،
 فقال له :

فَإِنْ أَمُوتَ كَرِيماً فَإِنْ تَمُتَ رَسِيْفَكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تَعْذِرُ

فقال : ما شعرت ، فقال :

(١) قال ابن خلكان : « هي عقر بابل ؛ وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء ؛ الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه » .

إن بنى مروان قد بادَ ملكهمُ فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر
 فقال : أما هذا فمسي . فلما رأى يزيد انهزام أصحابه ، نزل عن فرسه ، وكسرجف
 سيفه واستعقل ، فأتاه آت فقال : إن أخاك حبيباً قد قُتل ، فزاده ذلك بصيرة في توطينه
 نفسه على القتل ؛ وقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! والله لقد كنت أبيضُ الحياة بعد
 المزيمة ؛ وقد ازددت لها بفضاً ؛ امضوا قُدماً . فلم أصحابه أنه مستميت ، فتسأل عنه مَنْ
 يكره القتال ، وبقي معه جماعة خشية ، فهو يتقدم كلما مرَّ بخيل كَشَفَهَا ، وهو يقصد مسلمة
 ابن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما دنا منه ، أدنى مسلمةُ فرسه ليركب ، وحالت خيولُ أهل
 الشام بينهما ، وعطفت على يزيد بن المهلب ؛ فجالدهم بالسيف مصلاً^(١) ؛ حتى قتل وحمل
 رأسه إلى مسلمة ، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب ؛ وكان أخوهما المفضل بن المهلب ؛ يقاتل
 أهل الشام في جهة أخرى ، ولا يعلمُ بقتل أخويه يزيد ومحمد ؛ فأتاه أخوه عبد الملك بن
 المهلب ، وقال له : ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد ، وقبلهما قتل حبيب ، وقد انهزم الناس !
 وقد روى أنه لم يأت به بالخبر على وجهه ، وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويُقتل ، فقال
 له : إن الأمير قد انحدر إلى واسط ، فاقصصْ أثره ، فأنحدر المفضل حينئذ ، فلما علم بقتل
 إخوته ، حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبداً ؛ وكانت عين المفضل قد أصيبت من قبل
 في حرب الخوارج ، فقال : فضحني عبد الملك فضحه الله ! ما عذرى إذا رآني الناس
 فقالوا : شيخ أعور مهزوم ، ألا صدقني فقتلت ا ثم قال :

وَلَا خَيْرَ فِي طَعْنِ الصَّنَادِيدِ بِالْقَدَا وَلَا فِي لِقَاءِ النَّاسِ بَعْدَ يَزِيدَ

فلما اجتمع مَنْ بَقِيَ من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة ، أخرجوا عدى بن أوطاة
 أمير البصرة من الحبس ، فقتلوه وحلوا عيالهم في السفن البحرية ، ولججوا في البحر ؛ فبعث
 إليهم مسلمة بن عبد الملك بعثاً عليه قائد من قواده ، فأدركهم في قنذابيل^(٢) ؛ فخار بهم

(١) مصلاً ، أى مجرداً من غده .

(٢) قنذابيل : مدينة بالسند .

وحاربوه ، وتقدم بنو المهلب بأسيا فهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وهم : الفضل بن المهلب ، وزيد بن المهلب ، ومروان بن المهلب ، وعبد الملك بن المهلب ، ومعاوية بن يزيد ابن المهلب ، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب ، وعمرو والخيرة ابنا قبيصة بن المهلب ؛ وحملت رءوسهم إلى مسلمة بن عبد الملك ؛ وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستؤسر الباقون في الوقعة ، فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام ؛ وهم أحد عشر رجلا ، فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة ، فأنشد :

حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُجْمِلًا أَشَدَّ الْعَقَابِ أَوْ عَمَّا لَمْ يُتَرَّبِ
فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْبَبَهُ فَمَا تَأْتِيهِ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يَكْتَبِ
أَسَاءُوا فَإِنْ تَصَفَّحْ فَإِنَّكَ قَادِرٌ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حَسْبُهُ حِلْمُ مَغْضَبِ

فقال يزيد : أطت^(١) بك الرحم يا أبا صخر ! لولا أنهم قد حوا في الملك لعفوت عنهم ؛ ثم أمر بقتلهم فقتلوا ، وبقي منهم صبي صغير ، فقال : اقتلوني فلست بصغير ، فقال يزيد بن عبد الملك : انظروا هل أنبت ! فقال : أنا أعلم بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء فاقتلوني ؛ فلا خير في العيش بعد أهلى ! فأمر به فقتل .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وأسماء الأسارى الذين قتلوا صبورا - وهم أحد عشر مَهْلِكِيًّا : المارك وعبد الله والخيرة والفضل والمنجاب ؛ بنو يزيد بن المهلب . ودريد والحجاج وعسان وشيب والفضل ؛ بنو الفضل بن المهلب لصلبه . والفضل بن قبيصة بن المهلب . قال : ولم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية إلا أبو عيينة بن المهلب . وعمر بن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن الفضل بن المهلب ، فإنهم لحقوا برتبيل^(٢) ، ثم أومئوا بعد ذلك .

(١) أطت بك الرحم : رقت وحننت .

(٢) رتبيل : من ملوك الترك .

وقال الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

ألا لله بادرَةَ الطَّلَابِ وَعَزَمْتُ لَا يُرْوَعُ بِالْعِتَابِ^(١)
 وكل مشعر البرد بن يهوى هوى المصلتات إلى الرقاب
 أعاتبه على بُعد التناي فيمذلني على قرب الإياب
 رأيت العجز يخضع لليالي ويرضى عن نوائبها النضاب
 وآمل أن تطاوعني الليالي وينشب في المنى ظفري ونابي
 ولولا صولة الأقدار دوني هجمت على الملامن كل باب

وقال أيضا :

لا يبتدِ المهموم إلا غلام يركب الهول والحسام رديف^(٢)
 ما يذل الزمان بالفقر حرا كيفما كان فالشريف شريف

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ولست أضل في طرقى للعالى ونار العز عالىة الشماع^(٣)
 ودون المجدي رأى مستطيل وباع غبر محبوب الدراع
 ويمجبنى البعاد كأن قلبي يحدث عن عدى بن الرقاع
 فرد ينهى العلاء بلا رقيب وشمر فى الأمور بلا نزاع
 ولا تغررك قعقة الأعادى فذاك الصخر خر من اليعاق
 ونحن أحق بالدينيا ولكن تخيرت القطوف على الوساع^(٤)



(١) ديوانه لوحة ٧٧ ، من قصيدة يفتخر ويمدح فيها آل البيت ويذكر قبورهم ويتشوقها .

(٢) ديوانه ، لوحة ١٨٩ .

(٣) ديوانه ، لوحة ٣٦ من قصيدة يمدح فيها أباه ويهنته .

(٤) القطوف : الدابة الطليقة السير . والفرس الوساع : الجواد ذو السعة فى خطوه .

وقال حارثة بن بدر الفدائي :

أهـانُ وأقصى ثم ينتصحو نقي ومن ذا الذي يُعطى نصيحته قسراً !
رأيت أكف المصائبين عايكم ملاء وكفى من عطائكم صيفراً
متى تسألوني ما علىّ وتمنعوا لا ذي لي ، لا أستطيع في ذاكم صبراً

وقال بعض الخوارج :

تُعيرني بالحرب عيرمي وما درت باتي لها في كل ما أمرت ضيد
لما الله قوماً يعمدون وعندهم سيوف ولم يمصب بأيديهم قد

وقال الأعشى :

أبالموت خشتني عبادة وإتما رأيت منايا القوم يسمي دليلها^(١)
وما مودة إن منها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

وقال آخر :

فلا أسمعن فيكم بأمر هزيمة وضيم ولا تسمع به هامتي بملدي
فإن السنان يركب المرء حده من الضيم ، أو يعدو على الأسد الوردي

ومثله :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل^(٢)
ويزكب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) بلعن بن أوس ، ديوانه ٥٩ .

وقال آخر :

كِرِهُوا المَوْتَ فَاسْتَبِيحِ حِمَاهُمْ وَأَقَامُوا فَعَلَ اللّٰثِمِ الدَّلِيلِ
أَمِنَ المَوْتَ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ أَلْ مَوْتَ الدَّلِيلِ غَيْرُ جَمِيلِ

وقال بشامة بن الغدير :

وإِنَّ الَّتِي سَامَكُمْ قَوْمُكُمْ هُمْ جَعَلُوهَا عَلَيْكُمْ عُدُولاً^(١)
أَخِزْنِي الحَيَاةَ وَكِرْهُ المَوْتَ فَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيَسَلًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى المَوْتَ سَيْرًا جَمِيلًا
وَلَا تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مَنَّةٌ كَكَفَى بِالْحَوَادِثِ الدَّرءُ غُولًا

قال يزيد بن المهلب في حرب جرجان لأخيه أبي عيينة : ما أحسن منظرٍ رأيتَ
في هذه الحرب ؟ قال : سيف بن أبي سبرة وبيضته ؛ وكان عبدُ الله بن أبي سبرة يحمل
على غلام تركي قد أفرج الناس له ، وصدوا عنه لبأسه وشجاعته ، فتضاربا ضَرْبَتَيْنِ ،
فقتله ابن أبي سبرة بعد أن ضربه التركي في رأسه ، فنشب سيفه في بيضة ابن أبي سبرة ،
فعاد إلى الصف وسيفه مصبوغ بدم التركي وسيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلمع ،
فقال الناس : هذا كوكب الذنب ، وعجبوا من منظره .

وقال هذبة بن خشرم :

وإِنِّي إِذَا مَا المَوْتُ لَمْ يَكْ دُونَهُ قَدِى الشُّبْرَ أَحْيَى الْأَنْفَ أَنْ أَتَأَخَّرَ^(٢)
وَلَكِنِّي أُعْطِيَ الحَفِظَةَ حَقَّهَا فَأَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَأُنْكِرُ مَكْرًا

وقال آخر :

إِنِّي أَنَا المَرءُ لَا يُنْفِى عَلَى تِرَةٍ وَلَا يَقَرُّ عَلَى ضَيْمٍ إِذَا غَشِمَا

(١) مختارات ابن العجى ١٦ ، الفضليات ٥٩

(٢) قدى العبر : قدره ، والبيت في اللسان (٢٠ : ٣٢) .

ألقى للنبيّة خوفاً أن يقال فتى أمسى - وقد ثبت الصّفا - منهزماً
وقال آخر :

قَوْضُ خِيَامِكَ وَالنِّسْ بَلَدًا تَنَاهَى عَنِ النَّاشِيكِ بِالظُّلْمِ
أَوْ شُدَّ شِدَّةَ يَبْهَسٍ فَعَسَى أَنْ يَتَّقُوكَ بِصَفْحَةِ السَّلَامِ^(١)
استنصر سبيع بن الخطيم التيميّ من بنى تيم اللات بن ثعلبة زبد الفوارس الضبيّ
فنصره ، فقال :

نَبَّهْتُ زَبْدًا فَلَمْ أَفْزَعْ إِلَى وَكَلٍ رَثَّ السِّلَاحِ وَلَا فِي الْحَيِّ مَمْنُورٍ
سَأَلْتُ عَلَيْهِ شَعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّانِيْرِ
وقال أبو طالب بن عبد المطلب :
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تُخْلِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَنَنَاضِلِ^(٢)
وَنَنْصُرُهُ حَتَّى نَصْرَعَّ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أِبْنَانَا وَالْحَلَالِ

لما برز على وحمزة وعبيدة عليهم السلام يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد ، قتل على
عليه السلام الوليد ، وقتل حمزة شيبة ، على اختلاف في رواية ذلك : هل كان شيبة قرنه أم
عتبة ؟ ومجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما ، فجرح عبيدة عتبة في رأسه ، وقطع عتبة ساق عبيدة ،
فكرّ على وحمزة عليهما السلام على صاحبهما ، فاستنقذه من عتبة ، وخبطاه بسيفيهما حتى
قتلاه واحتملا صاحبهما ، فوضعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش ،
وهو يجود بنفسه ، وإن منح ساقه ليسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حياً لعم
أنى أولى منه بقوله :

(١) البيهقي : الشجاع .

(٢) ديوانه ١١٠ ، ١١١ م اختلاف في الرواية

كَذَّبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُحْلِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنَنْصُرُهُ حَتَّى نَصْرَعَّ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ! اللَّهُمَّ إِنْ
تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ .

لَمَّا قَدِمَ جَيْشُ الْحَرَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَعَلَى الْجَيْشِ مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ الْمُرِّي ، أَبَاحَ الْمَدِينَةَ
ثَلَاثًا ، وَاسْتَمْرَضَ أَهْلَهَا بِالسَّيْفِ جَزْرًا كَمَا يَجْزُرُ الْقَصَابُ الْغَنَمَ ؛ حَتَّى سَاخَتْ الْأَقْدَامُ
فِي الدَّمِ ، وَقَتَلَ أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَذُرِّيَّةَ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَبَقَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ؛ عَلَى أَنَّهُ عَبْدٌ قَنٌّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مُعَاوِيَةَ ؛ هَكَذَا كَانَتْ صُورَةُ الْمُبَايَعَةِ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، إِلَّا عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
فَإِنَّهُ أَعْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَخَذَ بِيَعْتِهِ عَلَى أَنَّهُ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مُعَاوِيَةَ وَابْنِ عَمِّهِ ، دَفَعَا لَهُ عَمَّا بَايَعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِوَصَايَةِ مَنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَهُ ،
فَهَرَبَ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَخُوَالِهِ مِنْ كِنْدَةَ ، فَحَمَوْهُ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ
عَقْبَةَ ، وَقَالُوا : لَا يَبَايِعُ ابْنُ أَخْتِنَا إِلَّا عَلَى مَا يَبَايِعُ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَبَى مُسْلِمُ
ابْنَ عَقْبَةَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتَ إِلَّا بِوَصَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلْتُهُ ،
فَإِنَّ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ أَجْدَرُ بِالْقَتْلِ ، أَوْ لَأَخَذْتُ بِيَعْتِهِ عَلَى مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ بَيْعَةَ غَيْرِهِ . وَسَقَرِ
السُّفْرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، حَتَّى وَقَعَ الْإِتْفَاقُ عَلَى أَنَّ يَبَايَعَ وَيَقُولُ : أَنَا أَبَايَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَالتَّزِمَ طَاعَتَهُ ، وَلَا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ عَلَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :
أَبِي الْعَبَّاسُ رَأْسُ بَنِي قُصَيٍّ وَأَخُوَالِي الْمُلُوكُ بَنُو وَلِيْعَةَ
هُمْ مَنَعُوا ذِمَّتِي يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنُو الْأَسْكِمَةِ .

أراد بى التى لا عزّ فيها فحالت دونه أيدٍ مَنِيعَةٍ
مُسْرِفٍ كفاية عن مُسلم ، وأم على بن عبد الله بن العباس زُرعة بنت مشرَح بن
معدى كرب بن وليعة بن شُرَحْبِيل بن معاوية بن كِنْدَةَ .

قال الحصين بن الحمام :

وَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَمًا^(١)
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذَمَّى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَفْدَامِنَا تَقَطَّرَ الدَّمَا
نَفَلَقَ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمَا
أَبَى لَابِنٍ سَلَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ مُلَاقِيٍّ لِلنَّايَا أَيْ صَرَفٍ تَيَمَّمَا
ابن سلى يعنى نفسه ، وسلى أمه .

وقال الطرماح بن حكيم :

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزٌّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَاءِ وَالْقَنَابِلِ^(٢)
وقال آخر :

وإن التى حدثتها فى أنوفنا وأعناقنا من الإباء كَمَا هِيَا
وقال آخر :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِيْنَا تَبَدَّلَتْ يَبْؤَسَى وَنُئِمَى وَالْحَوَادِثُ تَفَعَّلَتْ^(٣)
فَمَا لَيْئَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيْبَةٍ وَلَا ذَلَّلَتْ لَلَّتِ لَيْسَ تَجْمَلُ
وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيْمَةً تَحْمَلُ مَا لَا يَسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ

(١) الفضليات ٦٨ ، ٦٩

(٢) ديوانه ١٥٩

(٣) لإبراهيم بن كنيف النبهانى ، ديوان الحماسة ١ - ٢٥١ - بهرح النهرى .

وقال آخر :

إذا جانبُ أعياك فاعِدْ لجانبٍ فإنك لاقٍ في البلاد .مو-لا^(١)

وقال أبو النشاش :

إذا المرء لم يسرح سواما لم يرح سواما ولم تعطف عليه أقارب^(٢)
فللموت خير للفتى من قعوده عديما ومن مولى تدب عقارب^(٣)
ولم أر مثل المم ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فيس معدما أو مت كريما فإننى أرى الموت لا ينجو من الموت هارب^(٤)

وفد يحيى بن عروة بن الزبير على عبد الملك ، فجلس يوما على بابه ينتظر إذنه ، فجرى ذكرُ عبد الله بن الزبير ، فقال منه حاجب عبد الملك ، فلطم يحيى وجهه حتى أدمى أنفه ، فدخل على عبد الملك ودمه يجرى من أنفه ، فقال : مَنْ ضربك ؟ قال : يحيى ابن عروة ، قال : أدخله - وكان عبد الملك متكئا فجلس - فلما دخل قال : ما حملك على ما صنعت بحاجي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن عمى عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك ملك لنا ، والله إن كان ليوصى أهل ناحيته ألا يسمعوها قذعا^(٥) ، ولا يذكروكم عندها إلا بخير ؛ وإن كان ليقول لها : مَنْ سب أهلك فقد سب أهله ، فأنا والله المم للخول ، تفرقت العرب بين عمى وخالى ، فكنت كما قال الأول :

يدأه أصابت هذه حتف هذه فلم تجد الأخرى عليها مقدما

فرجع عبد الملك إلى متكئته ، ولم يزل يُعرف منه الزيادة في إكرام يحيى بعدها .

(١) الجابر بن طلق الطائي ، ديوان الحماسة ١ : ٢٩٣ - بشرح التبريزي .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٢ - بشرح التبريزي

(٣) الفذع : الفحش .

وأمّ يحيى هذه ابنة الحَكَم بن أبي العاص عمّة عبد الملك بن مروان .
وقال سعيد بن عمر الحرثي أمير خراسان :

فلستُ لعامرٍ إن لم تروني أَمَامَ التَّخْلِيلِ أَطْعَنُ بِالْعَوَالِ^(١)
وَأُضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بِمَاضِيِ الْقَرْبِ حُودِثَ بِالصَّقَالِ^(٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مَصَاوِلَةَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَالَّذِي مِنْ كُلِّ ذِمٍّ وَخَالِي حِينَ يُذَكَّرُ خَيْرُ خَالِ

قال عبد الله بن الزبير لما خطب حين أتاه نعي مُصْعَب : أما بعد ؛ فإنه أتانا من
العراق خبرٌ أفرحنا وأحزننا ؛ أتانا خبرُ قتلِ المصعب ؛ فأما الذي أحزننا فلوعةٌ يجدها
الحميم عند فراق حميمه ؛ ثم يرعوى بعدها ذو اللَّبِّ إلى حسن الصبر وكرم العزاء .
وأما الذي أفرحنا ، فإنّ ذلك كان له شهادة ، وكان لنا وله خيرة ؛ إنا والله مانعوت
حبّجاً^(٣) كما يموت آل أبي العاص ؛ ما نموت إلا قتلاً قفصاً^(٤) بالرماح ، وموتاً تحت
ظلال السيوف ؛ فإن يهلك المصعب ؛ فإن في آل الزبير تخلّفاً .
وخطب مرة أخرى فذكره فقال : لوددت والله أن الأرض قاءتني عنده حين لفظ
غُصَّتَهُ وقَضَى نَحْبَهُ .

شعر :

خَذِرْ بِهِ فَجْرِيهِ ضُبَاعَ وَأَبْشِرِي بِأَحْمَرِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

(١) العوال : جمع طالية ؛ وهي أعلى القناة .

(٢) غرب السيف : حده ؛ ويقال : حادث السيف ؛ إذا جلاه ؛ وصقال السيف : جلاؤه .

(٣) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمناً وربما قتله ذلك ؛ وفي اللسان (٣ : ٤٨) .
بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يعرض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا ، وأنهم
يموتون بالنخمة » وفي ج : « جنحاً » .

(٤) القفص : الموت السريع ؛ ويقال : مات قفصاً ؛ أي أصابته ضربة أورمية فمات مكانه .

وقال الشداخ بن يَمْرُ الكِنَافِي :

قَاتِلُوا الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا يَذْخُلُكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلْ^(١)
الْقَوْمَ أَمْثَالَكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشِرُونَ إِنْ قُتِلُوا
وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَتَخَنَّا خَالَفَنَا السُّيُوفُ عَلَى الدَّهْرِ^(٢)
فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضِينَا الْجُفُونَ عَلَى وَثَرٍ

قيل لرجل شهد يوم العطف مع عمر بن سعد : ويحك ! أقتاتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : عَضَضْتُ بِالْجُنْدَلِ ؛ إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ مَا شَهِدْنَا لَعَمَلْتَ مَا فَعَلْنَا ، ثَارَتْ عَلَيْنَا عِصَابَةٌ ، أَيْدِيهَا فِي مِقَابِضِ سِيُوفِهَا كَالْأَسُودِ الضَّارِيَةِ تَحْمِلُ الْفِرْسَانَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَتُلْسِقِي أَنْفُسَهَا عَلَى الْمَوْتِ ؛ لَا تَقْبِلِ الْأَمَانَ ، وَلَا تَرْغَبِ فِي الْمَالِ ، وَلَا يَحْمِلُ حَائِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُرُودِ عَلَى حِيَاضِ الْمَنِيَةِ ، أَوِ اسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَلِكِ ؛ فَلَوْ كَفَفْنَا عَنْهَا رَوِيدًا لَأَتَتْ عَلَى نَفُوسِ الْعَسْكَرِ بِحِذَافِيرِهَا ؛ فَمَا كُنَّا فَاعِلِينَ لَا أُمَّ لَكَ !

السَّخَاءُ مِنْ بَابِ الشَّجَاعَةِ ، وَالشَّجَاعَةُ مِنْ بَابِ السَّخَاءِ ؛ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ إِتْفَاقَ الْعَمْرِ وَبِذَلِكَ فَكَانَتْ سَخَاءً ، وَالسَّخَاءُ إِقْدَامٌ عَلَى إِتْلَافِ مَا هُوَ عَدِيلُ الْمَهْجَةِ ؛ فَكَانَ شَجَاعَةً .

أَبُو تَمَامٍ فِي تَفْضِيلِ الشَّجَاعَةِ عَلَى السَّخَاءِ :

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ لِمَعَا نَفَقَاتِهِمْ مَالٌ وَقَوْمٍ يَنْفِقُونَ نَفُوسًا^(٣)

(١) ديوان الحماسة لأبي تمام ١ : ١٨٩ - بشرح التبريزي ، والفشل : الجبن والضعف .

(٢) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٢ : ٢٦٧

قيل لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى : أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل على عليه السلام ؛ بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه ؛ فإن ذلك أمر مفروغ منه ؟ فذكر حديث الطائر المشوي^(١) ؛ وأن المحبة من الله تعالى لإرادة الثواب . فقيل له : قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا ؛ فهل تجد غير ذلك ؟ قال : نعم قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ ، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص ، فكل من زاد ثباته ؛ زادت المحبة له ؛ ومعلوم أن علياً عليه السلام ما قر في زحف قط ، وفر غير في غير موطن .

وقال أبو تمام :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّيْبِ^(٢)
يُبَيِّنُ الصَّفَاتِ لَأَسْوَدُ الصَّخَافِ فِي مُتَوَيْنٍ جِلَاءِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)
وَأَعْلَمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٤)

وقال أبو الطيب المتنبي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلسِّيفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ^(٥)

(١) يشير إلى ما رواه الترمذي في باب المناقب (١٣ : ١٧٠) ، بسنده عن أنس بن مالك ، ولفظه : « كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال : اللهم ائمني بأحب خلقك إليك ؛ يأكل معي هذا الطير . فجاء على فأكل معه . وانظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٧ »

(٢) ديوانه ١ : ٤٥ ؛ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ؛ ويذكر فتح عمورية ، وكان المنجسون قد حكموا أن المعتصم لا ينتج عمورية ؛ وراسلته الروم بأن نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا وقت إدراك التين والعنب ؛ وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها الثلج والبرد ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحها ، فأبطل ما قالوا .

(٣) الصفائح : جمع صفيحة ؛ وهي الحديد المريضة ؛ ويقال للسيف العريض كذلك .

(٤) يرد على المنجسين ما حكموا به ؛ لأن المظفر كان قبل حكمهم . وبني بهضب الأرماع أستها ، وبني بالسمة الشهب الطوالع التي أرفضها زحل وأدناها القمر .

(٥) ديوانه ٤ : ١٥٩

اُكْتُبْ بِنَاءً أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسيافِ كالتلذذِ
أَسْمَعْنِي وَدَوَائِي مَا أَشْرْتُ بِهِ فَإِنْ غَفَلْتُ فِدَائِي قِلَّةُ الْقَهْمِ
مَنْ اقْتَضَى بِسُوءِ الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ «هَلٍ» بِلَمْ-

قال عطف بن محمد الألومى :

أَمْكَابِدَ الزَّفَرَاتِ مَوْصِدَةً تَلَمَّذَ خَوْفَ الْقَطْعِ بِالشَّلَلِ
صَرَفَ هُمُومَكَ تَنْتَدِبُ هِمَمًا فَالْشُّكْرُ يُعْقِبُ نَشْوَةَ الشَّمْلِ
وَلَيْلَةَ اللَّيْلَادِ مَفْرَحَةً تُنْسَى الْحَوَامِلَ أَشْهَرُ الْحَبْلِ
سِرٌّ فِي الْبِلَادِ تَخُوضُهَا جُجَا فَالذَّرُّ لَيْسَ بِصَابٍ فِي الْوَشْلِ^(١)
وَاجْعَلْ لَصَبُوتِكَ الظُّبَا سَكَنًا وَالدَّوْرَ أَكْوَارًا عَلَى الْإِبْلِ
وَالْعَيْشُ وَالْوَطَنُ الْمَهْدُ فِي غَرْبِ الْحَسَامِ وَغَارِبِ الْجَمْلِ
وَاشْدُدْ عَلَيْكَ وَخُذْ إِلَيْكَ وَدَعْ ضَعَاةَ الْخَمُولِ وَفَتْرَةَ الْكَسَلِ
وَارْزُقِ الْعِدَّةَ بِكُلِّ صَائِبَةٍ مَا الرَّمْيُ مَوْقُوفًا عَلَى تَعْمَلِ^(٢)
لَا تَحْسَبِ التَّكْبَاتِ مَنَقَصَةً قَدْ يُسْتَجَادُ السَّيْفُ بِالْقَلَلِ

وقال عروة بن الورد :

لَمَّا اللَّهُ صُغُولًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آلَفًا كُلَّ نَجْزَرِ^(٣)

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) نعل : أبو حى من طيء ؟ اشتهروا بالرى .

(٣) ديوانه ٩٣ (ضمن دواوين الشعراء الخمسة) . الصعلوك : الفقير ، والمصافى : من المصافاة ؛ وهى الاختيار والملازمة . والمشاش : العظم الممكن مضغه ، والنَجْزَر : موضع نحر الإبل .

يَعْدُ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ
يَقَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا
يُمِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ
وَلَكِنْ صُفُلُوا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ
وَأِنْ قَمَدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ
فَذَلِكَ إِنْ بَلَقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا

أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مَيْسَرٍ^(١)
يَحْتِ الْحَصَا مِنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ^(٢)
وَيُؤْمِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ^(٣)
كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ
بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ^(٤)
تَشَوَّفَ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ^(٥)
حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَفْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أَدْعَى مَا
وَسِيَانِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى
وَلَنْ يَحْدِ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعِدَا
وَأَنْ نِجَارِي بَابِنَ غَنَمٍ مُخَالَفٍ
وَلَسْتُ بِمَهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي
إِذَا الْمَرءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكْرَهًا

فَإِنْ لِسَوَاتِ الْأُمُورِ مَوَالِيَا^(٦)
كَبَعْضِ رَجَالٍ يُوطُونُ الْخَازِيَا
أَدِمِي إِذَا عَدَوَا أَدِيمِي وَاهِيَا
نِجَارَ لَثَامٍ فَابْنِي مِنْ وَرَائِيَا^(٧)
وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرءِ مَا لَا يَرَى لِيَا
عِرَاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَاقِيَا^(٨)

- (١) الميسر : الذي قد نتج لإبله فكثير خيره ؛ يقول : من صفات ذلك الصعلوك أنه إذا أصاب القرى في كل ليلة من صديق غني ؛ عد ذلك لنفسه غني وخيرا .
- (٢) يحت الحصا : يفركه ، والناعس : الذي يأتي عليه الصباح وهو ناعس لخوله وانحطاطه .
- (٣) البعير الطليح : العبي ؛ وكذلك المحسر .
- (٤) أطل على أعدائه : أوفى عليهم . والمنيح والسيح والرغد : قدام لا أنصاء لها ، وإنما يكثر بها القدام فهي تجال أبدا ، وترجر حالا بعد حال ، فشب الصعلوك به (من شرح التبريزي) .
- (٥) الديوان : « فإن بعدوا يأمنون اقترابه » .
- (٦) لطرفة الجذمي ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٣٨٩ ، مع اختلاف في الرواية ومرتتيب الأبيات .
- (٧) النجار : الأصل .
- (٨) العلوق : الناقة التي ترام ولدها وتلمسه حتى يأنس بها ، فإذا أراد ارتضاع اللبن منها ضربته وطردته .

نَهَارَ بَن تَوَسَّعَ فِي يَزِيدَ بَن الْمَهَلَّبِ :

وَمَا كُنَّا نُؤْمَلُ مِنْ أَمِيرٍ كَمَا كُنَّا نُؤْمَلُ مِنْ يَزِيدٍ
فَأَخْطَا ظَنُّنَا فِيهِ وَقَدِمًا زَهْدُنَا فِي مَعَاشِرَةِ الزَّهِيدِ
إِذَا لَمْ يَعْطِنَا نَصَفًا أَمِيرٌ مَشِينَا نَحْوَهُ مَشَى الْأَسْوَدِ

كَانَ هُذْبَةُ الْيَشْكُرَى - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ شَوْذِبِ الْخَارِجِيِّ الْيَشْكُرَى - شَجَاعًا مَقْدَامًا،
وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ يَسْطَامُ الْمَلَقَبَ شَوْذِبًا الْخَارِجِي فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيَزِيدَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ جَيْشًا كَثِيفًا لِمُحَارَبَةِ ، فَانْكَشَفَتِ الْخَوَارِجُ ،
وَتَبَتِ هُذْبَةُ وَأَبَى الْفَرَارِ ، فَقَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَقَالَ أَيُّوبُ بْنُ خُوَلَّى يَرِثِيهِ :

فَيَا هُذْبَ الْيَشْكُرَى وَيَا هُذْبَ الْيَشْكُرَى وَيَا هُذْبَ الْيَشْكُرَى الْيَشْكُرَى^(١)
وَيَا هُذْبَ كَمْ مِنْ مَلْحَمَةٍ قَدْ أَجَبْتَهُ وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّمَاكِ كَتَائِبُهُ^(٢)
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ دِرْعًا وَمِغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَنْحُكْ مَضَارِبُهُ^(٣)
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ إِذَا انْفَضَّ وَافَى الرِّيشَ حُجْنٌ تَحَالِيهِ^(٤)

كَانَتْ وَصَايَا إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ وَكَتَبَهُ تَرَدُّ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِخُرَاسَانَ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَا
تَدَعِ بَخْرَسَانَ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ إِلَّا وَقَتْلَهُ فَا فَعَلَ ، وَأَيُّمَا غُلَامٍ بَلَغَ خَمْسَةَ أَشْهُارٍ تَنَهَّمَهُ

(١) الأبيات مع ذكر الخبر مفصلاً في تاريخ الطبري ٢ : ١٣٧٦ - ١٣٧٨ (طبع أوروبا) .

(٢) الملحم : الذي أسر وظهر به أعداؤه ، وى ج : « ملجم » تصحيف .

(٣) الطبرى : « تزود . . . لم تحنه » .

(٤) أجرد ، من وصف الفرس ، والجرد قصر شعر الجلد فيه ، وهو من الأوصاف المحمودة . السراة :
الظهر ، ومحبوك السراة ، أى شديد الخلق . حجن نخاله ، يريد صقرا ، والمجنين . الاعوجاج .

فاقتله ؛ وعليك بمُضَر ؛ فإنهم العدوُّ القريب الدار ، فأبْدْ خَصْرَاءَهُمْ^(١) ، ولا تَدْعُ على الأرض منهم دياراً .

قال المتنبي :
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٢)
وله :

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَيَالْقَاسِ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاجِمٍ^(٣)
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِ عَلَيْهِمْ بَأْثَمُ
وقال المتنبي أيضا :

رِدَى حِيَاضِ الرَّدَى بِأَنْفُسٍ وَأَطْرَحِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ^(٤)
إِنْ لَمْ أَذْكِرْ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ

ومن أباة الضيم قُتَيْبَةُ بن مسلم الباهلي أمير خراسان وما وراء النهر ؛ لم يصنعُ أحدٌ صنيعه في فتح بلاد الترك ، وكان^(٥) الوليد بن عبد الملك أراد أن يُنزع أخاه سليمان بن عبد الملك من العهد بعده ، ويجعله في ابنه عبد العزيز بن الوليد ، فأجابه إلى ذلك قُتَيْبَةُ بن مسلم وجماعة من الأمراء ، فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك ، وقام سليمان بالأمر بعده - وكان

(١) في الأساس : أباد اقه خصرَاءَهُمْ ، أي شجرتهم التي تفرعوا منها .

(٢) ديوانه ٤ : ١٢٥

(٣) ديوانه ٤ : ١١٢

(٤) ديوانه ٤ : ٤٣

(٥) الطبري (حوادث سنة ٩١) .

قتيبة أشد الناس في أمر سليمان وخلعه عن العهد - علم أنه سيعزله عن خراسان ويوليها يزيد بن المهلب ، لود كان بينه وبين سليمان ، فكتب قتيبة إليه كتابا يهنئه بالخلافة ، ويدكر بلاءه وطاعته لعبد الملك وللوليد بعده ، وأنه على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بفتوحه وآثاره ، ونكايته في الترك ، وعظم قدره عند ملوكهم ، وهيبه المعجم والعرب له وعظم صيته فيهم ، وبذم آل المهلب ، ويحلف له بالله : لئن استعمل يزيد بن المهلب على خراسان ليخلعته ، وليلامنها عليه خيلا ورجلا ، وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان ، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهلة يثق به ، وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده ، فقرأ الكتاب ثم دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثاني ، فإن قرأه وألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث ؛ وإن قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد ؛ فاحتبس الكتابين الآخرين معك .

فقدّم الرسول على سليمان ، ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب الأول ، فقرأ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الكتاب الثاني ، فقرأه وألقاه إلى يزيد أيضا ، فدفع إليه الكتاب الثالث ، فقرأه وتقرّ لونه وطواه ، وأمسكه بيده ، وأمر بإزالة الرسول وإكرامه ، ثم أحضره ليلا ، ودفع إليه جائزته ، وأعطاه عهد قتيبة على خراسان ، وكان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليطمئن ثم يعزله ، وبعث مع رسوله رسولا ، فلما كان بمحلولان بلغه خلع قتيبة سليمان بن عبد الملك ، فرجع رسول سليمان إليه ، فلما اختلفت العرب على قتيبة حين أبدى صفحته لسليمان ، وخلع ربة الطاعة ، بايعوا وكيع بن أبي سود التميمي على إمارة خراسان ، وكانت أمراء القبائل قد تنكرت لقتيبة لإذلاله وإيام ، واستهانته بهم واستطالته عليهم ، وكرهوا إمارته ، فكانت بيعته وكيع في أول الأمر

سرّاً، ثم ظهر لقتيبة أمره، فأرسل إليه يدعوه، فوجده قد طلاً رجله بمغرة^(١) وعلّق في عنقه خرزاً، وعنده رجلان يرقيان رجله، فقال للرسول: قد ترى ما برجلى افرج وأخبر قتيبة، فأعاده إليه، فقال: قل له ليأتيني محمولا، قال: لا أستطيع. فقال قتيبة لصاحب شرطته: انطلق إلى وكيع فأتني به؛ فإن أبني فاضرب عنقه، وأتني برأسه، ووجهه معه خيلاً. فقال وكيع لصاحب الشرطة: البث قليلاً تلحق الكتائب، وقام فلبس سلاحه، ونادى في الناس فأتوه، فخرج فتلقاه رجل، فقال: ممن أنت؟ فقال: من بنى أسد، فقال: ما اسمك؟ فقال ضيرغام، فقال: ابن من؟ قال: ابن ليث، فتيمن به وأعطاه رايته، وأتاه الناس أرسالا من كل وجه، فتقدم بهم، وهو يقول:

قَرَمَ إِذَا مُحِلَّ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيْفَ لَهَا وَالْحَزِيْمَ^(٢)

واجتمع إلى قتيبة أهله وثقاته، وأكثر العرب ألسنتهم له وقلوبهم عليه. فأمر قتيبة رجلا فنادى: أين بنو عامر؟ وقد كان قتيبة جفّاهم في أيام سلطانه - فقال له بجفر^(٣) ابن جزء الكلابي: نادهم حيث وضعهم، فقال قتيبة: أنشدكم الله والرحم - وذلك لأن باهلة وعامراً من قيس عيلان - فقال بجفر: أنت قطعها، قال: فلكم العتبي، فقال بجفر: لا أقالنا الله إذا، فقال قتيبة:

يَا نَفْسُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْعِيْشِ أَقْرَانًا

ثم دعا^(٤) يبرذون له مدرّب^(٥) ليركبه، فجعل يمنعه الركوب حتى أعيأ. فلما رأى ذلك

(١) المغرة: طين أحمر.

(٢) البيت في اللسان ١٥ : ٢١، من غير نسبة. القرم: السيد. والشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. والحزيم: موضع الخزام من الصدر والظهر كله.

(٣) في الطبري: «محسن».

(٤) في الطبري: «ودعا بجامة»، وكانت أمه بشت بها إليه: فاعتم بها، وكان يتم بها في الشدائد، ودعا يبرذون... «.

(٥) المدرّب: المؤدّب الذي ألف الركوب وعود المشي.

عاد إلى سريريه فجلس ، وقال : دعوه ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ يُرَاد . وجاء حيان النَّبَطِيّ - وهو يومئذ أمير الموالى ، وعدتهم سبعة آلاف ، وكان واجدا على قُتَيْبَةَ - فقال له عبد الله بن مسلم أخو قُتَيْبَةَ : احمل يا حيان ، فقال : لم يَأْنِ بعد ، فقال له : ناولني قَوْسَكَ ، فقال حيان : ليس هذا بيوم قوس . ثم قال حيان لابنه : إِذْ رَأَيْتَنِي قَدْ حَوَّلْتُ قُلُوسَتِي ، ومضيتُ نحو عسكر وكيع فإِلْ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْعَجَمِ إِلَى ، فلما حَوَّلَ حيان قُلُوسَتَهُ ومضى نحو عسكر وكيع ، مالت الموالى معه بأسرها ، فبعث قُتَيْبَةَ أَخَاهُ صَالِحَ بْنِ مُسْلِمٍ إِلَى النَّاسِ ، فرماه رجلٌ من بني ضَبَّةٍ فَأَصَابَ رَأْسَهُ ، فحُمِلَ إِلَى قُتَيْبَةَ وَرَأْسُهُ مَائِلٌ ، فوَضَعَهُ عَلَى مَصَلَاةٍ ، وجلس عند رَأْسِهِ سَاعَةً ، وتهايج الناسُ ، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم أخو قُتَيْبَةَ نحوهم ، فرماه الغوغاء وأَهْلُ السُّوقِ فقتلوه ، وَأَشِيرَ عَلَى قُتَيْبَةَ بِالْانْصِرَافِ ، فقال : الموتُ أَهْوَنُ مِنَ الْفِرَارِ . وأحرق وكيع موضعا كانت فيه إِبِلُ قُتَيْبَةَ ودوابه ، وزَحَفَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى دَنَامَهُ ، فقاتل دونه رجل من أَهْلِهِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فقال له قُتَيْبَةَ : انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ مِثْلَكَ يُضَنُّ بِهِ عَنِ الْقَتْلِ ، قال : بَلَسَمَا جَزَيْتُكَ بِهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِذَا ، وقد أَطْعَمْتَنِي الْجُرْدَقَ ، وأَلْبَسْتَنِي الثَّمَرِقَ^(١) . وتقدّم الناس حتى بلغوا فُسْطَاطَ قُتَيْبَةَ ، فأشار عليه نُصَحَاؤُهُ بِالْهَرَبِ ، فقال : إِذَا لَسْتُ لِمُسْلِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرْجٍ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ بِجَالِدِهِمْ ، فخرج جراحات كثيرة ، حتى ارْتُكَّ^(٢) وسقط ، فَأَكْبَوْا عَلَيْهِ ، فاحتزوا رَأْسَهُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَخَوَاتِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وعبد الله وصالح ، والحصين ، وعبد الكريم ، ومسلم ؛ وَقُتِلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَعِدَّةٌ مَنِ قَتَلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَإِخْوَتِهِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا . وصعد وكيع بن أبي سود المنبر وأنشد :

* مَنْ يَنْكِحِ الْعَيْرَ يَنْكِحْ نَيْيَا كَا *^(٣)

(١) الجردق : الرغيف ، معرب فارسيته : « كرده » . والتمرّق : الميثرة .

(٢) ارتك ، بالبناء للجهول : حمل من المعركة جريحاً وبه رفق .

(٣) مثل ؛ قاله خضر بن شبل الخنمى ، في خبر ذكره صاحب مجمع الأمثال ٢ : ٣٠٥ .

إِنَّ قَتِيبَةَ أَرَادَ قَتْلِي ، وَأَنَا قَتَلْتُ الْأَقْرَانَ ، ثُمَّ أُنْشَدَ :

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غَلَوَتَيْنِ وَمِنْ أَلْمِثَيْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبُّونِي خَلُّوا عِنَانِي ثُمَّ سَيَّبُونِي^(١)
حَذَارٍ مِنِّي وَتَسْكَبُونِي فَإِنِّي رَامٍ لِمَنْ يَرْمِينِي

ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ ، يَكْرَهُهَا مَرَارًا ، ثُمَّ قَالَ :

أَنَا ابْنُ خَنْدِفٍ تَنْمِينِي قِبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عَيْلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَأَقْتُلَنَّ ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّ وَلَأُصْلِبَنَّ ثُمَّ لَأُصْلِبَنَّ ؛ إِنْ مَرَّ زُبَانُكُمْ^(٢)
هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ ، قَدْ أَغْلَى أَسْعَارُكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَتَنْ لَمْ يَصِرَ الْقَفِيزُ^(٣) بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ لَأُصْلِبَنَّهُ ،
صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ .

ثُمَّ نَزَلَ وَطَلَبَ رَأْسَ قَتِيبَةَ وَخَاتَمَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْأَزْدَ أَخَذَتْهُ ؛ فَنُفِرَ مُشْهُرًا^(٤) ،
وَقَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَوْتِيَ بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَذْهَبَ رَأْسِي مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ
الْخَصِيُّ بْنُ الْمُنْذَرِ : يَا أَبَا مَطْرَفٍ فَإِنَّكَ تَوْتَى بِهِ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَزْدِ ، فَأَخَذَ الرَّأْسَ وَأَتَاهُ
بِهِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَدْخِلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ رِئُوسُ إِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ ، وَعِنْدَهُ الْمُذْدَلِيلُ
ابْنُ زُقَيْرٍ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ ، فَقَالَ : أَسَاءُكَ هَذَا يَا هُذَيْلُ ؟ قَالَ : لَوْ سَاءَنِي لَسَاءُ نَاسًا كَثِيرًا .
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا أَرَدْتَ هَذَا كُلَّهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ سُلَيْمَانُ ذَلِكَ لِلْهُذَيْلِ ، لِأَنَّ قَيْسَ عَيْلَانَ تَجْمَعُ
كَلَابًا وَبَاهِلَةً ، قَالُوا : مَا وَلِيَ خُرَّاسَانَ أَحَدٌ كَقَتِيبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ؛ وَلَوْ كَانَتْ بَاهِلَةٌ فِي الدَّنَاءَةِ
وَالضَّعَةِ وَاللُّؤْمِ إِلَى أَقْصَى غَايَةٍ ، لَكَانَ لَهَا بِقَتِيبَةَ الْفَخْرِ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ .

(١) أَصْلُهُ فِي الدَّابَّةِ ، يُقَالُ : سَبَبَ الدَّابَّةَ ، إِذَا تَرَكَهَا تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ :

حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبُّونِي خَلُّوا عِنَانِي وَتَسْكَبُونِي

وَانْظُرْ أَمَالِي الْقَالِي ١ : ٢٨٦

(٢) الْمَرْزِيَّةُ : رِيَاةُ الْفَرَسِ ، وَهُوَ مَرْزِيَانُهُمْ .

(٣) الطَّبَرِيُّ : « وَاللَّهِ لَيَصِيرَنَّ الْقَفِيزُ فِي السُّوقِ غَدًا بِأَرْبَعَةِ » .

(٤) أَيْ مَشْهُرَ أَسْفِهِ .

قال رؤساء خراسان من العجم لما قُتِل قتيبة : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة ، والله لو كان
مِثْلُ مَاتَ لَجَعَلْنَاهُ فِي تَابُوتٍ ، فَكُنَّا نَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا .
وقال الأصمهذي^(١) : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب ، لقد جئتم شيئا
إذا اقليل له : أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ قال : لو كان قتيبة بأقصى حُجْرَةٍ^(٢) في
المغرب ، مكبلا بالحديد والقيود ، ويزيد معنا في بلدنا وال علينا ، لكان قتيبة أهيب
في صدورنا وأعظم .

وقال عبد الرحمن بن جحانة الباهلي يرثي قتيبة :

كَانَ أَبَا حَفْصٍ قُتِيْبَةٌ لَمْ يَسِرْ بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَغْلُ مِثْرًا
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالْجَيْشُ حَوْلَهُ صُفُوفًا وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
دَعَتْهُ الْمَنَاسِبُ فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ وَرَاحَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَقًّا مُعْطَرًا
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ بِمِثْلِ أَبِي حَفْصٍ ، قَبْكَئِهِ عِبْرًا
عَبْرُهُ : أَمَّ وَلَدَ لَهُ .

وفي الحديث الصحيح : « إِنْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلًا بِمَسْكَ بِيَمَانٍ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً^(٣) طَارَ إِلَيْهَا » .

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد : واعلم أن عليك عُيُونًا مِنْ اللَّهِ تَرَعَاكَ وَتَرَكَ ، فَإِذَا
لَقِيتَ الْعَدُوَّ ؛ فَاحْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهَّبْ لَكَ الْحَيَاةُ ، وَلَا تَفْسَلْ الشَّهَدَاءَ مِنْ دِمَائِهِمْ ؛
فَإِنَّ دَمَ الشَّهِيدِ يَكُونُ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) الأصمهذي في الديلم : كالأمر في العرب .

(٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الهية : الصوت أو الصياح .

عمر : لا تزالون أحماء ما نزعتم ونزوتهم ؛ يريد : ما نزعتم في^(١) القوس ، ونزوتهم على الخليل .

بعض الخوارج :

وَمَنْ يَخْشَ أَظْفَارَ الْمَنَاسِيَا فَإِنَّا
لَبِيسْنَا لَهُنَّ السَّابِقَاتِ مِنَ الصَّبْرِ
وإنَّ كَرِيَّةَ الْمَوْتِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ إِذَا مَا مَزَجْنَاهُ بِطَيْبٍ مِنَ الدُّكْرِ
حضن منصور بن عمار في قصصه على الغزو والجهاد ، فطرح في المجلس صرة فيها
شيء ، فقويت فإذا فيها ضفيري امرأة ، وقد كتبت : رأيتك يا بن عمار تمحض على الجهاد ،
والله إني لا أملك لنفسي مالا ، ولا أملك سوى ضفيري هاتين ، وقد ألقيتهما إليك ،
فتالله إلا جعلتهما قيد فرس غازي في سبيل الله ، ففعل الله أن يرسمي بذلك .
فارتج المجلس بالبكاء والضجيج .

لبعض شعراء المعجم :

وَأَسْوَأُنَا لَامَرِيَّةً شَبِيبَتُهُ فِي عُفُوفَانٍ وَمَاؤُهُ خَصِيلُ
رَاضٍ بِبُزْرِ الْمَعَاشِ مُضْطَهَدٍ عَلَى تَرَاثِ الْآبَاءِ يَتَّكِلُ
لَا حَفَظَ اللَّهُ ذَاكَ مِنْ رَجُلٍ وَلَا رَعَاهُ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ
كَلَّا وَرَبِّي حَتَّى تَكُونَ قَتَى قَدْ نَهَكَتُهُ الْأَسْفَارُ وَالرَّحْلُ
مُسَمَّرًا يَطْلُبُ الرِّيَاسَةَ أَوْ يُضْرَبُ يَوْمًا يَهْلُسُكَ الْمَثَلُ
حَتَّى مَتَى تَتَّبِعُ الرِّجَالَ وَلَا تُتَّبَعُ يَوْمًا ، لَأَمَّاكَ الْهَبْلُ !

(١) يقال : نزع في القوس نزعاً ، إذا جذب الوتر بالسهم .

عبد الله بن ثعلبة الأزدي :

فَلَيْتَ عَمِرْتُ لِأَشْفِينَا النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأَعْلِمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَقَدْ أَرَى قَوْمِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعٍ^(١)
فِي قَرَّةٍ هَلَاكِ وَشَوْءٍ كَمِثْلِ أَنْيَابِ الْأَفَاعِي^(٢)
تَرِدُ السَّبَاعَ مَعِيَ فَتَحْسِبُنِي السَّبَاعَ مِنَ السَّبَاعِ

بجير الجراد أبو حنبل حارثة بن مرّ الطائي ، أجاز جراداً نزل به ومنع من صيده ،
حتى طار من أرضه ، فسعى بجير الجراد .

وقال هلال بن معاوية الطائي :

وَبِالْجَلْبَلِينَ لَنَا مَعْقِلٌ صَعَدْنَا إِلَيْهِ بِصُفٍّ الصُّعَادِ
مَلَكْنَاهُ فِي أُولَيَاتِ الزَّمَا نَمِنْ قَبْلِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ
وَمِمَّا ابْنُ مَرْءٍ أَبُو حَنْبَلٍ أَجَارَ مِنَ النَّاسِ رَجُلَ الْجَرَادِ
وَزَيْدٌ لَنَا وَلَنَا حَاتِمٌ غِيَاثُ الْوَرَى فِي السَّنَنِ الشَّدَادِ

وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَتَمْنَا فَحَالَفَنَا السُّيُوفُ عَلَى الدَّهْرِ^(٣)
فَمَا أَسَلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرِ

(١) اليفاع : التل .

(٢) ما يصيب الإنسان من البرد .

(٣) ديوان الحماسة ٣٢٦ - بصرح الرزوقي .

وقال آخر :

أَرِقْ لِأَرْحَامِ أَرَاها قَرِيبَةً لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لَا جَرْمَ وَرَاسِبٍ^(١)
وإِنا نَرى أَقْدَامَنا فِي نَعَالِهِمْ وَأَنفَنا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ
وإِقدامنا يَوْمَ الوَغَى وإِباءنا إِذا ما أَبَيْنا لا نُدِرْ لِعاصِبِ

حاصرت الترك مدينة بَرْذَعَةَ من أعمال أَذَرَيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصارا شديدا ، واستضعفتها وكادت تملكها ، وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشي من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة ، وعلم الترك بقربه منهم تخافوا ، وأرسل سعيد واحداً من أصحابه إلى أهل بَرْذَعَةَ يسراً يعرفهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر خوفاً ألا يدركهم ، فسار الرجل ، ولقيه قوم من الترك ، فأخذوه وسألوه عن حاله ، فكتمهم فعذبوه ، فأخبرهم وصدقهم فقالوا : إن فعلت ما نأمرك به أطلقناك ، وإلا قتلناك ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : أنت عارف بأصحابك ببرذعة وهم يعرفونك ، فإذا وصلت تحت السور فنادهم : إنه ليس خلفي مدد ، ولا من يكشف ما بينكم ، وإنما بُعثت جاسوساً . فأجابهم إلى ذلك ، فلما صار تحت سورها ، وقف حيث يسمع أهلها كلامه ، وقال لهم : أنعموني ؟ قالوا : نعم ، أنت فلان ابن فلان ، قال : فإن سعيداً الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف ؛ وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد ، وهو مصبحكم أو ممسيكم ، فرفع أهل بَرْذَعَةَ أصواتهم بالتكبير ، وقتلت الترك ذلك الرجل ، ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين .

وقال الراجز :

مَنْ كان يَبْوى أَهْلَهُ فلا رَجَعَ قَرَّ من الموت وفي الموتِ وَقَعَ

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣٢٨ بشرح المازني ، ونسبها إلى بعض بني عباس .

أشرف معاوية يوما فرأى عسكر على عليه السلام يصقن فهاله ، فقال : من طلب
عظما خاطر بعظيمته .

وقال الكلجة :

إذا المرء لم يقش المكارة أو شكت حبال الهوى فبالقى أن تقطعا^(١)

ومن شعر الحماسة :

أقول لها وقد طارت شماعا من الأبطال ويحك لا ترأعي^(٢)
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نبيل الخلود بمسقطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخلع البراع^(٣)
سبيل الموت غاية كل حتى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط بسام ويهرم وتسليه النون إلى انقطاع
وما للمرء خَيْرٌ في حياة إذا ماعد من سقط المتاع

ومنه أيضا :

وفي الشر نجاة حين لا يُنجيك إحسان

ومنه أيضا :

ولم ندر إن جئنا عن الموت جيزة كَمِ العمرُ باقي والمدى متطاول^(٤)

(١) الفضليات ٣٢

(٢) لقطري بن النجاة . ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٩٦

(٣) أخو الخنع : الدليل . والبراع : الرجل الجبان ؛ كأنه لا قلب له ؛ تشبها له بالقصة الجوفاء .

(٤) للفند الزماني ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٢٦

(٥) لجعفر بن عتبة الحارثي ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٤٨ . جئنا : عدلنا وانحرفنا .

ومنه أيضا :

وَلَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ بَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا^(١)

ومنه أيضا :

فَلَا تَحْسَبِ أَنْتِي تَخْشَعْتُ بَعْدَكُمْ أَيْشِي وَلَا أَنْتِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ^(٢)
وَلَا أَنْ تَفْسِي يَزْدْهِبُهَا وَعِيدُكُمْ^(٣) وَلَا أَنْتِي بِالشِّئِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ

ومنه أيضا :

سَأَغِيلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا^(٤)
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَذْمَهَا لِمَرَضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا
وَيَصْفُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا
فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْفَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَبَالِي الْعَوَاقِبَا
أَنْتِي عَزَمَاتٍ لَا يُطِيعُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مُقْطِعِ الْأَمْرِ عَاتِبَا
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَةً وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
فَيَسْأَلُ رِزَامَ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ السَّبَابِ
إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأُمْرِ هَاتِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

ومنه أيضا :

هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَادٌ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ^(٥)

(١) لجعفر بن علي أيضا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٥٠ .
(٢) له أيضا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٥٤ . (٣) وفي الفصح : ويروى «وعيدكم» .
(٤) لسعد بن ناسب ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٧٠ .
(٥) لتأبط شرا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٧٨ .

ومنه أيضا :

وإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَارَّاتُهُ عَايِرٌ وَسُلُوكٌ^(١)
يَقْصُرُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْلُوكُ
وَمَا مَاتَ مِثْلًا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلٌّ مِثْلًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاةِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الشُّيُوفِ تَسِيلُ
ومنه أيضا :

لَا يَزْ كَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعْيِ مُتَحَوِّفًا لِلْجَامِ^(٢)
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرُّمَاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَن يَمِينِي تَارَةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي أَكْنَفَ سَرَجِي أَوْ عَيْنَ الْجَامِي
ثُمَّ انصرفت وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ
ومنه أيضا :

وَأُنِّي لَدَى الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مَوْكَلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا^(٣)
مَتَى بَاتَ هَذَا الْمَوْتُ لَا تُتْلَفَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كتاباً ، يُجِلُّ عَلَى جَلِّهِ
لِعِظَمِهِ وَكَثْرَتِهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الطُّولِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَقَدْ جُلِّ عَلَى جَلِّ تَمْطِئًا
لَأَمْرِهِ ، وَقَالَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ : إِنَّ قَرَأَ خَالِيًا نَحْبَ^(٤) قَلْبِهِ ، وَإِنْ قَرَأَ فِي مَلَأَ مِنْ

(١) للسومل ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١١١
(٢) لقطري بن الفجاءة ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٣٠
(٣) لقيس بن الخطيم ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٨١
(٤) نَحْبُ : جَبَنُ .

أصحابه ثبّطهم وخذلهم ، فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه ، وكتب على بياض كان على رأسه وأعاده إلى مروان :

حَمَّا السَّيْفُ أَسْطَارَ الْبَلَاغَةِ وَانْتَحَتْ إِلَيْكَ لِيُوثُ الْغَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(١)
فَإِنْ تَقْدُمُوا نُفْعِلْ سَيُوفًا شَحِيدَةً يَهْوَنُ عَلَيْهَا الْعَتَبُ مِنْ كُلِّ عَاتِبٍ^(٢)
ويقال : إن أول الكتاب كان : لو أراد الله بالقملة صلاحا ، لما أنبت لها جناحا .
وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار ، وهو أول كتاب صدر عن أبي مسلم إلى نصر ،
وذلك حين لبس السواد ، وأعلن بالدعوة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة :
أما بعد فإن الله جلّ ثناؤه ذكر أقواما فقال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا *
أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، قُلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٣)
فلما ورد الكتاب إلى نصر تعاظمه أمره ، وكسره لإحدى عينيه ، وقال : إن لهذا
الكتاب لأخوات ، وكتب إلى مروان يستصرّخه ، وإلى يزيد بن هبيرة يستنجد به ،
فقدما عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بني عبد شمس .

الرَّضَى الْمُسَوَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

سَأْمِنِي لِلَّتِي لَا عَيْبَ فِيهَا وَإِنْ لَمْ أُسْتَفِدْ إِلَّا عَنْهَا^(٤)

(١) انتحّت : قصدت .

(٢) شحيدة : سنونة .

(٣) سورة فاطر ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) ديوانه لوحة ٧٥ - ٧٦

وَأَطْلُبُ غَايَةَ إِنْ طَوَّحْتَ بِي أَصَابَتْ بِي الْحِمَامَ أَوْ الْعَلَاءَ
نَمَانِي مِنْ أَبَاهِ الضَّيْمِ آبٍ^(١) أَفَاضَ عَلَى تِلْكَ الْكَثِيرَاءِ
وَمِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مُسْتَمِيتٍ إِذَا أَنْتَ لَدَدْتَهُ بِالذِّلِّ قَاءَ^(٢)
إِذَا مَا ضَيْمٍ نَمَّرَ صَفْحَتَيْهِ وَقَامَ عَلَى بَرَائِنِهِ إِبَاءَ^(٣)
وَنَابِي أَنْ يُنَالِ النِّصْفَ مِنَّا وَأَنْ نُعْطِيَ مَقَارِعَنَا السَّوَاءَ
وَلَوْ كَانَ الْعِدَاءُ يَسُوعُ فِينَا لَمَّا تُنْمَا الْوَرَى إِلَّا الْعِدَاءُ
وله :

سَيَقْطِعُكَ الْهَيْدَ مَا تَمْنَى وَيُعْطِيكَ الْمُتَقَفُ^(٤) ، انْشَاءً
وما يَنْجِي مِنَ النَّمَرَاتِ إِلَّا طِمَآنٌ أَوْ ضِرَابٌ أَوْ رِمَاءُ

ومن أهل الإباء الذين كرهوا الدنيّة واختاروا عليها المنيّة ، عبدُ الله بن الزبير ،
تفرّق عنه - لما حاربه الحجاج بمكة ، وحصره في الحرم - عامّة أصحابه ، وخرج كثير منهم إلى
الحجاج في الأمان ؛ حتى حمزة وخبيب ابناه ، فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبي بكر
الصدّيق ، وكانت قد كُفّت بصرها ، وهى عجوز كبيرة ، فقال لها : خذاني الناس حتى
ولدى وأهلى ، ولم يبق معي إلا من ليس عنده من الدّفْع أكثر من ساعة ، والقوم يُعطونني
من الدنيا ما سألتُ ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت يا بنى أعلمُ بنفسك ، إن كنت تعلم أنك
على حق وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِلَ أكثرُ أصحابك ، فلا تمكّن من رَقبتك
يتلاعب بها غلمانُ بنى أميّة ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ! أهلك

(١) الديوان : « تام » .

(٢) الأغلب : الشجاع ، وأصله في الأسد .

(٣) الصفحتان : جانبا النقي ، ونمرهما : جعلهما يشبهان صفحة النمر .

(٤) ديوانه لوحة ١٧٦

نفسك ، وأهلك من قُتِلَ معك ، وإن كنت قاتلتَ على الحقِّ ، فما وهنَ أصحابُك إلا ضعفت ، فليس هذا فعلَ الأحرار ولا أهلِ الدين . وكم خلودك في الدنيا ! القتلُ أحسن .

فدنا عبد الله منها فقبلَ رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ، والله ما ركنتُ إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضبُ لله تعالى عزَّ وجلَّ أن تُسَقَّلَ محارمُهُ ، ولكنني أحببتُ أن أعلم رأيك ، فقد زِدْتَنِي بصيرةً ، فانظري يا أماء ، إني مقتول يومى هذا ، فلا يشتدَّ جزعُك ، وسألى لأمر الله ، فإنَّ ابنك لم يتعمَّد إتيان منكراً ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجرَّ في حكم الله ، ولم يظلم مسلماً ولا معاهداً ، ولا بلغني ظلمٌ عن عامل من عمالي فرضيتُ به بل أنكرته ، ولم يكن شيء عندى آثر من رضا الله . اللهم إني لأقول هذا تزكيةً لنفسى ، أنت أعلم بى ؛ ولكنى أقوله تعزيةً لأمى اتسلو عني . فقالت : إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً إن تقدمتنى ؛ فأخرج لأنظرَ إلى ماذا يصير أمرك ا فقال : جزاك الله خيراً يا أمى ا فلا تدعى الدعاء لى حياً وميتاً . قالت : لا أدعُه أبداً ، فمن قُتِلَ على باطلٍ فقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طولَ ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النجيبَ فى الظلماء ، وذلك الصوم فى هواجر مكة والمديفة ، وبرّه بأبيه وبى ؛ اللهم إني قد أسلمتُ لأمرك ، ورضيتُ بما قضيت فيه ، فأثبني عليه ثواب الصابرين .

وقد روى فى قصة عبد الله مع أمه أسماء رواية أخرى ، أنه لما دخل عليها وعليه الدرع والمِغْفَر - وهى عِماء لا تبصر - وقف فسلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها ، قالت : هذا وداع فلا تبعد ، فقال : نعم ، إنما جئتُ مودّعاً ، إني لأرى هذا اليوم آخرَ أيامى من الدنيا ، واعلمى يا أمى أنى إذا قتلتُ فإنما أنا لعم لا يضرني ما صنع بى ، فقالت : صدقت يا بنى ا أقم على بصيرتك ، ولا تمكِّن ابن أبى عقيل منك ، ادنُ منى لأودعك ، فدنا منها فقبلته

وعانقته ، فوجدت مسّ الذُّرْع ، فقالت : ماهذا صنع من يريد ماتريد . فقال : إنما لبسته لأشدّ منك ، قالت : إنه لا يشدّ مني ، ثم انصرف عنها ، وهو يقول :

إني إذا أعرفُ يَوْمِي أُصْبِرُ إِذْ بعضهم يعرف ثم ينكرُ

وأقام أهلُ الشام على كل باب من أبواب الحرم^(١) رجالا وقائدا ، فكان لأهل حصّ الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شَيْبَة ، ولأهل الأردنّ باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بُجَمَج ، ولأهل قَسْطَرِين باب بني سَهْم . وخرج ابنُ الزبير فمرة يحمل هاهنا ومرة يحمل هاهنا ، وكأنه أسد لا يقدم عليه الرجال ، وأرسلت إليه زوجته : أخرج فأقاتل معك ؟ فقال : لا ، وأنشد :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ^(٢)

فلما كان الليل ، قام يصلي إلى قريب السَّحَر ثم أغشى محبتيا بحمائل سيفه ، ثم قام فتوضأ وصلى ، وقرأ ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، ثم قال بعد انقضاء صلاته : مَنْ كان عني سائلا فإني في الرَّعِيلِ الأول ، ثم أنشد :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مَرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَمًا^(٣)

ثم حَمَلَ حتى بلغ الحِجْون ، فرُمِيَ بِأَجْرَةٍ ، فأصاب وجهه قَدَمِي ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ، أنشد :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمِي كُلُّمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ^(٤)

ثم حمل على أهل الشام ففأص فيهم ، واعتوروه بأسيا فيهم حتى سقط ، وجاء الحجاج

(١) كذا في ج ، وهو الصواب ، وفي ب : « مكة »

(٢) ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ، ملحق ديوانه ٤٩٨ .

(٣) للحصين بن الحمام المري ، من مفضليته ٦٤ - ٦٩

فوقف عليه وهو ميت ، ومعه طارق بن عمرو ، فقال : ما ولدت النساء أذكرك من هذا !
وبعث برأسه إلى المدينة ، فنُصب بها ، ثم حمل إلى عبد الملك .

أبو الطيب المتنبي :

أطاعينُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وحيداً وما قولِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ (١)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفَى نَفْسَهَا أَمْرُ
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا تقولُ: أَمَاتَ الموتُ أَمْ دُعِيَ الدُّعْرُ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَبِيِّ كَأَنَّ لِي سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَثَرُ (٢)
ذَرْتُ النَّفْسَ تَأْخُذُ حَظَّهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ففترقُ جارانِ دارهُمَا العَمْرُ
وَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ زِقًا وَقَيْنَةً فما المجدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ (٣)
وَتَضْرِبُ هَامَاتِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ (٤)
وَتَرْكُوكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تداوُلَ تَمَسَّعَ الْمَرْءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ (٥)

وقال ابن حيوس :

ولستُ كَمَنْ أَخْفَى عَلَيْهِ زَمَانُهُ فظلَّ عَلَى أَحْدَائِهِ يَتَمَقَّبُ (٥)
تَلَدُّ لَهُ الشُّكُوى وَإِنْ لَمْ يُفِدْ بِهَا صَلاحاً كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ أَجْرَبُ
ولكنني أَحْيَى ذِمَارِي بِعَزْمَةٍ تنوبُ مُنَابَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مَقْضَبُ (٦)

(١) ديوانه ١ : ١٤٨

(٢) في الديوان : « إقدام الآتي » ، والآتي : السيل الذي لا يردده شيء .

(٣) القينة : المغنية . والرق : طرف الحجر . والفتكة البكر : التي لم يسبق إلى مثلها .

(٤) الهبوات : جمع هوبة ؛ وهي الفيرة العظيمة . والمجر : الجيش العظيم .

(٥) ديوانه ١ : ٣٥ .

(٦) المقضب : السبب القطع .

وليس الفتى مَنْ لم تسم جسمه الظُّبَا وَيُحْطَمُ فِيهِ مِنْ قَنَا انْخَطُّ أَكُوبُ^(١)
وله أيضا :

أَخْفَقَ لِلتَّرَفِ الْجَنُوحُ إِلَى الْخَفَضِ وَفَازَ الْحَاظِرُ الْقِدَامُ^(٢)
وإذا ما الشُّيُوفُ لم تشهدِ الحَرْبَ فَسَيَانِ صَارَمٌ وَكَهَامٌ

ومن تَقَبَّلَ مذاهبَ الأسلافِ في إِبَاءِ الضِّيمِ وكراهيةِ الدِّلِّ ، واختارَ القتلَ على ذلك
وأن يموتَ كريماً ؛ أبو الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ،
أمه أم ولد ، وكان السببُ في خروجه وخلعه طاعةَ بني مروان ، أنه كان يخاصِمُ عبدَ الله بن
حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في صدقاتِ عليّ عليه السلام ، هذا
يخاصِمُ عن بني حسين ، وهذا عن بني حسن ؛ فتنازعا يوماً عند خالد بن عبد الملك بن
الحارث بن الحكم أمير المدينة ، فأغلظ كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه ، فسُرَّ خالد بن عبد الملك
بذلك ، وأعجبه سبابهما ، وقال لهما حين سكنا : أَعْدُوا عَلَيَّ ، فليستْ بَابِن عبد الملك إنْ
لم أَفْصِلْ يَنْفِكا غدا ، فبانت المدينة تَغْلِي كالْمِرْجَلِ ، فن قائل يقول : قال زيد كذا ،
وقائل يقول : قال عبد الله كذا ، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد ، وَجَعَ الناسُ ؛ فن
بين شامتٍ ، ومغموم ، ودعا بهما وهو يحبُّ أن يتشامتا ، فذهب عبدُ الله يتكلم ، فقال زيد :
لا تمجِّلْ يا أبا محمد ، أعتقَ زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً ، ثم أقبل على خالد ،
فقال له : أَجَمَّتْ ذَرِيَّةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لأمرٍ ما كان يجمعهم عليه أبو بكر
ولا عمر ، فقال خالد : أما لهذا السفية أحدٌ يكلمه !

فَتَكَلَّمَ رجل من الأنصار من آل عمرو بن حَزْم ، فقال : يابن أبي تراب ، ويابن

(١) الديوان : « تسم جسمه » .

(٢) ديوانه ٢ : ٥٦٦

حسين السفية ! أما ترى عليك لوالٍ حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيها القحطاني ، فإننا لانجيب مثلك ، فقال الأنصاري : ولم ترغبُ عنى ! فوالله إنى لخيرُ منك ، وأبى خير من أهلك ، وأتى خير من أمك ! فتضاحك زيد ، وقال : يامعشر قریش ! هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : كذبت أيها القحطاني ، والله لهو خيرُ منك نفساً وأبواً وما وتحتدأ ، وتناوله بكلام كثير ، وأخذ كفاً من الحصى ، ف ضرب به الأرض ، وقال : إنه والله مالئاً على هذا من صبر ، وقام .

فقام زيد أيضاً ، وشخص من فوره إلى هشام بن عبد الملك ، فجعل هشام لا يأذنه وزيد يرفع إليه القصص ، وكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها : ارجعْ إلى أرضك ، فيقول زيد : والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً . ثم أذن له بعد حبسٍ طويل وهشام في علية له ، فرقى زيد إليها ، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه زيد ، ويسمع ما يقول . فصعد زيد - وكان بادناً - فوقف في بعض الدرجات ، فسمع الخادم ، وهو يقول : ما أحب الحياة إلا من ذل ! فأخبر الخادم هشاماً بذلك ، فلما قعد زيد بين يدي هشام وحدته حلف له على شيء ، فقال هشام : لأصدقك ، فقال زيد : إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله ، ولم يضع أحداً عن أن يرضى بذلك منه . قال له هشام : إنه بلغنى أنك تذكر الخلافة وتتمناها ، ولست هناك إلا أنك ابنُ أمة ، فقال زيد : إن لك جواباً ، قال : تكلم ، قال : إنه ليس أحد أولى بالله ، ولا أرفعُ درجة عنده من نبي ابتعثه ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو بن أمة ، قد اختاره الله لنبوته ، وأخرج منه خير البشر ، فقال هشام : فما يصنعُ أخوك البقرة ! ففضب زيد ، حتى كاد يخرج من إهابه ، ثم قال : سماء رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفتما ! لتخالفتن في الآخرة ، كما خالفتن في الدنيا ، فيرد الجنة ، وترد النار .

فقال هشام : خذوا بيد هذا الأحق المائق ، فأخرجوه ، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه ، فقال هشام : احمِلوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله ، فقال زيد : والله لئن حملتني إليه لأجتمع أنا وأنت حَيَّين ، وليموتنَّ الأَجَل مِنَّا . فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ، ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام ، فلما فارقه عدل إلى العراق ، ودخل الكوفة ، وباع لنفسه ، فأعطاه البيعة أكثر أهلها ، والعاملُ عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ . وخذل أهل الكوفة زيدا ، وتمتلف معه ثمن تابعه نفر يسير ، وأبلى بنفسه بلاء حسناً وجهاداً عظيماً ، حتى أتاه سهمٌ غريب^(١) ، فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات عليه السلام .

عَن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام زيدا لما خرج ، وحذره القتل ، وقال له : إن أهل العراق خَذَلُوا أباك علياً وحسناً وحسيناً عابهم السلام ؛ وإنا مقتول ، وإنهم خاذلوك ، فلم يثن ذلك عزمه وتمثل :

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَعَزِلٍ^(٢)
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ اللَّيْلَةَ مَنَهْلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِذَلِكَ الْمَنَهْلِ
إِنْ اللَّيْلَةَ لَوْ تَمَثَّلَ مُثَلَّتْ مِثْلِي ، إِذَا نَزَلُوا بِضَيْقِ الْمَنَزِلِ^(٣)
فَأَقْنَى حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَى أَنِي أَمْرُؤُ سَامُوتُ إِنَّ لَمْ أَقْتُلْ^(٤)

(١) سهم غريب ، على الإضافة : لا يدري راميهِ .
(٢) لعنرة ، ديوانه ٤٢ ، (من مجموعة العقد الثمين) .
(٣) في الديوان : « ضنك المنزل » .
(٤) ألقى حياءك : الزميه .

العلوى البصرى صاحب الزنج يقول :

وإذا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي
مَوْتُ الْمَلُوكِ عَلَى صُعُودِ الْمُنْبَرِ
مَا قَدْ قَفَى سَيِّكُونُ فَاصْطَبِرِي لَهُ
وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ

وقال أيضا :

إني وقومى فى أنساب قَوْمِيهِمْ
كسجد الخيف فى مُجْبُوحة الخيفِ
ما علق السيف منابنِ عاشرَةٍ
إلا وعزمتُه أمضى من السيفِ

بعض الطالبين :

وإنا لتُصْبِحُ أَسِافُنَا
إِذَا مَا انْتَضَيْنَ يَوْمَ سَفُوكِ
مَنَازِلَهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ
وَأَعْمَادُهُنَّ رُءُوسُ الْمَلُوكِ

بعض الخوارج يصف أصحابه :

وَهُمُ الْأَسْوَدُ لَدَى الْعَرِينِ بَسَالَةً
وَمِنْ الْخُشُوعِ كَأَنَّهُمْ أَحْبَارُ
يَمْضُونَ فَدَكَّرُوا الْجُفُونَ إِلَى الدَّعَا
مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِشْكَارُ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُمْ أَحِبَابُهُمْ
فَرَحًا إِذَا خَطَرَ الْفَنَاءُ الْخَطَارُ
يَرِدُونَ حَوَامَاتِ الْحِمَامِ وَإِنَّهَا
تَأْكُلُهُ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لَصِفَارُ
وَلَقَدْ مَضَوْا وَأَنَا الْحَبِيبُ إِلَيْهِمْ
وَهُمْ لَدَى أَحَبَّةٍ أَبْرَارُ
قَدَّرَ يَخْلِفُنِي وَيُمَضِّيهِمْ بِهِ
يَاهُفَ كَيْفَ بِفَوْتِنِ الْمَقْدَارِ !

وفى الحديث الرفوع « خُلِقَانِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ : الشجاعة والسخاء » .



كان بشر بن المعتمر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل على عليه السلام

ويقول: كان أشجعهم وأسخام ، ومنه سرى القول بالفضل إلى أصحابنا البغداديين قاطبة ، وفي كثير من البصريين .

دخل النضر بن راشد العبدى على امرأته في حرب الترك يخرسان في ولاية الجنيد ابن عبد الرحمن المرسى في خلافة هشام بن عبد الملك ، والناس يقتتلون ، فقال لها : كيف تكونين إذا أتيت بي في لبدي قتيلا مضرًا بالدماء ؟ فشقت جيها ، ودعت بالويل ، فقال : حسبك لو أعلت قلبي كل أنثى لمصبتها شوقا إلى الجنة . ثم خرج فقاتل حتى قُتل ، وحمل إلى امرأته في لبدي ودمه يقطر من خلاله .

قال أبو الطيب المتنبي :

إِذَا غَامَرْتُ فِي شَرَفِ مَرْوَمٍ	فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ ^(١)
فَطَمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ	كَطَمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
يَرَى الْجُبَاءُ أَنَّ الْجُبْنَ حَزْمٌ	وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ
وَكُلَّ شَجَاعَةٍ فِي الرَّءِ نُفْسِي	وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

وقال :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَسْتُرُ الْعُمَرَ قَاعِدًا

فَقُمْ وَأَطْلِبِ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَرُ الْعُمَرَ^(٢)

وقال :

أُمُّ بَشَى وَالْيَالَى كَأَنَّهَا	نُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ ^(٣)
وَحِيدًا مِنَ الْخِلَآنِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ	إِذَا عَقَمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

(١) ديوانه ٤ : ١١٩

(٢) ديوانه ٢ : ١١٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٧٠

قيل لأبي مسلم في أيام صباه : نراك تنظر إلى السماء كثيراً كأنك تسترق السمع ،
أو تنتظر نزول الوحي اقال : لا ، ولكن لى همة عالية ، ونفس تتطلع إلى معالى الأمور ،
مع عيش كعيش الحميج والرعاع ، وحال متناهية فى الاتضاع . قيل : فما الذى يشقى علتك ،
وَيُرْوَى غانتك ؟ قال : الملك ، قيل : فاطلب الملك ، قال : إن الملك لا يطلب هكذا .
قيل : فما تصنع وأنت تذوب حسراً^(١) ، وتموت كذا ؟ قال : سأجعل بعض عقلى جهلاً ،
وأطلب به مالا بطاب إلا بالجهل ، وأحرس بالباقي مالا يحرص إلا بالعقل ، فأعيش بين
تدبيرٍ ضدِّين ، فإن الجمول أخو المُدْمِ ، والشهرة أخت الكون .

قال ابن حيوس :

أَمْوَالُهُمْ بِالذِّكْرِ كَالْأَحْيَاءِ	وَلِحَيِّهِمْ فَضْلٌ قَلَى الْأَحْيَاءِ ^(٢)
نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْمَرْوَةِ وَامْتَطَوْا	بِالْبَاسِ ظَهَرَ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ
وَالْعِزَّةُ لَا تَبْقَى لِمَنْ مَعُوذٍ	أَنْ يَكْشِفَ الْغَمَاءَ بِالْغَمَاءِ
لَا تَحْسَبِ الضَّرَاءَ ضَرَاءً إِذَا	أَفْضَتْ بِصَاحِبِهَا إِلَى السَّرَاءِ

وقال :

وَهِيَ الرِّيَاسَةُ لَا تَبُوحُ بِسَرِّهَا	إِلَّا لِأَرْوَعٍ لَا يُبَاحُ ذِمَّارُهَا ^(٣)
يَحْمَى حِمَاهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ	وَتَذُودُ عَنْهُ يَمِينُهُ وَيَسَارُهُ
لَا الْمَذِلُّ نَاهِيَهُ ، وَلَا الْحَرِصُ الَّذِي	أَمَرَ النَّفْسُ بِشُحِّهَا أَمَّارُهُ
فَلْيَعْلَمْ السَّاعَى لِيَبْلُغَ ذَا الْمَدَى	أَنَّ الطَّرِيقَ كَثِيرَةٌ أَخْطَارُهُ

(١) يقال حسر عليه حسراً وحسرة ، أى تلهف .

(٢) ديوانه ١ : ٢٩٨ - ٢٩٩

(٣) ديوانه ١ : ١٢ - ١٩

كان ثابت قُطْنَة في خيل عبد الله بن بِسْطَام في فتح شكند من بلاد الترك في أيام هشام بن عبد الملك ، فاشتدَّت شوكةُ الترك ، وانحاز كثيرٌ من المسلمين واستؤس منهم خلق ، فقال ثابت : والله لا ينظرُ إلىَّ بنو أمية غداً مشدوداً في الحديد ، أطلبُ الفداء ؛ اللهم إني كنتُ ضيف ابنِ بِسْطَام البارحة ، فاجعلني ضيفك الليلة ، ثم حمل وحمل معه جماعة ، فكسرتهم الترك ، فرجع أصحابه وثبت هو ، فرمى بِرِذْوَنُه فشب ، وضربه فأقدم ، فصريع ثابت وارثتُ ، فقال : اللهم إنك استجبتَ دعوتي وأنا الآن ضيفك ، فاجعل قِرَآى الجنة ؛ فنزل تركي فأجهز عليه .

قال يزيد بن المهلب لابنه خالد ، وقد أمره على جيش في حرب جرجان : يا بني ، إن غلبت على الحياة فلا تُفْلَنَنَّ على الموت ، وإياك أن أراك غداً عندي مهزوما !
عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الخيرُ في السَّيف ، والخير مع السيف ، والخير بالسيف » ، كما يقال : النية ولا الدنية ، والنار ولا العار ، والسيف ولا الخيف .
قال سيفُ بن ذي يزنَ لأنوشِرَوان حين أعانه بوهَرز الديلمي ومن معه : أيها الملك ، ابن تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفاً ؟ فقال : يا أعرابي ، كثيرُ الخطب يكفيه قليل النار .

لما حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام خرج أبو العباس السفاح ، وأخوه أبو جعفر ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم الإمام ، وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد أبناء علي بن عبد الله بن العباس ، وعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، من الحميمَة من أرض السَّراة ، يطلبون الكوفة ، وقد كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس وابنه موسى بن داود بالعراق ، فخرجا يطلبان الشام ، فتلقاهما أبو العباس وأهل بيته بدومة الجندل ، فسألم داود عن

خروجهم ، فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويدعوا إلى البيعة لأبي العباس . فقال : يا أبا العباس ، يظهر أمرك الآن بالكوفة ، ومروان بن محمد شيخ بنى أمية بجرّان مُطَّلَّ على العراق في جيوش أهل الشام والجزيرة ، ويزيد بن عمر ابن هبيرة شيخ العرب بالعراق في فُرسان العرب ا فقال : ياعمّ من أحب الحياة ذلّ ، ثم تمثّل بقول الأعشى :

فما مينة إن ميتها غيرة عاجزٍ بعاري إذا ما غالت النفس غولها^(١)
فقال داود لابنه موسى : صدق ابن عمك ، ارجع بنا معه ، فإنما أن نهلك أو نموت كراما .

وكان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحميّة يريدون الكوفة : إن ثلاثة عشر رجلا خرجوا من ديارهم وأهليهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همّهم ، كبيرة نفوسهم ، شديدة قلوبهم .

أبو الطيب المتنبي :

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتْ في مُرادِها الأجسامُ^(٢)

وله :

إلى أيّ حينٍ أنت في زِيٍّ تُحرِّمُ وَحَتَّى مَتَى في شِقْوَةٍ وإلى كَمٍّ^(٣)
وإلا تَمُتْ تحتَ السُّيُوفِ مَكْرَماً تَمُتْ وتقاسي الذُّلَّ غيرَ مُكْرَماً
فَيْبُ واثقا بالله وثبةً ماجداً يَرَى الموتَ في الهيجا جنى النَّحْلِ في القَمِّ

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٤٥ .

(٣) ديوانه ٤ : ٣٣ .

وقال آخر :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ الرَّجَالِ كَمَا حَدَّثْتُ قَتْلُ مَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
وإن سِلْتُ لَوْ قَتِرَ بَعْدَهُ فَعَسَى وَكُلَّ شَيْءٍ إِلَى حَادٍ وَمِقْدَارٍ

خطب الحجاجُ ، فشكا سوء ضاعة أهل العراق ، فقام إليه جامع المحاربين ، فقال :
أيها الأمير ، دَعْ مَا يَبْغِيهِمْ مِنْكَ إِلَى مَا يَقْرَبُهُمْ إِلَيْكَ ، والتمس العافية ممن دونك تُعْطَاهَا
مَنْ فَوْقَكَ ، فلو أَحْبَبْتُكَ لِطَاعَتِكَ ؛ إِنْهُمْ مَا شِئْتُوكَ بِنَسْبِكَ وَلَا لِأَبَاؤِكَ ، وَلَكِنْ لِإِيقَاعِكَ
بَعْدَ وَعِيدِكَ ، وَوَعِيدِكَ بَعْدَ وَعْدِكَ .

فقال الحجاج : مَا أَرَانِي أُرِدْتُ بَنِي الْأَسْكِيَّةِ^(١) إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسَّيْفِ ، فقال جامع :
أيها الأمير ، إِنَّ السَّيْفَ إِذَا لَاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ ، فقال الحجاج : الْخِيَارُ يَوْمُئِذٍ اللَّهُ ،
فقال : أَجَلْ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ ، فقال : يَا هَيْهَاتَ ، إِيهَاتَ فَإِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ ،
فقال جامع :

وَلِلْحَرْبِ سُمِّيْنَا فَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَا أُمْسَى مِنَ الطَّنِّ أَحْمَرَا

ومن الشعر الجيد في تحسين الإباء والحمية والتجريض على النهوض والحرب وطلب
الملك والرياسة ، قصيدة عُمارَةَ الْيَمِينِيِّ شاعر المصريين في فخر الدين توران شاه بن أيوب ،
التي ينزعه فيها بالنهوض إلى اليمن ، والاستيلاء على مملكها ، وصادفت هذه القصيدة
محللاً قابلاً ، ومَلَكَ توران شاه اليمن بما هزّت هذه القصيدة من عطفه ، وحركت من
عزمه ، وأولها :

(١) الأسكية : الأمة اللثيمة .

الْعِلْمُ مَذْكَانَ مَحْتَاجٍ إِلَى الْعَلَمِ
 وَخَيْرُ خِيَلِكَ إِنَّمَا غَامَرْتُ فِي شَرَفِي
 إِنَّ الْعَالِيَّ عَرُوسٌ غَيْرُ وَاصِلَةٍ
 تَرَى مَسَامِيحَ فَخْرِ الدِّينِ تَسْمَعُ مَا
 فَإِنْ أَصَبْتُ فِي حِظِّ الْمَصِيبِ وَإِنْ
 كَمْ تَتْرِكُ الْبَيْضَ فِي الْأَجْفَانِ ظَامِنَةً
 وَمَقَلَّةَ الْمَجْدِ نَحْوَ الْعِزِّ شَاخِصَةً
 فَعَمَلِكَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ سَوَاءً مَهْمَا
 وَاخْلُقْ لِنَفْسِكَ أَمْرًا لَا تَضَافُ بِهِ
 وَائِهَ الْمَشِيرِينَ إِنَّ لَجَّتْ نَصِيحَتُهُمْ
 وَاعِزِّمْ وَصِّمَّ فَقَدْ طَالَ وَقَدْ تَمَجَّجَتْ
 فَرَبُّ أَمْرِ يَهَابُ الْقَاسُ غَايَتَهُ
 فَكَيْفَ إِنْ نَهَضَتْ فِيمَا هَمَّتْ بِهِ
 لَا يَدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا كُلُّ مُقْتَحِمٍ
 لَا يَنْقُضُ الْخَطْوَةَ الْأُولَى بِنَانِيَةٍ
 كَأَمَّا السَّيْفُ أَفْتَاهُ بِقَتْلِهِمْ
 وَلَمْ يَرَاوُا لِعِمَانٍ وَلَا عَمْرٍ
 فَمَا تَرَوْمْ سَوَى فَتَحٍ صَوَارِمُهُ
 حَتَّى كَانَ لِسَانُ السَّيْفِ فِي يَدِهِ

وَشَقَرَةُ السَّيْفِ تَسْتَعْنِي عَنِ الْقَلَمِ (١)
 عَزَمُ يَفْرَقُ بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ
 مَا لَمْ تَخْلُقْ رِدَائِيهَا بِنَضْحِ دَمٍ
 أَمْلَأَهُ خَاطِرُ أَفْكَارِي عَلَى قَلَمِي
 أَخْطَأْتُ قَصْدَكَ فَاعْذِرْنِي وَلَا تَلُمْ
 إِلَى الْمَوَارِدِ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْقِيَمِ
 فَاتْرَكَ قَعُودَكَ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَقَمِ
 مِنَ الْفَرَاتِ إِلَى مِصْرٍ بِلا سَامِ
 إِلَى سَوَاكُ ، وَأَوْرِدِ الْبَارِ فِي الْعَلَمِ
 أَوَّلًا ، فَأَنْتُمْ عَلَى الْعُمَيَّانِ بِالصَّمِ
 قَضِيَّةً لَفْظُهَا أَلْسَنُ الْأَمْرِ
 وَالْأَمْرُ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ يَدِ الْقَمِ
 أَسْدَنْسِيرُ مِنَ الْخَطِئِ فِي أَجَمِ
 فِي مَوْجٍ مَلْتَطِمٍ أَوْ فَوْجٍ مُضْطَرِمِ
 وَلَا يَفْكَرُ فِي الْعُقْبَى مِنَ النَّدَمِ
 فِي فَتْحِ مَكَّةَ حَلَّ الْقَتْلِ فِي الْحَرَمِ
 وَلَا الْحُسَيْنِ ذِمَامَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
 يُضْحَكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَابِسُ الْبُهَمِ
 يَرُوي الشَّرِيعَةَ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِمَامِ

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته فيما يقول الورى لحما على وضمه
وقد ترقى إلى أن صار طالعه من السكواكب بالأنفاس والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن يدعو سيّد الأمم
- كذب ، لم يظهر الدين الحنيف المقدس على الأديان بسعى البشر؛ بل بالتأييد الإلهي،
والسر الرباني ، صلوات الله وسلامه على القائم به ، والمتمم له -

والبدْرُ يبدو وهلالاً ثم يكشف بالأنوار ما سترته ثملة الظلم
والغيثُ فهو كما قد قيل أوله قطرٌ وبدء خراب السدّ بالعرم
تنمو قوى الشيء بالتدريج إن رزقت لطفاً ويقوى شرار النار بالصرم
حاسب ضميرك عن رأي أذاك وقل نصيحة وردت من غير منهم
أقسمت ما أنت بمنّ جلّه ما راق من نعم أورت من نعم
وإنما أنت مرجو لوأحدة بنى بها الدهر تجداً غير منهدم
كأننى بالليالى وهى هاتفة قد صمّ سمع رجال دونها وعي
وبالعلا كلما لافتك قائلة أهلاً بمنشئ آمالى من الرّم

ومن أباة الضيم الذين اختاروا القتل على الأسر ، والموت على الدنية ، مُصنّب بن
الزبير ، كان أمير المراقين من قبل عبدالله بن الزبير ، وكان قد كسر جيوش عبد الملك
مرارا ، وأعياء أمره ؛ ففرج إليه من الشام بنفسه ، فليم في ذلك ، وقيل له : إنك تفرّ
بنفسك وخلافتك ، فقال : إنه لا يقوم لحرب مُصنّب غيري ؛ هذا أمر يحتاج إلى أن يقوم
به شجاع ذو رأي ، وربما بعثت شجاعاً ولا رأي له ، أو ذا رأي ولا شجاعة عنده ،
وأنا بصير بالحرب ، شجاع بالسيف ؛ فلما أجمع على الخروج إلى حرب مُصنّب ، جاءته

امراته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فالتزمته ، وبكت لفراقه ، وبكى جواربها حولها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أوى جُمة^(١) اكانه شاهد هذه الصورة حيث يقول :

إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَنْ عَزَمَهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا
نَهْنَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا عَرَاهَا قَطِيعُهَا

فسار عبد الملك حتى إذا كان بمسكن من أرض العراق ، وقد دنا منه عسكر مصعب ، تقاعد بمصعب أصحابه وقواده وحذلوه ، فقال لابنه عيسى : الحق بمكة فانج بنفسك ، وأخبر عمك عبد الله بما صنع أهل العراق بى ، ودعى فإنى مقتول ، فقال : لا تتحدث نساء قريش أنى فررت عنك ، ولكن أقاتل دونك حتى تقتل ، فالفرار عار ، ولا عار فى القتل ، ثم قاتل دونه حتى قُتل . وخف من يحامى عن مصعب من أهل العراق ، وأيقن بالقتل ، فأنفذ عبد الملك إليه أخاه محمد بن مروان ، فأعطاه الأمان وولاية العراقيين أبدا مادام حيا ، وألنى ألف درهم صلة ، فأبى وقال : إن مثلى لا ينصرف عن هذا المكان إلا غالبا أو مقتولا ، فشد عليه أهل الشام ورموه بالنبل فأثخنوه ، وطعنه زائدة ابن قيس بن قدامة السعدي ، ونادى : يا ثارات الخنار افوق إلى الأرض ، فنزل إليه عبد الملك بن زياد بن ظبيان ، فاحتر رأسه ، وحمله إلى عبد الملك .

لما أُجِلَ رأس مصعب إلى عبد الملك بكى وقال : لقد كان أحب الناس إلى وأشد هم مودة لى ، ولكن الملك عقيم .

كتب مصعب إلى سَكينة بنت الحسين عليه السلام ، وكانت زوجته لما شخص إلى حرب عبد الملك وهى بالكوفة بعد ليال من فراقها :

وكان عزيزاً أن أيتَ وَيَنْسَا حِجَابٌ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مِثْلِي عَلَى عَشْرِ

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمة .

وَأَبْكَاهُمَا وَاللَّهِ لِلْعَيْنِ فَاعْلَمِي إِذَا أَرَدَدْتَ مِثْلَهَا فَصِرْتُ عَلَى شَهْرٍ
وَأَنْكَى لِقَلْبِي مِنْهَا الْيَوْمَ أَتَنِي أَخَافُ بِأَلَا نَلْتَقِيَ آخِرَ الدَّهْرِ
ثُمَّ أَرْسَلُ إِلَيْهَا وَأَشْخَصُهَا ، فَشَهِدْتُ مَعَهُ حَرْبَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ قَتْلِ
وَقَدْ نَزَعَ ثِيَابَهُ ثُمَّ لَبِسَ غُلَّالَةً ، وَتَوَشَّحَ بِثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مُحْتَضِنٌ سَيْفَهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ غَيْرُ
رَاجِعٍ ، فَصَاحَتْ : وَاحْزَنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُصْعَبُ ! فَالْتَقَيْتُ إِلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنَّ كُلَّ هَذَا فِي
قَلْبِكَ ! قَالَتْ : وَمَا أَخْفَى أَكْثَرَ . قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ هَذَا لَكَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ ، ثُمَّ
خَرَجَ فَلَمْ يَرْجِعْ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمَاجَلِيسَاتِهِ : مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ ؟ فَقَالُوا : قَطْرِي ، شَيْبِيبُ ، فَلَانُ وَفَلَانُ ،
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : بَلْ رَجُلٌ جَمَعَ بَيْنَ سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَعَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، وَأُمَّةَ الْحَمِيدِ
بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزٍ ، وَقُلَّابَةَ ابْنَةِ زُبَّانِ بْنِ أُنَيْفِ الْكَلْبِيِّ سَيِّدِ الْعَرَبِ ، وَوَلَّى
الْعِرَاقِينَ خَمْسَ سَدِينَ ، فَأَصَابَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، وَأَعْطَى الْأَمَانَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَعَلَى
وِلَايَتِهِ وَمَالِهِ فَأَبَى ، وَمَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى قُتِلَ ، ذَاكَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، لَا مَنْ
قَطَعَ الْجَسُورَ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا !
سُئِلَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ، أُمِّي ابْنِي الزُّبَيْرِ أَشْجَعُ ؟ فَقَالَ : كِلَاهُمَا ، جَاءَهُ الْمَوْتُ ،
وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ .

لَمَّا وَضِعَ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ أُنْشِدَ :
لَقَدْ أَرَدَى الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسِّي غُلَامًا غَيْرَ مَنَاعٍ الْمَتَاعِ (١)
وَلَا فَرَحَ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ وَلَا هَلَعَ مِنْ الْخَدَّائِ لَاحِ
وَلَا وَقَافَةً وَالْخَيْلَ تَرَدَّى وَلَا خَالٍ كَأَنْبُوبِ الْبَرَّاعِ

(١) مِنْ أَيْيَاتِ لِسَانِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ فِي أَمَالِهِ ٨٥ إِلَى طِفْلِ الْفُضُولِيِّ .

كان ابن ظبيان ، يقول : مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمْتُ عَلَى أَلَا أكونَ لَمَّا حَمَلْتُ إِلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ رَأْسَ مَصْعَبٍ فَسَجَدَ قَتْلُهُ فِي سَجْدَتِهِ ، فَأَكونَ قَدْ قَتَلْتُ مِلِكِي الْعَرَبِ
فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

قال رجل لعبد الله بن ظبيان : بماذا تحتج عند الله عز وجل غداً ، وقد قتلت مصعباً ؟
قال : إن تركت أحتج كنت أخطب من صمصمة بن صوحان !
كان مصعب لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن علي عليه السلام ، وكيف
كان قتله ؟ فجعل عروة ابن النيرة يحدث عن ذلك ، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قُتَّة :
وإنَّ الأُلَى بالطَّمِّ من آلِ هاشمٍ تَأَسَّؤُوا فَتَسَّؤُوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا^(١)
قال عروة : فعلت أن مصعباً لا يفر .

لما كان يوم السَّبْخَةِ ، وعسكر الحجاج بإزاء شَيْبِ ، قال له الناس : أيها الأمير ،
لو تنحيت عن هذه السَّبْخَةِ ، فإنها منقذة الريح ! قال : ما تنحونني - والله - إليه أتن ، وهل
ترك مصعب لكريم مفرّاً ثم أنشد قول السَّكَلَبَةِ :
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْشَ الْكَرِيهَةَ أَوْشَكَتْ حِيَالُ الْهُوَيْنِيِّ بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا^(٢)

وروى أبو الفرج في كتاب " الأغاني " ،^(٣) : خطبة عبد الله بن الزبير في قتل مصعب
برواية هي أتم مما ذكرناه نحن فيما تقدم ، قال : لما أتى خبرُ المصعب إلى مكة ، أضرب
عبد الله بن الزبير عن ذكره أياماً ؛ حتى تحدث به جميعُ أهل مكة في الطريق ، ثم صعد
المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظر الناس إليه ؛ وإن الكآبة على وجهه لبادية ؛ وإن

(١) اللسان ١٨ : ٣٧

(٢) الفضليات ٣٢

(٣) الأغاني ١٧ : ١٦٦ (سأسي) ، عيون الأخبار ٢ : ٢٤٠ مع اختلاف في الروايات .

جبينه ليرشح عرفاء فقال واحد لآخر: ماله لا يتكلم؟ أترأه يهاب النطق! فوالله إنه خلطيب.
فما ترأه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتل المصعب سيد العرب، فهو يقطع بذلك.
فابتدأ فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، ملك الدنيا والآخرة، يعز من يشاء،
ويذل من يشاء؛ ألا إنه لا يذل من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا، ولا يعز من
كان الباطل معه؛ وإن كان ذا عدد وكثرة. ثم قال: أانا خبر من العراق، بلد الغدر
والشقاق، فساءنا وسرنا؛ أانا أن مصعبا قتل رحمه الله؛ فأما الذي أحننا من ذلك
فأن لفراق الحميم لذعة ولوعة، يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوى ذو الرأي والدين إلى
جميل الصبر. وأما الذي سرنا منه؛ فأن قتله كان له شهادة؛ وإن الله جاعل لنا وإه في
ذلك الخيرة. ألا إن أهل العراق بأعوه بأقل الأثمان وأخسرها، وأسلموه إسلام النعم
المخطمة^(١) فقتل؛ وإن قتل لقد قتل أبوه وعمه وأخوه^(٢)، وكانوا الخيار الصالحين؛
وإنا والله ماموت حنت آنا، ماموت إلا قتلا قتلا، وقمصا^(٣) قمصا، بين قصد^(٤)
الرماح، وتحت ظلال السيوف؛ ليس كما تموت بنو مروان^(٥)؛ والله ما قتل منهم رجل في
جاهلية ولا إسلام؛ وإنما الدنيا طارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد
مذكه، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ اللئيم البطر، وإن تدبر عني لا أبكي عليها
بكاء الخرف^(٦) المهتر. ثم نزل.

(١) المخطمة، من قولهم خطم البعير بالمخاطم إذا جعله على أنفه، والمخاطم: ما وضع على أنف البعير ليقاد به.
(٢) قتل أبوه عبد الله بن الزبير يوم الجبل، قتله عمرو بن جرموز في صلاته بوادي السباع، وعمه
عبد الرحمن بن العوام بن خويلد، قتل يوم اليرموك وأخوه النضر بن الزبير قتل يوم الحرة.
(٣) القمص: الموت السريع؛ ويقال: مات قمصا؛ أي أصابته ضربة أو رمية فأت في مكانه.
(٤) القصة: القطعة مما يكسر، وجمعه قصد.
(٥) كذا في جميع الأصول، ويرى السيد جاسم أنها «بنو أبي العاص».
(٦) الخرف: من فسد عقله من الكبر، وكذلك المهتر.

وقال الطِّرِمَاح بن حَكِيم ، وكان يرى رأى الخوارج :

وإني كَمُتَنَادٍ جَوَادِي فَقَافِئٌ به وَيَنْفَسِي اليَوْمَ إِحْدَى الْمُتَالِفِ^(١)
لَا كَسِبَ مَا لَا أَوْ أَلُوبَ إِلَى غَيِّ مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي عِدَاةَ الْخِلَافِ^(٢)
فِيَارِبَ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ عَلَى شَرِّ جَمْعٍ يُعَلِّي بِخُضْرٍ الْمَطَارِفِ^(٣)
وَلَا تَكُنْ قَبْرِي بَطْنِ نَسْرِ مَقِيلُهُ بِجَوْ السَّمَاءِ فِي نَسُورٍ عَوَاكِفِ
وَأُمْسِي شَهِيدَا ثَاوِيَا فِي عِصَابَةِ يُصَابُونَ فِي فَيْجٍ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
فَوَارِسُ أَشْتَاتٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ هَدَى اللَّهُ نَزْأُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ

قال ابن شُبْرُمة : مررت يوماً في بعض شوارع الكوفة ، فإذا بنعشٍ حوله رجال ،
وعليه مُطَرَفُ خَزٍّ أخضر ، فسألت عنه ف قيل : الطِّرِمَاح ، فعلمت أن الله تعالى لم يَسْتَجِبْ لَهُ .

وقال محمد بن هَانِي* :

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعْيِهِ فَمَنْ كَانَ أَسْمَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا^(٤)
وَبِالْهَمَةِ الْعُلَيَاءُ تَرَقَّى إِلَى الْعُلَا فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرًا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخُّرًا

الرضيَّ الموسوي رحمه الله تعالى :

وَمَنْ أَخَّرَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ عَاجِزًا وَمَنْ قَدَّمَتهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيِّدًا^(٥)

-
- (١) ديوانه ١٥٥ والأعاني ٤٤: ١٢ ، والشعر والشعراء ٥٧٠ والقود : نقبض السوق ؛ فهو من أمان .
(٢) الخلائف :: جمع خليفة ؛ وهو السلطان .
(٣) المرحوم : النعش . وفي الديوان : « إذا العرش إن حانت » .
(٤) ديوانه ٣٦٢
(٥) ديوانه ١٢٧ (طبعة نخبة الأخبار) .

وله رحمه الله :

مَا مَقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي مَقُولٌ صَارِمٌ وَأَنْفٌ حَيٌّ^(١)
وإِذَا مَحَاقٍ بِي عَنْ الضَّيْمِ كَمَا زَاغَ طَائِرٌ وَخَشِيَ^(٢)
أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي :

تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِثْلُكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ تَجِدِي مِثْلِي^(٣)
مَحَبٌّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ وَبِالْحَسَنِ فِي أَجْسَامِهِمْ^(٤) عَنْ الصَّقَلِ^(٥)
وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا غَيْرَ أَنْبِي جَنَاهَا أَحِبَّائِي وَأَطْرَافَهَا رُسُلِي
عَلِمْتُ فَوَادًا لَمْ يَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ لَغِيرِ ثَنَائِي الْغُرِّ وَالْحَدَقِ الثُّجُلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
ابن الهيثمية : الهمم العلية ، والمهج الأبية ، تقرب النية ، منك أو الأمانة .

أبو تمام :

فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا قَطَفْنَ بِهِ إِلَى خُلُقٍ وَسَاعٍ^(١)
يُشِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ فَبَجٍ يَسِيمُ بِهَا عَدِيَّ بِنِ الرَّقَاعِ^(٢)
يَخْوُضُ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى لَتَحْسِبُهُ السَّبَاعُ مِنْ السَّبَاعِ^(٣)

(١) ديوانه ٥٤٦ (مطبعة نخبة الأخبار) .

(٣) البيض : النساء . والمرهفات : السيوف .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٣٦ .

(٥) يشير إلى ما ذكره عدى بن الرقاع في حمار وأتان :

يَتَنَازَعَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةً فِي الْأَرْضِ مَنْشُوها ، هَا نَسْجَاهَا

تَطْوِي إِذَا قَرَعَا بِلَادَا حَبَزَةٍ وَإِذَا أَصَابَا سَهْلَةً نَشَرَاهَا

(٦) رواية الديوان : « أبْنِ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى » .

فَلَبَّ الْعَزْمُ إِنْ حَاوَلَتْ يَوْمًا بَأْنَ تَسْطِيعَ غَيْرَ الْمُسْتَطَاعِ
فَلَمْ تَرْكَبْ كَفَاجِيَةَ الْمَهَارِي وَلَمْ تُرْكَبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ
وله أيضا :

إِنْ خَيْرًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنَ الصَّفْحِ عَنِ النَّائِبَاتِ وَالْإِغْمَاضِ^(١)
غُرْبَةً تَقْدِرِي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ^(٢)
غَرَضِي نَكَبَتَيْنِ مَا فَتَلَا رَأَى يَا نَخَافَا عَلَيْهِ نَكْتُ انْتِقَاضِ
مَنْ أِبْنُ الْبُيُوتِ أَصْبَحَ فِي تَوْبِ بِمِنْ الْعَيْشِ لَيْسَ بِالْفَضْضِ^(٣)
صَلَتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَقْضِ^(٤)
وَالْفَتَى مَنْ تَعَرَّقَتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَافَى ، كَالْحَيَةِ النَّضْضِ^(٥)
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِي فَتَكَّةً مِثْلُ فَتَكَةِ الْبِرَاضِ^(٦)
وله أيضا :

إِنْ تَرَيْتَنِي تَرَى حُسَامًا صَقِيلًا مَشْرِفِيًّا مِنْ السُّيُوفِ الْخِدَادِ
ثَانِي اللَّيْلِ ثَالِثَ الْبَيْدِ وَالسَّيْرِ رِ نَدِيمِ النُّجُومِ تَرْبَ الشُّهَادِ
أَخَذَ هَذَا اللَّفْظَ أَبُو عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :
يَانْدِرِي بِالسَّوَاحِيرِ مِنْ شَمْسِ بْنِ عَمْرٍو وَبُحْتَرِ بْنِ عَقُودِ^(٧)

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٩

(٢) قيس بن زهير العبسي ؛ بعد حربه ذبيان تنقل في البلاد ؛ وفي آخر عمره لقيه رجل فسأله عن خبره فلما علم أنه قاتل حذيفة وجعل ابني بدر قتله . والحارث بن مضاض الجرمي ، كان رئيسا بمكة أيام كان بها قومه ، ويقال : إن خراطة أحلتهم عنها ؛ وهو القاتل :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
(٣) يقال : أبى مالموضع إذا أقام به .

(٤) الصلتان : الماضي في أمره .

(٥) الحية الضنض : التي لا تستقر في مكان . تعرقته الليالي : أخذت ما عليه من اللحم .

(٦) البراس بن قيس الكنانى ، قتل عروة الرحالة في غير حرب ، فخر ذلك حرب النجار بين قيس وكنانة .

(٧) ديوانه ١ : ٢٠٥ . وفي الديوان : « ود بن ممن » .

اطلبا ثالثاً سوى فإني رابعُ العيس والدُّجى والبيدِ
لستُ بالعاجز الضعيف ولا القا ثل يوماً إن الغنى بالجدود
وإذا استصعبت مقادةُ أسير سَهَلَتْهُ أَيْدِي المَهَارِي القودِ

وقال الرضى رحمه الله تعالى :

ولم أرَ كالرَّجَاءِ اليَوْمَ شَيْئاً تَذِلُّ لَهُ الْجَاهُ وَالرَّقَابُ^(١)
وَبَعْضُ الْمَذْمُومِ مَأْثُورَةٌ وَفَخْرٌ وَبَعْضُ الْمَالِ مَنَقَصَةٌ وَعَابُ
بَنَانِي وَالْعِنَانُ إِذَا نَبَتْ بِي رُبّاً أَرْضِي ، وَرِجْلِي وَالرُّكْبُ كَابُ
وَقَدْ عَرَفْتُ تَوْقِيلِي اللَّيَالِي كَمَا عَرَفْتُ تَوْقِيلِي الْعِقَابُ^(٢)
لَأَمْنَعَ جَانِباً وَأُفِيدَ عِزّاً وَعِزُّ لَلْوَتِ مَا عَزَّ الْجَنَابُ
إِذَا هَوَلَ دَعَاكَ فَلَا تَهَبُهُ فَلَمْ يَبْقَ الَّذِينَ أَبَوْا وَهَابُوا
كَلِيبٌ عَافَصَتْهُ يَدٌ وَأُودَى عُتَيْبَةٌ يَوْمَ أَقْصَصَهُ ذُؤَابُ^(٣)
سِوَاهُ مَنْ أَقْلُ التُّرْبِ مِنَّا وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التُّرَابُ
وَأَنْ مَزَايِلَ الْعَيْشِ اعْتِبَاطاً مُسَاوٍ لِلَّذِينَ بَقُوا وَشَابُوا
وَأَوْلُنَا الْعَنَاءَ إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، وَآخَرُنَا الذَّهَابُ
إِلَى كَمْ ذَا التَّرَدُّدِ فِي الْأَمَانِي وَكَمْ يُبَاوِي بِنَاطِرِي السَّرَابُ
وَلَا نَقَعُ يُنَارُ وَلَا قَنَامٌ وَلَا طَعْنُ يُشْبُ وَلَا ضَرَابُ

(١) ديوانه لوحة ٧٩

- (٢) التوقل : الصمود . والمقاب : جمع عقبة ؛ وهي المرتقى الصعب في الجبل ونحوه .
(٣) عافسته : صرعته ، وكليب هو كليب وائل ، وأراد باليد جاس بن مرة الذي قتله . وأودى : هلك . وعُتَيْبَةُ هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ كَانَ فَارِسَ بَنِي تَيْمٍ قَتَلَهُ ذُؤَابُ بْنُ رَبِيعَةَ الْأَسَدِي . وَأَقْصَصَهُ : قَتَلَهُ قَتْلًا سَرِيحًا .

وَلَا خَيْلٌ مُقَدَّةُ الدَّوَابِّ يَمْوُجُ عَلَى شَكَايِمِهَا اللَّعَابُ
عَلَيْهَا كُلُّ مُلْتَهَبِ الْحَوَاشِي يُصِيبُ مِنَ الْعَدُوِّ وَلَا يُصَابُ
سَأْخَطُهَا بِحَدِّ السَّيْفِ فِعْلاً إِذَا لَمْ يُغْنِ قَوْلٌ أَوْ خِطَابُ
وَأَخَذَهَا وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوَفُ مَغَالِبَةً وَإِنْ ذَلَّتْ رِقَابُ

قعد سليمان بن عبد الملك بِعَرَضٍ وَيَقْرِضُ ، فَأَقْبَلَ فَتَى مِنْ بَنِي عَبْسٍ وَسِيمٍ ، فَأَعْجَبَهُ ،
فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سُلَيْمَانُ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ،
وَجَمَلَ بِعَرَضٍ لِمَنْ دُونَهُ ، فَعَلِمَ الْفَتَى أَنَّهُ كَرِهَ مُوَافَقَةَ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا عَدَمَتَ اسْمِكَ ، وَلَا شَقِيَّ اسْمٍ يُوَافِقُ اسْمَكَ إِنْ فَاغَرَضُ ، فَإِنَّمَا أَنَا سَيْفٌ بِيَدِكَ ، إِنْ
ضَرَبْتَ بِهِ قَطَعْتَ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَطْعَمْتَ ، وَسَهْمٌ فِي كِنَانَتِكَ ، أَشْتَدُّ إِنْ أُرْسِلْتُ ، وَأَنْفَذُ
حَيْثُ وَجَّهْتَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ ، وَهُوَ يَرُوزُهُ ^(١) وَيَخْتَبِرُهُ : مَا قَوْلُكَ يَا فَتَى ، لَوْ لَقِيتَ
عَدُوًّا ؟ قَالَ : أَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . قَالَ سُلَيْمَانُ : أَكُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِهَذَا لَوْ لَقِيتَ
عَدُوَّكَ دُونَ ضَرْبٍ شَدِيدٍ ؟ قَالَ الْفَتَى : إِنَّمَا سَأَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ
فَأَخْبَرْتُكَ ، وَلَوْ سَأَلْتَنِي : مَا أَنْتَ فَاعِلٌ لَأَنْبَأْتُكَ ؛ إِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَضَرَبْتُُ بِالسَّيْفِ حَتَّى
يَتَعَقَّفَ ؛ وَلَطَمْتُ بِالرَّمْحِ حَتَّى يَتَقَصَّفَ ، وَلَعَلَّمْتُ إِنْ أَلِمْتُ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ ، وَلَرَجَوْتُ مِنْ
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ . فَأَعْجَبَ سُلَيْمَانُ بِهِ وَأَلْحَقَهُ فِي الْعِطَاءِ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَمَثَّلَ :

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَهْلِهِ كَلًّا فَقَدْ كَمَلَ الْفَتَى

(١) يَرُوزُهُ : يَخْتَبِرُهُ وَيَجْرِبُهُ .

السِّرِّ تحت قوله : « ثم لم يكن على أهله كلاً » ، يقال في المثل : « لا تكن كلاً على
أهلك قهلك » .

عدي بن زيد :

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ بِاللَّئِيسِ عَارًا ^(١)

الرضي الموسوي رحمه الله تعالى :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِسَامُ فَإِنِّي سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ اللَّوَائِمِ ^(٢)
وَأَلْبَسُهَا سَحَرَاءَ تَضْفُو ذُبُولَهَا مِنْ الدَّمِ بُدْءًا عَنْ لِبَاسِ الْمَلَاوِمِ
فَمِنْ قَبْلِ مَا اخْتَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَيْشَهُ عَلَى شَرَفٍ عَالٍ رَفِيعِ الدَّعَائِمِ
فَطَارَ ذَمِيمًا قَدْ تَقَلَّدَ عَارَهَا بِشَرِّ جَنَاحٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ^(٣)
وَجَاءَهُمْ يَجْرِي الْبَرِيدُ بِرَأْسِهِ وَلَمْ يُغْنِ لِيَفْسَالٍ بِهِ فِي الْمَزَائِمِ
وَقَدْ حَاصَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلِّ حَيْصَةٍ فَلَمْ يَنْجُ وَالْأَقْدَارُ ضَرْبَةً لَا زِمِ ^(٤)
وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ نَافَزَتْ بِهِ الذَّلَّ أَعْرَاقُ الْجُدُودِ الْأَكَارِمِ ^(٥)
فَقَالَ وَقَدْ عَنَّ الْفِرَارُ أَوِ الرَّدَى لَهَا اللَّهُ أَخْزَى ذُكْرَةٍ فِي الْمَوَاسِمِ
وَمَا غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا انْفِمَاسَةٌ وَلَا ذِي الْمَنَایَا غَيْرُ تَهْوِيمٍ نَاسِمِ

(١) شعراء النصرانية ٤٥٦

(٢) ديوانه لوحة ١١٠

(٣) وقعة دير الجماجم كانت بين الحجاج الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، انتهت بمقتل ابن الأشعث سنة ٨٣

(٤) حاس ، أي حاد وذعب بميدا .

(٥) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، قتله يزيد بن عبد الملك في خير مشهور سنة ١٠٢

(٢٠ - نهج - ٣) -

رأى أن هذا السيف أهونُ حملاً
 وما قلَّدَ البيضَ المباتيرَ عنقه
 فعاف الدنايا وامتطى الموت شاعها
 وقد خلقت خوف الهوان بمصيب
 على حين أعطوه الأمان فمافه
 وفي خذره غراء من آل طلحة
 تحبب أيام الحياة وإنها
 فقارهم — والملاك لمارآها
 ولما ألح الخوف أن من الردى
 وغادرها شغماً إن ذكرت له
 كذاك مئى بعد الفوار أمية
 وسل لها سل الحسام ابن معمر
 يردد ذكرى كل تجدد وغائر
 وهددنى الأعداء فى المهد لم يحن
 وعندي يوم لو يزيد ومسلم
 على العزمت لاميتة مستكينة
 وخاطر على الجلى خطار ابن حرة
 من العار يبقى وسه فى الخاطم
 سوى الخوف من تقليدها بالأداهم
 بمار عز لا ينل الخاطم
 قوادم آباء كرام المقادير
 وخير فاختار الردى غير ناديم
 علاقة قلب للنديم الخالم^(١)
 لأعذب من طعم الخلود لطاعم
 يجران إذلال النفوس الكرائم
 حذاه المخازى ربح فليس بن عاصم
 من العار طار رأس خزيان واجم
 بشقيقة لواء من آل دارم
 فكر على أعقاب ناب بصارم
 وألجم خوفاً كل باغ وظالم
 هوضى ولم تقطع عقود تمانى
 بدا لهما لاستصغرا يوم واقم
 تزيل عن الدنيا بشم الراغم
 وإن زاحم الأمر العظيم فزاحم

(١) هى عائشة بنت طلحة ؛ كانت زوجا لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ولا هلك تروجها مصعب بن الزبير ؛ فقتل عنها ، والخالة : الصادقة والمغزالة .

ومن أباة الضيم ومؤثرى الموت على الحياة الذليلة محمد وإبراهيم ، ابنا عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . لما أحاطت عساكر عيسى ابن موسى بمحمد وهو بالمدينة ، قيل له : انج بنفسك ، فإن لك خيلاً مضرة^(١) ونجائب سابقة^(٢) ، فاقعد عليها ، والتحق بمكة أو باليمن . قال : إني إذا لعبدا وخرج إلى الحرب يباشرها بنفسه وبعياله ، فلما أمسى تلك الليلة وأيقن بالقتل ، أشير عليه بالاستئثار ، فقال : إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف ، فيكون لهم [يوم] كيوم الحرّة ، لا والله لأحفظ نفسي بهلاك أهل المدينة ، بل أجعل دمي دون دمائهم . فبذل له عيسى الأمان على نفسه وأهله وأمواله ، فأبى ونهّد^(٣) إلى الناس بسيفه ، لا يقاربه أحد إلا قتله ، لا والله ما يبقى شيئاً ؛ وإن أشبه خلق الله به فيما ذكر هو حمزة بن عبد المطلب . ورَمَى بالسّهام ، ودَهَمَت الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، وتحاماه الناس فوجد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ؛ فالزبدية تزعم أنه كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذا الفقار .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "مقاتل الطالبيين" ، أن محمداً عليه السلام ، قال لأخته ذلك اليوم : إني في هذا اليوم على قتال هؤلاء ، فإن زالت الشمس ، وأمطرت السماء فأني مقتول ، وإن زالت الشمس ولم تُمطر السماء ، وهبت الرياح ، فأني أخلف بالقوم ، فأجبي التناير ، وهيتي هذه الكتب - يعني كتب البيعة الواردة عليه من الآفاق - فإن زالت الشمس ، ومطرت السماء فاطرحي هذه الكتب في التناير ، فإن قدرتم على بدني

(١) ضمير الخيل ؛ إذا ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسن ؛ ثم قلل ماءها وعلفها مدة ؛ ثم ركضها في الميدان حتى تهزل ؛ ومدة التضجير عند العرب أربعون يوماً .

(٢) الخيل السوابق : المجلية في الجري .

(٣) يقال نهّد لعدوه ؛ إذ برز لقتاله وصده له .

نخذه ، وإن لم تقدروا على رأسى نخذوا سائر بدنى ، فأتوا به ظلة بنى بلية^(١) على مقدار أربعة أذرع أو خمسة منها ؛ فاحفروا لى حفيرة ، وادفونى فيها . فطمرت السماء وقت الزوال ؛ وقتل محمد عليه السلام ؛ وكان عندهم مشهوراً أن آية قتل النفس الزكية أن يسيل دم بالمدينة حتى يدخل بيت عائكة ، فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل ذلك البيت ؛ فأمطرت السماء ذلك اليوم ، وسال الدم بالمطر حتى دخل بيت عائكة ، وأخذ جسده ، فحفر له حفيرة فى الموضع الذى حدّه لهم ، فوقعوا على صخرة فأخرجوها ، فإذا فيها مكتوب : « هذا قبر الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام » ، فقالت زينب أخت محمد عليه السلام : رحم الله أخى ، كان أعلم حيث أوصى أن يدفن فى هذا الموضع^(٢) .

وروى أبو الفرج ، قال : قدّم على المنصور قادم ، فقال : هرب محمد ؟ فقال له : كذبت ؛ إنا أهل البيت لا نفرّ .

وأما إبراهيم عليه السلام ، فروى أبو الفرج عن الفضل بن محمد الضبيّ ، قال^(٣) : كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متوارياً عندى بالبصرة ، وكنت أخرج وأتركه ، فقال لى : إذا خرجت ضاق صدرى ، فأخرج إلى شيتا من كتبك أنفّج به ؛ فأخرجت إليه كتباً من الشعر ، فاختر منها القصائد السبعين التى صدرت بها كتاب " المفضليات " ، ثم أتممت عليها باقى الكتاب .

فلما خرج خرجت معه ؛ فلما صار بالمربد ، مرّ به سليمان بن على ، وقف عليهم ، وأمتهم واستسقى ماء ، فأتى به فشرب ، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم فضّتهم إليه ،

(١) مقاتل الطالبين : « بنى بنية » .

(٢) مقاتل الطالبين ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٣) ورد الخبر مختصراً فى مقاتل الطالبين ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

وقال: هؤلاء والله مِنَّا ونحن منهم ؛ لحنا ودمنا ؛ ولكن آباءهم انزوا على أمرنا ، وابتزوا حقوقنا ؛ وسفكوا دماءنا ، ثم تمثل :

مَهْلًا بَنَى عَمَّنَا ظِلَامَتَنَا إِنَّ بِنَا سَوْرَةً مِنَ الْعَاقِبِ^(١)
لِثَلَاكُم تَحْمِلُ السِّیُوفَ وَلَا تُفَعِّزُ أَحْسَابُنَا مِنَ الرَّقَى
إِنِّي لَا نَمِي إِذَا انْتَمَيْتُ إِلَى عِزِّ عَزِيزٍ وَمَعْشَرٍ صَدُوقِ
بِیضِ سِبَاطٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ تَكْحَلُّ يَوْمَ الْهِجَابِ بِالْعَاقِبِ

فقلت له : ما أجود هذه الأبيات وأخفها ؛ فليمن هي ؟ فقال : هذه يقولها ضرار ابن الخطاب الفهرري يومَ عبر الخندق على رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وتمثل بها علي ابن أبي طالب يوم صفين ، والحسين يوم الطف ، وزيد بن علي يوم السبينة ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان ؛ فخطيرت له من تمثله بأبيات لم يتمثل بها أحد إلا قُتل . ثم سرنا إلى باخرى ، فلما قرب منها أتاه نبي أخيه محمد ، فتغير لونه وجرح بريقه ، ثم أجهد با كيا ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً خرج يطلب مرضاتك ، ويؤثر أن تكون كلمتك العليا ، وأمرُك المتبع المطاع ؛ فاغفر له وارحمه ، وارض عنه ، واجعل ما نقلته إليه من الآخرة خيرا مما نقلته عنه من الدنيا ؛ ثم انفجر با كيا ثم تمثل :

أَبَا الْمَنَازِلِ يَا خَيْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِّعَا^(٢)
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ أَوْ آتَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَمْ فَرَّعَا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمِ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعَا ، أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قال المفصل : فجعلت أعزّيه وأعاتبه على ما ظهر من جزّعه ، فقال : إني والله في هذا ،

كما قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

(١) من أبيات في حسانة ابن الشجرى ١٦ ، والأغاني ١٧ : ١٨ (ساسي) ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات وعددها وروايتها .

(٢) الأبيات لراسع بن خسر م يرثى هذبة ، الأغاني ٢١ : ١٧٧ .

يقولُ ألا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى مكانَ البُكا، لكن بُنيتُ على الصَّبْرِ^(١)
 لمقتلِ عبدِ الله والمالكِ الَّذِي على الشَّرَفِ الأعلى قَتيلِ أبي بكرٍ
 وعبدِ نفث تَحْجِلُ الطَّيْرَ حَوْلَهُ وجلَّ مصاباً جَثُوْهُ قَبْرِ على قبرٍ
 فَإِنَّا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لدى وَاثِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
 فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ ونُلْجِمُهُ طَوْرًا ، وليس بذي نُكْرٍ
 يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرَيْنَ فَيُشْتَقَى إِنَّا إِن أَصْبْنَا أَوْ نُفَيْرُ على وَثْرِ
 بِذَلِكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فما يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ على شَطْرِ
 قال المفضل : ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد ، فتمثل إبراهيم عليه
 السلام قوله :

إِن يَمُوتُوا لَا تُصِيبُ أَرْمَاحُهُمْ ثَأْرِي وَيَسْعَى الْقَوْمُ سَعْيًا جَاهِدًا
 نَبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَذِيمَةَ أَجَعْتُ أَمْرًا تَدْبُرُهُ لَتَقْتُلَ خَالِدًا
 أَرَى الطَّرِيقَ وَإِن رُصِدْتُ بِضَيْقِهِ وَأُنَازِلُ الْبَطْلَ السَّكِيَّ الْحَارِدَا
 فقلت له : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ فقال : يَقُولُهُ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ
 ابْنِ كَلَّابٍ يَوْمَ شَعْبٍ^(٢) جَبَلَةٌ ؛ وَهَذَا الْيَوْمَ الَّذِي لَقِيتُ فِيهِ قَيْسَ تَمِيمًا . قَالَ : وَأَقْبَلْتُ عَسَاكِرَ
 أَبِي جَعْفَرٍ ، فَطَلَمْتُ رَجُلًا وَطَعْنَهُ آخِرَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتُبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِكَ ! وَإِنَّمَا الْعَسْكَرُ
 مَنُوطٌ بِكَ ؛ فَقَالَ : إِلَيْكَ يَا أَخَا بَنِي ضَبَّةٍ ، فَإِنِّي لَكَمَا قَالَ عُوبِفُ الْقَوَافِي :
 أَلَمْتُ سَعَادُ وَالْمَامُهَا أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَحْلَامُهَا
 مُحِبَّةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ تَطَاوَلُ فِي الْمَجْدِ أَعْلَامُهَا

(١) ديوان الحماسة - بشرح النبريزي ٢ : ٣٠٩ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات .
 (٢) لامر وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما . الأغانى ١٠ : ٣٣ (ساسى) .

وإن لنا أصلَ جرثومةٍ تَرُدُّ الحوادثَ أيامُها
 تردُّ الكتيبةَ مفلولةً بها أفنُها وبها ذامُها
 والتحمت الحرب واشتدَّت ، فقال : يا مفضل ، احكني بشيء ؛ فذكرت أبياتا لعوفٍ
 القوافي لما كان ذكره هو من شعره ، فأنشدته :

ألا أيُّها الناهي فزارةَ بعدما أجدت لسير ، إنما أنت ظالمُ
 أبى كلُّ حرٍّ أن يبيت بوثره وتمنع منه النوم إذ أنت نائمُ
 أقول لفتيانٍ كرامٍ تروحووا على الجرد في أفواههن الشكائمُ
 قفوا وقفةً من يحى لا يتخز بعدها ومن يخترم لا تتبعه اللوامُ
 وهل أنت إن باعدت نفسك عنهم لتسلم فيما بعد ذلك سالمُ

فقال : أعد ، وتبينت من وجهه أنه يستقتل ، فأنهبت وقلت : أو غير ذلك ؟ فقال :
 لا ، بل أعد الأبيات ، فأعدتها ، فتمطى في ركبائه فقطعهم ، وحمل فغاب عني ؛ وأتاه سهم
 عائر فقتله ؛ وكان آخر عهدى به عليه السلام .

قلت : في هذا الخبر ما يحتاج إلى تفسير ؛ أما قوله ^(١) :

* إن بنا سورةً من الغلق *

فالغلق : الضجر وضيق الصدر والحدة ، يقال : احتد فلان فلنشب في جدته وغلق .
 والسورة : الوثوب ، يقال : إن افضبه لسورة ، وإنه لسوار ، أي وثاب معربد . وسورة
 الشراب : وثوبه في الرأس ؛ وكذلك سورة السم ، وسورة السلطان : سطوته واعتداؤه .
 وأما قوله : « لئن لم نحمل السيوف » فعناه أن غيركم ليس بكفء لنا لنحمل له
 السيوف وإنما نحملها لكم ، لأنكم أکفاؤنا ، فنحن نحاربكم على الملك والرياسة ؛ وإن
 كانت أحسابنا واحدة ، وهي شريفة لا مغمز فيها .

والرقيق ، بفتح الراء : الضعف ؛ ومنه قول الشاعر :

* لم تلق في عظمها وهناً ولا رققاً *

وقوله :

* تُكحل يوم الهياج باللقى *

فالملقى الدم ؛ يريد أن عيونهم حُرّ لشدة الغيظ والغضب ؛ فكأنها كُجِلَتْ بالدم .

وقوله : « لكن بنيت على الصبر » ، أي خلقت وبنيت بُنية تقتضى الصبر . والشرف الأعلى : العالى ، وبنو أبى بكر بن كلاب ، من قَيْس عيلان ، ثم أحد بنى عامر بن صعصعة .
وأما قوله ^(١) :

* إن يقتلوني لا تُصِبْ أرماحهم *

فعناه أنهم إن قتلوني ثم حاولوا أن يصيبوا رجلاً آخر مثلى يصلح أن يكون لى نظيراً ؛ وأن يجعل دمه بواء لدمى ، وسعوا فى ذلك سعيًا جاهداً ، فإنهم لم يجدوا ولم يقدروا عليه .
وقوله : « أرمى الطريق ... » البيت ، يقول : أسلك الطريق الضيق ، ولو جعل على فيه الرصد لقتلى .

والحارث : المنفرد فى شجاعته ؛ الذى لا مثل له .

[غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة على عليه بعد ذلك]

فأما حديث الماء وغلب أصحاب معاوية على شريعة القرات بصفين ، فنحن نذكره من كتاب " صفين " لنصر بن مزاحم .

قال نصر : كان ^(٢) أبو الأعور السلمي على مقدمة معاوية ، وكان قد نأوش مقدمة

(١) س ٣١٠ . (٢) س ١٢٥ وما بعدها .

على عليه السلام وعليها الأشتر النخعي مناوشة ليست بالعظيمة؛ وقد ذكرنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب، وانصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين^(١) إلى جانب صفين، وساق الأشتر يتبعه، فوجده غالباً على الماء؛ وكان في أربعة آلاف من مستبصري^(٢) أهل العراق، فصدّموا أبا الأعور وأزالوه عن الماء، فأقبل معاوية في جميع الفيلق بقضه وقضيضه، فلما رآهم الأشتر انحاز إلى على عليه السلام، وغلب معاوية وأهل الشام على الماء، وحالوا بين أهل العراق وبينه؛ وأقبل على عليه السلام في جموعه، فطلب موضعاً لمسكره، وأمر الناس أن يضموا أقدامهم؛ وهم أكثر من مائة ألف فارس، فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس على عليه السلام على خيولهم إلى جهة معاوية يتطاعنون ويرمون بالسهم، ومعاوية بعد لم ينزل، فناوشهم أهل الشام القتال، فاقتتلوا هويّاً.

قال نصر: فخذثنى عمر بن سعد، عن سعد بن طريف، عن الأصمعي بن نباتة: فكتب معاوية إلى على عليه السلام: عافانا الله وإياك.

ما أحسن العدل والإيناف من عمل وأقبح العيش ثم النفس في الرّجل
وكتب بعده:

اربط حمارك لا تنزع سويقَه إذا يردّ ويقدّ العير مكرُوب^(٣)
ليست ترى السيد زيدا في نفوسهم كما يراه بنو كوز ومرهوب
إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والذرع مخبئة والسيف مقروب
أو تأنفون فإننا مفسرون أنف لا نطمع الضيم إن التّم مشروب^(٤)

(١) قناصرين: موضع بالشام. (القاموس).

(٢) صفين: «متبصري أهل العراق».

(٣) الأبيات لعبد الله بن عتبة الصفي؛ وهي المفضليات ٣٨٢ مع اختلاف في الرواية.

(٤) المفضليات: «لا نطمع التّل».

فأمر على عليه السلام أن يوزع^(١) الناس عن القتال ، حتى أخذ أهل الشام مصافهم
ثم قال : أيها الناس ، إن هذا موقفٌ ، مَنْ نَطِفَ^(٢) فيه نَطِفَ يوم القيامة ، ومن فَلَجَ
فيه فَلَجَ يوم القيامة ، ثم قال لما رأى نزول معاوية بصفين :

لقد أتانا كاشراً عن نأيه يَهْمُطُ الناسَ على اعتزابه^(٣)

* فليأتينَا الدهرُ بما أتى به *

قال نصر : وكتب على عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه ، أما بعد :

فإنَّ لِلْحَرْبِ عُرَاكَ شَرَّراً إنَّ عليها قائدُ عَشْتَرَا^(٤)

يُنْصِفُ مَنْ أَحْجَرَ أَوْ تَنَمَّرَا عَلَى نَوَاحِيهَا مِزْجَا زَمْجَرَا

* إِذَا وَنِينَ سَاعَةً تَغْشَرَا^(٥) *

وكتب بعده .

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ أَجَابُوا ، وَإِنْ يَنْصَبُ عَلَى الْقَوْمِ يَنْصَبُوا

هُمْ حِيفَلُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظًا لِقَوْمِي أُخْرَى مِثْلَهَا إِنْ يُغَيَّبُوا

بَنُو الْحَرْبِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمْ أُمَمَاتُهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ آبَاءُ صِدْقٍ فَأُتْجِبُوا

قال : قد تراجع الناس كل من الفريقين إلى معسكرهم ، وذهب شباب من الناس

إلى أن يستقوا فنعمهم أهل الشام .

قلت : في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح .

(١) يوزع الناس : يكتفون . وفي صفين : « فوزعوا عن القتال حتى تأخذ أهل المصاف مصافهم » .

(٢) نطف : اتهم بريئة .

(٣) يهبط الناس : يقرهم .

(٤) العشتر : الشديد .

(٥) تغشرا : تنمر ووثب .

قوله : « فافتتلوا هَوِيًّا » ، بفتح الهاء ، أى قطعة من الزمان ، وذهب هَوِيٌّ من الليل ، أى فريق منه .

والنَّفْس : كثرة الكلام والدعاوى ، وأصله من نفس الصوف .
والسَّوِيَّة : كساء محشوٌّ بئام ونحوه ، كابرذعة . وكرَّب القَيْد ، إذا ضيقه على المقيّد ، وقَيْد مكروب ، أى ضيق ؛ يقول : لا تنزع برذعة حمارك عنه واربطه وقَيْده ، وإلا أعيد إليك وقَيْده ضيق . وهذا مثل ضربه لعلّى عليه السلام ، يأمره فيه بأن يردّع جيشه عن التسرّع والعجلة في الحرب .

وزيد المذكور في الشعر ، هو زيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد ابن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أدّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ؛ وهو المعروف بزید الخليل ، وكان فارسهم . وبنو السَّيِّد من ضَبَّة أيضا ؛ وهم بنو السَّيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أدّ ابن طابخة . . . إلى آخر النسب ، وبنو السَّيِّد بنو عمّ زيد الفوارس ؛ لأنه من بنى ذهل ابن مالك ، وهؤلاء بنو السَّيِّد بن مالك ، وبينهم عداوة النسب ؛ يقول : إن بنى السَّيِّد لا يروّن زيدا في نفوسهم كما تراه أهله الأذُنُون منه نسبًا ، وهم بنو كوز وبنو مرهوب ؛ فأما بنو كوز فإنهم بنو كُوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ، وأما بنو مرهوب ، فإنهم بنو مرهوب بن عبيد بن هاجر بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ؛ يقول : نحن لا نعظم زيدا ولا نعتقد فيه من الفضيلة ما يعتقده أهله وبنو عمه الأذُنُون ؛ والمثل لعلّى عليه السلام ؛ أى نحن لا نرى في علّى ما يراه أهلُ المراق من تعظيمه وتبجيله .
وقوله :

* والدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ والسَّيْفُ مَقْرُوبٌ *

أى والدرع بحالها في حِقَابِها ، وهو ما يشدّ به في غلافها ، والسيف بحالها أى في قرابه ،

وهو جَفَنه ؛ يقال : حَقَبَت الدَّرْعَ وقربت السيف ؛ كلاهما ثلاثيان ، يقول : إن سَأَلْتُمُ الحقَّ أعطينا كوه من غير حاجة إلى الحرب ؛ بل نَجِيبُكُمْ إليه والدَّرْعُ بِحَالِهَا لم تلبس ، والسيوف في أَجْفَانِهَا لم تشهر .

وأما إثبات النون في « تَأَنفُونَ » فَإِنَّ الْأَصُوبَ حَذَفُهَا لِعَطْفِ الْكَاِمَةِ عَلَى الْحُزْمِ قَبْلُهَا ؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَأْنَفَ وَلَمْ يَعْطِفْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَوْ كُنْتُمْ تَأَنفُونَ ؛ يَقُولُ : وَإِنْ أُنْفَتُمْ وَأَيْتِمُّ إِلَّا الْحَرْبُ ؛ فَإِنَّا نَأْنِفُ مِثْلَكُمْ أَيْضًا ، لَا نَعْطِمُ الضِّمِّ وَلَا نَقْبَلُهُ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ السِّمَّ مَشْرُوبٌ ؛ أَيْ أَنَّ السِّمَّ قَدْ نَشْرَبُهُ وَلَا نَشْرِبُ الضِّمِّ ؛ أَيْ نَخْتَارُ الْمَوْتَ عَلَى الضِّمِّ وَالذَّلَّةِ . وَيُرْوَى :

وَإِنْ أُنْفَتُمْ فَإِنَّا مَعَشَرُ أُنْفٍ لَا نَعْطِمُ الضِّمِّ إِنْ الضِّمُّ مَرْهُوبٌ

والشعر لعبد الله بن عَمَّة الضبي ؛ من بنى السَّيِّدَ ، ومن جماعته :

وَقَدْ أَرْوَحَ أَمَامَ الْحَيِّ يَقْدُمْنِي صَافِي الْأَدِيمِ كَكَيْتِ اللَّوْنِ مَنُوبٌ^(١)
مُحَنَّبٌ مِثْلَ شَاةِ الرَّبْلِ مُحْتَفِزٌ بِالْقَصْرَيْنِ قَلَى أَوْلَاهُ مَصْبُوبٌ^(٢)
يَبْدُو مَلْجَمَةً هَادٍ لَهُ تَلْعَمُ كَأَنَّهُ مِنْ جُدُوعِ الْعَيْنِ مَشْدُوبٌ
فَذَاكَ ذُخْرِي إِذَا مَا خِيلَهُمْ رَكْعَتٌ إِلَى الْمُثُوبِ أَوْ مَقَاءِ سُرْحُوبٍ^(٣)

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « هَذَا مَوْقِفٌ مَنْ نَطِفَ فِيهِ نَطِفَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ، أَيْ مَنْ تَلَطَّحَ

(١) من هذه القطعة أبيات ، نسبها أبو عبيدة في كتاب الخيل إلى يزيد بن عمرو الحنفي .

(٢) الحنَّب من الخيل : المعطف العظام ، وهو مدح في الخيل . والرَّبْل : نبت . ويحتفز : يجتهد في مديده . والقصران : ضلمان يلبان الترقوتين . وقوله : « عَلَى أَوْلَاهُ مَصْبُوبٌ » ، يقول : يجرى على جريه الأول لا يحول عنه ؛ كَذَا فَسَّرَهُ صَاحِبُ الْلسَانِ (٧ : ٣٠٣) .

(٣) المقاء من الخيل : الواسعة الأرفاغ . والسرحوب : الطويلة على وجه الأرض ؛ ورواية البيت في كتاب الخيل .

فَذَاكَ عِنْدِي إِذَا مَا خِيلَهُمْ رَكْعَتٌ إِلَى الْمُثُوبِ أَوْ شَقَاءِ سُرْحُوبٍ

فيه بعب من فرار أو نكول عن العدو . يقال : نطف فلان بالكسر ؛ إذا تدنس بعب . ونطف أيضا إذا فسد ؛ يقول : من فسدت حاله اليوم في هذا الجهاد فسدت حاله غدا عند الله .

قوله : « مَنْ فَلَجَ فِيهِ » بفتح اللام ، أى مَنْ ظهر وفاز ، وكذلك يكون غدا عند الله ، يقال ؛ فَلَجَ زيدٌ على خصمه ، بالفتح ، يفلج ، بضم اللام ؛ أى ظهرت حجته عليه ، وفي المثل : من يأت الحكم وحده بفلج .

قوله : « يهبط الناس » ؛ أى يقهرهم ويخبطهم ، وأصله الأخذ بغير تقدير . وقوله : « على اعتزابه » أى على بعده عن الإمارة والولاية على الناس . والعزام ، بالضم : الشراسة والهوج . والعشزر : الشديد القوى .

وأحجر : ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أو بيوتهم . وتَنَمَّرَ ، أى تنكر حتى صار كالنمر ؛ يقول : هذا القائد الشديد القوى ينصف مَنْ يظلم الناس ويتنكر لهم ، أى ينصف منه ، فحذف حرف الجر كقوله : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ ، أى من قومه . والمزج ، بكسر الميم : السريع النفوذ ، وأصله الرمح القصير ، كالزراق .

ورجل زجر ، أى مانع حوزته ، والميم زائدة . ومن رواها « زُخْرَا » بالخاء ، عني به المرتفع العالى الشأن ، وجعل الميم زائدة أيضا ، من زَخَرَ الوادى ، أى علا وارتفع . وغَشَمَ السيل : أقبل ، والغشمة : إثبات الأمر بغير تثبيت ، يقول : إذا أبطأن ساقهن سوقا عنيفا .

والأبيات البائية لربيع بن مقروم الطائى .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن

الأحمر ، قال : لما ^(١) قدمنا على معاوية وأهل الشام بصيفين ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستويا بساطا واسعا ، وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم ؛ وقد صفت عليها أبو الأعور الخليل والرجالة ، وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرك ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ، ففرغنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك ، فدعا صمصمة بن ضوحان فقال : أئت معاوية وقل له : إنا سيرنا إليك مسيرنا هذا وأنا كرهة لقتالكم ^(٢) قبل الإعذار إليكم ، وإنك قدمت خيلك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالحرب ؛ ونحن نتم رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك ؛ وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلِّم بين الناس وبين الماء ؛ فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ؛ وفيما قدمنا له وقدمته له ؛ وإن كان أحب إليك ، أن ندع ماجئنا له ، ندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب ، فَعَلْنَا .

فلما مضى صمصمة برساليته إلى معاوية ، قال معاوية لأصحابه : ماترون ؟ فقال الوليد ابن عُقبة : امنعهم الماء كما منعه ابن عفان ، حَصَرُوهُ أربعين يوما يمنعونه برّد الماء ولين الطعام ، اقتلهم عطشا ، قتلهم الله !

وقال عمرو بن العاص : خلّ بين القوم وبين الماء ؛ فإنهم لن يملطشوا وأنت ريان ، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم .
فأعاد الوليد مقالته .

وقال عبد الله بن سَعِيد بن أَبِي سَرْح - وكان أخا عثمان من الرضاة - : امنعهم الماء إلى الليل ؛ فإنهم إن لم يقدرُوا عليه رجعوا ، وكان رجوعهم هزيمتهم ، امنعهم الماء ، امنعهم

(١) كتاب صفين المنقري ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) صفين : « وأنا أكره قتالكم » .

الله يوم القيامة ! فقال صمصمة بن صوحان : إنما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة ، شرّبة الخمر ؛ ضربك وضرب^(١) هذا الفاسق - يعنى الوليد بن عقبة .

فتواهبوا إليه يشتمونه ويتهذونه ، فقال معاوية : كفوا عن الرجل ؛ فإنما هو رسول . قال عبد الله بن عوف بن أحمر : إن صمصمة لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية ، وما كان منه وما رده عليه ؛ قلنا : وما الذى رده عليك معاوية ؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ما ترد على ؟ قال : سيأتيكم رأيي ، قال : فوالله ماراعنا إلا تسوية الرجال والصنف والخليل ؛ فأرسل إلى أبي الأعور : امنعهم الماء ؛ فازدلفنا والله إليهم ، فارتبنا وأطمعنا بالرماح ، واضطربنا بالسيوف ، فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار للماء في أيدينا ؛ فقلنا : لا والله لا نسقيهم . فأرسل إلينا على عليه السلام أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى ممسركم ، وخلوا بينهم وبين الماء ، فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبنيهم .

وروى نصر بن محمد بن عبد الله ، قال : قام^(٢) ذلك اليوم رجل من أهل الشام من السكون ، يعرف بالشليل^(٣) بن عمر إلى معاوية ، فقال :

امنع اليوم ما يقول الشليل
امنع الماء من صحاب علي
واقتل القوم مثل ما قتل الشيعة
إننا والذي تساق له البذ
[لو علي وصحبه وردوا الماء لما ذقتموه حتى تقولوا]^(٤)

(١) ضربك ، أى مثلك .

(٢) صفين ١٨١ (٣) صفين : « الشليل » .

(٤) صفين : « ظنا والقصاص أمر جيل » .

(٥) صفين : « هدايا لنهرها تأجيل » .

(٦) تكملة من صفين .

قَدْ رَضِينَا بِأَمْرِكُمْ وَعَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ الرِّضَا جِلَادٌ ثَقِيلٌ
فَامْنَعِ الْقَوْمَ مَاءَكُمْ، لَيْسَ لِلْقَوْمِ بَقَاءٌ وَإِنْ يَكُنْ قَلِيلٌ
فَقَالَ معاوية: أَمَا أَنْتَ فَتَدْرِي مَا تَقُولُ - وَهُوَ الرَّأْيُ - وَلَكِنْ عَمْرَأُ لَا يَدْرِي. فَقَالَ
عَمْرُو: خَلْ يَنْبَغُ بَيْنَ الْمَاءِ؛ فَإِنْ عَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ لِيُظْمَأُ وَأَنْتَ رَيَّانٌ، وَفِي يَدِهِ أَعْتَةُ الْخَلِيلِ،
وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْفُرَاتِ حَتَّى يَشْرِبَ أَوْ يَمُوتَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ الشَّجَاعُ الْمُطْرَقُ [وَمَعَهُ أَهْلُ
الْمِرَاقِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ] ^(١)، وَقَدْ سَمِعْتَهُ أَنَا مَرَارًا وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْ أَرْبَعِينَ
رَجُلًا ^(٢) بَعْنَى فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ ^(٣) !

وَرَوَى نَصْرٌ، قَالَ: ^(٤) لَمَّا غَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْفُرَاتِ، فَرِحُوا بِالْغَلْبَةِ، وَقَالَ
معاوية: يَا أَهْلَ الشَّامِ؛ هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الظَّفَرِ، لَا سَقَايَ لِلَّهِ وَلَا أَبَا سَفِيَّانٍ إِنْ شَرِبُوا مِنْهُ
أَبَدًا حَتَّى يُقْتَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَيْهِ؛ وَتَبَاشَرَ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَامَ إِلَى معاويةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
الشَّامِ هَمْدَانِيٌّ، نَاسِكٌ يَتَأَلَّهُ وَيَكْثُرُ الْعِبَادَةَ، يَعْرِفُ بِعَمْرِيٍّ بْنِ أَقْبَلٍ، وَكَانَ صَدِيقًا لِعَمْرُو
ابْنِ الْعَاصِ وَأَخَاهُ، فَقَالَ: يَا معاوية، سَبَّحَانَ اللَّهِ! لِأَنَّ سَبْعَةَ الْقَوْمِ إِلَى الْفُرَاتِ فَغَلِبَتْهُمْ
عَلَيْهِ، تَتَمَعَّوْنَهُمُ الْمَاءُ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ لَسَقَوْكُمْ مِنْهُ. أَلَيْسَ أَكْثَرُ مَا تَنَالُونَ مِنَ الْقَوْمِ
أَنْ تَتَمَعَّوَهُمُ الْفُرَاتُ فَيَنْزِلُوا عَلَى فُرْضَةٍ أُخْرَى وَيَجَازُوكُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِمْ
الْعَبْدَ وَالْأُمَةَ وَالْأَجِيرَ وَالضَّعِيفَ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ. هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الْجَوْرِ! لَقَدْ شَجَعْتُ
الْجَبَانَ، وَنَصَرْتُ الْمُرْتَابَ، وَخَلَّيْتُ مَنْ لَا يَرِيدُ قِتَالَكَ عَلَى كِتْفَيْكَ. فَأَغْلَظَ لَهُ معاوية،
وَقَالَ لِعَمْرُو: اكْفِنِي صَدِيقَكَ. فَأَتَاهُ عَمْرُو فَأَغْلَظَ لَهُ، فَقَالَ الهمدانيُّ فِي ذَلِكَ شِعْرًا:
لَعَمْرُ أَبِي معاويةَ بْنِ حَرْبٍ وَعَمْرِيَّو، مَا لَدَاهُمَا دَوَاهُ

(١) تكملة من صفين .

(٢-٣) في صفين: « فذكر أمراً؛ يعني لو أن مائة أربعين رجلاً يوم فتش البيت - يعني بيت فاطمة »

(٣) صفين ١٨٢ .

سَوَى طَعْنٍ يَجَارُ الْعَقْلَ فِيهِ وَضَرْبٍ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
ولست بتابع دين ابن هند طَوَالَ الدَّهْرِ مَا أَرْمَى حِرَاهُ
لَقَدْ ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَا عِتَابُ وَقَدْ ذَهَبَ الْوَلَاءُ فَلَا وَلَاءُ
وقولي في حوادث كل خطب^(١) : عَلَى عَمِيرٍ وَصَاحِبِهِ الْعَفَاءُ
أَلَا اللَّهُ دَرُّكَ يَا بَنَ هَنْدٍ لَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ فَلَا خَفَاءُ^(٢)
أَتَحْمُونَ الْفَرَاتَ عَلَى رِجَالٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ
وَفِي الْأَعْنَاقِ أَسْيَافٌ حِدَادُ كَأَنَّ الْقَوْمَ عِنْدَهُمْ نِسَاءُ
أَتَرْجُو أَنْ يَجَاوِرُكُمْ عَلَى بَلَاءِ مَاءٍ وَلِلْأَحْزَابِ مَاءُ
دَعَامَ دَعْوَةٍ فَأَجَابَ قَوْمٌ كَجُرْبِ الْإِبْلِ خَالَطَهَا الْهَنَاءُ
قال : ثم سار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام .

قال : ^(٣) ومكث أصحابي على عليه السلام بغير ماء ، واغتم علي عليه السلام بما فيه
أهل العراق :

قال نصر : وحدثننا محمد بن عبد الله ، عن الجرجاني ، قال : لما اغتم علي بما فيه أهل
العراق من العطش ، خرج ليلا قبل رايات مذحج ، فإذا رجل ينشد شعرا :
أَيْمَعُنَا الْقَوْمُ مَاءَ الْفُرَاتِ وَفِينَا الرِّمَاحُ وَفِينَا الْحَجَفُ^(٤)
وَفِينَا الشَّوَاظِبُ مِثْلَ الْوَشِيحِ وَفِينَا السُّيُوفُ وَفِينَا الزَّغْفُ^(٥)

(١) صفين : « كل أمر » .

(٢) برح الخفاء بكسر الراء وفتحها ، أى ظهر ما كان خافياً .

(٣) صفين ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) الحجف : جمع حيفة ؛ وهى الترس من جلود الإبل يطارق بعضها في بعض .

(٥) الشواظب : الخيل الضامرة ؛ والوشيح في الأصل : شجر الرماح ؛ ويريد به هنا الرماح ؛ شبهها
الخيال في ضمها . والزغف : الدروع الواسعة .

وَفِيهَا عَلِيٌّ لَهُ سَوْرَةٌ إِذَا خَوْفُهُ الرَّدَى لَمْ يَخَفْ
وَنَحْنُ الَّذِينَ غَدَاةَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ خُضْنَا غِمَارَ الْقَلْفِ^(١)
فَمَا بَالُنَا أَسَدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفِ^(٢)
فَمَا لِلْعِرَاقِ وَمَا لِلْحِجَازِ سِوَى الشَّامِ خَصْمٌ فَصُكُّوا الْمَدَفِ^(٣)
وَتَوَرُّوا عَلَيْهِمْ كَبَزَلِ الْجَمَالِ دُؤَيْنَ الذَّمِيلِ وَفَوْقَ الْقَطَفِ^(٤)
فَإِذَا تَفَوُّزُوا بِمَاءِ الْفُرَاتِ وَمِنَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهِ حَيْفٌ
وَلَمَّا تَمَوُّتُوا عَلَى طَاعَةِ نُحَيْلِ الْجَنَانِ وَتَحْبُّو الشَّرَفِ
وَلَا فَاتُمْ عَيْبُ الْعَصَا وَعَبْدُ الْعَصَا مُسْتَذِلٌّ نَطَفِ^(٥)

قال : فحرك ذلك علياً عليه السلام ، ثم مضى إلى رايات كندة ، فإذا إنسانٌ ينشد

إلى جانب منزل الأشعث ، وهو يقول :

لَئِنْ لَمْ يُجَلِّ الْأَشْعَثُ الْيَوْمَ كُرْبَةً مِنْ الْمَوْتِ فِيهَا لِلْفُوسِ تَعَتُّ^(٦)
فَنَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ بِسَيْفِهِ فَهَبْنَا أَنَا سَا قَبْلَ ذَلِكَ فَمَوُّتُوا^(٧)
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَجْمَعْ لَنَا الْيَوْمَ أَمْرَنَا وَتَنْضُ الَّتِي فِيهَا عَلَيْكَ الْمَذَلَّةُ^(٨)

(١) يشير إلى وقعة الجمل ، والنار : جمع غمرة ؛ وهي الشدة .

(٢) العرين : مأوى الأسد ، والشاء : جمع شاة ، والنجف : الحلب الجيد حتى ينفض الصرع ، ويقال : انتجفت الفم ؛ إذا استخرجت أقصى ما في الصرع من لبن ، والبيت من شواهد الكناية ؛ على أن «أسد العرين» و « شاء النجف » حالان ؛ إما على تقدير مثل ؛ ولما على تقديرهما بوصف . وانظر خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٥٢٨ ، والسعدي ٢ : ٣٨٥ .

(٣) صكوا : اضربوا ، وفي صفين : « سوى اليوم يوم » .

(٤) الذميل والقطف : ضربان من السير . والبازل : البعير الذي انشق نابه بدخوله في الناحية ، ووجهه بزل . وفي صفين : « فديبوا إليهم » .

(٥) عيب العسا ؛ أي أذلاء . والنطف : المييب .

(٦) في السعدي ٢ : ٣٨٥ « تقلت » .

(٧) صفين والسعدي : « كانوا فوتوا » .

(٨) صفين : « وتلقى التي فيها عليك النشفت » .

فَمَنْ ذَا الَّذِي تُنْفِي الْخَلَاصِيرُ بِأَمْرِهِ سِوَاكَ ؛ وَمَنْ هَذَا إِلَيْهِ التَّلَفْتُ
وَهَلْ مِنْ بَقَاءٍ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ نَظَلَّ خُفُونًا وَالْعَدُوُّ يَصُوتُ^(١)
هَلَّتْوَإِ إِلَى مَاءِ الْفُرَاتِ وَدُونَهُ صُدُورُ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحُ الْمَشْتُ
وَأَنْتَ أَمْرُوٌّ مِنْ غُصْبَةٍ يَمْنِيَّةٍ وَكَلَّ أَمْرِي مِنْ سِنِّهِ حِينَ يَنْبُتُ^(٢)
قال : فلما سمع الأشعث قولَ الرجل ، قام فأتى عليا عليه السلام ، فقال :
يَدِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْمَعُنَا الْقَوْمَ مَاءَ الْفُرَاتِ ، وَأَنْتَ فِينَا ، وَالسِّيُوفُ فِي أَيْدِينَا اخْلُ عَدُوَّ
بَنِي الْقَوْمِ ، فَوَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَّه أَوْ نَمُوتَ ؛ وَمُرِ الْأَشْرَفَ لِمَلِكٍ بِحَيْلِهِ ، وَيَقِفَ حَيْثُ
رَه . فقال عليّ عليه السلام : ذلك إليكم .

فَرَجَعَ الْأَشْعَثُ فَنَادَى فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمَاءَ أَوْ الْمَوْتَ فَمِيعَادُهُ مَوْضِعُ كَذَا ؛
لِي نَاهِض . فَأَتَاهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ كِنْدَةَ وَأَفْنَاءَ قَحْطَانَ ، وَاضْعَى سِيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ،
دَعَا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُ^(٣) وَنَهَضَ بِهِمْ ؛ حَتَّى كَادَ يَخَالِطُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَجَعَلَ يُبَلِّغُ رُوحَهُ ،
نَوَلُ الْأَصْحَابِ : يَا بَنِي وَائِي أَنْتُمْ أَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ قَابَ رُحْمِي^(٤) ؛ هَذَا ؛ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَةً ؛
بَنِي خَالِطَ الْقَوْمِ ، وَحَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَنَادَى : أَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ! خَلُّوا عَنِ الْمَاءِ .
دَعَا أَبُو الْأَعْوَرِ : أَمَا [وَاللَّهِ]^(٥) حَتَّى لَا تَأْخُذَنَا وَإِيَّاكُمْ السِّيُوفُ . فقال الأشعث :

(١) صفين : « عطاشا والعدو يصوت » .

(٢) السنج : الأصل ، وق صفين : « من غصنه » .

(٣) صفين : وشد عليه سلاحه ، وهو يقول :

مِيعَادُنَا الْيَوْمَ بَيَاضُ الصُّبْحِ هَلْ يَصْلُحُ الرَّادُّ بَغِيرِ مِلْحٍ
لَا ، وَلَا أَمْرٌ بَغِيرِ نَصْحٍ دَبُّوا إِلَى الْقَوْمِ بَطْنِ سَمْحٍ
مِثْلَ الْعَزَالِي بَطْمَانٍ نَفْحٍ لَا صُلْحَ لِلْقَوْمِ ، وَأَيْنَ صُلْحِي
* حَسْبِي مِنَ الْإِفْتَحَامِ قَابَ رُحْمٍ *

(٤) قَاب رَحْمِي : قدر رَحْمِي .

(٥) من صفين .

قد والله أظنها دنت منا ومنكم . وكان الأشر قد تعالَى بخيله حيث أمره على ، فبعث إليه الأشعث : أقيم الخيل ؛ فأقحمها حتى وضعت سنا بكمها في الفرات ، وأخذت أهل الشام السيوف ، فولوا مدبرين .

قال نصر : ^(١) وحدثنا عمرو بن شمير ، عن جابر ، عن أبي جعفر وزيد بن الحسن ، قال : فنادى الأشعث عمرو بن العاص ، فقال : ويحك يا بن العاص ! خل بيننا وبين الماء ، فوالله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف ؛ فقال عمرو : والله لانيحلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم ، فيعلم ربنا : أينما أصبر اليوم . فترجل الأشعث والأشر ، وذوؤ البصائر من أصحاب على عليه السلام ، وترجل معهما اثنا عشر ألفاً ، فملوا على عمرو وأبي الأعور ومن معهما من أهل الشام ، فأزالوهم عن الماء ، حتى غمست خيل على عليه السلام سنا بكمها في الماء .

قال نصر : فروى عمر بن سعد أن علياً عليه السلام قال ذلك اليوم : هذا يوم نصرتم فيه بالحمية ^(٢) .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمير ، عن جابر ، قال : ^(٣) سمعت ثميماً الفاجي يقول : سمعت الأشعث يقول : حال عمرو بن العاص بيننا وبين الفرات ، فقلت له : ويحك يا عمرو ! أما والله إن كنت لأظن لك رأياً ؛ فإذا أنت لاعقل لك . أنثرانا نخليك والماء ! تربت يداك ^(٤) ! أما علمت أنا معشر عرب ! ثكلتك أمك وهبلك ! لقد رمت أمراً عظيماً . فقال لي عمرو : أما والله لثعلبن اليوم أنا سنفي بالعهد ، ونحسبكم العقْد ، ونلقاكم

(٢) صفين ١٨٧
(٤) صفين : « يداك وفك »

(١) صفين ١٨٧
(٣) صفين ١٨٩ ، ١٩٠ .

بصبر وجِدَّة . فنادى به الأشتر : يا بنَ العاص ؛ أما والله لقد نزلنا هذه القرصة ، وإننا ليريد القتال على البصائر والدين ، وما قتالنا سائر اليوم إلا حمية .
ثم كبر الأشتر وكبرنا معه وحملنا ، فما ثار الغبار حتى انهزم أهل الشام .
قالوا : فلقى عمرو بن العاص بعد انقضاء صيفين الأشعث ، فقال له : يا أخا كندة ، أما والله لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء ، ولكن كنت مقهوراً على ذلك الرأي ، فكا برئتُك بالهدد والوعيد ، والحرب خُدعة .

قال نصر : ولقد كان من رأى عمرو التَّخْلِيَّةُ بين أهل العراق والماء . ورجع معاوية بأخرة إلى قوله بعد اختلاط القوم في الحرب ؛ فإنَّ عمراً - فيما روينا - أرسل إلى معاوية : أنْ خَلْ بين القوم وبين الماء ، أتري القوم يموتون عطشا وهم ينظرون إلى الماء ! فأرسل معاوية إلى يزيد بن أسد القسري : أنْ خَلْ بين القوم وبين الماء يا أبا عبد الله ، فقال يزيد - وكان شديد العثمانية - : كَلَّا والله لنقتلنهم عطشا كما قتلوا أمير المؤمنين .

قال : فحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، قال : خطب على عليه السلام يوم الماء فقال : « أما بعد ؛ فإنَّ القوم قد بدؤكم بالظلم ، وفاتحوكم بالبغى ، واستقبلوكم بالعدوان ، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء ، فأقروا على مذلة وتأخير مهلة » ، الفصل إلى آخره .

قال نصر : وكان ^(١) قد بلغ أهل الشام أن علياً عليه السلام جعل للناس إن فتح الشام أن يقسم بينهم التبر والذهب - وهما الأحران - وأن يعطى كلاً منهم خمسمائة كما أعطاهم بالبصرة ، فنادى ذلك اليوم منادى أهل الشام : يا أهل العراق ؛ لماذا نزلتم بمعجاج

(١) صفين ١٨٧ ، ١٨٨ .

من الأرض ان نحن أزدُ شُوءَ لأزدُ عمان ، بأهل العراق :
لاخُسَ إلا جندلُ الأحرين^(١) والخسُ قد تجشمك الأمرين^(٢)

قال نصر : فحدثني عمرو بن شمر ، عن إسماعيل السدي ، عن بكر بن تغلب ، قال :
حدثني^(٣) من سمع الأشعث يوم الفرات - وقد كان له غناء عظيم من أهل العراق ، وقتل
رجالاً من أهل الشام بيده ، وهو يقول : والله إن كنت لكارهاً قتال أهل الصلاة ،
ولكن معي من هو أقدم مني في الإسلام ، وأعلم بالكتاب والسنة ، فهو الذي
يسخى بنفسه .

(١) لاخُس ، أراد لا خمائة . والجندل : المجارة والأحرين : جمع حرة ، وهي المجارة السوداء .
(٢) الأمرين : الشر والأمر العظيم ، وفي اللسان (٥ : ٢٥٢) بعد شرح كلمة « الأحرين » :
أشد ثعلب لزيد بن عناية التيمي ، وكان زيد المذكور لما عظم البلاء بصفين قد انهزم ولحق بالكوفة ،
وكان على رضى الله عنه قد أعطى أصحابه يوم الجبل خمائة من بيت مال البصرة ، فلما قدم زيد
على أهله قالت له ابنته : أين خسر المائة ؟ فقال :

إنا أبالك فرّ يوم صفين لما رأى عكاً والأشعرين
وقيس عيلان الهوازنيين وابن نُمير في سراة الكنديين
وذا الكلاع سيد اليمانيين وحابساً يستن في الطائيين
قال لنفس السوء : هل تفرين ؟ لاخُس إلا جندل الأحرين
والخس قد جشمك الأمرين تجزاً إلى الكوفة من قنسرين

ويروى : « قد تجشمك » ، و « قد يجشمك » . وقال ابن سيده : معنى « لاخُس » ماورد في حديث
صفين أن معاوية زاد أصحابه يوم صفين خمائة ، فلما التفوا بعد ذلك قال أصحاب على رضى الله عنه :

* لاخُس إلا جندل الأحرين *

أرادوا : لا خمائة .

(٣) صفين ١٩١ - ١٩٢

قال نصر: وحمل^(١) ظبيان بن عماره التيمي على أهل الشام، وهو يقول:
هَلْ لَكَ يَا ظَبْيَانُ مِنْ بَقَاءٍ فِي سَاكِنِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ مَاءٍ
لَا وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَاضْرِبْ وَجُوهَ الْفُسْدِ الْأَعْدَاءِ
بِالسَّيْفِ عِنْدَ حَسِّ الْمَيْجَاءِ^(٢) حَتَّى يَمِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ
قال: فَضَرَبَهُمْ وَاللَّهِ حَتَّى خَلَّوْا لَهُ الْمَاءَ.

قال نصر: ودعا^(٣) الأشتر بالحرث بن همام النخعي، ثم الصهباني، فأعطاه لواءه،
وقال له: يا حارث، لولا أني أعلم أنك تصبر عند الموت لأخذت لوائى منك، ولم أحببك
بكرامتى، فقال: والله يامالك لأسرنك أو لأموتن، فاتبعتنى. ثم تقدم باللواء
وارتجز، فقال:

يَا أَخَا الْغَزَاتِ يَا خَيْرَ النَّخَعِ وَصَاحِبَ النَّصْرِ إِذَا عَمَّ الْفَرْعُ
وَكَاثِفَ الْخَطْبِ إِذَا الْأَمْرُ وَقَعَ مَا أَنْتَ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِالْجُدْعِ^(٤)
قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَعُثُوا بِالْجَزَعِ وَجُرُّعُوا الْفَيْظَ وَغَضُّوا بِالْجُرْعِ
إِنْ تَسْقِنَا الْمَاءَ فَلَيْسَتْ بِالْبِدْعِ أَوْ نَعْطِشُ الْيَوْمَ فَجُنْدٌ مُقْتَطَعٌ
* مَا شِئْتَ خُذْ مِنْهَا وَمَا شِئْتَ فَدَعْ *

فقال الأشتر: اذن منى يا حارث؛ فدنا منه فقبل رأسه، فقال: لا يتبع رأسه اليوم
إلا خير؛ ثم صاح الأشتر في أصحابه: فدتكم أنفسى أشدوا شدة الحرَجِ الرَاجِى للفرَجِ،
فإذا نالتكم الرماح فالتووا فيها، فإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه،
فإنه أشد لشئون^(٥) الرأس؛ ثم استقبلوا القوم بهامِك.

(١) صفين ١٩٢.

(٢) الحس: الشدة في القتال، وفي صفين: حس الوغاء.

(٣) صفين ١٩٣، والمسمودى ٢: ٣٨٦.

(٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة؛ كأنهم جعلوا الأولى بكرا. والجذع: الصنبر السن.

(٥) الشئون هنا: جيع شأن؛ وهو موصل قبائل الرأس.

قال : وكان الأشتر يومئذ على فرس له مخذوف^(١) أدم ، كأنه حَلَّكَ الغراب ، وقتل بيده من أهل الشام من فرسانهم وصناديدهم سبعة : صالح بن فيروز العكّي ، ومالك بن أدم السّلمانيّ ، ورياح بن عتيك الفسانيّ ، والأجلح بن منصور الكِنديّ - وكان فارس أهل الشام - وإبراهيم بن وضّاح الجُحّيّ ، وزامل بن عبيد الحزاميّ ، ومحمد ابن روضة الجحّيّ .

قال نصر : فأول قتيل قتله الأشتر بيده ذلك اليوم صالح بن فيروز ، ارتجز على الأشتر وقال له :

يا صاحِبَ الطُّرْفِ الحِصانِ الأَدَمِ أَقْدِمْ إِذَا شِئْتَ عَلَيْنَا أَقْدِمِ
أنا ابنُ ذِي العِزِّ وَذِي التَّكْرَمِ سَيِّدُ عَكَيْ كُلِّ عَكَيْ فاعْلَمْ
قال : وكان صالح مشهوراً بالشدة والبأس ، فارتجز عليه الأشتر ، فقال له :

أنا ابنُ خَيْرِ مَذْجِجِ مَرْكَبَا وَخَيْرُهَا نَفْسًا وَأَمَّا وَأَبَا
أَلَيْتُ لَأَرْجِعُ حَتَّى أَضْرِبَا بِسَيْفِ اللِّصْقُولِ ضَرْبًا مُعْجَبَا

ثم شدّ عليه فقتله ، فخرج إليه مالك بن أدم السّلمانيّ - وهو من مشهوريههم أيضاً ، فحملَ على الأشتر بالرمح ، فلما رَهَقَهُ^(٢) التوى الأشتر على فرسه ومارَ السنان^(٣) فأخطأه ، ثم استوى على فرسه ، وشدّ على الشاميّ فقتله طعنًا بالرمح ، ثم قتل بعده رياح بن عقيل^(٤) وإبراهيم بن وضّاح ، ثم برز إليه زامل بن عقيل - وكان فارساً - فطعن الأشتر في موضع الجوشن^(٥) فصرّعه عن فرسه ، ولم يصب مقتلاً ، وشدّ عليه الأشتر بالسيف راجلاً فكشف قوائمه فرسه ، وارتجز عليه فقال :

- (١) المخذوف : المقطوع الذنب .
- (٢) رهقه : غشيه .
- (٣) مار السنان : اضطرب .
- (٤) صقين : « رياح بن عتيك » .
- (٥) الجوشن : الصدر .

لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِي أَوْ مِنْ قَتْلِكَ قَتَلْتُ مِنْكُمْ أَرْبَعًا مِنْ قَبْلِكَ^(١)
* كَلَّمَهُمْ كَانُوا حَمَاءَ مِثْلِكَ *

ثم ضربه بالسيف وها راجلان فقتله ، ثم خرج إليه محمد بن روضة ، فقال ، وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً :

يَا سَاكِنِي الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الْفَتَنِ يَا قَاتِلِي عُثْمَانَ ذَاكَ الْمُوْتَمَنِّ
أَوْرَثَ قَلْبِي قَتْلُهُ طُولَ الْحَزَنِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى أَبَا حَسَنِ
فَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ قَتْلَهُ ، وَقَالَ :

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ سِوَى عُثْمَانَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَوَانًا
* وَلَا يُسَلِّي عَنْكُمْ الْأَحْزَانَا^(٢) *

ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندي - وكان من شجعان العرب وفرسانها - وهو على فرس له اسمه لاحق ، فلما استقبله الأشتر ، كره لقاءه واستحيا أن يرجع عنه ، فتضاربا بسيفيهما ، فسبقه الأشتر بالضربة فقتله ، فقالت أخته تريه :

أَلَا قَابُكِي أَخَاتِي فَقَدْ وَاللَّهِ أَبْكَينَا
لَقَتِلِ الْمَاجِدَ الْقَمَقَا م لَا مِثْلَ لَهُ فِينَا^(٣)
أَنَا الْيَوْمَ مَقْتَلُهُ فَقَدْ جُزَّتْ نَوَاصِينَا
كَرِيمٌ مَاجِدٌ الْجَدِي نِ يَشْفِي مِنْ أَعَادِينَا
شَفَانَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مَرَايَ فَقَدْ أَبَادُونَا
أَمَا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَمْ يَرْعُوا لَهُ دِينَا

(١) صفين : « قتل خمسة »

(٢) بقية الرجز كما في صفين :

مُخَالَفٌ قَدْ خَالَفَ الرَّحْمَانَا نَعَرْتُمُوهُ عَابِدًا شَيْطَانَا

(٣) القمقام : السيد الكثير المعطاء .

قال : وبلغ شعرها علياً عليه السلام ، فقال : أما إنهنّ ليس بمسكهنّ ما رأيتم من الجزع ، أما إنهم قد أضروا بنسائهم ، فتركوهنّ أيامى حزاني^(١) بأثبات . قاتل الله معاوية ! اللهم حمله آثامهم وأوزاراً وأثقالاً مع أنفاله ! اللهم لاتمف عنه !

قال نصر : وحدثنا^(٢) عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن الحارث بن آدم ، وعن صمصمة ، قال : أقبل الأشر يوم الماء ، فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء ، وهو يقول :

لَا تَذْكُرُوا مَا قَدْ مَضَى وَفَاتَا وَاللّٰهُ رَبِّي الْبَاعِثِ الْأَمْوَاتَا
مِنْ بَعْدِ مَا صَارُوا كَذَارُفَاتَا^(٣) لِأُورِدَنَّ خَيْلِي الْفُرَاتَا
* شُعَثَ النَّوَاصِي أَوْ يُقَالَ مَا تَا *

قال : وكان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحارث ، فقال له الأشعث : لله أبوك ! ليست النّخع بخيرٍ مِنْ كِنْدَةَ ، قدّم لواءك فإنّ الحظّ لمن سبق . فتقدم لواء الأشعث ، وحملت الرجال بعضها على بعض ، وحمل في ذلك اليوم أبو الأعور السلمي ؛ وحمل الأشر عليه ، فلم ينتصف أحدهما من صاحبه ، وحمل شرحبيل بن السمط على الأشعث ، فكانا كذلك ، وحمل حوشب ذو ظليم على الأشعث أيضاً ، وانفصلا ولم ينل أحدهما من صاحبه أمراً ، فزالوا كذلك حتى انكشف أهل الشام عن الماء ، وملك أهل العراق المشرعة .

قال نصر : فحدثنا محمد بن عبد الله ، عن الجرجاني ، قال : قال^(٤) عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء ؛ ما ظنّك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعهم

(١) صفين : « خزاي » .

(٢) صفين ٢٠١ .

(٣) صفين : « صدى فراتا » .

(٤) صفين ٢٠٨ .

أمس ! أترك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه ! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة .
فقال معاوية : دع عنك ماضى ، فما ظنك بعلى ؟ قال : ظنى أنه لا يستحل منك ما استحلت
منه ، وأن الذى جاء له غير الماء . قال : فقال له معاوية قولاً أغضبه ، فقال عمرو :

أمرتكَ أمراً فسَخِّفْتَهُ وخالفنى ابن أبى سَرْحَةَ^(١)
وأغمضتْ فى الرأى إغماضَةً ولم تَرَفِى الحرب كالفُسْحَةِ
فكيف رأيتَ كِباشَ العِراقِ ألم ينطحُوا جَمْعاً نَطْحَةً
فإن ينطحونا غداً مثلها تَكُنْ كالزبيرى أو طَلْحَةَ
أظنَّ لها اليومَ ما بعدَها وميماد ما ينبأ صُبْحَةَ
وإن أخروها لِمَا بَعْدَهَا فقد قَدَّمُوا الخُبْطَ والنَّفْحَةَ
وقد شرب القومُ ماءَ الفِراتِ وَقَلَّدَكَ الأَشْتَرُ الفَضْحَةَ

قال نصر : فقال أصحاب على عليه السلام له : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك . فقال : لا ،
خلوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون ، سنعرض عليهم كتاب الله ، وندعوهم إلى
الهدى ، فإن أجابوا ؛ وإلا فى حدِّ السيف ما يغنى إن شاء الله .
قال : فوالله ما أسمى الناس حتى رأوا سَمَاتِهِمْ وسَقَاةَ أهل الشام ورواياهم وروايا
أهل الشام يزدحمون على الماء ، ما يؤذى إنسانٌ إنساناً .

(١) يريد بابن أبى سرحة عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

(٥٢) (*)

ومن خطبة له عليه السلام ، وقد تقدم مختارها برواية ، ونذكر ما نذكره
هنا برواية أخرى ، لتغاير الروایتين :

الأصل :

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ وَأَدَّيْتُ بِانْقِضَاءِ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَدَّيْتُ بِحَدِّهَا ،
فَبَيَّ تَحْفِيزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا ، وَتَحْدُودُ بِالنُّفُوتِ حُدُودَهَا ، وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ خُلُوعًا ،
وَكَدَّرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ ، أَوْ جُرْعَةٌ (١)
كَجُرْعَةِ اللَّقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدُيَّانُ لَمْ يَنْفَعِ .

فَإِذْ مَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ
فِيهَا الْأَمَلُ ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا (٢) الْأَمَدُ . فَوَاللَّهِ لَوْ حَقَّقْتُمْ حَيْنَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ ،
وَدَعَوْتُمْ بِهَدْيِ الْحَمَامِ ، وَجَارْتُمْ جُورَ الْمُتَّبِعِ إِلَى الرُّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ؛ التَّمَسَّ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا
كُتُبُهُ ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ
مِنْ عِقَابِهِ .

وَبِاللَّهِ لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَانًا ، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ
مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا - مَا الدُّنْيَا بَأَقِيَّةٌ - مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ - وَلَوْ لَمْ تَبْقُوا
شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

(*) انظر الخطبة رقم ٢٨ الجزء الثاني من ٩١

(١) مخطوطة النهج : « وجرعة » .

(٢) كلمة « فيها » ساقطة في مخطوطة النهج .

البُزْخُ

تصرفت: انقطعت وفنيت. وأذنت بانقضاء: أعلمت بذلك، أذنته بكذا، أى أعلمته.
وتفكر معروفها: جُهل منها ما كان معروفاً.
والخذاء: السريمة لذهاب، ورحم خذاء: مقطوعة غير موصولة. ومن رواه «جذاء»
بالجيم، أراد منقطعة الدر والخير.
وتحفز بالفناء سكانها: أمجلهم وتسوقهم. وأمر الشئ: صار مُراً. وكدر الماء، بكسر
الدال، ويجوز كدر بضمها. والمصدر من الأول كدراً، ومن الثانى كدورة.
والسئلة، بفتح الميم: البقية من الماء تبقى في الإناء.
والمقلة، بفتح الميم وتسكين القاف: حصاة القسم التي تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى
كل واحد منهم؛ وذلك عند قلة الماء في الفاو، قال:
قَدَفُوا سَيِّدَهُمْ فِي وَرْطَةٍ قَدَفَكَ الْمَقْلَةُ وَسَعَا الْمَعْرُكُ^(١)
والتمزز: تمصص الشراب قليلاً قليلاً. والصديان: العطشان.
ولم ينقع: لم يرو؛ وهذا يمكن أن يكون لازماً، ويمكن أن يكون متعدياً،
تقول: نقع الرجل بالماء، أى روى وشق غليله، ينقع. ونقع الماء الصدى ينقع، أى سكنه.
فأزمعوا الرحيل، أى اعزموا عليه، يقال: أزمعت الأمر، ولا يجوز أزمعت على الأمر؛
وأجازه الفراء.

قوله: «المقدور على أهلها الزوال»، أى السكتوب، قال:
واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الأولى الذي كان سطر

(١) اللسان ١٤ : ١٥٠ ، ونسبه إلى يزيد بن طعمة الخطمي .

أى كتب. والوَلَّةُ المَجَال : الثَّوْقُ الوالمةُ الفاقدةُ أولادَها ، الواحدةُ مَجُولٌ ، والوَلَّةُ : ذهابُ العقلِ وفقدُ التمييزِ .

وهَدِيلُ الحمام : صوتُ نوحه . والجَوَّار : صوتُ مرتفع . والمتَبَقِّل : المنقطعُ عن الدنيا . وانماتُ القلب ، أى ذاب .

وقوله : « ولو لم تبقوا شيئاً من جُهدكم » اعتراضُ فى الكلام .
وأنعمه ، منصوبٌ لأنه مفعول « جزت » .

وفى هذا الكلام تلويح وإشارة إلى مذهب البنداديين من أصحابنا فى أن الثواب على فعل الطاعة غير واجب ؛ لأنه شكر النعمة ، فلا يقتضى وجوبَ ثواب آخر ؛ وهو قوله عليه السلام : « لو انمات قلوبكم انميائاً » ، إلى آخر الفصل .

وأصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك ، بل يقولون : إن الثواب واجب على الحكيم سبحانه ، لأنه قد كلفنا ما يشق علينا ، وتكليف المشاق كالنزول المشاق ، فكما اقتضت الآلام والمشاق النازلة بنا من جهته سبحانه أعواضاً مستحقة عليه تعالى عن إنزالها بنا ، كذلك تقتضى التكليفات الشاقة ثواباً مستحقاً عليه تعالى عن إلزامه إيانا بها ، قالوا : فأما ما سلف من نعمه علينا فهو تفضل منه تعالى ، ولا يجوز فى الحكمة أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر من الأمور ، ثم يلزمه أفعالا شاقة ويجعلها بإزاء ذلك التفضل ؛ إلا إذا كان فى تلك الأمور منافع عائدة على ذلك الحكيم ، فكان ما سلف من المنافع جارياً مجرى الأجرة ؛ كمن يدفع درهما إلى إنسان ليخيط له ثوبا ، والبارئ تعالى منزّه عن المنافع ؛ ونعمه علينا منزّه أن تجرى مجرى الأجرة على تكليفنا المشاق .

وأيضا فقد يتساوى اثنان من الناس فى النعم المنعم بها عليهما ، ويختلفان فى التكليف ،

فلو كان التكليف لأجل ما مضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها . فإن قيل : فعلى ماذا يُحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه إشارة إلى مذهب البغداديين ؟
 قيل : إنه عليه السلام لم يصرح بمذهب البغداديين ؛ ولكنه قال : لو عبدتموه بأقصى ما ينتمى إليه ما وقيتم بشكر أنعمه ؛ وهذا حقٌ غيرٌ مختلف فيه ، لأنّ نعم الباري تعالى لا تقوم العباد بشكرها ، وإن بالغوا في عبادته والخضوع له والإخلاص في طاعته ؛ ولا يقتضى صدق هذه القضية وصحتها صحة مذهب البغداديين في أنّ الثواب على الله تعالى غير واجب ؛ لأنّ التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر النعمة السالفة .

[ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا]

فأما ما قاله الناس في ذم الدنيا وغرورها وحوادثها وخطوبها وتنكرها لأهلها ،
 والشكوى منها ، والعتاب لها والموعظة بها ، وتصرمها وتقاتبها ، فكثير ؛ من ذلك قول بعضهم :
 هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بَمَلٍّ فِيهَا حَدَّارُ حَدَّارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي^(١)
 فلا يفرزكم حُسنُ ابتسامي فَقَوْلِي مُضْجِكُ والفعل مُبْكَ
 وقال آخر :

تَنَحَّ عَنْ الدُّنْيَا وَلَا تَطْلُبْهَا	وَلَا تَخْطُبْنِ قِتَالَةَ مَنْ تَنَاحُ
فَلَيْسَ بِنِي مَرْجُوهاً بِمَخْوفها	وَمَكْرُوهاً إِمَّا تَأْمَلْتَ رَاجِحُ
لَقَدْ قَالَ فِيهَا الْقَائِلُونَ فَأَكْثَرُوا	وَعِنْدِي لَهَا وَصْفٌ لَعْمَرُكَ صَالِحُ
سُلَافٌ ، قُصَّارُهَا دُعَافٌ ، وَمَرْكَبٌ	شَهِيءٌ إِذَا اسْتَلْذَذْتَهُ فَهُوَ جَامِحُ
وَشَخْصٌ بَهِيلٌ يُعْجِبُ النَّاسَ حُسْنُهُ	وَأَكْنَ لَهُ أَفْعَالٌ سُوءٌ قَبَاحُ

(١) لأبي النرج الساوي ، معاهد النصيب ٤ : ٢٤١ .

وقال أبو الطيب :

أَبْدَأُ تَسْتَرِدُّ مَاتَهُبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا^(١)
وَهِيَ مَعشُوقَةٌ عَلَى الْفَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تَقُمْ وَصَلًا
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى
شَيْمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا وَلَا أَدْرِي لَذَا أَنْتَ اسْمُهَا النَّاسُ أَمْ لَا
وقال آخر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَوَارٍ وَالْعَوَارِي مُسْتَرْدَّةٌ^(٢)
شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ

وقال محمد بن هاني المغربي :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا غُلَّاعِينَ قَمُودٌ^(٣) وَثَاوٍ قَرِيحٍ أَلْجَفْنَ يَبْكِي لِرَاحِلٍ^(٤)
فَا الدَّهْرُ إِلَّا كَالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلَا نَحْنُ إِلَّا كَالْفَرُوقِ الْأَوَائِلِ
نُسَاقُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ دَائِمٍ وَنَبْكِي مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ
فَا عَاجِلٌ نَرْجُوهُ إِلَّا كَأَجَلٍ وَلَا آجَلٌ نَحْشَاهُ إِلَّا كَمَا جَلٍ

وقال ابن المظفر المغربي :

دُنْيَاكَ دَارُ غُرُورٍ وَنَعْمَةٌ مُسْتَعَارَةٌ
وَدَارُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَمَكْسَبٍ وَتِجَارَةٍ
وَرَأْسُ مَالِكَ نَفْسٍ نَخَفُ عَلَيْهَا الْخُسَارَةَ

(١) ديوانه ٣ : ١٣١

(٢) محاضرات الأدباء ٢ : ١٢٦ من غير نسبة .

(٣) ديوانه ٥٨٧ (طبعة المعارف) .

وَلَا تَبِعْهَا بِأَكْلِ وَطِيبِ عَرَفٍ وَشَارَةِ
فَإِنَّ مُلْكَ سَلْبَا نَ لَا بَقِيَّ بَشَارَةِ

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْبِرُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الْفَقْرُ وَالْمَدَمُ^(١)
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ غَضَاةٌ إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ^(٢)
وقال أيضاً :

تَمَلَّقْتُ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيَّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحَا أَيَّ إِقْبَالٍ
أَيَا هَذَا تَجَهَّزْ إِيَّاهُ فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
فَلَا بَدَّ مِنْ الْمَوْتِ حَالٍ حَالٍ مِنْ الْحَالِ

وقال أيضاً :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ مَا يَهْدَا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ^(٣)
نَحْنُ فِي دَارٍ يُخْبِرُنَا بِسَلَاها نَاطِقُ لَسِينُ
دَارُ سُوءٍ لَمْ يَدْمِ فَرَحُ لَامِرِي فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسَا كُنَّا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
كُلِّ نَفْسٍ عِنْدَ مَوْتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفْنُ
إِنْ مَالُ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

(١) ديوانه ٢٤٣

(٢) ديوانه ٢١٣

(٣) ديوانه ٢٥٢

وقال أيضاً :

أَلَا إِنَّا كُلُّ بَائِدٍ وَأَيُّ بَنَى آدَمَ خَالِدٌ ^(١)
وَبَدُوهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَىٰ رَبِّهِ عَائِدٌ
فَوَاعْجَبَا كَيْفَ يَعْصِي إِلَّا هُمُ أَمٌ كَيْفَ يَحْجِدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ

وقال الرضى الموسوى :

يَا أَمَنَ الْأَيَّامَ بَادِرُ صَرْفَهَا وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّالِبِينَ حِثَّاتُ ^(٢)
خُذْ مِنْ ثَرَايِكَ مَا اسْتَطَقْتَ فَأَتَمَّا شَرَّ كَاوُكُ الْأَيَّامِ وَالْوَرَاثُ
لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعْشَرٌ نَظَرُوا الزَّمَانَ يَعْثُ فِيهِ فَعَاثُوا
تَحْتُو عَلَىٰ غَيْبِ الْغَنَى يَدُ الْغَنَى وَالْفَقْرُ عَنْ غَيْبِ الْفَقْرِ بِحَاثُ
لِلْمَالِ مَالُ الْمَرْءِ مَا بَلَغَتْ بِهِ الشَّهَوَاتُ أَوْ دُفِعَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ
مَا كَانَ مِنْهُ فَاضِلًا عَنْ قُوَّتِهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مِثْلَ يَرَاثُ
مَالِي إِلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَا حَاجَةٌ فَلْيَجْنِ سَاخِرَ كَيْدِهَا النَّفَاثُ
طَلَّقْتُهَا أَلْفًا لِأَحْسِمَ دَاءَهَا وَطَلَّاقٌ مَنْ عَزَمَ الطَّلَاقَ ثَلَاثُ
وَتَبَّاهَا مَرْهُوبَةٌ وَعِدَّتْهَا مَكْذُوبَةٌ ، وَجَاهِلُهَا أَنْكَاثُ
أَمْ الْمَصَائِبُ لَا تَزَالُ تَرُوعُنَا مِنْهَا ذُكُورُ حَوَادِثٍ وَإِنَاثُ
إِنِّي لَا تَعْجَبُ لِلَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِجِبَائِلِ الدُّنْيَا ، وَهُنَّ رِثَاثُ
كَنَزُوا الْكُنُوزَ وَأَعْلَوْا شَهَوَاتِهِمْ فَالْأَرْضُ تُشْبَعُ وَالْبَطُونُ غِرَاثُ
أَتَرَاهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ التَّقَىٰ أَزْوَادُنَا ، وَدِيَارُنَا الْأَجْدَاثُ

(١) ديوانه ٦٩

(٢) ديوانه لوحة ١٢٣ ، وفيه : « يَا أَمَنَ الْأَيَّامَ » .

وقال آخر :

هذه الدنيا إذا صرّفت وجهها لم تنفع الحيل
وإذا ما أقبلت لعم بصرته كيف يفعل
وإذا ما أدبرت لذكرى غاب عنه السهل والجبل
فهى كاللؤلؤ لا بد دائرة ترمى طورا وتستفل
في زمان صار ثعلبه أسداً واستذاب الحمل
فالذئبى فيه ناصية والنواصي خشم ذل
فاصبري يانفس واحتيلي إن نفس الحر تحتمل

وقال أبو العلي :

نعدّ الشرفيّة والعوالي وتقلنا المون بلا قتال^(١)
ونرتبط السوابق مقرّبات وماينجين من خيب الليالى^(٢)
ومن لم يشقى الدنيا قدما نصيبك في حياتك من حبيب
فصيرت إذا أصابني سهم رماي الدهر بالأرزاء حتى
ولكن لا سبيل إلى الوصال نصيبك في منامك من خيال
فؤادى في غشاء من نبال تكسرت البصال على الفصال
لأنى ما أنفقت يان أبالى وهان فما أبالى بالرزايا
أواخرنا على هام الأوالي يدقن بفضنا بعضا ويمشى
وكم عين مقبلة النواحي كحيل في الجادل والرمال

(١) ديوانه ٣ : ٨٠ ، المشرقية : السيوف ، والعوالي : الرماح .

(٢) المقرّبات من الحيل : الكرام التي تربط لكرامتها على أصحابها .

وَمُنْضٍ كَانَ لَا يُفْضِي لِحُطْبٍ وَبَالٍ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ

وقال أبو العتاهية في أرجوزته المشهورة في ذم الدنيا وفيها أنواع مختلفة من الحكمة :

مَا زَالَتْ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَمْرُوجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى ^(١)
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ يَهَا أَزْوَاجُ لِدَا تَسَاجٍ ، وَلَذَا تَسَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطْلُبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَذَا ضِدَانِ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَاعِدَا يَنْهَمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 حَسْبُكَ يَمَّا تَبْتَسِفِيهِ الْقُوتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ !
 الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 هِيَ الْقَادِيرُ قُلْمِي أَوْ فَذَرُ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
 لِكُلِّ مَا يُوْذِي وَإِنْ قُلِّ أَلَمْ مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ حَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
 مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ دُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 إِنْ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرَبَّ جِدِّ جَرَّةُ الْمَزَاحُ
 مَنْ جَعَلَ النَّوَامَ عَيْنَاهُ هَلَكَا مُبْلَغُكَ الشَّرَّ كِبَاغِيهِ لَكَا
 إِنْ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةُ الْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةُ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرَكُهُ قَدْ يُوْهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَفْسَ عَيْشًا نَاعِمًا فَتَاهُ ^(٢)

(١) ديوانه ٣٤٦ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٢) الديوان : « بقاؤه » ، « فناؤه » .

يَأْرُبَ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجُهِدِهِ قَدْ سَرَّنا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مَقْصِلُ أَكْبَرِهِ
مَنْ لَكَ بِالْمَحْضَرِ وَكُلُّهُ مُتَزَجٌ وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَفْتَلِجُ
عَجِبْتُ وَاسْتَغْفِرُنِي الشُّكُوتُ حَتَّى كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ وَالصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وقال أيضاً :

كُلُّ عَلَى الدُّنْيَا لَهُ حِرْصُ وَالْحَادِثَاتُ أَنَسًا بِهَا قَرِصُ^(١)
وَكَاثٌ مَنْ وَارَوْهُ فِي جَدَثٍ لَمْ يَبْدُ مِنْهُ لِنَاطِرٍ شَخْصُ
يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا زِيَادَتَهَا وَزِيَادَةُ الدُّنْيَا هِيَ النِّقْصُ
لِيَدِ الْمَنِيَّةِ فِي تَلَاطُفِهَا عَنْ ذُخْرِ كُلِّ نَفْسَةٍ فَخْصُ

وقال أيضاً :

أَبْلَغَ الدَّهْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَلٌّ زَادَ فِيهِنَّ لِي مِنَ الْإِبْلَغِ^(٢)
أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَطْيَبَ مِنْ عَيْشِ كَفَافِ قَوْتٍ بِقَدْرِ الْبَلَغِ
غَضِبْتَنِي الْأَيَّامُ أَهْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصَحَّتِي وَفَرَاغِي
صَاحِبُ الْبَغْيِ لَيْسَ بِسَلَمٍ مِنْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ بَنَى كُلُّ بَاغِ
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعْرِضُ مِنْهَا حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسَاغِ

(١) ديوانه ١٣٦ .

(٢) ديوانه ١٦٤ .

وقال ابن المعتز :

خُذْ لِرَبِّي وَذِمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا أَقَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَسْرَإِي !
كُفْتُ يَدِي أَمَلِي عَنْ كُلِّ مُطْلَبٍ وَأَغْلَقْتُ بَابَهَا مِنْ دُونِ حَاجَاتِي

وله أيضاً :

أَلَسْتَ تَرَى يَا صَاحِبَ مَا أَحْبَبَ الدَّهْرَ أَفَذَمًّا لَهُ ، لَكِنَّ لِلْخَالِقِ الشُّكْرَ
لَقَدْ حَبَّبَ الْمَوْتَ الْبَقَاءَ الَّذِي أَرَى فَيَا حَبَّذَا مِنِّي لِمَنْ سَكَنَ الْقَبْرَ
وَشُبَّحَانَ رَبِّي رَاضِيًا بِمُضَاهِيهِ وَكَانَ اتِّقَائِي الشَّرَّ يُغْرِى بِي الشَّرَّ

وله :

قُلْ لَدُنْيَاكَ : قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنِّي فَأَفْعَلِي مَا أَرَدْتُ أَنْ تَفْعَلِي بِي
وَآخِرُ كَيْفَ شَتَّتَ خَرَقَ جَهُولٍ إِنْ عِنْدِي لَكَ اصْطِبَارٌ لَبِيبٌ

وقال أبو العلاء المعري :

وَالدَّهْرُ إِبْرَامٌ وَنَقْضٌ وَتَفَّ رِيْقٌ وَجَمْعٌ وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ (١)
لَوْ قَالَ لِي صَاحِبُهُ سَمِيًّا مَا جَزَتْ عَنْ نَاجِيَةٍ أَوْ بِدِيلٍ

وقال آخر :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يُدْبِرَ أَوْ يُقْبِلَ

وقال أبو الطيب :

فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا طَلَابِي نَجْمُهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شِدْقِ الْأَرَاقِمِ (٢)

(١) سقط الزند ١٦١ .

(٢) ديوانه ٤ : ١١١ . الأرقام : الحيات .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَظَنْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدَ

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رِزْقٌ مَالٍ ، أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

الوزير المهلب :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ^(١)
أَلَا رَحِمَ الْمُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ تَصَدَّقَ بِالْمَمَاتِ عَلَى أَخِيهِ

وله :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَحَدًا أَنَا مِنَ الزَّمَنِ يَبْرِيَنِي مِثْلَ بَرَى الْقِدَحِ بِالسَّفَنِ
لَمْ يَبْقَ بِالْعَيْشِ لِي إِلَّا مَرَارَتُهُ إِذَا تَذَوَّقْتُهُ ، وَالْحُلُو مِنْهُ فِي
لَا تَحْسَبَنَّ نِعَمًا سَرَّكَ صُحْبَتُهَا إِلَّا مِفَاتِيحَ أَبْوَابٍ مِنَ الْحَزَنِ

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَلَا أَيُّهَا الدَّهْرُ الَّذِي قَدْ مَلَنَّهُ سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا سَلَّتْ حَيَاتِي
فَقَدْ وَجَلَّالِ اللَّهِ حَبَّبْتَ جَاهِدًا إِلَيَّ - عَلَى كُرْهِ الْمَمَاتِ - تَمَاتِي

وله :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ مَا بَنَى وَيَسْلُبُ مَا عَطَى وَيُفْسِدُ مَا أَسَدَى
فَمَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا

البحترى .

كَأَنَّ اللَّيَالِيَ أَغْرَيْتَ حَادِثَاتِهَا بِحُبِّ الَّذِي نَأْتِي ، وَبِقَضِ الَّذِي نَهْوَى^(٢)

(١) ابن خلكان ١ : ١٤٢

(٢) ديوانه ١ : ١٠

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَرَ خَفَضَهَا نَعِيًا وَلَمْ يَعْدُدْ مُضَرَّتَهَا بَلَوًى
أبو بكر الخوارزمي:

مَا أَثْقَلَ الدَّهْرَ عَلَى مَنْ رَكِبَهُ
حَدَّثَنِي عَنْهُ لِسَانُ التَّجْرِيبَةِ
لَا تَشْكُرُ الدَّهْرَ خَيْرَ سَبَبَةٍ
فَإِنَّهُ لَمْ يَتِمَّذْ بِالْهَبَةِ
وَأَمَّا أَخْطَا فِيكَ مَذْهَبُهُ
كَالسَّيْلِ قَدْ يَسْقِي مَكَانًا أُخْرَبَهُ
وَالشَّمُّ يَسْتَشْفِي بِهِ مَنْ شَرِبَهُ

وقال آخر:

يَسْعَى الْفَتَى فِي صَلَاحِ الْعَيْشِ مُجْتَهِدًا وَالدَّهْرُ مَا عَاشَ فِي إِفْسَادِهِ سَاعِي
آخر:

يَغُرُّ الْفَتَى مَرُّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً وَهَنْ يَدٍ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ
آخر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ كَلَّا كَلَّهُ أَنَاخَ بَاخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلُقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

آخر:

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ حَالًا مُنْكَرَهُ وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مَا حَيَّرَهُ
لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرْتَهُ كُلُّ مَنْ عَاشَ رَأَى مَا لَمْ يَرَهُ

ابن الرومي:

سَكَنَ الزَّمَانُ وَتَحْتَ سَكَنَتِهِ دَفَعَتْ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالْبَطْشِ

كَأَلْفَمُؤَانٍ تَرَاهُ مُنْبَطِحًا بِالأَرْضِ ثُمَّ يَثُورُ لِلنَّهْشِ

أبو الطيب :

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكْتُ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَإِجْمَالًا^(١)
ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الثَّانِي وَحَاحَتُهُ مَا فَاتُهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْفَالُ

وقال آخر :

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ وَأَيُّ حُرٍّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ لَمْ يَجْرِ أ
عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ لَمْ يَدِرْ

آخر :

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نَحَازِرُهُ فِيمَا يَحْدِثُ كُفْبٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ نَعْقِبْ لَهُ غَيْرَ لَمْ يَبْكْ مَيِّتٌ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِمَوْلُودٍ

آخر :

يَا زَمَانًا أَلْبَسَ الْأَخْرَارَ ذُلًا وَمَهَانَةً
لَسْتُ عِنْدِي بِزَمَانٍ إِنَّمَا أَنْتَ زَمَانُهُ
أَجُنُوتٌ مَا نَرَاهُ مِنْكَ يَبْدُو أَمْ بَحَّانُهُ

الرضي الموسوي :

تَأْبَى اللَّيَالِي أَنْ تُدِيمَا بُؤْسًا تَخْلُقِي أَوْ نَعِيمًا^(٢)
وَالْعَرَّةُ بِالْإِقْبَالِ يَبْ لُمْعُ وَادِعًا خَطَرًا جَسِيمًا
فَإِذَا انْقَضَى إِقْبَالُهُ رَجَعَ الشَّفِيعُ لَهُ خَصِيمًا

(١) ديوانه ٣ : ٢٨٧

(٢) ديوانه لوحة ٦٤

وَهُوَ الزَّمَانُ إِذَا نَبَا سَلَبَ الَّذِي أُعْطِيَ قَدِيمَا
كَالرَّيْحِ تَرْجِعُ عَاصِفَا مِنْ بَعْدِ مَا بَدَأَتْ نَسِيمَا

أبو عثمان الخالدي :

أَلِفْتُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ أَكْبَرَهَا فَمَا أَحَادَى عَلَى أَحَدِهَا الصُّغْرَا
تَزِيدُنِي قَسْوَةَ الْأَيَّامِ طِيبَ نَنَا كَأَنِّي الْمِسْكُ بَيْنَ الْفَهْرِ وَالْحَجَرَا

السري الرفاء :

تَنَكَّدَ هَذَا الدَّهْرُ فِيمَا يَرُومُهُ عَلَى أَنَّهُ فِيمَا تُخَادِرُهُ نَدْبُ^(١)
فَسِيرُ الَّذِي نَرَجُوهُ سِيرٌ مَقِيدُ وَسِيرُ الَّذِي نَخْشَى غَوَائِلُهُ وَنُبُ

ابن الرومي :

أَلَا إِنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبَ جَمَّةً وَأَعْجَبُهَا أَلَا يَشِيبَ وَلِيدُهَا
إِذَا ذَلَّ فِي الدُّنْيَا الْأَعْزَاءُ وَاكْتَسَتْ أَذِلَّتُهَا عِزًّا وَسَادَ مَسُودُهَا
هُنَاكَ فَلَا جَادَتْ سَمَاءٌ بِصَوِيرِهَا وَلَا أَمْرَعَتْ أَرْضٌ، وَلَا اخْضَرَّ عُودُهَا
أَرَى النَّاسَ تَخْشَوْفًا بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُقَلِّبْ عَلَيْهِمْ صَعِيدُهَا
وَمَا اتَّخَفْتُ أَنْ يُلْفَى أَسَافِلُ بِلَدِي أَعَالِيهَا ؛ بَلْ أَنْ يَسُودَ عَيْبُهَا

السري الرفاء :

لَنَا مِنَ الدَّهْرِ خَصْمٌ لَا نَطَالِبُهُ فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ كَفَّتْ نَوَائِبُهُ^(٢)
يَرْتَدُّ عَنْهُ جَرِيحًا مَنْ يُسَالِمُهُ فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهُ مَنْ يَحَارِبُهُ
وَلَوْ أَمِنْتُ الَّذِي تَجْنِي أَرَاقِمُهُ عَلَى هَانَ الَّذِي تَجْنِي عَقَارِبُهُ

(١) ديوانه ٣٦

(٢) ديوانه ٥٤ ، وفيه : « خصم لا نقالبه » .

أبو فراس بن حمدان :

تَصَفَّحْتُ أَحْوََالَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَكُنْ
أَكَلْتُ خَلِيلٍ هَكَذَا غَيْرُ مَنْصِفٍ
إِلَى غَيْرِ شَاكٍ لِلزَّمَانِ وَصُولٌ^(١)
وَكُلُّ زَمَانٍ بِالْكَرَامِ بِجِيلٍ !
ابن الرومي :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ
كَثَلِ الْبَحْرِ يَفْرَقُ فِيهِ حَى
وَيُخَفِّضُ كُلَّ ذِي شَيْمٍ شَرِيفٍ
وَلَا يَنْفَكُ تَطْفُو فِيهِ جَيْفٌ
أَوْ الْمِيزَانَ يَخَفِّضُ كُلَّ وَافٍ
ابن نباتة :

وَأَصْفَرُ عَيْبٍ فِي زَمَانِكَ أَنَّهُ
وَكَيْفَ يُسَرَّ الْحَرْفُ فِيهِ بِمَطْلَبٍ
بِهِ الْعِلْمُ جَهْلٌ ، وَالْعَفَافُ فُسُوقٌ
وَمَا فِيهِ شَيْءٌ بِالسُّرُورِ حَقِيقٌ !

أبو العتاهية :

لَتَجْذِبُنِي يَدُ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا
لِلَّهِ دُنْيَا أَنْاسٍ دَائِبِينَ لَمَّا
إِلَى الْمُنَايَا ، وَإِنْ نَارَغَتْهَا رَسَنِي^(٢)
قَدَارُ نَعَمُوا فِي غِيَاظِ النَّعَى وَالْفَتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رَوَاعٍ تَبْتَغِي سِمَاكَ
وَلَهُ أَيْضًا :

أَنْسَاكَ تَحْيَاكَ الْمَنَا
فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا النَّبَاتَا^(٣)

(١) ديوانه ٣١٥ (نشرة سالى الدهان) .

(٢) ديوانه ٢٨٨

(٣) ديوانه ٥٣ .

وَوَرِثْتَ بِالدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَعَاتَا
وَعَزَمْتَ وَيْكَ عَلَى الْخِيَاةِ وَطَوَّلَهَا عَزْمًا بَقَاتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ - فِيمَنْ قَدْ رَأَى - كَأَنَّا فَمَا تَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِزَّةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا
وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّغْلُتَ مِنْ مَنِيَّتِهِ فَنَاتَا
كُلُّ نَصَبُهُ الْمَنِيَّةُ أَوْ تُبَيِّتُهُ يَبَاتَا

وله :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا ، كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ (١)
تُهَيِّنُ الْكَرِيمِينَ لَهَا بِصُفْرِ
إِذَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَعَهُ
وَتُسَكِّرُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
وَتُخَسِّدُ مَا أَنْتَ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ

وله :

أَلَمْ تَرَ رَبِّبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
أَيَّابَانِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي
أَرَى الْمَرْءَ وَسَّابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
يُنَازِلُ مَا لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ
وَأَيَّ امْرِئٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْتَمِعُ (٢)
وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ
وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا يَحَالَةَ مَصْرَعُ
مَتَى تَنْقِضِي حَاجَاتِ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ

وله :

سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ
سَتُخْرِكَ الْعَالِمَ وَالرُّسُومَ (٣)

(١) ديوانه ٢٨٨

(٢) ديوانه ١٤٤

(٣) ديوانه ٢٤٦

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ التَّفَانِي وَكَمْ قَدْ رَامَ قَبْلَكَ مَا تَرُومُ ا
لْأَمْرِ مَا تَصْرَمَتِ اللَّيَالِي وَأَمْرِ مَا تَقْلَبَتِ النُّجُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَزَمْ عَنْكَ الْمَنَابَا تَنْبَسُ لِلْمَنِيَةِ يَا نَتُومُ
إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمِضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ

حسبنا الله وحده ، وصلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله الطاهرين .

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

فهرس الخطب

صفحة

- ١١٩ - ٤٤ - من كلامه عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية
- ١٥٦ - ٤٥ - من خطبة له في الزهد وتمظيم الله وتصغير أمر الدنيا
- ١٦٥ - ٤٦ - من كلامه عند عزمه على السير إلى الشام
- ١٩٧ - ٤٧ - من كلامه في ذكر الكوفة
- ٢٠٢ - ٤٨ - من خطبة له عند السير إلى الشام أيضا
- ٢١٦ - ٤٩ - من خطبة له في تمجيد الله سبحانه وتحميده
- ٢٤٠ - ٥٠ - من خطبة له يصف فيها وقوع الفتن
- ٢٤٤ - ٥١ - من كلام له لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين
- ٣٣٢ - ٥٢ - من خطبة له في وصف الدنيا ومنعهم من الماء

فهرس الموضوعات

صفحة	
١١ - ٤	بقية ردّ المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
٦٩ - ١١	ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والردّ عليها
٧٣ - ٧٠	بيعة جرير بن عبدالله البجليّ لعلّ
٧٤ - ٧٣	بيعة الأشعث لعلّ
٩١ - ٧٤	دعوة علىّ معاوية إلى البيعة والطاعة وردّ معاوية عليه
١١٥ - ٩١	أخبار متفرقة
١١٧ - ١١٥	مفارقة جرير بن عبدالله البجليّ لمعاوية
١١٨ ، ١١٧	نسب جرير وبعض أخباره
١٢٢ - ١٢٠	نسب بني ناجية
١٢٦ - ١٢٢	نسب علىّ بن الجهم وطائفة من أخباره وشعره
١٢٧	نسب مصقلة بن هبيرة
١٢٧	خبر بني ناجية مع علىّ
١٥١ - ١٢٨	قصة الحرّيت بن راشد الناجي وخروجه علىّ علىّ
١٥٤ ، ١٥٣	فصل بلاغيّ في الموازنة والسجع
١٦٤ - ١٥٤	نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع
١٦٩ - ١٦٦	أدعية علىّ عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية
١٧١ - ١٦٩	كلام لعلّ حين نزل كربلاء
١٨٦ - ١٧١	كلامه لأصحابه وكتبه إلى عماله
١٩٠ - ١٨٨	كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه
١٩٩ ، ١٩٨	فصل في ذكر فضل الكوفة

صفحة

٢٠٢	أخبار علىّ في جيشه وهو في طريقه إلى صفين
٢١٧	فصول في العلم الإلهي
٢٢١ - ٢١٨	الفصل الأول في الكلام على كونه تعالى عالما بالأمور الخفية
٢٢٢ ، ٢٢١	الفصل الثاني في تفسير قوله عليه السلام : « ودأت عليه أعلام الظهور »
٢٢٣ ، ٢٢٢	الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هوية البشر
٢٣٨ - ٢٢٣	الفصل الرابع في نفي التشبيه عنه تعالى
٢٣٩ ، ٢٣٨	الفصل الخامس في بيان أن الجاحد مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه
٢٤٩ - ٢٤٥	الأشعار الواردة في الإباء والأنف من احتمال الضيم
٣١٢ - ٢٤٩	أبابة الضيم وأخبارهم
٣٣١ - ٣١٢	غلبة معاوية على الماء بصفتين ثم غلبة علىّ عاياه بعد ذلك
٣٤٩ - ٣٢٥	ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

دار الجيل
بيروت

مقوق الطبع مءفظة للنكشر

طبعة ثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل الحكيم ، وصلى الله على رسوله الكريم .

ومنها^(١) في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية :
وَمِنْ تَمَامِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتَشْرَفُ أُذُنِهَا ، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا ، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ
سَلِمَتِ الْأَضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ ، وَلَوْ كَانَتْ غَضَبَاءُ الْقَرْنِ تَجَرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسَكِ .

قال الرضى رحمه الله :

وَالْمَنَسَكُ هَاهُنَا : الْمَذْبَحُ .

الْتِشْرُوحُ :

الأضحية : ما يذبح يوم النحر ، وما يجرى مجراه أيام الذئريق من النعم . واستشراف
أذنها : انتصابها وارتفاعها ، أذن شرفاء أى منتصبه .
والمضباء : المكسورة القرن . والى تجرّ رجلها إلى المنسك ، كفاية عن المرء جاء ،
ويجوز للمنسك ، بفتح السين وكسرها .

[اختلاف الفقهاء فى حكم الأضحية]

واختلف الفقهاء فى وجوب الأضحية ، فقال أبو حنيفة : هى واجبة على المّيعمين من أهل

(١) تمة الخطبة الثانية والحمدين ؛ الجزء السابق ص ٣٣٣ .

الأمصار ، ويعتبر في وجوبها النصاب ، وبه قال مالك والثوري ؛ إلا أن مالكا لم يعتبر الإقامة .

وقال الشافعي : الأضحية سنة مؤكدة ، وبه قال أبو يوسف ومحمد وأحمد .

واختلفوا في العمياء ؛ هل تجزئ أم لا ؟ فأكثر الفقهاء على أنها لا تجزئ ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل يقتضي ذلك ؛ لأنه قال : إذا سلمت العين سلمت الأضحية ، فيقتضي أنه إذا لم تسلم العين لم تسلم الأضحية . ومعنى انتفاء سلامة الأضحية انتفاء أجزائها .

وحكى عن بعض أهل الظاهر أنه قال : تجزئ العمياء .

وقال محمد بن النعمان المعروف بالمفيد رضى الله تعالى عنه ، أحد فقهاء الشيعة في كتابه المعروف " بالمفنة " : إن الصادق عليه السلام سئل عن الرجل يهْدِي الهدى أو الأضحية وهي سمينة ، فيصيبها مرض ، أو تفقأ عينها أو تنكسر ، فتبلغ يوم النحر وهي حية ، أن تجزئ عنه ؟ فقال : نعم .

فأما الأذن ، فقال أحمد : لا يجوز التضحية بمقطوعة الأذن ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي ذلك . وقال سائر الفقهاء : تجزئ إلا أنه مكروه .

وأما العضباء ، فأكثر الفقهاء على أنها تجزئ ، إلا أنه مكروه ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي ذلك ، وكذلك الحكم في الجُلحاء ، وهي التي لم يخلق لها قرن ، والقَصماء : وهي التي انكسر غلاف قرنها ، والشرقاء : وهي التي انتبث أذنهما من الكلى ، والغرقاء : وهي التي شقت أذنهما طولا .

وقال مالك : إن كانت العضباء يخرج من قرنها دم لم تجزئ .

وقال أحمد والشافعي : لا يجوز التضحية بالعضباء .

— ٥ —

فأما العرجاء التي كفى عنها بقوله : « تجرّ رجلها إلى المنسك » ؛ فأكثر الفقهاء على أنها لا تجزئ ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي أنها تجزئ . وقد نقل أصحاب الشافعيّ عنه في أحد قوليه : أن الأضحية إذا كانت مريضة مرضا يسيرا أجزأت . وقال الماورديّ من الشافعيّة في كتابه المعروف بـ « الحاوي » : إن عجزت عن أن تجرّ رجلها خُلقةً أجزأت ، وإن كان ذلك عن مرض لم تجزئ .

(٥٣)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة :

الأصل :

فَتَدَاكُّوْا عَلَى تَدَاكِّ الْإِبِلِ الْيَهُمِ يَوْمَ وِرْدِهَا ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا ، وَخُلِعَتْ
مَثَانِيهَا ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ
نَظْنُهُ وَظَهَرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ ، فَمَا وَجَدْتُ نِيَّ يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ
بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَانَتْ مُعَاجِلَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ مُعَاجِلَةِ الْعِقَابِ ،
وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ .

الشرح :

تدَاكُّوا : ازدحموا . واليهيم : العطاش . ويوم وِرْدِهَا : يوم شربها الماء . والثاني :
الحبال ، جمع مَثْنَاءَ وَمِثْنَاءَ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ، وهو الحبل .
وجهاد البُغَاة واجب على الإمام ، إذا وجد أنصارا ، فإذا أخلَّ بذلك أخلَّ بواجب ،
واستحقَّ العقاب .

فإن قيل : إنه عليه السلام قال : « لم يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم » ؛ فكيف يكون تارك الواجب جاحداً لما جاء به النبي صلى الله
عليه وآله !

قيل : إنه في حكم الجاحد ؛ لأنه مخالف وعاصٍ ؛ لاسيما على مذهبنا في أن تارك
الواجب يخلد في النار وإن لم يحد النبوة .

[بيعة على وأمر المتخلفين عنها]

اختلف الناس في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، فالذى عليه أكثر الناس وجمهور أرباب السيرة أن طلحة والزبير بايعاه طائعتين غير مكرهين ، ثم تغيرت عزائمهما ، وفسدت نيتهما ، وغدرا به .

وقال الزبيريون ، منهم عبد الله بن مصعب ، والزبير بن بكار وشيعتهم ومن وافق قولهم من بني تميم بن مرة ، أرباب العصبية لطلحة : إيهما بايعا مكرهين ، وإن الزبير كان يقول : بايعتُ واللج على قتي ، واللج سيف الأشر ، وقفي لفة هذلية ؛ إذا أضافوا المقصور إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء ، وأدغموا إحدى الياءين في الأخرى ؛ فيقولون : قدوافق ذلك هوى ، أى هوى ، وهذه عصي ، أى عصا .

وذكر صاحب^(١) كتاب " الأوائل " أن الأشر جاء إلى على عليه السلام حين قتل عثمان ، فقال : قم فبايع الناس ، فقد اجتمعوا لك ، ورغبوا فيك ؛ والله لئن تكلمت عنها لتعصرن عليها عينيك مرة رابعة ، فجاء حتى دخل بئر سكن ، واجتمع الناس ، وحضر طلحة والزبير ، لا يشك أن الأمر شورى ، فقال الأشر : أنتظرون أحدا قم ياطلحة فبايع ، فتعاس ، فقال : قم يا بن الصعبة - وسل سيفه - فقام طلحة يجرّ رجله ؛ حتى بايع ، فقال قائل : أول من بايعه أشل لا يتم أمره ، ثم لا يتم ، قال : قم يا زبير ، والله لا ينازع أحد إلا وضربت قرطه بهذا السيف ، فقام الزبير فبايع ؛ ثم انثال الناس عليه فبايعوا .

وقيل : أول من بايعه الأشر ، ألقى خيصة كانت عليه ، واخترط سيفه ، وجذب يد على عليه السلام فبايعه وقال للزبير وطلحة : قوما فبايعا ؛ وإلا كنما اليلة عند عثمان ، فقاما يعثران في ثيابهما لا يرجوان نجاة ، حتى صفا بأيديهما على يده ، ثم قام بعدهما البصريون ؛

(١) هو أبو هلال العسكري .

وأولهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ، فبايعوا . وقال له عبد الرحمن :
خُذْهَا إِلَيْكَ وَاغْلِظْ أَبَا حَسَنٍ أَنَا نُيِّرُ الْأَمْرَ لِإِمْرَارِ الرَّسَنِ
وقد ذكرنا نحن في شرح الفصل^(١) الذى فيه أن الزبير أقر بالبيعة ، وادعى الوليعة
أن بيعة أمير المؤمنين لم تقع إلا عن رضا جميع أهل المدينة ، أولهم طلحة والزبير ، وذكرنا
في ذلك ما يبطل رواية الزبير .

وذكر أبو مخنف في كتاب " الجبل " ، أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وآله ، لينظروا من يولونه أمرهم ، حتى غص المسجد بأهله ، فاتفق رأى عمار
وأبى الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن عجلان وأبى أيوب خالد بن يزيد على
إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ، وكان أشدهم تهالكا عليه عمار ، فقال لهم :
أيها الأنصار ، قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه ، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله
إن لم تنظروا لأنفسكم ، وإن عايا أولى الناس بهذا الأمر ، لفضله وسابقته ، فقالوا : رضيينا
به حينئذ ، وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين : أيها الناس ، إنا لن نألوكم
خيرا وأنفسنا إن شاء الله ، وإن علينا من قد علمتم ، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر
منه ، ولا أولى به . فقال الناس بأجمعهم : قد رضيينا ، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل .
وقاموا كلهم ، فأتوا عليا عليه السلام ، فاستخرجوه من داره ، وسألوه بسط يده ، فقَبَضَهَا
فتدأكوا عليه تداك الإبل الهيم على وِردِها ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا ؛ فلما رأى منهم
ما رأى ، سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس . وقال : إن كرهنى رجل واحد
من الناس لم أدخل في هذا الأمر .

فنهض الناس معه حتى دخل المسجد ، فكان أول من بايعه طلحة . فقال قبيصة بن
ذؤيب الأسدى : تخوفت ألا يتم له أمره ، لأن أول يد بايعته شلاء ، ثم بايعه الزبير ،

(١) الجزء الأول س ٢٣٠ ، الوليعة : الأمر يسر ويكتم .

وبايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وسعد ابن أبي وقاص ، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن سلام .

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر ، فقال له : بايع ، قال : لا أباع حتى يبائع جميع الناس ، فقال له عليه السلام : فأعطني حِمِيلاً أَلَا تبرح ، قال : ولا أعطيك حِمِيلاً ، فقال الأشر : يا أمير المؤمنين ؟ إنَّ هذا قد أَمِنَ سَوطَكَ وسيفَكَ ، فدَعْنِي أضرب عنقه ، فقال : لست أريد ذلك منه على كُرْهِه ، خَلُّوا سَبِيلَهُ ، فلما انصرف قال أمير المؤمنين : لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق ، وهو في كِبَرِهِ أسوأ خُلُقاً .

ثم أتى بسعد بن أبي وقاص ، فقال له بايع ، فقال : يا أبا الحسن خَلِّني ، فإذا لم يبق غيري بامتكت ، فوالله لا يأتيك مِنِّي قَلِيٌّ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ أبداً ، فقال : صدق ، خَلُّوا سَبِيلَهُ . ثم بعث إلى محمد بن مسلمة ، فلما أتاه قال له : بايع ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَنِي إذا اختلف الناس وصاروا هكذا - وشَبَّكَ بين أوصابه - أن أخرج بسيفي فأضرب به عُرْضَ أَحَدٍ فإذا تَقَطَّعَ أَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَسَكَنْتُ فِيهِ لَا أَرْحَهُ حَتَّى تَأْتِيَنِي يَدُ خَاطِيَةِ ، أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ . فقال له عليه السلام : فانطلق إذاً ، فكن كما أَمَرْتُ به .

ثم بعث إلى أسامة بن زيد ، فلما جاء قال له : بايع ، فقال : إني مولاك ولا خلاف مني عليك ، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس . فأمره بالانصراف ، ولم يبعث إلى أحد غيره .

وقيل له : ألا تبعث إلى حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام ؟ فقال : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا .

فأما أصحابنا فإنهم يذكرون في كتبهم أنَّ هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به .

لما نذهبهم إلى الشخص معه لحرب أصحاب الجبل ، وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة ، وإنما تخلفوا عن الحرب .

وروى شيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى في كتاب "الفرر" ، أنهم لما اعتذروا إليه بهذه الأعذار ، قال لهم : ما كل مفتون يعاتب ، أعندكم شك في بيعتي ؟ قالوا : لا ، قال : فإذا بايعتم فقد قاتلتم . وأعفاهم من حضور الحرب .

فإن قيل : رويتم أنه قال : إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر ، ثم رويتم أن جماعة من أعيان المسلمين كرهوا ولم يقف مع كراهتهم .

قيل : إنما مراده عليه السلام أنه متى وقع الاختلاف قبل البيعة نفضت يدي عن الأمر ولم أدخل فيه ، فأما إذا بويع ثم خالف ناس بعد البيعة ، فلا يجوز له أن يرجع عن الأمر ويتركه ؛ لأن الإمامة تثبت بالبيعة ، وإذا ثبتت لم يبرأ له تركها .

وروى أبو مخنف عن ابن عباس ، قال : لما دخل علي عليه السلام المسجد ، وجاء الناس ليبايعوه خفت أن يتكلم بعض أهل الشنآن لعلي عليه السلام ممن قتل أباه وأخاه ، أو ذا قرابته في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزهد علي في الأمر ويتركه ، فكنيت أرصد ذلك واتخوفه ، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين .

لما بايع الناس عليا عليه السلام ، وتخلف عبد الله بن عمر ، وكله علي عليه السلام في البيعة فامتنع عليه ، أتاه في اليوم الثاني ، فقال : إني لك ناصح ، إن بيعتك لم يرض بها كلهم ، فلو نظرت لديك ورددت الأمر شورى بين المسلمين ! فقال علي عليه السلام : ويحك ! وهل ما كان عن طلب مني له ! ألم ييلفك صنيعهم ؟ قم عني يا أحمق ، ما أنت وهذا الكلام !

فلما خرج أنى عليا فى اليوم الثالث آتٍ ، فقال : إن ابن عمر قد خرج إلى مكة يفسد
الناس عليك ، فأمر بالبعث فى أثره ، فجاءت أم كلثوم ابنته ، فسأله وضربت إليه فيه ،
وقالت : يا أمير المؤمنين ، إنما خرج إلى مكة ليقيم بها ، وإنه ليس بصاحب سلطان ولا هو
من رجال هذا الشأن ، وطلبت إليه أن يقبل شفاعتها فى أمره ؛ لأنه ابنُ بعلمها . فأجابها
وكفَّ عن البعثة إليه ، وقال : دعوه وما أرادوه .

(٥٤)

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين .

الأبطل :

أَمَّا قَوْلُكُمْ : « أَكُلْ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ » فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي ؛ دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ
أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ
يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ قَتَمَتْنِي بِي ، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي ، فَهُوَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَتَائِيهَا .

الْبَشْرُج :

من رواه : « أَكُلْ ذَلِكَ » بالنصب فمفعول فعل مقدر ، أى تفعل كل ذلك ، وكراهية
منصوب لأنه مفعول له ومن رواه « أَكُلْ ذَلِكَ » بالرفع أجاز في « كراهية » الرفع والنصب ،
أما الرفع فإنه يجعل « كل » مبتدأ ، وكراهية خبره ؛ وأما النصب فيجعلها مفعولاً له كما قلنا
في الرواية الأولى ، ويجعل خبر المبتدأ محذوفاً ، وتقديره : أَكُلْ هَذَا مَفْعُولُ أَوْ تَفْعَلُهُ كَرَاهِيَةَ
لِلْمَوْتِ أَيْ أَقْسَمُ أَنَّهُ لَا يَبَالِي أَنْ يَمْرُضَ هُوَ لِلْمَوْتِ حَتَّى يَمُوتَ ، أَمْ جَاءَهُ الْمَوْتُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَمْرُضَ لَهُ .

وعشا إلى النار يَعْشُو : استدل عليها ببصر ضعيف ، قال :

مَتَى تَأْتِيهِ نَارُهُ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مُوقِدٍ (١)

(١) للحطبة ، ديوانه ٢٥

وهذا الكلام استعارة ، شبه مَنْ عساه يلحق به من أهل الشام بمن يعشو ليلاً إلى النار ؛ وذلك لأن بصائر أهل الشام ضعيفة ؛ فهم من الاهتداء بهداء عليه السلام كمن يعشو ببصرٍ ضعيف إلى النار في الليل ، قال : ذاك أحبّ إلى من أن أقتلهم على ضلّهم ، وإن كنتُ لو قتلهم على هذه الحالة لباءوا بآثامهم ، أي رجعوا ، قال سبحانه : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ ^(١) أي ترجع .

[من أخبار يوم صفين]

لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة ، رجاء أن يعطفوا إليه ، واستمالة لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم ، مكث أياماً لا يُرسل إلى معاوية ، ولا يأتيه من عند معاوية أحدٌ ، واستبطأ أهل العراق إذنه لم في القتال ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، خلفنا ذرائعاً ونساءنا بالكوفة ، وجئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطناً ، انذن لنا في القتال ، فإنّ الناس قد قالوا . قال لهم عليه السلام : ما قالوا ؟ فقال منهم قائل : إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهيةً للموت ، وإن من الناس من يظن أنّك في شكٍّ من قتال أهل الشام . فقال عليه السلام : ومتى كنتُ كارهاً للحرب قطّ ! إنّ من العجب حُبِّي لها غلاماً ويَقَعَا ، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر وقرب الوقت ! وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة ، والله لقد ضربتُ هذا الأمر ظهراً وبطناً ، فما وجدت بسعني إلا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ، ولكنني أستاذني بالقوم ، عسى أن يهتدوا أو تهتدى منهم طائفة ، فإن

(١) سورة المائدة ٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خير: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس .

قال نصر بن مزاحم: حدثنا^(١) محمد بن عبيد الله عن الجرجاني ، قال : فبعث علي عليه السلام إلى معاوية بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الحمداني وشبث ابن الربيع التميمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه [إلى الله عز وجل ، و]^(٢) إلى الطاعة والجماعة ، وإلى اتباع أمر الله سبحانه . فقال له شبث : يا أمير المؤمنين ، ألا نطمعه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثر عندك إن هو بايعك ؟ فقال : ائتوه الآن والقوه واجتجوا عليه ، وانظروا مارأيه في هذا^(٣) .

فأتوه فدخلوا عليه ، فحمد أبو عمرو بن محصن الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد يا معاوية فإن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدمت يدك ، وإنني أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة ، وألا تسفك دماءها بينها . فقطع معاوية عليه السلام وقال : فهلا أوصيت صاحبك ؟ فقال : سبحان الله ! إن صاحبي لا يوصي ، إن صاحبي ليس مثلك ، صاحبي أحق الناس بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقربة من الرسول . قال معاوية : فتقول ماذا ؟ قال : أدعوك إلى تقوى ربك ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دينك ، وخير لك في عاقبة أمرك . قال : ويطلق دم عثمان ! لا والرحمن لا أفعل ذلك أبدا .

(١) صفين ٢٠٩ وما بعدها

(٢) تكملة من صفين .

(٣) صفين : « وانظروا مارأيه - وهذا في شهر ربيع الآخر - مأتوه » .

فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبدره شَبَث بن الرَبِيع ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
يامعاوية ، قد فهمتُ ماردَدْتُ على ابنِ مُحْصَن ؛ إنه لا يخفى علينا ماتقرّ وما تطلب ،
إنك لا تجدُ شيئاً تستغوي به الناس ، ولا شيئاً تستميل به أهواءهم ؛ وتستخلص به طاعتهم
إلا أن قلتَ لهم : قُتِلَ إمامُكم مظلوماً ، فهلمُّوا تطلب بدمه ؛ فاستجاب لك سفهاء طغام
رُدَّال ، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ؛ لهذه المنزلة التي تطلب ؛
وربّ مبتغى أمراً ، وطالب^(١) له يحولُ الله دونه ، وربّما أوتى التمتُّى أمنيته ، وربّما لم يؤتِها ،
ووالله مَالِكٌ في واحدةٍ منهما خير ؛ والله لئن أخطأك ماترَجُّو إياك كثرُ العربِ حالا ، ولئن
أصبت ماتمتنما لا نصيبه حتى تستحقَّ صِلَى النار ؛ فاتق الله يامعاوية ، ودع ما أنت عليه ،
ولا تنازع الأمر أهله .

فحيد معاوية الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد فإنَّ أولَ ما عرفتُ به سفهك وخفه حِلْمُك قطعك على هذا الحسيب
الشرِيف سيّد قومه منطقته . ثم عتبتَ بمدُّ فيما لا علم لك به ، واقد كذّبت ولوُمت^(٢)
أيها الأعرابي الجلف الجاني في كلِّ ما وصفت [وذكرت]^(٣) . انصرفوا من عندي
فإنّه ليس بيني وبينكم إلا السيف .

وغضب . فخرج القوم وشبّث يقول : أعلينا شهول بالسيف ! أما والله لنعجلّنه إليك ،
[فأتوا عليا عليه السلام ، فأخبروه بالذي كان من قوله ، وذلك في شهر ربيع الآخر]^(٤) .
قال نصر : وخرَجَ قراء أهلِ العراق ، وقراء أهل الشام فمكروا ناحية صِغِينَ
ثلاثين ألفا .

(١) صغين : « وطالبه » .

(٢) صغين : « ولويت » .

(٣) تكملة من صغين .

قال : وعسكر على عليه السلام على الماء ، وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضا ، ومشت القراء فيما بين علي عليه السلام ومعاوية ، منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وعبد الله بن عتبة ، وعامر بن عبد القيس - وقد كان في بعض تلك السواحل - فانصرف إلى عسكر على عليه السلام ؛ فدخلوا على معاوية فقالوا : يا معاوية ، ما الذي تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، قالوا : بمن تطلب بدم عثمان ؟ قال : أطلبه من علي ، قالوا : وعلي قتله ؟ قال : نعم هو قتله ، وآوى قتلته ، فانصرفوا من عنده فدخلوا على علي عليه السلام ؛ فقالوا : إن معاوية يزعم أنك قتلت عثمان ، قال : اللهم لكذب فيما قال ، لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه ، فقال لهم : إنه إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالاً ، فرجعوا إلى علي فقالوا : إن معاوية يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيده ، فقد أمرت ومالاً علي قتل عثمان ، فقال : اللهم لكذب فيما قال ، فرجعوا إلى معاوية ، فقالوا : إن علي يزعم أنه لم يفعل ، فقال معاوية : إن كان صادقاً فليُقتلنا^(١) من قتلة عثمان ، فإنهم في عسكره وجنده وأصحابه وعصده . فرجعوا إلى علي عليه السلام ، فقالوا : إن معاوية يقول لك : إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكناً منهم ، فقال لهم : إن القوم تأولوا عليه القرآن ، ووقعت الفرقة ، فقتلوه في سلطانه ، وليس على صرهم قود ؛ تخفصم^(٢) علي معاوية .

قلت : على صرهم هاهنا ، على مثلهم ؛ يقال : زيد ضرب عمرو ومن ضرب به ، أي مثله ومن صنفه ، ولا أدري لم عدل عليه السلام عن الحجة بما هو أوضح من هذا الكلام ؛ وهو أن يقول : إن الذين باشروا قتله بأيديهم كانوا اثنين وهما قتيبة بن وهب وسودان ابن مهران ، وكلاهما قتل يوم الدار ، قتلهم معاوية عثمان ، والباقون الذين هم جندي وعصدي

(٢) خصمه ، أي غلبه بالحجة .

(١) صنفين : « فليكننا »

كما تزعمون ، لم يقتلوا بأيديهم ؛ وإنما أغروا به ، وحصلوه وأجلبوا عليه ، وهجموا على داره ، كمحمد بن أبي بكر والأشتر وعمرو بن الحقيق وغيرهم ؛ وليس على مثل هؤلاء قود - قال نصر : فقال لهم معاوية : إن كان الأمر كما تزعمون ؛ فلم ابتز الأمر^(١) دوننا على غير مشورة منا ولا بمن هاهنا معنا ؟ فقال على عليه السلام : إن الناس تبع المهاجرين والأنصار ، وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولايتهم وأمرائهم ، فرضوا بى وبايعونى ، ولست أستحل أن أدع ضرب^(٢) معاوية يحكم بيده على الأمة ويركبهم ويشق عصامهم . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك ، فقال : ليس كما يقول ، فما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ويؤامروا فيه^(٣) !

فانصرفوا إلى على عليه السلام ، فأخبروه بقوله ، فقال : ونحكم هذا للبدرين دون الصحابة ، ليس في الأرض بدري إلا وقد بايعنى وهو معى ، أو قد قام ورصى ، فلا يفرتكم معاوية من أنفسكم ودينكم .

قال نصر : فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر : ربيع الآخر ، وجمادىين ؛ وهم مع ذلك يفرعون الفرعة فيما بينهما ، فيزحف بعضهم إلى بعض ، وتحجز القراء بينهم . قال : فرعوا في ثلاثة أشهر خمسا وثمانين فرعة ؛ كل فرعة يزحف بعضهم إلى بعض ، وتحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال .

قال نصر : وخرج أبو أمامة الباهلي وأبو الدرداء ، فدخلا على معاوية - وكان معه - فقالا : يا معاوية ، علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله لو أقدم منك إسلاما^(٤) ، وأحق بهذا

(١) صفين : « قاله امر الأمر دونا » ؟

(٢) ضرب معاوية : شبيهه .

(٣) للؤامرة : المشاورة ، وفى صفين : « يؤامروه » .

(٤) صفين : « سلما » ، وما يعنى .

الأمر ؛ وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعلام تقتلته ؟ فقال : أقاتله على دَمِ عثمان ، وأنه آوى قتلته ، فقولوا له : فَلْيَقِدْنَا مِنْ قَتْلَتِهِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . فانطلقوا إلى عليّ عليه السلام فأخبروه بقول معاوية ، فقال : إنما يطلب الذين تَرَوْنَ ، فخرج عشرون ألفاً أو أكثر متسربلين الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الحديد ، فقالوا : كَلْنَا قَتْلَهُ ؛ فَإِنْ شَاءُوا فَلْيَرَوْمُوا ذَلِكَ مَتَا . فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال . قال نصر : حتى إذا كان رجب ، وخشي معاوية أن يتابع القراء عليّاً عليه السلام ، أخذ في المسكر ، وأخذ يحتال للقراء لكيما يُجْجَمُوا ويكفُّوا حتى ينظروا .

قال : فكتب في سهم : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِح ؛ إني أخبركم أن معاوية يريد أن يُفَجِّرَ عليكم الفرات فيفترقكم ، فخذوا حذرکم . ثم رمى بالسهم في عسكر عليّ عليه السلام ، فوقع السهم في يد رجل فقراء ثم أقرأه صاحبه ، فلما قرأه وقرأته الناس وأقرأه مَنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، قالوا : هذا أخ لنا ناصح ؛ كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية ؛ فلم يزل السهم يُقرأ ويرتفع حتى رُفِعَ إلى عليّ عليه السلام ؛ وقد بعث معاوية مائتي رجل من العَمَلَةِ إلى عاقول^(١) من النهر ، بأيديهم الرور والزبل^(٢) يحفرون فيها بحمال عسكر عليّ عليه السلام . فقال عليّ عليه السلام : ويحكم إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ، ولا يقوى عليه ؛ إنما يريد أن يُزِيلَ بِلَكم عن مكانكم ؛ فأنهوا عن ذلك ، فقالوا له : لا ندعهم والله يحفرون ، فقال عليّ عليه السلام : لا تكونوا ضَعْفَى ، ويحكم ! لا تغلبوني على رأيي . فقالوا : والله لنرتحلن ، فإن شئت فارتحل ، وإن شئت فأقم ؛ فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم ملياً ، وارتحل عليّ عليه السلام في أخريات الناس ، وهو يقول :

(١) عاقول النهر : ما عوج منه

(٢) الرور : جمع مر ؛ وهو المسحاة . والزبل : جمع زبيل وهو القفة .

فَلَوْ أَنِّي أُطِيتُ عَصْتُ قَوْمِي إِلَى رَكْنِ الْيَمَامَةِ أَوْ شِمَامٍ^(١)
وَلَكِنِّي مَتَى أَبْرَمْتُ أَمْرًا مُنِيتُ بِخُلْفِ آرَاءِ الطُّغَامِ

قال : وارحل معاوية حتى نزل معسكر علي عليه السلام الذي كان فيه، فدعا علي عليه السلام الأشتر ، فقال : ألم تغلبني على رأيي^(٢) أنت والأشعث ! فدونكما. فقال الأشعث : أنا أ كفيك يا أمير المؤمنين، سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك، فجمع كِنْدَةَ فقال لهم : يا معشر كِنْدَةَ ، لا تفضحوني اليوم ولا تُخزوني ؛ فإنني إنما أقارع بكم أهل الشام ، فخرجوا معه رجاله يمشون، ويبيده رمح له يلقيه على الأرض، ويقول : امشوا قيد رمحي هذا، فيمشون، فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ، و يمشون معه رجاله حتى لقي معاوية وسط بني سُليمان واقفا على الماء ، وقد جاءه أداني عسكره، فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعة، وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، وأقبل الأشتر في خيل من أهل العراق ، فحمل على معاوية، والأشعث يحارب في ناحية أخرى؛ فانحاز معاوية في بني سليم ، فردّ وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ، ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالمهم ، والأشعث يهدر ويقول : أَرْضَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ثم تمثل بقول طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ :

فَفُتِدَاءَ لَبْنِي سَعْدٌ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ^(٣)
مَا أَقَلَّتْ قَدَمَايَ لَانْتَهُمَ نِعَمَ السَّاعُونَ فِي الْحَيِّ الشُّطْرِ^(٤)
وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتِبًا فَعَقَّبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرِ مُرٍّ^(٥)

(١) صفين : « عصبت قومي » . وشمام : جبل لباهلة .

(٢) صفين : « على رأي » ، والرأي والرأي بمعنى .

(٣) ديوانه ٧٢ وروايته : « لبني قيس ... من سر وضر »

(٤) الشطر : جمع شطير ؛ وهو الفريش البعيد

(٥) عاتبا : واجدا ، وعقبتم ، أي جدمتم عقب ذلك . ومر : فقيض حلوا ؛ قال شارح الديوان : « أي

عقبتم عني عليكم بمطاء حلوا » .

كفت فيكم كالمنطى رأسه فانجلى اليوم قنأى وخز^(١)
سادرأ أحسب غي رَشْدًا فتناهيت وقد صابت بقر^(٢)

وقال الأشتر : يا أمير المؤمنين؛ قد غلب الله لك على الماء، فقال على عليه السلام : أنما
كما قال الشاعر :

تلاوين قيساً وأشياءه فيوقد للحرب نارا فئارا
أخو الحرب إن لقيت بازلا سما للعلأ وأجل الخطارا^(٣)

قال نصر : فكان كل واحد من على ومعوية يُخرج الرجل الشريف في جماعة ،
فيقاتل مثله ؛ وكانوا يكرهون أن يتزاحفوا بجميع القليل مخافة الاستئصال والهلاك ، فالتقتل
الناس ذاك الحجة كله ، فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن
ينقضى الحرم ؛ لعل الله أن يجري صلحا أو إجماعا ، فكفت الناس في الحرم بعضهم
عن بعض .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن أبي الجاهد عن الحل بن خليفة ، قال ^(٤) : لما
توادعوا في الحرم ، اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح ، فأرسل على عليه
السلام إلى معاوية عدى بن حاتم الطائى وشبث بن ربعى التميمى وزيد بن قيس وزيد
ابن خصفة ، فلما دخلوا عليه ، حمد الله تعالى عدى بن حاتم الطائى وأثنى عليه ،
ثم قال :

أما بعد ، فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله فيه كلمتنا وأمتنا ، ويحمن به دماء

(١) المنطى : اسم فاعل من التغطية . وانجلى : انكشف . وخز : جمع خمار .

(٢) السادر : الذى لا يهتم ولا يبال ماصنع . وتناهيت ، أى انتهيت من سفهى .

(٣) البعير البازل : الذى طعن فى التاسعة ، والخطار : الخطارة .

(٤) صنفين ٢٢١ ، تاريخ الطبرى ٥ : ٥

للمسلمين . ندعوك إلى أفضل الناس سابقة ، وأحسنهم في الإسلام آثارا ؛ وقد اجتمع إليه ^(١) الناس ، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا وآتوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير مَنْ معك ؛ فانت يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل .

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مُهدّدا ، ولم تأت مصلحا ! هيهات يا عدى ! إني لابنُ حرب ! ما يُقَعِّعُ لي بالشَّنان ^(٢) . أما والله إنك من الجلبين على عثمان ، وإنك لمن قتلتَه ؛ وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله .

فقال له شُبَيْث بن رِبعيّ وزِيَاد بن خَصَفَة ، وتنازما كلاما واحدا : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلتَ تضرب لنا الأمثال ؛ دع ما لا ينفعُ من القول والفعل ؛ وأجبنا فيما يعمئنا وإياك نفعه .

وتكلمَ يزيد بن قيس الأرحبيّ ، فقال : إنا لم نأتِكَ إلا لنبلِّغَكَ ما بعثنا به إليك ، ولنؤدِّيَ عنك ما سمعنا منك ؛ ولم ندعُ أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حُجَّة ، أو أنه راجع بك إلى الألفَة والجماعة إن صاحبنا مَنْ قد عرَفَتْ وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ؛ إن أهلَ الدين والفضل لا يعدُّونك بعلى ، ولا يميلون ^(٣) بينك وبينه ، فانقِ الله يا معاوية ولا تخالف عليا ؛ فإننا والله ما رأينا رجلا قطّ أعملَ بالتموى ، ولا أزهَد في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه .

فخمد الله معاوية وأثنى عليه ؛ وقال : أما بعد ، فإنكم دعوتُم إلى الجماعة والطاعة ؛ فأما الجماعة التي دعوتُم إليها فَنِعِمّا هي ! وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لانراها ؛ إن صاحبكم قتل خليفةنا ، وفرّق جماعةنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ؛ وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ؛ فنحن

(١) صفين : « اجتمع له الناس » . الطبري : « استجمع له الناس » .

(٢) الشَّنان : جمع شَن ؛ وهو القربة الخلق ؛ كانوا يحركونها للابل إذا أرادوا حثها على السير ؛ والكلام على التمثيل .

(٣) التمثيل : الترجيح بين الشيئين .

لا نرد ذلك عليه أرايتم قتلةً صاحبنا ! ألسنتم تعلمون أنهم أصحابُ صاحبكم ؛ فايدفعهم إلينا فلنقتلهم به ؛ ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شُبَّان بن رِبْعَى : أيسرك بالله يا معاوية أن أمكنك من عمار بن ياسر فقتلته ! قال : وما يمنعني من ذلك ! والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سُمَيَّة ما قتلتاه بعثمان ؛ ولكني كنت أقتله بنائل مولى عثمان !

فقال شُبَّان : وإله السماء ما عدت معدلاً ، ولا والذي لا إله إلا هو : لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تُنذِرَ الهامُ عن كواهل الرجال ، وتضيق الأرضُ الفضاء عليك برُحْبها .

فقال معاوية : إنه إذا كان ذلك كانت عليك أضيَق .

ثم رجع القوم عن معاوية ، فبعث إلى زياد بن خَصَفَة من بينهم ، فأدخل عليه ، فحمد معاوية الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا أخا ربعة ، فإن عليا قطع أرحامنا ، وقتل إمامنا ، وآوى قتلةً صاحبنا ، وإني أسألك النُصرة بأسرتك وعشيرتك ، ولك على عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أولئك أيّ المصريين أحببت .

قال أبو الجاهد : فسمعت زياد بن خَصَفَة يحدث بهذا الحديث .

قال : فلما قضى معاوية كلامه ، سجدت لله وأثنت عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإني لعملى بئنة من ربي وبما أنتم على ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، ثم قت .

فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جانبه - : ما لهم غضبهم ^(١) الله ! ما قلبهم إلا قلب رجل واحد !

قال نصر : وحدثنا سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكَنُود ،

(١) الغضب : القطع ؛ وهو دعاء عند العرب .

قال^(١) : بعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبعث معه شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، فدخلوا على علي عليه السلام فسلم حبيب بن مسلمة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعدُ فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله ويُثيب إلى أمر الله ، فاستقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته . فعدوتم عليه فقتلتموه ؛ فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به ؛ فإن قلت : إنك لم تقتله ، فاعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم هذا شوري بينهم ، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم .

فقال له علي : وما أنت لا أم لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر ! اسكت فإنك لست هناك ، ولا بأهل لذلك ! فقام حبيب بن مسلمة وقال : أما والله لتريني حيث تكره . فقال له عليه السلام : وما أنت ! ولو أجلبت بخيلك ورجلك . أذهب فصوب وصعد ما بدا لك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت !

فقال شرحبيل بن السمط : إن كلمتك ، فلعمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي ، فهل لي عندك جواب غير الجواب الذي أجبت به ؟^(٢) فقال : نعم ، قال : فقله^(٣) ؛ فحمد الله على عليه السلام ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ؛ فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه فأنقذ به من الضلالة ، ونعش^(٤) به من الملركة ، وجمع به بعد الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ؛ وقد أدى ما عليه ؛ فاستخلف الناس أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ؛ فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ؛ ووجدنا

(١) وقعة صفين ٢٢٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٧

(٢-٢) وقعة صفين : « فقال علي عليه السلام : عندى جواب غير الذى أجبت به ، لك ولصاحبك » .

وفى الطبرى : « نعم لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبت به » .

(٣) الطبرى : « واثناش به من الملركة » .

عليهما أن توليا الأمر دوننا ، ونحن آل الرسول ، وأحقُّ بالأمر ؛ فغفرنا ذلك لهما ، ثم ولى أمر الناس عثمان ، فعَمِلَ بأشياء طابها الناس عليه ، فسار إليه ناسٌ فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيتُ عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وأنا نخاف إن لم تفعل أن يفتريق الناس ؛ فبايعتهم فلم يرعنى إلا شقاق رجلين قد بايعا^(١) ، وخلاف معاوية إياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلفَ صِدْق في الإسلام ، طَلِيق ابن طايق ، وحزب من الأحزاب ؛ لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلاً في الإسلام كارهين مكرهين ، فيما عجباً^(٢) لكم ، ولإجلائكم معه ، وانقيادكم له ؛ وتدعون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ؛ ولا تعدلوا بهم أحداً من الناس ؛ إني أدعوكم إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم ، وإمارة الباطل ، وإحياء معالم الدين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

فقال له شُرَحْبِيل ومَعْن بن يزيد : أنشهد أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ؟ فقال لهما : إني لأقول ذلك ؛ قالا : فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوماً ، فنحن برآء منه أثم قاما فانصرفا .

فقال على عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾ .

ثم أقبل على أصحابه ، فقال : لا يَكُنْ هؤلاء في ضلالتهم بأولي بالجدّة منكم في حكم وطاعة إمامكم . ثم مكث الناس متوادعين إلى انصلاح الحرّم ، فلما انسلخ الحرّم واستقبل الناس صَفَرًا من سنة سبع وثلاثين ، بمثل على عليه السلام نَفَرًا من أصحابه بحيث إذا كانوا

(١) صفين : « قد بايعا »

(٢) صفين : « فعبنا لكم » . وى الطبرى : « فلا غرو إلا خلاصكم معه » .

(٣) سورة النمل ٨٠ ، ٨١ .

من معسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت ، قام مرتد بن الحارث الجشمي ، فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام إن أمير المؤمنين عليا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم : إنا لم نكف عنكم شكاً في أمركم ؛ ولا إبقاء عليكم ؛ وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم ، وقد انسلخ ؛ وإنا قد نبذنا إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

قال : فصاحز الناس وثاروا إلى أمرائهم .

قال نصر : فأما^(١) رواية عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي الزبير أن نداء مرتد بن الحارث الجشمي ، كانت صورته : يا أهل الشام ، ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استدمتكم واستأنيت بكم ، لتراجعوا الحق ، وتثوبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، فلم تنفاهوا عن طغيان ، ولم تجيئوا إلى حق ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

قال : فثار الناس إلى أمرائهم ورؤسائهم .

قال نصر : وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتاب ، ويُبَيِّيان العساكر ، وأوقدوا النيران ، وجاءوا بالشموع ، وبات على عليه السلام تلك الليلة كلها ، يعي الناس ، ويكتب الكتاب ، ويدور في الناس ويحرّضهم .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، بإسناده عن عبد الله بن جندب ، عن أبيه أن^(٢) علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه ؛ فيقول :

(١) صفين ٢٢٨ (٢) وقعة صفين ٢٢٩ وتاريخ الطبري ٥ : ١٠ ، ١١

لانتقاتلوا القوم حتى يبيدوكم ؛ فمضى حُجَّةُ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَهَرَمْتُمُوهُمْ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةً ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ ؛ فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا ، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا إِلَّا بِإِذْنٍ ؛ وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ ، وَلَا تَهَيِّجُوا امْرَأَةً ، وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَتَفَاوَلَنَ امْرَأَتُكُمْ وَصَلَحَاءُكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالصُّقُولِ ؛ وَلَقَدْ كُنَّا وَإِنَّا لَنُؤْمِرُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ وَهَنْ مَشْرَكَاتٍ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَةِ بِالْهَرَاوَةِ أَوْ الْحَدِيدِ فَيَعِيرُ بِهَا عَقِبَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن يزيد - يعني ابن أبي خالد - عن أبي صادق ، أن علياً^(١) عليه السلام حَرَّضَ النَّاسَ فِي حُرُوبِهِ ، فَقَالَ :
عِبَادَ اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَاخْفِضُوا الْأَصْوَاتَ ، وَأَقْلُوا الْكَلَامَ ، وَوُطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى لِلْمَنَازِلَةِ وَالْمُجَاوِلَةِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْمَعَانِقَةِ ؛ وَابْتَتُوا : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) ؛ ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) . اللَّهُمَّ أَلْهِمَّهُمُ الصَّبْرَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الْأَجْرَ .

قال نصر : وكان^(٤) ترتيب عسكر علي عليه السلام ، بموجب مارواه لنا عمرو بن شعبر ، عن جابر ، عن محمد بن علي ، وزيد بن حسن ، ومحمد بن عبد المطلب : أَنَّهُ جَعَلَ عَلَى الْخَلِيلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَعَلَى الرَّجَالَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِمِيِّ ، وَدَفَعَ الْوَأْدَ

(١) وقعة صفين ٢٣٠ .

(٢) سورة الأنفال آية ٤٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦ .

(٤) وقعة صفين ٢٣١ .

إلى هاشم بن عُتْبَةَ بن أَبِي وَقَّاصٍ الزَّهْرِيَّ ، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس ، وعلى
 الميسرة عبد الله بن العباس ، وجعل على رَجَالَةِ الميمنة سليمان بن صُرَدٍ الْخُزَاعِيَّ ، وعلى
 رَجَالَةِ الميسرة الحارث بن مرة العبدي ، وجعل القلبَ مُضَرَ الكوفة والبصرة ، وجعل
 على ميمنة القلب اليمين وعلى ميسرته ربيعة ، وعقد ألوية القبائل ، فأعطاهما قوماً منهم
 بأعيانهم؛ وجعلهم رؤساءهم وأمرأهم، وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس،
 وعلى كِنْدَةَ حُجْر بن عدي الكندي ، وعلى بَكْر البصرة الحُصَيْن بن المنذر الرقاشي ،
 وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس ، وعلى خُزَاعَةَ عمرو بن الحُثَيِّ ، وعلى بَكْر الكوفة
 نَعِيم بن هُبَيْرَة، وعلى سَعْد البصرة ورَبَابِهَا جارية بن قُدَامَةَ السعدي ، وعلى بَجِيلَةَ رِفَاعَةَ
 ابن شَدَاد ، وعلى ذُهْل الكوفة رُوَيْمًا الشيباني - أو يزيد بن رُوَيْمٍ - وعلى عمرو البصرة
 وحَنَظَلَتِهَا أُعَيْن بن ضُبَيْعَةَ ، وعلى قُضَاعَةَ وطِيءُ عدي بن حاتم الطائي ، وعلى لهازم
 الكوفة عبد الله بن حَجَل العجلي ، وعلى تميم الكوفة عُمَيْر بن عطاردة ، وعلى الأزْد واليمين
 حُنْدَب بن زهير ، وعلى ذُهْل البصرة خالد بن المعمر السدوسي ، وعلى تَمُر الكوفة
 وحَنَظَلَتِهَا شَبَث بن رُبْعَة ، وعلى تَهْمَدَان سعيد بن قيس ، وعلى لهازم البصرة حُرَيْث
 ابن جابر الجعفي^(١) ، وعلى سعد الكوفة ورَبَابِهَا الطُّفَيْل أبا صُرَيْمَةَ، وعلى مَذْحِج الْأَشْثَر
 ابن الحارث النَّخَعِيَّ ، وعلى عبد القيس الكوفة صَعَصَعَة بن صُوحَان ، وعلى عبد القيس
 البصرة عمرو بن حنظلة ، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطُّفَيْل الْبَكَّائِيَّ ، [وعلى
 قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي]^(٢) وعلى قيس البصرة قَبِيصَةَ بن شَدَاد
 الهلالي ، وعلى الليف من القواصي القاسم بن حَنَظَلَةُ الْجَهَنِّي .

وأما معاوية فاستعمل على الخليل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الرَجَالَةَ مسلم
 ابن عقبة المزني ، وجعل على الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الميسرة حبيب

(١) صفين : « الحنفى » .

(٢) من صفين .

ابن مسleme الفهرى ، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على أهل دمشق - وهم القلب - الضحاك بن قيس الفهرى ، وعلى أهل حصص - وهم الميمنة - ذا الكلاع الجبرى ، وعلى أهل قنسرين - وهم فى الميمنة أيضاً - زفر بن الحارث السكلاوى ، وعلى أهل الأردن - وهم للميسرة - سفيان بن عمرو أيا الأعور السلمى ، وعلى أهل فلسطين - وهم فى الميسرة أيضاً - مسleme بن مخلد ، وعلى رجالة أهل دمشق بئر بن أبى أرطاة المامرى بن لؤى بن غالب ، وعلى رجالة أهل حصص حوشبا ذا ظليم ، وعلى رجالة قيس طريف بن حابس الألهانى ، وعلى رجالة الأردن عبد الرحمن بن قيس القينى ، وعلى رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الأزدي ، وعلى رجالة قيس دمشق هام بن قبيصة ؛ وعلى قضاة حصص وإيادها بلال بن أبى هيرة الأزدي ، [وحاتم بن المعتبر الباهلى] ^(١) ، وعلى رجالة الميمنة حابس بن سعيد الطائى ، وعلى قضاة دمشق حسان بن بخدل الكلبى ، وعلى قضاة عباد بن يزيد الكلبى ، وعلى كنفدة دمشق حسان بن حوى السكسكى ، وعلى كنفدة حصص يزيد بن هيرة السكونى ، وعلى سائر اليمن يزيد بن أسد البجلي ، وعلى حمير وحضرموت اليان بن غفير ، وعلى قضاة الأردن حبش بن دجلة القينى ، وعلى كنانة فلسطين شريك السكناوى ، وعلى مذحج الأردن المخارق بن الحارث الزبيدى ، وعلى جذام فلسطين ونخما نائل بن قيس الجذامى ، وعلى همدان الأردن حمزة بن مالك الهمدانى ، وعلى الخثعم تحل بن عبد الله الخثعمى ، وعلى غسان الأردن يزيد بن الحارث ، وعلى جميع القواصى القعقاع بن أبرهة السكلاوى ؛ أصيب فى المبارزة أول يوم تراءت فيه التشتان .



قال نصر : فأما رواية الشعبي التى رواها عنه إسماعيل بن أبى عميرة ^(٢) ؛ فإن عليا

(١) من صفين .

(٢) صفين ٢٣٤ .

عليه السلام بعث على ميمنته عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاءُ الْخَزَاعِيّ ، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس ، وعلى خيل الكوفة الأشتر ، وعلى البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر ، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد - كان قد أقبل من مصر إلى صُفَيْنَ - وجعل معه هاشم بن عُتْبَةَ ، وجعل مسعود بن فدكي التميمي على قراء أهل البصرة ؛ وأما قراء أهل الكوفة فصاروا إلى عبد الله بن بُدَيْل ، وعمار بن ياسر .

قال نصر : وأما ^(١) ترتيب عسكر الشام - فيما رواه لنا عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - فإن معاوية بعث على ميمنته ذا الكَلَّاع ، وعلى ميسرته حبيب بن مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيّ ، وعلى مقدمته من يوم أقبل من دمشق أبا الأعور الشَّامِيّ ، وكان على خَيْلِ دِمَشْق كُلِّهَا عمرو بن العاص ، ومعه خيول أهل الشام بأسرها ، وجعل مسلم بن عُقْبَةَ الْمُرِّيّ على رجالة دمشق ، والضحاك بن قيس على سائر الرجالة بعد .

قال نصر : ^(٢) وتبأيع رجال من أهل الشام على الموت وتحالفوا عليه وعَقَلُوا أنفسهم بالمائم ، وكانوا صُفُوفًا خَمْسَةً [مَعْقِلِينَ] ^(٣) ، كانوا يخرجون فيصطفون أحدَ عشر صفًا ، ويخرجُ أهلُ العراق فيصطفون أحدَ عشر صفًا أيضًا .

قال نصر : فخرجوا أولَ يوم من صفر من سنة سبع وثلاثين ، وهو يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ، وعلى مَنْ خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة

(١) صفين ٢٣٩ .

(٢) صفين ٢٣٩ .

(٣) من صفين .

فاقتتلوا قتالا شديدا جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض . ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسنٍ عددها وعُدَّتْها ؛ فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، تحمِلُ الخيل على الخيل والرجال على الرجال . ثم انصرفوا وقد صَبَرَ القومُ بعضهم لبعض ؛ وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ؛ فاقتتل الناس كأشدَّ قتال كان ، وجعل عمار يقول : يا أهل الشام ، أتريدون أن تنظروا إلى مَنْ عادى الله ورسوله وجاهدما ، وبني على المسلمين ، وظاهر المشركين . فلما أراد الله أن يُظهر دينه ، وينصر رسوله أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ، وهو والله فيما يرى راهبٌ غير راغب . ثم قبض الله رسوله ، وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ؛ ومودة الجرم إلا وإنه معاوية ، فقاتلوه والمعنوه ؛ فإنه يطمئ بطنى نور الله ، ويظهر أعداء الله .

قال : وكان مع عمار زيادُ بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل فصبروا^(١) له ، وشدَّ عمار في الرِّجَالَة ، فأزال عمرو بن العاص عن مَوْقِفِهِ ؛ وبارز يومئذ زياد بن النضر أخا له^(٢) من بني عامر يعرف بمعاوية بن عمرو المُعْقِلِيّ ؛ وأمهما هند الزبيدية ؛ فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه بعد المبارزة سالما ، ورجع الناس يومهم ذلك ؛

قال نصر : وحدثني^(٣) أبو عبد الرحمن المسعودي قال : حدثني يونس بن الأرقم ؛ عَمَّنْ حدثه من شيوخ بَكْر بن وائل ؛ قال : كنا مع علي عليه السلام بصيِّقين ؛ فرفع عمرو ابن العاص شُكَّةَ خيمِصْرٍ سوداء في رأس رُمُح ؛ فقال ناس : هذا لواء عَقْدَه له رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فلم يزالوا يتحدثون حتى وصل ذلك إلى علي عليه السلام ؛ فقال :

(١) في الأصول : « نصير » ، والصواب ما أنبته من صفيين .

(٢) في الطبري : « لأمه » .

(٣) صفيين ٢٤١ .

أَتَدْرُونَ مَا أَمْرُ هَذَا الْوَأَءِ ؟ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ عَمْرَأَ أَخْرَجَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ هَذِهِ الشُّقَّةَ ، فَقَالَ : مَنْ يَأْخُذْهَا بِمَا فِيهَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : وَمَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فِيهَا أَلَّا تَقَاتِلَ بِهَا مُسْلِمًا ، وَلَا تَقْرَبَهَا مِنْ كَافِرٍ ؛ فَأَخْذَهَا ؛ فَقَدْ وَاللَّهِ قَرَبَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَاتَلَ بِهَا الْيَوْمَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ ؛ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْهُمْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ ؛ فَلَمَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا أَظْهَرُوهُ .

وَرَوَى نَعْر ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْعُودِيِّ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ الْأَرْقَمِ ، عَنْ عَوْفِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ الْبَجَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ ^(١) : لَمَّا نَظَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَايَاتِ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ ؛ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ ؛ فَلَمَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا ، رَجَعُوا إِلَى عَدَاوَتِهِمْ لَنَا ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا الصَّلَاةَ .

وَرَوَى نَعْر ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سِيَاهٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، قَالَ : ^(١) لَمَّا كَانَ قِتَالُ صِفِّينَ ، قَالَ رَجُلٌ لِعَمَّارٍ : يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ؛ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَاتِلُوا النَّاسَ حَتَّى يُسْلَمُوا ؛ فَإِذَا أَسْلَمُوا عَصَمُوا مَتْنِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ » ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا أَسْلَمُوا ؛ وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ حَتَّى وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا .

وَرَوَى نَعْر ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مَنْذَرِ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفْصِيِّ : لَمَّا ^(١) أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مِنْ أَهْلِ الْوَادِي وَمِنْ أَسْفَلِهِ ،

وملاً الأودية كتائب - بمعنى يوم فتح مكة - استسلموا حتى وجدهم أعوانا .
 وروى نصر ، عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل ، عن الحسن ، قال : وحدثنا الحكم
 أيضا عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري
 فاضربوا عنقه » ، فقال الحسن : فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا ^(١) .

(٥٥)

ومن كلام له عليه السلام :

الأصل :

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا
وَأَعْمَامَنَا ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ؛ وَمُضِيًّا عَلَى الْقَتْلِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ
الْأَلَمِ ، وَجِدًّا^(١) فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ
تَصَاوُلَ الْفَعْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا ؛ أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَوْتِ ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ
عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا
النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ، وَمُتَّبِعُونَ أَوْطَانَهُ .
وَلَمَعَرَى لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا أَخْضَرُ لِلْإِيمَانِ عُودٌ .
وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّ دَمًا ، وَلَتَعْبِغُنَّ نَدَمًا !

الشرح :

لَقَمُ الطريق : الجادة الواضحة منها . وَاللَّضَضُ : لدغ الألم وبرحاؤه . وَالنَّصَاوِلُ :
أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرْنَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ . وَالتَّخَالَسُ : التَّسَالُبُ وَالِاتِّهَابُ .
وَالْكَبْتُ : الإِذْلَالُ . وَجِرَانُ الْبَعِيرِ : مَقْدَمُ عُنُقِهِ . وَتَبَوَّاتُ الْمَنْزِلِ : نَزْلَتُهُ . وَيُقَالُ
لِمَنْ أَسْرَفَ فِي الْأَمْرِ : لَتَحْتَلِبَنَّ دَمًا ، وَأَصْلُهُ النَّاقَةُ يُفْرِطُ فِي حَلْبِهَا فَيَحْلِبُ الْحَالِبُ الدَّمَ .

(١) ساقطة من مخطوطة النهج .

وهذه ألفاظ مجازية من باب الاستعارة ؛ وهى :

قوله : « استقرّ الإسلامُ ملقياً جِرانه » ، أى ثابتمتمكنا ، كالبعير ياتى جِرانه على الأرض .

وقوله : « متبونا أوطانه » ، جعله كالجسم المستقرّ فى وطنه ومكانه .

وقوله : « مقام للدين عمود » ، جعله كالبيت القائم على العمُد .

وقوله : « ولا اخضرّ للإيمان عود » ، جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان .

فأما قتلهم الأقارب فى ذات الله فكثير ؛ قتلَ علىّ عليه السلام الجُمّ الفغير من بنى عبد مناف وبنى عبد الدار فى يوم بَدْر وأُحُد ؛ وهم عشيرته وبنو عمّه ، وقتلَ عمرُ ابن الخطاب يومَ بَدْر خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، وقتل حمزةُ بن عبد المطلب شبيبة ابن ربيعة يومَ بَدْر ، وهو ابنُ عمّه ؛ لأنهما ابنا عبدٍ مناف ؛ ومثل ذلك كثير مذكور فى كتب السيرة .

وأما كونُ الرجل منهم وقِرْنِه يتصاولان ويتخالسان ؛ فإنّ الحال كذلك كانت ؛ بارز علىّ عليه السلام الوليد بن عُقبة ، وبارز طلحة بن أبى طلحة ، وبارز عمرو بن عبدود ؛ وقتل هؤلاء الأقران مبارزة ، وبارز كثيرا من الأبطال غيرهم وقتلهم ؛ وبارز جماعة من شُجْعان الصعابة جماعة من المشركين ؛ فمنهم مَنْ قُتِل ، ومنهم مَنْ قَتَلَ ، وكتب المغازى تتضمن تفصيل ذلك .

[فتنة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة]

وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام فى قصة ابن الحضرمي حيث قدم البصرة من قبل معاوية ، واستنهض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة ؛ فتقاعدوا .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال النقي فى كتاب " الفارات " :

حدثنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا الحسن بن علي الزعفراني ، عن محمد بن عبد الله ابن عثمان ، عن ابن أبي سيف ، عن يزيد بن حارثة الأزدي ، عن عمرو بن محسن ، أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها ، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقال له : سر إلى البصرة ؛ فإن جل أهلها يرؤن رأينا في عثمان ، ويعظمون قتله ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم موتورون حنقون لما أصابهم ؛ ودؤوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ؛ واحذروا ربيعة ، وانزل في مضر ، وتودد الأزدي ؛ فإن الأزدي كلهم معك إلا قليلا منهم ؛ وإنهم إن شاء الله غير مخالفين .

فقال عبد الله بن الحضرمي له : أنا سهم في كنانتك ، وأنا من قد جربت ، وعدو أهل حربك ، وظهر بك على قتلة عثمان ؛ فوجهني إليهم متى شئت . فقال : اخرج غدا إن شاء الله . فودعه وخرج من عنده .

فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه يتحدثون ، فقال لهم معاوية : في أي منزل ينزل القمر الليلة ؟ فقالوا : بسعد الذابح ؛ فكره معاوية ذلك ، وأرسل إليه ألا تبرح حتى ياتيك أمرى . فأقام .

ورأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ بمصر ، عامله عليها ، يستطلع رأيه في ذلك ، فكتب إليه ؛ وقد كان تسمى بإمرة المؤمنين بعد يوم صيفين ، وبعد تحكيم الحكمين :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص :
سلام عليك ، أما بعد ؛ فإني قد رأيت رأيا هممت بإمضائه ، ولم يخذلني عنه

إلا استطلاع رأيك ؛ فإن توافقتني أحمد الله وأمضه ؛ وإن تخالفني فإني أستخير الله وأستهديه . إني نظرتُ في أمرِ أهل البصرة فوجدتُ معظمَ أهلنا ولياً وعلية وشيعته عدواً ؛ وقد أوقعَ بهم على الوقعة التي علمت ، فأحقاد تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح ولا تريم ؛ وقد علمتُ أنَّ قتلنا ابن أبي بكر ، ووقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب علي في الآفاق ، ورفعت رموس أشياعنا أينما كانوا من البلاد ؛ وقد بلغَ من كان بالبصرة على مثلِ رأينا من ذلك ما بلغ الناس ، وليس أحدٌ ممن يرى رأينا أكثرَ عدداً ، ولا أضراً خلاقاً على علي من أولئك ؛ فقد رأيتُ أن أبعث إليهم عبد الله بن عامر الحضرمي ، فينزل في مُضر ويتودّد الأزدي ، ويحذر ربيعة ، ويبغضني دم ابن عفان ، ويذكرهم وقعة علي بهم ؛ التي أهلكتُ صالحى إخوانهم وآبائهم وأبنائهم . فقد رجوتُ عند ذلك أن يُفسدَ على علي وشيعته ذلك الفرَج من الأرض ؛ ومتى يؤثروا من خلفهم وأمامهم يضلّ سعيهم ، ويبطل كيدهم . فهذا رأيي . فما رأيك ؟ فلا تحبس رسولى إلا قُدِّر مضى الساعة التي ينتظرُ فيها جواب كتابي هذا . أرشدنا الله وإياك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

أما بعدُ ، فقد بلغني رسولُك وكتابك ، فقرأتُه وفهمتُ رأيك الذي رأيته ، فعجبتُ له ، وقلت : إنَّ الذي ألقاه في روعك ، وجعله في نفسك هو التأثير بابن عفان ، والطالب بدمه ؛ وإنه لم يك مِنك ولا مِنّا منذ نهضنا في هذه الحروب وبأدينا أهلها^(١) ، ولا رأى الناس رأياً أضراً على عدوك ، ولا أسراً لوليّك من هذا الأمر الذي ألهمته ، فامض رأيك مسدداً ؛ فقد وَجَّهَت الصليب الأريب الناصح غير الظنين والسلام .

(١) كذا في ج ، و ، ا ، ب : « ونأدينا »

فلما جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمي - وقد كان ظنّ حين تركه معاوية أياماً لا يأمره بالشخص، أن معاوية قد رجع عن إشتغاله إلى ذلك الوجه - فقال: يا ابن الحضرمي، سرّ على بركة الله إلى أهل البصرة فانزل في مَصْر، واحذَرْ ربيعة، وتودد الأزد، وانع ابن عفان، وذكرهم الوقعة التي أهلكتهم، ومنّ لمن سمع وأطاع دُنْيَا لا تُنفى، وأثَرَةٌ^(١) لا يفقدُها حتى يفقدنا أو نفقده.

فودعه ثم خرج من عنده، وقد دفع إليه كتاباً، وأمره إذا قدِم أن يقرأه على الناس. قال عمرو بن محصن: فسكنتُ معه حين خرج، فلما خرجنا سرنا ما شاء الله أن نسير، فسَحّ لنا طيبي أعضب^(٢) عن شمالكنا، فنظرتُ إليه؛ فوالله لرايتُ الكراهية في وجهه؛ ثم مضينا حتى نزلنا البصرة في بني تميم، فسمعَ بُدُوَ منا أهلُ البصرة؛ فجاءنا كلٌّ من يرى رأى عثمان، فاجتمع إلينا رموس أهلها؛ فحمد الله ابنُ الحضرمي وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد؛ أيها الناس؛ فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان، قتله عليّ بن أبي طالب ظُلْمًا، فطلبتم بدمه، وقاتلتم من قَتَله، فجزاكم الله من أهل مصر خيرا؛ وقد أصيبَ منكم الملائ الأَخيار؛ وقد جاءكم الله بإخوان لكم؛ لم بأسٌ يُقْبَى، وعدد لا يحصى؛ فلقوا عدوكم الذين قتلوك؛ فلبغوا الغاية التي أرادوا صابرين، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا، فالثوم وساعدوهم، وتذكروا ثأَرَكم لتشفوا صدوركم من عدوكم.

فقام إليه الضحاح بن عبد الله الهلالي، فقال: قَبِّحَ الله ما جئتنا به، وما دعوتنا إليه جئتنا والله بمثل ما جاء به أصحابك طلحة والزبير؛ أَتَيْنَانا وقد باعنا عليا، واجتمعنا له، فكلمتنا واحدة ونحن على سبيل مستقيم، فدعونا إلى الفرقة، وقاما فينا بزُخرف القول؛ حتى ضربنا بعضنا ببعضِ عدوِّنا وظُلْمنا؛ فاقْتَتَلنا على ذلك، وإيْمُ الله، ما سلّمنا من عظيم وبال

(١) في الأصل: «فلان» غير عند ملان، ذو أثر، إذا كان غاصا.

(٢) الأعضب: مكسور أحد القريين؛ وكانوا يقتسمون منه

ذلك ؛ ونحن الآن مجمعون على بَيْعَةِ هذا العبد الصالح الذى أقال العَتْرَةَ ، وعفا عن المسىء وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا . أفتأمرنا الآن أن نختلِعَ أسيا فنا من أغمادها، ثم يضرب بعضها بعضا ، ليسكون معاويةَ أميرا ، وتسكون له وزيرا، ونعدِّلَ بهذا الأمر عن عليٍّ ! والله ليومٌ من أيام عليٍّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله خيرٌ من بلاء معاوية وآل معاوية لو بقوا في الدنيا ؛ ما الدنيا باقية .

فقام عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ ، فقال للضحَّاك : اسكت ؛ فلست بأهلٍ أنْ تتكلمَ في أمرِ العامة . ثم أقبل على ابن الحضرميِّ ، فقال : نحن يدُك وأنصارك ؛ والقول ماقلت ؛ وقد فهمنا عنك ؛ فادعنا أنى شئت ! فقال الضحَّاك لابن خازم : يا ابن السوداء ؛ والله لا يعزُّ من نصرت ، ولا يدُلُ بِخُذْلانِكَ مَنْ خذلت ؛ فتشأتما .

قال صاحب كتاب الغارات : والضحَّاك هذا هو الذى يقول :

بِأَيِّهَذَا السَّائِلِ عَنْ نَسَبِي بَيْنَ ثَقِيفٍ وَهَلَالٍ مَنَصَّبِي
* أُمِّيَ أَسْمَاءَ وَضَحَّاكَ أَبِي *

قال : وهو القائل في بني العباس :

مَا وَلَدَتْ مِنْ نَاقَةٍ لِفَضْلٍ فِي جَبَلٍ نَعْلُهُ وَسَهْلٍ
كَسْتُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ أَكْرِمُ بِهِامِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلٍ
عَمَّ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ الرَّسُولِ

قال : فقام عبدُ الرحمن بن عمير بن عثمان القرشيِّ ثم التيميِّ ، فقال : عباد الله ؛ إنالم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتتلوا ولا تتنازروا ؛ ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجتمعوا كلمتكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤوا شعثكم .

وَتُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ؛ فَهَلَا مَهْلًا رَحِمَ اللَّهُ ، اسْتَمِعُوا لِهَذَا الْكِتَابِ ، وَأَطِيعُوا الَّذِي يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ .

فَقَضُوا كِتَابَ مُعَاوِيَةَ وَإِذَا فِيهِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى مَنْ قَرَأَ
كِتَابَ هَذَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

سلام عليكم . أما بعدُ ، فَإِنَّ سَفْكَ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حِلِّهَا ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا هَلَاكٌ مُبِينٌ ، وَخَسْرَانٌ مُبِينٌ ؛ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَمَنِّيَ سَفْكِهَا صَرَفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَقَدْ رَأَيْتُمْ رَحِمَ اللَّهِ آثَارَ ابْنِ عَمَّانَ وَسِيرَتَهُ ، وَحُبَّهُ لِلْعَافِيَةِ ، وَمَعْدَلَتَهُ ، وَسَدَّهُ لِلشُّعُورِ ، وَإِعْطَاءَهُ فِي الْحَقِّ ، وَإِنصَافَهُ لِلْمَظْلُومِ ، وَحُبَّهُ الضَّعِيفِ ؛ حَتَّى تَوَثَّبَ عَلَيْهِ الْمُتَوَثِّبُونَ ؛ وَتَظَاهَرَ عَلَيْهِ الظَّالِمُونَ ، فَقَتَلُوهُ مُسَلِّمًا مُحَرَّمًا ، ظَلَّانَ صَائِمًا ، لَمْ يَسْفِكْ فِيهِمْ دَمًا ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا يَطْلُبُونَهُ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ وَلَا سَوْطٍ ، وَإِنَّمَا نَدَعُوكُمْ أَيُّهَا الْمَسَامُونَ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، وَإِلَى قِتَالِ مَنْ قَتَلَهُ ؛ فَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَمْرِ هُدًى وَاضِحٍ ، وَسَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ . إِنَّا لَنُحِبُّكُمْ بِمَا جَامَعْتُمُونَا طِفْنَتِ النَّارِ ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَقْرَبَ الظَّالِمُونَ الْمُتَوَثِّبُونَ الَّذِينَ قَتَلُوا إِمَامَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَأَخِذُوا بِجُرَائِمِهِمْ وَمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ . إِنَّ لَكُمْ أَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْكِتَابِ ، وَأَنْ أَعْطِيَكُمْ فِي السَّنَةِ عَطَاءَ بَنِي ، وَلَا أَحْتَمِلُ فَضْلًا مِنْ فَيْئَتِكُمْ عَنْكُمْ أَبَدًا . فَسَارِعُوا إِلَى مَا تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ رَحِمَ اللَّهُ ! وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنَ الصَّالِحِينَ ؛ كَانَ مِنْ أَمَنَاءِ خَلِيفَتِكُمُ الْمَظْلُومِ ابْنِ عَمَّانَ وَعَمَالِهِ وَأَعْوَانِهِ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ ؛ جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَمَنِّيَ يَجِيبُ إِلَى الْحَقِّ وَيَعْرِفُهُ ، وَيُنْكِرُ الْبَاطِلَ وَيُحَدِّثُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قال : فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : سمعنا وأطعنا .

قال : وردى محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن عليّ ، عن أبي زهير ، عن أبي منقر الشيبانيّ ، قال : قال الأحنف لما قرئ عليهم كتاب معاوية : أَمَا أَنَا فَلَاقَاةٌ لِي فِي هَذَا وَلَا بَجَلٍ . واعتزل أمرهم ذلك .

وقال عمرو بن مرجوم ، من عبد القيس : أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم ، فتقع بكم واقعة وتصيبكم قارعة ؛ ولا يكن بعدها لكم بقية ؛ ألا إني قد نصحت لكم ؛ ولكن لا تحبون الناصحين .

قال إبراهيم بن هلال : وروى محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، عن الأسود بن قيس ، عن ثعلبة بن عباد ، أن الذي كان سداً لمعاوية رأيته في تسريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن ضحّاك العبدي ، وهو من كان يرى رأي عثمان ، ويخالف قومه في حبهم علياً عليه السلام ونصرتهم إياه ؛ وكان الكتاب :

أما بعد ، فقد بلغنا وقعك بأهل مصر ؛ الذين بقوا على إمامهم ، وقتلوا خليفة تمهم طمعاً وبغياً ، فقررت بذلك الميون ، وشفيت بذلك النفوس ؛ وبردت أفئدة أقوام كانوا قتل عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ؛ ولكم موالين ، وبك راضين ؛ فإن رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين ، إلى الطلب بدم عثمان فعملت ؛ فإني لأخال الناس إلا مجمعين عليك ؛ وإن ابن عباس غائب عن مصر . والسلام .

قال : فلما قرأ معاوية كتابه قال : لا عزمت رأياً سوى ما كتب به إلى هذا ، وكتب إليه جوابه :

أما بعد ؛ فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبليت مشورتك ، رحمك الله وسددك ، أثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أذاك ، وكأنك بالجيش قد أطل عليك فسررت وحببت ؛ والسلام .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثني علي بن أبي سيف عن أبي زهير

قال : لما نزل ابن الحضرمي في بني تميم أرسل إلى الروس فاتوه ، فقال لهم : أجيبيوني إلى الحق ، وانصروني على هذا الأمر .

قال : وإن الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قد استخلفه عبد الله بن عباس ، وقدم على علي عليه السلام إلى الكوفة يعزيه عن محمد بن أبي بكر ، قال : فقام إليه ابن ضحّاك ، فقال : إي والذي له أسعى ، وإياه أخشى ، لنصرتك بأسيفنا وأيدينا .

وقام المثني بن مخزومة العبدي فقال : لا والذي لا إله إلا هو ، لنن لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لنجاهدتك بأسيفنا وأيدينا ، ونبالنا وأسنة رماحنا . نحن ندع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيد المسلمين ، وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طاعاً والله لا يكون ذلك أبداً حتى نسير كتيبة ، ونفلق السيوف بالهام .

فأقبل ابن الحضرمي على صبرة بن شيان^(١) الأزدي فقال : يا صبرة ، أنت رأس قومك ، وعظيم من عطاء العرب ، وأحد الطلبة بدم عثمان ، رأينا رأيك ، ورأيك رأينا ، وبلاء القوم عندك في نفسك وعشيرتك ما قد ذقت ورأيت ، فانصرتي وكُن من دوني . فقال له : إن أنت أتيتني فزات في داري نصرتك ومنعتك . فقال : إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أنزل في قومه من مضر ، فقال : اتبع ما أمرك به .

وانصرف من عنده ، وأقبل الناس إلى ابن الحضرمي ، وكثرت تبعه ، ففرغ لذلك زياد وهاله وهو في دار الإمارة ، فبعث إلى الحُصَيْن بن المنذر ومالك بن مسمع ، فدعاهما ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنكم أنصار أمير المؤمنين وشيعته وثقته ، وقد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم ، فأجبروني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين ورأيه .

فأما مالك بن مسمع ، فقال : هذا أمر فيه نظر ، أرجع إلى من ورائي ، وأنظر واستشير في ذلك .

وأما الحُصَيْن بن المنذر فقال ، نعم ، نحن قاعلون ، ولن نخذل لك ولن نسليك .

(١) ب : « سليمان » ، تحريف .

فلم يرَ زياد من القوم بايظمنَ إليه ، فبعث إلى صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ الأزدى ، فقال :
يا بن شَيْمَانَ ، أنت سيدُ قومك ، وأحدُ عظماء هذا المِصر ، فإن يكن فيه أحدٌ هو أعظمُ
أهله فأنت ذاك ؛ أفلا تجيرني وتمنعني ، وتمنع بيتَ مال المسلمين ! فإنما أنا أمين عليه .
فقال : بلى ، إن تحملت حتى تنزل في دارى منعك ، فقال : إني فاعل .

فارتحل ليلا حتى نزل دار صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ ، وكتب إلى عبد الله بن عباس - ولم يكن
معاوية ادعى زياداً بعد ؛ لأنه إنما ادعاه بعد وفاة عليّ عليه السلام :
للأُمير^(١) عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد .

سلام عليك ، أما بعدُ فإنَّ عبدَ الله بن عامر بن الحضرميَّ أقبل من قِبَل معاوية
حتى نزل في بنى تميم ، ونعى ابنَ عَمَّان ، ودعا إلى حرب ، فبايَعه جُلُّ أهل البصرة ، فلما
رأيت ذلك استجرتُ بالأزد ، بصَبْرَةَ بن شَيْمَانَ وقومه لنفسى ولبيت مال المسلمين ، ورحلتُ
من قصر الإمارة فنزلت فيهم ، وإنَّ الأزد معي ، وشيعة أمير المؤمنين من فرسان القبائل
تختلف إلى وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي ؛ والقصر خالٍ منا ومنهم ، فارفع ذلك
إلى أمير المؤمنين ، ليَرى فيه رأيه ، وأعجل إلى بالذى ترى أن يكون منه فيه . والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

قال : فرقع ذلك ابنُ عباس إلى عليّ عليه السلام ، وشاع في الناس بالكوفة ما كان
من ذلك ، وكانت بنو تميم وقيس ، ومن يرى رأى عثمان قد أمرُوا ابن الحضرميَّ أن يسير
إلى قصر الإمارة حين خلاه زياد ، فلما تهيأ لذلك ودعا أصحابه ، ركبت الأزد ، وبعثت
إليه وإليهم : إنا والله لا ندعكم تأتون القصر فتزولون فيه من لا نرضى ، ومن نحن له
كارهون ؛ حتى يأتي رجل لنا ولكم رضا ، فأبى أصحابُ ابن الحضرمي إلا أن يسيروا إلى القصر ،
وأبت الأزد إلا أن يمنعمهم . فركب الأحنف ، فقال لأصحاب ابن الحضرمي : إنكم والله

(١) ب : « للأمين » .

ما أنتم أحق بقصر الإمارة من القوم ، وما لكم أن تؤمروا عليهم من يكرهونه ،
فانصرفوا عنهم : ففعلوا ، ثم جاء إلى الأزدي ، فقال : إنه لم يكن ما تكرهون ،
ولا يؤتى إلا ما تحبون ؛ فانصرفوا رحمكم الله ، ففعلوا .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، عن الكلبي ، أن ابن الحضرمي
لما أتى البصرة ، ودخلها نزل في بني تميم في دار سنبل^(١) ، ودعا بني تميم وأخلاق مضر ،
فقال زياد لأبي الأسود الدؤلي : أما ترى ما صنى^(٢) أهل البصرة إلى معاوية ؛ وما في
الأزد لي مطمع ؛ فقال : إن كنت تركتهم لم ينصروك ، وإن أصبحت فيهم منعوك .
فخرج زياد من ايلته ، فأتى صبرة بن شيان الحداني الأزدي ، فأجاره ، وقال له
حين أصبح : يا زياد ؛ إنه ليس حسنا بنا أن نقيم فينا نخنفيا أكثر من يومك هذا ؛ فأعدت
له منبرا وسريرا في مسجد الحدان ، وجعل له شرطا ، وصلى بهم الجمعة في مسجد الحدان .
وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجعت الأزدي على زياد ،
فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا معشر الأزدي ، إنكم كنتم أعدائي فأصبحتم أوليائي ، وأولى الناس بي . وإنني لو
كنت في بني تميم وابن الحضرمي فيكم لم أطمع فيه أبدا وأنتم دوني ، فلا يطمع ابن
الحضرمي في وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان
بأذني إلى الغلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ؛ وقد أصبحت فيكم مضمونا ،
وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقمتكم يوم الجبل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ؛
فإنكم لا تتمدون إلا على النخلة ، ولا تمدون على الجبن .

فقام شيان أبو صبرة - ولم يكن شهد يوم الجبل ، وكان غائبا - فقال : يا معشر الأزدي ،

(١) في الأصول : « سنبل » ، والصواب : « أنبت » من تاريخ الطبري ٥ : ١١٢ .

(٢) ب : « صنى أهل البصرة » .

ما أبقت عواقب الجبل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على عليّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أنّ إسلامكم له ذلّ ، وخذلانكم إياه عار ، وأنتم حتى مضماركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ؛ فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم ، وإن استمدّوا معاوية ، فاستمدّوا عليا عليه السلام ، وإن وادّعواكم فوادّعوهم .

ثم قام صبرة ابنه ، فقال : يا معشر الأزد ، إنا قلنا يوم الجبل : نمنع مضرنا ، ونطعم أمّنا ، نطلب دم خليفتنا المظلوم ، نجذّذنا في القتال ، وأقمنا بعد انهزام الناس ، حتى قُتل منا مَنْ لا خير فينا بعده ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليّ ما نخاف من معاوية ، فهبوا لنا أنفسكم ، وامنعوا جاركم أو فأبلغوه مأمنه .

فقال الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجيروهم . فضحك زياد ، وقال : يا صبرة ، آتخسون ألا تقوموا لبني تميم ! فقال صبرة : إن جاءونا بالأحنف جئناهم بأبي صبرة ،^(١) وإن جاءونا بالحباب جئت أنا ؛ وإن كان فيهم شباب كثير^(٢) . فقال زياد : إنما كنت مازحا .

فلما رأت بنو تميم أنّ الأزد قد قامت دون زياد بعثت إليهم : أخرجوا صاحبكم ونحن نخرج صاحبنا ، فأىّ الأميرين غلب - عليّ أو معاوية - دخلنا في طاعته ، ولا نهلك عامتنا .

فبعث إليهم أبو صبرة : إنما كان هذا يُرجى عندنا قبل أن نجیره ، ولمعمرى ما قُتل زياد وإخراجه إلا سواء ؛ وإنكم لتعلمون أنّا لم نُجِره إلا كرما ، فاهلوا عن هذا .

قال : وروى أبو الكنود أنّ شُبّ بن ريمى قال لعليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ابعث إلى هذا الحى من تميم ، فادعهم إلى طاعتك ، ولزوم بيعتك ، ولا تسلط عليهم أزدُ عُمان البُعْداء البُغضاء ؛ فإن واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم .

(١-١) كذا في الأصول ، وفي العبارة غموض .

فقال له عِثْفُ بن سليم الأزدي : إن البعيد البغيض ، من عصَى الله وخالف أمير المؤمنين ، وهم قومك ، وإن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين ، وهم قومي ، واحدٌهم خيرٌ لأمير المؤمنين من عشرة من قومك .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : مه ! تنافهوا أيها الناس ، وليردّ عنكم الإسلام ووقاره عن التباغى والتهاذى ، ولتجتمع كلمتكم ، وألزموا دين الله الذى لا يقبل من أحد غيره ، وكلمة الإخلاص التى هى قوام الدين ، وحجة الله على الكافرين ؛ واذكروا إذ كنتم قايلاً مشركين متباغضين متفرقين ، فألف بينكم بالإسلام فكثرت ، واجتمعتم وتحاببتم . فلا تفرّقوا بعد إذ اجتمعتم ، ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتم ؛ وإذا رأيتم الناس بينهم النائرة^(١) وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل ؛ فاقصِدوا لهاهم ووجوههم بالسيف حتى يفرّعوا إلى الله ، وإلى كتابه وسنة نبيّه ؛ فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين فانهوا عنها ، لا أبا لكم تفلحوا وتنجحوا !

ثم إنه عليه السلام دعا أعين بن ضبيعة الجاشعي ، وقال : يا أعين ، ألم يبلغك أن قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمي بالبصرة ، يدعون إلى فراق وشقاق ويساعدون الضلال القاسطين على !

فقال : لا نُسأ يا أمير المؤمنين ، ولا يكن مانكره . ابغثنى إليهم ؛ فأنا لك زعيم بطاعتهم وتفريق جماعتهم ، ونفى ابن الحضرمي من البصرة أو قتله .
قال : فاخرج الساعة .

فخرج من عنده ومضى حتى قدم البصرة .

(١) النائرة : الفتنة .

هذه رواية ابن هلال صاحب كتاب الفارات .

وروى الواقدي أن عليا عليه السلام، استنفر بني تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويرد عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد، فخطبهم، وقال: أليس من العجب أن ينصرني الأزدي، وتحذوني مضر! وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة علي، وأن أستنجد بطائفة منها، تشخص إلى إخوانها فتدعوم إلى الرشاد، فإن أجابت وإلا فالنابذة والحرب. فكاتني أخاطب صماً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يحييون نداء؛ كل هذا جبناً عن البأس، وحجاً للحياة؛ لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا الفصل إلى آخره .

قال: فقام إليه أعين بن ضبيعة الجاشعي، فقال: أنا - إن شاء الله - أكفيك يأمر المؤمنين هذا الخطب، وأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي، أو إخراجه عن البصرة. فأمره بالتهيؤ للشخص؛ فشخص حتى قدم البصرة .

قال إبراهيم بن هلال: فلما قدمها دخل على زياد وهو بالأزد مقيم، فرحب به وأجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له علي عليه السلام، وما رد عليه، وما الذي عليه رأيه؛ فإنه إذ يكلمه جاءه كتاب من علي عليه السلام فيه:

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد:

سلام عليك، أما بعد؛ فإني قد بعثت أعين بن ضبيعة، ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فأقرب ما يكون منه؛ فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظن به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو مانح، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والمعيان،

فانبذ بمن^(١) أطاعك إلى من عصاك ؛ فجاهدْهم ، فإن ظهرتْ فهو ما ظننت ، وإلا فطاولهم وماطلهم ؛ فكان كتائب المسلمين قد أطلت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ؛ ونصر المؤمنين الحقين ، والسلام .

فلما قرأه زياد أقرأه أعين بن ضُبَيْعة ، فقال له : إني لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء الله . ثم خرج من عنده ؛ فأتى رَحْله ، فجمع إليه رجالا من قومه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا قوم ، على ماذا تقتلون أنفسكم ، وشهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار ! وإني والله ما جئْتُكم حتى عيّنت إليكم الجنود ؛ فإن تُنبِئوا إلى الحق يقبل منكم ، ويكف عنكم ؛ وإن أبيتُمْ فهو والله استئصالكم وبواركم .

فقالوا : بل نسمع ونطيع . فقال : انهضوا الآن على بركة الله عز وجل . فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي فصافوه وواقفهم^(٢) عامة يومه يُناشدُهم الله ، ويقول : يا قوم لا تَكُونُوا بَيْعَتَكُمْ ، ولا تَخَالِفُوا إِمَاءَكُمْ ، ولا تَجْعَلُوا على أنفسكم سبيلا ؛ فقد رأيتم وجرّبتُم كيف صنع الله بكم عند نَكْثِكُمْ بَيْعَتَكُمْ وخلافكم .. فكفّوا عنه ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ؛ وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه ، فانصرف عنهم وهو منهم منتصف . فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنهم خوارج ، فضربوه بأسيا فهم وهو على فراشه ، ولا يظنّ أنّ الذي كان يكون ، فخرج يشتدّ غُرْيانا ، فلحقوه في الطريق فقتلوه ، فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي حين قتل أعين بجماعة منّ معه من الأزد وغيرهم من شيعة عليّ عليه السلام ، فأرسل بنو تميم إلى الأزد : والله ما عرضنا لجارك إذ أجرتُموه ، ولا لمالٍ هو له ، ولا لأحدٍ ليس على رأينا ؛ فما تريدون

(١) كذا في ١ ، ج ، وفي ب : « من » .

(٢) صافوه ؛ أي وقفوا صفاً ويقال : واقفه في الحرب ؛ أي وقف كل منهما مع الآخر .

إلى حَرْبنا وإلى جارنا ! فكانَ الأزْد عند ذلك كَرِهَتْ قتالهم .

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن أعين بن ضبيعة قدِم علينا مِنْ قِبَلِك بِجْدَةٍ ومناصحة وصدق ويقين ، فجمع إليه مَنْ أطاعه من عشيرته ، فحنهم على الطاعة والجماعة ، وحثّهم الخلف والفرقة ، ثم نهض بمنّ أقبل معه إلى مَنْ أدبر عنه ، فواقفهم عامّة النهار ، فقالَ أهلُ الخلف تقدّمه ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثيرٌ ممن كان يريدُ نصرته ، فكان كذلك حتى أمسى ، فأنى في رَحْلِهِ فَبَيْتُهُ نفر من هذه الخارجة المارقة ، فأصيب رحمه الله تعالى ، فأردتُ أَنْ أناهضَ ابنَ الحضرمي عند ذلك ، فحدث أمرٌ ، قد أمرتُ صاحب كتابي هذا أن يذكره لأُمير المؤمنين ، وقد رأيتُ إنْ رأى أميرُ المؤمنين ما رأيت ، أن يبعث إليهم جارية بن قدامة ، فإنه نافذ البصيرة ، ومطاع في العشيرة ، شديدٌ على عدوِّ أمير المؤمنين ، فإنَّ يقدّم يفرّق بينهم بإذن الله . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فلما جاء الكتاب ، دعا جارية بن قدامة ، فقال له : بَابَن قدامة ، تمنع الأزْد عاملي وبيت مالي ، وتشاقتي مضر وتناذني ! وبنا ابتدأها الله تعالى بالكرامة ، وعرفها الهدى ، وتداعوا إلى المعشر الذين حادّوا الله ورسوله ، وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه ، حتى علّت كلمة الله ، وهلك الكافرون .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ابعثن إليهم ، واستعن بالله عليهم . قال : قد بعثتُ إليهم ، واستعنت بالله عليهم .

قال إبراهيم : فحدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثني ابنُ أبي السيف ، عن سليمان ابن أبي راشد ، عن كعب بن قُعين ، قال : خرجتُ مع جارية من الكوفة إلى البصرة

في خمسين رجلا من بني تميم ، ما كان فيهم يمانى غيرة ، وكنتُ شديد التشيع ، فقلت لجارية : إن شئتُ كنتُ معك ، وإن شئتُ ملتُ إلى قومي ! فقال : بل معي ؛ فوالله لو ددت أن الطير والبهائم تنصرني عليهم ، فضلا عن الإنس .

قال : وروى كعب بن قعين أن علياً عليه السلام كتب مع جارية كتابا ، وقال : اقرأه على أصحابك ، قال : فضينا معه ، فلما دخلنا البصرة ، بدأ بزياد ، فرحب به وأجلسه إلى جانبه ، وناجاه ساعة وساءلته ، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال : احذر على نفسك ، واتق أن تلقى مالتى صاحبك القادم قبلك .

وخرج جارية من عنده ، فقام في الأزد ، فقال : جزاكم الله من حَيٍّ خيرا ! ما أعظم غناءكم ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأمركم ! لقد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره ، ودعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه . ثم قرأ عليهم وعلى من كان معه من شيعة علي عليه السلام وغيرهم - كتاب على عليه السلام ، فإذا فيه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، أما بعد فإن الله حليم ذو أناة ، لا يعجل بالعقوبة قبل البيئة ، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضى بالإناة ؛ ليكون أعظم للحجة ، وأبلغ في المезде ؛ وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ، ففوت عن مجرمكم ، ورفعت السيف عن مذبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت بيعتكم ، فإن تقوا بييعتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي ، أعمل (٤ - نهج - ٤)

فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق ، وأقيم فيكم سبيل الهدى ، فوالله ما أعلم أن والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني ، ولا أعل بقلبي . أقول قولي هذا صادقاً ، غيرَ دَامَ لِمَن مَضَى ، ولا منقوصاً لأعمالهم ، وإن خَبَطْتُ^(١) بكم الأهواء الرُذِيَّة ، وسَفَهُ الرأى الجائر إلى منابذتي ، تريدون خلافي فيها أنا ذا قرَّبتُ جِيادِي ، وَرَحَلْتُ رِكابي ، وإيمُ الله لئن أُلجأتُموني إلى المسير إليكم لأوقعنَ بكم وَقْعَةً ، لا يكون يوم الجَل عندنا إلا كَلَمَقَةً لآلع ، وإني لظانٌ ألا تَجعلوا - إن شاء الله - على أنفسكم سبيلاً . وقد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم ، ولن أكتبَ إليكم من بعده كتاباً ، إن أنتم استغفشتُم نصيحتي ، وناذرتُم رسولي ، حتى أكون أنا الشَّخصَ نحوكم ، إن شاء الله تعالى . والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على الناس قام صَبْرَةُ بن شَيْثَان ، فقال : سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حَرْب ، ولمن سالم سَلِم ؛ إن كَفَيْتَ يَاجَارية قومَكَ بقومك فذاك ، وإن أحببت أن ننصرَكَ نصرناكَ .

وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ونحوه ، فلم يأذن لأحدٍ منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

فقام زياد في الأزد ، فقال :

يا معشر الأزد ، إن هؤلاء كانوا أمس سِلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم كنتم حرباً فأصبحتم سِلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتُموني ، حتى نصبتُم لي منبرا وسريرا ، وجعلتم لي شُرَطا وأعوانا ، ومناديا وجمعة ، فما فقدت بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم ، لا أجبِيه اليوم ، فإن لم أجبِيه اليوم أجبِيه غدا إن شاء الله . واعلموا أن حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم في الدنيا والدين من حربكم أمس عليًّا ، وقد قدم عليكم جارية بن قدامة ، وإنما أرسله على

(١) كذا في أ ، ج ، وفي ب : « خطت » .

ليصدع أمر قومه، والله ما هو بالأمير المطاع، ولو أدرك أمه في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أو لكان لي تبعاً، وأنتم الهامة العظمى، والجرة^(١) الحامية، فقدّموه إلى قومه، فإن اضطر إلى نصركم فسيروا إليه، إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبرة شيان فقال: يا يزيد، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل، رجوت ألا يقاتلوا علياً، وقد مضى الأمر بما فيه. وهو يوم بيوم، وأمر بأمر، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيء، والتوبة مع الحق، والعفو مع الندم، ولو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، واستئفاف الأمور، ولكنها جماعة دماؤها حرام، وجروحها قصاص، ونحن معك نحب ما أحبت.

فمجب زياد من كلامه، وقال: ما أظن في الناس مثل هذا.

ثم قام صبرة ابنه، فقال: إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا كما أصبنا أمس يوم الجمل، وإنا لنرجو اليوم أن نمتحس ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، وأما أنت يا يزيد، فوالله ما أدركت أملك فينا، ولا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك، ونحن رادوك إليها غدا إن شاء الله تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يشبهك^(٢)، وإنا والله نخاف من حرب على في الآخرة، مالا نخاف من حرب معاوية في الدنيا، فقدّم هواك وأخر هوانا، فنحن معك وطوعك.

ثم قام خنقر^(٣) الحناني، فقال: أيها الأمير، إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا، لم نرض ذلك لأنفسنا، سربنا إلى القوم إن شئت، وإيّم الله ما لقينا قوماً^(٤) قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهننا؛ إلا ما كان أمس.

(١) الجرة: كل جماعة انضموا فصاروا بدءاً واحدة ولم يحالفوا غيرهم.

(٢) ج: «تشبهه».

(٣) كذا في ب، وفي ج: «حيقن».

(٤) ب: «يوما».

قال إبراهيم : فأما جارية ، فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليهم أو باش^(١) ففاوضوه بعد أن شتموه وأسمعوه ، فأرسل إلى زياد والأزد ، يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي ، وعلى خيله عبد الله بن خازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي - وكان من شيعة علي عليه السلام ، وصديقا لجارية بن قدامة - فقال : ألا أقاتل معك عدوك ؟ فقال : بلى ؛ فما لبثت بنو تميم أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبل السعدى ؛ فحصروا ابن الحضرمي وحده ، فأتى رجل من بني تميم ، ومعه عبد الله بن خازم السلمي ، فجاءت أمه وهى سوداء حبشية اسمها عجلى ، فنادت ، فأشرف عليها ، فقالت : يا بني ، انزل إلي ، فأبى فكشفت رأسها وأبدت قناعها ، وسألته النزول فأبى ، فقالت : والله لتنزلن أو لأتعرين - ، وأهوت بيدها إلى ثيابها^(٢) ، فلما رأى ذلك نزل ، فذهبت به ، وأحاط جارية وزياد بالدّار ، وقال جارية : على بالنار ، فقالت الأزد : لسا من الحريق بالنار فى شيء ؛ وهم قومك وأنت أعلم ، فحرق جارية الدّار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي فى سبعين رجلا ؛ أحدهم عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشى التميمي ؛ وسمي جارية منذ ذلك اليوم محرّقا ؛ وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ؛ ومعه بيت المال ، وقالت له : هل بقى علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، قالوا : فبرئنا منه ؟ فقال : نعم ؛ فانصرفوا عنه . وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أما بعد ، فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدّم من عندك ، فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره وأعاناه من الأزد ، ففضّه واضطره إلى دار من دور البصرة فى عدد كثير من أصحابه ، فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما ، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه ، منهم من أحرق بالنار ؛ ومنهم من ألقى عليه جدار ؛ ومنهم من هُدِم عليه البيت من أعلاه ؛ ومنهم من قُتل بالسيف ، وسلم

(١) الأوباش : الأخطا والسفلة من الناس .

(٢) ب : « ساقها » .

مهم نفراً نابوا وتابوا ، فصفتح عنهم ، وبعداً لمن عصى وغوى ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فلما وصل كتاب زياد قرأه على عليه السلام على الناس ، وكان زياد قد أنفذه مع ظَبْيَان بن عُمارة ، فسرّ على عليه السلام بذلك وسرّ أصحابه ، وأثنى على جارية وعلى الأزدي ، وذمّ البصرة فقال : إنها أول القرى خراباً ؛ إما غرقاً وإما حرقاً ؛ حتى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة . ثم قال لظَبْيَان : أين منزلك منها ؟ فقال : مكان كذا ، فقال : عليك بضواحيها .

وقال ابن العرندس الأزديّ يذكر تحريق ابن الحضرميّ ، ويعيّز تيمياً بذلك :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارَ تَيْمٍ يَنَادِي الشَّجَبَ ^(١)

لِحَالِهِ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ لَعَمْرِي لِبُئْسِ الشَّوَاءِ الشُّصْبَ ^(٢)

يَنَادِي الْخُلَاقَ وَأَبْنَاءَهَا وَقَدْ شَيَّطُوا رَأْسَهَا بِاللَّهَبِ

والخُلَاقَ لِقَبِ قَوْمِ بَنِي تَيْمٍ .

(١) الشَّجَب : الهلاك

(٢) الشُّصْب : الشاة السلوخة .

(٥٦)

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه :

الأصل :

أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رخب البلعوم ، مندحق البطن ، ياكل ما يجد ، ويطلب ما لا يجد ، فاقتلوه - وأن تقتلوه . ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني ؛ فأما السب فسيؤني ؛ فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني ؛ فإني ولدت على الفطرة ، وسبقت إلى الإيمان والهجرة .

الشرح :

مندحق البطن : بارزها ، والدحوق من النوق : التي يخرج رجمها عند^(١) الولادة .
وس يظهر : سينقلب . ورخب البلعوم : واسعه .

وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عني زيادا ، وكثير منهم يقول : إنه عني الحجاج . وقال قوم : إنه عني المغيرة بن شعبة ؛ والأشبه عندى أنه عني معاوية ، لأنه كان موصوفا بالنهم وكثرة الأكل ، وكان بطينا ، يقعد بطنه إذا جالس على فخذه ، وكان معاوية جوادا بالمال والصلات ، وبخيلا على الطعام ؛ يقال : إنه مازح أعرابيا على طعامه ، وقد قدّم بين يديه خروف ، فأمن الأعرابي في أكله ، فقال له : ماذنبه إليك ، أنطحك أبوه ؟ فقال الأعرابي : وما حنوك عليه ؟ أأرضعتك أمه ؟
وقال لأعرابي يا كل بين يديه ، وقد استعظم أكله : ألا أبغيك سكتينا ؟ فقال :

(١) ج : « بعد » .

كلّ امرئ سيكّينه ورأسه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : نُعيم ، قال : منها أتيت .
كان معاوية يأكل فيكثر ، ثم يقول : ارفعوا ، فوالله ما شيعت ولكن
مِلّت وتعبت .

تظاهرت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على معاوية لما بعث إليه
يستدعيه ، فوجده يأكل ، ثم بعث فوجده يأكل ، فقال : « اللهم لا تُشيع بطنه » ،
قال الشاعر :

وصاحب لي بطنه كالحاوية كان في أحشائه معاوية

وفي هذا الفصل مسائل :

الأولى : في تفسير قوله عليه السلام : « فاقتلوه ولن تقتلوه » فنقول : إنه لانتفاي بين
الأمر بالشئ والإخبار عنه أنه لا يقع ، كما أخبر الحكيم سبحانه عن أن أبأهب لا يؤمن
وأمره بالإيمان ، وكما قال تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) ، ثم قال :
﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾^(٢) ، وأكثر التسلّيفات على هذا المنهاج .

[مسألة كلامية في الأمر بالشئ مع العلم بأنه لا يقع]

واعلم أن أهل الملل والمجبرة لم يختلفوا في أنه تعالى قد يأمر بما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر
عن أنه لا يقع ؛ وإنما اختلفوا : هل يصح أن يريد ما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر عنه أنه لا يقع ؟
فقال أصحابنا : يصح ذلك ، وقال المجبرة : لا يصح ؛ لأن إرادة ما يعلم المريد أنه لا يقع قضية
متناقضة ، لأن تحت قولنا : « أراد » مفهوم أن ذلك المراد مما يمكن حصوله ، لأن إرادة الحال
ممتنعة . وتحت قولنا : « إنه يعلم أنه لا يقع » مفهوم أن ذلك المراد مما لا يمكن حصوله ، لأن نقد

فرضنا أنه لا يقع وما لا يقع لا يمكن حصوله مع فرض كونه لا يقع ، فقال لهم أصحابنا : هذا يلزمكم في الأمر ؛ لأنكم قد أجزتم أن يأمر بما يعلم أنه لا يقع ، فقالوا في الجواب : نحن عندنا أنه يأمر بما لا يريد ، فإذا أمر بما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر عن أنه لا يقع ، كان ذلك الأمر أمراً طارياً عن الإرادة ، والحال إنما نشأ من إرادة ما علم المرید أنه لا يقع ، وها هنا لا إرادة .

ف قيل لهم : هب أنكم ذهبتم إلى أن الأمر قد يعرَى من الإرادة مع كونه أمراً ، ألسنتم تقولون : إن الأمر يدل على الطلب ، والطلب شيء آخر غير الإرادة ! وتقولون : إن ذلك الطلب قائم بذات الباري ، فنحن نُلزِمكم في الطلب القائم بذات الباري ، الذي لا يجوز أن يعرَى ^(١) الأمر منه ما ألزمتونا في الإرادة .

ونقول لكم : كيف يجوز أن يطلب الطالب ما يعلم أنه لا يقع ! أليس تحت قولنا : طلب مفهوم ؛ أن ذلك المطلوب بما يمكن وقوعه ! فالحال في الطلب كالحال في الإرادة ، تحذو النعل بالنعل . ولنا في هذا الموضوع أبحاث دقيقة ذكرناها في كتبنا الكلامية .

[فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعل]

المسألة الثانية : في قوله عليه السلام : « يأمركم بسبّي والبراءة مني » ، فنقول : إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرها بسب علي عليه السلام والبراءة منه . وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر ابن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فأزاله . وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة : اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك ، وصدد عن سبيلك

(١) : « يعرَى » .

قالعه لعنا وببلا ، وعذبه عذاباً أليماً . وكتب بذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يُشاربها على المنابر ؛ إلى خلافة عمر بن عبد العزيز .

وذكر أبو عثمان أيضاً أن هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم ، فقام إليه إنسان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبّ فيه لمن أبي تراب ، فقال : اكفف ، فما لهذا جئنا .

وذكر المبرّد في " الكامل " ، أن خالد بن عبد الله القسريّ لما كان أمير العراق في خلافة هشام ، كان يلحن عليّاً عليه السلام على المنبر ، فيقول : اللهمّ ألنّ عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، صهر رسول الله صلى عليه وآله على ابنته ، وأباً الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس ، فيقول هل كنيت^(١) !

وروى أبو عثمان أيضاً أن قوماً من بني أميّة قالوا للمعاوية : يا أمير المؤمنين ، إنك قد بلغت ما أملت ، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ! فقال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً !

وقال أبو عثمان أيضاً : وما كان عبد الملك - مع فضله وأناته وسدّاده ورُجّحانه - ممن يخفى عليه فضلٌ على عليه السلام ، وأن لعنه على رءوس الأَشهاد ، وفي أعطاف الخطب ، وعلى صَهوات المنابر مما يعود عليه نقصه ، ويرجع إليه وهنه ؛ لأنهما جميعاً من بني عبد مناف ؛ والأصل واحد ، والجُرثومة مثبت لهما ، وشرف على عليه السلام وفضله عائد عليه ، ومحسوب له ، ولستكنه أراد تشييد الملك وتأكيده ما فعله الأسلاف ، وأن يقرّر في أنفس الناس أن بني هاشم لا حظّ لهم في هذا الأمر ، وأن سيّدَهم الذي به يصلون ، وبفخره يفخرون ،

(١) الكامل ٤١٤ (طبع أوربا) .

هذا حاله وهذا مقداره ، فيكون مَنْ يَنْتَشِي إِلَيْهِ وَيُذَلِّي بِهِ عَنِ الْأَمْرِ أَبْعَدَ ، وَعَنِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ أَشْحَطَ وَأَنْزَحَ .

وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا عليه السلام ، فقال : لعنه « الله - بالجر - كان لص ابن لص » .

فمعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ، ومن نسبته عليا عليه السلام إلى اللصوصية وقالوا : ما ندري أيهما أعجب ! وكان الوليد لئلا .

وأمر المغيرة بن شعبة - وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية - حُجْرَ بن عدى أن يقوم في الناس ، فليعلن عليا عليه السلام ، فأبى ذلك ، فتوعده ، فقام فقال : أيها الناس ، إن أميركم أمرني أن ألعن عليا فالعنوه فقال أهل الكوفة : لعنه الله ، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد .

وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك ، ويُخَرَّبَ منزله ، فضر به الله ذلك اليوم بالطاعون ، فات - لا رحمه الله - بعد ثلاثة أيام ، وذلك في خلافة معاوية .

وكان الحجاج - لعنه الله - يلعن عليا عليه السلام ، ويأمر بلعنه . وقال له متعرض به يوما وهو راكب : أيها الأمير ، إن أهلي عقوقني فسموني عليا ، فغير اسمي ، وصلني بما أتبلغ به فإني فقير . فقال : لِلْطُفِّ ما توصلت به قد سميتك كذا ، ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه .



فأما عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فإنه قال : كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فرّ بي يوما وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن عليا ،

فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي ، فلما رأيته قام فصلى وأطال في الصلاة - شبه المعرض عني - حتى أحسست منه بذلك ، فلما انقضى من صلاته كآخ في وجهي ، فقلت له : ما بال الشيخ ؟ فقال لي : يا بني ، أنت اللاعن علياً منذ اليوم ؟ قالت : نعم ، قال : ففتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ! فقلت : يا أبت ، وهل كان على من أهل بدر ! فقال : ويحك ! وهل كانت بدر كلها إلا له ! فقلت : لا أعود ، فقال : الله أباك لا نعود ! قلت : نعم فلم ألقه بعدها . ثم كنت أسمع أحضر تحت منبر المدينة ، وأبي يخطب يوم الجمعة - وهو حينئذ أمير المدينة - فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدير شقايقه ، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجهمهم ، ويمرض له من الفهاة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أجب من ذلك ، فقلت له يوماً : يا أبت ، أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حقلك ، حتى إذا مررت بلغن هذا الرجل ، صيرت ألكن عالياً ! فقال : يا بني ، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم ، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد . فوقرت كلمته في صدري ؛ مع ما كان قاله لي معلى أيام صغري ، فأعطيت الله عهداً ؛ لأن كان لي في هذا الأمر نصيب لأعيرته ، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك ، وجعلت مكانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(١) ، وكتب به إلى الآفاق فصار سنة .

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السب :

وليت فلم تشتم عايها ولم تخيف برئاً ولم تقبل إساءة مجرم ^(٢)
وكفرت بالعفو الذنوب مع الدي أتيت فأضحى راضياً كل مسلم

(١) سورة الحل ٩٠

(٢) الأعاني ٩ : ٢٥٨ (طبعة الدار) مع اختلاف في الرواية .

ألا إنما بكفى الفقى بعد زيفه من الأود البادى ثفاف المقوم
وما زلت تواقا إلى كل غابة بلغت بها أعلى العلاء المقدم
فلما أتاك الأمر عفواً ولم يكن لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذى يفنى لأن كان بائداً وآثرت ما يبقى برأى مصم

وقال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى :

يَا بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَيْنُ فَقَى مِنْ أُمِّهِ لَبَكَيْتُكَ^(١)
غير أنى أقول إنك قد طُيبت وإن لم يطب ولم يزل يبتك
أنت نزهتنا عن السب والقذ ف؛ فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أنى رأيت قبرك لاستحييت من أن أرى وما حيينك
وقليل أن لو بدلت دماء البُدن صرقاً على الذرا وسقيتك
دير سمان : فيك ماوى أبى حن صر بودى لو أننى آويتك
دير سمان ، لا أغيبك غيب خيتميت من آل مروان ميتك^(٢)
أنت بالذكى بين عيني وقلبي إن تدانيت منك أو إن نأيتك
وإذا حرك الحشا خاطرك منك توهمت أننى قد رأيتك
وعجب أنى قلت بى مر وان طراً وأننى ما قلتك
قرب العدل منك لما نأى الجو رُبهم فاجتويتهم واجتبيتك
فلو أنى ملكت دفعا لمانا بك من طارق الردى لقد يتك

(١) ديوانه لوحة ١٢٤

(٢) دير سمان ، بكسر السين وفتحها ؛ دير بنواحي دمشق عنده قبر عمر بن عبد العزيز. (ياقوت)

وروى ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن السائب ، قال : قال الحجاج يوما لعبد الله بن هاني ، وهو رجل من بني أؤد - حتى من قحطان - وكان شريفا في قومه ، قد شهد مع الحجاج مشاهد كلها ، وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأتك بعد ! ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيّد بني فزارة : أن زوّج عبد الله بن هاني بابنتك ، فقال : لا والله ولا كرامة ! فدعا بالسياط ، فلما رأى الشرّ قال : نعم أزوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية : زوّج ابنتك من عبد الله بن أؤد ، فقال : ومن أؤد الا والله لا أزوجه ولا كرامة ! فقال : على بالسيف ، فقال : دَعْنِي حتى أشاور أهلي ، فشاورهم ، فقالوا : زوّجه ولا نعرّض نفسك لهذا الفاسق ، فزوّجه . فقال الحجاج لعبد الله : قد زوّجتُك بنت سيّد فزارة وبنت سيّد همدان ، وعظيم كهلان وما أؤد هناك ! فقال : لا تقلّ ! صلح الله الأمير ذاك ! فإنّ لنا مناقبَ ليست لأحدٍ من العرب ، قال : وما هي ؟ قال : ما سُبّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قطّ ، قال : منقبة والله ، قال : وشهد منّا صِفَيْن مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا ، ماشهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد ، وكان والله ما علمته امرأ سوء ، قال : منقبة والله ، قال : ومنّا نسوة نذرْنَ : إن قتل الحسين بن علي أنْ تنحركلّ واحدة عشر قلائص ، ففعلن ، قال : منقبة والله ، قال : وما منّا رجل عرّضَ عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنيّه حسنا وحسينا وأمهما فاطمة ، قال : منقبة والله ، قال : وما أحدٌ من العرب له من الصبابة والملاحة مالنا ، فضحك الحجاج ، وقال : أما هذه يا أبا هاني فدعها . وكان عبدُ الله دميّا شديدا الأدمة ^(١) مجدورا ، في رأسه عَجْر ، مائل الشّدق ، أحول ، قبيح الوجه ؛ شديد الحول .

وكان عبد الله بن الزبير يُبغض عليا عليه السلام ؛ وينتقمه وينال من عِرْضه .

(٢) عَجْر ؛ أى تواء .

(١) الأدمة : السمرة .

وروى عمر بن شبة وابنُ الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير ، أنه مكث أيامَ ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا ينفعى من ذكره إلا أن تسمخَ رجال بآنافها .

وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى : أن له أهيلَ سوء يُنغضون رؤوسهم عند ذكره .

وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس : ما حديثُ أسمعك عنك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تأنيبي وذمي ! فقال : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُئسَ المرءُ المسلمُ يشبع ويجوعُ جاره » ، فقال ابن الزبير : إني لأكتمُ بغضكم أهلَ هذا البيت منذ أربعين سنة . وذكر تمام الحديث .

وروى عمر بن شبة أيضا عن سعيد بن جبير ، قال : خطب عبد الله بن الزبير ، فقال من على عليه السلام ، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية ، فجاء إليه وهو يخطب ، فوضع له كرسيًا ، فقطع عليه خطبته ، وقال : يا معشر العرب ، شامت الوجوه ! أُنْتَقَصُ على وأنتم حضورا إن عليًا كان يدّ الله على أعداء الله ، وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه ، فقتلهم بكفرهم فشنتوه وأبغضوه ، وأضمرّوا له الشنْف^(١) والحسد ، وابن عمه صلى الله عليه وسلم حتى بعد لم يمّت ؛ فلما نقله الله إلى جواره ، وأحبّ له ما عنده ، أظهرت له رجال أحقادها ، وشفت أضغانها ، فمنهم من ابتز حقه ، ومنهم من ائتمر به ليقّته ، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل ؛ فإن يكن لذرّيته وناصرى دعوته دولة تنشر عظامهم ، وتحفر على أجسادهم ؛ والأبدان منهم يومئذ بالية ، بعد أن تقتل الأحياء منهم ، وتذلّ رقابهم ، فيكون الله عزّ اسمه قد عذّبهم بأيدينا وأخزاهم ؛ ونصرنا عليهم ، وشفّا صدورنا منهم ؛ إنّه والله ما يشتم عليا إلا كافر يُسرّ شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن يبوَحَ به ،

(١) الشنف : البغض ، وفيه : « السيف » .

فيكنى بشتم على عليه السلام عنه . أما إنه قد انحطت النية منكم من امتد عمره ، وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه : « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ، فعاد ابن الزبير إلى خطبته ، وقال : عذرتُ بني الفواطم يتكلمون ؛ قال بال ابن أم حنيفة ! فقال محمد : يا ابن أم رومان^(١) ؛ ومالي لا أتكلم ا وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ا ولم يفتني نحرها ؛ لأنها أم أخوي . أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم ، جدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم ، كافلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقائمة مقام أمه ؛ أما والله لو لا خديجة بنت خويلد ما تركتُ في بني أسد بن عبد المزي عظاما إلا هشمتها ثم قام فانصرف .

[فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم علي]

وذكر شيخنا أبو جعفر^(٢) الإسكافي رحمه الله تعالى - وكان من المتبحرين بموالاة علي عليه السلام ، والمبالغين في تفضيله ؛ وإن كان القول بالتفضيل عاما شائعا في البغداديين من أصحابنا كافة ؛ إلا أن أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولاً ، وأخلصهم فيه اعتقاداً أن معاوية وضع قومًا من الصحابة وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام ، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ؛ وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرَغَّبُ في مثله ؛ فاختلقوا ما أَرْضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه ، قال : حدثني عائشة ، قالت : كنتُ عند

(١) كذا في ا ، ب ، وفي ج : « قبيلة » .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي ؛ من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم ؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم ؛ وهو بغدادى أصله من سمرقند ؛ قال ابن النديم : كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والزهادة ؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد ؛ وكان المتصم يعظمه . وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره . توفي سنة ٢٤٠ هـ ، لسان الميزان ٥ : ٢٢١

رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ ، فقال : يا عائشة ، إن هذين يموتان على غير ملّةي-
أو قال ديني .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، قال : كان عند الزهريّ حديثان عن عروة عن عائشة
في عليّ عليه السلام ؛ فسألته عنهما يوما ، فقال : ما تصنع بهما وبحديثهما ! الله أعلم بهما ؛
لأنّ لآلئهما في بني هاشم .

قال : فأما الحديث الأول ؛ فقد ذكرناه ؛ وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن
عائشة حدثته ، قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعليّ ، فقال :
« يا عائشة ؛ إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ،
فنظرت ، فإذا العباس وعليّ بن أبي طالب .

وأما عمرو بن العاص ، فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن
آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما وليّ الله وصالح المؤمنين » .

وأما أبو هريرة ، فروى عنه الحديث الذي معناه أن عليا عليه السلام خطب ابنة
أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسخطه ، فخطب على المنبر ، وقال :
لأما الله ! لا تجتمع ابنة وليّ الله وابنة عدو الله أبي جهل ! إن فاطمة بضعة^(١) مني يؤذيها
ما يؤذيها ؛ فإن كان عليّ يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي ، وليفعل ما يريد ، أو كلاماً
هذا معناه ، والحديث مشهور من رواية الكرايسي .

قلت : هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن السّوّار بن مخرمة
الزهريّ ؛ وقد ذكره المرتضى في كتابه « المسمى تنزيه الأنبياء والأئمة » ، وذكر أنه رواية

(١) بضعة ، أي قطعة .

حسين الكراييسي^(١)، وأنه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وعداوتهم والمناصبة لهم، فلا تقبل روايته.

ولشيعاء هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد، ويذكر فيها ولد فاطمة عليهم السلام ويُنحى عليهم، ويذمهم، وقد بالغ حين ذم عليا عليه السلام ونال منه، وأولها:

سَلَامٌ عَلَى جُحْلِ، وَهَيْهَاتَ مِنْ جُلٍ وَيَا حَبْدًا جُلٍ وَإِنْ صَرَمَتْ حَبْلِي
يقول فيها:

عَلَى أَبُو كَمْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْكُمْ	أَبَاهُ ذُو الشُّورَى وَكَانُوا ذَوِي الْفَضْلِ
وَسَاءَ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ سَاءَ بَنَتُهُ	بَخِطْبَتِهِ بَنَتَ الْعَيْنِ أَبِي جَهْلٍ
فَذَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَهْرَ أَيْسَكُمْ	عَلَى مَنَبَرٍ بِالْمَنْطِقِ الصَّادِعِ الْمَضِلِّ
وَحَكَمَ فِيهَا حَاكِمِينَ أَبُو كَمْ	هَما خَلْعَاهُ خَلَعَ ذِي النَّعْلِ لِلنَّعْلِ
وَقَدْ بَاعَهُمَا مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ ابْنَهُ	فَقَدْ أَبْطَلَتْ دَعَاكُمْ الرِّثَّةُ الْجَبِلِ
وَخَايَتُمُوهَا وَهِيَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا.	وَطَالِبَتُمُوهَا حِينَ صَارَتْ إِلَى أَهْلِهَا

وقد روى هذا الخبر على وجوه مختلفة، وفيه زيادات متفاوتة؛ فمن الناس من يروى فيه: «مهما ذمنا من صهر فإننا لم نذم صهر أبي العاص بن الربيع»، ومن الناس من يروى فيه: «ألا إن بنى المغيرة أرسلوا إلى عليٍّ ليزوجوه كريمتهم...» وغير ذلك. وعندى أن هذا الخبر لو صح لم يكن على أمير المؤمنين فيه غضاضة ولا قَذْح، لأنَّ

(١) هو أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكراييسي البغدادي؛ صاحب الإمام الشافعي، وأشهرهم بارتداد مجلده وأحفظهم لمذهبه؛ وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه. توفي سنة ٢٤٨. ابن خلسكان ١: ١٤٥

الأمة مجمعة على أنه لو نكح ابنة أبي جهل ، مضافا إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز ، لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع ؛ فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة ، لأن هذه القصة كانت بعد فتح مكة ، وإسلام أهلها طوعا وكرها ، ورواة الخبر موافقون على ذلك ؛ فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى فاطمة عليها السلام قد غارت ، وأدركها ما يدرك النساء ، عاتب عليها عليه السلام عتاب الأهل ، وكما يستثبت الوالد رأى الولد ، ويستعطفه إلى رضا أهله وصلاح زوجته . ولعلّ الواقع كان بعض هذا الكلام فخرّف وزيد فيه . ولو تأملت أحوال النبي صلى الله عليه وآله مع زوجاته ، وما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة ، والصلح أخرى ، والسخط تارة والرضا أخرى ، حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة ، وإلى الإيلاء مرة ، وإلى الهجر والقطيعة مرة ، وتدبرت ماورد في الروايات الصحيحة مما كُنّ يلقينه عليه السلام به ، ويُسمّعه إياه ؛ لعلمت أن الذي عاب الحسدة والشائنون عليا عليه السلام به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط ، ولو لم يكن إلا قصة مارية ، وما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين تينك امرأتين من الأحوال والأقوال ؛ حتى أنزل فيهما قرآن يُقلى في الحارِيب ، ويكتب في المصاحف ، وقيل لهما ما لا يقال للإسكندر ملك الدنيا لو كان حيا ، منابذاً الرسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾^(١) ، ثم أردف بعد ذلك بالوعيد والتخويف : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ . . . ﴾^(٢) الآيات بتمامها . ثم ضرب لهما مثلا امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ؛ وتام الآية معلوم . فهل ماروى في الخبر من تعصب فاطمة على علي عليه السلام

(١) سورة التحريم ٤ ، ٥

وغيرتها من تعريض بنى المغيرة له بفكاح عقيلتهم ، إذا قويس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجري إلا كنسبة التأنيف^(١) إلى حرب البسوس ولكن صاحب الهوى والمصيبة لا علاج له .

ثم نعود إلى حكاية كلام شيخنا أبي جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى . قال أبو جعفر : وروى الأعمش ، قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلته مرارا ، وقال : يا أهل العراق ، أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله ، وأحرق نفسي بالنار والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن لكل نبي حراما ، وإن حرمي بالمدينة ، ما بين عير إلى ثور ، فن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها : فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة .

قلت : أما قوله : « ما بين عير إلى ثور »^(٢) ، فالظاهر أنه غلط من الراوى ، لأن ثورا بمكة وهو جبل يقال له : ثور أطحل ، وفيه الفار الذي دخله النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر ، وإنما قيل : « أطحل » لأن أطحل بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن عدنان كان يسكنه . وقيل : اسم الجبل أطحل ، فأضيف « ثور » إليه ؛ وهو ثور بن عبد مناف ، والصواب : « ما بين عير إلى أحد »^(٣) .

فأما قول أبي هريرة : « إن عليا عليه السلام أحدث في المدينة » ، فحاش لله ! كان على عليه السلام أتقى لله من ذلك ؛ والله لقد نصر عثمان نصرا لو كان المحصور جعفر بن أبي طالب لم يبذل له إلا مثله .

قال أبو جعفر : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ، ضرب به عمر

(١) ج : « التأنيف » .

(٢) عير : جبل بالحجاز .

(٣) معجم البلدان ٦ : ٢٤٦ : « وهما بالمدينة » .

بالهزّة، وقال : قد أكرّث من الرواية وآخر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه

وروى سفيان الثوريّ عن منصور ، عن إبراهيم النخعيّ ، قال : كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلّا ما كان من ذِكْرِ جنة أو نار .

وروى أبو أسامة عن الأعمش ، قال : كان إبراهيمُ صحيحَ الحديث ، فكنتُ إذا سمعت الحديث أتيتُهُ فعرضتُهُ عليه ، فأتيته يوماً بأحدٍ من حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، فقال : دعني من أبي هريرة ، إنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه .

وقد روى عن عليّ عليه السلام أنه قال : إلّا إنّ أكذبَ الناس - أو قال : أكذبَ الأحياء - على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدؤسيّ .

وروى أبو يوسف ، قال : قلت لأبي حنيفة : انظر يحيى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يخالف قياسنا ما تصنع به ؟ قال : إذا جاءت به الرواة الثقات عُملنا به وتركنا الرأي ، قلت : ماتقول في رواية أبي بكر وعمر ؟ فقال : ناهيك بهما ! قلت : عليّ وعثمان ، قال : كذلك ، فلما رأيَ أَعَدَّ الصحابة قال : والصحابة كلّهم عدول ماعدّاً رجلاً ، ثم عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك .

وروى سفيان الثوريّ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عمر بن عبد الغفار ، أن أبا هريرة لما قدّم الكوفة مع معاوية ، كان يجلس بالعشّيات بباب كنفة ، ويجلس الناس إليه ، فجاء شابٌّ من الكوفة ، فجلس إليه ، فقال : يا أبا هريرة ، أنشدك الله ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب : « اللهم والِ مَنْ والاه وعاد من عاداه » ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : فأشهد بالله ، لقد واليت عدوّه ، وعاديت وليّه ، ثم قام عنه .

وروت الرواة أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ، ويلعب معهم ، وكان يخطب وهو أمير المدينة ، فيقول : الحمد لله الذي جعل الدين قياما ، وأبا هريرة إماما ؛ يضحك الناس بذلك . وكان يمشى وهو أمير المدينة في السوق ، فإذا انتهى إلى رجل يمشى أمامه ، ضرب برجليه الأرض ، ويقول : الطريق الطريق ! قد جاء الأمير ! يعني نفسه .

قلت قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب " المعارف " ،^(١) في ترجمة أبي هريرة ، وقوله فيه حجة لأنه غير مقيم عليه .

قال أبو جعفر : وكان المغيرة بن شعبه يلعن عليا عليه السلام لعناصريه على منبر الكوفة ، وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال : لن رأيت المغيرة لأرجحته بأحجاره - يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكر ، ونكل زياد عن الشهادة - فكان يبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه .

قال : وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الزمعة^(٢) عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ويقول : وما يعني أنه لم يخالف إلى ما أنهى عنه ، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق !

قال : وقد كان في المحدثين من يبغضه عليه السلام ، ويروي فيه الأحاديث المنكرة ؛ منهم حرير بن عثمان ، كان يبغضه وينتقصه ، ويروي فيه أخبارا مكذوبة . وقد روى

(١) المعارف ص ١٢١

(٢) الزمعة : الرعدة .

المحدثون أنّ حرّيزاً رثي في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : كاد
يفقر لي لولا بغض عليّ .

قلت : قد روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب " السقيفة " ،
قال : حدثني أبو جعفر بن الجنيد ، قال : حدثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدثني محفوظ
ابن الفضل بن عمر ، قال : حدثني أبو البهلول يوسف بن يعقوب ، قال : حدثنا حمزة
ابن حسان - وكان مولى لبني أمية ، وكان مؤذناً عشرين سنة ، وحجّ غير حجة ، وأثنى
أبو البهلول عليه خيراً - قال : حضرت حرّيز بن عثمان ، وذكر عليّ بن أبي طالب ،
فقال : ذاك الذي أحلّ حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يقع .

قال محفوظ : قلت ليجي بن صالح الوُحاطي : قد رويت عن مشايخ من نظراء
حرّيز ، فما بالك لم تحمّل عن حرّيز ؟ قال : إني أتيتُه فناولني كتاباً ، فإذا فيه : حدثني
فلان عن فلان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة أوصى أن تُقطع يدُ عليّ
ابن أبي طالب عايه السلام ، فرددت الكتاب ، ولم أستحل أن أكتب عنه شيئاً .

قال أبو بكر : وحدثني أبو جعفر ، قال : حدثني إبراهيم ، قال : حدثني محمد
ابن عاصم ، صاحب الخانات ، قال : قال لنا حرّيز بن عثمان : أنتم يا أهل العراق تحبّون
عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نُبغضه ، قالوا : لم ؟ قال : لأنه قتل أجدادي .
قال محمد بن عاصم : وكان حرّيز بن عثمان نازلاً علينا .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وكان المغيرة بن شعبه صاحبَ دنيا ، يبيع دينه بالقليل
الآزر منها ويرضى معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال يوما في مجلس
معاوية : إن علياً لم يُنكحْه رسولُ الله ابنته حبّاً ؛ ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان
أبي طالب إليه .

قال : وقد صبح عندنا أن المغيرة آمنه على منبر العراق مراتٍ لا تحصى ؛ ويروى أنه لما مات ودفنوه ، أقبل رجل راكب ظليما ، فوقف قريبا منه ثم قال :

أمن رَسْمِ دَارٍ من مفسرة تعرفُ عليها زواني الإنس والجن تعرفُ
ان كنت قد لاقيت فرعونَ بعدنا وهامان فاعلم أن ذا العرش منصفُ
قال : فطلبوه فغاب عنهم ولم يروا أحدا ، ففعلوا أنه من الجن .

قال : فأما مروان بن الحكم فأحقر وأقل من أن يذكر في الصحابة الذين قد غصناهم وأوضحنا سوء رأينا فيهم ؛ لأنه كان مجاهرا بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبي العاص ؛ وهما الطرَّيدان اللعينان ، كان أبوه عدو رسول الله صلى الله عليه وآله يحكيه في مشيه ، وينمز عليه عيته ، ويدلج^(١) له لسانه ويتهم به ، ويتهانف^(٢) عليه ؛ هذا وهو في قبضته وتحت يده ، وفي دار دعوته بالمدينة ؛ وهو يعلم أنه قادر على قتله أى وقت شاء من ليل أو نهار ، فهل يكون هذا إلا من شأىء شديد البغضة ، ومستحکم العداوة ؛ حتى أفضى أمره إلى أن طرده رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة ، وسيّره إلى الطائف ا

وأما مروان ابنه فأخبث عقيدة ، وأعظم إلحادا وكفرا ؛ وهو الذى خطب يوم وصل إليه رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة ؛ وهو يومئذ أميرها وقد حمل الرأس على يديه فقال :

يَا حَبْذَا بِرُذْكَ فِي الْيَدَيْنِ وَخُمْرَةٌ تَجْرِي عَلَى الْخُلْدَيْنِ
* كَأَنَّمَا بَيْتٌ بِمَسْجِدَيْنِ *

(٢) التهاق : الضحك مع الاستهزاء .

(١) يدلج لسانه : يخبره .

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي ، وقال : يا محمد ، يوم بيوم بدر . وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثل به يزيد بن معاوية وهو شعر ابن الزُبَيْرِ يوم وصل الرأس إليه . والخبر مشهور^(١) .

قلت : هكذا قال شيخنا أبو جعفر ؛ والصحيح أن مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يحمل إليه الرأس ؛ وإنما كتب إليه عبيد الله بن زياد يبشّره بقتل الحسين عليه السلام ، فقرأ كتابه على المنبر ، وأنشد الرجز المذكور ، وأوماً إلى القبر قائلاً : يوم بيوم بدر ، فأنسكر عليه قوله قوم من الأنصار . ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب " المثالب " .

قال : وروى الواقدي أن معاوية لما غاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس إليه خطب فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « إنك ستلي الخلافة من بعدى ، فاختر الأرض المقدسة ، فإن فيها الأبدال ، وقد اخترتكم ، فاعلموا أبا تراب . فلعنوه ، فلما كان من الغد كتب كتاباً ، ثم جمعهم فقرأ عليهم ، وفيه : هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية ، صاحب وحى الله الذى بعث محمداً نبياً ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً ، فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه ، وهو لا يعلم ما أكتب ، فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه . فقال له الحاضرون كلهم : صدقت يا أمير المؤمنين .

(١) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ١١٩ : « وقيل : إنه تمثل أيضا والرأس بين يديه بقول عبد الله بن الزُبَيْرِ :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
قَدْ قَتَلْنَا الْفَرَمَ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ وَعَدَلْنَا يَبْدُرَ فَاغْتَدَلْ

والبيتان من قصيدة أنشدها يوم أحد ؛ والحيوان ٥ : ٥٦٤ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ١٤٤ ، وطلحات الشعراء لابن سلام ١٩٩ ، ٤٠٠ .

قال أبو جعفر : وقد روى أن معاوية بذل لِسْمَرَةَ بن جُنْدَب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِخْصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(١)، وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢)، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك .

قال : وقد صحَّ أن بني أمية منَعُوا من إظهار فضائل علي عليه السلام، وعاقبوا [على] ذلك الراوى له؛ حتى إنَّ الرجل إذا رَوَى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الذين لا يتجاسرُ على ذكر اسمه؛ فيقول : عن أبي زينب .

وروى عطاء ، عن عبد الله بن شداد بن المساد ، قال : ودِدْتُ أن أترك فأحدثَ بقضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل ؛ وأنَّ عُنُقِي هذه ضربت بالسيف . قال : فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة ، لا تقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة، وشدة العداوة؛ ولولا أنَّ الله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه مَنْ يعلمه لم يُرَوَّ في فضله حديث، ولا عُرِفَتْ له متبعة؛ ألا ترى أن رئيس قرية لو سَخِطَ على واحد من أهلها، ومنع النَّاسَ أن يذكروه بخيرٍ وصالحٍ لخلِّ ذكْرُه ، ونسى اسمه، وصار وهو موجود معلوماً، وهو حيٌّ ميتاً ! هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر رحمه الله تعالى في هذا المعنى في كتاب التفضيل .

(١) سورة البقرة ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) سورة البقرة ٢٠٧

[فصل في ذكر المنحرفين عن عليّ]

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أنّ عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن عليّ عليه السلام، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلا مع الدنيا، وإيثارا للعاجلة؛ فنههم أنس بن مالك، ناشد عليّ عليه السلام الناس في رحبة القصر - أو قال رحبة الجامع بالكوفة -: أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ كُنتَ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ » ؟ فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتهَا ! فقال: يا أمير المؤمنين، كبرتُ ونسيتُ، فقال: اللهم إن كان كاذبا فارمه بها بيضاء لا توارىيها العامة. قال طلحة بن عمر: فوالله لقد رأيتُ الوَضَحَ به بعد ذلك أبيض بين عينيه.

وروى عثمان بن مُطَرِّف أن رجلا سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن عليّ بن أبي طالب، فقال: إني آليتُ ألا أكتم حديثا سئلت عنه في عليّ بعد يوم الرّحبة؛ ذاك رأسُ المتقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيكم.

وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن، أنّ عليا عليه السلام نشد الناس مَنْ سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: « مَنْ كُنتَ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ »، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم، فلم يشهد - وكان يعلمها - فدعا عليّ عليه السلام عليه بذهاب البصر فمضى، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كُفّت بصره.

قالوا: وكان الأشعث بن قيس الكندي وجريّر بن عبد الله البجليّ يُبغضانه؛ وهدم عليّ عليه السلام دار جريّر بن عبد الله.

قال إسماعيل بن جريّر: هدم عليّ دارنا مرتين.

وروى الحارث بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعله، وقال: احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهاب دينك؛ فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداها، فلما أرسله على عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأخرى؛ ثم فارق عليا واعتزل الحرب.

وروى أهل السيرة أن الأشعث خطب إلى علي عليه السلام ابنته، فزبره، وقال: يا ابن الحائك، أغرك ابن أبي قحافة!

وروى أبو بكر الهذلي عن الزهري، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف، قال: قام الأشعث إلى علي عليه السلام، فقال: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك عهدا لم يعهد إلى غيرك؛ فقال: إنه عهد إلى ما في قراب سني؛ لم يعهد إلى غير ذلك. فقال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك؛ دعها ترحل عنك، فقال له: وما علمك بما على مما لي! منافق ابن كافر، حائك ابن حائك! إني لأجد منك بقعة^(١) الفزل. ثم التفت إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار، فقال: يا عبيد الله، إنك لتسمع خلافا وترى عجبا، ثم أنشد^(٢):

أصبحت هزءا لراعي الضأن أتبعه^(٣) ماذا يرريك مني راعي الضأن!

وقد ذكرنا في بعض الروايات المتقدمة أن سبب قوله: «هذه عليك لا لك»، أمر آخر، والروايات تختلف.

وروى يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعشى: أن جريرا والأشعث خرجا إلى جبان^(٤) الكوفة، فمر بهما ضب يعدو، وهما في ذم علي عليه السلام، فنادياه: يا أبا حنبل؛ هلم

(١) البنية: الرائحة؛ وأهل اليمن معروفون بالفزل والحياكة.

(٢) البيت لكلام بن أمية بن الأسكر؛ من أبيات له في ذيل الأمل ١٨٠.

(٣) ج: «أصبحت فردا».

(٤) الجبان في الأصل: الصحراء، وأهل الكوفة يسمون القفرة جبانة، وفي: «إلى الجبال».

وانظر مرادف الاطلاع.

يدك نبأ يملك بالخلافة ، فباع علياً عليه السلام قولها ، فقال : أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ .

وكان أبو مسعود الأنصاريّ منصرفاً عنه عليه السلام ، روى شريك ، عن عثمان ابن أبي زُرعة ، عن زيد بن وهب ، قال : تذاكرنا القيام إذا مرت الجنّازة عند عليّ عليه السلام ، فقال أبو مسعود الأنصاريّ : قد كنّا نقوم ، فقال عليّ عليه السلام : ذاك وأنتم يومئذ يهود .

وروى شعبة ، عن عبيد بن الحسن ، عن عبد الرحمن بن معقل ، قال : حضرتُ علياً عليه السلام ، وقد سأله رجل عن امرأة تُوفّي عنها زوجها وهي حامل ، فقال : تتربّصُ أبعدَ الأجلّين ، فقال رجل : فإن أبا مسعود يقول : وضعها انقضت عديتها ، فقال عليّ عليه السلام : إن فروجاً لا يعلم ؛ فيبلغ قوله أبا مسعود ، فقال : بلى ، والله إنّي لأعلم أنّ الآخر شرّ .

وروى المنهال ، عن نعيم بن دجاجة ، قال : كنت جالساً عند عليّ عليه السلام ، إذ جاء أبو مسعود ، فقال عليّ عليه السلام : جاءكم فروج ، فجاء فجلس ، فقال له عليّ عليه السلام : بلغني أنك تُفتي الناس ، قال : نعم ، وأخبرهم أنّ الآخر شرّ ، قال : فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : « لا يأتي على الناس سنة ثلاثة وعلى الأرض عين تطرف » ، قال : أخطأت استك الحفرة ، وغلطت في أول ظلتك ؛ إنما عني مَنْ حضره يومئذ ، وهل الرخاء إلا بعد المائة !

وروى جماعة من أهل السَّيْرَان عليا عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار :
إنه لكذاب ؛ وكان كعب منحرفا عن علي عليه السلام . وكان النعمان بن بشير الأنصاري
منحرفا عنه ، وعدوا له ، وخاض الدماء مع معاوية خوفاً ، وكان من أمراء يزيد ابنه حتى
قتل وهو على حاله .

وقد روى أن عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه عليه السلام ، وأن عليا
سيَّره إلى اللدائن ؛ وذلك أنه كان يقول : إن مات علي فلا أدري ما موته ، وإن قتل فمسي
أني إن قتل رجوت له .

ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة .

وكان سَمُرَة بن جندب من شرطة زياد ، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن ، قال :
جاء رجل من أهل خُراسان إلى البصرة ، فترك مالا كان معه في بيت المال ، وأخذ براءة ،
ثم دخل المسجد فصلى ركعتين ، فأخذه سَمُرَة بن جندب ، وأتهمه برأى الخوارج ، فقدمه
فضرب عنقه ؛ وهو يومئذ على شرطة زياد ، فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال ،
فقال أبو بكر^(١) : يا سَمُرَة ، أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ * وَذَكَرَ
اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى^(٢) ؟ فقال : أخوك^(٣) أمرني بذلك .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قيل لنا : قد قدم رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأتيناه فإذا هو سَمُرَة بن جندب ، وإذا عند إحدى رجليه سحر ، وعند
الأخرى تلج ، فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : به النقرس ، وإذا قوم قد أتوه ، فقالوا يا سَمُرَة ،

(١) هو أبو بكر التقي ، واسمه نبيع بن مسروح (٢) سورة الأعلى ١٤ ، ١٥ .

(٣) يريد زياد بن أبيه ، وكان أبا أبي بكر لأمه سمية .

ما تقول لرَبِّكَ غدا؟ تؤتى بالرجل فيقال لك: هو من الخوارج فتأمر بقتله، ثم تؤتى بآخر فيقال لك: ليس الذى قتلته بخارجي، ذاك فتى وجدناه ماضياً فى حاجته، فشبه علينا، وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثانى ا فقال سُمرة: وأى بأس فى ذلك! إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة؛ وإن كان من أهل النار مضى إلى النار!

وروى واصل مولى أبى عيينة، عن جعفر بن محمد بن على عليه السلام عن آباءه، قال: كان اسمُة بن جندب نخل فى بستان رجل من الأنصار، فكان يؤذيه، فشكا الأنصارى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعث إلى سُمرة، فدعاه فقال له: بع نخلك من هذا، وخذ ثمنه، قال: لا أفعل، قال: نخذ نخلنا مكان نخلك، قال: لا أفعل، قال: فاشتر منه بستانه، قال: لا أفعل، قال: فاترك لى هذا النخل ولك الجنة، قال: لا أفعل، فقال صلى الله عليه وسلم للأنصارى: « اذهب فاقطع نخله، فإنه لاحق له فيه ».

وروى شريك قال: أخبرنا عبد الله بن سعد عن حُجْر بن عدى، قال: قدمت المدينة فجلست إلى أبى هريرة، فقال: ممن أنت؟ قلت: من أهل البصرة؛ قال: ما فعل سُمرة ابن جندب؟ قلت: هو حي، قال: ما أجد أحبَّ إلى طول حياة منه. قلت: ولم ذاك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى وله ولحذيفة بن اليمان: « آخركم موتاً فى النار »؛ فسبقنا حذيفة؛ وأنا الآن أتمنى أن أسبقه، قال: فبقى سُمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين.

وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام، قال: كان سُمرة بن جندب أيام مسير

الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شُرطة عبيد الله زياد ، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين عليه السلام وقتاله .

ومن المتحرفين عنه، المبغضين له عبد الله بن الزبير؛ وقد ذكرناه آنفاً؛ كان علىّ عليه السلام يقول: مازال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، فأفسده .
وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب؛ وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة؛ وكان سبّاباً فاحشاً، يُبغض بنى هاشم، ويلعن ويسبّ علىّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان علىّ عليه السلام يقيت في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب، ويلعن معاوية، وعمرًا، والمغيرة، والوليد بن عقبة، وأبا الأعور، والضحاك بن قيس؛ وبُسْر بن أرطاة، وجبيب بن مسلمة، وأبا موسى الأشعري، ومروان بن الحكم؛ وكان هؤلاء يقتنون^(١) عليه ويلعنونه .

وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم رحمه الله تعالى، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه، قال: أتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة، فأخذ بيد أبي سفيان، فخرجا من المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لعن الله التابع والمتبوع؛ رب يوم لأمتي من معاوية ذى الأستاه» ، قالوا: يعنى الكبير العَجَز .
وقال: روى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية: «لتتخذن يا معاوية البدعة سنة، والقبح حسنا، أكلك كثير، وظلمك عظيم» .
قال: وروى الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجذ، قال: قال

(١) يقتنون عليه، يدعون عليه .

على عليه السلام : نحن وآل أبي سفيان قوم تعادوا في الأمر ، والأمر يعود كما بدا .
قلت : وقد ذكرنا نحن في تلخيص نقض " السفينانية " ، ما فيه كفاية في هذا الباب .

وروى صاحب كتاب الفارات عن أبي صادق ، عن جُنْدَب بن عبد الله ، قال : دُكِرَ
المغيرة بن شُعْبَةَ عند علي عليه السلام وجدّه مع معاوية ، قال : وما المغيرة ! إنما كان إسلامه
لفجْرَةٍ وغْدَرَةٍ غدرها بنفر من قومه فتك بهم ؛ وركبها منهم ، فهرب منهم ؛ فأبى النبي صلى الله
عليه وآله كالعائذ بالإسلام ؛ والله ما رأى أحداً عليه منذ ادعى الإسلام خُضوعاً
ولا خشوعاً ، ألا وإنه يكون ^(١) من تقيف فراغة قبل يوم القيامة يجانبون الحق ، ويسمعون
نيران الحرب ويوازرون الظالمين ؛ ألا إن تقيفا قوم غُدُر ، لا يوفون بعهدهم ، يبنضون العرب
كأنهم لبسوا منهم ؛ ولرب صالح قد كان منهم . فمنهم عروة بن مسعود وأبو عُبيد بن مسعود
المستشهد يوم قُسّ الناطف . وإن الصالح في تقيف أغريب .

قال شيخنا أبو القاسم البلخي : من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به ؛ وإطباق
الناس عليه ، أنّ الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط كان يُبْفِضُ علياً ويشتمّه ، وأنه هو الذي
لأَحْمَاهُ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وناذره ، وقال له : أنا أثبتُ منك جَنَاناً ،
وأحدّ سنّانا ، فقال له علي عليه السلام : اسكت يا فاسق ، فأزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَفَمَنْ
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ... ﴾ ^(٢) الآيات لئلولة ؛ وسمي الوليد بحسب
ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق ؛ فكان لا يُعرَفُ إلا
بالوليد الفاسق .

(٢) سورة السجدة ١٨ .

(١) ب : « كائن من تقيف » .

وهذه الآية من الآيات التي نزل فيها القرآن بموافقة على عليه السلام ، كما نزل في مواضع بموافقة عمر ؛ وسماه الله تعالى فاسقا في آية أخرى ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُم مِّنْ قَوْمٍ يُبَيِّنُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَأَنزِلُ عَلَيْهِ السَّلَاطِينَ ﴾ (١) ، وسبب نزولها مشهور ؛ وهو كذبه على بنى المصطلق ، وادّعاؤه أنهم منعوا الزكاة وشهروا السيف ؛ حتى أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتجوز (٢) للمسير إليهم ؛ فأنزل الله تعالى في تكذيبه وبراءة ساحة القوم هذه الآية (٣) .

وكان الوليد مذموما معيبا عند رسول الله صلى الله عليه وآله يشنؤه ويُعْرِض عنه ؛ وكان الوليد يُبَغِض رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا ويشنؤه ، وأبوه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ هُوَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ بِمَسْكَةٍ ، والذي كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ؛ وأخبره في ذلك مشهورة ، فلما ظفر به يوم بَدْرَ ضرب عنقه . وورث ابنه الوليد الشنآن والبغضة (٤) لحمد وأهله ؛ فلم يزل عليهما إلى أن مات .

قال الشيخ أبو القاسم : وهو أحد الصبية الذين قال أبو عُقْبَةُ فيهم ، وقد قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عنقه : مَنْ للصبية يا محمد ؟ فقال : « النار ، اضربوا عنقه » .

قال : وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : « إِن تَوَلَّوْهُا عَلِيًّا ، تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا » . قال : وذلك أن عليا عليه السلام لما قَتَلَ قَصْدَ بَنِيهِ أَنْ يُخْفُوا قَبْرَهُ خَوْفًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَنْ يَحْدِثُوا فِي قَبْرِهِ حَدَثًا ، فَأَوْهَمُوا النَّاسَ فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ - وَهِيَ لَيْلَةُ دَفْنِهِ - إِهْمَامَاتٍ مُّخْتَلِفَةً ، فَشَدُّوا عَلَى جَمَلِ تَابُوتِ مَوْتِنَا بِالْحَبَالِ ، يَفُوحُ مِنْهُ رَوَائِحُ السَّكَافُورِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ السَّكُوفَةِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ صَحْبَةً ثَقَاتِهِمْ ؛ يُؤْهِمُونَ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَدْفَنُونَهُ عِنْدَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ؛ وَأَخْرَجُوا بَنَاتًا وَعَلَيْهِ جِنَازَةٌ (٥) مَنطَاةً ؛

(١) سورة الحجرات ٦

(٢) ج : «التجيز» .

(٣) أسباب النزول ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٤) البغضة : شدة البغض .

(٥) الجنَازة ؛ بالكسر ويفتح : الميت .

يوهمون أنهم بدفونونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدة ، منها بالمسجد ، ومنها برحبة القصر؛ قصر الإمارة ، ومنها في حجرة من دور آل جمعة بن هبيرة الخزرجي ؛ ومنها في أصل دار عبد الله ابن يزيد القسري بمحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد ، ومنها في الكناس ، ومنها في الثوية ، فعمى كل الناس موضع قبره ؛ ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص الخليصون من أصحابه ؛ فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في ^(١) الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان ، فدفنوه على النجف ، بالموضع المعروف بالفرى ، بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك ، وعهد كان عهد به إليهم ، وعمى موضع قبره على الناس ؛ واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا ، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت ، وأدعى قوم أن جماعة من طي وقموا على جبل في تلك الليلة ، وقد أضله أصحابه ببلادهم ، وعليه صندوق ، فظنوا فيه مالا ، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به ، فدفنوا الصندوق بما فيه ، ونحروا البعير وأكلوه ، وشاع ذلك في بني أمية وشيعتهم ؛ واعتقدوه حقا ؛ فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره عليه السلام فيها :

فإن يك قد ضلّ البعير بحمله فما كان مهدياً ولا كان هاديا

وروى الشيخ أبو القاسم البلخي أيضاً ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن منيرة الضبي ، قال : مرّ ناس بالحسن بن علي عليه السلام ، وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة ، وهو في علة له شديدة ، فأتاه الحسن عليه السلام معهم عائدا ، فقال للحسن : أتوب إلى الله تعالى مما كان بيني وبين جميع الناس ؛ إلا ما كان بيني وبين أبيك ، فإني لا أتوب منه . قال شيخنا أبو القاسم البلخي : وأكّد بُقْضَه له ضربه إياه العدة في ولاية عُثْمَانَ ، وعزله عن الكوفة .

(١) ج : « من الليلة » .

وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند الحديثين ؛ على أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لا يُبغضك إلا منافق ، ولا يحبك إلا مؤمن » .

قال : وروى حبة العرنى ، عن عليّ عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حُبِّي وميثاق كل منافق على بغضِي ، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني ، ولو صبت الدنيا على المنافق ما أحبني .

وروى عبد الكريم بن هلال ، عن أسلم المكي ، عن أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وهو يقول : لو ضربت خياشيم المؤمنين بالسيف ما أبغضني ولو نثرت^(١) على المنافق ذهباً وفضة ما أحبني ؛ إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحُبِّي ، وميثاق المنافقين ببغضِي ، فلا يُبغضني مؤمن ، ولا يُحِبُّني منافق أبداً .

قال الشيخ أبو القاسم البلخي : وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة ، قالوا : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغض عليّ بن أبي طالب .

ذكر إبراهيم بن هلال صاحب كتاب " الفارات " فيمن فارق عليا عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حُجَّية التيمي ، من بني تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل ، وكان عليه السلام قد استعمله على الرِّئى ودَسَّتْهُ^(٢) ، فكسر الخوارج ، واحتجج المال لنفسه ، فحبسه عليّ عليه السلام ، وجعل معه سعداً مولاه ، فقرَّب يزيد رُكَّابَه ، وسعد نأثم ، فالتحق بمعاوية ، وقال :

(١) ج : « صبت » .

(٢) دَسَّتْهُ ، بالفتح ، ثم السكون وفتح التاء : كورة كانت مشتركة بين الرى وهمدان .

خَادَعْتُ سَعْدًا وَارْتَمَتْ بِي رَكَائِي إِلَى الشَّامِ وَاخْتَرْتُ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ
وَعَادَرْتُ سَعْدًا نَائِمًا فِي عِبَاءَةٍ^(١) وَسَعْدٌ غُلَامٌ مُسْتَهَامٌ مُضَلَّلٌ
ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الرَّقَّةَ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ مَنْ يَفَارِقُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَبْدَأُ
بِالرَّقَّةِ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ مَعَاوِيَةَ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَكَانَتِ الرَّقَّةُ وَالرُّهَا وَقَرْيَ قَيْسِيَا^(٢) وَحَرَّانَ
مِنْ حَيْزِ مَعَاوِيَةَ ؛ وَعَلَيْهَا^(٣) الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، وَكَانَتِ هَيْتَ وَعَنَاتٍ وَنَصِيبِينَ وَدَارَا
وَأَمِدَ وَسِنْجَارَ مِنْ حَيْزِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَعَلَيْهَا الْأَشْثَرُ ، وَكَانَا يَقْتَتِلَانِ فِي كُلِّ شَهْرٍ .
وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ حُجَبَةَ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ يَهْجُو عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا طَوْلَ تَيْلِي بِالرَّقَاتِ لَمْ أَتَمِّ مِنْ غَيْرِ عِشْقِي صَبَتْ نَفْسِي وَلَا سَقَمَ
لَكِنْ لَذِكْرِ أُمُورٍ جَعَلَتْ طَرَفَتْ أَخْشَى عَلَى الْأَصْلِ مِنْهَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
أَخْشَى عَلِيًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلَ الْعَقُورِ الَّذِي عَنَى عَلَى لَامٍ
وَبَعْدَ ذَلِكَ مَا لَا نَذْكُرُهُ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ : وَقَدْ كَانَ زِيَادُ بْنُ خَصَفَةَ التَّيْمِيُّ ، قَالَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ
هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ حُجَبَةَ : ابْعَثْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَثَرِهِ أُرَدَّهُ إِلَيْكَ ؛ فَبَلَغَ قَوْلُهُ يَزِيدُ بْنُ
حُجَبَةَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَبْلَغَ زِيَادًا أَنَّنِي قَدْ كَفَيْتُهُ أُمُورِي وَخَلَيْتُ الَّذِي هُوَ عَاتِبُهُ
وَبَابٌ شَدِيدٌ مُوْتَقٍ قَدْ فَتَحْتُهُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَعَيْتُ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ
هَبْلَتْ أَمَا تَرْجُو غَنَائِي وَمَشْهَدِي إِذِ الْخِصْمُ لَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ يُجَادِيهِ^(٣)

(١) كَذَا فِي ج ، و ، ا ، ب « عِبَاءَةٌ » .

(٢) قَرْيَسِيَاءَ : بَلَدٌ عَلَى الْخَابُورِ عِنْدَ مَصْبِهِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَيْهِمْ » .

(٣) يُجَادِيهِ ، أَيْ يَحُولُهُ عَنْ طَرِيقِهِ .

فَأَقْسِمُ لَوْ لَا أَنَّ أُمَّكَ أُمَّنَا وَأَنَّكَ مَوْلَى مَا طَفِقْتُ أُعَاتِبُهُ
وَأَقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتَنِي مَارَدَدَتَنِي كَلَانَا قَدْ اصْطَفَتْ إِلَيْهِ جَلَابَتُهُ

قال ابن هلال : وكتب إلى العراق شعرا يذم فيه عليا عليه السلام ، ويخبره أنه من أعدائه ، فدعا عليه وقال لأصحابه عَقِيبَ الصلاة : ارفعوا أيديكم فادعوا عليه ، فدعا عليه وأمن أصحابه .

قال أبو الصلت التيمي : كان دعاؤه عليه : اللهم إن يزيد بن حُجَّةٍ هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين ، فاكفنا مكره وكيدَه واجزه جزاء الظالمين .

قال : ورفع القوم أيديهم يؤمنون ، وكان في المسجد عِفاق بن شُرَحْبِيل بن أبي رهم التيمي شيخا كبيرا ، وكان يعد من شهد على حُجْر بن عدى حتى قتله معاوية ، فقال عِفاق : على من يدعو القوم ؟ قالوا : على يزيد بن حُجَّةٍ ، فقال : تربت أيديكم أَعْلَى أَشْرَافِنَا تَدْعُونَ أَفْقَامُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ حَتَّى كَادَ يَهْلِك . وقام زياد بن خَصَفَةَ - وكان من شيعة علي عليه السلام - فقال : دعوا لي ابن عَمِّي ، فقال علي عليه السلام : دعوا للرَّجُل ابن عمه ، فتركه الناس ، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد ، وجعل يعيش معه يمسح التراب عن وجهه ، وعِفاق يقول : والله لا أحبك ما سميت ومشيت ، والله لا أحبك ما اختلفت الدَّرة والجُرَّة ؛ وزيد يقول : ذلك أضر لك ، ذلك شرُّ لك .

وقال زياد بن خَصَفَةَ يذكر ضرب الناس عِفاقا :

دَعَوْتُ عِفاقًا لِلْهُدَى فَاسْتَفْشَنِي مَوْلَى فَرِيًّا قَوْلُهُ وَهُوَ مُغْضَبٌ
وَلَوْلَا دِفَاعِي عَنْ عِفاقٍ وَمَشْهَدِي هَوْتُ بِعِفاقٍ - عَوْضٌ - عِنْفَاءٌ مُغْرِبٌ^(١)

(١) عوض ، معناه أبدا . وعنفاء مغرب ، قال في اللسان : « العفاء المغرب : كلمة لأصل لها ؛ ويقال إنها طائر عظيم لا يرى إلا في الدهور ؛ ثم أكثر ذلك حتى سموا الداهية عنفاء مغرباً ومغربة » .

أُنْبِئْتُهُ أَنْ الْهَدَى فِي اتِّبَاعِنَا فَيَأْبَى ، وَيُضْرِيهِ الرِّاءُ فَيَشْغَبُ^(١)
 فَإِنْ لَا يَشَايَعُنَا عِيقًا فَإِنَّا^(٢) عَلَى الْحَقِّ مَا غَنَى الْحَمَامُ الْمَطْرَبُ
 سَيَمْنَى إِلَهُ عَنْ عِيقٍ وَسَعِيهِ إِذَا بَعَثَ لِلنَّاسِ جَأَوَاءَ تُحْرَبُ^(٣)
 قِبَائِلَ مِنْ حَقِّيْ مَعْدَةٍ وَمِثْلُهَا يَمَانِيَةً لَا تَنْثَنِي حِينَ تُنْذَبُ^(٤)
 لَهُمْ عَدَدٌ مِثْلُ التَّرَابِ وَطَاعَةٍ تَوَدُّ ، وَبَأْسٌ فِي الْوَعَى لَا يُؤْتَبُ

فَقَالَ لَهُ عِيقًا : لَوْ كُنْتُ شَاعِرًا لَأَجَبْتُكَ ؛ وَلَكِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ
 كُنْتُمْ مِنْكُمْ ؛ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تُصِيبُوا بَعْدَهُنَّ شَيْئًا مِمَّا يَسُرُّكُمْ :

أَمَّا وَاحِدَةٌ ، فَإِنَّكُمْ سَرْتُمْ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ قَاتَلْتُمُوهُمْ ؛
 فَلَمَّا بَظَنَ الْقَوْمُ أَنَّكُمْ لَمْ قَاهِرُونَ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ، فَسَخِرُوا بِكُمْ فَرَدُّوكُمْ عَنْهُمْ ، فَلَا
 وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُونَهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ الْجِدَّةِ وَالْحَدِّ وَالْعَدَدِ الَّذِي دَخَلْتُمْ بِهِ أَبَدًا .

وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ ، فَإِنَّكُمْ بَعَثْتُمْ حَكَمًا وَبَعَثَ الْقَوْمُ حَكَمًا ؛ فَأَمَّا حَكْمُكُمْ نَفَلَكُمْ ،
 وَأَمَّا حَكْمُهُمْ فَأَثَبْتُمْهُمْ ، فَرَجَعَ صَاحِبُهُمْ يُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَجَعْتُمْ مَتَلَاعِنِينَ مَتَبَاغِضِينَ ؛
 فَوَاللَّهِ لَا يَزَالُ الْقَوْمُ فِي عِلَاءٍ ، وَلَا تَزَالُونَ فِي سِفَالٍ .

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ ، فَإِنَّهُ^(٥) خَالَفَكُمْ قُرَاؤُكُمْ وَفُرْسَانُكُمْ فَعَدَّوْهُمْ عَلَيْهِمْ فَذَبَحْتُمُوهُمْ
 بِأَيْدِيكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ بِهَا مُتَضَعِّضِينَ^(٦) .

قَالَ : وَكَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ ، وَلَا بَيْنَ عِفَانٍ وَلِيٍّ أ
 فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ إِنَّا لَعَلَى أَوْلِيَاءَ ، وَمَنْ ابْنُ عِفَانَ بَرَاءٌ ، وَمَنْكَ يَا عِيقًا أ

(١) الشَّغْبُ : السَّرُّ .

(٢) ج : « يَتَابَعُنَا » .

(٣) كَتِيبَةٌ جَأَوَاءَ : هِيَ الَّتِي يَمْلُوهَا لَوْنُ السَّوَادِ لِكَثْرَةِ الدَّرْوَعِ .

(٤) تَنْذَبُ : تَبْذِيءُ فَيَنْخَفُ لِلدَّعْوَى .

(٥) ج : « فَإِنَّكُمْ » .

(٦) تَضَعُّعٌ : خَضَعٌ وَقُلٌّ .

قال : فأخذ لا يُقْلِع ؛ فدعوا رجلا منهم له سِجَاعَةٌ كَسِجَاعَةِ الْكُهَّانِ ، فقالوا : ويحك ! أما تكفيننا بسِجْعِكَ وخطبك هذا ؟ فقال : كفيتكم ، فرَّ عِفاقٌ عليهم ، فقال كما كان يقول ، فلم يمهله أن قال له : اللهم اقتُلْ عِفاقا ، فإنه أسرَّ نفاقا ، وأظهر شِقاقا ، ويَبِّينَ فراقا ، وتلوَّنَ أخلاقا .

فقال عِفاق : ويحك ! من سَلَطَ عليّ هذا ؟ قال : الله بعثني إليك ، وسَلَطَنِي عَلَيْكَ لِأَقْطَعَ لِسَانَكَ ، وَأَنْصِلَ سِئَامَكَ ^(١) ، وأطرد شيطانك .
قال : فلم يك يَمِرُّ عليهم بعد ؛ إنما يَمِرُّ عليّ مَرَبَّةً .

ومن فارقة عليه السلام عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن أوس بن إدريس بن مُعْتَبِ النُّفَاقِيّ ، شهد مع عليّ عليه السلام صفين ، وكان في أول أمره مع معاوية ؛ ثم صار إلى عليّ عليه السلام ، ثم رجع بعد إلى معاوية ، وكان عليّ عليه السلام يسميه المهجّج ، والمهجّج : الطويل .

ومنهم القعقاع بن شُور ، استعمله عليّ عليه السلام على كَسْكَرٍ ، فنَقَمَ منه أمورا ؛ منها أنه تزوّج امرأة فأصدقها مائة ألف درهم ؛ فهرب إلى معاوية .

ومنهم اللجاشيّ الشاعر من بني الحارث بن كعب ، كان شاعرَ أهل العراق بصفين ، وكان عليّ عليه السلام يأمره بمحاربة شعراء أهل الشام ، مثل كَعْبِ بْنِ جُعَيْلٍ وغيره ، فشرب الخمر بالكوفة ، فخذه عليّ عليه السلام ، فغضب ولحق بمعاوية ؛ وهجا عليا عليه السلام .

(١) أنصل السنان : جعل له سنا ؛ ونزعه عنه : من الأضداد .

حدث ابن الكلبي عن عوانة ، قال : ^(١) خرج النجاشي في أول يوم من شهر رمضان ، فرآه بأبي سَمَّال الأسدي ، وهو قاعد بفناء داره ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أردت الكُنَاسَةَ . فقال : هل لك في رؤوس وآليات قد وُضِعَتْ في الثَّنُور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وقد نهرت ؟ قال : ونحك ! في أول يوم من رمضان ! قال : دعنا مما لا نعرف ، قال : ثم مه ، قال : أسقيك من شراب كاللوز ، يُطَيَّب النفس ، ويجري في العروق ، ويزيد في الطَّرْق ، يهضم الطعام ، ويسهل للقدم ^(٢) الكلام ؛ فنزل ؛ فتمذَّبَا ، ثم أتاه بنبيذ فشرباه ، فلما كان آخر النهار علت أصواتهما ، ولها جارت من شيعة علي عليه السلام ، فأتاه فأخبره بقصتهما ، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار ، فأما أبو سَمَّال فوثب إلى دُور بني أسد فأقلت ؛ وأخذ النجاشي فأتى علي عليه السلام به ، فلما أصبح أقامه في سراويل ، فضر به ثمانين ، ثم زاده عشرين سوطا ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما الحد فقد عرفته ، فما هذه الملاوة ^(٣) ؟ قال : لجراءتك على الله ، وإفطارك في شهر رمضان . ثم أقامه في سراويله للناس ، فجعل الصبيان يصيحون به : خَرِي النجاشي ، خري النجاشي ! وجعل يقول : كَلَّا إنها يمانية وكأوها شعر .

قال : ومرو به هند بن عاصم السلولي ، فطرح عليه مطرَفا ، فجعل الناس يَمْرُون به ويطرحون عليه المطارف ؛ حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة ، فمدح بنى سُلُول فقال :

إذا الله حيّا صالحاً من عباده	تقيّاً فحياً الله هند بن عاصم
وكل سُلُولٍ إذا مادعوته	سريع إلى داعي الملا والمكارم
هم البيض أقداما وديباج أوجده	جلوها إذا سودت وجوه الملائم
ولايأكل الكلب السروق نعالهم	ولا يبتنى الخنق الذي في الجماجم

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٢٨٩ والخزانة ٤ : ٣٦٨

(٢) القدم : القبي .

(٣) الملاوة ، بالكسر : كل ما زاد عن الشيء

ثم لحق معاوية، وهجا عليًا عليه السلام، فقال :

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي عَلِيًّا بَأْتِي قَدْ أَمِنْتُ فَلَا أَخَافُ
عَمِدْتُ لِمُسْقَرِّ الْحَقِّ لَمَّا رَأَيْتُ أُمُورَكُمْ فِيهَا اخْتِلَافُ

وروى عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ، عن ابن أبي الزناد، قال : دخل النجاشيّ على معاوية ، وقد أذن للناس عامة ، فقال لحاجبه : ادعُ النجاشيّ ، والنجاشيّ بين يديه ، ولكن اقتحمته عينه ، فقال : هاأنذا النجاشيّ بين يديك يا أمير المؤمنين ؛ إن الرجال ليست بأجسامها ؛ إنما لك من الرجل أضواء : قلبه ولسانه ، قال : ويحك ! أنت القائل^(١) :

وَنَجَّيْ ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلَّالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرِّمَاحُ دَوَانِي^(٢)
إِذَا قُلْتُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ تَنْوُشُهُ مَرَّتُهُ بِهِ السَّاقَانِ وَالْقَدَمَانِ^(٣)

ثم ضرب يده إلى نذيه^(٤) ، فقال : ويحك ! إن مثلي لا تعدّو به الخليل ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني لم أعينك ؛ إنما عنيتُ عُتْبَةَ .

وروى صاحب كتاب " الفارات " ، أن عليا عليه السلام لما حدث النجاشيّ غضبت اليمانية لذلك ، وكان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب التّهنيّ ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كُفّا نرى أن أهل المعصية والطاعة ، وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعاذن الفضل سيّان في الجزاء ؛ حتى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الخارث ،

(١) البيتان في الأغاني ١٣ : ٢٦٠ (طبعة الدار) ، والأول مع الخبر في الشعر والشعراء ٢١٩
(٢) السابح : الفرس السريع كأنه يسبح بيديه والعلالة هنا بقية جرى الفرس . والأجش الغليظ الصوت في صهيله وهو مما يحد في الخيل . والهزيم : الفرس الشديد الصوت .
(٣) مرته : استندرت جريه .
(٤) في الشعر والشعراء : « نذويته » ، والتندوة : اللحم الذي حول الثدي .

فأوغرت صدورنا، وشئتت أمورنا، وحلقتنا على الجادة^(١) التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار . فقال على عليه السلام : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْتَّائِبِينَ ﴾^(٢) ؛ يا أخا نهد ، وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حُرمة من حُرَم الله ، فأقننا عليه حدًا كان كفارته ! إن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾^(٣) قال : فخرج طارق من عنده ، فلقبه الأُشتر ، فقال : يا طارق ؛ أنتَ القاتل لأُمير المؤمنين : « أَوْ غَرَّتْ صُدُورُنَا ، وَشَتَّتْ أُمُورُنَا » ؟ قال طارق : نعم ، أنا قاتلها ، قال : والله ما ذاك كما قلت ؛ إنَّ صُدُورَنَا لَهُ لَسَامِعةٌ ، وإنَّ أُمُورَنَا لَهُ لَجَامعةٌ . فغضب طارق وقال : ستعلم يا أُشتر أنه غيرُ ما قلت ؛ فلما جَئته الليلَ هَمَسَ^(٤) هو والنجاشيَّ إلى معاوية ، فلما قدما عليه ، دخل آذنه فأخبره بقدومهما ، وعنده وجوه أهل الشام ، منهم عمرو بن مره الجهني وعمر بن صيفي وغيرهما ، فلما دخلا نظر إلى طارق ، وقال : مرحبا بالمورق غصنه ، والعرق أصله ، المسود غير المسود ؛ من رجل كانت منه هفوة ونبوة ، باتباعه صاحب الغيبة ، ورأس الضلالة والشبهة ، الذي اغترز في ركاب الفتنة حتى استوى على رَجُلها ، ثم تأوجف في عَشْوَة ظَلَمَتها وتيه ضلالتها ، واتبعه رجرجة^(٥) من الناس ، وأشباهة^(٦) من الخلخال لا أفئدة لهم : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٧)

فنام طارق ، فقال : يا معاوية إني متسكلم فلا يستخطك ، ثم قال : وهو متكئ على سيفه : إنَّ المحمود على كلِّ حال ربُّ علا فوق عبادِه ، فهم منه بمنظر ومسمع ؛ بعث فيهم

(١) الجادة : معطم الطريق ، وأوسطه .

(٢) سورة البقرة ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ٨

(٤) الهمس : السمر بالليل

(٥) الرجرجة : الجماعة الكثيرة من الناس

(٦) الأشباة : أخلط الناس

(٧) سورة محمد ٢٤

رسولا منهم ، يتلو كتابا لم يكن من قبله ولا يخطه يمينه ؛ إذا لارتاب البطلون ؛ فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برًا رحيمًا ! أما بعد ، فإن ما كنا نوضح فيما أَوْضَعْنَا فيه بين يدي إمام تقيّ عادل ، مع رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ أتقياء مرشدين ، مازالوا منارًا للهدى ، ومعالم للدين ، خلفًا عن سلف مهتدين ، أهل دين لا دنيا ، كلّ الخير فيهم ، وأتبعهم من الناس ملوك وأقيال ، وأهل بيوتات وشرف ، ليسوا بفاكثين ولا قاسطين ، فلم يكن رغبةٌ مَنْ رغب عنهم وعن صحبتهم إلا لمرارة الحق حيث جُرّعوها ، ولوعورته حيث سلّكوها ؛ وغلبت عليهم دنيا مؤثرة ، وهو متّبع ، وكان أمر الله قدرًا مقدرًا ؛ وقد فارق الإسلام قبلنا جبلة بن الأيهم فرارا من الضيم ، وأُفْعَا^(١) من الذلّة ، فلا تفخرن يا معاوية ؛ إن شددنا نهموك الرجال ، وأَوْضَعْنَا إليك الركاب . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين .

فعظم على معاوية ما سمعه وغضب ، لكنه أمسك^(٢) ؛ وقال : يا عبد الله ؛ إنا لم نُردّ بما قلناه أن نوردك مَشْرَعَ ظمًا ، ولا أن نُصدرك عن مَكْرَعِ رِيٍّ ؛ ولكن القول قد يجرى بصاحبه إلى غير ما ينطوى عليه من الفعل ، ثم أجلسه معه على سريريه ، ودعا له بمقطعات وبرود فصبتها عليه ؛ وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام . وقام معه عمرو بن مرة وعمرو بن صفيّ الجهنيّان ، فأقبلا عليه بأشدّ العتاب وأمضه ، يلومانه في خطبته ، وما واجه به معاوية .

فقال طارق : والله ما قمت بما سمعناه حتى خيل لي أن بطن الأرض خير لي من ظهرها عند سماعي ما أظهر من العيب والنقص لمن هو خير منه في الدنيا والآخرة ، وما زهت به نفسه ، ومملكه عجيبه ، وعاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستنقصهم ، فقامت مقامًا أوجب الله عليّ فيه ألا أقول إلا حقا ، وأى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا !

(١) ج : « وأففة من الذلة » .

(٢) ج : « تماسك » .

فبَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ ، فَقَالَ : لَوْ قُتِلَ النَّهْدِيُّ يَوْمَئِذٍ لَقُتِلَ شَهِيدًا .
وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِلْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ أَبِي الْعُرْيَانِ - وَكَانَ عُثْمَانِيًا ، وَكَانَتْ أَسْرَأَتُهُ عَلَوِيَّةَ
الرَّأْيِ ، تَكْتُبُ بِأَخْبَارِ مَعَاوِيَةَ فِي أَعْنَتِهِ الْخَلِيلِ وَتَدْفَعُهَا إِلَى عَسْكَرٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِغَرَيْنِ
فَيَدْفَعُونَهَا إِلَيْهِ - فَقَالَ مَعَاوِيَةُ بَعْدَ التَّحْكِيمِ : يَا هَيْثَمُ ، أَهْلُ الْعِرَاقِ كَانُوا أَنْصَحَ لِعَلِيٍّ فِي
صِغَرَيْنِ أَمْ أَهْلُ الشَّامِ لِي ؟ فَقَالَ : أَهْلُ الْعِرَاقِ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْبَلَاءِ كَانُوا أَنْصَحَ
لصَاحِبِهِمْ ؛ قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْقَوْمَ نَاصَحُوهُ عَلَى الدِّينِ ، وَنَاصَحَكَ أَهْلُ
الشَّامِ عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَهْلُ الدِّينِ أَصْبَرُ ، وَهَمُّ أَهْلِ بَصِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا أَهْلُ طَمَعٍ ؛ ثُمَّ وَاللَّهِ
مَا لَبِثَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ نَبَذُوا الدِّينَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَنَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا ، فَالْتَحَقُوا بِكَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : فَمَا الَّذِي يَتَنَمَّ الْأَشْعَثُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْنَا ، فَيَطْلُبُ مَا قَبْلَنَا ؟ قَالَ : إِنْ الْأَشْعَثُ
يَكْرِمُ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ رَأْسًا فِي الْحَرْبِ ، وَذَنْبًا فِي الطَّمَعِ .

وَمِنَ الْمَفَارِقِينَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخُوهُ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ قَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالسَّكُوفَةِ يَسْتَرْفِدُهُ ^(١) ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ عِطَاءَهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، فَقَالَ : تَقِيمُ
إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجُمُعَةَ ، قَالَ لَهُ : مَا نَقُولُ فِيمَنْ خَانَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعِينَ ؟
قَالَ بَنَسَ الرَّجُلُ أَقَالَ : فَإِلَيْكَ أَمْرَتِي أَنْ أَخُونَهُمْ وَأَعْطَيْكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ شَخْصٌ
إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَرَ لَهُ يَوْمَ قَدُومِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا يَزِيدَ ، أَنَا خَيْرُكَ أَمْ عَلِيٌّ ؟
قَالَ : وَجَدْتُ عَلِيًّا أَنْظَرَ لِنَفْسِهِ مِنْهُ لِي ، وَوَجَدْتُكَ أَنْظَرَ لِي مِنْكَ لِنَفْسِكَ .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَقِيلٍ : إِنْ فِيكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ لَيْسًا ، قَالَ : أَجَلُ إِنْ فِينَا لَيْسًا مِنْ غَيْرِ

(١) يَسْتَرْفِدُهُ : يَطْلُبُ عِطَاءَهُ .

ضَعَف ، وعِزًّا من غير عُنْف ، وإن لَينَكُم يامعاوية غَدْر ، وسَلَمَكُم كُفْر . فقال معاوية : ولا كُلّ هذا ياأبا يزيد !

وقال الوليد بن عُقبة لعقيل في مجلس معاوية : غَلَبَك أخوك يا أبا يزيد على الثروة ! قال : نعم ، وسبقني وإياك إلى الجنة ، قال : أما والله إن شِدْقِيَه لَمضمومان من دم عثمان ، فقال : وما أنتَ وقريش ! والله ما أنتَ فينسا إلا كَنطِيح التيس . ففضب الوليد وقال : والله لو أن أهل الأرض اشتروا في قتله لأَرْهَقُوا صَعُوداً^(١) ، وإن أخاك لأشدَّ هذه الأمة عذابا ، فقال : صد ! والله إنا لنرغب بعبيد من عبيده عن صُحْبَةِ أبيك عُقبة ابن أبي مُعَيْط .

وقال معاوية يوما - وعنده عمرو بن العاص ، وقد أقبل عَقِيل : لأُضحِكَكَ من عَقِيل ، فلما سَلِم قال معاوية : مرحبا برجل عمه أبو لهب ، فقال عَقِيل : وأهلا برجل عمته : ﴿ حَمَّاءَةٌ أَلْطَبُ * فِي حَبِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾^(٢) ؛ لأنَّ امرأةَ أبي لهب أمَّ جميل بنت حرب ابن أُمَيَّة .

قال معاوية : ياأبا يزيد ماظنَّكَ بعمك أبي لهب ! قال : إذا دخلت النارَ فَخُذْ على يسارك تجذُّهُ مفترشا عَمَّتِكَ حمالةُ الحطب ؛ أفنا كُحَّ في النار خيرٌ أم منكوح ! قال : كلاهما شرٌّ ، والله .

ومن فارقه عليه السلام حفظة الكاتب ، خرج هو وجريز بن عبد الله البَجَلِي من الكوفة إلى قرقيسيا ؛ وقالوا : لا نقيمُ ببلدة يُعاب فيها عثمان .

(١) الصعود : العقبة الشاقة .

(٢) المسد : حبل من ليف القل .

ومن فارقه وائل بن حجر الحضرمي ، وخبره مذكور في قصة بُسر بن أرطاة .

وروى صاحب كتاب " الفارات " عن إسماعيل بن حكيم ، عن أبي مسعود الجبري ، قال : كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بُغض عليّ عليه السلام : مطرف بن عبد الله ابن الشخير ، والملاء بن زياد ، وعبد الله بن شقيق .

قال صاحب كتاب " الفارات " : وكان مطرف عابدا ناسكا ؛ وقد روى هشام بن حسان عن ابن سيرين : أن عمار بن ياسر دخل على أبي مسعود وعنده ابن الشخير ، فذكر عليا بما لا يجوز أن يُذكر به ، فقال عمار : يا فاسق وإنك لها هنا ! فقال أبو مسعود : أذكرك الله يا أبا اليقظان في ضيئي !

قال : وأكثر مبغضيه عليه السلام أهل البصرة كانوا عثمانية ، وكانت في أنفسهم أحقاد يوم الجمل ، وكان هو عايه السلام قليل التألف للناس ، شديدا في دين الله ، لا يبالي مع علمه بالدين ؛ واتباعه الحق من سخط ومن رضي .

قال : وقد روى يونس بن أرقم ، عن يزيد بن أرقم ، عن أبي ناجية ، مولى أم هانيء ، قال : كنت عند عليّ عليه السلام ، فأنه رجل عليه زيّ السفر . فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أتيتك من بلدة مارأيت لك بها محبّا ، قال : من أين أتيت ؟ قال : من البصرة ، قال : أما إنهم لو استطعمون أن يحبوني لأحبوني ؛ إني وشيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا رجل ولا ينقص إلى يوم القيامة .

وروى أبو غنّان البصري ، قال : بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ بن أبي طالب والوقعة فيه : مسجد بني عدى ، ومسجد بني مجاشع ،

ومسجد كان في العلافين على فُرْصَةِ البصرة ، ومسجد في الأزْد .

ومما قيل عنه إنه يبغض علياً عليه السلام ويذمه ، الحسن بن أبي الحسن البصريّ أبو سعيد؛ وروى عنه حماد بن سلمة أنه قال: لو كان عليّ يَأْكُلُ الْحَشَفَ^(١) بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه . ورواه عنه أنه كان من المخذّلين عن نصرته .

وروى عنه أنّ علياً عليه السلام رآه وهو يتوضّأ للصلاة وكان ذا وسوسة فصبّ على أعضائه ماء كثيراً ، فقال له : أرقت ماء كثيراً يا حسن ؛ فقال : ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر ! قال : أو ساءك ذلك ؟ قال : نعم . قال : فلا زلت مسوّاً .

قالوا : فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات .

فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه وينكرونها ويقولون : إنه كان من محبّي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام والمُعظّمين له .

وروى أبو عمر بن عبد البر المحدث في كتابه المعروف : ” الاستيعاب في معرفة الأصحاب ” أن إنساناً سأل الحسن عن عليّ عليه السلام ، فقال : كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه ، وربانيّ هذه الأمة وذافضلها ، وذات سابقتها ، وذات قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لم يكن بالثّومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسّروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزاً ثم ففاز منه برياض مؤنقة ، ذلك عليّ بن أبي طالب يالْكَمِ ! وروى الواقديّ ، قال : سئل الحسن عن عليّ عليه السلام — وكان يظنّ به الانحراف عنه ، ولم يكن كما يظنّ — فقال : ما أقول فيمن ” جَمَعَ الخصال الأربع : اثمانه على براءة ،

(١) الحشف : أردأ التمر .

وما قال له الرسول في غزاة تبوك ، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه ، وقول النبي صلى الله عليه وآله : « النّقلان كتاب الله وعِثْرَتِي » ، وإنه لم يؤمر عليه أمير قطّ وقد أمرت الأمراء على غيره .

وروى أبان بن عياش ، قال : سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام ، قال : ما أقول فيه ! كانت له السابقة ، والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأى والصّحبة والنّجدة والبلاء والزهّد والقضاء والقراة ، إن علياً كان في أمره علياً ، رحم الله علياً ، وصلى عليه ! فقلت : يا أبا سعيد ، أتقول : « صلى عليه » لغير النبي ! فقال : ترحم على المسلمين إذا ذكروا ، وصلّى على النبي وآله وعلى خير آله . فقلت : أهو خير من حمزة وجعفر ؟ قال : نعم ، قلت : وخير من فاطمة وابنيها ؟ قال : نعم ، والله إنه خير آل محمد كلّهم ، ومن يشكّ أنه خير منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وأبوها خير منهما » ! ولم يحجر عليه اسم شرك ، ولا شرب خمر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : « زوّجْتُك خير أمتي » ، فلو كان في أمته خير منه لاستثناه ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، فأخى بين علي ونفسه ، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفسا ، وخيرهم أخوا . فقلت : يا أبا سعيد ، فما هذا الذي يقال عنك إنك قلته في علي ؟ فقال : يا ابن أخي ، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة ، ولولا ذلك لشارت^(١) بي الخشب .

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى ، ووجدته أيضا في كتاب " الغارات " ، لإبراهيم بن هلال الثقفي : وقد كان بالكوفة من فقهاء من يعادي عليا ويُبغضه ، مع غلبة التشيع على الكوفة ، فمنهم مرة الممداني .

(١) ب : « لسات » .

وروى أبو نعيم الفضل بن دُكين عن فطر بن خليفة ، قال : سمعتُ مرةً يقول : لأنَّ يكونَ عليٌّ جالاً يَسْتَقِي عليه أهله خير له مما كان عليه .

وروى إسماعيل بن بهرام ، عن إسماعيل بن محمد ، عن عمرو بن مرة ، قال : قيل لمرة الحمداني : كيف تخلّفت عن عليٍّ ؟ قال^(١) : سَبَقْنَا بحسناته ، وابتُلِينَا بسيئاته .

قال إسماعيل بن بهرام : وقد روينا عنه أنه قال أشدَّ فُحْشًا من هذا ؛ ولكننا نتورّع عن ذكره .

وروى الفضل بن دُكين ، عن الحسن بن صالح ، قال : لم يصلِّ أبو صادق عليٍّ مرةً الحمداني .

قال الفضل بن دُكين : وسمعتُ أنَّ أبا صادق قال في أيام حياة مرة : والله لا يظلّني وإياه سَقَفُ بيتٍ أبداً .

قال : ولما مات لم يحضره عمرو بن شَرَحْبِيل ، قال : لا أحضره لشيء كان في قلبه كَلَى عليٍّ بن أبي طالب .

قال إبراهيم بن هلال : فحدثنا المسعودي ، عن عبد الله بن نُمَيْر بهذا الحديث . قال : ثم كان عبد الله بن نُمَيْر يقول - وكذلك أنا ؛ والله لو مات رجلٌ في نفسه^(٢) شيءٌ كَلَى عليٍّ عليه السلام لم أحضره ، ولم أصلِّ عليه .

ومنهم الأسود بن يزيد ومُسْرُوق بن الأجدع ؛ روى سلمة بن كهيل : أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقَعان في عليٍّ عليه السلام ؛ فأما الأسود فبات على ذلك ؛ وأما مسروق فلم يُمِتْ حتى كان لا يصلّي الله تعالى صلاةً

(١) : ب « فقال » .

(٢) ب « في قلبه » .

إلا صَلَّى بعدها عَلَى عَلِيٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، لحديث سمعه من عائشة في فضله .
وروى أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن ، عن عبد السلام بن حَرْب ، عن ليث
ابن أبي سُلَيْم ، قال : كان مسروق يقول : كان عليٌّ كحاطب ليل ؛ قال : فلم يمت مسروق
حتى رجع عن رأيه هذا .

وروى سَلَمَةُ بن كَهَيْل ، قال : دخلتُ أنا وزُبيد اليماميّ على امرأةٍ مسروق بعد
موته ؛ فحدثتنا ، قالت : كان مسروق والأسود بن يزيد يُفَرِّطَان في سبِّ عليّ
ابن أبي طالب ، ثم ما مات مسروق حتى سمعته يصليّ عليه ، وأما الأسود فمضى لشأنه .
قال : فسألناها : لم ذلك ؟ قالت : شيء سمعه من عائشة ترويه عن النبيّ صلى الله عليه وآله
فيمين أصاب الخوارج .

وروى أبو نعيم ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، قال : ثلاثة لا يؤمنون عَلَى عليّ
ابن أبي طالب : مسروق ، ومُرّة ، وشُريح .
وروى أنّ الشعبيّ رابعهم .

وروى عن هيثم ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، أنّ مسروقاً ندِمَ عَلَى إبطائه عن عليّ
ابن أبي طالب عليه السلام .

وروى الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ؛ قال : قال عليّ عليه السلام لشريح ؛ وقد قضى
قضيةً نَقَمَ عليه أمرها : والله لأنفيّنك إلى بَانِقِيَا^(١) شهرين تقضى بين اليهود ، قال : ثم
قُتِلَ عليّ عليه السلام ومضى دهر ؛ فلما قام المختار بن أبي عبيد قال لشريح : ما قال لك
أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا ؟ قال : إنه قال لي كذا ، قال : فلا والله لاتقعد ، حتى
تخرج إلى بَانِقِيَا تقضى بين اليهود . فسيّره إليها فقضى بين اليهود شهرين .

(١) بَانِقِيَا ، بكسر النون : ناحية من نواحي الكوفة كانت على شواطئ الفرات (مراسد الاطلاع) .

ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة ، كان عُثْمَانِيَا يَقَعُ فِي عُلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُقَالُ :
إِنَّهُ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ فِي أَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُمْ ؛ وَأَنَّهُ عَادَ إِلَى عُلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
مُنِيْبًا مَقْلَمًا .

رَوَى خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو وَائِلٍ : خَرَجْنَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا عَلِيٌّ^١ ، فَمَازَالَ
يَكَلِّمُنَا حَتَّى رَجَعَ مِنَّا الْفَنَانُ .

وَرَوَى صَاحِبُ كِتَابِ " الْفَارَاتِ " ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ الْفَضْلِ
ابْنِ دُكَيْنٍ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : بَعَثَ أَبُو وَائِلٍ يَقُولُ : شَهِدْتُ صَفِيْنِ وَبَنَسِ
الصُّفُوفِ كَانَتْ ا

قَالَ : وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، قَالَ : كَانَ أَبُو وَائِلٍ
عُثْمَانِيَا ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حُبَيْشٍ عَلَوِيًّا .

وَمِنَ الْمُبْغِضِينَ الْقَالِينَ : أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَرِثَ الْبِغْضَةَ لَهُ ،
لَا عَنْ كِلَالَةٍ^(١) .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُنْدَبٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بُرْدَةَ لَزِيَادٍ : أَشْهَدُ أَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ
قَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ كُفْرَةً أَصْلَحَ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَأَتَمَّاعِيْ بِذَلِكَ نِسْبَةَ الْكُفْرِ إِلَى عَلِيٍّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَصْلَحَ .

قَالَ : وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَسْعُودِيُّ ، عَنْ ابْنِ عِيَّاشِ الْمَنْتَوَفِ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا بُرْدَةَ
قَالَ لِأَبِي الْعَادِيَةِ الْجُهَنِيِّ قَاتِلَ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ : أَأَنْتَ قَتَلْتَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
نَاوِلْنِي يَدَكَ ؛ فَتَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ : لَا تَمْسُكِ النَّارَ أَبَدًا .

(١) يُقَالُ : لَمْ يَرِثْهُ كِلَالَةٌ ، أَيْ لَمْ يَرِثْهُ عَنْ عَرَضِ بَلِّ قَرَبٍ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ وَرِثَ الْبِغْضَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي
مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة ، عن النضبان بن يزيد ، قال : رأيت أبا بريدة قال لأبي العادية قاتل عمار بن ياسر : مرحبا بأخي ها هنا ! فأجلسه إلى جانبه .

ومن المنحرفين عنه عليه السلام أبو عبد الرحمن السلمي القاري ؛ روى صاحب كتاب " الفارات " عن عطاء بن السائب ، قال : قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمي : أنشدك بالله ، إن سألتك لتخبرني ؟ قال : نعم ، فلما أكد عليه قال : بالله هل أبغضت عليا إلا يوم قسم المال في الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه بشيء ! قال : أما إذ أنشدتني بالله ، فلقد كان كذلك .

قال : وروى أبو عمر القزير ، عن أبي عوانة ، قال : كان بين عبد الرحمن بن عطية وبين أبي عبد الرحمن السلمي شيء في أمر علي عليه السلام ؛ فأقبل أبو عبد الرحمن علي حيان ، فقال : هل تدري ماجرا صاحبك علي الدماء ؟ يعني عليا ، قال : وما جراه لا بألفريك ! قال : حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، أو كلاما هذا معناه .

وكان عبد الله بن عكيم عثماني ؛ وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى علويًا ، فروى موسى الجهني ، عن ابنة عبد الله بن عكيم ، قالت : تحدثنا يوما ، فسمعت أبي يقول لعبد الرحمن : أما إن صاحبك لو صبر لأتاه الناس .

وكان سهم بن طريف عثمانيًا ، وكان علي بن ربيعة علويًا ، فضرب أمير الكوفة علي الناس بعثا ، وضرب علي سهم بن طريف معهم ، فقال سهم لعلي بن ربيعة : اذهب إلى الأمير فكلمه في أمري ليُغْفِرَني ، فأتى علي بن ربيعة الأمير ، فقال : أصالحك الله !

إِنْ سَهَمَا أَعْمَى فَأَعْفِهِ ، قَالَ : قَدْ أَعْفَيْتُهُ ، فَلَمَّا التَقِيَا قَالَ : قَدْ أَخْبَرْتَ الْأَمِيرَ أَنَّكَ أَعْمَى ؛
وَأِنَّمَا عَنَيْتَ عَمَى الْقَلْبِ .

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ يُبْغِضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ رَوَى وَكَيْعٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَكْتُمَ لِي عُثْمَانَ فِي
حَاجَةٍ ، فَأَتَانِي فَأَبْغَضْتُهُ .

قُلْتُ : وَشِئُوا خِفَالَتُكَ لَكُمْ — رَحِمَهُمُ اللَّهُ — يَسْقِطُونَ رَوَابِقَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« إِنْ كُمْ لَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ ؛ فَكَانَ فَاسِقًا ، وَنَقَلُوا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ ،
وَيَقُولُ : « انْفِرُوا إِلَى بَقِيَةِ الْأَحْزَابِ » ، فَدَخَلَ بَغْضُهُ فِي قَلْبِي .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ مَنحَرًا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَبَتْهُ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
وَجْهِهِ بِكَلامٍ شَدِيدٍ .

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْهَمْدَانِيِّ ، قَالَ : شَهِدْتُ سَعِيدَ
ابْنَ الْمُسَيْبِ — وَأَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ : يَا بَنَ أَخِي ،
مَا أَرَاكَ تَكْثِرُ غِشْيَانِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ إِخْوَتُكَ
وَبَنُو أَعْمَامِكَ ! فَقَالَ عُمَرُ : يَا بَنَ الْمُسَيْبِ ، أَكَلِمَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَجِءُ فَأَشْهَدُكَ ! فَقَالَ
سَعِيدُ : مَا أَحَبَّ أَنْ تَنْغَضِبَ ، سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ : إِنْ لِي مِنَ اللَّهِ مَقَامًا لَهُوَ خَيْرٌ لِبَنِي
عَبْدِ الْمَطْلَبِ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ . فَقَالَ عُمَرُ : وَأَنَا سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : مَا كَلِمَةُ حِكْمَةٍ

في قلب منافق فيخرج من الدنيا ، حتى ^(١) يتكلم بها . فقال سعيد : يا بن أخي ، جعلتني منافقا ! قال : هو ما أقول لك . ثم انصرف .

وكان الزهرى من المنحرفين عنه عليه السلام .

وروى جرير بن عبد الحميد ، عن محمد بن شعبة ، قال : شهدتُ مسجد المدينة ، فإذا الزهرى وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام ، فقالا منه ، فبلغ ذلك عليّ ابن الحسين عليه السلام ؛ فجاء حتى وقف عليهما ، فقال : أما أنت يا عروة ، فإن أبي حاكم أبالك إلى الله ، لحكم لأبي على أيك ؛ وأما أنت يا زهرى ، فلو كدت بمكة لأريئك كبير أيك .

وقد روى من طرق كثيرة ، أن عروة بن الزبير كان يقول : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه يزهو إلا على بن أبي طالب وأسامة بن زيد .
وروى عاصم بن أبي عامر البجلي ، عن يحيى بن عروة ، قال : كان أبي إذا ذكر عليا نال منه .

وقال لى مرة : يا بنى ، والله ما أحجم الناس عنه إلا طلبا للدنيا ، لقد بعث إليه أسامة ابن زيد أن ابعث إلى بعتائى ، فوالله إنك لتعلم أنك لو كنت في فم أسد لدخلت معك . فسكتب إليه : إن هذا المال لمن جاهد عليه ؛ ولكن لى مالا بالمدينة فأصيب منه ما شئت . قال يحيى : فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ، ومن عيبه له وانحرافه عنه .

وكان زيد بن ثابت عثمانيا شديدا في ذلك ، وكان عمرو بن ثابت عثمانيا ، من أعداء عليّ عليه السلام ومبغضيه ، وعمرو بن ثابت هو الذى روى عن أبي أيوب الأنصارى حديث : « ستة أيام من شوال » .

(١) ب : « إلا » .

روى عن عمرو أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع أهلها ، ويقول : أيها الناس ، إن عليا كان رجلا منافقا ، أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة ، فآلعه ، فبلغه أهل تلك القرية ؛ ثم يسير إلى القرية الأخرى ، فيأمرهم بمثل ذلك ، وكان في أيام معاوية .

وكان مكحولاً من المبغضين له عليه السلام ، روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر ، قال : لقيت مكحولاً ؛ فإذا هو مطبوع - يعني مملوء - بغضا لعلّ عليه السلام - فلم أزل به حتى لآن وسكن .

وروى المحدثون عن حماد بن زيد ، أنه قال : أرى أن أصحاب عليّ أشدّ حبا له من أصحاب العجل لعجلهم . وهذا كلام شنيع .

وروى عن شاذان بن سوار أنه ذكر عنده ولد عليّ عليه السلام ، وطلبهم الخليفة فقال : والله لا يصيرون إليها أبدا ، والله ما استقامت لعلّ ، ولا فرح بها يوما ، فكيف نصير إلى ولده أهيات هيئات الا والله لا يذوق طعم الخلافة من رضى بقتل عثمان .

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي : كان أهل البصرة كلهم يُبغضونه ، وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة ؛ وأما أهل مكة فكلمهم كانوا يُبغضونه قاطبة ، وكانت قريش كلها على خلافه ، وكان جمهور الخلق مع بنى أمية عليه .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وهو يقول : ما لقي أحد من الناس ما لقيت اثم بكى عليه السلام .

وروى الشعبي ، عن شريح بن هاني ، قال : قال عليّ عليه السلام : اللهم إني أستعبدك

على قريش ؛ فإنهم قطعوا رَحِمِي ، وأصغفوا^(١) إناثي ، وصَغَرُوا عظيم منزلتى ، وأجمعوا على منازعتى .

وروى جابر عن أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، يقول : اللهم إني أستمديك على قريش ؛ فإنهم قطعوا رَحِمِي ، وَغَصَبُونِي حَقِّي ، وأجمعوا على منازعتى أمراً كنت أولى به ، ثم قالوا : إن من الحق أن نأخذه ، ومن الحق أن تتدركه .

وروى المسيب بن نجبة الفزارى ، قال : قال علي عليه السلام : من وجدتموه من بنى أمية في ماء ففطوا على صياخه ، حتى يدخل الماء في فيه .

وروى عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة ، عن السَّوَر بن مخرمة ، قال : لقي عبد الرحمن ابن عوف عمر بن الخطاب ، فقال : ألم نكن نقرأ من جملة القرآن : قاتلوه في آخر الأمر كما قاتلتموه في أوله ؟ قال : بلى ؛ ولكن ذلك إذا كان الأمراء بنى أمية والوزراء بنى مخزوم ! وروى أبو عمر النهدي ، قال : سمعت علي بن الحسين يقول : ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبُّنا .

وروى سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : أثنى رجلٌ على علي بن أبي طالب في وجهه - وكان يُبغضه - فقال علي : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك .

وروى أبو غسان النهدي ، قال : دخل قوم من الشيعة على علي عليه السلام في الرحبة ، وهو على حصير خلقي ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : حبُّك يا أمير المؤمنين ، قال : أما إنه من أحبني رأي حيث يحب أن يراني ، ومن أبغضني رأي حيث يكره أن يراني ، ثم قال : ما عبد الله أحدٌ قبلي إلا نبَّيه عليه السلام ؛ ولقد هَجَمَ أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان ، فقال : أو فعلتموها ! ثم قال لي وأنا غلام : ونجَّك ، انصر ابن عمك ! ونجَّك لا تتخذله ،

(١) يقال : أسغف فلان إناة فلان إذا أماله ونقصه حقه . (اللسان) .

وجعل يَحْتَنِي على مؤازرته ومكافئته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفلا تصلي أنت معنا يا عم ! » فقال : لأفعل يا بن أخي ، لاتعلموني استي . ثم انصرف .

وروى جعفر بن الأحمر ، عن مسلم الأعور ، عن حبة العرنى ، قال : قال علي عليه السلام : مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي ؛ أَمَا إِنَّكَ لَوْ صُنِمْتَ الدَّهْرُ كُلَّهُ ، وَفَتَّ اللَّيْلُ كُلَّهُ ، ثُمَّ قُتِلْتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ - أَوْ قَالَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ - لَمَا بَعَثَكَ اللَّهُ إِلَّا مَعَ هَوَاكُ بِالْعَالَمِ ؛ إِنْ فِي جَنَّةٍ فِي جَنَّةٍ ، وَإِنْ فِي نَارٍ فِي نَارٍ .

وروى جابر الجعفي ، عن علي عليه السلام أنه قال : مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِلْبَلَاءِ .

وروى أبو الأحوص ، عن أبي حنّان عن علي عليه السلام : يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ ، مَحَبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

وروى حماد بن صالح ، عن أيوب ، عن كهس ؛ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَهْلِكُ فِي ثَلَاثَةٍ : اللَّاعِنُ وَالْمُسْتَمِعُ الْمَقْرُ ، وَحَامِلُ الْوِزْرِ ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَتَرَفُ ، الَّذِي يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِلَعْنَتِي ، وَيُبْرَأُ عَنْهُ مِنْ دِينِي ، وَيُنْتَقَصُ عَنْهُ حَسْبِي ؛ وَإِنَّمَا حَسْبِي حَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَدِينِي دِينُهُ . وَيَنْجُو فِي ثَلَاثَةٍ : مَنْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّ حَبِّي ، وَمَنْ عَادَى عَدُوِّي ؛ مَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ بِغِيٍّ أَوْ أَلْبَ عَلَى بَغِيٍّ ؛ أَوْ انْتَقَصَنِي ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَدُوُّهُ وَخَصْمُهُ ^(١) ؟ وَاللَّهُ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ .

وروى محمد بن العنلت ، عن محمد بن الحنفية ، قال : مَنْ أَحَبَّنَا فَعَسَى اللَّهُ بِحُبِّنَا ، وَلَوْ كَانَ أُسِيرًا بِاللَّهِ يَلُمُ .

وروى أبو صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، عن علي عليه السلام ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّ فِيكَ لَشَبَهًا مِنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، أَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلَتْهُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُ ، وَأَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتَتْ أُمَّهُ » .

(١) ج : « وَجَبِيلُ خَصْمِهِ » .

وروى صاحب كتاب "الغارات" حديث البراءة على غير الوجه المذكور في كتاب "نهج البلاغة"، قال: أخبرنا يوسف بن كليب المسعودي، عن يحيى بن سليمان العبدى، عن أبي مريم الأنصارى، عن محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: خطب علي عليه السلام على منبر الكوفة، فقال: سيعرض عليكم سبي، وستذبحون عليه؛ فإن عرض عليكم سبي فسبوني، وإن عرض عليكم البراءة مني، فإني على دين محمد صلى الله عليه وسلم؟ ولم يقل: «فلا تبرءوا مني».

وقال أيضا: حدثني أحمد بن مفضل، قال: حدثني الحسن بن صالح، عن جعفر بن محمد عليه السلام. قال: قال علي عليه السلام: والله لتذبحن علي سبي - وأشار بيده إلى حلقه - ثم قال: فإن أمرؤكم بسبي فسبوني؛ وإن أمرؤكم أن تبرءوا مني فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله. ولم ينههم عن إظهار البراءة.

وروى شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى، عن سلمة بن كهيل، عن المسيب بن نجبة، قال: بينا على عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي، فصاح: وامظلمتاه! فاستدناه على عليه السلام، فلما دنا قال له: إنما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدّر والوبر. قال: وفي رواية عباد بن يعقوب، أنه دعا فقال له: ويحك! وأنا والله مظلوم أيضا؛ هات فلندعُ كلّي من ظلمتنا.

وروى سدير الصيرفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: اشتكى علي عليه السلام شكاة، فعاده أبو بكر وعمر، وخرجا من عنده، فأتيا النبي صلى الله عليه وآله، فسألها: من أين جئتما؟ قالوا: عدنا عليا، قال: كيف رأيتماه؟ قال: رأيناه يخاف عليه بما به، فقال: «كلا إنه لن يموت حتى يوسع غدرا وبغيا، وليكونن في هذه الأمة عبرة يعتبر به الناس من بعده».

وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن الغنوي ، أن عليا عليه السلام خطب بالرحبة ، فقال : أيها الناس ؛ إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها ؛ ورب السماء والأرض ، إن من عهد النبي الأمي إلى : « إن الأمة ستفتر بك بعدى » .

وروى هيثم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم مثله ؛ وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه .

وروى أبو جعفر الإسكافي أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام ، فوجد عليا نائما ، فذهبت تنبهه ، فقال : « دعيه قرب سهر له بعدى طويل ، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة » فبكت ؛ فقال : « لا تبكي فإنكما معي ، وفي موقف الكرامة عندي » .

وروى الناس كافة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « هذا ولي وأنا وليه عادت من عاداه ؛ وسألت من سألته » ، أو نحو هذا اللفظ .

وروى أيضا محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « عدوك عدوي وعدوي عدو الله عز وجل » .

وروى يونس بن حباب ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبي طالب مغنا ، فررنا بحديقة ، فقال علي : يا رسول الله ، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة ؛ فقال : « إن حديقتك في الجنة أحسن منها » ؛ حتى مررنا بسبع حدائق ، يقول علي ما قال ، ويحييه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا ، فوضع رأسه على رأس علي وبكى ، فقال علي : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « ضغائن في صدور قوم لا يبذلونها لك حتى يفقدوني » ،

فقال : يا رسول الله ، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم ؟ قال : بل تصبر ، قال : فإن صبرت ! قال : تلاقى جهدا ، قال : أفى سلامة من ديني ؟ قال : نعم ، قال : فإذا لا أبالي .

وروى جابر الجعفي ، عن محمد بن علي عليه السلام ، قال : قال علي عليه السلام : ما رأيت منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رخاء ، لقد أخافتني قريش صغيرا ، وأنصبتني كبيرا ؛ حتى قبض الله رسوله ، فكانت الطامة الكبرى ، والله المستعان على ما تصفون !

وروى صاحب كتاب ” الفارات ” عن الأعمش ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سيظهر على الناس رجل من أمتي ، عظيم السرم ، واسع البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، يحمل وزر الثقلين ، يطلب الإمارة يوما ، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه ، قال : وكان في يد رسول الله صلى الله عليه وآله قضيب ، فوضع طرفه في بطن معاوية .

قلت : هذا الخبر مرفوع مناسب لما قاله علي عليه السلام في ” نهج البلاغة ” ، ومؤكّد لاختيارنا أن المراد به معاوية ، دون مقاله كثير من الناس أنه زياد والمغيرة .

وروى جعفر بن سليمان الضبي ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لعلي ما يلقى بعده من العنت فأطال ، فقال له عليه السلام : أنشدك الله والرحم يا رسول الله لما دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك ! قال : كيف أسأله في أجل مؤجل ! قال : يا رسول الله ، فلام أقاتل من أمرتني بقتاله ؟ قال : على الحدث في الدين .

وروى الأعمش ، عن عمار الدهني ، عن أبي صالح الحنفي ، عن علي عليه السلام ، قال :

قال لنا يوماً : لقد رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام ، فشكوت إليه ما لقيتُ حتى بكيت ، فقال لي : انظر ، فنظرت فإذا جلاميد ، وإذا رجلان مصفدان - قال الأعمش : هما معاوية وعمر بن العاص - قال : فجعلتُ أرضخُ رءوسهما ثم تعود ، ثم أرضخُ ثم تعود ؛ حتى انتهت .

وروى نحو هذا الحديث عمرو بن مُرّة، عن أبي عبد الله بن سلمة، عن عليّ عليه السلام، قال : رأيتُ الليلة رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، فشكوتُ إليه ، فقال : هذه جهنمُ ، فانظر مَنْ فيها، فإذا معاوية وعمر بن العاص معلقين بأرجلهم من كسكين ، ترَضَخُ رءوسهما بالحجارة - أو قال : تُشَدَّخُ .

وروى قيس بن الربيع، عن يحيى بن هاني المرادي ، عن رجل من قومه يقال له زياد ابن فلان، قال : كنا في بيتٍ مع عليّ عليه السلام نحن شيعة^(١) وخواصه، فالتفت فلم ينكرْ منا أحداً، فقال : إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ويسألون أعينكم ، فقال رجلٌ منا : وأنت حتى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعاذني الله من ذلك ؛ فالتفت فإذا واحدٌ يبكي ، فقال له : يا ابنَ الحقاء ، أتريد اللذات في الدنيا والدرجات في الآخرة إنما وعد الله الصابرين .

وروى زرارة بن أعين عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام ، قال : كان عليّ عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزلْ معقبا إلى أن تطلع الشمس ؛ فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس ؛ فيعلمهم الفقه والقرآن ؛ وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ؛ فقام يوما فربّ رجل ، فرماه بكلمة هُجِرَ - قال : لم يسمه محمد بن عليّ عليه السلام - فرجع عودَه على بدنه حتى صعد المنبر ، وأمر فنودي : الصلاة جامعة الخفيد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : أيّها الناس ، إنه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعا من

(١) ب : « نحن وشيعته وخواصه » .

حِلْمَ إِمَامٍ وَفَقْهٍ ؛ وَلَا شَيْءَ أَنْبَضَ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَعَمَّ ضُرراً مِنْ جَهْلِ إِمَامٍ وَخُرْقِهِ ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعْظَمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ؛ أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا ؛ أَلَا وَإِنَّ الذَّلَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّعَزُّزِ فِي مَعْصِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِنْكَارَ ، فَقَالَ : هَازِنًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ ، فَقَالَ : إِنْ تَعَفَّ وَتَصَفَّحَ ، فَأَنْتَ أَهْلُ ذَلِكَ ؛ قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ وَصَفَّحْتُ ؛ فَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ ؟ قَالَ : أَرَادَ أَنْ يَنْسِبَهُ .

وَرَوَى زُرَّارَةُ أَيْضًا ، قَالَ : قِيلَ لِلْجُمْعِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ قَوْمًا هَاهُنَا يَنْتَقِصُونَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : بِمَ يَنْتَقِصُونَهُ لَا أَبَا لَهُمْ أَوْ هَلْ فِيهِ مَوْضِعٌ نَقِيصَةٍ أَوِ اللَّهُ مَا عَرَّضَ لِمَلِيٍّ أَمْرًا قَطًّا كَلَامًا لِلَّهِ طَاعَةً إِلَّا عَمِلَ بِأَشَدِّهَا وَأَشَقِّهَا عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ كَأَنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، يَنْظُرُ إِلَى ثَوَابِ هَؤُلَاءِ فَيَعْمَلُ لَهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَى عِقَابِ هَؤُلَاءِ فَيَعْمَلُ لَهُ ؛ وَإِنْ كَانَ لَيَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِذَا قَالَ : وَجَّهَتْ وَجْهِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ؛ حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ^(١) ؛ وَلَقَدْ أَعْتَقَ أَلْفَ عَبْدٍ مِنْ كَدِّ يَدِهِ ؛ كُلٌّ مِنْهُمْ ^(٢) يَمْرُقُ فِيهِ جَبِيلُهُ ، وَتَحْفَى فِيهِ كَفُّهُ ، وَلَقَدْ بُشِّرَ بَعِيْنٌ نَبَّعَتْ فِي مَالِهِ مِثْلُ عُنُقِ الْجَزُورِ ، فَقَالَ : بُشِّرِ الْوَارِثَ بِبُشْرٍ ، ثُمَّ جَعَلَهَا صَدَقَةً عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، لِيَصْرِفَ اللَّهُ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ .

وَرَوَى الْقَنَادُ ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا يَحْبُنِي كَافِرٌ وَلَا وَلَدُ زَنَاءٍ .
وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : كُنَّا بَنُورَ إِيْمَانِنَا نَحْبُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَ أَحَبَّهُ عَرَفْنَا أَنَّهُ مِنَّا .

(٢) ب : « كلهم » .

(١) ج : « لونه » .

[فصل فى معنى قول علىّ : « فسبّونى فإنه لى زكاة »]

المسألة الثالثة :

فى معنى قوله عليه السلام : « فسبّونى، فإنه لى زكاة، ولستم نجاة »، فنقول: إنه أباح لهم سبّه عند الإكراه ، لأنّ الله تعالى قد أباح عند الإكراه التلفظ بكلمة الكفر ؛ فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ، والتلفظ بكلمة الكفر أعظم من التلفظ بسبّ الإمام .

فأما قوله : « فإنه لى زكاة ولستم نجاة » ؛ فمعناه أنكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك ، ومعنى الزكاة يحتمل أمرين: أحدهما ماورد فى الأخبار النبوية أن سبّ المؤمن زكاة له وزيادة فى حسناته .

والثانى : أن يريد به أن سبّهم لى لا ينقص فى الدنيا من قدرى ، بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدر، وشياع ذكر ؛ وهكذا كان ، فإن الله تعالى جعل الأسباب التى حاول أعداؤه بها الغنى منه عللاً لا تنتشر صيته فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد لمح هذا المعنى أبو نصر بن نباتة ، فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوى :

وأبوك الوصىّ أوّل من شا دَ منار الهدى وصامَ وصلىّ

نشرت حبله قریش فأعطتهُ إلى صُبْحَةِ القِيامةِ فَنَلَا

واحتذيت أنا حذوه ، فقلت لأبى المظفر هبة الله بن موسى الموسوى رحمه الله تعالى :

فى قصيدة أذكر فيها أباه :

أَمَلَكِ الدرة التى أنجبت من جَوْهَرِ الجَدِّ راضياً مرَضِيّاً

وأبوك الإمامُ موسى كَظِيمُ السَّيفِ حَتَّى يُعِيدَهُ مَنْسِيّاً

وأبوه تاج الهدى جعفر الصا دق وخيا عن الغيوب وحيا
 وأبوه محمد باقر العلم مضي لنا هاديا مهديا
 وأبوه السجاد أتقى عباد الله مخلصا ووفيا
 والحسين الذي نخير أن يقضي عزرا ولا يعيش دنيا
 وأبوه الوصي أول من طأ ف وآتي سبعا وساق الهديا
 طامنت بحده قرش فأعطته إلى سدرة السماء رقا
 أنحلت صيته فطار إلى أن ملأ الأفق ضجة ودويا
 وأبو طالب كفيلا أبي القاسم كهلأ ويافعا وفتيا
 ولشيوخ البطحاء تاج معدي شية الحمد هل علت تيميا
 وأبو عمر القلاء هاشم الجوا دي ومن مثل هاشم بشريا
 وأبوه المهام عباد مناف قل تقل صادقا وتبدي بديا
 ثم زيد - أعنى قصي الذي لم يك عن ذروة العلاء قصيا
 نسب إن تلقى النسب المحض لفاعا كان السليب القريا
 وإذا أظلمت مناسخة الأنا ساب يوما كان المنير الجليا
 ياله مجدة على قديم الدهر وقد يفضل العتيق الطريا
 وذكرنا هاهنا ما قبل المعنى وما بعده ؛ لأن الشعر حديث ، والحديث - كما قيل -
 يأخذ بعضه بقراب بعض ؛ ولأن ما قبل المعنى وما بعده مكمل له ، وموضح مقصده .
 فإن قلت : أئى مناسبة بين لفظ « الزكاة » وانتشار الصيت والسمع ؟
 قلت : لأن الزكاة هي النماء والزيادة ؛ ومنه سميت الصدقة المخصوصة زكاة لأنها تنمي
 المال للزكي ، وانتشار الصيت نماء وزيادة .

[فصل في اختلاف الرأي في معنى السبِّ والبراءة]

للمسألة الرابعة :

أن يقال : كيف قال عليه السلام : « فأما السبُّ فسُبُّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تبرءوا مني » ؟ وأتى فرق بين السبِّ والبراءة ؟ وكيف أجاز لهم السبِّ ومنعهم عن التبرُّؤ ، والسبِّ أفحش من التبرُّؤ ؟

والجواب ؛ أما الذي يقوله أصحابنا في ذلك فإنه لا فرق عندهم بين سبِّه ^(١) والتبرُّؤ منه ، في أنَّهما حرام وفسق وكبيرة ، وأنَّ المكرَّه عليهما يجوز له فعلهما عند خَوْفه على نفسه ، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف .

ويجوز ألا يفعلهما وإن قتل ، إذا قصد بذلك إعزاز الدين ، كما يجوز له أن يُسلم نفسه للقتل ولا يُظهر كلمة الكفر إعزازا للدين ، وإنما استفتحش عليه السلام البراءة لأنَّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن العزيز إلا عن المشركين ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ . . . أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٣) ، فقد صارت بحسب العرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة ؛ فإذا نُحْمِلَ هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السبِّ ، وإن كان حكمهما واحدا ؛ ألا ترى أنَّ إلقاء المصحف في القدر أفحش من إلقاء المصحف في دَنِّ الشراب ؛ وإن كانا جميعا محرَّمين ، وكان حكمهما واحدا ؟

فأما الإمامية فتروى عنه عليه السلام أنه قال : إذا عُرِضْتُمْ على البراءة منَّا فدَّوا الأعناق .

ويقولون : إنه ^(٤) لا يجوز التبرُّؤ منه ؛ وإن كان الحالف صادقا ، وإنَّ عليه الكفارة .

(٢) سورة التوبة ١ .

(٤) ساقطة من ١ .

(١) ج : « السب » .

(٣) سورة التوبة ٣ .

ويقولون : إنَّ حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول ومنه عليه السلام ومن أحد الأئمة عليهم السلام ، حكم واحد .

ويقولون : إنَّ الإكراه على السبِّ يُبيح إظهاره ؛ ولا يجوز الاستسلام للقتل معه ، وأما الإكراه على البراءة ؛ فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل ويجوز أن يظهر التبرؤ ، والأولى أن يستسلم للقتل .

[فصل في معنى قول عليّ : « إني ولدت على الفطرة »]

المسألة الخامسة :

أن يقال : كيف علَّل نهيَّه لهم على البراءة منه عليه السلام ، بقوله : « فإني ولدت على الفطرة » ؛ فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام ، لأنَّ كلَّ أحدٍ ^(١) يولد على الفطرة ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله : « كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة ؛ وإنا أبواه يهودانه وينصرانه » .

والجواب ، أنه عليه السلام علَّل نهيَّه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل ؛ وهي كونه ولد على الفطرة ، وكونه سبق إلى الإيمان والهجرة ؛ ولم يعلل بأحد هذا المجموع ، ومراده ها هنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية ؛ لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاما مضت من عام الفيل ؛ والنبي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل ؛ وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه أحد ؛ وكان ذلك إرهاباً لرسالاته عليه السلام فحُكِّم تلك السنين العشر حكم أيام رسالاته صلى الله عليه وآله ؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولَّى لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضة ، ففارق حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل . وقد روي أنَّ السَّنة التي ولد فيها عليّ

(١) ج : « واحد » .

عليه السلام هي السنة التي بدى فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأُسمِعَ
 الهُتاف من الأحجار والأشجار ، وكشف عن بصره ، فشاهد أنواراً وأشخاصاً ؛ ولم
 يخاطب فيها^(١) بشيء . وهذه السَّنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبَتُّل والانقطاع والعزلة
 في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كُوِّشِفَ بالرسالة ، وأنزل عليه الوحي ، وكان رسول الله
 صلى الله عليه وآله يَتَمَيَّنُ بتلك السنة وبولادة عَلِيِّ عليه السلام فيها ، ويسمِّيها سنة
 الخَيْر وسنة البركة ؛ وقال لأهله ليلة ولادته ، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة
 الإلهية ، ولم يكن مِنْ قَبْلِهَا شاهد من ذلك شيئاً : « لقد وُلِدَ لنا الليلة مولود يَفْتَحُ الله
 علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة » ، وكان كما قال صلوات الله عليه ، فإنه عليه
 السلام كان ناصره والحامي عنه وكاشف الغمائم^(٢) عن وجهه ؛ وبسيفه ثبتَ دِينُ
 الإسلام ، ورست دعائمُه ، وتمهّدت قواعده عليه السلام .

وفي المسألة تفسير آخر ؛ وهو أن يعنى بقوله عليه السلام : « فإني ولدتُ على
 الفطرة » ، أى على الفِطْرَةِ التي لم تتغيّر ولم تتحلّ ، وذلك أن معنى قول النبي صلى الله عليه
 وآله : « كلّ مولود يولد على الفِطْرَةِ » أنّ كلّ مولود فإنّ الله تعالى قد هيّأه بالعقل
 الذي خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأنّ يعلم التوحيد والعَدْل ، ولم يجعل فيه
 مانعاً يمنعه عن ذلك ؛ ولكن التربية والعقيدة في الوالدين والإلف لاعتقادها وحسن
 الظنّ فيهما يصدّه عما فُطِرَ عليه ؛ وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ، وُلِدَ على الفطرة
 التي لم تتحلّ ولم يصدّه عن مقتضاها مانع ؛ لامن جانب الأبوين ولامن جهة غيرهما ، وغيره
 ولد على الفِطْرَةِ ، ولكنّه حال عن مقتضاها ، وزال عن موجبها .

ويمكن أن يفسر بأنه عليه السلام أراد بالفِطْرَةِ العِصْمَةَ ؛ وأنّه منذ ولد لم يواقع قبيحاً ؛

(١) ج : « منها » .

(٢) ج : « الغم » .

ولا كانَ كافرًا طَرَفَةً عينَ قطّ ، ولا مخطئًا ولا غلطًا في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين .
وهذا تفسير الإمامية .

[فصل فيما قيل من سبق عليّ إلى الإسلام]

المسألة السادسة :

أن يقال : كيف قال : « وسبقتُ إلى الإيمان » ، وقد قال قوم ^(١) من الناس : إنَّ
أبا بكر سبّقه ، وقال قوم : إن زيد بن حارثة سبّقه ؟

والجواب ، أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة رَوَوْا أنه
عليه السلام أوّل من أسلم ؛ ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البرّ ، المحدث في
في كتابه المعروف " بالاستيعاب " .

قال أبو عمر في ترجمة ^(٢) علي عليه السلام : المروى عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد
وخَبَّاب وأبي سعيد الخدريّ وزيد بن أسلم أن عليا عليه السلام أوّل من أسلم ؛ وقضّله
هؤلاء على غيره .

قال أبو عمر : وقال ابن إسحاق : أوّل من آمن بالله وبمحمد رسول الله صلى عليه
 وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو قول ابن شهاب ؛ إلا أنه قال : « من الرجال
 بعد خديجة » .

قال أبو عمر : وحدّثنا أحمد بن محمد ، قال : حدّثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدّثنا
 محمد بن جرير ، قال : حدّثنا علي بن عبد الله الدهقان ، قال : حدّثنا محمد بن صالح ، عن
 سماعة بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لم يَـلَـمَ عليه السلام أربع خصال ، ليست

(١) ب : « كثير » ، وما أثبتته من ج . (٢) الاستيعاب ١٠٨٩ وما بعدها .

لأحد غيره : هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الذي كان معه
لواؤه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم قرء عنه غيره ؛ وهو الذي غسّله وأدخله قبره .
قال أبو عمر : ورؤي عن سلمان الفارسي أنه قال : أول هذه الأمة وروداً على نبيها صلى
الله عليه وآله الحوض ، أولها إسلاما : علي بن أبي طالب . وقد رؤي هذا الحديث مرفوعاً
عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال : « أول هذه الأمة وروداً على الحوض
أولها إسلاما : علي بن أبي طالب » .

قال أبو عمر : ورفعهُ أولى ، لأن مثله لا يُدرَك بالرائي .

قال أبو عمر : فأما إسناد المرفوع ؛ فإن أحمد بن قاسم ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ
قال : حدثنا بن الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدثني يحيى بن هاشم ، قال : حدثنا سفيان
الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي صادق ، عن حنّس بن المتمر ، عن عليم^(١) الكندي ،
عن سلمان الفارسي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أولكم وإداعلي الحوض
أولكم إسلاما ؛ علي بن أبي طالب » .

قال أبو عمر : وروى أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بلج ،
عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله
بعد خديجة علي بن أبي طالب .

قال أبو عمر : وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا
أحمد بن زهير بن حرب ، قال : حدثنا الحسن بن حماد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بلج
عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة .
قال أبو عمر : هذا الإسناد لا مطمئن فيه لأحد ؛ لصحته وثقة نقلته ؛ وقد عارض^(٢)

(١) في الأصول : « عليم » ، وما أثبتته عن الاستيعاب .

(٢) ج . « عورس » ، والاستيعاب : « وهو يعارض » .

ما ذكرنا في باب أبي بكر الصديق ، عن ابن عباس : والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه ، كذلك قاله مجاهد وغيره ، قالوا : ومنعه قومه .

قال أبو عمر : اتفق ابن شهاب ، وعبد الله بن محمد بن عَقِيل ، وقتادة ، وابن إسحاق عَلَى أن أول من أسلم^(١) من الرجال عَلَى . واتفقوا عَلَى أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به ، ثم عَلَى بعدها .
وروى عن أبي رافع مثل ذلك .

قال أبو عمر : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد السلام بن صالح ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، قال : حدثنا عمر مولى غُفْرَة ، قال : سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم : عَلَى أم أبي بكر ؟ فقال : سبحان الله ! عَلَى أولهما إسلاما ؛ وإنما شُبّه على الناس ؛ لأنّ عليا أخفى إسلامه من أبي طالب ، وأسلم أبو بكر ، فأظهر إسلامه .

قال أبو عمر : ولا شك عندنا أنّ عليا أولهما إسلاما ، ذكر عبد الرزاق في جامعه ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن وغيره قالوا : أول من أسلم بعد خديجة عَلَى بن أبي طالب عليه السلام .

وروى معمر ، عن عثمان الجزري ، عن مِقْسَم^(٢) ، عن ابن عباس ، قال : أول من أسلم عَلَى بن أبي طالب .

قال أبو عمر : وروى ابن فضيل عن الأجلح ، عن حَبّة بن جوين العُرنِيّ ، قال : سمعت عليّا عليه السلام ، يقول : لقد عبدتُ الله قبل أن يعبدّه أحدٌ من هذه الأمة خمس سنين .

قال أبو عمر : وروى شعبة ، عن سلمة بن كَهَيْل ، عن حَبّة العُرنِيّ ، قال : سمعت عليا يقول : أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه .

(١) هو مِقْسَم بن بجرة . ويقال : نجدة .

(١) ج : « آمن » .

قال أبو عمر : وقد روى سالم بن أبي الجعد ، قال : قلت لابن الحنفية : أبو بكر كان أولهما إسلاما ؟ قال : لا .

قال أبو عمر : وروى مسلم الملائكة ، عن أنس بن مالك ، قال : استنبي النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

قال أبو عمر : وقال زيد بن أرقم : أول من آمن بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب .

قال : وقد روى حديث زيد بن أرقم من وجوه ، ذكرها النسائي وأسلم بن موسى وغيرهما ؛ منها ما حدثنا به عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة الأنصاري قال : سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب .

قال أبو عمر : [وحدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، ^(١)] ، حدثنا أبي ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن أبي الأشعث ، عن إسماعيل بن إلياس بن عفيف الكندي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كفت امرأة تاجرا ، فقديمت الحج ، فأثيت العباس ابن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة - وكان امرأة تاجرا - فوالله إني لعنده بمني . إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس ، فلما رآها قد مالت قام يصلي ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلي ، ثم خرج غلام حين رآه من ذلك الخباء ، فقام معه يصلي ، فقلت للعباس : ما هذا يا عباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي ، قلت : من هذه المرأة ؟

(١) من الاستيعاب .

قال : امرأته خديجة بنت خويلد ، قلت : ما هذا الفتى ؟ قال : عليّ بن أبي طالب ابن عمه ، قلت : ما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبيّ ، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الغلام ؛ وهو يزعم أنه سيفتح على أمته كدور كسرى وقيصر ، قال : فكان عُفَيْف الكنديّ يقول - وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه : لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ كنتُ أكون ثانيا مع عليّ .

قال أبو عمر : وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكنديّ من هذا الكتاب .

قال أبو عمر : ولقد قال عليّ عليه السلام : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا ، لا يصليّ معه غيري إلا خديجة .

فهذه الروايات والأخبار كلّها ، ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البرّ في الكتاب المذكور ، وهي كما تراها تكاد تكون إجماعا .

قال أبو عمر : وإنما الاختلافُ في كُتَيْبَة سنّه عليه السلام يوم أسلم ، ذكر الحسن ابن عليّ الحلوانيّ في كتاب " المعرفة " ، له ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا الليث ابن سعد ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن عليا والزيير أسلما وها ابنا ثمانين سنين . كذا يقول أبو الأسود يقيم عروة ؛ وذكره أيضا ابن أبي خيثمة عن قُتَيْبَة بن سعيد ، عن الليث بن سعد ، عن أبي الأسود ؛ وذكره عمر بن شُبّة ، عن الحزاميّ ، عن أبي وهب ، عن الليث ، عن أبي الأسود ، قال الليث : وهاجرا وها ابنا ثمان عشرة سنة .

قال أبو عمر : ولا أعلم أحدا قال بقول أبي الأسود هذا .

قال أبو عمر : وروى الحسن بن عليّ الحلوانيّ ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : أسلم عليّ وهو ابن خمس عشرة سنة .

قال أبو عمر : وأخبرنا أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج ، قال : حدثنا محمد بن مسعود ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : أسلم علي - وهو أول من أسلم - وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة سنة .

قال أبو عمر : قال ابن وضاح : وما رأيت أحدا قط أعلم بالحديث من محمد بن مسعود ، ولا بالراي من سُحنون .

قال أبو عمر : قال ابن إسحاق : أول ذكر آمن^(١) بالله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين .

قال أبو عمر : والروايات في مبلغ سنه عليه السلام مختلفة ، قيل : أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وقيل : ابن اثنتي عشرة سنة . وقيل : ابن خمس عشرة سنة . وقيل : ابن ست عشرة . وقيل : ابن عشر . وقيل : ابن ثمان .

قال أبو عمر : وذكر عمر بن شبة ، عن المدائني ، عن ابن جعدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أسلم علي وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

قال : وأخبرنا إبراهيم بن اللندر الحراني ، قال : حدثنا محمد بن طلحة ، قال : حدثني جدي إسحاق بن يحيى ، عن طلحة ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص أعماراً واحدة .

قال : وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : حدثنا إسماعيل بن علي الخطيبي ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا حُجَين أبو عمر ، قال : حدثنا حِبان ، عن معروف ، عن أبي معشر ، قال : كان علي عليه السلام وطلحة والزبير في سنٍ واحدة .

(١) ج : « أسلم » .

قال : وروى عبد الرزاق ، عن الحسن وغيره : أن أول من أسلم بعد خديجة على ابن أبي طالب عليه السلام ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة .
قال أبو عمر : وروى أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا شريح بن النعمان ، قال : حدثنا الفرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : أسلم على وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .
قال أبو عمر : هذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم .
انتهى حكاية كلام أبي عمر في كتاب " الاستيعاب " .

واعلم أن شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاما على ابن أبي طالب عليه السلام ؛ إلا من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين ، فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان ، لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافا في ذلك .
واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام مازال يدعى ذلك لنفسه ، ويفتخر به ، ويجعله في أفضليته على غيره ، ويصرح بذلك ، وقد قال غير مرة : أنا الصديق الأكبر ، والفاروق الأول ، أسلمت قبل إسلام أبي بكر ، وصليت قبل صلته .

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب " المعارف " ،^(١) وهو غير متهم في أمره .

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أولها :
محمد النبي أخى وصرهري وحمة سيد الشهداء عني
ومن جملتها :

سبقتكم إلى الإسلام طر غلاما ما بلغت أوان حلي

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدا لا يتسع هذا الكتاب لذكرها ، فلتُطلب من مظانها .

ومن تأمل كتب السير والتواريخ عَرَفَ مِنْ ذَلِكَ ما قلناه .
فأما الداهيون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاما ففقر قليلون ؛ ونحن نذكر ما أورده ابن عبد البر أيضا في كتاب " الاستيعاب " ، في ترجمة أبي بكر ^(١) .

قال أبو عمر : حدثني خالد بن القاسم ، قال : حدثنا أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا محمد ابن عبدوس ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا شيخ لنا ، قال : أخبرنا مجاهد ، عن الشعبي ، قال : سألت ابن عباس - أو سئل : - أي الناس كان أول إسلاما ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوْنَا مِنْ أَخِي ثَقَّةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا ^(٢)
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعَدَلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
وَالثَّانِيَ النَّسَالَى الْحُمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرِّسَالَا
ويُروى أن النبي صلى الله عليه وآله ، قال لحسان : « هل قلت في أبي بكر شيئا ؟ » ، قال : نعم ؛ وأنشده هذه الأبيات ، وفيها بيت رابع :

وثنائي اثنين في الغار المنيفِ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدُوا الْجَبَلَا
فُسِّرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وقال : « أحسنت يا حسان » ؛ وقد روى فيها بيت خامس :

وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا

(١) كتاب الاستيعاب ص ٩٦٤

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

وقال أبو عمر : وروى شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، قال : أول من أسلم أبو بكر .

قال : وروى الجري ، عن أبي نصر ، قال : قال أبو بكر لعلي عليه السلام : أنا أسلمت قبلك ؛ في حديث ذكره فلم يذكره عليه .

قال أبو عمر : وقال فيه أبو مخجن الثقي :

وُسِّمَتْ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يَسْتَمِي بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْسُكِرٍ
سَبَقْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِشِ الْمَشْهُرِ
وَبِالْفَارِ إِذْ تُسَمِّي خِيَلًا وَصَاحِبًا وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمَطْهُرِ

قال أبو عمر : وروينا من وجوه ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو ابن عبسة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نازل بمسكاه ، فقلت : يا رسول الله ، من أتبعك على هذا الأمر ؟ فقال : حرّ وعبد : أبو بكر وبلال . قال : فأسلمت عند ذلك ، وذكر الحديث .

هذا مجموع ما ذكره أبو عمر بن عبد البرّ في هذا الباب في ترجمة أبي بكر ؛ ومعلوم أنه لا نسبة لهذه الروايات إلى الروايات التي ذكرها في ترجمة علي عليه السلام الدالة على سبقه ؛ ولا ريب أن الصحيح ما ذكره أبو عمر أن عليًا عليه السلام كان هو السابق ، وأن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه ، فظن أن السابق له ..

وأما زيد بن حارثة ؛ فإن أبا عمر بن عبد البرّ رضى الله تعالى عنه ذكر في كتاب " الاستيعاب " ؛ أيضًا في ترجمة زيد بن حارثة ، قال : ذكر معمر بن شبّة في جامعه عن الزهري أنه قال : ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة ^(١) .

(١) الاستيعاب ٥٤٢

قال عبد الرزاق : وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري .
ولم يذكر صاحب " الاستيعاب " ما يدل على سبق زيد إلا هذه الرواية ؛ واستغربها ؛
فدل مجموع ما ذكرناه أن عليا عليه السلام أول الناس إسلاما ، وأن الخالف في ذلك شاذ ،
والشاذ لا يعتد به .

[فصل فيما ذكر من سبق على إلى الهجرة]

المسألة السابعة :

أن يقال : كيف قال : « إنه سبق إلى الهجرة » ومعلوم أن جماعة من المسلمين هاجروا قبله ،
منهم عثمان بن مظعون وغيره ؛ وقد هاجر أبو بكر قبله ، لأنه هاجر في صحبة النبي صلى الله
عليه وآله ؛ وتختلف على عليه السلام عنهما ^(١) ، فبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ؛
ومكث أياما يرّد الودائع التي كانت عنده ، ثم هاجر بعد ذلك ؟

والجواب ، أنه عليه السلام لم يقل : « وسبقت كل الناس إلى الهجرة » ؛ وإنما قال :
« وسبقت » فقط ؛ ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة ؛ ولا شبهة أنه سبق معظم
المهاجرين إلى الهجرة ، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدا .

وأيضا فقد قلنا إنه علل أفضليته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور : منها
ولادته على الفطرة ، ومنها سبقه إلى الإيمان ، ومنها سبقه إلى الهجرة ؛ وهذه الأمور الثلاثة
لم تجتمع لأحد غيره ؛ فكان بمجموعها متميّا عن كل أحد من الناس .

وأيضا فإن اللام في « الهجرة » يجوز ألا تكون للمعمود السابق ، بل تكون
للجنس ، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة ؛
فإن النبي صلى الله عليه وآله هاجر عن مكة سرا را يطوف على أحياء العرب ، وينتقل من

(١) ج : « عنه » .

أرض قوم إلى غيرها ؛ وكان على عليه السلام معه دون غيره .

أما هجرته إلى بني شيبان ؛ فما اختلف أحد من أهل السيرة أن عليا عليه السلام كان معه هو وأبو بكر ، وأنهم غابوا عن مكة ثلاثة عشر يوما وعادوا إليها ، لَمَّا لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوه من النُصرة .

وروى للدائني في كتاب " الأمثال " عن المفضل الضبي ؛ أن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج إلى ربيعة ، ومعه على عليه السلام وأبو بكر ، فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر — وكان نَسَابَةً — فسلم فردُّوا عليه السلام ؛ فقال : بمن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : أمن هَامَتِهَا أم من لَهَا زَمَها ؟ ^(٢) قالوا : من هَامَتِهَا العظمى ، فقال : من أي هَامَتِهَا العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذُهل الأكبر ، قال : أفنكم عَوْف الذي يقال له : لا حُرَّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم يَسْطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم جَسَّاس حامِي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم الخَوْفَزان ، قاتل الملوك وسالِبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم المَزْدَلِف صاحب العمامة القُرْدَة ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم أخوالُ الملوك من كِنْدَة ؟ قالوا : لا ، قال : فلستم إذن ذُهلًا الأكبر ؛ أنتم ذُهل الأصغر . فقام إليه غلام قد بَقَلَ ^(٣) وجهه ، اسمه دَغِفَل ، فقال :

إِنِّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعِيبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحِجُّهُ

(١) الخبر في مجمع الأمثال ١٧ ، ١٨

(٢) فسرهُ صاحب اللسان فقال : « وفي حديث أبي بكر والسَّابَة : « أمن هَامَتِهَا أو لها زَمَها ؟ أي من أشرافها أنت أو من أوسطها ؟ والهازم أصول الخنكَيْن ؛ واحدهما لَهْزَمَة بالكسر ؛ فاستعارها لوسط النسب والقبيلة » .

(٣) بقل وجهه ؛ أي خرج شعره .

يا هذا ، إنك قد سألتنا فأجبتناك ، ولم نكتفك شيئا ، فمَن الرجل ؟ قال : من قريش ، قال : بئح ! بئح ! أهل الشرف والرياسة ؛ فمِن أى قريش أنت ؟ قال : من تيم بن مرة ، قال : أمكنت والله الراعى من الثغرة ^(١) ؛ أممكم قصي بن كلاب الذى جَمَعَ القبائل من فِهْر فكان يدعى مجمعا ؟ قال : لا ، قال : أفنكم هاشم الذى هشم لقومه الزيد ^(٢) ؟ قال : لا ، قال : أفنكم شعبة الحمد ، مُطعم طير السماء ^(٣) ؟ قال : لا ، قال : أفن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين أهل الرقادة ^(٤) ؟ أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين أهل السقاية ؟ قال : لا ، قال : فاجتذب أبو بكر زمام ناقته ، ورحع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هاربا من الغلام ؛ فقال دَغَل :

* صَادَفَ دَرَّةَ السَّيْلِ دَرَّةً يَصْدَعُهُ ^(٥) *

أما والله لو ثبت لأخبرتُكَ أنك من زَمَعَات ^(٦) قريش ؛ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال على عليه السلام لأبى بكر : لقد وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على باقة ؛ قال : أجل ؛ إن لكل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق ، فذهبت مثلا .

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى الطائف ، فكان معه على عليه السلام وزيد بن

(١) في جمع الأمثال : « من صفاء الثغرة »

(٢) بعده في جمع الأمثال : « ورجال مكة مستنون عجاف » .

(٣) بعده في جمع الأمثال : « الذى كان في وجهه قر يضىء ليل الظلام الداجى » .

(٤) في اللسان : « الرقادة شئ كانت قريش تترافد به في الجاهلية ؛ فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم ، فيشترون به الحاج الجزر والطعام والزبيب فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام الموسم ، وكانت الرقادة والسقاية لبي هاشم والسدانة والقواء لبنى عبد الدار ؛ وكان أول من قام بالرقادة هاشم بن عبد مناف » .

(٥) درأ الوادى بالسيل ، دفعه ؛ وأورد المثل صاحب اللسان وفسره بقوله : « يقال للسيل إذا أتاك من حيث لا تحتسبه : سيل درء ؛ أى يدفع هذا ذاك وذاك هذا » .

(٦) الزمعة في الأصل : التلعة الصغيرة ، أى لست من أشرافهم . وانظر اللسان (زمع) .

حارثة في رواية أبي الحسن المدائني ، ولم يكن معهم أبو بكر . وأما رواية محمد بن إسحاق ؛ فإنه قال : كان معه زيد بن حارثة وَحْدَهُ ، وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن مكة في هذه الهجرة أربعين يوما ؛ ودخل إليها في جوار مُطْعِم بن عدي .

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان ؛ فإنه لم يكن معه إلا عليّ عليه السلام وَحْدَهُ ؛ وذلك عَقِيب وفاة أبي طالب ؛ أُوْحِيَ إليه صلى الله عليه وآله : اخرج منها ؛ فقد مات ناصرك ، فخرج إلى بني عامر بن صعصعة ؛ ومعه عليّ عليه السلام وَحْدَهُ ، فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر ، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه ؛ فعادا عليهما السلام إلى مكة ؛ وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام ؛ وهي أول هجرة هاجرها صلى الله عليه وآله بنفسه .

فأما أول هجرة هاجرها أصحابه ولم يهاجر بنفسه فهجرة الحبشة ؛ هاجر فيها كثير من أصحابه عليه السلام إلى بلاد الحبشة في البحر ؛ منهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام ؛ فغابوا عنه سنين ؛ ثم قدم عليه منهم مَنْ سلم وطالت أيامه^(١) وكان قدوم جعفر عليه عام فتح خيبر ؛ فقال صلى الله عليه وآله : « ما أدري بأيهما أنا أسر ؛ أبقدم جعفر أم بفتح خيبر » !

(٥٧)

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج :

الأضل:

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيِرٌ . أَبَعَدَ إِيْمَانِي بِاللّٰهِ ، وَجِهَادِي مَعَ
رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ . فَأَوْبُوا ثَمَرَ مَا بٍ ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَغْقَابِ .
أَمَّا إِنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَآثَرَةً يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ
فِيكُمْ سُنَّةً .

قال الرضى رحمه الله :

قوله عليه السلام : « وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيِرٌ » ، يُرْوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :
أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ كَذَا كَرْنَاهُ : « آيِرٌ » بِالرَّاءِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ آيِرٌ ؛ لِذِي
يَأْتِرُ النَّخْلَ ، أَيْ يُصْلِحُهُ .

وَيُرْوَى : « آثِرٌ » بِالثَّاءِ ، بِنِثْلٍ نَقَطَ ، يُرَادُ بِهِ الَّذِي يَأْتِرُ الْحَدِيثَ ، أَيْ يَرْوِيهِ
وَيُحْكِيهِ ؛ وَهُوَ أَصْحَبُ الْوُجُوهِ عِنْدِي ، كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَا بَقِيَ مِنْكُمْ نُخْبِرَ .
وَيُرْوَى : « آيِرٌ » بِالزَّيِّ الْمَجْمُوعِ ، وَهُوَ الْوَائِبُ ، وَالْهَالِكُ أَيْضًا يُقَالُ لَهُ : آيِرٌ .

التُخْرُجُ :

الحاصب : الريح الشديدة التي تُثير الحصباء ؛ وهو صنفار الحصى ؛ ويقال لها أيضا حَصْبَةٌ ، قال لبيد :

جَرَّتْ عَلَيْهَا إِذْ خَوَتْ مِنْ أَهْلِهَا أَذْيَالُهَا كُلُّ عَصُوفٍ حَصْبَةٍ^(١)

فأما التفسيرات التي فسّر بها الرضى رحمه الله تعالى قوله عليه السلام : « آبر » فيمكن أن يزداد فيها ، فيقال : يجوز أن يريد بقوله : « ولا بقی منکم آبر » أى نَمَامٌ يفسد ذات البين ؛ والمثبثة : النميّة ، وأبر فلان ، أى نَمَّ ، والآبر أيضا : مَنْ يبغي القوم الغوائل خفيةً ، مأخوذ من أَبَرْتُ الكلب إذا أطمعته الإبرة في الخبز ؛ وفي الحديث : « المؤمن كالكلب للأبور » ؛ ويجوز أن يكون أصله « هابر » ؛ أى مَنْ يضرب بالسيف فيقطع ؛ وأبدلت الماء همزة ، كما قالوا فى : « آل » أهل ؛ وإن صحّت الرواية الأخرى « آثر » بالثاء بثلاث نقط ، فيمكن أن يريد به ساجى باطن خُفّ البعير ؛ وكانوا يُسَجِّجون باطن الخلف بحديدة ليقصّ أثره ؛ رجل آثر وبعير ماثور .

وقوله عليه السلام : « فأوبوا شرّ مآب » ، أى ارجعوا شرّ مرجع . والأعقاب : جمع عَقِب بكسر القاف ؛ وهو مؤخر القدم ، وهذا كله دعاء عليهم ، قال لهم أولا : أصابكم حاصب ، وهذا من دعاء العرب ، قال نعيم بن أبى مُقْبِل :

فَإِذَا خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا وَقُطِينِهَا فَأَصَابَهَا الْحَصْبَاءُ وَالسَّقَانُ

ثم قال لهم ثانيا : « لا بقی منکم مخبر » . ثم قال لهم ثالثا : « ارجعوا شرّ مرجع » ، ثم قال لهم رابعا : « عودوا على أثر الأعقاب » : وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَتُرْجَدُ^(٢) ﴾

(١) ديوانه ٣٥٥ البيت أيضاً فى اللسان ١ : ٣١٠

(٢) سورة الأنعام ٧١

صَلَّى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﷻ ؛ والمراد انعكاس حالهم ؛ وعودهم من العز إلى الذل ؛ ومن الهداية إلى الضلال .

وقوله عليه السلام : « وَأَثَرَةٌ يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سَنَةً » فالأثرَةُ ها هنا الاستبداد عليهم بالنبي ، والفنائم وأطراح جانبهم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله للأَنْصَارِ : « سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي » .

[أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم]

واعلم أن الخوارجَ عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أصحابه وأنصاره في الجمل وصفيين قبل التحكيم ؛ وهذه المخاطبة لهم ، وهذا الدعاء عليهم ؛ وهذا الإخبار عن مستقبل حالهم ، وقد وقع ذلك ، فإنَّ الله تعالى سَلَطَ عَلَى الخوارج بعده الدِّلَّ الشامل ، والسيِّف القاطع ، والأثرة من السلطان ، وما زالت حالهم تضحَّل ؛ حتى أفنَّاهم الله تعالى وأفنى جمهورهم ؛ ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبذيه الحُتَف القاضى ، والموت الزَّوَام . ونحن نذكر من أخبار الخوارج وحروبهم هاهنا طرقا .

[عروة بن حدير]

فمنهم عروة بن حديرٌ أحد بني ربيعة بن حنظلة من بني تميم ؛ ويعرف بعروة ابن أدية ، وأدية جده له جاهلية ؛ وكان له أصحاب وأتباع وشيعة ، فقتله زياد في خلافة معاوية صبرا .

[نجدة بن عويمر الحنفي]

ومنهم نجدة بن عويمر^(١) الحنفي ، كان من رؤسائهم ؛ وله مقالة^(٢) مفردة من مقالة الخوارج

(١) وهو نجدة بن عامر ؛ وانظر الكامل ٣ : ١٨٤ .

(٢) انظر اللؤلؤ والنحل للمهر ستاني ١ : ١١٠ - ١١٢ .

وله أتباع وأصحاب ؛ وإليهم أشار الصَّلَتَانِ العبدى بقوله^(١) :

أرى أُمَّةً شَهَرَتْ سِيفَهَا وقد زِيدَ في سَوَاطِهَا الْأَصْبَحِي^(٢)
 بنجدية أو حَرُورِيَّةٍ وأزرق يدعو إلى أزرقِ
 فمَلَقْنَا أَنْفَا مَسْلُوفَ على دِينِ صَدِّيقِنَا وَالنَّبِيِّ
 أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْتَى الْكَبِيرَ بِرَ مَرَّةٍ الْغَدَاةِ وَكَرَّ الْعَشِيِّ
 إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ قَتِي
 نَرْوُحُ وَنَفْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَنُ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
 تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
 وَكَانَ نَجْدَةٌ يَصَلِّي بِمَكَّةَ بِحِذَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فِي جَمْعِهِ [فِي كُلِّ جُمُعَةٍ]^(٣) ، وَعَبْدُ اللَّهِ
 يُطَلِّبُ الْخِلَافَةَ ، فَيَمْسُكُهَا عَنِ الْقِتَالِ مِنْ أَجْلِ الْحَرَمِ .

وقال الراعي يُخَاطَبُ عَبْدَ الْمَلِكِ^(٤) :

إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ لَا أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلاً
 مَا إِنِ أَتَيْتُ أَبَا خُبَيْبٍ وَافِداً يَوْمًا أُرِيدُ لِبَيْعَتِي تَبْدِيلًا^(٥)
 وَلَمَّا أَتَيْتُ نَجْدَةَ بْنَ عُيَيْنَةَ أَبْنَى الْهَدْيِ فَيَزِيدُنِي تَضْلِيلًا
 مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِنْ حِيلَتِي أَنِّي أَعِدُّ لَهُ عَلَى فُضُولَا
 وَاسْتَوْلَى نَجْدَةَ عَلَى الْإِمَامَةِ ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ ؛ حَتَّى مَلَكَ الْيَمِينَ وَالطَّائِفَ وَعُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ
 وَوَادِي تَمِيمٍ وَعَامَرَ ؛ ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَهُ تَقَمَّوْا عَلَيْهِ أَحْكَامًا أَحْدَثَهَا فِي مَذْهَبِهِمْ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ : إِنَّ
 (١) الْآيَاتِ فِي دِيْوَانِ الْحَسَّاسَةِ ٣ : ١٩١ - بِشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ وَمَعَامِدِ التَّنْصِيصِ ١ : ٧٣ ، ٧٤ ،
 وَالْكَامِلِ ٦ : ١٠١ - بِشْرَحِ الْمَرْصِيِّ مَعَ اخْتِلَافِ فِي الرِّوَايَةِ وَعَدَدِ الْآيَاتِ وَتَرْتِيبِهَا .
 (٢) السُّوْطُ الْأَصْبَحِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى ذِي الْأَصْبَحِ الْحَمِيرِيِّ ؛ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ هَذِهِ السُّبُاطَ الَّتِي يُعَاقِبُ عَلَيْهَا
 السُّلْطَانُ . وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٢ : ٢٤٦ - بِشْرَحِ الْمَرْصِيِّ
 (٣) مِنْ كِتَابِ الْكَامِلِ بِشْرَحِ الْمَرْصِيِّ ٦ : ١٠٢
 (٤) مِنْ مَلْعَمَتِهِ فِي جَهْرَةِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ١٧٤
 (٥) أَبُو خُبَيْبٍ : كُنْيَةُ ابْنِ الزَّيْبِرِ .

الخطيئة بعد الاجتهاد معذور، وإن الدين أمران : معرفة الله ومعرفة رسوله ؛ وما سوى ذلك فالناس معذرون بجهله ؛ إلى أن تقوم عليهم الحجة ؛ فمن استحل محرما من طريق الاجتهاد فهو معذور ؛ حتى إن من تزوج أخته أو أمه مستحلا لذلك بجهالة فهو معذور ومؤمن ؛ فخلعوه وجعلوا اختيار الإمام إليه ؛ فاختر لهم أبافديك، أحد بنى قيس بن ثعلبة؛ فجعله رئيسهم . ثم إن أبافديك أنفذ إلى نجدة بعد من قتله ، ثم تولاه بعد قتله طوائف من أصحابه بعد أن تفرقوا عليه ؛ وقالوا : قتل مظلوما .

[المستورد بن سعد التميمي]

ومنهم المستورد بن سعد أحد بنى تميم ؛ كان ممن شهد يوم النخيلة ونجا بنفسه فيمن نجا من سيف علي عليه السلام ؛ ثم خرج بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة، وهو والى الكوفة معاوية بن أبي سفيان في جماعة من الخوارج ؛ فوجه المغيرة إليه معقل بن قيس الرضائي ، فلما توافقا دعاه المستورد إلى المبارزة ، وقال له : علام تقتل الناس بيني وبينك ؟ فقال معقل : النصف سألت ، فأقسم عليه أصحابه ، فقال : ما كنت لأبى عليه ؛ فخرج إليه فاختلفا ضربتين ، خر كل واحد منهما من ضربة صاحبه قتيلا .
وكان المستورد ناسكا كثير الصلاة ؛ وله آداب وحكم ماثارة ^(١) .

[حوثة الأسدى]

ومنهم حوثة الأسدى ، خرج على معاوية في عام الجماعة في عصابة من الخوارج ؛ فبعث إليه معاوية جيشا من أهل الكوفة ، فلما نظر حوثة إليه ، قال لهم : يا أعداء الله ؛ أنتم بالأمس تقاتلون معاوية تهذبوا سلطانها ؛ وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانها فلما

(١) الكامل ٢٧٧ (طبعة أوروبا) ؛ وأورد من كلامه : إذا أفضيت بسرى إلى صديق فأفشاء لمأله ؛ لأننى كنت أولى بحفظه . لا نقش لى أحسرا وإن كان مخلصا لإلا على وجه العاورة . كن أحرس الناس على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك .

التحمت الحرب قتل حوثره ، قتله رجل من طيّ ، وفصّت جموعه^(١) .

[قريب بن مرة وزخّاف الطائي]

ومنهم قريب بن مرة الأزديّ ؛ وزخّاف الطائيّ ، كانا عابدين مجتهدين من أهل البصرة ، فخرجا في أيام معاوية في إمارة زياد ؛ واختلف الناس : أيّهما كان الرئيس ؟ فاعترضا الناس ، فلقيا شيخا ناسكا من بني ضُبَيْعة من ربيعة بن نزار فقتلاه - وكان يقال له رُوْبَة الضُّبَيْ - وتنادى الناس ، نخرج رجل من بني قَطِيعَة ، من الأزديّ ، وفي يده السيف ، فناداه الناس من ظهور البيوت الحروريّة : انجُ بنفسك ؛ فنادوه : لسنا حروريّة ، نحن الشرط [فوقف]^(٢) فقتلوه ؛ فبلغ أبا بلال مرداس بن أدية خبرهما ، فقال : قريب ، لا قرّ به الله ! وزخّاف لا عفا الله عنه ! ركبأها عشواء مظلمة - يريد اعترضهما الناس - ثم جملا لا يمران بقبيلة إلا قتلّا من وجدا ؛ حتى مرّا على بني عليّ بن سود ، من الأزديّ ؛ وكانوا رماة ، كان فيهم مائة يجيدون الرمي ؛ فرموهم رميا شديدا فصاحوا : يا بني عليّ ، البقية ، لا رماء بيننا . فقال رجل من بني عليّ بن سود :

لأشئ للقوم سيوى السهام مشحودة في غاس الظلام

فمرد عنهم الخوارج^(٣) ، وخافوا الطلب ، واشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا إلى مزيّنة ينتظرون من يلحق بهم من مّصر وغيرها ، فجاءهم ثمانون ، وخرجت إليهم بنو طاحيّة ، من بني سود ، وقبائل من مزيّنة وغيرها ، فاستقلت الخوارج ، وحاربت حتى قُتِلت عن آخرها ، وقُتِل قريب وزخّاف^(٤) .

(١) الكامل ٥٧٩ (طبع أوروبا) .

(٢) من كتاب الكامل

(٣) مردوا ، من التمريد وهو الفرار .

(٤) الكامل ٥٨١ ، ٥٨٢ (طبع أوروبا) .

ومنهم أبو بلال مرداس بن أدية ، وهو أخو عروة بن حدير الذي ذكرناه أولاً ، خرج في أيام عبید الله بن زياد ، وأنفذ إليه ابن زياد عباس بن أخضر المارني ، مقتله وقتل أصحابه ، وحمل رأسه إلى ابن زياد ، وكان أبو بلال عابداً ناسكاً شاعراً ، ومن قدماء أصحابنا من يدعيه ، لما كان يذهب إليه من العدل وإنكار المنكر ، ومن قدماء الشيعة من يدعيه أيضاً .

[نافع بن الأزرق الحنفي]

ومنهم نافع بن الأزرق الحنفي ، وكان شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج ، وإليه تنسب الأزارقة ، وكان يفتي بأن الدار دار كفر ، وأنهم جميعاً في النار ، وكل من فيها كافر ، إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل للمؤمنين أن يجيبوا داعياً منهم إلى الصلاة ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ، ولأن بنا كحوم ، ولا يتوارث الخارجي وغيره ، وهم مثل كفار العرب وعبداء الأوثان ، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم ، والتقية لا تحل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ ^(١) ، وقال فيمن كان على خلافهم : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ^(٢) ، فنفرق عنه جماعة من الخوارج ؛ منهم نجدة بن عامر ، واحتج نجدة بقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ ^(٣) ، فسار نجدة وأصحابه إلى اليمامة ، وأضاف نافع إلى مقاتله التي ^(٤) قد منها ، استحلاله الفدر بأمانته لمن خالفه ، فكتب نجدة إليه :

(١) سورة النساء ٧٧

(٢) سورة المائدة ٥٤

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) ب : « مقالة » .

أما بعد؛ فإنّ عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ البرّ، تعااضد قوى المسلمين، وتصنع للأخزق منهم؛ لاتأخذك في الله لومة لائم؛ ولا ترى معونة ظالم؛ كذلك كنت أنت وأصحابك، أولاً^(١) تتذكر قولك: لولا أنى أعلم أنّ للإمام العادل مثل أجر رعيته ماتوليت أمررجلين من المسلمين! فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء مرضاته، وأصبت من الحق قصه^(٢)، وصبرت على مره، نجرد لك الشيطان؛ ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك؛ فاستمالك واستهواك؛ وأغواك ففويت، وأكفرت الذين عذّرم الله تعالى في كتابه، من قعدة المسلمين وضعفتهم، قال الله عز وجل، وقوله الحق، ووعدته الصدق: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣) : ثم سماهم تعالى أحسن الأسماء فقال: ﴿مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٤) ثم استحلّت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتلهم، وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٥)، وقال سبحانه في القعدة خيرا، فقال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٦) فتفضيله المجاهدين على القاعدین لايدفع منزلة من هو دون المجاهدين، وأما سمعت قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(٧) فجعلهم من المؤمنين. [وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم]^(٨) ثم إنك لاتؤدى أمانة إلى من خالفك، والله تعالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها. فاتق الله في نفسك، واتق يوما لاينجزى فيه والدن عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا؛ فإن الله بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل. والسلام^(٨).

(١) الكامل: «أما» (٢) فسه: كنه

(٣) سورة التوبة ٩١

(٤) سورة الإسراء ١٥

(٥) سورة النساء ٩٥

(٦) سورة النساء ٩٥

(٧) من كتاب الكامل

(٨) الكامل ٦١٢ (طبع أوروبا).

فكتب إليه نافع :

أما بعد ، أنا في كتابك تعطيني فيه ، وتذكّرني وتنصح لي وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوتره من الصواب ، وأنا أسأل الله أن يجعلني من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وعبت على ما دنت به ، من إكفار القعدة وقتل الأطفال ، واستحلال الأمانة من المخالفين ، وسأفسر لك إن شاء الله . . .

أما هؤلاء القعدة ، فليسوا كمن ذكرت تمن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد تفقهوا في الدين ، وقرأوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح . وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) فقال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ^(٤) ، فغير بتعذيرهم ، وأنهم كذبوا الله ورسوله ، ثم قال : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٥) ، فانظر إلى أسمائهم ومماتهم .

وأما الأطفال ، فإن نوحا نبي الله كان أعلم بالله مني ومنك ، وقد قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ * إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَصِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ^(٦) ، فسام بالكفر وهم أطفال ، وقبل أن يولدوا ، فكيف كان ذلك

(١) سورة النساء ٩٧

(٢) سورة التوبة ٨١

(٣) سورة التوبة ٩٠

(٤) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧

في قوم نوح ، ولانقول في قومنا^(١) ؛ والله تعالى يقول : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾^(٢) ، وهؤلاء كمشركي العرب ، لا يقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلال أمانات مَنْ خالفنا فإن الله تعالى أحلّ لنا أموالهم ، كما أحلّ دماءهم لنا ، فدمائهم حلال طلق^(٣) ، وأموالهم في المسلمين ؛ فاتق الله وراجع نفسك ، فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ؛ ولن يسعك خذلاننا والعمود عنا وترك ما نهجناه لك من مقاتلتنا ، والسلام على من أقرّ بالحق وعمل به^(٤) .

وكتب إلى مَنْ بالبصرة من الحكمة : أما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة ، والدين واحد ، فقيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله عز وجل إلى الجهاد ، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾^(٥) ، ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الأحوال ، فقال : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾^(٦) وإما عذر الضعفاء والمرضى ، والذين لا يجدون ما ينفقون ، ومَنْ كانت إقامته لمة ، ثم فصل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٧) ، فلا تغتروا وتطمثوا إلى الدنيا ، فإنها غرارة مكارة ، لذتها نافذة ، ونعيمها بائد ، حُفَّتْ بالشهوات اغترارا ، وأظهرت حيرة^(٨) وأضمرت عبثة ، فليس آكل منها كلة تسره ، ولا شارب منها شرية تؤثقه^(٩) إلا ودناها درجة إلى أجله ، وتباعد بها مسافة من أمليه ، وإنما جعلها الله دار للتزود منها ، إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فليس يرضى بها حازم داراً ولا حكيم قرارا ، فاتقوا الله وتزودوا ،

(١) الكامل : ولا نكون قولة في قومنا . (٢) سورة القمر ٤٣

(٣) يقال : حل طلق ، أى حلال طيب .

(٤) الكامل للبرد ٦١٣ (طبع أوروبا) .

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة التوبة ٤١ (٧) سورة النساء ٩٥

(٨) الحيرة : النعمة .

(٩) تؤثقه : تعجبه .

فإن خير الزاد التقوى ، والسلام على من اتبع الهدى (١).

فلما أظهر نافعُ مقالته هذه ، وانفرد عن الخوارج بها ، أقام في أصحابه بالأهواز يستعرض الناس ، ويقتل الأطفال ، ويأخذ الأموال ، ويحجى الخراج ، وفشأ عمله بالسواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ، واجتمع منهم عشرة آلاف إلى الأحنف ، وسألوه أن يؤمر عليهم أمير المؤمنين الخوارج ، ويجاهد بهم ؛ فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو المسمى بـ «بنة» ، فسأله أن يؤمر عليهم وبنة يومئذ أمير البصرة من قبل ابن الزبير فأمروا عليهم مسلم بن عبيس بن كُرَيْز ، وكان ديناً شجاعاً ، فلما خرج بهم من جسر البصرة ، أقبل عليهم ، وقال : أيها الناس ، إني ما خرجت لامتيار (٢) ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا السيوف والرماح ، فن كان شأنه الجهاد ، فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع .

فرجع نفرٌ يسير ، ومضى الباقيون معه ، فلما صاروا بدولاب (٣) خرج إليهم نافع وأصحابه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح : وعقرت الخيل : وكثر الجراح والقتل ، وتضاربوا بالسيوف والعمد (٤) ، فقتل ابن عبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق أمير الخوارج : وادّعى قتله سلامة الباهلي ، وكان نافع قد استخاف عبيد الله ابن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي ، واستخلف ابن عبيس الربيع بن عمرو الأجدم الغداني اليربوعي ، فكان الرئيسان من بني يربوع ، فاقتتلوا بعد قتل ابن عبيس ونافع قتالاً شديداً ثلثاً وعشرين يوماً ؛ حتى قال الربيع لأصحابه : إني رأيت البارحة كأن يدي

(١) الكامل ٦١٥ (طبع أوروبا) .

(٢) امتيار : مصدر امتار لأهله ؛ أي جلب لهم الميرة ، والميرة : الطعام .

(٣) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

(٤) العمدة ، بفتحين ، أو بضمين جمان للعمود .

التي أصيبت بكابل انحطت من السماء ، فاستشلتني^(١) ، فلما كان الغد قاتلهم إلى الليل . ثم عاودهم القتال ، فقتل ، فتدافع أهل البصرة الراية ، حتى خافوا العطب ، إذ لم يكن لهم رئيس . ثم أجمعوا على الحجاج بن رباب الحميري ، فأبأها ، فقيل له : ألا ترى رؤساء العرب قد اختاروك من بينهم ! فقال : إنها مشنومة ، لا يأخذها أحدٌ إلا قتل ، ثم أخذها فلم يزل يقاتل القوم بدُولاب حتى النقي بعمران بن الحارث الراسبي ، وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر ، فاختلفا ضربتين ، فخرّا ميتين^(٢) .

وقام حارثة بن بدر الغداني بأمر أهل البصرة بعده ؛ وثبت بإزاء الخوارج يناوشهم القتال مناوشة خفيفة ؛ ويزجي الأوقات انتظاراً لقدم أمير من قبل ببة إلى حرب الخوارج ؛ وهذه الحرب تسمى حرب دُولاب : وهي من حروب الخوارج المشهورة ، انتصف فيها الخوارج من المسلمين ، وانتصف المسلمون منهم ، فلم يكن فيها غالب ولا مغلوب .

[عبيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي]

ومنهم عبيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي ، قام بأمر الخوارج يوم دُولاب بعد قتل نافع بن الأزرق ؛ وقام بأمر أهل البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ؛ ولاء عبد الله بن الزبير ذلك ، ولقيه كتابه بالإمارة وهو يريد الحج ، وقد صار إلى بعض الطريق ، فرجع فأقام بالبصرة ، وولى أخاه عثمان بن عبيد الله بن معمر محاربة الأزارقة ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، فلقية أهل البصرة الذين كانوا في وجه الأزارقة ، ومعهم حارثة بن بدر الغداني ، يقوم بأمرهم عن غير ولاية ، وكان ابن الماحوز حينئذ في سوق الأهواز ، فلما عبر

(١) استشلتني ؛ قال اللرد : استشلتني ؛ أي أخذتني إليها واستغفرتني ؛ يقال : استشلاه واشتلاه .

(٢) الكامل ٦١٦ - ٦١٧ (طبع أوروبا) .

عثمان إليهم دُجيلاً ، نهضت إليه الخوارج ، فقال عثمان لحارثة : ما الخوارج إلا مآري ؛ فقال حارثة : حسبك بهؤلاء ! قال : لا جرم ! لا أنفذى حتى أناجزهم ، فقال حارثة : إن هؤلاء القوم لا يقاتلون بالتعسف ، فأبقى على نفسك وجندك ، فقال : أيتهم يا أهل العراق إلا جُبنا أو أنت يا حارثة ما علمك بالحرب ! أنت والله بغير هذا أعلم - يعرض له بالشراب ، وكان حارثة بن بدر صاحب شراب - ففضب حارثة ، فاعتزل ، وحاربهم عثمان يومه إلى أن غربت الشمس ، فأجأت الحرب عنه قتيلًا ، وانهزم الناس ، وأخذ حارثة بن بدر الراية ، وصاح بالناس : أنا حارثة بن بدر افتاب إليه قوم فعبر بهم دجيلاً ، وبلغ قتل عثمان البصرة ، فقال شاعر من بني تميم :

مضى ابن عُبَيْسٍ صابراً غيرَ عاجزٍ وأعقبنا هذا الحجازيَ عثمانُ (١)
فأرعد من قبل اللقاء ابنُ مَعْمَرٍ وأبرق ، والبرقُ اليمانيّ خَوَّانُ (٢)
فَضَحَّتْ قريشاً غَمَّها وسميها وقيل بنو تميم بن مرةَ غزلان (٣)
فلولا ابنُ بدرٍ للعراقيّ لم يَقمْ بما قام فيه للعراقيّ إنسانُ
إذا قيل منْ حامى الحقيقة ؟ أو مات إليه مَعْدُ بالأكفِّ وقحطان

ووصل الخبر إلى عبد الله بن الزبير بمكة ، فكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر بعزله ، وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي المعروف بالقباع (٤) البصرة ، فقدمها ، فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد ، فأراد توليته ، فقال له رجل من بكر بن

(١) الأبيات في الكامل ٦٢٥ (طبعة أوروبا)

(٢) قال المبرد : قوله : « فأرعد » زعم الأصمعي أنه خطأ . . . وأنه لا يقال إلا رعد وبرق . . . وروى غير الأصمعي : أرعد وأبرق على ضعف . وقوله : والبرق اليمانيّ خَوَّان ، يريد : والبرق اليمانيّ يخون (٣) كذا في الكامل : وفي أ ، ج : « غيلان » ، وفي ب : « غزلان » . وعزلان : جمع أعزل ؛ وهو من لا سلاح معه .

(٤) قال المبرد : « وإنما سمي الحارث بن عبد الله القباع ؛ لأنه ولى البصرة ؛ فمير على الناس مكابيلهم ؛ فنظر إلى مكبال صغير في امرأة العين ؛ وقد أحاط بدقيق استكثره ؛ فقال : إن مكبالكم هذا لقباع ؛ والقباع : الذي يخفى أو يخفى مافه . الكامل ٧ : ٤٣ - بشرح الرصني .

وائل : إن حارثة ليس بذلك ؛ إنما هو صاحب شراب ، وكان حارثة مستهترا بالشراب ،
مما قرأ للخمر ؛ وفيه يقول رجل من قومه ^(١) :

ألم ترَ أن حارثةَ بْنَ بَذْرِ يُصَلِّيَ وهوَ أَكْفَرُ منِ حَارِ
ألم ترَ أنَ - للفتيانِ حَظًّا وحُظُّكَ في البغايا والمُعَارِ ^(٢)

فكتب إليه القُباع : تُكفي حربهم إن شاء الله . فأقام حارثة يُدافعهم حتى تفرق
أصحابه عنه وبقي في خِيفٍ منهم ؛ فأقام بنهر تيرى ، فعبرت إليه الخوارج ، فهرب من تخلف
معه من أصحابه ؛ وخرج يركض حتى أتى دُجَيْلا ، لجاس في سفينة ، وأتبعه جماعة من
أصحابه ؛ فكانوا معه فيها ؛ ووافاه رجلٌ من بني تميم ، عليه سلاحه والخوارج وراءه ؛
وقد توسط حارثة دُجَيْلا ، فصاح به : يا حارثة ، ليس مثلى يضيع ! فقال للملاح : قرب ،
فقرَّب إلى جُرُفٍ ^(٣) ، ولا فُرْضة هناك ، فَطَقَر ^(٤) سلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعا ،
وهلك حارثة ^(٥) .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب ” الأغاني الكبير ” أن ^(٦) حارثة لما عقدوا له
الرئاسة ، وسلموا إليه الراية ، أمرهم بالثبات ، وقال لهم : إذا فتح الله عليكم فللعرب زيادة
فريضتين ، وللموال زيادة فريضة ، ونَدَبَ الناس ، فالتقوا وليس بأحدٍ منهم طَرُق ^(٧)
قد فشت فيهم الجراحات ، وما تَطَأَ الخيلُ إلَّا على القتل ؛ فبيناهم كذلك ، إذ أقبل جمعٌ

(١) نقل المصنف في رغبة الأمل أن البيهقي نسب إلى علقمة بن معبد المازني .

(٢) المعار : الحجر .

(٣) الجرف : ما أسفله السيل من أسفل سن الوادي والنهر .

(٤) طفر : وثب .

(٥) الكامل ٦٢٦ وما بعدها (طبعة أوروبا)

(٦) الأغاني ٦ : ١٤٦ وما بعدها (طبعة الدار) . مع اختلاف في الرواية .

(٧) طرق ، أي قوة .

من الشراة من جهة اليمامة ، - يقول المكثّر : إنهم مائتان ، والمقلّل : إنهم أربعون -
فاجتمعوا وهم مُريحون مع أصحابهم ، فصاروا كوكبة^(١) واحدة ، فلما رآهم حارثة بن بدر
ركض برايته منهزماً ، وقال لأصحابه :

كُـرْنِيـبُوا وَدَوِّلِيـبُوا أَوْ حَيْثُ شِئْتُمْ فَادْهَبُوا^(٢)

وقال :

أبْرَ الحِجَارِ فَرِيضَةً لِعَبِيدِكُمْ والخَصِيصَتَانِ فَرِيضَةَ الأَعْرَابِ
قال : كُرنِبا ، أى اطلبوا كُرنِبا ، وهى قرية قريبة من الأهواز ، ودَوِّلِبا : اطلبوا
دَوِّلِبا ، وهى ضيعة بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .
قال : فتتابع الناس على أثره منهزمين ، وتبعهم الخوارج ، فألقى الناس أنفسهم في
الماء ، ففرق منهم بدُجِيل الأهواز خلق كثير .

[الزبير بن على السليطى وظهور أمر المهلب]

ومنهم الزبير بن على السليطى التميمى ، كان على^(٣) مقدمة ابن الماحوز ، وكان
ابن الماحوز يخاطب بالخلافة ، ويخاطب الزبير بالإمارة . ووصل الزبير بعد هلاك حارثة
ابن بدر ، وهرب أصحابه إلى البصرة ، فخافه الناس خوفاً شديداً ، وضجّ أهل البصرة
إلى الأحنف ، فأتى القُبَاع ، فقال : أ صلح الله الأمير ! إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا
وفيننا ، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هُزالاً . قال : فسمُوا إلى رجلا يلى
الحرب ، فقال الأحنف : لا^(٣) أرى لها رجلا إلا المهلب بن أبى صُفرة؛ فقال : أو هذا رأى

(١) الكوكبة : الجماعة ، وى الأغاني « كوكبة » وهما بمعنى .

(٢) الكامل للمبرد ٨ : ١٠ وما بعدها - بفتح المرسى .

(٣) فى الكامل قبل هذه الكلمة : « أن رأى لا ينجى » ، أى لا يشكل ولا يشبه .

جميع أهل البصرة ؟ اجتمعوا إلى في غد لأنظر . وجاء الزبير حتى نزل على البصرة ، وعقد الجسرَ ليعبر إليها ، فخرج أكثر أهل البصرة إليه ، وانضم إلى الزبير جميع كُور الأهواز وأهلها رغبة ورهبة ، فوافاه البصريون في السفن وعلى الدواب^(١) ، فاسودت بهم الأرض ، فقال الزبير لما رآهم : أبى قومنا إلا كفراً ؛ وقطع الجسر ، وأقام الخوارج بإزائهم ، واجتمع الناس عند القُبَاع ، وخافوا الخوارج خوفاً شديداً ، وكانوا ثلاث فرق : سُمي قوم المهلب ، وسُمي قوم مالك بن مسمع ، وسُمي قوم زياد بن عمرو بن أشرف العسكي ، فاختر القُبَاع ما عند مالك وزياد ، فوجدهما مُتتافلين عن الحرب ، وعاد إليه من أشار بهما ، وقالوا : قد رجعنا عن رأينا ؛ ما نرى لها إلا المهلب ، فوجه إليه القُبَاع فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيد ، قد ترى ما قد رهقنا من هذا العدو ، وقد أجمع أهل مصرك عليك ؛ وقال له الأحنف : يا أبا سعيد ، إنا والله ما آثرناك ، ولكننا لم نَرَمَنْ يقوم مقامك .

ثم قال القُبَاع وأوماً إلى الأحنف : إن هذا الشيخ لم يسمك إلا إيثاراً للذين والبقيا^(٢) وكل من في مصرك ما ذُ عينه إليك ، راجح أن يكشف الله عنه هذه النعمة بك ، فقال المهلب : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي لدون ما وصفتم ، ولست آبى مادعوتهم إليه ؛ لكن لي شروطا أشتريها ؛ قالوا : قل ، قال : على أن أنتخب من أحببت أقال الأحنف : ذاك لك ، قال : ولي إمرة كل بلد أغلب عليه اقالوا : لك ذلك ، قال : ولي في كل بلد أظفر به ا قال الأحنف : ليس ذاك لك ولا لنا ؛ إنما هو فيء للمسلمين ؛ فإن سلبتهم إياه كفت عليهم كمدوهم ، ولكن لك أن تعطى أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما أحببت ، وتنفق منه على محاربة عدوك ؛ فما فضل عنكم كان للمسلمين ؛ فقال المهلب : لا حول ولا قوة إلا بالله ! فن لي بذلك ؟ قال الأحنف : نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك ، قال : قد قبلت . فكتبوا بينهم بذلك كتابا ، ووُضِع على يدي الصلت بن حريث بن جابر الجعفي ، وانتخب المهلب من جميع الأخماس ، قبلت نُخبته اثني عشر ألفا ، ونظروا في بيت المال ،

(١) ن الكامل بمد هذه الكلمة : « ورحالة » .

(٢) كذا في ج . وفي ا ، ب : « التقى » ، وهي ساقطة من الكامل .

فلم يكن إلا مائتي ألف درهم ، فمجزت . فبعث المهلب إلى التجار ، فقال : إن تجارتكم منذ حول قد فسدت بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم ، فلهتموا فبايعوني واخرجوا معي أوفىكم حقوقكم . فبايعوه وتاجروه ، فأخذ منهم من المال ما أصلح به عسكره ، واتخذ لأصحابه الخفاتين^(١) والرائات المحشوة بالصوف ؛ ثم نهض - وكان أكثر أصحابه رجالة - حتى إذا صار بمحذاء القوم أمر بسفن فأصلحت وأحضرت ، فصار ارتفاع النهار حتى فرغ منها ، ثم أمر الناس بالعُبور ، وأمر عليهم ابنه المغيرة ، فخرج الناس ، فلما قاربوا الشط خاضت إليهم الخوارج ، فحاربهم وحاربهم المغيرة ، ونضحهم^(٢) بالسهم حتى تنحوا ، وصار هو وأصحابه على الشط ، فحاربوا الخوارج ، فكشفوهم وسفلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر ، والخوارج منهزمون ، فهى الناس عن اتباعهم ، ففي ذلك يقول شاعر من الأزد :

إنّ العراق وأهله لم يخبروا مثل المهلب في الحروب فسلموا
أَمْضَى وَأَيْمَنَ فِي اللَّقَاءِ نَقِيَّةً وَأَقْلَّ تَهْلِيلًا إِذَا مَا أَحْجَمُوا

وأبلى مع المغيرة بومئذ عطية بن عمرو العنبري ، من فرسان تميم وشجعانهم . ومن شعر عطية^(٣) :

يُدْعَى رَجَالٌ لِلْعَطَاءِ وَإِنَّمَا يُدْعَى عَطِيَّةً لِلطَّعْمَانِ الْأَجْرِدِ

وقال فيه شاعر من بني تميم :

وما فارسٌ إِلَّا عَطِيَّةٌ قَوْفُهُ إِذَا الْحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْقَمَا
بِهِ هَزَمَ اللَّهُ الْأَزَارِقَ بَعْدَ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْمِصْرَيْنِ حِلًّا وَتَحَرَّمَا

فأقام المهلب أربعين ليلة يجي الخراج بگور دجلة ، والخوارج بنهر تيرى ، والزبير ابن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز ؛ ففضى المهلب التجار ، وأعطى أصحابه ،

(١) الخفاتان : ثوب من القطن يلبس فوق الدرع . الأناط الفارسية ٥٦

(٢) نضحهم : رشقهم ورممهم . (٣) السكامل : « فقال عطية » .

فأسرع الناس إليه رغبة في مجاهدة العدو وطمعا في الغنائم والتجارات ، فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي وعبد الله بن رباح ومعاوية بن قرة المزني ، وكان يقول : لو جاءت الديلم من هاهنا والحرورية من هاهنا لماربتُ الحرورية ، وجاءه أبو عمران الجوني . وكان يروى عن كعب أن قتيل^(١) الحرورية يفضل قتيل^(٢) غيرهم بعشرة أبواب . ثم أتى المهلب إلى نهر تيرى ، فتفتحوا عنه إلى الأهواز ، وأقام المهلب يجني ما حواله من الكور ، وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج يأتونه بأخبارهم ومن في عسكرهم ، وإذا حشوة^(٣) ؛ ما بين قتّاب وحدّاد وداعر^(٤) . فخطب المهلب الناس ، وذكر لهم ذلك ؛ وقال : أمثل هؤلاء بعلبونكم على فينكم ! ولم يزل مقبها حتى فهمهم ، وأحكم أمرهم وقوى أصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتنام^(٥) أصحابه عشرين ألفا .

ثم مضى يؤمّ كور الأهواز ، فاستخلف أخاه المارك بن أبي صفرة على نهر تيرى ، وجعل المغيرة على مقدمته ، فسار حتى قاربهم ، فناوشهم وناوشوه ، فأنكشف عن المغيرة بعض أصحابه ، وثبت المغيرة نفسه بقية يومه ولياته بوقد النيران ، ثم غاداهم فإذا القوم قد أوقدوا النيران في بقية متاعهم ، وارتحلوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المعيرة ، وقد جاءت أوائل خيل المهلب ، فأقام بسوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحارث القباع كتابا يقول فيه :

أما بعد ؛ فإننا مذكر جئنا يؤمّ العدو ، في نعم من فضل الله متصلة علينا ، ونقيم متتابعة عليهم ، نقدم ويحجمون ، ونحلّ ويرتحلون ، إلى أن حللنا سوق الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ، الذي من عنده النصر ، وهو العزيز الحكيم .

(١) ب « فلك » ، وما أثبتته من ا ، ج والكامل .

(٢) الحشوة : رذال الناس .

(٣) الداعر : الخيث الفسد . وفي الكامل : « ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد »

(٤) ج : « والتأم » .

فكتب إليه الخارث :

هينالك أخوا الأزد الشرف في الدنيا والأجر في الآخرة ، إن شاء الله .

فقال المهلب لأصحابه : ما أجنى أهل الحجاز أما ترونه عرف^(١) اسمي وكنيتي واسم أبي ؟
قالوا : وكان المهلب يثبت الأحراس في الأمن ، كما يثبتهم في الخوف ، ويذكر^(٢) كي
« العيون في الأمصار كما يذكر^(٣) كيها في الصحارى ، ويأمر أصحابه بالتحرز ، ويخوفهم البيات^(٤) ،
وإن بعد منه العدو ، ويقول^(٥) : احذروا أن تُكادوا كما تكيدون ، ولا تقولوا : هزمنام
وغلبنام ، والقوم خائفون وجلون ، فإن الضرورة تفتح باب الحيلة .

ثم قام فيهم خطيبا ، فقال : أيها الناس ، قد عرقتُم مذهب هؤلاء الخوارج ، وأنهم
إن قدرُوا عليكم فتتُوك في دينكم ، وسفكوا دماءكم ، فقاتلهم على ما قاتلهم عليه
أو لکم علی بن أبي طالب ، لقد لقيهم^(٥) الصابر الحنّسب مسلم بن عبيس ، والعجل المقرط
عثمان بن عبيد الله ، والمعصي الخالف حارثة بن بدر ، فقتلوا جميعا وقتلوا ، فالتقوم بحديث وجد
فإنما هم مهتكم وعبيدكم ، وطأ عليكم ونقص في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء
على فيئكم ، ويطأوا حريمكم .

ثم سار يريدهم وهم بمناذر^(٦) الصغرى ، فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس
الخوارج رجلا يقال له واقد ، مولى لآل أبي صُفْرة من سبي الجاهلية ، في خمسين رجلا ،
فيهم صالح بن مخراق إلى نهر - تيرى ، وبها المارك بن أبي صُفْرة ، فقتلوه وصلبوه ، فنبى

(١) الكامل : « يعرف » .

(٢) العيون : الجواسيس ؛ ولذا كانوا لإرسالها .

(٣) البيات : اسم من « بيت القوم والعدو تبيتا » ؛ أوقع بهم ليلا وهم غارون .

(٤) ج : « فإن بعد منه العدو يقول » .

(٥) الكامل : « لقيهم قبلهم » ، وفي ب « لقيهم » ، وما أثبتته من ج

(٦) ماذر الصغرى ، وكذلك مناذر الكبرى : كورتان من كور الأهواز

الخبر إلى المهلب ، فوجه ابنته المغيرة ، فدخل نهر تيرى ، وقد خرج واقد منها ، فاستنزل
 عمه فدفنه ، وسكن الناس ، واستخلف بها ورجع إلى أبيه ، وقد نزل بسولاف^(١)
 والخوارج بها ، فواقعهم ، وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال ، فخرج رجل من أصحاب
 المهلب ، يقال له عبد الرحمن الإسكاف ، فجعل يحض الناس ويهتون أمر الخوارج ،
 ويختال بين الصّفين ، فقال رجل من الخوارج لأصحابه : يامعشر المهاجرين ، هل لكم
 في قتلة فيها الجنة ! فحمل جماعة منهم على الإسكاف فقاتلهم وحده فارسا ، ثم كُتِبَ به
 فرسه ، فقاتلهم راجلا قائما وباركا ، ثم كثرت به الجراحات فذّبح بسيفه ، ثم جعل يحتو
 في وجوههم التراب ، والمهلب غير حاضر ، فقتل ؛ ثم حضر المهلب فأعلم ، فقال للحريش
 ولعطية العنبري : أسلمتما سيد أهل العراق^(٢) ، لم يُعِينَاهُ ولم تستنقذاه حسداً له ، لأنّه رجل
 من الموالي ، ووبّخهما .

وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فقتله ، فحمل عليه المهلب
 فطعنه فقتله ، ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، فانهزم الناس ، وقتل منهم سبعون رجلاً ،
 وثبت المهلب وابنته المغيرة يومئذ ، وعرف مكانه .

ويقال : حاص^(٣) المهلب يومئذ حَيضة . ويقول الأزد : بل كان يردّ المنهزمة
 ويحمي أديارهم ، وبنو تميم تزعم أنه قرّ ، وقال شاعرهم :

بِسُؤْلَافٍ أَضَعَّتْ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرَّتْ عَلَى مُوَاشِكَةٍ دُرُورٍ^(٤)

وقال آخر من بنى تميم :

تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا يُزَجِّي كُلَّ أَرْبَعَةِ حَمَارٍ^(٥)

(١) سولاف ، بضم السين : قرية في غرب دجيل ؛ قرب منادر الكبرى .

(٢) كذا في ١ ، ج ، وفي ب والكامل : « سيد أهل العسكر » .

(٣) حاص حَيضة : جال جولة .

(٤) قال المبرد : مواشكة ، يريد سريعة ، ودرور ، « فلول » ، من در الشيء إذا تابح .

(٥) يزجي : يسوق .

فِيَانْدَمِي عَلَى تَرْكِ عَطَائِي مَعَابِنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارًا^(١)
إِذَا الرَّحْمَنُ يَسِّرْ لِي قُفُولًا فَخَرَّقَ فِي قُرَى سُولَافٍ نَارًا

قوله : « الأعرور الكذاب » ، يعني به المهلب ، كانت عينه عارت بسهم أصابها ، وسمّوه الكذاب ، لأنه كان فقيها ، وكان يتأول ماورد في الأثر من أن كل كذب يكتب كذبا إلا ثلاثة : الكذب في الصلح بين رجلين ، وكذب الرجل لامرأته بوعد ، وكذب الرجل في الحرب بتوعد وتهديد^(٢) . قالوا : وجاء عنه صلى الله عليه وآله : « إنما أنت رجل تفذل عنا ما استعطمت » . وقال : « إنما الحرب خدعة » ، فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ماضعف ، ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ، وكان حتى من الأزدي يقال لهم الذذب ، إذا رأوا المهلب رأبنا إليهم قالوا : راح ليكذب ، وفيه يقول رجل منهم :

أنت الفتى كلّ الفتى لو كنت تصدقُ ماتقول

فبات المهلب في ألفين ، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة ، فصاروا في أربعة آلاف ، فخطب أصحابه ، فقال : والله ما بكم من قلة ، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطبع^(٣) والطمع ، فإن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله ؛ فسيروا إلى عدوكم على بركة الله .

فقام إليه الحريش بن هلال ، فقال : أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم ، إلا أن يقاتلوك ؛ فإن في أصحابك جراحا ، وقد أنختهم هذه الجولة .

فقبل منه ، ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج ، فلم ير منهم أحدا

(١) الضمار : العائب الذي لا يرتجى . (٢) الكامل : « يتوعد وتهدد » .

(٣) الطبع في الأصل : الصدا يكثر على السيف وغيره ؛ ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآنام

يتحرك ، فقال له الحريش : ارتحل عن هذا المنزل ، فارتحل ، فمَبر دُجَيْلا وصار إلى
عاقول^(١) لا يؤتى إلا من جهة واحدة ، فأقام به ، وأقام الناس ثلاثا مستريحين .

وفي يقوم سُولاف يقول ابن قيس الرقيات :

ألا طرقت من آل مَيَّة طَارِقَةً عَلَى أَنِّهَا مَعشوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَةً^(٢)
تراث وأرض السُّوس بيني وبينها ورستاق سولافِ حَمَتِهِ الْأَزَارِقَةُ
إذا نحن شئنا صادفتنا عِصَابَةٌ حَرُورِيَّةٌ فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ بَارِقَةٌ
أجازت عيلنا المسكرين كَيْهِمَا^(٣) فباتت لنا دُونِ الْأَحْجَافِ مَعَانِقَةٌ

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل ، والخوارج بسلى وسلبرى
فزل قريبا منهم ، فقال ابن الماحوز لأصحابه : ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم
بالأمس ، وكسرتهم حدم ؟ فقال له واقد مولى أبي صفرة : يا أمير المؤمنين ، إنما تفرق
عنهم أهل الضعف والجبن ، وبقي أهل النجدة والقوة ، فإن أصبهم لم يكن ظفرا^(٤)
هينًا ، لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصبوا ، وإن غلبوا ذهب الدين . فقال أصحابه :
نأفق واقد ، فقال ابن الماحوز : لا تمجلوا على أخيك ، فإنه إنما قال هذا نظرا لكم .

ثم وجه الزبير بن على إلى عسكر المهلب ، لينظر ما حالهم ، فأتاهم في مائتين
فخرم ورجع . وأمر المهلب أصحابه بالتحارس ، حتى إذا أصبح ركب إليهم في تعبئة ،
فالتقوا بسلى وسلبرى ، فتصافوا ، فخرج من الخوارج مائة فارس ، فركزوا رماحهم
بين الصفين ، واتكأوا عليها ، وأخرج إليهم المهلب أعدادهم ، ففعلوا مثل ما فعلوا ،
لا يرفعون إلا الصلاة ، حتى إذا أمسوا رجع كل قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا هكذا
ثلاثة أيام .

(١) العاقول : منطف الوادى .

(٢) ديوانه ١٦٢ .

(٣) فى الكامل : « أجازت إلينا » ، وفى الديوان : « أجازت إلى » .

(٤) « ظفرك » .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث ، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان ، فجالوا جماعة ، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل فطعنه ، فحمل عليه المهلب فطعنه . فحمل الخوارج بأجمعهم ، كما صنعوا يوم سولاف فضعضوا الناس ، وقُتِلَ المهلب وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عُمان .

ثم نجم^(١) المهلب في مائة ، وقد انغمس كُمَاهُ^(٢) في الدم ، وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المنفر محشوة قزاً وقد تَمَزَّقَتْ ، وإن حشوها ليطاير وهو يَلْهَثُ ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل يجاربهم حتى أتى الليل ، وكثر القتلى في الفريقين ، فلما كان الغد غاداهم ، وقد كان وجهه بالأمس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن قهم ، من الأزد من ثقاته وأصحابه ، يرثد المنزعين ، فرث به عامر بن مسمع فردّه ، فقال : إن الأمير أذن لي في الانصراف ، فبعث إلى المهلب ، فأعلمه ، فقال : دعه فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبن والضعف . ثم غاداهم المهلب في ثلاثة آلاف ، وقد تفرق عنه أكثر الناس ، وقال لأصحابه : ما بكم من قلة ! أيعجز أحدكم أن يلقى ربحه ثم يتقدم فيأخذه ! ففعل ذلك رجل من كندة ، واتبعه قوم ؛ ثم قال المهلب لأصحابه : أعدوا مخالي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تصدّ الفارس ، وتصرعُ الراجل ، ففعلوا . ثم أمر منادياً ينادي في أصحابه ، يأمرهم بالجدّ والصبر ، ويطمعهم في العدو ، ففعل ذلك حتى مرّ ببني العدوية ، من بني مالك بن حنظلة ، فنادى فيهم فضربوه ، فدعا المهلب بسيدهم - وهو معاوية بن عمرو - فجعل يركله^(٣) برجله ، فقال : أصلح الله الأمير ! اعفني من أمّ كيسان - والأزد تسمى الركبة أم كيسان - ثم حمل المهلب وحلوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فجهد الخوارج ، ونادى مناد منهم : ألا إن للمهلب قد قُتِلَ .

(١) نجم : ظهر .

(٢) الكُمَاهُ : « كفاه » .

(٣) الركل : الضرب بالرجل خاصة .

فركب المهلب يَرْذُونَا وَرِثَا^(١) ، وأقبل يركض بين الصَّغْتَيْن ؛ وإنَّ إحدى يديه لفي القباء ، وما يشعر لها ، وهو بصيح : أنا المهلب ! فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنُّوا أن أميرهم قد قتل ، وكلَّ الناس مع العَصْر ، فصاح المهلب بابنه المغيرة : تقدّم ؛ ففعل وصاح بذكوان مولاه : قدّم رايتك ؛ ففعل ، فقال له رجل من ولده : إنك تفرّ بنفسك ، فزبره وزجره ، وصاح : يا بني سلمة ، أمركم فتعصوني ! فتقدّم وتقدم الناس فاجتلدوا أشدَّ جِلاد ، حتى إذا كان مع المساء قتل ابن الماحُوز ، وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله ، فقال لأصحابه : ابفوا إلى رجلاً جُلداً يطوف في القتلى ، فأشاروا عليه برجل من جرّهم ، وقالوا : إننا لم نر قط رجلاً أشدَّ منه ؛ فجعل يطوف ومعه النيران ، فجعل إذا مرَّ بجريح من الخوارج ، قال : كافر وربّ السكمة ! فأجهز عليه ، وإذا مرَّ بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله ، وأقام المهلب يأمرهم بالاحتباس ؛ حتى إذا كان في نصف الليل ، وجّه رجلاً من اليَحْمَد^(٢) في عشرة ، فصاروا إلى عسكر الخوارج ، فإذا هم قد تمحلّوا إلى أَرْجَان ، فرجع إلى المهلب فأعلمه ، فقال لهم : أنا الساعة أشدَّ خوفاً ، اجذروا البيات .

ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوماً : إن هؤلاء الخوارج قد يُسُوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات ؛ فإن يسكن ذلك فاجعلوا شعاركم : « حَم لا يُنصرون » فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بها .

ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام .

فلما أصبح القوم غَدَوْا على القتلى ؛ فأصابوا ابن الماحُوز قتيلاً ، وفي ذلك يقول رجل من الخوارج :

(١) الكامل : « يَرْذُونَا قَصِيراً أَشْهَب » .

(٢) اليعمد : بطن من الأزد .

يَسْلَى وَسَلْبَرَى مَصَارِعَ فَنِيَّةٍ كِرَامٍ وَعَقْرَى مِنْ كَمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ^(١)
وقال آخر :

يَسْلَى وَسَلْبَرَى جَاهِجَ فَنِيَّةٍ كِرَامٍ وَصَرَعَى لَمْ تَوْسَدَ خُدُودَهَا^(٢)
وقال رجل من موالى المهلب : لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة ، رميت به
رجلا فصرعته ، ثم رميت به رجلا فأصبت به أصل أذنه فصرعته ، ثم أخذت الحجر
وصرعت به ثالثا ؛ وفي ذلك يقول رجل من الخوارج :

أَتَانَا بِأَحْبَارٍ لَيَقْتُلُنَا بِهَا وَهَلْ يُقْتَلُ الْأَبْطَالُ وَيَحْكُ بِالْحَجَرِ !

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سَلَّى وَسَلْبَرَى وقتل ابن الماحوز :

ويوم سَلَّى وَسَلْبَرَى أَحَاطَ بِهِمْ مِنَّا صَوَاعِقُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ^(٣)

حتى تركنا عُبيدَ اللَّهِ مُنْجَدِلًا كَمَا تَجْدَلُ جِذْعُ مَالٍ مُنْقَعِرٍ^(٤)

ويروى أن رجلاً من الخوارج يوم سَلَّى على رجل من أصحاب المهلب ؛
فقطعه ، فلما خالطه الرمح صاح : يا أمتاه ! فصاح به المهلب : لا كثر الله منك في
المسلمين^(٥) ! فضحك الخارجي ، وقال :

أُمُّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا نَسِيكَ مَحْضًا وَتَعْلَ رَائِبًا

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه ، نكس^(٦) قَلَى

(١) نقل الرصني عن ابن بري أنه لأبي المقدم يهس بن صهيب الحنفي . وعقرى : جم عقير ، بمعنى
معقور ؛ من عقر الفرس والبعر ، إذا قطع قوائمه .

(٢) سَلَّى وسَلْبَرَى ، ضبطهما المبرد بكسر الهمزة ؛ وقال الأخفش بفتحهما ؛ وقال : موضعان بالأهواز

(٣) قال المبرد : « تقول العرب : صاعقة وصواعق ؛ وهو مذهب أهل الحجاز ؛ وبه نزل القرآن ، وبنو
تميم يقولون : صاقعة وصواقع » .

(٤) المنقر : القطع من أصله .

(٥) كذا في ج ، وفي ب : « مثلك » ، وفي الكامل : « بمثلك للمسلمين » .

(٦) نكس : طأطأ .

قَرَبُوس^(١) السَّرَج ، وَحَمَلْ مِنْ تَحْتِهَا ، فَبَرَاها بِسَيْفِهِ ، وَأَثَرٌ فِي أَصْحَابِهَا ، فَتُحْمِيتُ الْمِيْمَنَةَ مِنْ أَجْلِهَا ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا تَكُونُ الْحَرْبُ اسْتِعَاراً أَشَدَّ مَا يَكُونُ تَبَسُّماً . وَكَانَ الْمَهْلَبُ يَقُولُ : مَا شَهِدَ مَعِيَ حَرْباً قَطَّ إِلَّا رَأَيْتُ الْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ !

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ :

فَإِنْ تَكَ قَتَلَى يَوْمَ سَلَى تَتَابَعْتَ فَكَمْ غَادَرَتْ أَسْيَافُنَا مِنْ قُمَا قِمِ^(٢)
غَدَاةَ نَكْرُ الْمَشْرِقِيَّةَ فِيهِمْ بِسُؤْلَافِ يَوْمِ الْمَازِقِ الْمُتَلَاخِمِ^(٣)

فَكَتَبَ الْمَهْلَبُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ الْقُبَاعِ^(٤) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا لَقِينَا الْأَزَارِقَةَ الْمَارِقَةَ بِحَدِّهِ وَجِدَةٍ ، فَكَانَتْ فِي النَّاسِ جَوَلَةً ، ثُمَّ ثَابَ أَهْلُ الْحِفَاطِ وَالصَّبْرِ بَنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ ، وَأَبْدَانٍ شَدَادٍ ، وَسُيُوفٍ حِدَادٍ ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ خَيْرَ عَاقِبَةٍ ، وَجَاوَزَ بِالنِّعْمَةِ مَقْدَارَ الْأَمَلِ ، فَصَارُوا دَرِيَّةً^(٥) رَمَاحَنَا ، وَضَرَائِبَ^(٦) سُيُوفِنَا ، وَقَتَلَ اللَّهُ أَمِيرَهُمْ ابْنَ الْمَاحُوزِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ آخِرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ كَأَوَّلِهَا . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقُبَاعُ :

قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا أَخَا الْأَزْدِ ، فَرَأَيْتُكَ قَدْ وَهَبَ^(٧) لَكَ شَرَفُ الدُّنْيَا وَعِزُّهَا ، وَذُخْرُكَ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَأَجْرُهَا ، وَرَأَيْتُكَ أَوْثَقَ حَصُونِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَادِ

(١) قَرَبُوسُ السَّرَج : مَقْدَمُهُ ؛ وَلِكُلِّ سَرَجٍ قَرَبُوسَانِ مَقْدَمٌ وَمَوْخَرٌ .

(٢) الْقِيَامُ ، بِضَمِّ أَوَّلِهِ : السَّيِّدُ الْكَثِيرُ الرَّاسِعُ الْفَضْلُ ؛ كَالْقِيَامِ .

(٣) الْمَازِقُ : الْمَوْضِعُ الضَّيِّقُ يَقْتُلُونَ فِيهِ ، وَالْمُتَلَاخِمُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : شَجَّةٌ مُتَلَاخِمَةٌ ؛ وَهِيَ الَّتِي تَشُقُّ الْحَجَمَ دُونَ الْعَظْمِ ثُمَّ تَتَلَاخِمُ فَلَا يَجُوزُ فِيهَا الْمَسِيرُ . وَالْمُصْرِفِيَّةُ : السُّيُوفُ نَسَبَتْ إِلَى الْمُصْرِفِ مِنَ الْأَرْضِ الشَّامِ .

(٤) فِي الْكَامِلِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَّا بَعْدُ . . . » .

(٥) الدَّرِيَّةُ : حَلْفَةٌ يَتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطُّغْنُ .

(٦) الضَّرَائِبُ : جَمْعُ ضَرْبَةٍ ؛ وَهُوَ كُلُّ مَا ضَرَبَتْ بِسَيْفِكَ

(٧) الْكَامِلُ : « وَهَبَ اللَّهُ لَكَ . . . وَذُخْرُكَ لَكَ . . . » .

أركان المشركين ، وذا الرياسة وأخا السياسة ، فاستدِمْ الله بشكره ، يتمّ عليك نعمه . والسلام .

وكتب إليه أهل البصرة يهنتونه ، ولم يكتب إليه الأحنف ، ولكن قال : اقراء واعليه السلام وقولوا : أنا لك على ما فارقتك عليه . فلم يزل يقرأ الكتب وينظر في تضاعيفها ، ويلتمس كتاب الأحنف فلا يراه ، فلما لم يره ، قال لأصحابه : أما كتّب أبو بحر ؟ فقال له الرسول : إنّه تجلّنى إليك رسالة ، فأبلغه ، فقال : هذا أحبّ إلى من هذه الكتب .

واجتمعت الخوارج بأرجان ، فبايموا الزبير بن عتي ، وهو من بنى سليط بن يربوع ، من رقط ابن الماحوز ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، وضعفاً بينا ، فقال لهم : اجتمعوا ، فاجتمعوا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد رسوله صلى الله عليه وآله ؛ ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخزي ، وإن يُصَبّ منكم أمير المؤمنين ، فما صار إليه خير مما خلف ، وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعة الأجدم والحجاج بن رباب ^(١) وحارثة بن بدر ، وأشجيتهم المهلب وقتلتم أخاه المكارك ، والله يقول لإخوانكم المؤمنين : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، فيوم سبى كان لكم بلاء وتمحيصاً ، ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالاً ، فلا تغلبن على الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين .

ثم تحمل المحاربة نحو المهلب ، ففجعهم المهلب نفحة فرجعوا وأكمنوا للمهلب - في غمض ^(٣) من غموض الأرض يقرب من عسكره - مائة فارس ليفتالوه ، فسار المهلب .

(١) الكامل : « باب » .

(٢) سورة آل عمران ١٤٠

(٣) الغمض : اللطم من الأرض

يوماً يُطِيفُ بِمُسْكِرِهِ ، وَيَتَفَقَّدُ سِوَادَهُ ، فَوَقَفَ عَلَى جَبَلٍ ، فَقَالَ : إِنَّ مِنَ التَّدْبِيرِ لِهَذِهِ الْمَارِقَةِ أَنْ تَكُونَ قَدْ كُتِمَتْ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كَيْفَا ؛ فَبَعَثَ الْمُهَلَّبَ عَشْرَةَ فِوَارِسَ ، فَاطْلَعُوا عَلَى الْمَائَةِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِهِمْ قَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ وَنَجَوْا ، وَانْكَشَفَتِ الشَّمْسُ فَصَاحُوا : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، كَو قَامَتِ الْقِيَامَةُ لَجَدَدْنَا وَنَحْنُ فِي جِهَادِكُمْ ^(١) .

ثُمَّ يَسُّ الزُّبَيْرُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَضَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً إِلَى أَرْجَانٍ ، وَقَدَّجَعَ جَمْعاً ، وَكَانَ الْمُهَلَّبُ يَقُولُ : كَأَنِّي بِالزُّبَيْرِ وَقَدْ جَمَعَ لَكُمْ ؛ فَلَا تَرْهَبُوهُمْ ؛ فَتَنَخَّبَ ^(٢) قُلُوبُكُمْ ، وَلَا تَفْلُؤُوا الْإِحْتِرَاسَ فَيَطْمَعُوا فِيكُمْ . فَجَاءَهُ مِنْ أَرْجَانٍ ، فَلَقَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخِذًا بِأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ ، فَخَارَبَهُمْ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ظُهُوراً بَيْنَا ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ :

سَقَى اللَّهُ الْمُهَلَّبَ كُلَّ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ انْتِحَارًا ^(٣)
فَمَا وَهَنَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَ جَاءَتْ عَوَابِسُ خَيْلِهِمْ تَبْغِي الْغَوَارِ ^(٤)
وَقَالَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَئِذٍ : مَا وَقَفْتُ فِي مَضِيقٍ مِنَ الْحَرْبِ إِلَّا رَأَيْتُ أُمَامِي رَجَالاً مِنْ بَنِي
الْهُجَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ بِحَالِدُونَ ، وَكَأَنَّ لِحَامَهُمْ أَذْنَابَ الْمَقَاقِ ^(٥) وَ [كَانُوا] ^(٦) صَبَرُوا
مَعَهُ فِي غَيْرِ مَوَاطِنَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ مِنْ بَنِي تَيْمٍ :

(١) فِي الْكَامِلِ : « لَجَدَدْنَا فِي جِهَادِكُمْ » .
(٢) تَنَخَّبَ : تَضَعَفَ ، وَفِي الْكَامِلِ : « تَنَخَّبَ » .
لُ : مَطَرُ الرِّيحِ الْأَوَّلِ ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَسِمُ الْأَرْضَ بِالْنبَاتِ ؛ وَاتَّحَرَّ الْوَسْمِيُّ ، أَيِ ابْتَعَقَ
بِمَاءٍ كَثِيرٍ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاعِي :

فَمَرَّ عَلَى مَنَازِلِهَا وَأَلْقَى بِهَا الْأَثْقَالَ وَانْتَحَرَ انْتِحَارًا

(٤) الْغَوَارِ : مَصْدَرُ غَاوَرِ الْعَدُوِّ مُتَاوِرَةً وَغَوَارَا ؛ أَغَارَ عَلَيْهِ .
(٥) الْمَقَاقِ : جَمْعُ عَقَقٍ ؛ وَهُوَ طَائِرٌ ذُو لَوْنَيْنِ : أَيْبُضَ وَأَسْوَدَ طَوِيلَ الذَّنْبِ .
(٦) مِنَ الْكَامِلِ .

أَلَا يَأْمَنُ لِصَبِّ مُسْتَهَامٍ^(١) قَرِيجَ الْقَلْبِ قَدْ مَلَّ الْمَرْوَنَاءُ^(٢)
 لَمَّا نَ عَلَى الْمَهْلَبِ مَالِقِينَا إِذَا مَارَاحَ مَسْرُورًا بَطِينًا^(٣)
 يَجُزُّ السَّابِرِيَّ وَتَحْنُ شُعْتُ كَأَنَّ جُلُودَنَا كَسَيْتُ طَحِينًا^(٤)
 وحمل يومئذ الحارث بن هلال على قيس الإكاف ؛ وكان من أنجده فرسان الخوارج ،
 فطعمته فدقَّ صلبه ؛ وقال :

قيس الإكاف غداة الرُّوَيْحِ يَعْلَمُنِي ثَبَّتَ لِلْقَامِ إِذَا لَاقَيْتُ أَقْرَانِي
 وقد كان بعض جيش المهلب يوم سَلَّى وسابري صاروا إلى البصرة ، فذكروا أن
 المهلب قد أصيب ، فهم أهل البصرة بالثقل إلى البادية ، حتى ورد كتابه بظفريه ، فأقام
 الناس ؛ وتراجع مَنْ كان ذهب منهم ؛ فعند ذلك قال الأحنف : البصرة بصره المهلب .
 وقدم رجل من كِنْدَةَ يعرف بابن أرقم ، فعلى ابن عم له ، وقال : إني رأيت رجلاً من
 الخوارج ، وقد مكَّن رِجْله من صُلبه ، فلم ينشب أن قدم المنى سالماً ، فقبل له ذلك ،
 فقال : صدق ابن أرقم ، لما أَحَسَسْتُ رِجْله بين كتفي صِيحَتْ به : الْبَقِيَّةُ ، فرفعه ، وتلا :
 ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) . ووجه المهلب بعقب هذه الواقعة رجلاً
 من الأزد ، برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله ، فلما صار
 بكرُ بَجِ^(٦) دينار لقيته إخوة عبيد الله : حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز

(١) الكامل : « مستح » ، من استحنه الشوق إلى وطنه ؛ أى استطربه .

(٢) قال البرد : المزون : عمان ؛ وهو اسم من أسمائها ، قال السكيت :

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ بَنِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْمِيَهَا الْمَرْوَنَاءُ

وقال جرير :

وَأَطْفَاتُ نِزَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلَهَا وَقَدْ حَاوَلُوهَا فِتْنَةً أَنْ تُسَمَّرَا

(٣) الطين : عظيم البطن

(٤) السابري من الثياب : ما كان رقيقاً .

(٥) سورة هود ٨٦

(٦) كرج : موضع قرب سوق الأهواز .

فقالوا : ما الخبر ؟ وهو لا يعرفهم ؛ فقال : قتل الله ابن الماخوز المارق ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ، ودفنوا رأس أخيهام عبيد الله ، فلما ولي الحجاج دخل عليه على ابن بشير ، وكان وسيما جسيما ، فقال : من هذا ؟ فخبّره ، فقتله ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزديّ المقتول ، وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة ، فوهبها لها .

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتاب " الكامل " ،^(١) : ولم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث القباع ، حتى عُزل وولى مصعب بن الزبير ، فكتب إلى المهلب أن أقدم على ، واستخلف ابنك المنيرة . ففعل بعد أن جمع الناس ، وقال لهم : أتى قد استخلفت المنيرة عليكم ، وهو أبو صغيركم رقة ورحمة ، وابن كبيركم طاعة وبرّاء وتبجيلا ، وأخو مثله مواساة ومناصحة ، فلتحسن له طاعتكم ، وليلن له جانبكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سبقني إليه .

ثم مضى إلى مصعب ، فكتب مصعب إلى المنيرة بولايته ، وكتب إليه : إنك إن لم تكن كأبيك ، فإنك كافٍ لما وليت^(٢) ، فشمّر وانتز^(٣) ، وجِدّ واجتهد .

ثم شَخَصَ المصعب إلى المزار ، فقتل أحمربن شَمِيط ، ثم أتى الكوفة فقتل المختار ، وقال للمهلب : أشر على رجل أجعله يدي وبين عبد الملك ، فقال له : اذكر واحداً من ثلاثة : محمد بن عمير بن عطارد الدارمي ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ، أو داود ابن قَحْذَم ، قال : أو تكفيني أنت ؟ قال : أ كفيك إن شاء الله . فشَخَصَ فولاه الموصل فخرج إليها ؛ وصار مُصعب إلى البصرة لينفّر إلى أخيه بمكة . فشاور الناس فيمن يستكفيه

(١) الكامل ٦٤٣ وما بعدها (طبع أوروبا)

(٢) الكامل : « ولينك »

(٣) الكامل : « وانتز »

أمر الخوارج، فقال قوم : وَلَئِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ، وقال قوم : وَلَئِنْ عَمْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنَ مَعْمَرٍ، وقال قوم : لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْمَهْلَبُ فَارْدَدَهُ إِلَيْهِمْ؛ وبلغت المشورةُ الخوارجَ فأدارُوا الأمرَ بينهم، فقال قطريُّ بنُ الفُجاءة المازنيّ - ولم يكن أمره عليهم بعد- : إِنْ جَاءَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ أَنَا كَمَا سَيِّدٌ تَمَحَّجٌ كَرِيمٌ جَوَادٌ مُضِيْعٌ لِعَسْكَرِهِ، وَإِنْ جَاءَكُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَا كَمَا فَارِسٌ شُجَاعٌ، بَطْلٌ جَادٌ، يُقَاتِلُ لِدِينِهِ وَلِمَلِكِهِ، وَبَطِيبَةٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا لِأَحَدٍ؛ فَقَدْ شَهِدْتَهُ فِي وَقَائِعٍ؛ فَمَا نُوْدِيَ فِي الْقَوْمِ لِحَرْبٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ؛ حَتَّى يَشُدَّ عَلَى قَرْنِهِ وَيَضْرِبَهُ؛ وَإِنْ رُدَّ الْمَهْلَبُ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمُوهُ، إِذَا أَخَذْتُمْ بِطَرْفِ ثَوْبٍ أَخَذَ بِطَرْفِهِ الْآخَرَ، يَمْدُهُ إِذَا أَرْسَلْتُمُوهُ، وَيُرْسِلُهُ إِذَا مَدَدْتُمُوهُ، لَا يَبْدُوُكُمْ إِلَّا أَنْ تَبْدُوهُ؛ إِلَّا أَنْ يَرَى فُرْصَةً فَيَنْتَهِزُهَا، فَهُوَ الْإِيْثُ الْمُبَرَّ^(١)، وَالنَّعْلَبُ الرَّوَاعِجُ، وَالْبَلَاءُ الْمَقِيْمُ .

فَوَلَّى مَصْعَبٌ عَلَيْهِمْ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَلَآءُ فَارِسٍ، وَالْخَوَارِجُ بِأَرْجَانِ يَوْمَئِذٍ، وَعَلَيْهِمُ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ السَّلِيلِيُّ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ فَنَاتَلَهُمْ، وَأَلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، فَالْحَقُّهُمْ بِأَصْبَهَانَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَهْلَبُ أَنْ مَصْعَبًا وَلَّى حَرْبَ الْخَوَارِجِ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : رَمَاهُمْ بِفَارِسٍ الْعَرَبِ وَفَتَّسَاهَا . فَجَمَعَ الْخَوَارِجُ لَهُ، وَأَعْدُّوا وَاسْتَعْدُّوا، ثُمَّ اتَّوُوا سَابُورَ^(٢) . فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ أَبِي حَسَّانٍ الْأَزْدِيُّ : إِنْ الْمَهْلَبُ كَانَ يُذَكِّي الْعِيُونَ، وَيَخَافُ الْبَيَاتِ، وَيَرْتَقِبُ الْغَفْلَةَ، وَهُوَ عَلَى أَعْبَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ مِنْهُمْ .

فَقَالَ عَمْرٌ : اسْكُتْ، خَلَعَ اللَّهُ قَلْبَكَ ! أَتَرَاكَ تَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِكَ ! وَأَقَامَ هُنَاكَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَيْتَهُ الْخَوَارِجُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لِحَارِبِهِمْ حَتَّى أَصْبَحَ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ شَيْءً . فَأَقْبَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَبِي حَسَّانٍ، فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ؟ فَقَالَ : قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُونُوا

(١) الإيْثُ : الْغَالِبُ ؛ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهِ ؛ إِذَا غَلِبَهُ .

(٢) سَابُورُ : كُورَةُ مَعْهُورَةٍ بِأَرْضِ فَارِسَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ شِيرَازَ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا .

يطعمون في مثلها من الملب، فقال: أما إنكم لو ناصحتوني مناصحتكم الملب، لرجوت أن أنفي هذا العدو، ولكنكم تقولون: قرشي حجازي، بعيد الدار خير لغيرنا، فقاتلون معي تعذيراً^(١). ثم زحف إلى الخوارج من غد ذلك اليوم، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى ألجأهم إلى قنطرة، فتكاثف الناس عليها حتى سقطت، فأقام حتى أصلحها^(٢)، ثم عبر، وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر - وأمه من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب - فقاتلهم حتى قتل، فقال قطري للخوارج: لا تقاتلوا عمر اليوم؛ فإنه موتور، قد قتلتم ابنه - ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى إلى القوم؛ وكان مع ابنه النعمان بن عباد - فصاح به عمر: يا نعمان، أين ابني؟ قال: احتسبه فقد استشهد صابراً مقبلاً غير مدبر؛ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم حمل على الخوارج حلة لم ير مثلها، وحل أصحابه بحملته؛ فقاتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحمل على قطري فضر به على جبينه فقلقه، وانهمز الخوارج وانتهبوا؛ فلما استقرؤا ورأى ما نزل بهم، قال: ألم أشر عليكم بالانصراف ففعلوه حينئذ من^(٣) وجوههم؛ حتى خرجوا من فارس، وتأنقوا في ذلك الوقت الفزر بن ميهزم العبدي، فسأله عن خبره، وأرادوا قتله، فأقبل على قطري، وقال: إني مؤمن مهاجر؛ فسأله عن أقاويلهم فأجاب إليها؛ فخلوا عنه، ففي ذلك يقول في كلمة له:

فشدوا وثاقى ثم ألجوا خصومي إلى قطري ذي الجبين المفلق
وحاججهم في دينهم فحججهم وما دينهم غير الهوى والتخلق
ثم رجعوا وتكاثفوا^(٤)، وعادوا إلى ناحية أركان، فسار إليهم عمر بن عبيد الله، وكتب إلى مصعب:

(١) تعذيراً؛ أي قاتلون معي من غير تمام أو مبالغة.

(٢) ج: « فأصلحها ».

(٣) كذا في ب، وفي أ، ج والكامل بحذف كلمة « من ».

(٤) في زيادات الأخفش على الكامل: « تكاثفوا؛ أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض ».

أما بعد ، فإنّي لقيت الأزارقة ؛ فرزق الله عزّ وجلّ عبيد الله بن عمر الشهادة ، ووهب له السعادة ، ورزقنا بعدُ عليهم الظّفر ، ففترقوا شذّر مَذَر^(١) . وبلغنى عنهم عودةٌ فيمّنتهم ؛ وبالله أستعين ؛ وعليه أتوكل .

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ، ومُجاعة بن سُمر فالتقوا ، فألحّ عليهم عمر حتى أخرجهم ، وانفرد من أصحابه ، فعمد إلى أربعة عشر رجلاً من مَذَر كوريهم وشجعانهم ؛ وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب رجلاً منهم ضربة إلا صرّعه ، فركض إليه قطريّ على فرس طير^(٢) ، وعمر على مُهر ، فاستعلاه قطريّ بقوة فرسه ؛ حتى كاد يصرّعه ، فبصر به مُجاعة ، فأسرع إليه ، فصاحت الخوارج : يا أبا نعمة ، إنّ عدوّ الله قد رهقك^(٣) . فانحطّ قطريّ على قَرْبُوسه وطعن به مُجاعة ؛ وعلى قطريّ دِرْعان فهتكهما وأمرع السنّان في رأس قطريّ ، فكشط جلده ونجا ، وارتحل القوم إلى أصفهان ، فأقاموا برهة ، ثم رجعوا إلى الأهواز ؛ وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر^(٤) ، فأمر مُجاعة لخبى الخراج أسبوعاً ؛ فقال له : كم جيت ؟ قال : تسعمائة ألف ، فقال : هـى لك .

وقال يزيد بن الحكم لمُجاعة :

وَدَعَاكَ دَعْوَةً مُرْهَقٍ فَأَجَبْتَهُ عُمَرُ وَقَدْ نَسِيَ الْحَيَاةَ وَضَاعَا^(٥)
فَرَدَدْتَ عَادِيَةَ الْكُتَيْبَةِ عَنْ فَتَى قَدْ كَادَ يُتْرَكُ لِحُمَةِ أَوْزَاعَا^(٦)

قال : ثم غُزِلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْر ؛ وولى عبدُ الله بن الزُّبَيْر العراقَ ابنه حمزة

(١) شذّر ، مذر ؛ بالتحريك فيهما : ذهبوا في كل وجه ؛ ومذر : إلتباع .

(٢) فرس طير ؛ هو الطويل القوائم الخفيف ، أو هو المستفز للوثب والعدو ؛ والأثنى طيرة .

(٣) رهقك : غشاك .

(٤) إصطخر : بلد من أعيان بلاد فارس .

(٥) المرهق : هو الذى أدرك ليقتل ؛ من أرحق الرجل إذا قتله . و « عمر » فاعل : « دماك » .

(٦) العادية : الحبل تمدو ، أو الرجال يمدون . وأوزاعا : قطعاً .

ابن عبد الله بن الزبير ؛ فبكث قليلا ؛ ثم أعيد مُصعب إلى العراق ، والخوارج بأطراف
أصبهان ، والوالى عليها عقاب بن وَرْقَاء الرِّياحى ؛ فأقام الخوارج هناك يحبون شيئا
من القرى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس ؛ فكتب مُصعب إلى عمر بن عبيد الله :
ما أنصفتنا ! أقت بفارس نجى الخراج ؛ ومثل هذا المدوّ يجتاز بك لانهاربه ! والله
لوقالت ثم هُزمت لكان أعذر لك !

وخرج مُصعب من البصرة يريدهم ؛ وأقبل عمرُ بن عبيد الله يريدهم ، ففتح الخوارج
إلى السُّوس ، ثم أتوا إلى المدائن ؛ وبسطوا فى القتل ؛ فجعلوا يقتلون النساء والصبيان ؛ حتى أتوا
المدائن^(١) ؛ فقتلوا أحر طيئ ؛ وكان شجاعا ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ؛ وفى ذلك
يقول الشاعر :

تَرَ كُثْمَ قَتَى الْفَتَيَانِ أَحْمَرَ طَيِّئٍ بِسَابَاطٍ لَمْ يَمُطِفْ عَلَيْهِ خَلِيلٌ^(٢)
ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادها - ووالىها الحارث القباع - تناقل
عن الخروج ، وكان جباناً ؛ فذمره^(٣) إبراهيم بن الأشتر ، ولأمه الناس ؛ فخرج متحاملا
حتى أتى النخيلة ، فى ذلك يقول الشاعر :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْراً نَكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ عَشْرًا
وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج ؛ والخوارج يعيثون ؛ حتى أخذوا امرأة ، فقتلوا
أباها بين يديها ، وكانت جميلة ، ثم أرادوا قتلها ، فقالت : أقتلون مَنْ يُنْشَأُ فى الْحِلْيَةِ
وهو فى الخِصَامِ غير مبين ! فقال قاتل منهم : دعوها ، فقالوا : قد فتنتك ، ثم
قدموها فقتلوها .

(١) المدائن : بلدة فى ميسان بين واسط والبصرة .

(٢) ساباط : موضع بالمدائن ؛ يقال له : ساباط كسرى .

(٣) ذمره ، أى حضه مع لوم ليجد .

وقربوا امرأة أخرى وهم يلزأ القبايع ، والجسر معقود بينهم ؛ فقطعه القبايع وهو في سعة آلاف ، والمرأة تستغيث به وهي تُقبل ؛ وتقول : علام تقتلونني يا فوالله ما فسقت ، ولا كفرت ، ولا زينت^(١) ، والناس يتفلتون إلى القتال ، والقبايع يمنعمهم .

فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذاك بقطع الجسر ، فأقام بين دَيرى ودَباها^(٢) خمسة أيام ، والخوارج بقرْبه ، وهو يقول للناس في كل يوم : إذا لقيتم العدو غدا ، فاثبتوا أقدامكم واصبروا ؛ فإن أول الحرب الترامي ، ثم إشرع الرماح ، ثم السلة^(٣) ؛ فشككت رجلا أمه فر من الزحف !

فقال بعضهم لما أكثر عليهم : أما الصفة فقد سمعناها ، فتي يقع الفعل ؟
وقال الراجز :

إن القبايعَ سارَ سيراَ ملسا^(٤) بينَ دَباها ودَيرى خمسا

وأخذ الخوارج حاجتهم ، وكان شأن القبايع التحصن منهم ؛ ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة ؛ وساروا من فورهم إلى أصبهان ، فبعث عتاب بن ورقاء الرياحي إلى الزبير بن عدي : أنا ابنُ حمك ، ولست أراك تقصد في انصرافك من كلِّ حربٍ غيري . فبعث إليه الزبير : إن أدنى الفاسقين وأبعدهم في الحقّ سواء .

فأقام الخوارج يُفادونَ عتاب بن ورقاء القتال ويأوِخونه ، حتى طال عليهم المقام ، ولم يظفروا بكبير شيء ؛ فلما كثر عليهم ذلك انصرفوا ؛ لا يمترون بقرية بين أصبهان والأهواز إلا استباحوها ، وقتلوا من فيها . وشاور المصعبُ الناسَ فيهم ؛ فأجمع رأيهم على

(١) الكامل : « ارتدّت » .

(٢) دَيرى ودَباها ، بفتح الدال فيهما : قريتان من نواحي بغداد .

(٣) السلة : استلال السيوف .

(٤) اللس : السير الشديد .

المهلب، فبلغ الخوارج مشاورتهم ؛ فقال لهم قَطَرِي : إن جاءكم عتاب بن ورقاء ؛ فهو فائتكم ؛
يطلع في أول المَقْنَب^(١) ولا يظفر بكثير^(٢) ، وإن جاءكم عمر بن عبید الله ففارس يُقَدِّم ؛
إما عليه وإما له ؛ وإن جاءكم المهلب فرجل لا يُناجزكم حتى تنأجزوه ؛ ويأخذ منكم
ولا يُعطيكُم ؛ فهو البلاء الملازم ، والمكروه الدائم .

وعزم مُصْعَب على توجيه المهلب ، وأن يشخص هو لحرب عبد الملك . فلما أحسَّ به
الزُّبَيْر خرج إلى الرِّمَى - وبها يزيد بن الحارث بن رويم - فخاربه ثم حصَّره ؛ فلما طال عليه
الحصار خرج إليه ؛ فكان الظفر للخوارج ، فقتل يزيد الحارث بن بن رويم ؛ ونادى
يزيد ابنه حَوْشِبَا ، فقرّ عنه وعن أمّه لطيفة [وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخل
على الحارث بن رويم يعود ابنه يزيد ، فقال : عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها إليك ،
فسمّاها يزيد لطيفة]^(٣) ، فقتلت مع بعلها^(٤) يزيد يومئذ . وقال الشاعر :

مواقفنا في كل يوم كريمة
أسرّ وأشقى من مواقف حَوْشِبِ
دعاه أبوه والرماح شوارع^(٥)
فلم يستجيب بل راغ ترّواغ ثعلب
ولو كان شهم النفس أوذا حفيظة
رأى مارأى في الموت عيسى بن مُصْعَبِ

وقال آخر :

نجي حليته وأسلم شيخه
نصب الأسنة حَوْشِبُ بن يزيد^(٦)

(١) المَقْنَب : جماعة الخيل .

(٢) كذا في أ ، ج ، وفي ب والكامل : « بكير » .

(٣) تكملة من كتاب الكامل .

(٤) الكامل : « فقتلت معه » .

(٥) كذا في أ ، ج ، والكامل ، وفي ب : « تروشه » :

(٦) نصب الأسنة ؛ أي عافتها .

قال : ثم ^(١) انحط الزبير على أصفهان ، فحصر بها عتاب بن ورقاء سبعة أشهر ، وعتاب يحاربه في بعضهن ؛ فلما طال به الحصار قال لأصحابه : ما تنتظرون ! والله ما تؤثرون من قلة ؛ وأنكم لفرسان عشايركم ؛ ولقد حاربتموم مرارا فانتصفتهم منهم ؛ وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تنفني ذخائركم ، فيموت أحدكم ، فيدفيه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه ؛ فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي إلى قرنه .

فلما أصبح صلى بهم الصبح ؛ ثم خرج إلى الخوارج وهم غارون ^(٢) ، وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين ، فقال : من أراد البقاء فليحلق بلواء ياسمين ؛ ومن أراد الجهاد فليخرج معي ؛ فخرج في ألفين وسبعمئة فارس ؛ فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوم ، فقاتلهم بجدة لم تر الخوارج منهم مثله ؛ فعمقروا منهم خلقا كثيرا وقتل الزبير بن علي ، وانهزمت الخوارج ، فلم يتبهم عتاب ، ففي ذلك يقول القائل :

وَيَوْمَ بَجَى تَلَافِيتهُ ^(٣) وَلَوْلَاكَ لَا صُطِلِمَ الْعَسْكَرُ ^(٤)

وقال آخر :

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَعِمَتًا وَلَمْ أَكُ فِي كَتِيبَةٍ يَاسْمِينَا

(١) في الكامل قبل هذا الكلام : « وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يميده بأمه - وبلال مشدود عند يوسف بن عمر : يا ابن حوراء ! فقال بلال - وكان جلدا : إن الأمة تسمى حوراء وجيذاء ولطيفة . وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حيث ابتلى . قال الكلبي : وبجيتي أن أرى الأسير جلدا . قال : وقال خالد بن صفوان له بمحضرة يوسف : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهد ركنك ، وغير حالك ؛ فوافقه لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفا بالشريف ، مظهرا للعصية ؛ فقال له بلال : إنما طال لسانك يا خالد لثلاث مئة من علي : الأمر عليك مقبل وهو عني مدبر ؛ وأنت مطلق وأنا مأسور ، وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد عريب - وإنما جرى لي هذا لأنه يقال : إن أصل آل الأهم من الحيرة ، وأنهم أشابة دخان في بني منقر من الروم » .

(٢) غارون : غافلون .

(٣) جى : اسم مدينة كانت ناحية أصفهان ، والبيت لأعشى همدان (ياقوت) .

(٤) اصطلم : أيد .

أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنْ قَوْمِي غَدَوْا مُسْتَلْثِمِينَ مُجَاهِدِينَ^(١)
 قال : وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ، ويحمل بعضهم على بعض ،
 وربما كانت مُوَاقِفَةً^(٢) بغير حرب ، وربما اشتدت الحرب بينهم ؛ وكان رجلٌ من أصحاب
 عتّاب - يقال له : شريح ، ويكنى أبا هريرة - إذا تهاجَزَ^(٣) القومُ مع النساء نادى
 بالخوارج والزبير بن عليّ :

يَا بْنَ أَبِي الْمَاخُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ
 شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَارِ يَهْرُكُمُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 أَلَمْ تَرَوْا جَيًّا عَلَى الْمُضْمَارِ تُمْسِي مِنَ الرَّنَحَنِ فِي جِوَارِ

ففاظلم ذلك ، فكمن له عبيدة بن هلال ، فضربه بالسيف ، واحتمله أصحابه ، وظلت
 الخوارج أنه قد قتل ؛ فكانوا إذا تواقفوا نادوهم : ما فعل الهرار ؟ فيقولون : ما به من بأس ؛
 حتى أبل من عِلَّتِهِ ، ففرج إليهم ، فقال : يا أعداء الله ، أترونني بأساً ؟ فصاحوا به : قد كنا
 نرى أنك قد لَحِقْتَ بِأَمْكِ الْهََاوِيَةِ ، إِلَى النَّارِ الْحَامِيَةِ .



[قَطْرِيّ بن الفُجَاءة المَازِنِيّ]

ومنهم قَطْرِيّ بن الفُجَاءة المَازِنِيّ ، قال أبو العباس^(٤) :
 لما قَتِلَ^(٥) الزبير بن عليّ أدارت الخوارجُ أمرَها ، فأرادوا توليةَ عبيدة بن هلال ؛
 فقال : أدلكم على مَنْ هو خيرٌ لكم مني ؟ مَنْ يطاعين في قُبُلٍ ، ويحصى في دُبُرٍ ؛ عليكم

(١) مستلثمين : لا يسين الأمة ؛ وهي الدرع ، وفي ج : « مستلثمين » .

(٢) للمواقفة في الحرب والمقصومة : أن يقف كل من الطرفين أمام الآخر .

(٣) ج : « تأخر » .

(٤) الكامل ٦٥٢ وما بعدها (طبعة أوروبا) .

بَقَطْرِيَّ بنِ الْفَجَاءَةِ الْمَازَنِيَّ . فَبَايَعُوهُ . وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ امضِ بِنَا إِلَى فَارِسَ ، فَقَالَ :
إِنِّي بِفَارِسَ عَمْرُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ؛ وَلَكِنْ سِيرَ إِلَى الْأَهْوَازِ ؛ فَإِنْ خَرَجَ مُصْعَبٌ مِنَ
الْبَصْرَةِ دَخَلْنَاهَا ، فَأَتَوْا الْأَهْوَازَ ثُمَّ تَرَفَعُوا عَنْهَا عَلَى إِيْذَجَ ^(١) - وَكَانَ الْمُصْعَبُ قَدْ عَزَمَ عَلَى
الْخُرُوجِ إِلَى بَاجِيرٍ ^(٢) - وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي قَطْرِيًّا مُطْلَقٌ عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ خَرَجْنَا عَنْ
الْبَصْرَةِ دَخَلْنَا ، فَبَعَثَ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَقَالَ : أَكِفْنَا هَذَا الْعَدُوَّ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُهَلَّبُ ؛ فَلَمَّا
أَحْسَنَ بِهِ قَطْرِيٌّ يَتِمُّ نَحْوُ كِرْمَانٍ ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ بِالْأَهْوَازِ ، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيْهِ قَطْرِيٌّ ، وَقَدْ
اسْتَعَدَّ ، وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ فِي حَالَتِهِمْ أَحْسَنَ عُدَّةٍ مِنْ يَقَاتِلَهُمْ بِكَثْرَةِ السِّلَاحِ وَكَثْرَةِ
الدَّوَابِّ ، وَحَصَانَةِ الْجُنَيْنِ ^(٣) . فَخَارَبَهُمُ الْمُهَلَّبُ ، فَدَفَعَهُمْ فَصَارُوا إِلَى رَامَهْرُمُزْ ؛ وَكَانَ
الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ الْهَمْدَانِيُّ قَدْ صَارَ إِلَى الْمُهَلَّبِ مِرَاغِمًا لِعَنْابِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُرْضِهِ
عَنْ قَتْلِهِ الزَّيْبِرِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ ، هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَخَاضَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ ، فَفِي
ذَلِكَ يَقُولُ أَحْمَشِي هَمْدَانُ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَكْمَلَتْ أَسْبَابُهَا لَابْنِ اللَّيْثِ الْغُرَّ مِنْ هَمْدَانَ ^(٤)
لِلْفَارِسِ الْحَاكِمِ الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمًا زَادِ الرَّفَاقِ وَفَارِسِ الْفُرْسَانِ ^(٥)

(١) لِيْذَجْ ، بِكسر الهمزة وفتح الدال : بلد بين خوزستان وأصبهان .

(٢) بَاجِيرَا ، بضم الجيم وفتح الميم وياء ساكنة : موضع دون تكريت .

(٣) الْجَيْنُ : جمع جنة ؛ وهي الدرع .

(٤) دِيوَانُ الْأَعَشِيِّ ٣٤٣ ، وروايته : « من قحطان » ، وهي رواية السكامل أيضا .

(٥) دِيوَانُ الْأَعَشِيِّ وَالسَّكَامِلِ : « زَادِ الرَّفَاقِ إِلَى قَرْيَةِ نَجْرَانَ » ؛ قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ الرِّفْقَةَ إِذَا
صَحِبَهَا أَغْشَاهَا عَنِ التَّوَدُّدِ ؛ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ - وَأَرَادَ ابْنَ لَهُ سَفَرًا ، وَفِي ذَلِكَ السَّفَرِ يَمْحِي بَنِي أَبِي حَنْصَةَ ؛ فَقَالَ
لَأَيِّهِ : زُوْدْنِي ؛ فَقَالَ جَرِيرٌ :

أَزَادًا سِوَى يَمْحِي تَرِيدُ وَصَاحِبًا أَلَا إِنَّ يَمْحِي نَعَمَ زَادَ الْمَسَافِرِ
فَمَا تَنْكِرُ الْكُومَاءَ ضَرْبَةَ سَيْفِهِ إِذَا أَرْمَلُوا أَوْ خَفَّ مَا فِي الْفَرَاثِ

وَزَادُ فِي الدِّيَوَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

حَتَّى تَدَارَكَهُمْ أَغْرُ سَمِيدَعٍ لِحَاكِمُهُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ يَمَانُ

الحارث بن عميرة اللَّيْث الَّذِي يَحْمِي الْعِرَاقَ إِلَى قُرَى نَجْرَانَ^(١)
وَدَ الْأَزْرَاقُ لَوْ بَصَابُ بَطْمَنَةٍ وَيَمُوتُ مِنْ فَرَسَانِهِمَا مِائَتَانِ
قال أبو العباس : وخرج مُصْعَبُ إِلَى بَاجِيزَا ، ثُمَّ أَتَى الْخَوَارِجَ خَبْرُ مَقْتَلِهِ بِمَسْكِنٍ ،
وَلَمْ يَأْتِ الْمُهَلَّبَ وَأَصْحَابَهُ ، فَتَوَاقَفُوا بِرَأْسِهِمْ مُزَّ عَلَى الْخَنْدَقِ ، فَنَادَاهُمُ الْخَوَارِجُ : مَا تَقُولُونَ
فِي مُصْعَبٍ ؟ قَالُوا : إِمَامٌ هَدَى ، قَالُوا : مَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالُوا : ضَالٌّ مُضَلٌّ ، فَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَتَى الْمُهَلَّبَ قَتْلُ الْمُصْعَبِ ؛ وَأَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَوَرَدَ
عَالِيهِ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ بُولَايَتِهِ ؛ فَلَمَّا تَوَاقَفُوا نَادَاهُمُ الْخَوَارِجُ : مَا تَقُولُونَ فِي الْمُصْعَبِ ؟ قَالُوا :
لَا نَخْبِرُكُمْ ، قَالُوا : مَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالُوا : إِمَامٌ هَدَى ، قَالُوا : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، بِالْأَمْسِ
ضَالٌّ مُضَلٌّ ، وَالْيَوْمَ إِمَامٌ هَدَى ! يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ !

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب " الأغاني الكبير " ، قال :^(٢) كَانَ
الشُّرَاةُ وَالْمُسْلِمُونَ فِي حَرْبِ الْمُهَلَّبِ وَقَطْرَى يَتَوَاقَفُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ عَنْ أَمْرِ الدِّينِ
وغير ذلك ، عَلَى أَمَانٍ وَسَكُونٍ ، لَا يَهَيِّجُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَتَوَاقَفَ يَوْمًا عَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ
الْيَشْكُرِيُّ ، وَأَبُو حُرَابَةَ^(٣) النَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ عَبِيدَةُ : يَا أَبَا حُرَابَةَ ، إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ ،
أَفْتَصِدُقُنِي عَنْهَا فِي الْجَوَابِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنْ ضَمَنْتَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ :
فَسَلْ عَمَّا بَدَاكَ ، قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي أُمْتِكُمْ ؟ قَالَ : يَبِيحُونَ الدَّمَ الْحَرَامَ ، قَالَ : وَيَحْكُ !
فَكَيْفَ فَعَلُهُمْ فِي الْمَالِ ؟ قَالَ : يَحْبُونَهُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ ، وَيُنْفِقُونَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِ ، قَالَ :
فَكَيْفَ فَعَلُهُمْ فِي الْيَقِيمِ ؟ قَالَ : يَظْلُمُونَهُ مَالَهُ ، وَيَمْنَعُونَهُ حَقَّهُ ، وَيَنْيَكُونُ أُمَّه ، قَالَ : وَيَحْكُ
يَا أَبَا حُرَابَةَ ! أَمِثْلَ هَؤُلَاءِ تَتَّبِعُ ! قَالَ : قَدْ أَجَبْتُكَ ، فَاسْمَعْ سَوْأِي ، وَدَعِ عِتَابِي عَلَى رَأْيِي ،

(١) الديوان : « إلى قرى كرمين » .

(٢) الأغاني ٦ : ١٤٩ وما بعدها (طبعة الدار) .

(٣) هو الوايد بن حنيفة أحد شعراء الدولة الأموية .

قال : سل ، قال : أئى الخمر أطيب ، خمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويحك ! أمثلئى يسأل عن هذا ! قال : قد أوجبت على نفسك أن تجيب ، قال : أما إذا أيت ؟ فإن خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمر السهل أحسن وأسلس ، قال : فأئى الزواني أفره ؟ أزواني رأمهرمز ، أم زواني أرتجان ؟ قال : ويحك ! إن مثلى لا يسأل عن هذا ، قال : لا بد من الجواب أو تندير .

قال : أما إذا أيت فوزانى رأمهرمز أرق أبشارا ، وزواني أرتجان أحسن أبدانا . قال : فأئى الرجلين اشعر ، جرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ، قال : لا بد أن تجيب ، قال : أئيهما الذى يقول :

وطوى الطرادُ مع القياد بطونها طئى التجار بحضر موت برودا
قال : جرير ، قال : فهو أشعرهما .

قال أبو الفرج : وقد كان الناس يتبادلوا فى أمر جرير والفرزدق فى عسكر المهلب ؛ حتى توائبوا ، وصاروا إليه محكمين له فى ذلك ، فقال : أنريدون أن أحكم بين هذين الكلبيين التهارشين ، فيمضفانى ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنى أدلكم على من يحكم بينهما ، ثم يهون عليه سيابهما ، عليكم بالشراة ، فاسألوه إذا تواقفتم ؛ فلما تواقفوا سأل أبو حُرابة عبدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه بهذا الجواب .

وروى أبو الفرج أن^(١) امرأة من الخوارج كانت مع قطرى بن الفجاءة ، يقال لها م حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها ، وأحسنهم بالدين تمسكا ، وخطها

(١) الأغاني ٦ : ١٥٠ (طبعة الدار) .

جماعة منهم فردتهم ولم تجبهم ؛ فأخبر من شاهدتها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترجز ، فتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَيِّئَتْ حَلَّةُ وَقَدْ مَلَأَتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ
* أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ *
والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات ؛ فما رأينا قبلها ولا بعدها مثلها .

وروى أبو الفرج^(١) ، قال : كان عبيدة بن هلال ، إذا تكافأ الناس ناداهم : ليخرج إلى بعضكم ؛ فيخرج إليه فتیان من عسكر المهلب ؛ فيقول لهم : أيما أحب إليكم ؟ أقرأ عليكم القرآن أم أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له : أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ؛ ولكن تنشدنا ، فيقول : يافسقة ؛ قد والله علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال يُلشدُّهم ويستنشدهم حتى يملأوا ويفترقوا .

قال أبو العباس^(٢) : وولى خالد بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة ، فأراد عزل للمهلب ، فأشير عليه بالألا يفعل ؛ وقيل له : إنما أمين [أهل]^(٣) هذا المصر ؛ لأن المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس ؛ فقد تنحى عمر ، وإن تحببت المهلب لم تأمن على البصرة . فأبى ألا عزله ، فقدم المهلب البصرة ، وخرج خالد إلى الأهواز ؛ فاستصحبه^(٤) ، فلما صار بكرج ديار لقيه قطري ، فمنعه حظ أئفاله ، وحاربه ثلاثين يوما . ثم أقام قطري بإزائه ، وخندق على نفسه ، فقال للمهلب لخالد : إن قطرياً ليس

(١) الأغاني ٦ : ١٥١ (طبعة الدار) .

(٢) الكامل ٦٥٤ (طبعة أوروبا) .

(٣) من الكامل .

(٤) الكامل : « فأشخصه » .

بأحق بالخندق منك ، فمير دُجَيْلا إلى شق نهر تيرى ، واتبعه قطرى فصار إلى مدينة
سهر تيرى ، فبنى سورها ، وخندق عليها ، فقال المهلب لخالده : خندق على نفسك ، فإني
لآمنُ البيات ، فقال : يا أبا سعيد ، الأمر أعجل من ذاك ، فقال المهلب لبعض ولده :
إني أرى أمراً ضائعاً ، ثم قال لزيد بن عمرو : خندق علينا ، نخندق المهلب على نفسه^(١) ،
وأمر بسفنه ففرغت ، وأبى خالد أن يفرغ سفنه ، فقال المهلب لفيروز حصين : صر معنا ؛
فقال : يا أبا سعيد ، إن الحزم ماتقول ، غير أني أكره أن أفارق أصحابي ، قال : فكن
بقر بنا ، قال : أما هذه فنعم .

وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمدّ خالداً بجيش كثيف ،
أبهره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : ففعل ، فقدم عليه عبد الرحمن ، فأقام قطرى
يُغاديهما القتال ويأويهم أربعين يوماً ؛ فقال المهلب لمولى أبي عينة : سِر^(٢) إلى ذلك
الناوس ، فبت عليه كل ليلة ، فتى أحسست خبراً للخوارج ، أو حركة أو سهيل خيل ،
فانجبل إلينا .

فجاءه ليلة ، فقال : قد تحرك القوم ، فجلس المهلب بباب الخندق ، وأعدّ قطرى
سفناً فيها حطب وأشعلها ناراً ، وأرسلها على سفن خالد ، وخرج في أدبارها حتى
خالطهم ، لا يمرُّ برجلٍ إلا قتله ، ولا بدابة إلا عقرها ، ولا بفسطاط إلا هتكه ؛
فأمر المهلب يزيد ابنه ، فخرج في مائة فارس . فقاتل ، وأبى عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث يومئذ بلاء حسناً ، وخرج فيروز حصين في مواليه ؛ فلم يزل يرميهم بالنشاب
هو ومن معه ، فأثر أثرًا جليلاً ، وصرع يزيد بن المهلب يومئذ ، وصرع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث ؛ فغامى عنهما أصحابهما حتى ركبا ، وسقط فيروز حصين في

(١) كذا في الأصول ، وهي ساقطة من الكامل .

(٢) كذا في ب ، وفي ج : « شد » ، وفي الكامل : « انتبذ » ، أي سر إليه منفرداً . والناوس
في الأصل : مقابر النصارى .

الخنديق ، فأخذ بيده رجل من الأزْد ؛ فاستنقذه ؛ فوهب له فيروز عشرة آلاف ، وأصبح
عسكر خالد كأنه حرّة سوداء^(١) ، فجعل لا يرى إلا قتيلاً أو جريحاً ؛ فقال للمهلب :
يا أبا سعيد ، كدنا نفتضح ا فقال : خنديق على نفسك ؛ فإن لم تفعل عادوا إليك ، فقال :
اكفني أمر الخنديق ، فجمع له الأتحماس^(٢) فلم يبق شريف إلا عمل فيه ، فصاح بهم
الخوارج : والله لولا هذا الساحر المزوّني ، لكان الله قد دمر عليكم - وكانت الخوارج
تسمّى المهلب الساحر - ، لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدون المهلب قد سبق
إلى نقض تدبيرهم .

وقال أعشى همدان لابن الأشعث ، يذكره بلاء القحطانيّة عنده ؛ في كلمة طويلة^(٣) :
وَيَوْمَ أَهْوَازِكَ لَا تَنْسَهُ لَيْسَ الشُّنَا وَاللَّكْرُ بِالْبَائِدِ
ثم مضى قطريّ^٤ إلى كرمّان ؛ وانصرف خالد إلى البصرى وأقام قطريّ بكرمّان
شهوراً ، ثم عمّد لفارس ، فخرج خالد إلى الأهواز وندب الناس للرحيل ؛ فجمعوا يطلبون
المهلب ، فقال خالد : ذهب المهلب بحظّ هذا المفسر ؛ إني قد وليت أخى قتال الأزارقة .
فولى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلب على الأهواز في ثلاثمائة ؛ ومضى عبد العزيز
والخوارج بدرّاء بجريد وهو في ثلاثين ألفاً ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : يزعم أهل
البصرة أنّ هذا الأمر لا يتمّ إلا بالمهلب ؛ سيعلمون ا
قال صقعب^(٤) بن يزيد : فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز ، جاءني كُردُوس ،

(١) الحرّة : أرض ذات حجارة سوداء نخرة ؛ كأنها أحرقت بالنار .

(٢) الأحماس : هم جند البصرة .

(٣) ديوان الأعشى ٣٤ ؛ ومطلعا :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَشْمَهَا بِالْحَضِرِ فالروضة من آمد
دارُ نَخْوَدِ طفلة زُوْدَةِ بانَتْ فأمسى حبّها عامدى

(٤) الكامل : « صعب بن زيد » .

حاجب المهلب ، فدعاني ، فجئت إلى المهلب وهو في سطح ، وعليه ثياب هرّوية ، فقال :
ياصّعب ؛ أنا ضائع كأي أنظر إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة
ولا جند معي ، فابث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا إلى به ، فوجهت رجلا من
قبلي يقال يقال له عمران بن فلان ؛ وقلت له : احبب عسكر عبد العزيز ، واكتب إلى
بخبر يوم فيوم ؛ فجعلت أورده على المهلب ، فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له
الناس : هذا منزل ، فينبغي أن تنزل فيه أيها الأمير ؛ حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا ،
فقال : كلاً ، الأمر قريب ؛ فنزل الناس عن غير أمره ، فلم يستمّ النزول ؛ حتى ورد عليه
سعد الطلائع في خمسمائة فارس ؛ كأنهم خيطة ممدود ، فناهضهم عبد العزيز فواقفوه
ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة ، واتبعهم فقال له الناس : لا تتبعهم ؛ فإننا على غير تعبئة ،
فأبى ؛ فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة ، فافتحمها وراهم والناس ينهونه ويأبى ،
وكان قد جعل على بني تميم عبس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان ، وعلى بكر بن
وائل مقاتل بن مسمع ، وعلى شرطته رجلا من بني ضبيعة بن ربيعة بن زرار . فنزلوا عن
العقبة ، ونزل خلفهم و [كان ^(١)] لهم في بطن العقبة كمين ، فلما صاروا من ورائها ؛ خرج
عليهم السكّين ، وعطف سعد الطلائع ، فترجل عبس بن طلق ، فقتل وقتل مقاتل بن
مسمع ، وقتل الضبيمي ، صاحب شرطة عبد العزيز ، وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج
فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا ، وكان عبد العزيز قد أخرج معه أم حفص بنت المنذر
ابن الجارود امرأته ، فسبوا النساء يومئذ ، وأخذوا أسارى لا تحصى ، فقتلهم في غار
بعد أن شدوهم وثاقا ، ثم سدوا عليهم بابه ، حتى ماتوا فيه .

وقال بعض من حضر ذلك اليوم : رأيت عبد العزيز ، وإن ثلاثين رجلا ليضر بوبه

بسيوفهم ؛ فأتحميك في جنبه^(١) ، ونودى على السبي يومئذ ، فنولي بأمّ حفص ، فبلغ بها رجل سبعين ألفا ، وكان ذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ، ولحقوا بالخواارج ، ففرّضوا لكل رجل منهم خمسمائة ، فكاد ذلك الرجل يأخذ أمّ حفص ، فشق ذلك على قطريّ ، وقال : ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ؛ إن هذه لفتنه ! فوثب عليها أبو الحديد العبدى فقتلها ؛ فأتي به قطريّ ، فقال : منهم^(٢) يا أبا الحديد ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ رأيت المؤمنين تزايدوا في هذه الشركة فخشيت عليهم الفتنة ، فقال قطريّ : أحسنت ، فقال رجل من الخوارج :

كفّنا فتنة عظمت وجلّت بحمد الله سيف أبي الحديد
أهاب المسلمون بها وقالوا على فرط الهوى هل من مزيد^(٣)
فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيق الحدّ فعل فتى رشيد
وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا ، وكان يحب أن يلقاه في صدر مبارزة^(٤) ، فلحقه عمرو القنا يومئذ ؛ وهو منهزم ، فضحك منه وقال متمثلا :

تمنّاني ليلقاني لقيط^(٥) أعام لك ابن صعصعة بن سعد^(٥)
ثم صاح به : انج يا أبا المصدى^(٦) ، وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين :

- (١) قال البرد : « يقال : ما أحاك فيه السيف ، وما يحميك فيه ؛ وما حك ذا الأمر في صدرى ، وما حكى في صدرى ، وما احتكى في صدرى . ويقال : حاك الرجل في مشيته يحيك إذا تبخر » .
(٢) مهم : حرف استفهام ، معناه : ما الخبر ؟ وما الأمر ؟ فهو دال على ذلك محذوف الخبر .
(٣) أهاب به : أعلن .
(٤) الكامل : « في تلك الحروب مبارزة » .
(٥) البيت من شرح سيوييه ١ : ٣٢٩ ، في باب المادى ، ونسبه لفرخ بن الأحوس ، ونسبه البردق الكامل إلى يزيد بن الصمق وفي شرح الشواهد للأعلم : « الشاهد في قوله : « لك » ، والمعنى : يا عامر ، دعائى لك ، والمعنى معنى التعجب ؛ كما تقول : ياك فارسا ؛ أى يا هذا دعائى لك من فارس ؛ أى أعجب لك في هذه الحال . . . وكان لقيط بن زرارة التميمي قد تولى الأحوس أبا شريح الكلبي ، ونعى أن يلقاه فيقتله ؛ فقال هذا متعجبا لقومه من بنى عامر من تمنيه لقتله وتوعد له . . . وأراد عامر ابن صعصعة فرخم » .
(٦) هى كنية عمرو القنا .

إحداها من بنى ضَبَّة ، يقال لها أمّ جميل ، والأخرى بنت عمه ؛ يقال لها فلانة بنت عَقِيل فطلق الضَّبَّة ، وحملها أولا ، وتخلص بابنة عمه ، فقال في ذلك :

أَلَسْتُ كَرِيماً إِذْ أَقُولُ لِفَيْحَتِي قِفُوا فَاحْمُلُوهَا قَبْلَ بِنْتِ عَقِيلٍ
ولو لم يكن عُودِي نُضَاراً لَأُضْبَحْتُ تُجَرَّ عَلَى الْمُتَنِّينِ أُمّ جَمِيلٍ^(١)

قال الصنعب بن يزيد : وبمثنى المهلب لآتيه بالخبر ، فصرت إلى قنطرة أُرَبَك^(٢) على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم ؛ فلم أحسن خبراً ، فسرت مُهَجَّراً^(٣) إلى أن أمسيت ؛ فلما أُمسينا وأظلمنا ، سمعتُ كلامَ رجل عرفته من الجماهم ، فقلت : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، قلت : فأين عبد العزيز ؟ قال : أمامك ، فلما كان آخر الليل ، إذا أنا بزُهاء خمسين فارساً معهم لواء ، فقلت : لواء من هذا ؟ قالوا : لواء عبد العزيز ، فتقدّمت إليه ، فسلمت عليه ، وقلت : أصلح الله الأمير ! لا يكبرنّ عليك ما كان ، فإنك كنت في شرّ جند وأخبثه ، قال لي : أو كنت معنا ؟ قلت : لا ، ولكن كأني شاهد أمرك ، ثم أقبلت إلى المهلب وتركته ، فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : ما يسرك ، هُزِمَ الرجلُ وقُلّ جيشه ، فقال : وَيْحَكَ ! وما يسرك من هزيمة رجل من قريش وقُلّ جيش من المسلمين ! قلت : قد كان ذلك ، ساءك أو سرّك ، فوجه رجلاً إلى خالد يخبره بسلامة أخيه . قال الرجل : فلما خبرت خالداً ، قال : كَذَبْتَ وَلَوْ مُت ، ودخل رجل من قريش فكذبني ، فقال لي خالد : والله لقد هممتُ أن أضرب عنقك ، فقلت : أصلح الله الأمير ! إن كنت كاذباً فاقتلني ، وإن كنت صادقاً فأعطني مطرف هذا المتكلم ، فقال خالد : لبئس ما أخطرت به دَمَكَ ! فما برحتُ حتى دخل عليه بعض النلّ ، وقدم عبد العزيز سوق الأهواز ، فأكرمه المهلب وكساه ، وقدم معه على خالد ، واستخلف المهلب ابنه حبيبا ، وقال له :

(١) الكامل : « تجرّ على التنين » .

(٢) أربك : قرية بنخوزستان .

(٣) مهجراً : وقت الهجرة .

تجسس الأخبار ، فإن أحسست بخيل الأزارقة قريباً منك فانصرف إلى البصرة على
 هَرَيْرَى . فلما أحس حبيب بهم ، دخل البصرة وأعلم خالداً بدخوله ، فغضب وخاف
 حبيب منه ، فاستقر في بني عامر بن صعصعة ، وتزوج هناك في استناره الهلالية ، وهي أم
 ابنه عبّاد بن حبيب . وقال الشاعر لخالد يُفَيْل^(١) رأيه :

بعثت غلاماً من قريش فروقةً وتتركُ ذا الرأي الأصيل المهلب^(٢)
 أبي الذّم واختارَ الوفاء وأحكمت قوائمه ، وقد سأس الأمور وجراً
 وقال الحارث بن خالد الخزومي :

فرّ عبد العزيز إذ رآه عيسى وابن داود نازلاً قطرياً^(٣)
 عاهد الله إن نجاً يلمّنا ليعودن بعدّها حُرماً^(٤)
 يسكنُ الخلل^(٥) والصفاح فنورينا مراراً ومرةً نجدنا
 حيث لا يشهد القتال ولا يسمع يوماً لكرّ خيل دويّا

وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز ، وقال للمهلب : ما ترى أمير المؤمنين
 صانعاً بي ؟ قال : يعزلك ، قال : أترأه قاطعاً رحى ؟ قال : نعم ، قد أتنه هزيمة أمية
 أخيك^(٦) ففعل - يعني هرب أمية من سجستان - فكتب عبد الملك إلى خالد :

(١) يفيل رأيه : يخطئه .

(٢) الفروقة : شديد الفزع .

(٣) في الكامل :

فرّ عبد العزيز لما رأى الأبطال في السفح نازلوا قطريّا

(٤) قال اللبرد : العرب تنسب الحرم يقولون : حريمي وحريمي .

(٥) الخلل والصفاح وغورين مواضع ، ورواية البيت في الكامل :

يسكنُ الخلل والصفاح فمرا ن وسلماً وتارة نجدنا

(٦) عبارة الكامل : « أتنه هزيمة أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من
 فارس » .

أما بعد ؛ فإنني كنت حَدَدْتُ لك حَدًّا في [أمر] ^(١) المهلب ؛ فلما ملكت أمرك ، نبذت طاعتي وراءك ، واستبددت برأيك ؛ فوليت المهلب الجبابة ، ووليت أخاك حرب الأزارقة ؛ ففتح الله هذا رأيا ؛ أتبعْتُ غلامًا غرًّا لم يجرب الأمور والحروب للحرب ؛ وترك سيِّدا شجاعًا مدبرًا حازما قد مارس الحروب ففلج ^(٢) ؛ فشغلته بالجبابة ؛ أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري مالا بقيَّة لك معه ؛ ولكن تذكَّرتُ رَحِمَك فكَفَفْتُ عنك ؛ وقد جعلت عقوبتك عزَّ لك . والسلام .

قال : وولِّي بشر بن مروان الإمارة وهو بالكوفة ؛ وكتب إليه :
أما بعد ؛ فإنك أخو أمير المؤمنين ؛ يحمُّك وإياه مروان بن الحكم ؛ وإن خالداً لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية ، فانظر المهلب بن أبي صفرة ، فوله حرب الأزارقة ؛ فإنه سيِّد بطل مجرب ، وامدده من أهل الكوفة ثمانية آلاف رجل ؛ والسلام .
فشقَّ على بشر ما أمره به في المهلب ؛ وقال : والله لأقتلته ، فقال له موسى بن نصير : أيها الأمير ؛ إنَّ للمهلب حِفَاظًا ووفاء وبلاء .

وخرج بشر بن مروان يريد البصرة ؛ فكتب موسى بن نصير وعكرمة بن ربيعة إلى المهلب أن يلتقاه لقاء لا يعرفه به ؛ فتلقاه المهلب على بَئِلٍ ، وسلم عليه في غمار ^(٤) الناس ؛ فلما جلس بشر مجلسه ، قال : ما فعل أميركم المهلب ؟ قالوا : قد تلقاك أيها الأمير ، وهو شاكٍ .

فهمَّ بشر أن يولِّي حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله بن معمر ؛ وشدَّ عزَّمه أمماء

(١) من الكامل .

(٢) ج : « فاستبددت » .

(٣) فلج : ظفر واتقصر .

(٤) غمار ، بكسر الغين : جمع غمرة ؛ والغمرة : الزدحم . وفي الكامل : « خار الناس » ، وحوار الناس كثرتهم وزحمتهم وجماعتهم .

ابن خارجة ، وقال له : إنما ولّاك أمير المؤمنين لترى رأيك ؛ فقال له عكرمة بن ربیع :
اكتب إلى أمير المؤمنين فأعلمه علّة المهلب ، فكتب إليه بذلك ، وأن بالبصرة من يغني
غناه ، ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم إليه ، رئيسهم عبد الله بن حكيم الجاشعي .
فلما قرأ عبد الملك الكتاب خلاّ بعبد الله ، فقال له : إن لك ديناً ورأيًا وحرماً ، فمن
لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ قال : المهلب ؛ قال : إنه عليل ، قال : ليست علته بمانعة ^(١) ،
فقال عبد الملك : لقد أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد ؛ فكتب إليه يعزم عليه أن يولّي
المهلب الحرب ، فوجه إليه ، فقال : أنا عليل ، ولا يمكنني الاختلاف ؛ فأمر بشر بمحمل
الدواوين إليه ؛ فجعل ينتخب ، فعزم عليه بشر بالخروج ؛ فاقتطع أكثر نخبته ، ثم عزم
عليه ألا يقيم بعد ثلاثة ، وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلّفوها وراء ظهورهم ؛ وصاروا
بالقرات ، فخرج المهلب حتى صار إلى شهارطاق ؛ فأتاه شيخ من بني تميم ، فقال :
أصلح الله الأمير ! إن سني ماترسي ، فهبني لعمالي ، فقال ^(٢) : على أن تقول للأمير إذا خطب
فحسبك على الجهاد : كيف تحثنا على الجهاد ؛ وأنت تحبس عنه أشرافنا ، وأهل النجدة
منا ! فعل الشيخ ذلك ؛ فقال له بشر : وما أنت وذاك ! ثم أعطى المهلب رجلاً ألف
درهم ، على أن يأتي بشرًا فيقول له : أيها الأمير ، أعين ^(٣) المهلب بالشرطة والمقاتلة ؛ ففعل
الرجل ذلك ؛ فقال له بشر : وما أنت وذاك ؟ فقال : نصيحة حضرته للأمير والمسلمين ؛
ولا أعود إلى مثلها ، فأمدّه بشر بالشرطة والمقاتلة ، وكتب إلى خليفته على الكوفة أن
يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف ، من كل رُبْع ألفين ، ويوجه بهم
مددًا للمهلب .

(١) الكامل : « بمانعته » .

(٢) ساقطة من ج .

(٣) ب : « أغن » .

فلما أتاه الكتاب ، بعث إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي^(١) يعقد له ، واختار من كل رُبع ألفين ، فكان على رُبع أهل المدينة بشر بن جرير بن عبدالله البجلي ، وعلى رُبع تميم وهذان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وعلى رُبع كندة محمد ابن إسحاق بن الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى رُبع مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي ، قدموا على بشر بن مروان ، فخلا ببسبب عبد الرحمن بن مخنف ، وقال له : قد عرفت رأيي فيك ، وثقتي بك ، فكن عند ظلي بك ، وانظر إلى هذا الزوني ، تخالفه في أمره ، وأفسد عليه رأيه .

فخرج عبد الرحمن ، وهو يقول : ما عجب ما طلب^(٢) مني هذا الغلام ! يأمرني أن أصغر شأن^(٣) شيخ من مشايخ أهلي ، وسيد من ساداتهم ! فلحق بالملب . فلما أحس الأزارقة بدنو للملب منهم انكشفوا عن الثرات ، فاتبهم الملب إلى سوق الأهواز ، فنفاهم عنها ، ثم اتبهم إلى رامهرمز فبرزهم عنها ، فدخلوا فارس ، وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء شديدا ، تقدم فيه وهو ابن إحدى وعشرين سنة .

فلما صار القوم إلى فارس ، وجه إليهم ابنه المفيرة ، فقال له عبد الرحمن بن صالح : أيها الأمير ، إنه ليس لك رأي قتل هذه الأكلب ، ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ، ولكن طاولهم ، وغل بهم . فقال : ليس هذا من الوفاء ، فلم يلبث برامهرمز لإشهر ، حتى أتاه موت بشر بن مروان .

فاضطرب الجند على ابن مخنف ، فوجه إلى إسحاق بن الأشعث وابن زحر ، فاستحلفهما ألا يبرحا ، خلفا له ولم يفياء ، وجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا

(١) الكامل : « فقد » .

(٢) كذا في ١ ، ج ، وفي الكامل ، وب : « طبع » .

(٣) ج : « رأى » .

بُسُوقِ الْأَهْوَازِ ، وَأَرَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الْإِنْسِلَالَ مِنَ الْمُهَلَّبِ ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَسْتُمْ
كَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، إِنَّمَا تَذَبُّونَ عَنْ مِصْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَحَرَمِكُمْ .
فَأَقَامَ مِنْهُمْ قَوْمٌ ، وَتَسَلَّلَ مِنْهُمْ قَوْمٌ كَثِيرٌ .

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيفَةَ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ ، فَوَجَّهَ مَوْلَى لَهُ بِكِتَابٍ مِنْهُ إِلَى مَنْ
بِالْأَهْوَازِ ، يَحْلِفُ بِاللَّهِ بِجَهْدِ الْإِنِّ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مَرَاكِزِهِمْ ، وَانْصَرَفُوا عَصَاةً لَا يَظْفَرُ بِأَحَدٍ
إِلَّا قَتَلَهُ . فَجَاءَهُمْ مَوْلَاهُ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، وَلَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ قَبُولًا ، فَقَالَ :
إِنِّي أَرَى وَجُوهَكُمْ مَا الْقَبُولُ مِنْ شَأْنِهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زُحْرٍ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ، أَقْرَأْ مَا فِي الْكِتَابِ ،
وَانْصَرَفْ إِلَى صَاحِبِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا فِي أَنْفُسِنَا . وَجَعَلُوا يَسْتَحْثُّونَهُ بِقِرَاءَتِهِ ، ثُمَّ قَصَدُوا
قَصْدَ الْكُوفَةِ ، فَزَلُّوا الْفَتْخَانِيَّةَ ، وَكَتَبُوا إِلَى خَلِيفَةِ بَشَرَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ
الْكُوفَةِ ، فَأَبَى ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ .

فَلَمْ يَزَلِ الْمُهَلَّبُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوَادِهِ وَابْنُ مِخْنَفٍ ، فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ ، فَلَمْ يَلْبِثُوا أَنْ وَلِيَ
الْحِجَابِجَ الْعِرَاقَ .

فَدَخَلَ الْكُوفَةَ قَبْلَ الْبَصْرَةِ ؛ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ؛ فَخَطَبَهُمُ الْخَطِيبَةُ الشَّهْرُورَةُ ^(١) ،
وَتَهَدَّدَهُمْ ؛ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ لَوْجُوهَ أَهْلِهَا : مَا كَانَتْ الْوَلَاةُ تَفْعَلُ بِالْعَصَاةِ ؟ قَالُوا : كَانَتْ
تَضْرِبُ وَتَحْبِسُ ، فَقَالَ : وَلَكِنْ لَيْسَ لَكُمْ عَقْدٌ إِلَّا السَّيْفُ ؛ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يَفْزُوا
لِلْمُشْرِكِينَ لَفَزَّاهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَلَوْ سَاغَتْ لِلْمَعْصِيَةِ لِأَهْلِهَا ، مَا قُوتِلَ عَدُوٌّ ، وَلَا جُيِيَ قِتْلُهُ ،
وَلَا عَزَّ دِينٌ .

ثُمَّ جَلَسَ لِتَوْجِيهِ النَّاسِ ، فَقَالَ : قَدْ أَجَلْتُمْ ثَلَاثًا ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْ

(١) فِي الْكَامِلِ : « وَقَدْ ذَكَرْنَا الْخَطِيبَةَ مُتَقَدِّمًا » ؛ وَهِيَ فِي الْكَامِلِ ٢١٧ (طَبْعَةُ أَوْرُبَا) .

أصحاب ابن مُحَنَّف بعدها إلا قتلته . ثم قال لصاحب حرسه ولصاحب شرطته ^(١) : إذا مضت ثلاثة أيام ، فاشحذا ^(٢) سيوفكما . ^(٣) فجاءه عمير بن ضابي [البرجعي] ^(٤) بانه فقال : أصلح الله الأمير ! إن هذا أنفع لكم مني ؛ وهو أشد بني تميم أبدانا ^(٥) ، وأجمعهم سلاحا ، وأربطهم جأشا ؛ وأنا شيخ كبير عليل ؛ واستشهد [جلساءه] ^(٦) ؛ فقال له الحجاج : إن عذرَكَ لو اوضح ، وإن ضعفَكَ لَبَيِّن ؛ ولكني أكره أن يجترى بك الناس على ؛ وبعد ، فأنت ابن ضابي صاحب عثمان ، وأمر به فقتل ^(٧) ، فاحتمل الناس ، وإن أحدهم لَيَتَّبِعُ بزاده وسلاحه ، ففي ذلك يقول [عبد الله] ^(٨) بن الزبير الأسدي ^(٩) :

أقولُ لعبدِ الله يومَ لقيتهُ أرى الأمرَ أمسى مُنصِباً مُنصَباً ^(١٠)

(١) الكامل : « شرطه » .

(٢) الكامل : « فاشحذا » .

(٣-٣) وفي رواية أخرى للبرد ٢١٧ : « فوضع للناس أعطيائهم ؛ فجعلوا يأخذون ، حتى أتاه شيخ برعش كبيرا ؛ فقال : أيها الأمير ؛ إني من الضعف على ماتري ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني ؛ فتقبله بدلا مني ؛ فقال الحجاج : فعمل أيها الشيخ ؛ فلما ولي قال له قاتل (هو عنيسة بن سعيد الأموي) : أتدري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابي الرجعي الذي يقول أبوه :

هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ على عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا ؛ فوطئ بطنه ، فكسر ضلعين من أضلعه . فقال : ردوه ؛ فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ ؛ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ! إن في قتلِكَ أيها الشيخ لصلاحا للسلعين ؛ ياحرسى ، اضرب عنقه ؛ فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ، ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ؛ ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأبيات . والنظر الشعر والشعراء ٣١١ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ١٤٥ .

(٤) من الكامل .

(٥) الكامل : « أيدا » .

(٦) نقل المرسني في رغبة الأمل ٤ : ٢٧٠ ؛ أنه في هذه الأبيات يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدي ؛ وروى البيت الأول :

أقولُ لإبراهيمَ لَمَّا لقيتهُ أرى الأمرَ أضحى مُنصِباً مُنصَباً

وذكر بعده :

تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ فَالْحَقِ الْجَيْشَ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَباً
فَمَا إِنْ أَرَى الْحَجَّاجَ يَفْسِدُ سَيْفَهُ مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَبْزُكَ الطُّفْلُ أَشْيَباً

(٧) منصبا : معيا مجهدا .

تَجَمَّزَ فَمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَايٍ عُمَيْرًا ، وَإِنَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبَا
هَما خُطَطًا خَسَفَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلِيَّامِنَ الثَّلَجِ أَشْبَهَا^(١)
فَمَا إِنْ أَرَى الْحِجَّاجَ يَفْعِدُ سَيْفَهُ مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَتَرَكَ الطِّفْلَ أَشْبَهَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا^(٢)

وَهَرَبَ سَوَّارُ بْنُ اللَّضَرَبِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْحِجَّاجِ ، وَقَالَ :

أَقَاتِلِي الْحِجَّاجَ إِنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدَ فَوَادِيَا^(٣) *

في قصيدة مشهورة له .

تخرج الناس عن الكوفة ، وأنى الحجاج البصرة ، فكان أشد عليهم إلحاحا ،
وقد كان أتاها خبره بالكوفة ، فتحمل الناس قبل قدومه . وأتاه رجل من بني يَشْكُرَ ،
وكان شيخا أعور ؛ يجعل على عيئه المراء صوفة ، فكان يلقب ذا الكرسفة ، فقال :

(١) نقل الرصني بعده :

فَكَائِنَ تَرَى مِنْ مَكْرِهِ الْقَزْوِ مُسْمِرًا نَحْمَمَ حَنُوَ السَّرِجِ حَتَّى نَحْنَبَا

والمسر : الذى لم يَمْ ، ونحْمَمَ حنو السرج : لزمه ؛ حتى صار كأنه جيم له . وحنو السرج : ما انقطع
منه . ونحْبُ : تقوس .

(٢) الهاء في « دونه » عائدة على المهلب ؛ أى لو كانت خراسان قريبة من موضع غزوه ، والسوق :
هو سوق حكمة ؛ موضع بنو احيى الكوفة . وأقرب مفعول ثان ؛ على أن « رأى » بمعنى « ظن » ،
والضمير للرؤوس وضع موضع الضمير المنصوب ، و « أو » بمعنى « بل » ؛ وانظر الكامل - بفتح
الرصني ٤ : ٧٩

(٣) دراب ؛ هـى درأ مجرد ؛ اقتصر على أحد الجزأين : كورة بغارس وروى للبدر في الكامل ٢٨٩
(طبع أوروبا) بعد هذا البيت :

فَإِنْ كَانَ لَا بُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِي مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا
إِذَا جَاوَزْتَ دَرَبَ الْحَبِيزِينَ نَاقِيَا فَبَاسَتْ أَبَى الْحِجَّاجَ لِمَا ثَنَانِيَا
أَبْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ مَعْمَى وَطَاعَتِي وَقَوَى تَسِيمُ وَالْفَلَاةَ وَرَأْيَا

أصلح الله الأمير ! إنَّ بي فتقاً ، وقد عذرنى بشر بن مروان ؛ وقد رددت العطاء ، فقال : إنك عندى لصادق ؛ ثم أمر به فضربت عنقه ؛ ففى ذلك يقول كعب الأشقرى -
أو الفرزدق^(١) :

لَقَدْ ضَرَبَ الْحَجَّاجُ بِالْمِصْرِ ضَرْبَةً تَقَرَّقَ مِنْهَا بَطْنُ كُلِّ عَرِيفٍ^(٢)

ويروى عن أبى البثر^(٣) ، قال : إننا لتتغدى معى يوما ، إذ جاءه رجل من بنى سليم^(٤)
برجل يقوده ، فقال : أصلح الله الأمير ! إن هذا عاصٍ ، فقال له الرجل : أنشدك الله أيها
الأمير فى دى ! فوالله ما قبضت ديوانا قط ، ولا شهدت عسكريا قط ، وإنى لكأنك ،
أخذت من تحت الحلف^(٥) . فقال : اضربوا عنقه . فلما أحسن بالسيف سجدة ، فلاحقه
السيف وهو ساجد ، فأمسكنا عن الأكل ، فأقبل علينا ، وقال : مالى أراكم قد صفرت
أيديكم ، واصفرت وجوهكم ، وحدت نظركم من قتل رجل واحد ! ألا إن العاصى يجمع
خيلاً ؛ يُحِلُّ مكرهه ، ويعصى أميره ، ويفر المسلمون ؛ وهو أجير لهم ؛ وإنما يأخذ
الأجرة لما يعمل ، والوالى مخير فيه ، إن شاء قتل ، وإن شاء عفا .
ثم كتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإن بشراً استكره نفسه^(٦) عليك ، وأراك غناه^(٧) عنك ، وأنا أريك
حاجتى إليك ، فأرني الجدة فى قتال عدوك ، ومن خيفته على المصيبة بمن قبلك فاقتله ،

(١) انظر ديوان الفرزدق ٢ : ٥٧٠ .

(٢) تفرق : صوت ، والعريف : النقيب دون الرئيس .

(٣) كذا فى ب ، وفى ا ، ج : « عن أبى السر » ، وفى الكامل : « ابن أبى ميرة » .

(٤) كذا فى ب والكامل ، وفى ا ، ج : « من بنى تميم » .

(٥) الحلف : القصة التى تسمى وتذهب .

(٦) استكره نفسه : أدارها على الكره منها .

(٧) أى أراك أنه فى غنى عنك .

فإني قاتل من قبلي ، ومن كان عندي ممن هرب عنك ؛ فأعطيني مكانه ؛ فإني أرى أن آخذ
السمي بالسمي ، والولي بالولي .
فكتب إليه المهلب :

ليس قبلي إلا مطيعٌ - وإن الناس إذا [خافوا العقوبة كثروا الذنب ، وإذا]^(١)
أمنوا العقوبة صفروا الذنب ؛ وإذا يتسوا من العفو كفرهم^(٢) ذلك ؛ فهب لي هؤلاء
الذين سميتهم عصاة ؛ فإنهم فرسان أبطال ؛ أرجو أن يقتل الله بهم العدو - [ونادم على
ذنبه]^(٣) .

فلما رأى المهلب كثرة الناس عنده قال : اليوم قُوتل هذا العدو .

ولما رأى ذلك قطري ، قال لأصحابه : انهضوا بنا نريد السردين^(٤) ، فنتحصن
فيها ، فقال عبيدة بن هلال : أو تأتي^(٥) سابور ، فتأخذ منها ما تريد ، وتصير إلى كرممان .
فأتوا سابور ، وخرج المهلب في آثارهم فأتى أرجان ، وخاف أن يكونوا قد تحصنوا
بالسردين - وليست بمدينة ، ولكنها جبال مُحَدِّقَة منيعة - فلم يصب بها أحداً ، فخرج
فعاكر بكازرون^(٦) ، واستعدوا لقتاله ، فخذق على نفسه ، ووجه إلى عبد الرحمن

(١) من الكامل .

(٢) أ كفرهم : حلهم على الكفر .

(٣) من الكامل و : « نادم » معطوف على « مطيع » .

(٤) السردين : موضع ببلاد فارس لزاء كازرون .

(٥) سابور : كورة بينها وبين شيراز خة وعشرون فرسخا .

(٦) كازرون ، بتقديم الزاي : مدينة من أخصب مدن سابور ؛ وذكر ياقوت أن لها ذكرا في أخبار

الحوارج ؛ وروى للنعمان بن عقبة من أصحاب المهلب :

لَيْتَ الْخَوَاصِينَ فِي الْخُدُورِ شَهِدْنَا فَيَرَيْنَ مَنْ وَغَلَ الْكِتَبَةَ أَوْ لَا
وَقَرُّوا وَكُنَّا فِي الْوَقَارِ كَمِثْلِهِمْ إِذْ لَيْسَ تَسْمَعُ غَيْرَ قَدَمٍ أَوْ هَلَا
رَعَدُوا فَأَبْرَقْنَا لَهُمْ بِسُيُوفِنَا ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ تُخْتَلَى
تَرَكَوا الْجَاهِجَ وَالرَّمَا حُ تُجِيلُهَا فِي كَازُرُونِ كَمَا تُجِيلُ الْخَنْظَلَا

ابن مخنف : خَنَدِيقٌ عَلَى نَفْسِكَ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ : خَنَادِقُنَا سَيُوفُنَا ، فَوَجَّهَ الْمُهَلَّبَ إِلَيْهِ : إِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْبَيَّاتِ ، فَقَالَ ابْنُهُ جَعْفَرُ : ذَاكَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ ضَرْطَةِ جَلٍّ ، فَأَقْبَلَ الْمُهَلَّبَ عَلَى ابْنِهِ الْمَغِيرَةِ ، فَقَالَ : لَمْ يَصِيبُوا الرَّأْيَ ، وَلَمْ يَأْخُذُوا بِالْوَثِيقَةِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ عَاوَدُوهُ الْحَرْبَ ؛ فَبِعَثَ إِلَى ابْنِ مَخْنَفٍ بِسَمْتِهِ ، فَأَمَدَهُ بِجَمَاعَةٍ ؛ جَعَلَ عَلَيْهِمْ ابْنُهُ جَعْفَرًا ، فَجَاءُوا وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَّةٌ بِيضٌ جُدُدٌ ، فَأَبْلَوْا يَوْمَئِذٍ حَتَّى عَرَفَ مَكَانَهُمْ الْمُهَلَّبُ ، وَأَبْلَى بَنُوهُ يَوْمَئِذٍ كِبْلَاءَ الْكُوفِيِّينَ أَوْ أَشَدَّ .

ثُمَّ أَتَى رَئِيسٌ مِنَ الْخَوَارِجِ ، يُقَالُ لَهُ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ ، وَهُوَ يَنْتَخِبُ قَوْمًا مِنْ جَلَّةِ الْعَسْكَرِ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَالَ لِابْنِهِ الْمَغِيرَةِ : مَا أَرَاهُ يُعِيدُ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِلْبَيَّاتِ ^(١) .

وَانْكَشَفَتِ الْخَوَارِجُ ، وَالْأَمْرُ لِلْمُهَلَّبِ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ ، وَقَدْ كَانَ الْحِجَاجُ يَتَفَقَّدُ الْعَصَاةَ ، وَيُوجَّهُ الرِّجَالُ ، وَكَانَ يُحْبَسُهُمْ سَهَارًا ، وَيَفْتَحُ الْحَبْسَ لَيْلًا ، فَيَتَسَلَّلُ الرِّجَالُ إِلَى نَاحِيَةِ الْمُهَلَّبِ ، وَكَأَنَّ الْحِجَاجَ لَا يَعْلَمُ ، فَإِذَا رَأَى إِسْرَاعَهُمْ تَمَثَّلَ :
إِنَّ لَهَا لَسَاتِمًا عَشْرَ زَرًا إِذَا وَثْنَنَ وَثْبَةً تَفْشُمَرًا ^(٢)

ثُمَّ كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ بِسَمْتِهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ قَدْ أَقْبَلْتَ عَلَى جَبَايَةِ الْخِرَاجِ ، وَتَرَكْتَ قِتَالَ الْعَدُوِّ ، وَإِنِّي وَلِيَّتُكَ ^(٣) وَأَنَا أَرَى مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ الْجَمَاشِيِّ . وَعَبَّادُ بْنُ الْحَصِينِ الْحَبِطِيُّ ، وَاخْتَرْتُكَ وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ عُحْمَانَ ، ثُمَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ ؛ فَالْقَهْمُ يَوْمَ كَذَابِي مَكَانَ كَذَا ، وَإِلَّا أَشْرَعْتُ إِلَيْكَ صَدْرَ الرَّمْحِ .

(١) الْكَامِلُ : « مَا يَمِدُّ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِلْبَيَّاتِ » .

(٢) فِي الْكَامِلِ : « إِذَا وَثْنَنَ وَثْبَةً » ، وَفِي « الْعَشْرُورِ : الصَّلْبُ ، وَالتَّفْشُمَرُ : رُكُوبُ الرَّأْسِ ، وَالتَّفْشُمَرُ : الْجَادُ عَلَى مَا خِيلَتْ » يَرِيدُ : مَا خِيلَتْ نَفْسُهُ ؛ وَهِيَ بِحَذْفِ نُونِ فَاعِلِ هَذَا الْفِعْلِ .

(٣) يَرِيدُ أَبْقَيْتُكَ عَلَى وَلَايَتِكَ .

فشاوَر للمهَلَّب بنِيه ، فقالوا : أيها الأمير ^(١) ، لا تُفْلِظ عليه في الجواب .
فكتب إليه :

وردَ إلى كتابك ، نَزَعُ أني أقبلتُ على جباية الخراج ، وتركْتُ قتال العدو ، ومنْ
تَجَزَّ عن جباية الخراج ، فهو عن قتال العدو أعجز . وزعمتَ أنك وليتني ، وأنت ترى
مكان عبد الله بن حكيم وعَبَّاد بن الحصين ، ولو وليتهما لكانا مستحقَّين لذلك
لفضلها وغنائهما وبطشهما . وزعمتَ أنك اخترتني وأنا رجلٌ من الأزد ، ولعمري إن
شراً من الأزد لقبيلة تغازعتها ثلاث قبائل ، لم تستقرَّ في واحدة منهن . وزعمتَ أني
إن لم ألقهم يوم كذا في مكان كذا أشرعتَ إلى صدر الرمح ، لو فعلتَ لقلتُ لك ظهر
المِجَن ^(٢) . والسلام .

قال : ثم كانت الوقعة بينه وبين الخوارج عَقِيب هذا الكتاب .

فلما انصرف الخوارج تلك الليلة ، قال لابنه المغيرة : إني أخاف البيات على بني تميم ،
فانهض إليهم فكن فيهم ، فاتاهم المغيرة ، فقال له الحريش بن هلال . يا أبا حاتم ،
أ يخاف الأمير أن يؤتى من ناحيتنا قلُّ له : فليبت آمناً ، فإننا كافوه ما قبَلنا إن شاء الله .
فلما انتصف الليل ، وقدرجع المغيرة إلى أبيه ، سرى صالح بن مخراق في القوم الذين كان
أعدَّهم للبيات إلى ناحية بني تميم ، ومعه عبيدة بن هلال ، وهو يقول :

إني كُذِّبْتُ للشُّرَاةِ نارَها ومانعُ تمنُّ أتاها دارها

* وغاسِلُ بالسيف عنها عارَها *

(١ - ١) الكامل : « إنه أمير ، فلا تفلظ عليه في الجواب » .

(٢) المجن من السلاح : ما يتقى به .

فوجد بنى تميم أبقاظاً متجارسين ، وخرج إليهم الحريش بن هلال ، وهو يقول :
وَجَدْتُموْنَا وَقُرْأَ أَنجَادَا لَا كُشْفَا مِيَلَا وَلَا أَوْغَادَا^(١)

ثم حمل على الخوارج ، فرجموا عنه ، فاتبعهم ثم صاح بهم : إلى أين يا كلاب النار !
فقالوا : إنما أعدت لك ولأصحابك ، فقال الحريش : كل مملوك لي حرٌّ إن لم تدخلوا النار ،
ما دخلها مجوسى فيها بين سقوان^(٢) وخراسان .

ثم قال بعضهم لبعض : نأتى عسكر ابن مخنف ، فإنه لا خندق عليه ، وقد بعث
فرسانهم اليوم مع المهلب ، وقد زعموا أنا أهونُ عليهم من ضربة جمل . فأتوهم فلم يشعر
ابن مخنف وأصحابه ، إلا وقد خالطوهم في عسكرهم .

وكان ابن مخنف شريفاً ، وفيه يقول رجل من بنى عامر لرجل يعاتبه ، ويضرب بابن
مخنف المثل :

تَرَوْحُ وَتَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ مُعْظَمًا كَأَنَّكَ فِينَا مَخْنَفٌ وَابْنُ مَخْنَفٍ
فترجل عبد الرحمن تلك الليلة بجالدهم ، حتى قتل وقتل معه سبعون رجلاً من القرءاء ،
فيهم نفرٌ من أصحاب علي بن أبي طالب ، ونفر من أصحاب ابن مسعود . وبلغ الخبر المهلب -
وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب - فجاءهم مُفِئِثًا فقاتل حتى ارتث^(٣) ، ووجه
المهلب إليهم ابنة حبيبا ، فكشفهم ، ثم جاء المهلب حتى صلى على عبد الرحمن بن مخنف
وأصحابه ، وصار جفدُهُ في جند المهلب ، فضمَّهم إلى ابنة حبيب ، فميرهم البصريُّون ،
وسموا جعفرًا خضفة الجبل .

(١) في الكامل : « قوله » : وجدتم وقرا ، جمع وقور ، والنجد : ضد البليد ؛ وهو المتيقظ الذى
لا كسل عنده ولا فتور . والأميل ، فيه قولان : قالوا : الذى لا يستقر على الدابة ؛ وقالوا : الذى لا سيف
معه . والأكشف : الذى لا ترس معه . الأجم : الذى لا رمح معه ، والحاسر : الذى لا درع عليه . والأعزل :
الذى لا يقوم على طهر الدابة . والوغد : الضعيف . وذكر بعده هذا البيت :

هَيْهَاتَ لَا تُلْفُونَنَا رُقَادَا لَا بَلْ إِذَا صَبِيحَ بَنَاءُ آسَادَا

(٢) سقوان ، بفتح السين : ماء على قدر مرحلة من مريد البصرة .

(٣) المرتث : الذى يحمل من المعركة جريحاً وبه رمق .

وقال رجل منهم لجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف :
 تركت أصحابكم تَدَمَى نُحُورُهُمْ وَجِئْتَ تَسْعَى إِلَيْنَا خَصْفَةَ الْجَلِ (١)
 فلامَ المهلب (٢) أهل البصرة ، وقال : بئسما قلتم ؛ والله ما فرّتوا ولا جَبُنُوا ؛ ولكنهم خالفوا
 أميرهم ؛ أفلا تذكرون فراركم بدُولابِ عَنِّي ، وفراركم بدَارِس (٣) عن عثمان (٤) !

ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم ، وكتب إليه : إنك
 تحبُّ بقاءهم لتأكلَ بهم ، فقال المهلب لأصحابه : حرّكُوهم ، فخرج فُرسان من أصحابه ،
 فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ كثير ، فاقتتلوا إلى الليل : فقال لهم الخوارج : وَيَلْسَكُمُ إِمَّا
 تَمْلُؤُنَ أَوْ تَقَالُوا : لا ، حَتَّى تَمْلُؤُوا ، فقالوا : فمن أنتم ؟ قالوا : تميم ، فقالت الخوارج : ونحن تميم
 أيضاً ، فلما أَمْسَوْا افترقوا ، فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب ، وخرج إليهم
 من الخوارج عشرة ، واحترق كل واحدٍ منهم حَفِيرَةً ، وأثبت قدميه فيها ، كلما قُتِلَ
 رجل جاء رجل من أصحابه فاجتزته وقام (٥) مكانه حتى أَعْتَمُوا (٦) ، فقال لهم الخوارج :
 ارجعوا ، فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، قالوا لهم : وَيَلْسَكُمُ مَنْ أنتم ؟ قالوا : تميم ، قالوا : ونحن

(١) في الكامل : « تركت أصحابنا » ، وفيه : قوله : « خصفه الجبل ؛ يريد ضربة الجبل ؛ يقال :
 خصف البعير ؛ وأنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة :

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بئسَ الْخَلْفُ أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفَ
 لَا يُدْخِلُ الْبَوَابُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عبداً إِذَا مَا نَاءَ بِالْحِمْلِ خَصَفَ

(٢) في الكامل : « فلامهم » .

(٣) في الأصول : « بفارس » ، وما أثبتته عن الكامل . ودارس : موضع ذكره البكري وقال :
 إنه في ناحية مسرقان . ومسرقان : قرية من أعمال البصرة .

(٤) هو عثمان بن قطن بن عبيد الله ؟ أحد بني الحارث بن كعب ؟ وكان الحجاج بعثه إلى شبيب ؛ فانهزم
 أصحابه عنه ، وقاتل حتى قتل .

(٥) الكامل : « ووقف » .

(٦) أَعْتَمُوا : صاروا في العتمة ، وهي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق .

تميم أيضاً : فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له : منهم؟^(١) قال : رأيت أيها الأمير قوماً لا يعين عليهم إلا الله .

وكتب المهلب جواب الحجاج : إني منتظر بهم إحدى ثلاث : موتاً ذريعاً ،^(٢) أو جوعاً مضرّاً ، أو اختلافاً من أهوائهم .

وكان المهلب لا يتشكل في الحراسة على أحد ، كان يتولى ذلك بنفسه ، ويستعين عليه بولده ، وبمن يحلّ محلهم في الثقة عنده .

قال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب ، وكان في عسكره :

عَدِمْتُكَ يَا مُهَلَّبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْدَى يَمِينُكَ لِلْفَقِيرِ
بِدُولَابٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتَ عَلَى مُوَاشِكَةٍ دَرُورٍ^(٣)

فقال له المهلب : ويحك ! والله إني لأقيكم بنفسى وولدى ، قال : جعلنى الله فداء الأمير ! فذاك الذى نكره منك ، ما كلنا يحب الموت . قال : ويحك ! وهل عنه من يحيص ! قال : لا ، ولكننا نكره التمجيل ؛ وأنت تقدم عليه إقداماً ، قال المهلب : ويحك ! أما سمعت قول الكلجة اليربوعي :

فَقُلْتُ لَكُنْ أَلْجِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زَرُودٍ لَنَفْرَعَا^(٤)

(١) مهم ، كلمة استفهام معاً : ما الخبر وما الأمر ؟ وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبدالرحمن بن عوف ، وعليه درع خلق ، فقال : مهم ؟ فقال : تزوجت يارسول الله . وفي الكامل : « مه » وهى بمعنى الاستفهام أيضاً .

(٢) ذريع : سريع .

(٣) قال البرد : قوله « مواشكة » ، يريد سريعة ، ويقال : نحن على وشك رجل . ويقال : ذميل مواشك ، إذا كان سريعاً ، قال ذو الرمة :

إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَةً فِي مَفَازَةٍ عَرَّاقِيهَا بِالشَّيْطَانِ الْمَوَاشِكِ

و « درور » فعول ، من در الشيء ، إذا تتابع .

(٤) كأس : اسم بنته ، والعرب لا تثق بأحد في خيلها إلا بأولادها ونسائها . والكثيب : القطعة =

فقال : بلى ، قد سمعت ، ولكن قولى أحب إلى منه :

وَلَمَّا وَقَفْتُمْ غَدَوَةٌ وَعَدَوْكُمْ إِلَى مَهْجَتِي وَلَيْتَ أَعْدَاءُكُمْ ظَهَرُوا
وَطَرْتُ وَلَمْ أَحْضِلْ مَلَامَةً جَاهِلٍ يُسَاقِي الْمَنَايَا بِالرَّدِينِيَّةِ الشُّمْرِ^(١)
فقال المهلب : بئس حشو الكتيبة أنت والله يا أبا حرملة إن شئت أذنت لك فأنصرفت
إلى أهلك . قال : بل أقيم معك أيها الأمير ، فوهب له المهلب وأعطاه ، فقال يمدحه :

يَرَى حَتَمًا عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ حِلَادَ الْقَوْمِ فِي أُولَى النَّفِيرِ
إِذَا نَادَى الشُّرَاءُ أَبَا سَعِيدٍ مَشَى فِي رِفْلٍ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ^(٢)

قال : وكان المهلب يقول : ما يسترني أن في عسكري ألف شجاع مكان يهس بن
صهيب ، فيقال له : أيها الأمير ، يهس ليس بشجاع ، فيقول : أجل ، ولكنه سديد الرأي ،
محكم العقل ، وذو الرأي حذر سئول ، فأنا آمن أن يُفْتَقَلَ ، ولو كان مكانه ألف شجاع
نُحِلَّتْ أَنَّهُمْ يَنْشَامُونَ^(٣) حيث يحتاج إليهم .

قال : ومطرت السماء مطراً شديداً وهم بسابور ، وبين المهلب وبين الشراة عقبة ،
فقال المهلب : مَنْ يَكْفِينَا أَمْرَ هَذِهِ الْعُقْبَةِ اللَّيْلَةِ ؟ فلم يَقم أحد ، فلبس المهلب سلاحه ، وقام
إلى العقبة واتبعه ابنه المغيرة ، فقال رجل من أصحابه : دانا الأمير إلى ضَبَطِ الْعُقْبَةِ ، والحظ
= المستطيلة من الرمل ، محدوبة . وزرود : موضع . والفزع : هنا الإفاضة وهو من الأضداد .
وقبل هذا البيت :

وَنَادَى مَنَادَى الْحَيَّ أَنْ قَدْ أُتِيتُمْ وَقَدْ شَرِبْتُ مَاءَ الْمَزَادَةِ أَجْمَا
وهما من قصيدة مفضلية وفيها :

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى وَلَا أَمَرَ الْمَعْصَى إِلَّا مُضْطَبَّعًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْشِ الْكَرِيمَةَ أَوْ شَكَتْ حَبَالُ الْهَوْبِيِّ بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا

- (١) الكامل : « ملامة عاجز » ، الردينية : الرماح ؛ منسوبة إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح .
(٢) الرفل بكسر الراء : الثبيل ؛ وقد أرفل رفله ؛ أرسل ذيله ، وأما الرفل بفتحها ، فصدر رفل
كنصر : جر ذيله وركضه برجله ، والقتير : رءوس مسامير حلق الدروع .
(٣) ينشامون ، من انشام الشيء : دخل فيه واختبأ ، كتشيم ؛ يريد أنهم يكونون بمنزل مخافة أن يفتلوا .

في ذلك لنا ، فلم نطعمه ، ولبس سلاحه وأتبعه جماعة من العسكر ، فصاروا إليه ، فإذا المهلب والمغيرة ولا ثالث لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأمير ، فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا هم بالشراة على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عُمان على فرس ، فجعل يحمل وفرسه تزلق ، ويلقاه مدرك في جماعة معه ، حتى ردوهم عن العقبة . فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس ، إذ الشراة قد أكبوا ^(١) ، فقال المهلب : سبحان الله ! أنى مثل هذا اليوم أيامغيرة أكفنيهم ؛ فخرج إليهم المغيرة ، وأمامه سعد بن نجد القرطوسي ^(٢) وكان سعد مقدما في شجاعته ، وكان الحجاج ^(٣) إذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له : لو كنت سعد بن نجد القرطوسي ما عدا ^(٤) ! فخرج أمام المغيرة ، ومع المغيرة جماعة من فرسان المهلب ، فالتقوا ، وأمام الخوارج غلام جامع السلاح ، مديد القامة ، كربه الوجه ، شديد الحملة ، صحيح الفروسيّة ، فأقبل يحمل على الناس ، ويرتجز فيقول :

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ بِالْخَيْلِ أَمْثَالِ الْوَشِيحِ تَجْرِي ^(٥)

فخرج إليه سعد بن نجد القرطوسي ، من الأزد ، فتجاولا ساعة ثم طعنه سعد فقتله ، والتقى الناس ، فصارع المغيرة يومئذ ، فحاضى عليه سعد بن نجد ودينار السجستاني ^(٦) وجماعة من الفرسان ، حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا إلى المهلب ، فقالوا : قُتِلَ المغيرة ، فأناه دينار السجستاني ، فأخبره بسلامته ، فأعقب كل مملوك كان بحضرته .

(١) الشراة : الخوارج ؛ قال الجوهري : سموا بذلك لقولهم : لما شربنا أنفسنا في طاعة الله ؛ أي بناها بالجنة حين فارقتنا الأئمة الجائرة .

(٢) الكامل : « نألبوا » .

(٣) في الأصول : « الفردوسي » ، تصحيف صوابه من الكامل ، وقرطوس : قبيلة من الأزد .

(٤) الكامل : « المهلب » .

(٥) أي ما تجاوز إعجابك إعجابه .

(٦) الوشيح : ما نبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه في بعض ؛ أو ما سلب فيه .

(٧) الكامل : « السجستاني » .

قال : وجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مناجزة القوم ،
وكتب إليه :

أما بعد ؛ فإنك جَبَّيت الخراج بالعلل^(١) ، وتحصّنت بالخنادق ، وطاولت القوم وأنت
أعزُّ ناصراً ، وأكثر عدداً ؛ وما أظنّ بك مع هذا معصية ولا جُبناً ؛ ولكنك
اتخذتهم أُكلاً^(٢) ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ؛ فناجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام .
فقال المهلب للجراح : يا أبا عقبة ، والله ما تركتُ حيلة إلا احتلتها ، ولا مكيدة
إلا أعمدتها ؛ وما العجبُ من إبطاء النُصرة^(٣) وتراخي الظفر ؛ ولكن العجب أن يكون
الرأي لمن يملكه دون من يُبصره .

ثم ناهضهم ثلاثة أيام ، بفاديهم القتال ، فلا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف
أصحابه وبهم قرح ، وبالخوارج قرح وقتل . فقال له الجراح : قد أعذرت .
فكتب المهلب إلى الحجاج :

أتاني كتابك تستبطنني في لقاء القوم ؛ على أنك لا تظنّ بي معصية ولا جُبناً ؛
وقد عاتبته معاتبة الجبان^(٤) ، وأوعدتني وعيد^(٥) العاصي ؛ فسل الجراح . والسلام .
فقال الحجاج للجراح : كيف رأيت أخاك ؟ قال : والله أيها الأمير ، مارأيت مثله
قطّ ، ولا ظنّدت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدتُ أصحابه أياما ثلاثة
يَنفَدُون إلى الحرب ، ثم ينصرفون عنها ، وهم يتطاعنون بالرماح ، ويتجالدون بالسيوف ؛

(١) بالعلل ، أي سترته بالعلل .

(٢) الأكل بالضم : اسم للأكل .

(٣) الكامل : النصر .

(٤) أي معاتبتك للجبان .

(٥) في الأصول : « وعد » ، وما أنبته من الكامل .

ويخاطبون بالعمد ؛ ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئا ، رَوَّاحَ قَوْمِ تلك عاداتهم وتجارتهم .

فقال الحجاج : لَشَدَّ مامدحتَه ^(١) أبا عُبَيْة ! فقال : الحقَّ أُوْلَى .
وكانت رُكْبُ الناس ^(٢) قديما من الخشب ، فكان الرَّجُلُ يضرب رُكابه فينقطع ،
فإذا أراد الضربَ أو الطعن لم يكن له معتمد ؛ فأمر المهلب بضرب ^(٣) الرُّكْبِ من الحديد :
فهو أول من أمر بطبعها ؛ وفي ذلك يقول عمران بن عصام العنزي :
صَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِمَارَتِهِمْ . وَصَرَبَتْ لِإِحْدَتَانِ وَالْحَرْبِ
حَلَقًا تَرَى مِنْهَا مَرَاقِفَهُمْ كَمَنَّا كِبِ الْجَمَالَةِ الْجُرْبِ ^(٤)

قال : وكتبَ الحجاج إلى عتَّاب بن وَرْقَاءَ الرياحي ؛ من بني رياح بن يَرْبُوع -
وهو والي أصفهان - يأمره بالسَّير إلى المهلب ، وأن يضمَّ إليه جندَ عبد الرحمن بن مخنف ،
فكلُّ بلدٍ يدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أميرُ الجماعة فيه ، وأنت
على أهل الكوفة ، فإذا دخلتمُ بلداً فَتَحَهُ أَهْلُ الكوفة ^(٥) فأنتَ أميرُ الجماعة ، والمهلب
على أهل البصرة .

فقدِمَ عتَّاب في إحدى مُجَادَّيْنِ من سنة ست وسبعين على المهلب ، وهو بسابور -
وهي من فتوح أهل البصرة - فكان للمهلب أميرُ الناس وعتَّاب على أصحاب ابن مخنف ،
والخوارج بأيديهم كَرْمَان ، وهم يِزَاءُ المهلب بفارس ، يحاربونه من جميع النواحي .

(١) كذا في ب والكمال ، وفي ا ، ج : « وصفته » .

(٢) ركبُ الناس ، الركب ، بضمتين : جمع ركاب ؛ وهو ما يعتمد عليه راكب السرج بقدميه ؛ فأما ما يعتمد عليه راكب البعير ؛ فهو الفرز .

(٣) ج : « فضربت » .

(٤) الرافق هنا : معتمدات الأرجل من الخاق ؛ ويريد بمنالك الجمالة الحرب أنها رقيقة الوسط عريضة الطرفين . والجمالة ، مثلثة الهمج مخففة الهم : الطائفة من الجمال .

(٥) الكامل : « فتحه لأهل الكوفة » .

قال : ووجه الحجاج إلى المهلب رجُلَيْنِ يستحقَّانِه لمناجزة القوم : أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صعصعة ، والآخر من آل أبي عَقيِل من رهط الحجاج ، فضمَّ المهلب زيادا إلى ابنه حبيب ، وضمَّ الثَّقَفِيَّ إلى ابنه يزيد ، وقال لهما : خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة ، وغادوا الخوارج . فاقتتلوا أشدَّ قتال ؛ فقتل زياد بن عبد الرحمن العامري ، وفقد الثَّقَفِيَّ . ثم باكروهم في اليوم الثاني ؛ وقد وُجد الثَّقَفِيَّ ، فدعا به المهلب ، ودعا بالنداء ، فجعل النبل يقع قريبا منهم ويتجاوزهم ، والثَّقَفِيَّ يَعْجَبُ من أمر المهلب ؛ فقال الصَّلْتَانُ العبدِيَّ :

أَلَا يَا صَبْحَانِي قَبْلَ عَوْنِ الْعَوَاتِقِ^(١) وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ^(٢)
غداة حبيب في الحدييد يقودنا يخوض النسايا في ظلال الخوافِقِ
حرون إذا ما الحرب طار شرارها^(٣) وهاج حجاج النقع فوق المفارقِ^(٤)
فمن مبلغ الحجاج أن أمينه زيادا أطاحته رماح الأزارقِ !

فلم يزل عتاب بن وُرَقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب بن يزيد ؛ فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمصير إليه ليوجهه إلى شبيب ، وكتب إلى المهلب يأمره أن يرزق الجند ، فرزق أهل البصرة ، وأبى أن يرزق أهل الكوفة ، فقال له عتاب : ما أنا بباريح حتى ترزق أهل الكوفة ، فأبى ، فجرت بينهما غلظة ، فقال له عتاب : قد كان يبلغني أنك شجاع ، فرأيتك جبانا ، وكان يبلغني أنك جواد ، فرأيتك بخيلا . فقال له المهلب : يا بن اللخناء ؛ فقال له عتاب : لكنك مُعَمَّ نُحُول

(١) اصبحاني ؛ من صبحه إذا سقاه مَبُوحَا من نحر أولبن . والعواتق : جمع عاتقة ؛ وهي كل ماصرفك عما تريد .

(٢) في الكامل : « قوله : وقبل اختراط القوم مثل العقائق ، يعني السيوف ، والعقائق : جمع عقيقة ، يقال : سيف كئنه عقيقة برق ، أى كئنه لمعة برق ، ويقال : انمى البرق إذا تبسم » .

(٣) حرون ، لقب حبيب ، لأنه كان يحرن في الحرب فلا يرح ، وذلك مستعار من قولهم : فرس حرون لا ينقاد ، وانظر رغبة الآمل ٤ : ٨٨ .

(٤) الكامل : « البوارق » ، والبوارق : السيوف .

فغضبت بكر بن وائل المهلب للحلف ، ووثب نُعَيْم بن هُبَيْرَة ، ابن أخى مَصْفُوعَة ابن هُبَيْرَة على عَتَاب فشتّمه ، وقد كان المهلب كارهاً للحلف ، فلما رأى نُصْرَة بكر ابن وائل له سرّه ، واغتبط به ، فلم يزل يؤكّده ، وغضبت تميم البَصْرَة لعَتَاب ، وغضبت أزدُ الكوفة للمهلب ؛ فلما رأى ذلك المغيرة مشى بين أبيه وبين عَتَاب ؛ وقال لعَتَاب : يا أبا ورقاء ؛ إن الأمير يصيرُ إلى كلِّ ما تحبّ ، وسأل أباه أن يرزُقَ أهل الكوفة ، ففعل فصَلَح الأمر ؛ فكانت تميم قاطبةً وعَتَاب بن ورقاء يحمّدون المغيرة بن المهلب ، وكان عَتَاب يقول : إنّى لأعرف فضله على أبيه .

وقال رجلٌ من الأزد ، من بنى إياد بن سُود :

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا وَرَقَاءَ عَنَّا فَلَوْلَا أَنَّنَا كُنَّا غِضَابَا
على الشَّيْخِ المَهْلَبِ إِذْ جَفَانَا لَلَّاقَتْ خَيْلُكُمْ مِثْقَالَ ضِرَابَا

قال : وكان المهلب يقول لبنيه : لا تبدءوا الخوارج بقتال حتى يبدءوكم ، ويَبْغُوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا عليكم نُصِرْتُمْ عليهم .
فشخص عَتَاب إلى الحجاج فى سنة سبع وسبعين ، فوجّهه إلى شبيب فقتله شبيب .
وأقام المهلب على حربهم ، فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا واختلفت كلمتهم . وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة ، كان يعمل نصالاً مسمومة ، فبرمى بها أصحابُ المهلب ؛ فرُفِعَ ذلك إلى المهلب ، فقال : أنا أ كفيكموه إن شاء الله ، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى ، فقال له : ألقى هذا الكتابَ فى العسكر والدرهم ، واحذر على نفسك - وكان الحدّاد يقال له أَبْرَى - فضى الرجل . وكان فى الكتاب : أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلى ، وقد وجهتُ إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال .

فوقع الكتاب إلى قَطْرِيّ ، فدعا بأَبْرَئِيّ ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فما هذه الدراهم ؟ قال : لا أعلم ، فأمر به فُقْتِلَ . فجاءه عبد ربّه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة ، فقال له : أقتلت رجلاً على غير بُقْعة^(١) ولا تبين ! قال قطريّ : فما حال هذه الألف ؟ قال : يجوز أن يكون أمرُها كذباً ، ويجوز أن يكون حقاً ، فقال قَطْرِيّ : إنّ قتلَ رجلٍ في صلاح الناس غير منكّر ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحاً ؛ وليس للرعيّة أن تعترض عليه . فتفكّر له عبدُ ربّه في جماعة معه ، ولم يفارقوه .

وبلغ ذلك المهلب فدرس إليهم رجلاً نصرانياً ؛ جعل له جُفلاً يُرْغَب في مثله ؛ وقال له : إذا رأيتَ قَطْرِيّاً فاسجدْ له ؛ فإذا نهاك فقل : إنّما سجدتُ لك ؛ ففعل ذلك النصرانيّ ، فقال قطريّ : إنّما السجود لله تعالى ؛ فقال ما سجدتُ إلا لك ، فقال رجل من الخوارج : إنه قد عبدك من دون الله ، وتلا : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾^(٢) ؛ فقال قطريّ : إنّ البصاري قد عبدوا عيسى بن مريم ؛ فاضرّ عيسى ذلك شيئاً . فقام رجل من الخوارج إلى النصرانيّ فقتله ، فأنكر قطريّ ذلك عليه ، وأنكر قوم من الخوارج إنكاره .

وبلغ المهلب ذلك ، فوجه إليهم رجلاً يسألهم ، فأتاهم الرجل ، فقال : أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم ، فات أحدهما في الطريق ، وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجزِ المحنة ، ماتقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أمّا الميت فمؤمن من أهل الجنة ، وأمّا الذي لم يجزِ للمحنة فكافر حتى يُجيز المحنة .

وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيز المحنة ؛ فكثرت الاختلاف . وخرج قَطْرِيّ إلى حدود إصطخر ؛ فأقام شهراً ، والقوم في اختلافهم . ثم أقبل فقال

(١) ج « وثيقة » .

(٢) سورة الأنبياء ٩٨

لم صالح بن مخراق : يا قوم ، إنكم أقررتم عين عدوكم ، وأطعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم^(١) ، فعودوا إلى سلامة القلوب ، واجتماع الكلمة .

وخرج عمرو القنا - وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم - فنادى : يا أيها المحلّون^(٢) ؛ هل لكم في الطّرّاد فقد طال عهدي به ! ثم قال :

ألم ترّ أنا منذ ثلاثين ليلةً جدّيبٌ وأعداء الكتاب على خَفَضٍ^(٣)
فهاجج القوم ، وأسرع بعضُهم إلى بعض ؛ وكانت الواقعة ، وأبلى يومئذ المغيرة بن
المهلب ، وصارفي وسط الأزارقة ، فجعلت الرماح تحطّه وترقّعه ، واعتورت رأسه السيوف ،
وعليه ساعد حديد ، فوضع يده على رأسه ؛ فلم يعمل السيف فيه شيئاً ، واستنقذه فرسان
من الأزد بعد أن صرّع ، وكان الذي صرّعه عبيدة بن هلال بن يشكر بن بكر بن
وائل ، وكان يقول يومئذ :

أنا ابن خيرٍ قومي هلالٍ شيخٌ على دينٍ أبي بلالٍ
* وذلك ديني آخرَ الليالي *

فقال رجلٌ للمغيرة : كنّا نعجب كيف تُصرّع ، والآن نعجب كيف تنجو ! وقال
المهلب لبنيه : إنّ سرّ حَكَمِ^(٤) لغار ، ولست آمنهم عليه ، أفوكتهم به أحدا ؟ قالوا : لا ، فلم
يستتم الكلام حتى أتاه آتٍ ، فقال : إن صالح بن مخراق قد أغارَ على السرح ، فشقّ
على المهلب ، وقال : كل أمرٍ لا أُلِيه بنفسى فهو ضائع ؛ وتذمّر عليهم ؛ فقال له بشر بن
المغيرة : أريح نفسك ؛ فإن كنتَ إنما تريد مثلك فوالله ما يعدل خيرٌنا شِيعَ^(٥) نعلك ،

(١) ج : « اختلافكم »

(٢) المحلون : الذين لا يحفظون عهدا ولا يرعون حرمة ؛ فكأنما أحلوا أعراسهم وأموالهم أن تستباح .

(٣) الخفض . الدعة ولين العيش .

(٤) السرح : المال السائم في الرعى من الأنعام ؛ وأراد بالفار التي يطعم الناس في أخذه حيث لا راعى
له يحفظه .

(٥) الشيع : قبال النعل .

فقال : خذوا عليهم الطريق ، فبادر بشر بن المغيرة ، ومدرک والفضل ابنا المهلب ؛ فسبق
بشر إلى الطريق ، فإذا رجل أسود من الأزارقة يشل السرج^(١) ، وهو يقول :
نَحْنُ قَمَعْنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرَجِ وَقَدْ نَسَكْنَا الْقَرْحَ بَعْدَ الْقَرْحِ^(٢)
ولحقه المفضل ومدرک ، فصاحا برجل من طيئ : اكفنا الأسود ؛ فاعتوره الطائي وبشر
ابن المغيرة فقتلاه ، وأسرا رجلا من الأزارقة من همدان ، واستردا السرج^(٣) .
قال : وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا^(٤) ، فأبلى يومئذ ؛ فلما مات على فراشه بعد
ذلك ، قال المهلب : لا وألت^(٥) نفس الجبان بعد عياش ؛ وقال المهلب : ما رأيت تالفا
ك هؤلاء القوم ، كلما انتقص^(٦) منهم يزيد فيهم ؛

ووجه الحجاج رجلين إلى المهلب يستحثانه بالقتال : أحدهما من كلب ، والآخر من
سليم ، فقال المهلب متمثلا بشعر لأوس بن حَجَر :
ومستعجب مما يرى من أنا تناء ولَوْ زَبَنَتْهُ الحربُ لَمْ يَتَرَمَّرَمْ^(٧)
فقال المهلب ليزيد ابنه : حرك القوم ، فحركهم فهاجموا ؛ وذلك في قرية من قرى
إصطخر ؛ فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب وطعنه ، فشك فخذه
بالسرج ، فقال المهلب للسلمي والكلبي : كيف يُقاتل^(٨) قوم هذا طعنهم ؛ وحمل

-
- (١) في الكامل : « يشل السرج ، أي يطرده » .
(٢) في الكامل : « الشل : الطرد . ويقال : نكأت الفرقة ، مهور ، ونكيت العدو غير مهور ؛
من النكاية ، ونكأت الفرقة نكاً ؛ قال ابن هرمة :
ولا أراها تزالُ ظالمةً تُحَدِّثُ لِي قَرْحَةً وَتَنَسَكُّوْهَا
(٣) في الكامل : « وخلي سبيله » .
(٤) البئس ، من يؤس الرجل يبؤس ؛ إذا اشتدت شجاعته .
(٥) لا وألت ، أي لانبجت .
(٦) الكامل : « ينقص » .
(٧) قال المبرد : قوله زبنته ؛ يقول : دفعته . ولم يترمرم : لم يتحرك ؛ يقال : قيل له كذا وكذا فانمرم .
(٨) الكامل : « يقاتل » .

يزيد عليهم ؛ وقد جاء الرقاد - وهو من فرسان المهلب - وهو أحد بنى مالك بن ربيعة، على فرس له أذم ؛ وبه تيف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولّى الجمع ، وحامهم فارسان منهم ؛ فقال يزيد لقيس الخشنيّ ، مولى العتيك : مَنْ هذين ؟ قال : أنا ، فحمل عليهما ، فعطف عليه أحدهما فطعمته قيس فصرعه ، وحمل عليه الآخر فتعمّتا ، فسقطا جميعا إلى الأرض ، فصاح قيس الخشنيّ : اقتلونا جميعا ، فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء ، فحجزوا بينهما ، فإذا معايق قيس امرأة ، فقام قيس مستحييا ، فقال له يزيد : يا أبا بشر ، أما أنت فبارزتها على أنها رجل ، فقال : أرايت لو قُتِلْتُ ، أما كان يقال : قتلته امرأة ! وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسيّ ، فقال غلام له يقال له خِلاج : والله لو ددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى نصير إلى مستقرهم ، فاستلب مما هناك جارين . فقال له مولاه ابن المنجب : وكيف تمّنت ويحك اثنتين ! فقال : لأعطيك إحداها وأخذ الأخرى ، فقال ابن المنجب :

أَخْلَاجُ إِنَّكَ لَنْ تَعَانِقَ طِفْلَةً شَرِيقًا بِهَا الْجَادَى كَالْتَمَثَالِ^(١)
حَتَّى تَلَاقَى فِي الْكُتَيْبَةِ مُؤَلِّمًا عَمْرُو الْقَنَا وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ^(٢)
وَتَرَى الْمُقَطَّرَ فِي الْفَوَارِسِ مُقَدِّمًا فِي عُصْبَةٍ نَشِطُوا عَلَى الضَّلَالِ^(٣)

(١) قال المبرد : « قوله : طفلة ، يقول : ناعمة ؛ وإذا كسرت الطاء فقلت : طفلة ؛ فهي الصغيرة . والجادى : الزعفران » .

(٢) قال المبرد : « الكتيبة : الجيش ؛ وإنما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم إلى بعض ؛ وبهذا سمي الكتاب ؛ ومنه قولهم : كتبت البغلة والناقة ، وكتبت القرية ؛ إذا خرزت ذلك الموضع . والمعلم . الذي قد شهر نفسه بعلامة ؛ إما بعلامة صبيغ ؛ أو بعشيرة ، وإما بغير ذلك . . وعمرو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل . والذي طعن صاحب المهلب في فغذه فشكها مع السرج من بني تميم ؛ قال : ولا أدري : أعمرو هو أم غيره ؟ » .

(٣) في الكامل : « قسطوا مع الضلال » . قال : والمقطر : من عبد القيس ، وقوله : « قسطوا » ، أى جاروا ؛ يقال : قسط يقسط فهو قاسط ؛ إذا جار ؛ قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

أو أن يملك المهلب غزوهُ وتَرى جبلاً قد دنتَ لجبالِ
قال : وكان بدر بن الهذيل من أصحاب المهلب شجاعاً ، وكان لحانة ؛ كان إذا أحس
بالخوارج ينادى : « يا خيل الله ازكري » ؛ وإليه يشير القائل :
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى الْمُهَلَّبِ حَاجَةً عَرَضْتُ تَوَابِعُ دُونَهُ وَعَبِيدُ^(١)
العبد كُردُسٌ وبَدْرٌ مثله وعلاجُ باب الأحرين شَدِيدُ^(٢)
قال : وكان بشر بن المغيرة بن أبي صُفْرة أبلً يومئذ بلاء حسناً عرف مكانه فيه ؛
وكانت بينه وبين المهلب جَفْوَةٌ ، فقال لبنيه : يا بني عمّ ، إني قد قصرت عن شكاةِ
العائِبِ^(٣) ؛ وجاوزتُ شكَاةَ المستعْتَبِ^(٤) ؛ حتى كأني لا موصول ولا محروم ؛ فاجملوا
لي فُرْجَةً أعيش بها ، وهبوني امراً رجوتم نصره ؛ أو خفتم لسانه . فرجعوا له ووصلوه ،
وكلوا فيه المهلب ، فوصله .

وولى الحجاج كُردَما فارس ، ووجهه إليها والحرب قائمة ، فقال رجل من أصحاب المهلب :
وَلَوْ رَأَاهَا كُردَمٌ لَكُردَمًا كُردَمَةٌ العَيْرُ أَحْسَنُ الضَّيْفَمَا^(٥)
فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصطخر ودارا بمجرد لأرزاق
الجند ، ففعل . وقد كان قطري هدم مدينة إصطخر ، لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب
بأخباره ؛ وأراد مثل ذلك بمدينة فسا ، فاشتراها منه آراذ مَرْدُ بن الهربذ بمائة ألف درهم

(١) قال المبرد : توابع ، أراد به الرجال ؛ فجاز في الشعر ؛ وإنما رده إلى أصله للضرورة ؛ وما كانت
من النعوت على « فاعل » بجمعه « فاعلون » ؛ لثلاث يلتبس بجمع « فاعلة » التي هي لمت .
(٢) قال المبرد : كردوس : رجل من الأزد ؛ وكان حاجب المهلب . وقوله : « وعلاج باب الأحرين
شديد » ؛ العرب تسمى العجم الحمرء .
(٣) العائِب : السأخط .
(٤) المستعْتَب : الطالب الرضا .
(٥) في الكامل : « الضيفم : الأسد ، والكردمة : النفور » .

فلم يهدمها . فواقه وجهه المهلب فهزمه ، ففناه إلى كَرْمان ، وأتبعه المغيرة ابنه ؛ وقد كان دفع إليه سيفاً وجهه به الحجاج إلى المهلب ، وأقسم عليه أن يقتله ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقتله ، فرجع به المغيرة إليه وقد دماه ، فسر المهلب ، وقال : ما يسرني أن يكون كنت دفعته إلى غيرك من ولدي ؛ وقال له : اكنفي جباية خراج هاتين السكورتين ، وضم إليه الرقاد ، فجعلنا نجيبان ، ولا يعطيان الجند شيئاً ، ففي ذلك يقول رجل من بني تميم في كلمة له :

وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ يُوسُفَ مَا نَلَقِ مِنْ آفَاتِ وَالْكَرْبِ الشَّدَادِ
لَفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْهِ وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جُرْزَيْتَ خَيْرٌ أَرِحْنَا مِنْ مُقِيرَةِ وَالرَّقَادِ
فَا رَزَقَ الْجُنُودَ بِهِمْ قَفِيرًا وَقَدْ سَاسَتْ مَطَايِيرُ الْخَصَادِ^(١)
أَيُّ وَقَعُ فِيهَا السُّوسُ^(٢) .

قال : ثم حاربهم المهلب بالسَّيرجان^(٣) حتى نكسهم عنها إلى جِيفَتِ^(٤) واتبعهم ونزل قريبا منهم .

ثم اختلفت كلمة الخوارج ، وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال أتهم بامرأة رجل نجار ، وأوه يدخل مرارا إليها بغير إذن ، فأتى قَطْرِيًّا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبيدة من الدِّين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ؛ فقالوا : إنا لا نقار على الفاحشة ، فقال :

-
- (١) الطامير : جمع مطبورة ؛ وهي حفرة تحت الأرض يوسع أسفلها ؛ نجبا فيها الجيوب .
(٢) يقال : ساس الطعام وأساس ؛ إذا وقع فيه السوس .
(٣) السيرجان ، بكسر السين وسكون الياء وفتح الراء : مدينة بين كرمان وفارس .
(٤) جيفت ، بكسر فسكون ففتح راء وسكون فاء : مدينة بكرمان .

انصرفوا، ثم بعث إلى عبيدة، فأخبره، وقال له: أنا لأقارّ على الفاحشة، فقال: بهتوني^(١) يا أمير المؤمنين فما ترى؟ قال: إني جامع بينك وبينهم، فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتطاول تطاول البريء؛ فجمع بينهم، فتكلموا، فقام عبيدة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾... حتى تلا الآيات^(٢)، فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه؛ وقالوا: استغفر لنا. ففعل؛ فقال عبد ربّه الصغير مولّى بنى قيس بن ثعلبة: والله لقد خدعكم، فتابع عبد ربّه منهم ناس كثير؛ ولم يظهروا، ولم يجدوا على عبيدة في إقامة الحدّ ثبّتاً^(٣).

وكان قطريّ قد استعمل رجلاً من الدّهّاقين، فظهرت له أموال كثيرة، فأتوا قطريّاً؛ فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارّ عماله على مثل هذا؛ فقال قطريّ: إنّي استعملته، وله ضياع وتجارات، فأوغر ذلك صدورهم؛ وبلغ المهلب ذلك، فقال: اختلافهم أشدّ عليهم منّي، ثم قالوا لقطريّ: ألا تخرج بنا إلى عدوّنا؟ فقال: لا، ثم خرج فقالوا: قد كذب وارتدّ، فاتبعوه يوماً، فأحسّ بالشرّ، ودخل داراً مع جماعة من أصحابه، فاجتمعوا عليه وصاحوا: اخرج إلينا يداً، فخرج إليهم، فقال: أرجعتم بعدي كفاراً! قالوا: أولست دابة! قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٤)؛ ولكنك قد كفرت بقولك. «إنا قد رجّعنا كفاراً»، فتب إلى الله. فشاور عبيدة في ذلك، فقال له: إن ثبت لم يقبلوا منك، فقل: إنّي استغفمت فقلت: «أرجعتم بعدي كفاراً؟» فقال لهم ذلك، فقبلوا منه، فرجع إلى منزله.

(١) بهتوني: قالوا على ما لم أفعل.

(٢) سورة النور ١١ - ٢٠.

(٣) ثبّتاً؛ بالتحريك؛ أي حجة.

(٤) سورة هود ٦.

[عبد ربّه الصغير]

ومنهم عبد ربّه الصغير ، أحد موالى قيس بن ثعلبة .
 لما^(١) اختلفت الخوارج على قطريّ بايعه منهم جمع كثير ، وكان قطريّ قد عزم على أن
 يبائع للمعطر العبدى ، ويخلع نفسه ، فجعله أمير الجيش فى الحرب قبل أن يهدّ إليه بالخلافة ،
 فسكره القوم وأبوّه ، وقال صالح بن خرقا عنهم وعن نفسه : ابغ لنا غير المعطر ، فقال
 لهم قطريّ : إني أرى طول العهد قد غيركم ، وأنتم بصدد عدوّ ، فاتقوا الله وأقبلوا على
 شأنكم ، واستعدّوا للقاء القوم ؛ فقال صالح : إن الناس قبلنا قد سألوأ عثمان بن عفان أن
 يعزل سعيد بن العاصى عنهم ففعل . ويجب على الإمام أن يُعفى الرعية مما كرهت . فأبى
 قطريّ أن يعزل المعطر ، فقال له القوم : فإننا قد خلعتك وبايعنا عبد ربّه الصغير . وكان
 عبد ربّه هذا معلّم كُتّاب ، وكان عبد ربّه الكبير بائع رمان : وكلاهما من موالى قيس
 ابن ثعلبة . فانفصل إلى عبد ربّه الصغير أكثر من شطّرم : وجلّهم للموالى والعجم ،
 وكان منهم هناك ثمانية آلاف وهم القراء ، ثم ندم صالح بن خرقا ، وقال لقطريّ : هذه
 نفخة من نفخات الشيطان فأعفنا من المعطر ، وسير بنا إلى عدونا وعدوك ،
 فأبى قطريّ إلا للمعطر ، وحمل فتى من الشراة على صالح بن خرقا ، فطعمه فأنفذه ،
 وأوجره الرمح^(٢) .

فنشبت الحرب بينهم ، فهابجوا . ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم ، فلما كان الغد
 اجتمعوا ، فاقتتلوا ، فأجلّت الحرب عن ألفى قتيل ، فلما كان الغد عاودوا الحرب ، فلم ينتصف
 النهار حتى أخرجت العجم العرب عن المدينة ، فأقام عبد ربّه بها ، وصار قطريّ خارجاً من

(١) الكامل ٣ : ٣٩٢ وما بعدها .

(٢) قال اللبرد : « ومعنى أوجره الرمح طمسه وترك الرمح فيه ؛ قال عنترة :

وآخرَ منهم أوجرت رُمحى وفى البجلىّ معبلةٌ وقيعُ

مدينة جبرفت بإزائهم ، فقال له عبدة بن هلال : يا أمير المؤمنين ، إن أقت لم آمن هذه العبيد عليك ؛ إلا أن تخندق على نفسك ؛ تخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم ، وارتحل المهلب ، وكان منهم على ليلة ، ورسول الحجاج معه يستحثه ، فقال له : أصلح الله الأمير ! عاجلهم قبل أن يصطلحوا ، فقال المهلب : إنهم لن يصطلحوا ؛ ولكن دعهم فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفليحون معها ، ثم دس رجلا من أصحابه ، فقال : ائت عسكر قطري ، فقل : إني لم أزل أرى قطرياً يصيب الرأي ؛ حتى نزل منزله هذا ، فظهر خطؤه : أقيم بين المهلب وعبدة ربه ، يفاديه القتال هذا ، ويراوحه هذا ! فتمى الكلام إلى قطري ، فقال : صدق : تنحوا بنا عن هذا الموضع ، فإن اتبعنا المهلب قاتلناه ، وإن أقام على عبدة رأيتم فيه ماتحبون .

فقال له الصلت بن مرة : يا أمير المؤمنين ، إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم ، وإن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ، ثم قال :

قُلْ لِلجَلِيلِينَ	قد قَرَّتْ عيُونُكُمْ	بفرقة القوم والبغضاء والهربِ
كنا أناساً	على دين فقيرنا	طول الجِدَالِ وخطُ الجِدَالِ
ما كان أغنى	رجالا قَلَّ جيشهم ^(١)	عن الجِدَالِ وأغنام عن الخطبِ
إني لأهونكم	في الأرض مضطرباً	مالى سوى فرسي والرُّمَح من نَشَبِ

ثم قال : أصبح المهلب يرجو ممّا ما كنا نطمع منه فيه .

وارتحل قطري ، وبلغ ذلك المهلب ، فقال لهُزَيْم بن أَبِي طَحْمة الجاشعي : إني لا آمن أن يكون كاذباً بترك موضعه ، اذهب فتعرف الخبر ، فضى لهُزَيْم في اثني عشر فارساً ، فلم يرَ في المعسكر إلا عبداً وعِليجاً مريضين ، فسألهما عن قطري وأصحابه ، فقالا :

(١) السكامل : « ضل سعيهم » .

مضوا یرتادون غیر هذا المنزل ؛ فرجع هُزیم إلى المهلب ، فأخبره ، فارتحل حتى نزل خندق قطری ، فجعل یقاتل عبد ربّه أحياناً بالقداء ، وأحياناً بالعِشی ، فقال رجل من سدّوس ، یقال له المعتق ، وكان فارساً :

لیت الحرائرَ بالعراق شهیدننا ورأیننا بالسفح ذی الأجبال

فکفحن أهل الجدّة من فرساننا^(١) والضاریین بحاجم الأبطال

ووجه المهلب یزید ابنه إلى الحجاج یخبره بأنه قد نزل منزل قطری ، وأنه مقيم على عبد ربّه ، ویسأله أن یوجّه فی أثر قطری رجلاً جَلداً . فسرّ بذلك الحجاج سروراً أظهره . ثم كتب إلى المهلب یستحثّه لمناجزة القوم مع عبيد بن موهب :

أما بعد ؛ فإنک تراخى عن الحرب حتى تأتیک رُسُلُی فیرجعون بمذّرك ؛ وذلك أنک تُمسک حتى تبرأ الجراح ، وتُنسى القتلى ، وتُحملَ الکال^(٢) ثم تلقاهم ، فتجعل منهم ثقل ما یحتملون منك من وحشة القتل ، وألم الجراح ، ولو کنت تلقاهم بذلك الجدّ لکان الداء قد حُسم ، والقرن^(٣) قد قُصم ؛ ولعمری ما أنت والقوم سواء ، لأنّ من ورائک رجلاً ، وأمامک أموالاً ؛ وليس للقوم إلا مانعده ، ولا یُدّرک الوجیف^(٤) بالديب ، ولا الظفر بالنعذیر .

فلما ورد علیه الکتاب ، قال لأصحابه : یاقوم إن الله قد أراحکم من أمور أربعة : قطری بن النجاء ، وصالح بن خرق ، وعبيدة بن هلال ، وسعد بن الطلائع ؛ وإنما بین أیدیکم عبد ربّه الصغیر فی خُشار من خُشار^(٥) الشیطان ؛ تقتلونهم إن شاء الله تعالى .

(١) الکامل : « أهل الجزء » ؛ والجزء : الفناء والکفاية فی الحرب .

(٢) الکامل : « ویمج الناس » .

(٣) قصم القرن ؛ أى کسر ؛ یکنى بذلك عن هلاک القوم .

(٤) الوجیف : ضرب من السیر السریع .

(٥) الحُشار : الردى . ومالا خیر فیهِ .

فكانوا يتفادون القتال ويتراوون ، فتصيبهم الجراح ، ثم يحتاجون ؛ فكانما
انصرفوا عن مجلس كانوا يتحدثون فيه ؛ يضحك بعضهم إلى بعض ؛ فقال عبيد بن موهب
للمهلب : قد بان عذرُك ، فاكُتِبْ فإني مخبرُ الأمير .

فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ؛ فإني لم أعطِ رُسُلَكَ على قول الحقِّ أجرا ، ولم أحتجْ منهم عن المشاهدة
إلى تلقين . ذكرتُ أني أجيءُ القومَ ؛ ولابدُّ من وقتٍ راحةٍ يستريح فيه الغالب ، ويحتال
فيه المغلوب . وذكرتُ أن في الجمام ما ينسى القتلى ، وتبرا [منه] ^(١) الجراح ، وهيهات
أن يُنسى ما بيننا وبينهم ؛ أتأبى ذلك قَتْلِي لم تُجَنِّ ^(٢) ، وقُروح لم تتقَرَف ^(٣) ، ونحن والقوم
على حالة ، وهم يرقبون مِنَّا حالاتٍ ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملّوا وقفوا ، وإن يسوا
انصرفوا . وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحترز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن
تركنتي والرأي ، كان القرنُ مقصوما ، والداه ياذن الله محسوما ، وإن أهملتني لم أملك
ولم أعصيك ، وجعلتُ وجهي إلى بابك ، وأعوذ بالله من سَخَطِ الله ومَقَتِ الناس .

قال : ولما اشتدَّ الحصار على عَبدِ ربِّه ، قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى مَنْ ذهب
عنكم من الرجال ؛ فإنَّ المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلم إذا صحَّ توحيدُه
عزَّ ربُّه ؛ وقد أراحكم الله من غِلظةِ قَطَرِي ، ومجلةِ صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط
عبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائركم ؛ فالقوا عدوكم بصبر وثبة ؛ وانتقلوا عن منزلكم
هذا ، فمن قُتل منكم قتل شهيدا ، ومن سَلِمَ من القتل فهو المحروم .

(١) من الكامل .

(٢) لم تجن : لم تدفن في الجنن ؛ وهو القبر

(٣) لم تتقرف : لم تتقشر .

قال : وورد في ذلك الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي من عند الحجاج ، يستحثه بالقتال، ومعه أمينان ، فقال للمهلب : خالفت وصية الأمير، وآثرت للدأفة والمطاولة . فقال له المهلب : والله ما تركت جهدا .

فلما كان العشي خرجت الأزارقة ، وقد حملوا حريمهم وأموالهم ، وخيف^(١) متاعهم لينتقلوا ؛ فقال المهلب لأصحابه : الزموا مصافكم ، وأشرعوا^(٢) رماحكم ، ودعهم والذهاب ؛ فقال له عبيدة بن أبي ربيعة : هذا لعمرى أيسر عليك . ففضب وقال للناس : ردوهم عن وجههم ، وقال لبنيه : تفرقوا في الناس ؛ وقال لعبيدة بن أبي ربيعة : كن مع [يزيد، نخذه بالحاربة أشد الأخذ؛ وقال لأحد الأمينين : كن مع]^(٣) المنيرة، ولا تترخص له في الفتور .

فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى عُقرت الخيل^(٤) ، وصُرع الفرسان ، وقُتِلَت الرِجَالُ^(٥) ؛ وجعلت الخوارج تقاتل عن القُدَح^(٦) يؤخذ منها ، والسَّوْط والعَلَف والحشيش^(٧) أشد قتال .

وسقط رمح لرجل من مُراد ، من الخوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل ؛ وذلك مع المغرب ، والمرادى يرتجز ، ويقول :
الليل ليل فيه ويلٌ ويلٌ قَدْ سَالَ بالقوم الشَّرَاءُ السَّيْلُ
* إن جاز للأعداء فينا قَوْلُ *

(١) الحف ، بالكسر : الخفيف ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* يزل الغلام الحف عن صهواتها *

(٢) أشرع الرمح : رفعه .

(٣) من الكامل .

(٤) الكامل : « الدواب » .

(٥) الكامل : « الرجال » .

(٦) الكامل « على القدح » .

(٧) الكامل : « والعلق الحشيش » .

فلما عظم الخطب في ذلك ^(١) الرمح بعث المهلب إلى المغيرة : خَلِّ لِمَنْ عَنِ الرَّمْحِ ؛
عليهم لعنة الله ! فَنَقَلُوا لَهُمْ عَنْهُ ، وَمَضَتْ الْخَوَارِجُ ، فَنَزَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ مِنْ
جَبْرِفَتْ ، فَدَخَلَهَا الْمُهَلَّبُ ، وَأَمَرَ بِمَجْمَعٍ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَتَاعٍ ، وَمَا خَلَفُوهُ مِنْ دَقِيقٍ ، وَجَمَّ
عَلَيْهِ هُوَ وَالثَّقَفِيُّ وَالْأَمِينَانِ ، ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ نَزَلُوا عَلَى مَاءٍ وَعَيْنٌ لَا يَشْرَبُ مِنْهَا
أَحَدٌ إِلَّا قَوًى ^(٢) ، يَأْتِي الرَّجُلُ بِالْأُلُوِّ قَدْ شَدَّهَا فِي طَرَفِ رِمْحِهِ فَيَسْتَقِي بِهَا ، وَهَنَّاكَ قَرْيَةً فِيهَا
أَهْلُهَا ، فَفَسَادَاهُمُ الْقِتَالُ ، وَضَمَّ الثَّقَفِيُّ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ ، وَأَحَدَ الْأَمِينِينَ إِلَى الْمَغِيرَةِ ، فَاقْتَتَلَ
الْقَوْمَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَبِي عُلْقَمَةَ الْعَبْدِيِّ - وَكَانَ شَجَاعًا ، وَكَانَ عَانِيًا هَازِلًا - : أَمَدِدُنَا يَا أَبَا عُلْقَمَةَ
بِخَيْلِ الْيَحْمَدِ ، وَقُلْ لَهُمْ : فَلْيَمِيرُوا نَا جَمَاعَهُمْ سَاعَةً ؛ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ جَمَاعَهُمْ لَيْسَتْ
بِفَخَارٍ فَتَعَارَ ، وَلَا أَعْنَاقَهُمْ كَرَادِي ^(٣) فَتَنْبِت .

وَقَالَ : الْحَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ : كَرَّرَ عَلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ :
يَقُولُ لِيَ الْأَمِيرُ بَغِيرَ عِلْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِهِ لِلرَّاسِ
فَقَالِي إِنْ أَطْعَمْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَالِي غَيْرَ هَذَا الرَّأْسِ رَأْسُ ^(٤)
وَقَالَ لِمَنْعَنِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ : احْمِلْ ، فَقَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَزَوِّجَنِي ابْنَتَكَ أَمْ مَالَكَ ،
فَقَالَ : قَدْ زَوَّجْتُكَ ، نَحْمِلُ عَلَى الْخَوَارِجِ فَكَشَفَهُمْ ، وَطَعَنَ فِيهِمْ ، وَقَالَ :
لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْحَيَاةَ بِمَالٍ مَلَكَةً كَانَ عِنْدَنَا قَيْرَانًا ^(٥)

(١) الكامل : « فِيهِ » .

(٢) الكامل : « عَلَى عَيْنٍ لَا يَشْرَبُ مِنْهَا إِلَّا قَوًى » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « كَرَاث » ، وَصَوَابُهُ مِنَ الْكَامِلِ ؛ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : « تَقُولُ الْعَرَبُ
لِأَعْدَائِكَ الْخَلَّ كَرَادٍ ؛ وَهُوَ فَارِسِيٌّ عَرَبِيٌّ » .

(٤) فِي الْكَامِلِ : نَصَبٌ « غَيْرَ » ، لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ .

(٥) رَوَايَةُ الْكَامِلِ :

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْغَدَاةَ بِمَالٍ هَلَكَةُ الْيَوْمِ عِنْدَنَا قَيْرَانًا
(١٤ - نَهْج - ٤)

فَصِلُ الْكَرَّ عِنْدَ ذَاكَ بَطْنِي إِنْ لَوْتُ عَنْدَنَا الْوَا
قوله : « مَلَكَةٌ » ، أى تزويجا ونكاحا .

قال : ثم جال الناس جولةً عند حَمَلَةٍ حَمَلَهَا عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ ، فَالْتَفَتَ الْمُهَلَّبُ ، فَقَالَ
لِلْمَغِيرَةِ ابْنَةِ : مَا فَعَلَ الْأَمِينُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ ؟ قَالَ : قُتِلَ وَهَرَبَ الثَّقَفِيُّ ، فَقَالَ لِيَزِيدَ :
مَا فَعَلَ عُيَيْدُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرَهُ مِنْذُ كَانَتْ الْجَوْلَةُ ، فَقَالَ الْأَمِينُ الْآخِرُ لِلْمَغِيرَةِ : أَنْتِ
قَتَلْتِ صَاحِبِي ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ رَجَعَ الثَّقَفِيُّ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي طَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ :

مَا زِلْتَ يَا ثَقَفِي تَخْطُبُ بَيْنَنَا . وَنُعْمُنَا بِوَصِيَّةِ الْحِجَاكِ
حَتَّى إِذَا مَا لَوْتُ أَقْبَلَ زَاخِرًا وَسَقَى لَنَا صِرْفًا بَغِيرَ مِزَاجِ
وَلَيْتَ يَا ثَقَفِي غَيْرَ مَنَاطِرٍ تَنَسَّبَ بَيْنَ أَحْزَمَةٍ وَفَجَاجٍ (١)
لَيْسَتْ مَقَارَعَةُ الْكُفَاءِ لَدَى الْوَغَى شُرْبَ الْمُدَامَةِ فِي إِنْاءِ زُجَاجٍ

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِلْأَمِينِ الْآخِرِ : يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَجَّهَ مَعَ ابْنِي حَبِيبٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ؛ حَتَّى
تَبَيَّنَتْ أَعْسَكُرُهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَرِيدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِلَّا أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا فَعَلْتَ بِصَاحِبِي ! فَضَحَكَ
لِلْمُهَلَّبِ ، وَقَالَ : ذَاكَ إِلَيْكَ . وَلَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ خَنَاقٌ ، فَكَانَ كُلُّ حَذِرًا مِنْ صَاحِبِهِ ؛ غَيْرَ
أَنَّ الطَّعَامَ وَالْمُدَّةَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ؛ وَهُوَ فِي زُهَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَشْرَفَ عَلَى وَادٍ فَإِذَا
هُوَ بِرَجُلٍ مَعَهُ رِمَحٌ مَكْسُورٌ مَخْضُوبٌ بِالدَّمِ ؛ وَهُوَ يَنْشُدُ :

وَأِنِّي لَأُغْنِي ذَا الْخِمَارِ وَصَنْعَتِي إِذَا رَاحَ أَطَوَاءُ بَنِي الْأَصَاغِرِ (٢)

(١) قَالَ الْمُبَرِّدُ . « قَوْلُهُ : « بَيْنَ أَحْزَمَةٍ » ، هُوَ جَمْعُ حَزِيزٍ ؛ وَهُوَ مَتْنٌ يَنْقَادُ مِنَ الْأَرْضِ وَيُفْلِظُ ،
وَالْفَجَاجُ : الطَّرْقُ ، وَاحِدُهُمَا فَج .
(٢) قَالَ الْمُبَرِّدُ : « قَوْلُهُ : « ذُو الْخِمَارِ » ، يَعْنِي فَرَسًا ، وَكَانَ ذُو الْخِمَارِ فَرَسٌ مَالِكُ بْنُ نُوبِرَةَ ؛ قَالَ
جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

يَبْرُ بَرِيعُ فَخَرْتُ وَآلَ سَعْدٍ فَلَا مَجْدِي بَلَقَتْ وَلَا افْتِخَارِي
يَبْرُ بَرِيعُ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ يَوَارِي شَمْسَهُ رَهْجُ الْفَبَارِ
عُتَيْبَةُ وَالْأَحْمِيرُ وَأَبْنُ عَمْرِو وَعَقَابُ وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ =

أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيَغْبُقَ دُونَهُمْ وَأَعْلَمَ غَيْرَ الظَّنِّ إِنِّي مَفَاوِرُ
كَأَنِّي وَأَبْدَانِ السَّلَاحِ عَشِيَّةَ يَمَرٍ بِنَا فِي بَطْنٍ فَيَحَانُ طَائِرٌ^(١)

فقال له : أتميمي أنت ؟ قال : نعم ، قال : أحتظلي ؟ قال : نعم ، قال : أيربوعي ؟ قال :
نعم ، قال : أمين آل نؤيرة ؟ قال : نعم ، أنا ولد مالك بن نؤيرة ؟ قال : قد عرفتكَ بالشعر .
قال أبو العباس : وذو الخمار فرس مالك بن نؤيرة .

قال : فكثروا أياما يتحاربون^(٢) ودواهم مسرجة ، ولا خنادق لهم ؛ حتى ضَعُفَ
الفريقان ؛ فلما كان الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها عَبْدُ رَبِّهِ ، جمع أصحابه ، فقال : يامعشرَ
المهاجرين ؛ إن قَطَرَ يَأْوُعُ عِيْدَةَ هَرَبًا طَلِبًا لِلْبَقَاءِ ، ولا سَبِيلَ إِلَى الْبَقَاءِ ، فَالْقَوَّاعِدُ وَكَمْ غَدَاً ،
فإن غلبوكم على الحياة ، فلا يَفْلِحَنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ؛ فَتَقَلَّوْا الرِّمَاحَ بِنَحْوِ رُكْمٍ ، وَالسِّيُوفَ
بِوُجُوهِكُمْ ، وَهَبُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا يَهْبِهَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

فلما أصبحوا ، غَادَوْا الْمُهَلَّبَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أَنْسَى مَا كَانَ قَبْلَهُ ؛ وَقَالَ رَجُلٌ
مِنَ الْأَزْدِ ، مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ : مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ ؟ فَبَايَعَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ ،
فَصُرَّعَ بَعْضُهُمْ ، وَقَتِلَ بَعْضُهُمْ ، وَجَرَحَ بَعْضُهُمْ .

== وقوله : « أطواء » ؛ يقال : رجل طوى البطن ؛ أى منطو ؛ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه
وهم جياع ؛ وذلك قوله :

* أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيَغْبُقَ دُونَهُمْ *

والغبوق : شرب آخر النهار ؛ وهو شئ تفتخر به العرب « ، والاهنه : الطعام الذى يتعمل به قبل
الغداء ؛ وفى الكامل :

جَزَانِي دِيَاوَانِي ذُو الْخِمَارِ وَصَنَعَتِي إِذَا بَاتَ أَطْوَاءُ بَنَى الْأَصَاغِرُ

قال المرسى : دِوَانِي ، بالكسر : مصدر دوى الفرس مداواة : سقاه اللبن ، وصنعتة الفرس : حسن
القيام عليه .

(١) أبدان السلاح : جمع بدن ؛ وهو الدرع القصيرة ، وفيحان : موضع أو وادى بنى أسد .

(٢) الكامل : « يتحاربون » .

وقال عبدالله بن رزام الحارثي للمهلب: احمِلوا ، فقال المهلب: أعرابي مجنون - وكان من أهل تَجْران - فحمل وحده ؛ فاخترق القوم حتى خرج من ناحية [أخرى] ؛ ثم كرّ ثانية ففعل فعلته الأولى ، وتهايج الناس ، فترجّلت الخوارج ، وعَقَرُوا دوابهم ، فناداهم عمرو القنّا - ولم يترجل هو ولا أصحابه^(٢) ، وهم زهاء أربعمائة - فقال : موتوا على ظهور دوابكم كما كراما ، ولا تعقروها ، فقالوا : إنّا إذا كُنّا على الدواب ذكرنا الفرار ، [فاقْتتلوا]^(٣) ، ونادى المهلب بأصحابه : الأرض - الأرض - وقال لبنيه : تفرّقوا في الناس ليروا وجوهكم ، ونادت الخوارج : ألا إن العيال لمن غلب ؛ فصبر بنو المهلب ؛^(٤) وقاتل يزيد بين يدي أبيه قتالا شديدا^(٥) ، أبلى فيه ، فقال له أبوه : يا بني ، إني أرى موطنا لا ينجو فيه إلا من صَبَرَ ، وما مرّ بي يوم مثل هذا منذ مارستُ الحروب .

وكسرت الخوارج أجفان سيوفها ، وتجاوّلوا ، فأجلت جوثهم عن عبد ربه مقتولا . فهرب عمرو القنّا وأصحابه ، واستأمن قوم ، وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح من الخوارج ومأسور ، وأمر المهلب أن يُدفع كل جريح إلى عشيرته ، وظفر بعسكرهم ، فحوى مافيه ، ثم انصرف إلى جِيفَت ، فقال : الحمد لله الذي ردّنا إلى الخفض والدعة . فما كان عيشنا ذلك العيش^(٥) .

ثم نظر المهلب إلى قوم في عسكره ولم يعرفهم ، فقال : ما أشد عادة السلاح^(٦) ! أنا ولني درعى ، فلبسها ، ثم قال : خذوا هؤلاء ؛ فلما صيّرهم إليه ، قال : ما أنتم ؟ قالوا : جئنا لنطلب غيرتك للفتك^(٧) بك . فأمر بهم فقتلوا .

(١) من الكامل .

(٢) الكامل : « هو وأصحابه » .

(٣) من الكامل .

(٤ - ٤) الكامل : « وصبر يزيد بين يدي أبيه ، وقاتل قتالا شديدا » .

(٥) الكامل : « فما كان عيشنا بعيش » .

(٦) وكذا في الكامل ، ويرى السيد جاسم أن الأنسب : « ما أشد عادة لبس السلاح » .

(٧) الكامل : « لفتك بك » .

[طُرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْمُهَلَّبِ وَبَنِيهِ]

ووجه كعب بن معدان الأشقرى^(١) ومرة بن بليد الأزدي ، فوردوا على الحجاج ، فلما طلعا عليه ، تقدم كعب فأنشده^(٢) :

* يَا حَفْصُ إِنِّي عِدَائِي عَنْكُمْ التَّفَرُّ^(٣) *

فقال الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ قال : شاعر ؛ فأنشده القصيدة ؛ فأقبل عليه الحجاج ، وقال : خبّرني عن بني المهلب ، قال : المغيرة سيدهم وفارسهم ، وكفي بيزيد فارسا شجاعا !

(١) الأشقرى : منسوب إلى الأشقر ؛ بطن في الأزدي .
(٢) قصيدة طويلة ؛ يذكر فيها يوم رامهرمز وأيام سابور وجرفت ، وأوردتها الطبري في تاريخه .
(٣) وبقيته : ١٠٤ : ٦

* وَقَدْ أَرَقْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ *

ومنها :

عَلَّقْتَ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً	والشيبُ فيه عن الأهواء مُزْدَجِرٌ
أُمْسِكُ أَنْتَ عَنْهَا بِالَّذِي عَهَدْتَ	أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مِنْبَرٌ
عَلَّقْتَ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّافِ مَنْزِلُهَا	فِي غُرْفَةٍ دُونَهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجَرُ
دُرْمًا مَقَاكِ رِيًّا مَا كَيْهَهَا	تَكَادُ إِذْ نَهَضَتْ لِلشَّيْءِ تَلْبِيْرُ
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطِّ الزَّابِيَيْنِ لَهَا	دَارًا بِهَا يَسْعُدُ الْبَادُونَ وَالْخَضِرُ
وَاخْتَرْتُ دَارًا سَهَا حَتَّى أَسْرُ بِهِمْ	مَازَالَ فِيهِمْ لِمَنْ تَحْتَارُهُمْ خَيْرُ
لَمَّا نَبْتُ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا	وَطَالِبِ الْخَيْرِ مَرْتَادٌ وَمُنْتَظِرُ
أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا	أَرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسَّنِي الضَّرَرُ
لَوْلَا الْمُهَلَّبُ مَازَرْنَا بِلَادَهُمْ	مَادَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
فَإِنْ الْبَاسِ مِنْ حَتَّى عَلِمْتُهُمْ	إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَيِّئِكُمْ أَثَرُ

وجوادهم وسخيتهم قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبد الملك سم نافع ، وحبيب موت ذعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفالك بالفضل تجدة ا فقال له : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلقتهم بخير ، قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا حمة السرح فإذا ألبوا ففرسان التيات ، قال : فأيتهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة ، لا يدرى [أين] طرفاها ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال : كنا إذا أخذنا عفونا وإذا أخذوا يئسنا منهم ؛ وإذا اجتهدنا واجتهدوا طمعنا فيهم . قال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، فكيف أفلتكم قطري ؟ قال : ^(٢) كدناه وظن أن قد كادنا ، بأن صرنا منه إلى التي نحب ^(٣) . قال : فهل اتبعتموه ؟ قال : كان حرب الحاضر آثر عندنا من اتباع الفل ^(٤) ، قال : فكيف كان المهلب لكم وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد ، وله منا بر الولد ، قال : فكيف كان اغتباط الناس به ؟ قال : نشأ ^(٥) فيهم الأمن ، وشملهم النفل ^(٦) ، قال : أكنت أعددت [لي] ^(٧) هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : هكذا والله تكون الرجال المهلب كان أعلم بذلك حيث بعثك .

هذه رواية أبي العباس ^(٧) .

وروى أبو الفرج في الأغاني ^(٨) أن كعبا لما أوفده المهلب إلى الحجاج أنشده قصيدته

التي أولها :

-
- (١) من الكامل .
 (٢ - ٢) الكامل : « كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرنا منه إلى التي نحب » .
 (٣) الكامل : « كان الحد عندنا آثر من الفل »
 (٤) الكامل : « نشأ » .
 (٥) النفل : النعمة .
 (٦) من الكامل .
 (٧) الكامل ٦٩٥ (طبع أوروبا) .
 (٨) الأغاني الجزء الرابع عشر ٢٨٤ - ٢٨٥ (طبعة الدار) .

بِأَحْفَصُ إِلَى عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ وقد سهرتُ وَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ^(١)
يذكر فيها حروبَ المهلب مع الخوارج ، ويصف وقائمه فيهم في بلد ؛ وهي طويلة ،
ومن جملتها^(٢) :

كنا نهون قبل اليوم شأنهم	حتى تفاقم أمرُ كان يُحتقر ^(٣)
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَالُوا بِسَاحَتِنَا	واستنفر الناسُ تاراتٍ فما فَرَّوْا ^(٤)
نَادَى امرؤٌ لا خلافٌ في عَشِيرَتِهِ	عنه ، وَلَيْسَ بِهِ عن مثله قِصَرُ
خَبُّوا كَيْفَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا	بِكَازِرُونَ فما عَزَّوْا ولا نَصَرُوا ^(٥)
بَاتَتْ كِتَابِنَا تَرْدِي مُسَوِّمَةً	حَوْلَ المهلب حتى نَوَّرَ القَمَرُ ^(٦)
هُنَاكَ وَلَوْ خَزَايا بَعْدَ مَا هَزَمُوا	وحال دونهمُ الأنهارُ والجُدُرُ
تَأْبَى عَلَيْنَا حَزَايَاتُ النُّفُوسِ فَمَا	نُبْقَى عَلَيْهِمْ ولا يُبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا

فضحك الحجاج ، وقال : إِنَّكَ لَمَنْصِفٌ يَا كَعْبُ ، ثم قال له : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كنا إِذَا لَقِينَا بِمَعْفُونَا وَعَقُومٍ يَتَسَنَّأُ^(٧) منهم ، وَإِذَا لَقِينَا بِمُجِدَّنَا وَجِدِّهِمْ^(٨) طَمِعْنَا فِيهِمْ . قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حماة الحرِّيمِ نَهَارًا ، وَفُرسَانُ اللَّيْلِ تَيْقِظًا^(٩) ؛ قال : فأين السَّماعُ من العيان ؟ قال : السماعُ دون العيان ، قال :

(١) عداه عن الأمر : صرفه عنه .

(٢) قال أبو الفرج بعد أن أورد أبيانا منها : « وهي قصيدة طويلة ؛ قد ذكرها الرواة في الخبر ؛ فتركت ذكرها لطولها ؛ يقول فيها . . . » وأورد الأبيات .

(٣) في الأغاني قل هذا البيت :

فَمَا يَجَاوِزُ بَابَ الْجَسْرِ مِنْ أَحَدٍ قَدْ عَصَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحِرُوا

(٤) استنفر الناس : استنجدهم .

(٥) في الطبري ، « عبوا جنودهم » .

(٦) الكنية : جماعة الخيل ، وتردى : تضرب الأرض بحوافرها .

(٧) الأغاني : « ففهم تأيس لهم » .

(٨) الأغاني . « بجهدنا وجهدم » .

(٩) الأغاني : « أيقظا » .

صفهم لى رجلا رجلا . قال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة^(١) عالية .
وكفى بيزيد فارسا شجاعا ! ليث غاب ، وبجر جَم العُباب . وجوادهم قبيصة ، ليث
المغار ، وحامى الذمار ؛ ولا يستحى الشجاع أن يفر من مُدرك ؛ وكيف لا يفر من
مدرك ، وكيف لا يفر من الموت الحاضر ، والأسد الخادر^(٢) ! وعبد الملك سم ناعم ،
وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الذعاف^(٣) ، طود شامخ ، وبجر باذخ^(٤) ؛ وأبو عينة
البطل الهام ، والسيف الحسام ؛ وكفالك بالفضل نبذة ، ليث هذار وبجر مَوَاز^(٥) ! ومحمد
ليث غاب ، وحسام ضراب . قال : فأيتهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرغة لا يعرف
طرفاها^(٦) ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أرضاهم العدل ، وأغناهم
النقل . قال : فكيف رضاهم بالمهلب ؟ قال : أحسن رضا ، لا يعدمون^(٧) منه إشفاق
الوالد ، ولا يعدم منهم برّ الولد^(٨) . وذكر تمام الحديث .

وقال : إن الحجاج أمر له بعشرين ألف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على
عبد الملك ؛ فأمر له بعشرين ألفا أخرى .

قال أبو الفرج : وكعب^(٨) الأشقرى من شعراء المهلب ومادحيه ؛ وهو شاعر
مجيد . قال عبد الملك بن مروان للشعراء^(٩) : تُشبهوننى مرةً بالأسد ، ومرةً بالبازى ،
ألا قلت كما قال كعب الأشقرى للمهلب وولده :

بِرَّكَ اللهُ حِينَ بَرَّكَ بِحُرّاً وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَاراً غَزَاراً

(١) ذكت النار : اشتد لها ، والصعدة : القناة المستوية ثبت كذلك .

(٢) أسد حادر : مقيم فى عرينه داخل فى الحدر .

(٣) الذعاف : السريع .

(٤) الباذخ : العالى .

(٥) موار : مضطرب .

(٦) فى الأصول : « طرفها » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٧ - ٧) الأغاني : « وكيف لا يكونون كذلك ؛ وهم لا يعدمون رضا الوالد ، ولا يعدم منهم بر الوالد »

(٨) الأغاني ١٤ : ٢٨٦ ، ٢٨٧

(٩) الأغاني : « كان يقول للشعراء » .

بَنُوكَ السَّابِقُونَ إِلَى الْمَعَالَى إِذَا مَا عَظُمَ النَّاسُ الْخِطَارَا^(١)
 كَانَهُمْ نَجُومٌ حَوْلَ بَسْدِرٍ تَكْمَلُ إِذَا تَكْمَلُ فَاسْتَدَارَا^(٢)
 مُلُوكٌ يَنْزِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ إِذَا مَا الْهَامُ يَوْمَ الرُّوْعِ ظَارَا^(٣)
 رِزَانٌ فِي الْخُطُوبِ تَرَى عَلَيْهِمُ مِنَ الشُّيْخِ الشَّمَائِلِ وَالنُّجَارَا^(٤)
 نَجُومٌ يَهْتَدَى بِهِمْ إِذَا مَا أَخُو الْغَمَرَاتِ فِي الظُّلُمَاءِ حَارَا^(٥)
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَهَذَا الشَّعْرُ مِنْ قَصِيدَةِ لَكُوبِ ، يَمْدَحُ بِهَا الْمَلْهَبَ ؛ وَيَذْكُرُ
 الْخُجُورَ^(٦) ، وَمِنْهَا :

سَلُّوا أَهْلَ الْأَبَاطِحِ مِنْ قُرَيْشٍ عَنِ الْجِدْرِ لِلْوَثْلِ أَيْنَ صَارَا^(٧)

(١) الْخُطَارُ : الْمَرَامَةُ .

(٢) الْأَغَانِي :

* دَرَارِي تَكْمَلُ فَاسْتَدَارَا *

(٣) الْهَامُ : الرَّؤْسُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « رِزَانٌ فِي الْأُمُور » ، وَالنُّجَارُ : الْحَسْبُ وَالْأَصْلُ

(٥) فِي الْأَغَانِي : « أَخُو الظُّلُمَاءِ » .

(٦) ذَكَرَ صَاحِبُ الْأَغَانِي ثَلَاثَةَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا ؛ مِمَّا فِيهِ غِنَاءُ :

طَرِبْتُ وَهَاجَ لِي ذَاكَ إِذَا كَارَا بَكْشٌ وَقَدْ أَطْلَتْ بِهِ الْحِصَارَا
 وَكُنْتُ أَلَذُّ بَعْضِ الْعَيْشِ حَتَّى كَبُرْتُ وَصَارَ لِي هَمِّي شِعَارَا
 رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ كَرِهْنَ وَصَلِي وَأَبْدَيْنَ الصَّرِيمَةَ لِي جِهَارَا
 (٧) الْأَغَانِي ١٤ : ٢٩٥ ؛ وَذَكَرَ قَبْلَهَا :

غَرِضَنْ بِمَجْلِسِي وَكَرِهْنَ وَصَلِي أَوَانَ كُسَيْتُ مِنْ شَمَطِ عِذَارَا
 زَرَيْنَ عَلَى حِينِ بَدَأَ مَشْيِي وَصَارَتْ سَاحَتِي لِلَّهِمْ دَارَا
 أَنَاثَى وَالْحَدِيثُ لَهُ نَمَاءٌ مَقَالَةٌ جَائِرٍ أَحْفَى وَجَارَا

وَذَكَرَ بَعْدَهُ :

وَمَنْ يَحْمِي الثُّغُورَ إِذَا اسْتَحَرَّتْ حُرُوبٌ لَا يَتَوْنُ لَهَا غَرَارَا

لَقَوْمُ الْأَزْدِ فِي النَّمِرَاتِ أَمْضَى وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَعَزَّ جَاراً (١)
 هُمْ قَادُوا الْجِسَادَ عَلَى وَجَاهِهَا مِنْ الْأَمْصَارِ يَقْذِفْنَ الْمِنَارَ (٢)
 إِلَى كِرْمَانَ يَحْمِلْنَ الْمَنَابِيَا بِكُلِّ نَبِيَّةٍ يُوقِدْنَ نَاراً (٣)
 شَوَازِبَ مَا أَصْبَنَا الثَّارَ حَتَّى رَدَدْنَاهَا مَكَلَمَةً مَرَاراً (٤)
 غَدَاةَ تَرْكُنَ مَضْرَعَ عَبْدٍ رَبِّ نَزَنَ عَلَيْهِ مِنْ رَهْجٍ غُبَاراً (٥)
 وَيَوْمَ الزَّخْفِ بِالْأَهْوَاِ ظَلْنَا نُزَوِّ مِنْهُمْ الْأَسَلَ الْحِرَاراً (٦)
 فَفَرَّتْ أَعْيُنُ كَانَتْ حَزِيناً قَلِيلًا نَوْمُهَا إِلَّا غِرَاراً (٧)
 وَلَوْلَا الشَّيْخُ بِالْمِصْرَيْنِ يَنْفِي عَدُوَّهُمْ لَقَدْ نَزَلُوا الدِّيَارَ (٨)
 وَلَكِنْ قَارَعَ الْأَبْطَالُ حَتَّى أَصَابُوا الْأَمْنَ وَاحْتَلَوْا الْقَرَارَ (٩)

(١) الأغاني : « لقومى الأزد » .

(٢) الوجي : الحني ، وذكر بعده :

بِكُلِّ مَفَازَةٍ وَبِكُلِّ سَهْبٍ بَسَائِسَ لَا يَرَوْنَ لَهَا مَنَاراً

(٣) الثانية : الطريق في الجبل .

(٤) مَكَلَمَةٌ : مجروحة ، وفي الأغاني : « لم يصن » ، وبعبده :

وَيَسْجُرُنَ الْعَوَالِي الشُّمْرَ حَتَّى تَرَى فِيهَا عِنَ الْأَسَلِ اَزْوَاراً

(٥) هو عبد ربه الصغير أمير الأزارقة المذكور قبلاً ؛ بعد قطري . وفي الأغاني : « يثرن عليه من رهج عصاراً » ، والمصار هو القبار .

(٦) الحرار : جمع حران ؛ وهو العطشان .

(٧) حزين ؛ فعل ، مما يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، وفي الأغاني : « حديثاً » ، وبعبده في الأغاني :

صَنَائِعُ السَّوَابِغِ وَالْمَذَاكِي وَمَنْ بِالْمِصْرِ يَحْتَلِبُ الْعِشَارَ

فَهِنْ يَبْخُنُ كُلَّ حَتَّى عَزِيزٍ وَيَحْمِينُ الْحَقَائِقَ وَالذَّمَارَ

طُولَاتُ الْمُتُونِ يُصَنَّ إِلَّا إِذَا سَارَ الْمُهَلَّبُ حَيْثُ سَارَ

(٨) المصران : البصرة والكوفة . وفي الأغاني : « تركوا الديار » .

(٩) الأغاني :

* أَصَابُوا الْأَمْنَ وَاجْتَنَبُوا الْقَرَارَ *

إِذَا وَهَنُوا وَحَلَّ بِهِمْ عَظِيمٌ يَذُوقُ الْعَظَمَ كَانَ لَمْ جُبَارَا
وَمُبْهَمَةٌ يَحِيدُ النَّاسُ عَنْهَا تَشَبَّ الْمَوْتُ شَدَّ لَهَا إِزَارَا
شِهَابٌ تَنْجَلِي الظُّلُمَاءَ عَنْهُ يَرَى فِي كُلِّ مُظْلَمَةٍ مَنَارَا^(١)
بِرَاكَ اللَّهِ حِينَ بَرَاكَ بَحْرًا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارَا

الآيات المتقدمة .

قال أبو الفرج : وحدثني^(٢) محمد بن خلف وكيع ، بإسناد ذكره ؛ أَنَّ الْحَجَّاجَ
لَمَّا كَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بِأَمْرِهِ بِمَنَاجِزَةِ الْخَوَارِجِ حِينَئِذٍ ، وَبَسْطِطِهِ ، وَبِضْعَتِهِ وَبِعِجْزِهِ مِنْ تَأْخِيرِهِ
أَمْرَهُمْ ، وَمَطَاوَلَتِهِ لَهُمْ ، قَالَ الْمُهَلَّبُ لِرَسُولِهِ قُلْ لَهُ : إِنَّمَا الْبَلَاءُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ ، لِمَنْ
يَعْرِفُهُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ نَصَبْتَنِي لِحَرْبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ - عَلَى أَنْ أُدَبِّرَهَا كَمَا أَرَى ، فَإِذَا أَمَكُنْتَنِي
فَرَصَةٌ أَنْتَهَزْتُهَا ، وَإِنْ لَمْ تَمَكِّنِّي تَوَقَّفْتُ - فَأَنَا أُدَبِّرُ ذَلِكَ بِمَا يَصْلَحُهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَعْمَلَ
بِرَأْيِكَ وَأَنَا حَاضِرٌ وَأَنْتَ غَائِبٌ - فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَلَكَ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَعَلَيَّ - فَاذْنُ
مَنْ رَأَيْتَ مَكَانِي ؛ وَكَتَبَ مِنْ فَوْرِهِ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ
إِلَى الْحَجَّاجِ : لَا تَعَارِضِ الْمُهَلَّبَ فِيمَا يَرَاهُ ، وَلَا تُعْجَلْهُ وَدَعَّهُ بِدَبْرِ أَمْرِهِ .

قال : وَقَامَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيُّ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، فَأَنشَدَهُ بِمِحْضَةِ رَسُولِ الْحَجَّاجِ :
إِنَّ ابْنَ يَوْسَفَ غَرَّهَ مِنْ أَمْرِكُمْ خَفَضُ الْمَقَامِ بِجَانِبِ الْأَمْصَارِ^(٣)
لَوْ شَدَّ هَدَى الصَّفَيْنِ حَيْثُ تَلَاقِيَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيْبَةُ الْأَفْطَارِ
مِنْ أَرْضِ سَابُورِ الْجُنُودِ وَخَيْلُنَا مِثْلُ الْقِدَاحِ بَرَيْتَهَا بِشِفَارِ

(١) الأغاني : « فِي كُلِّ مُظْلَمَةٍ » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

(٣) الأغاني : « غَرَّهَ مِنْ غَزْوِكُمْ » .

من كلِّ صنديدٍ يرى بلبانه وَقَعُ الظُّبَاةُ مع القَنَا الْخَطَّارِ^(١)
 رَأَى مُعَاوَدَةَ الرَّبَّاعِ غَنِيمَةً أَزْمَانَ كَانَتْ مُحَالَفَ الْإِقْتَارِ
 فدفع الحروب لِشَيْبِهَا وشَبَابِهَا وعليك كلِّ غريرةٍ مِعْطَارِ^(٢)
 فبلغت أربابهُ الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ،
 فأعلم [المهلب]^(٣) كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من ليلته ، وكتب إليه يستوهبه منه ؛
 فقدم كعب على عبد الملك برسالة المهلب ، فاستنطقه فأعجبه ، وأوفده إلى الحجاج ؛ وكتب
 إليه يُقسم عليه أن يصفح ، ويعفو عما بلغه من شعره ؛ فلما دخل قال : إيه يا كعب !
 * رَأَى مُعَاوَدَةَ الرَّبَّاعِ غَنِيمَةً *

فقال : أيها الأمير ، والله لوددتُ في بعض ما شاهدته من تلك الحروب ، وما أوردناه
 المهلب^(٤) من خطرها ، أنْ أنجُوَ منها وأكون حجاجاً أو حائكاً ، قال : أوتى لك !
 لولا قَسَمُ أمير المؤمنين ما نفعك ما تقول ؛ الحقُّ بصاحبك ؛ وردّه إلى المهلب^(٥) .

قال أبو العباس : وكان^(٦) كتاب المهلب إلى الحجاج ، الذي بشره فيه
 بالظفر والنصر :

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]^(٧) ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ مَسَاوَاهُ ، الْحَاكِمُ بِأَلَا
 يَنْقُطِعُ الْمَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى يَنْقُطَعَ الشُّكْرُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ أَمَا بَعْدُ :

-
- (١) اللبان هنا : الصدر ، والظبابة : جمع طبة ؛ وهي حد السيف . ورمح خطار : ذو اهتزاز شديد .
 (٢) امرأة معطار : اعتادت أن تتمهد نفسها بالطيب وتكثر منه .
 (٣) من الأغاني .
 (٤) الأغاني : « يوردناه » .
 (٥) الأغاني : « من وقته » .
 (٦) الكامل ٣ : ٤٠٤ وما بعدها (طبعة نهضة مصر) .
 (٧) من الكامل .

فقد كان من أمرنا ما قد بلغك ، وكُنَّا نَحْنُ وعدُّونا على حالين مختلفين ، يَسْرَتَا منهم أ كثر مما يسوءنا ، ويسوءهم مِنَّا أ كثر مما يسرَّهم ، على اشتداد شوكتهم ؛ فقد كان علا أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ، ونوِّم به الرضيع ، فانتَهزتُ الفرصة منهم في وقت إمكانها ؛ وأدْنَيْتُ السَّوَادَ من ^(١) السَّوَادِ ، حتى تمارفت الوجوه ؛ فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله ، فَقَطَّعَ دَابِرُ القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .
فكتب إليه الحاجاج :

أما بعد ؛ فقد فعل الله بالمسلمين خَيْرًا ، وأراحهم من بأسِ الجِلاَدِ ، وثَقَلَ الجِهادَ ؛ ولقد كنت أعلم بما قَبَلَكَ ؛ فالحمْدُ لله رب العالمين ؛ فإذا وَرَدَ عليك كتابي فاقْسِمِ في المجاهدين فيهم ، وَنَقِّلْ ^(٢) الناس على قدرِ بلائهم ، وَفَضِّلْ مَنْ رَأَيْتَ تَفْضِيلَهُ ؛ وإن كانت بقيت من القوم بقية تخلف خيلا تقوم بإزائهم ، واستعمل على كِرْمَانِ مَنْ رَأَيْتَ ، وَوَلِّ الخليل شَهْمًا من ولدك ، ولا ترخص لأحدٍ في اللحاق بمنزله دون أن تَقْدُمَ بهم على ، ومجمل القدوم إن شاء الله .

فوقى المهلب يزيد ابنه كِرْمَانَ ، وقال له : يا بني ، إِنَّكَ اليومَ لست كما كنت ؛ إنما لك من كِرْمَانَ ما فَضَّلَ عنِ الحِجَّاجِ ؛ ولن تحتل إلا على ما احتمل عليه أبوك ، فأحسِنْ إلى مَنْ تبعك ؛ وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجهه إلى ، وتفضل على قومك ، [إن شاء الله] ^(٣)

(١) أي قربت ما بين الفريقين .

(٢) قال المبرد : قوله : « نفل » أي أقسم بينهم ؛ والنفل : العطية التي تفضل ؛ كذا كان الأصل ؛ وإنما تفضل الله عز وجل بالفنائم على عباده ؛ قال لبيد :

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلٌ وَيُؤْذِنُ اللَّهُ رَيْثٌ وَجَبَلٌ

وقال جل جلاله له : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ، ويقال : نَفَلْتُكَ كَذَا وكَذَا ؛ أي أعطيتك ، ثم صار النفل لازما واجبا . (٣) من الكامل

ثم قدم المهبلى على الحجاج ، فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر برّه وإكرامه ؛ وقال : يا أهل العراق ، أنتم عبيدُ قِنِّ المهبلى ؛ ثم قال : أنت والله كما لقيط^(١) :

فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ اللَّهُ دَرَكُكُمْ رَحْبُ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَزْبِ مُضْطَلِمًا^(٢)
لا يطعمُ النِّسْمَ إلا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَسْكَدُ حِشَاهُ يَقْصِمُ الصُّلْعَا^(٣)
لا مترَفًا إن رخاءَ العيش سَاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا^(٤)
ما زال يحلب هذا الدهرَ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مَتْبَعًا طَوْرًا وَمُتْبَعًا^(٥)
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ كُلِّي شَرِّ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ لَا قَحْصًا وَلَا ضَرَعًا^(٦)

وروى أنه قام إليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ! والله لكأنى أسمع الساعة قطرًا وهو يقول لأصحابه : المهبلى والله كما قال لقيط الإيادى ، ثم أنشد هذا الشعر . فسُرَّ الحجاج حتى امتلأ سروراً ؛ فقال المهبلى : أما والله ما كنا أشدَّ من عدونا ولا أحدَ ، ولكن دَمَغَ الحقَّ الباطل ، وقهرت الجماعة الفتنة ، والعاقبة للمتقين^(٧) ؛ وكان ما كرهناه من المطاولة خيراً لنا مما أحببناه من المعالجة .

(١) هو لقيط بن يعمر الإيادى ؛ من قصيدة طويلة ؛ ذكرها ابن السجى فى مختاراته ١ - ٦ ؛ أنشد فيها قومه من إياد بنز وكسرى ؛ وكان كاتباً فى ديوانه ؛ وأولها :

يا دار عَمْرَةٍ مِنْ مَحْتَلِّهَا الْجُرْعَا هَاجَتْ لِي الْهَمُّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَمَا
تَأَمَّتْ فَوَادِي بَذَاتِ الْجَنْزِعِ خِرْعَةً مَرَّتْ تَرِيدُ بِذَابِ الْعَذْبَةِ الْبَيْعَا

(٢) رحب الذراع : يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين ؛ كناية عن قوته وشدة مراسه ، ومضطلماً : أى يحمل الأمر ويقوم عليه .

(٣) ريث يبعثه ، أى مقدار ما يبعثه .

(٤) المترف : للتنعم السادر فى ملاذه .

(٥) يحلب أشطره ؛ أى أنه اختر ضروب الدهر من خير شر وحلو ومر .

(٦) المريرة من الجبال : ماطال واشتد فتله ؛ واستمرت استحكت ، والشرز : القتل إلى فوق ؛ خلاف اليسر ؛ وهو القتل إلى أيسر ؛ والأول أحكم القتلتين ؛ ضرب ذلك مثلاً لاستعجال قوته . والضرع : الصغير الضعيف ، والقحم : آخر سن الشيخ .

(٧) الكامل : « لتقوى » .

فقال الحجاج : صدقت ، اذ كر لي القوم الذين أبلّوا ، وصف لي بلاءهم ، [فأمر
الناس فكتبوا ذلك إلى الحجاج ، فقال لهم المهلب : ما ذخر الله لكم خيرٌ لكم من عاجل
الدنيا إن شاء الله] ^(١) ، فذكرهم ^(٢) المهلب على مراتبهم في البلاء ، وتفاضلهم في الثناء ،
وقدّم بنيه : المنيرة ، ويزيد ، ومدركا ، وحبيبا ، وقبيصة ، والفضل ، وعبد الملك ، ومحمدا ،
وقال : والله لو واحد يقدمهم في البلاء لقدّمته عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخترتهم . فقال
الحجاج : صدقت ، وما أنت أعلم بهم مني ، وإن حضرت وغبث إنهم لسيوف من سيوف
الله . ثم ذكر معن بن المنيرة والرقاد وأشباههما .

فقال الحجاج : من الرقاد ^(٣) ؟ فدخل رجل طويل أجنا ^(٤) ، فقال المهلب : هذا فارس
العرب ، فقال الرقاد للحجاج : أيها الأمير ، إني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت
كبعض الناس ، فلما صرت مع من يُلزمني الصبر ، ويعلمني أسوة نفسه وولده ، ويجازيني
على البلاء ، صرت أنا وأصحابي فرسانا .

فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلاءهم ، وزاد ولد المهلب ألفين
ألفين ، وفعل بالرقاد وبجماعة شبيها بذلك .
وقال يزيد بن حبناء من الأزارقة :

دَعِيَ اللّوْمَ إِنَّ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا تَعْجَلْ إِلَى اللّوْمِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ ^(٥)
فَإِنَّ عَجَلْتَ مِنْكَ الْمَلَامَةَ فَاسْمِعِي مَقَالَ مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمٍ
وَلَا تَعْدُلِينَا فِي الْهَدِيَّةِ إِنَّمَا تَكُونُ الْهَدَايَا مِنْ فُضُولِ الْمَغَامِ

(١) من الكامل .

(٢) الكامل : « ثم ذكرهم » .

(٣) الكامل : « الرقاد » .

(٤) أجنا ، من الجنا ، بالتحريك ؛ وهو ميل في الظهر .

(٥) الكامل : ٣ : ٤٠٩ ، ٤١٠ .

وليس بمُهْدٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بَطْعَنَةً
أَبَيْتُ وَسِيرَ بَالِي دِلَاصٍ حَصِينَةً
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْوَاقِفِينَ عَشِيَّةً
لَقَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ
تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِيَّةً
وَقَالَ الْمَغِيرَةُ الْخَنْظَلِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ :

إِنِّي أَمْرٌ كَفَنِي رَبِّي وَأَكْرَمَنِي
وَأَنَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا
مَا عَاقَنِي عَنْ قَوْلِ الْجُنْدِ إِذْ قَفَلُوا
وَلَوْ أَرَدْتُ قَفُولًا مَا تَحَمَّيَنِي
إِنَّ الْمُهَلَّبَ إِنْ أَشْتَقَّ لَرُؤَيْتَهُ
أَنَّهُ الْأَرِيبُ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ
وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
أَزْمَانُ كَرْمَانٍ إِذْ غَصَّ الْحَدِيدُ بِهِمْ
عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي فِي غَيْبِهَا وَخَمُ^(١)
عَاشَتْ رِجَالٌ وَعَاشَتْ قَبْلَهَا أُمَمٌ
عَنِ بَمَا صَنَعُوا حَوْلِي وَلَا صَمَمُ^(٢)
إِذْنُ الْأَمِيرِ وَلَا الْكِتَابُ إِذْ رَقَمُوا
أَوْ أَمْتَدَحُهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا
وَالْمُسْتَنْيرُ الَّذِي تُجْلَى بِهِ الظُّلُمُ
أَبُو سَعِيدٍ إِذَا مَا عُدَّتِ النَّعَمُ
وَإِذَا تَمَنَّى رِجَالٌ أَنَّهُمْ هَزِمُوا

- (١) قال المبرد : « يريد عسى هو في ليله ، ويكون هو في نهاره ؛ ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة ؛ وفي القرآن : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ والمعنى : بل مكركم في الليل والنهار .
(٢) قال المبرد : قوله غموس ؛ يريد واسعة ، والعبري ابن سالم : رجل منهم كان يقال له الأشدق .
(٣) الدلاص : الدرع اللساء البينة .
(٤) اللطائم ، واحدها لطيمة ؛ وهي الإبل التي تحمل البز والطر .
(٥) زاعبية ؛ يعنى الرماح . والزاعبية : منسوبة إلى زاعب ؛ وهو رجل من المزرج كان يعمل الرماح وتقرى : تقعد .
(٦) السكامل . « في رعيها وخم » .
(٧) السكامل . « عني بما صنعوا بمجز ولا بهم » .

وقال حبيب بن عوف من قواد الملّتب :

أبا سعيدٍ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً فَقَدْ كَفَيْتَ وَلَمْ تَعْنُفْ عَلَى أَحَدٍ^(١)
داوَيْتَ بِالْحِلْمِ أَهْلَ الْجَهْلِ فَاقْتَمَعُوا وَكُنْتَ كَالْوَالِدِ الْحَانِي عَلَى الْوَلَدِ

وقال عبدة بن هلال الخارجي يذكّر رجلا من أصحابه :

يَهْوِي فترْفُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوٌ تَنْشَبُ فِي مَخَابِ ضَارٍ^(٢)
يَهْوِي صَرِيحًا وَالرِّمَاحُ تَنْوُشُهُ إِنْ الشُّرَاةُ قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ^(٣)

[شبيب بن يزيد الشيباني]

ومنهم^(٤) شبيب بن يزيد الشيباني ؛ وكان في ابتداء أمره يصحب صالح بن مسروح ؛
أحد الخوارج الضّغرية ؛ وكان ناسكا مصفّر الوجه ، صاحب عبادة ، وله أصحاب
يقريهم القرآن ، ويفقههم ويقصّ عليهم^(٥) ؛ ويقدم الكوفة ، فيقيم بها الشهر
والشهرين . وكان بأرض الموصل والجزيرة ؛ وكان إذا فرغ من التّحميد والصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله ، ذكر أبا بكر فأنى عليه ، وثنى بعمر ، ثم ذكر عثمان وما كان من
أحداثه ؛ ثم عليا عليه السلام وتحكيمة الرجال في دين الله ؛ ويثبّرأ من عثمان وعلي ، ثم

(١) لم تعنف ، من العنف ، وهو الشدة .

(٢) الشلو : العضو .

(٣) الكامل : « فتوى صريحا » .

(٤) نقل المؤلف أخبار شبيب من تاريخ الطبري ٥ : ٢١٦ وما بعدها ، أحيانا بنصها ، وأحيانا مع
تصرف واختصار .

(٥) في الطبري : « فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا أن قصص صالح بن مسروح عنده ،
وكان ممن يرى رأيهم ؛ فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم ؛ ففعل ؛ وكان قصصه : الحمد لله رب العالمين ،
الذي خلق السموات والأرض . . . » ؛ ثم أورد نص الكتاب ؛ وآخره : « جعلنا الله وإياكم من
الشّاكرين الذّاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون » ؛ وقد أوردته المؤلف ملخصا .

يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال ، وقال : تيسرُوا يا إخواني للخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ؛ واللحاق بإخواننا المؤمنين ؛ الذين باعوا الدنيا بالآخرة ؛ ولا تجزَعُوا من القتل في الله ، فإنَّ القتلَ أيسرُ من الموت ، والموت نازل بكم ؛ مفترق بينكم وبين آبائكم وإخوانكم ، وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم ؛ وإن اشتدَّ لذلك جزعُكم ؛ ألا فيبيعوا أنفسهم طائعين وأموالكم ؛ تدخلوا الجنة ... وأشبه هذا من الكلام .

وكان فيمن يحضره من أهل الكوفة سُويد البطين ؛ فقال يوماً لأصحابه : ماذا تنتظرون ؟ ما يزيد أئمة الجور إلا عتواً وعلواً ، وتباعداً من الحق ، وجراءة على الرب ؛ فراسلوا إخوانكم حتى يأتوكم ؛ ونظر في أمورنا مانحن صانعون . وأى وقت إن خرجنا نحن خارجون .

فبينما هو كذلك إذ أتاه الحثل بن وائل ^(١) بكتاب من شبيب بن يزيد ؛ وقد كتب إلى صالح :

أما بعد ؛ فقد [أردت الشخص ، وقد] ^(٢) كنت دعوتني إلى أمرٍ أستجيب ^(٣) لك ؛ فإن كان ذلك ^(٤) من شأنك ، فإنك شيخ المسلمين ، ولم يعدل بك منا أحد ^(٥) ؛ وإن أردت تأخير ذلك أعلمني ^(٦) ؛ فإن الآجال غادية ورأثة ؛ ولا آمنُ أن تخترمني المنية ؛ ولما أجاهد الظالمين ؛ [فياله غبنا وباله فضلاً] ^(٧) ؛ جعلنا الله وإياكم ممن يريد الله بعمله [ورضوانه والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام] ^(٨) . والسلام عليك .

(١) ب : « قائد » ؛ وما أثبتته عن أ ، ج والطبري .

(٢) تكملة من تاريخ الطبري .

(٣) الطبري : « فاستجبت لك » .

(٤) الطبري : « فإن كان ذلك اليوم » .

(٥) الطبري : « ولن يعدل بك منا أحدا » .

(٦) الطبري : « وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمني » .

فأجابه صالح بجواب جميل ؛ يقول فيه ^(١) : إنه لم يمنعني من الخروج - مع ما أنا فيه من الاستعداد - إلا انتظارك ؛ فأقدم علينا ، ثم أخرج بنا ، فإنك ممن لا تقضى الأمور دونه ؛ والسلام عليك ^(٢) .

فلما ورد كتابه على شبيب ؛ دعا القراء من أصحابه ؛ فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد ابن يزيد ، والمحلل بن وائل ، والصقر بن حاتم ، وإبراهيم بن حجر وجماعة مثلهم ^(٣) ؛ ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح ؛ وهو بدارات ^(٤) أرض الموصل ؛ فبث صالح رسله ، وواعدهم بالخروج ؛ في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وتسعين .

فاجتمع بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا عنده تلك الليلة ؛ فحدث فروة بن لقيط ^(٥) ؛ قال : إني لمعهم تلك الليلة عند صالح ^(٦) ؛ وكان رأيي استعراض الناس ؛ لِمَا رأيتُ من السكر والفساد في الأرض ، فقامت إليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى السيرة في هؤلاء الظلمة ؛ أنقتلهم قبل الدعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ فإني أخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني بذلك ؛ إنا نخرج على قوم طاغين ؛ قد تركوا أمر الله ، أو راضين بذلك ، فأرى أن نضع السيف ؛ فقال : لا ، بل ندعوهم ؛ ولعمري لا يجيبك إلا مَنْ يرى رأيك ؛ وليقاتلنك مَنْ يُزري عليك ؛ والدعاء أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم لك . فقلت :

(١ - ١) الكتاب كما في الطبري : « أما بعد ؛ فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني ؛ حتى أهني ذلك ؛ ثم إن أميرا من أمراء المسلمين نبأني بنسأ نخرجك ومقدمك ؛ فنحمد الله على قضاء ربنا ؛ وقد قدم على رسولك بكتابك ؛ فكل ما فيه قد فهمته ، ونحن في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ثم أخرج بنا متى أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تقضى دونه الأمور ، والسلام » .

(٢) في الطبري : « وإبراهيم بن حجر أبو الصقر من بني علم والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان » .

(٣) في حواشي ج : « الدارة : كل أرض واسعة بين جبال ، ومن الرمل ما استدار معه وجمعه دارات ودور » ، وفي الطبري : « قدم على صالح بدارا » .

(٤) في الطبري : « قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط » .

(٥) كذا في الأصول ، وفي الطبري : « قال - أي فروة - والله إني لمع شبيب بالمداين ، إذ حدثنا عن مخرجهم ، قال : لا همنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأيي استعراض الناس . . . » إلى آخر الخبر مع اختلاف في الرواية .

وكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ وما تقول في دمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا .

ثم قال صالح ^(١) لأصحابه ليلته ^(٢) تلك : اتقوا الله عباد الله ، ولا تمجّلوا إلى قتالِ أحدٍ من الناس ؛ إلا أن يكونوا [قوما] ^(٣) يريدونكم [وينصبون لكم] ^(٤) ؛ فإنكم إنما خرّجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه ؛ وعصى في الأرض ، ^(٥) وسفكت الدماء بغير حقها ، وأخذت الأموال غضبا ، فلا تعيّبوا على قوم أعمالا ثم تعملونها ^(٦) ؛ فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مستولون ، وإن عظمكم رجاله ^(٧) ، وهذه دوابّ لمحمد بن مروان في هذا الرستاق ^(٨) ؛ ^(٩) ، وابدءوا بها فاحلوا عليها راجلكم ، وتقوؤا بها على عدوكم ^(١٠) .

ففعّلوا ذلك ، وتحصّن منهم أهل دارا ^(١١) .

وبلغ خبرهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ؛ وبعث إليهم عدى بن عميرة في خمسمائة ، وكان صالح في مائة وعشرة ؛ فقال عدى : أصلح الله

(١) الخبر في الطبري عن أبي مخنف أيضا عن رجل من بني علم .

(٢) الطبري : « ليلة خرج » .

(٣) من الطبري .

(٤ - ٤) الطبري : « سفكت الدماء بغير حلها ، وأخذت الأموال بغير حقها » .

(٥) الطبري : « تعملون بها » .

(٦) الرستاق - فيما ذكره حمزة بن الحسن - مشتق من « روضة فستا » ، وروذه : اسم للسطر والصف والسماط . وفستا : اسم للحال ، والمعنى أنه على التسطير والنظام . قال ياقوت : « والذي عرفناه وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم ينعون بالرستاق : كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للندن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد » معجم البلدان ١ : ٣٧ .

(٧ - ٧) الطبري : « فابدءوا بها ، فشدوا عليها ، فاحلوا أرجلكم ، وتقوؤا بها على عدوكم » .

(٨) الطبري : « أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجان ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين ، وقيل : في مائة وعشرة » .

الأمير ! تبعثني إلى رأس الخوارج [منذ عشرين سنة]^(١)، ومعه رجالٌ يُثمِّنوا لي [كانوا يمازونا]^(٢) ؛ وإنَّ الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة ! فقال له : إنِّي أزيدك خمسمائة ، فسرَّ إليهم في ألف فارس .

فسار من حرَّان في ألف رجل ؛ وكأتمما يُساقون إلى الموت - وكان عدى رجلاً ناسكا^(٣) - فلما نزل دوغان^(٤) نزل بالناس ، وأنفذ إلى صالح بن مسرَّح رجلاً دسه إليه فقال : إنَّ عدياً بعثني إليك يسألك أن تخرج عن هذا البلد ، وتأني بلداً آخر فتقاتل أهله ؛ فإنِّي للقتال كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأينا ، فأرنا من ذلك مانع ، ثم نحن مُدليجون^(٥) عنك ، وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء ، رأينا رأينا ، فإما بدأنا بك ، وإلا رحلنا إلى غيرك .

فانصرف إليه الرسول ، فأبلغه ، فقال له عدى : ارجع إليه فقل له : إنِّي والله لأرى رأيك ، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك من المسلمين^(٥) .

فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا ، واحتبس الرجل عنده ، ومضى بأصحابه حتى أتى عدياً في سوق دوغان ؛ وهو قائم يصلِّي الضحى ، فلم يشعر إلا بالخنيل طالعة عليهم ؛ فلما دنا صالح منهم ، رأهم على غير تعبئة^(٦) ، وقد تفادوا ، وبعضهم يحولُ في بعض ، فأمر شيبا فحمل عليهم في كتيبة ، ثم أمر سويداً فحمل في كتيبة ، فكانت هزيمتهم ،

(١) من الطبرى .

(٢) الطبرى : « يتنسك » .

(٣) دوغان : قرية بين رأس عين ونصيبين ، كانت سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها مرة في كل شهر . (مرصد الاطلاع) .

(٤) الدخ والدجلة : السير آخر الليل .

(٥) في الطبرى بعدها : « فقاتل غيرى » .

(٦) عبأ الجيش للحرب تعبئة : هيأه وجهزه ، يقال بالهمز وبغير الهمز .

وأتى عدى بدابته فركبها ، ومضى على وجهه ، واحتوى صالح على عسكره وما فيه ،
 وذهب فلّ عدى حتى لحقوا بمحمد بن مروان ، ففضيب ، ثم دعا بخالد بن جَزء السلمي
 فبعثه في ألف وخسمائة ، ودعا الحارث بن جَعونة في ألف وخسمائة ، وقال لهما : اخرجا
 إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، ومجّلا [الخروج ، وأغذا السير]^(١) فأبىكما سبق ، فهو
 الأمير على صاحبه ، نغرجا وأغذا^(٢) في السير ، وجعلا يسألان عن صالح ، فقيل لهما :
 توجه نحو آمد^(٣) ، فاتبعاه حتى انتهيا إليه بآمد ، فزلا ليلا ، وخندقا وما متساندان ؛ كل
 واحد منهما على حديثه ، فوجه صالح شييبا إلى الحارث بن جَعونة في شطر أصحابه ، وتوجه
 هو نحو خالد السلمي ، فاقتلوا أشد قتال اقتله قوم ، حتى حَجَز بينهم الليل ؛ وقد انتصف
 بعضهم من بعض .

فتحدث بعض أصحاب^(٤) صالح ، قال : كنا إذا سألنا عليهم استقبلنا رجالهم بالرمح ،
 ونضجنا^(٥) رؤسهم بالنبل ، وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك ، فانصرفنا عند الليل ، وقد
 كرهناهم وكرهونا ، فلما رجعنا وصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسرة^(٦) ، دعانا صالح
 وقال : يا أخلائي ، ماذا تروون ؟ فقال شبيب : إننا إن قاتلنا هؤلاء القوم وهم معتمسون
 بخندقهم ، لم ننل منهم طائلا ، والرأى أن نرحل عنهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ؛
 فنرجوا من تحت ليلتهم حتى قطعوا أرض الجزيرة ، وأرض الموصل ، ومضوا حتى قطعوا
 أرض الدسكرة . فلما بلغ ذلك الحجاج سرح عليهم الحارث بن عتبة في ثلاثة آلاف ،

(١) من الطبرى .

(٢) أغذا في السير : أسرع فيه .

(٣) آمد ، بكسر الميم : بلد قديم حصين ، تحيط دجلة بأكثره . مراد الاطلاع .

(٤) في الطبرى : « قال أبو مخنف : « غدني المحلى قال ... » ، وأورد الخبر باختلاف في الرواية .

(٥) النضج : الرمي بالنبل .

(٦) الكسرة : القطعة من الخبز ، وجهه كسر .

فسار وخرج صالح نحو جُلُولاء وخَافِقِينَ^(١) واتبعه الحارث حتى انتهى إلى قرية يقال لها المديج^(٢)، وصالح يومئذ في تسعين رجلاً، فقبى الحارث بن عميرة أصحابه ميمنة وميسرة، وجعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس وهو في كردوس^(٣)، وشبيب في ميمنة في كردوس، وسويد بن سليم في كردوس في ميسرة؛ في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً؛ فلما شد عليهم الحارث بن عميرة انكشف سويد بن سليم، وثبت صالح فقتل، وضارب شبيب حتى صرّع عن فرسه، فوقع بين رجاله، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح، فوجدّه قتيلاً فنادى: إلى يامعشر المسلمين افلاذوا به، فقال لأصحابه: ليجعل كل رجل منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، وليطاعن عدوه إذا قدم عليه؛ حتى تدخل هذا الحصن، ونرى رأينا.

ففعّلوا ذلك حتى دخلوا الحصن؛ وهم سبعون رجلاً مع شبيب، وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسكاً، وقال لأصحابه: أحرقوا الباب، فإذا صار جحراً فدعوه، فإنهم لا يقدرّون على الخروج حتى نصبح^(٤) فنقتلهم، ففعّلوا ذلك بالباب؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم.

فقال شبيب لأصحابه: يا هؤلاء، ما تنتظرون؟ فوالله إن صبحوكم غدوة^(٥) إنه هلاككم، فقالوا له: مُرْنَا بأمرك، فقال لهم: [إن الليل أخفى للويل]^(٦)؛ يا أيمنون إن شئتم، أو يا أيمنون من شئتم منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نشدّ عليهم في عسكرهم، فإنهم آمنون منكم، وإني أرجو أن ينصرّكم الله عليهم. قالوا: أبسط يدك، فبايعوه، فلما جاءوا

(١) جلولاء: موضع في طريق خراسان، بينه وبين خافقين سبعة فراسخ، وخافقين: في نواحي السواد في طريق همدان.

(٢) في الطبري: «المديج: من أرض الموصل، على تخوم ما بيننا وبين أرض جوخي».

(٣) الكردوس: القطعة من الخيل، وجمعه كراديس.

(٤) الطبري: «نصبحهم».

(٥) صبحوكم: أغاروا عليكم صباحاً.

(٦) من الطبري.

إلى الباب ، وجدوه جُجراً ، فأتوه باللُّبُود ^(١) قَبَلُوها بالماء ، ثم ألقوها عليه وخرجوا ، فلم يشعُر الحارث بن عميرة إلا وشيَّب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم ، فضارب الحارث حتى صُرِع ، واحتمله أصحابه ، وانهزموا وخلَّوْا لهم المعسكر وما فيه ، ومضوا حتى نزلوا المدائن ، وكان ذلك الجيش أولَ جيش هزمه شبيب ^(٢) .

[دخول شبيب الكوفة وأمره مع الحجاج]

ثم ارتفع في أَداني أرض الموصل ^(٣) ، ثم ارتفع إلى نحو أذربيجان يَجْجِي الخراج ، وكان سفيان بن أبي العالية قد أمر أن يحارب صاحب طَبْرِسْتَان ، فأمر بالقول نحو شبيب ، وأن يصلح صاحب طَبْرِسْتَان ، فصالحه ، فأقبل في ألف فارس ، وقد ورد عليه كتاب من الحجاج :

^(٤) أما بعد ، فأقيم بالدَّسْكَرَةِ فيمن معك ؛ حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة . قاتل صالح بن مسرح ، ثم سرَّ إلى شبيب حتى تناجزه ^(٥) .

ف فعل سفيان ذلك ، ونزل إلى الدَّسْكَرَةِ حتى أتوه ، وخرج مرتحلاً في طلب شبيب ، فارتفع شبيب عنهم ، كأنه يكره قتالهم ولقاءهم ؛ وقد أكَثَّ لهم أخاه مَصَاداً في خمسين رجلاً ، في هَضْم ^(٥) من الأرض ، فلما رأوا شبيباً جمع أصحابه ، ومضى في سَفْح من الجبل

(١) اللب: كل شجر أو صوف متبلد ، سمي به لاصق بعضه ببعض ، وجمعه لبود .
(٢) في الطبري بعدها : « وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاث لثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى من سنته » .

(٣) في الطبري بعدها : « وتقوم أرض جوخي » .
(٤ - ٥) الكتاب كما في الطبري : « أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة فيمن معك ، ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشاعر ، وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ، ثم سر إلى شبيب حتى تناجزه » .
(٥) الهضم : المكان الملتصق من الأرض ، وفي الطبري : « هزم من الأرض » ، وهما بمعنى .

مشرقا ، قالوا : هرب عدو الله ، واتبعوه . فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني : أيها الناس ؛ لا تعجلوا عليهم حتى نضرب في الأرض ونستبرئها^(١) ؛ فإن يكونوا كمنوا كيما حذرناه ؛ وإلا كان طلبهم بين أيدينا لن يقوتنا . فلم يسمعوا منه ، فأسرعوا في آثارهم .

فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين ، عطف عليهم ، فحمل من أمانهم ، وخرج الكمين من ورائهم ؛ فلم يقاتل^(٢) أحد ؛ وإنما كانت الهزيمة ، وثبت سفيان بن أبي العالية في مائتي رجل ؛ فقاتل^(٣) قتالا شديدا حتى انتصف من شبيب^(٤) ؛ فقال سويد بن سليم لأصحابه : أملك أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية^(٥) ؟ فقال له شبيب : أنا من أعرف الناس به ، أما ترى صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية إفانه هو ،^(٦) فإن كنت تريده فأمهله قليلا .

ثم قال : يا قعنب ، اخرج في عشرين ، فأتهم من ورائهم . فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم ، فلما رأوه يريد أن يأتهم من ورائهم ، جعلوا ينتقصون ويتسللون ، وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالية يطاعنه^(٧) ، فلم تصنع رماحهما شيئا ، ثم اضطربا بسيفيهما ، ثم اعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض يمتزجان ، ثم تهاجزا ، وحمل عليهم شبيب ؛ فأنكشف من كان مع سفيان ؛ ونزل غلام له يقال له غزوان عن برذونه ، وقال لسفيان : اركب يا مولاي ، فركب سفيان ، وأحاط به أصحاب شبيب ، فقاتل دونه غزوان حتى قتل ، وكان معه رايته ، وأقبل سفيان منهزما ؛ حتى انتهى

(١) يقال : استبرأ أرض بني فلان ، إذا سار فيها وانتهى إلى آخرها . وفي الطبري : « نسير بها » .

(٢) الطبري : « فلم يقاتلهم أحد » .

(٣ - ٣) الطبري : « فقاتلهم قتالا شديدا حسنا حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه » .

(٤) في الطبري بعدما : « فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسي في قتله » .

(٥) الطبري : « فإنه ذلك » .

(٦) الطبري : « فطاعنه » .

إلى بابل مهروذ ، فنزل بها ؛ وكتب إلى الحجاج^(١) ، وكان الحجاجُ أَمَرَ سَوْرَةَ ابن أبحر أن يُلْحَقَ بسفيان ، فكاتبَ سورةُ سفيانَ ، وقال له : انتظرني ؛ فلم يفعل وعجل نحو الخوارج ، فلما عرف الحجاج خبرَ سفيان ، وقرأ كتابه ، قال للناس : مَنْ صَنَعَ كَمَا صَنَعَ هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه يمهذره^(٢) ، ويقول : إذا خَفَّ عليك الوجع فأقبل مأجورا إلى أهلك . وكتب إلى سورة بن أبحر :

^(٣) أما بعد يا بن أُمِّ سورة ، فما كنتَ خليقا^(٤) أن تجترأ على تركِ عهدي ، وخذلان جُندي ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلا يَمُنْ معك صليبا إلى^(٥) المدائن ، فلينتخبَ من جندها خمائة رجل ، ثم ليقدِّم بهم عليك ، [ثم سِرَّ بهم]^(٥) حتى تَلْقَى هذه المارقة ، واحزم أَمرك ، وكِدْ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ أَمْرِ الْحُرُوبِ حُسْنُ الْمَكِيدَةِ . والسلام .

فلما أتى سَوْرَةَ كتابُ الحجاج بعثَ عدِيَّ بن عمير إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانتخب منهم خمائة ، ثم رحل بهم^(٦) حتى قَدِمَ على سَوْرَةَ ببابل مهروذ ،

(١) كتابه إلى الحجاج كما في الطبري : « أما بعد ؛ فإنني أخبر الأمير أصلحه الله ! إنني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخاتمتهم ، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيبا عنهم ، فحملوا على الناس فنهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر ، فقاتلتهم حتى خربت بين القتل ، فحملت مرتثاء ، فأتى بني بابل مهروذ ، فها أنا بها والجنود الذين وجههم الأمير وافوا إلا سورة بن أبحر ، فإنه لم يأتني ، ولم يشهد معي ، حتى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول مالا أعرف ، ويمتدري غير العذر والسلام . »
(٢) كتاب الحجاج إلى سفيان كما في الطبري : « أما بعد ، فقد أحسنت البلاء ، وقضيت الذي عليك ، فإذا خف عنك الوجع فأقبل مأجورا إلى أهلك . والسلام . »

(٣ - ٣) الطبري : « أما بعد فيا بن أُمِّ سورة ، ما كنتَ خليقا أن تجترأ على » .

(٤) الطبري : « إلى الخيل التي بالمدائن » .

(٥) من الطبري .

(٦) عبارة الطبري : « ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير ، وهو أمير المدائن لإمارته الأولى ، فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فرس وكساه أثوابا ، ثم لأنه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة . . . »

نفرج بهم في طلب شبيب ، وخرج شبيب يَجُولُ في جُوحى ^(١) ، وسورة في طلبه ، فجاء شبيب إلى المدائن فتحصن منه أهلها فانتهب المدائن الأولى ، وأصاب دواب من دواب الجند ، وقتل من ظهر له ، ولم يدخل البيوت ، ثم أتى ققيل له : هذا سورة قد أقبل إليك ، نفرج في أصحابه حتى [انتهى إلى النهروان ، فنزلوا به وتوضؤوا وصلوا ، ثم] ^(٢) أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم على بن أبي طالب ، فاستغفروا لهم ، وتبرءوا من على وأصحابه ، وبكوا فأطالوا البكاء ، ثم عبروا جسر النهروان ، فنزلوا جانبه الشرقي ، وجاء سورة حتى نزل بنفطرا ^(٣) وجاءته عيونه ، فأخبروه بمنزل شبيب بالنهروان ، فدعا سورة رؤوس أصحابه ، فقال لهم : إن الخوارج قلما يلقون في صحراء أو على ظهر إلا انتصفوا ، وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل ؛ وقد رأيت أن أنتخبكم ، وأسير في ثلاثمائة رجل منكم ، من أقويائكم وشجعانكم فأبیتهم ^(٤) فإنهم آيسون من بياتكم ، وإني والله أرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم في النهروان من قبل ، فقالوا : اصنع ما أحببت .

فاستعمل على عسكره حازم بن قدامة ، وانتخب ثلاثمائة من شجعان أصحابه ، ثم أقبل بهم حتى قرب من النهروان ، وبات وقد أذكى الحرس ، ثم بیتهم ؛ فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا ^(٥) بهم ؛ فاستووا على خيولهم ، وتعبوا تعبیتهم ؛ فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه ، أصابوهم وقد نذروا ، فحمل عليهم سورة ، فصاح شبيب بأصحابه ، فحمل عليهم

(١) جوحى ، بالقصر وقد يفتح : نهر عليه كورة واسعة في سواد بفساد ، بالجانب الشرقي منه الرذان ، وهو بين خاتقين وخوزستان ، قالوا : ولم يكن بفساد مثل كورة جوحى ، كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم ، حتى صرفت دجلة عنها فخرت ، وأصابهم بعد ذلك طاعون شبرون فأتى عليهم ، ولم يزل السواد في إدمار من ذلك الطاعون . مراد الاطلاع ١ : ٣٥٥

(٢) من الطبرى .

(٣) كذا في الأصول وفي الطبرى : « قطرا » .

(٤ - ٤) (٤) الطبرى : « فآبیتهم الآن فإنهم آمنون لبياتكم » .

(٥) نذروا بهم : علموا بهم . وفي ج : « حذروا » .

حتى تركوا له العرصة ، وحمل شبيب ، وجعل يضرب ويقول :

* مَنْ يَنْدِكَ الْعَيْزَ يَنْدِكَ نَيْيَا كَا ^(١) *

فرجع ^(٢) سورة مقلولا ، قد هزم فرسانه وأهل القوة من أصحابه ، وأقبل نحو المدائن ، وتبعه شبيب ؛ حتى انتهى سورة إلى بيوت المدائن ؛ وانتهى شبيب إليهم ، وقد دخل الناس البيوت ، وخرج ابن أبي عصفير ؛ وهو أمير المدائن يومئذ في جماعة ، فلقبهم في شوارع المدائن ، ورماهم الناس بالبل والحجارة من فوق البيوت .

ثم سار شبيب إلى تكريت ^(٣) ، فبينما ذلك الجند بالمدائن إذ أَرْجَفَ ^(٤) الناس فقالوا : هذا شبيب قد أقبل يريد أن يبيت أهل المدائن ، فارتحل عامة الجند ، فاحرقوا بالكوفة ^(٥) ، وإن شبيبا بتكريت ، فلما أتى الحجاج ^(٥) الخبر ، قال : قبح الله سورة ! ضيع العسكر وخرج يُبيت الخوارج ؛ والله لأسوءة ^(٦) .

(١) بقيته في الطبرى :

* جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطِطَا كَا *

(٢ - ٣) الطبرى : « فرجع سورة إلى عسكره ، وقد هزم الفرسان وأهل القوة ، فتحمل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن ، فدفع إليهم وقد تحمل وتمدى الطريق الذى فيه شبيب ، واتبعه شبيب ، وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ؛ فأغذ السير في طلبهم ، فاتموا إلى المدائن فدخلوها ، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابن أبي عصفير في أهل المدائن ، فرماهم بالبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فر على كلودا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج ، فأخذها ، ثم أخذ يسير في أرض جوخي ثم مضى نحو تكريت ... » . (٣) أَرْجَفَ القوم ، أى غاضوا في الأخبار السيئة ، وذكر الفتح ، على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء ، وفي القرآن الكريم : ﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ .

(٤) في الطبرى عن عبد الله بن علقمة الخثعمي : « والله لقد هربوا من المدائن ، وقالوا : نبيت الليلة ، وإن شبيبا لتكريت ، ولما أتى الفل على الحجاج ، سرح الحزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندى » . (٥) في الطبرى : « عن فضيل بن خديج الكندى : أن الحجاج لما أتاه الفل قال . . . » . (٦) في الطبرى : « وكان قد حبسه ثم عفا عنه » .

ثم دعا الحجاج بالجزل ؛ وهو عثمان بن سعيد ، فقال له : تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تمجل عجلة الخرق النزق^(١) ، ولا تحجم إحجام الواني الفرق^(٢) ، أفهمت^(٣) ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ؛ قال : فأخرج وعسكر بدر عبد الرحمن حتى يخرج الناس إليك ، فقال : أصلح الله الأمير ! لا تبعث معي أحداً من الجند المهزوم المفلول ، فإن الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيت ألا ينفكك والمسلمين منهم أحد ، قال : ذلك لك ؛ ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ، ووُثقت ؛ ثم دعا أصحاب الدواوين ، فقال : اضربوا قلى الناس البعث ، وأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، وعجلوا ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين ، وضربوا البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالآحق بالمسكر ؛ ثم نودى فيهم بالرحيل ؛ فارتحلوا ، ونادى منادى الحجاج : أن بريئت الذمة من رجل أصبناه من بعث الجزل متخلفاً .

فمضى بهم الجزل ، [وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندى على مقدمته فخرج]^(٤) ؛ حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ؛ ثم خرج وبعث إليه ابن أبي عسيبر بفرس وبرذون وألني درهم ، ووضع للناس من الحطب^(٥) والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام ، وأصاب الناس ما شاءوا من ذلك .

ثم إن الجزل خرج بالناس إثر شبيب ، فطلبه في أرض جُوخى ، فجعل شبيب يُريه الهيبة ، فيخرج من رُستاق إلى رُستاق ، ومن طسوج إلى طسوج [ولا يقيم له]^(٦) ،

(١) الخرق : الرجل الأحق ، والنزق : الطائش الخفيف عند الغضب .

(٢) الفرق : الشديد الفزع .

(٣) في الطبرى بعدها : « لله أنت يا أبا بنى عمرو بن معاوية » .

(٤) من الطبرى .

(٥) الطبرى : « الجزر » .

يريد بذلك أن يفرّق الجَزَل أصحابه، ويتمجّل إليه فيلقاه في عَدَدٍ يسير على غير تعبٍ؛ فجعل الجَزَل لا يسير إلّا على تَعَبِيَّةٍ؛ ولا ينزل إلّا خَفَذَقٍ على نفسه وأصحابه؛ فلما طال ذلك على شبيب، دعا يوماً أصحابه، وهم مائة وستون رجلاً، هو في أربعين، ومصاد أخوه في أربعين، وسويد بن سليم في أربعين، والحلّل بن وائل في أربعين، وقد أتته عيونُه [فأخبرته] ^(١)، أن الجَزَل بن سعيد قد نزل ببئر سعيد ^(٢). فقال لأخيه وللأمرء الذين ذكرناهم: إني أريد أن أبيت الليلة هذا العسكر، فأتيهم أنت يامصاد من رَقَبِ حُلُوان ^(٣)، وسأتيهم أنا من أمامهم من قَبْلِ الكوفة، وأتيهم أنت يأسويد من قَبْلِ المشرق، وأتيهم أنت ياحلّل، من قَبْلِ المغرب، وتليّج كلّ امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه، ولا تقاموا عنهم حتى يأتيتكم امرئ.

قال فروة بن لقيط ^(٤): وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه ^(٥)، فقال لجماعتنا: تيسّروا، وليسر كلّ امرئ منكم مع أميره، وليتظر ما يأمره به أميره فليتبعمه، فلما قضت دوابنا - وذلك أول ما هدأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى دير الحرارة، فإذا القوم عليهم مسلّحة بن أبي لينة، فما هو إلّا أن رآهم مصاد أخو شبيب حتى حمل عليهم في أربعين رجلاً؛ وكان شبيب أراد أن يرتفع عليهم حتى يأتيتهم من ورائهم، كما أمره ^(٥).

(١) من الطبري.

(٢) الطبري: «بدير يزدجرد».

(٣) تطلق حلوان على عدة مواضع، وهي هنا حلوان العراق، آخر حدود السواد مما يلي العراق، كانت مدينة عامرة لم يكن بالعراق بعد البصرة والكوفة، وواسط بغداد أكبر منها. (مراسد الأعلام).

(٤) هو راوي الخبر في الطبري، حدثه به عنه أبو مخنف.

(٥ - هـ) النص كما في الطبري: «حتى إذا قضت دوابنا، وذلك أول الليل، أول ما هدأت العيون، خرجنا حتى انتهينا إلى دير الحرارة، فإذا للقوم مسلّحة، عليهم عياض بن لينة، فما هو إلّا أن انتهينا إليهم، حمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلاً - وكان أمام شبيب - وقد كان أراد أن يسبق شيباً حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائه كما أمره».

فلما لَقِيَ هؤلاء قاتلهم ، فصبروا له ساعة وقاتلوه . ثم إِنَّا دَفَعْنَا إِلَيْهِمْ جَمِيعًا ، فَهَزَمْنَاهُمْ ، وَأَخَذُوا الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَسْكَرِهِمْ بِدِيرٍ يَزِيدُ جَرْدًا إِلَّا نَحْوَ مِيلٍ ^(١) ، فَقَالَ لَنَا شَيْبٌ : ارْكَبُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَكْتَافَهُمْ ؛ حَتَّى تَدْخُلُوا مَعَهُمْ عَسْكَرَهُمْ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ ، فَأَتْبَعْنَاهُمْ مَلْفَتَيْنِ ^(٢) بِهِمْ ، مَلْحَيْنَ عَلَيْهِمْ ، مَا نُرْفَهُ عَنْهُمْ وَهُمْ مَنَهْزَمُونَ ، مَا لَمْ هَمَّةَ إِلَّا عَسْكَرَهُمْ .

فَنَعْمَهُمْ أَصْحَابَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ، وَرَشَقُوهُمْ ^(٣) بِالنَّبْلِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ عَيُونَ قَدْ أَتَتْهُمْ فَأَخْبَرَتْهُمْ بِمَكَانِنَا ، وَكَانَ الْجَزْلُ قَدْ خَنَدَقَ عَلَيْهِمْ وَتَحَرَّزَ ، وَوَضَعَ هَذِهِ الْمَسْلِحَةَ الَّتِي لَقِينَاهُمْ [بِدِيرِ الْخَرَّارَةِ] ^(٤) ، وَوَضَعَ مَسْلِحَةً أُخْرَى مِمَّا يَلِي حُلُوانَ .

فلما اجتمعت المسالِحُ ، وَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَمَنَعُونَا مِنْ خَنَدَقِهِمْ ، رَأَى ^(٥) شَيْبٌ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : سَيَرُوا وَدَعَوْهُمْ ، فَلَمَّا سَارَ عَنْهُمْ أَخَذَ عَلَى طَرِيقِ حُلُوانَ ؛ حَتَّى كَانَ مِنْهُمْ عَلَى سَبْعَةِ أَمْيَالٍ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : انْزِلُوا فَأَقْضُوا دَوَابَّكُمْ ، وَقِيلُوا وَتَرَوْحُوا ، فَصَلُّوا رَاكِعَتَيْنِ ، ثُمَّ ارْكَبُوا . ففعلوا ذلك . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ رَاجِعًا إِلَى عَسْكَرِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ : سَيَرُوا عَلَى تَعْيِيتِكُمُ الَّتِي الَّتِي عَبَّأْتُكُمْ عَلَيْهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَأَطِيفُوا ^(٦) بِعَسْكَرِهِمْ كَمَا أَمَرْتُكُمْ . فَأَقْبَلْنَا ^(٧) مَعَهُ ، وَقَدْ أَدْخَلَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَسَالِحَهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَأَمِئُوا ، فَمَا شَعَرُوا حَتَّى سَمِعُوا وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ ، فَانْتَهَبْنَا إِلَيْهِمْ قَبِيلَ الصَّبْحِ ، وَأَحْطَنَّا بِعَسْكَرِهِمْ ، وَصَحْنَا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَقَاتَلُونَا ، وَرَمُونَا بِالنَّبْلِ ؛ فَقَالَ شَيْبٌ ^(٨) لِأَخِيهِ مَصَادَ ، وَكَانَ يِقَاتِلُهُمْ مِنَ الْجَانِبِ

(١) الطبري : « قريب من ميل » .

(٢) ملفتين : ملحيتين .

(٣) الطبري : « ورشقونا » .

(٤) من الطبري .

(٥) الطبري : « ثم أطفوا بعسكرهم » .

(٦) في الأصول : « نظر » ، والأجود ما أنبته من تاريخ الطبري .

(٧) (٨) الطبري : « ثم أن شيبا » .

(٧) الطبري : « فأقبلوا » .

الذى إلى الكوفة : خَلَّ لهم سبيل [طريق] ^(١) الكوفة ، نفلى لهم ، وقتلناهم من [تلك] ^(٢) الوجوه الثلاثة الأخرى إلى الصبح ^(٣) ، ثم سرنا وتركناهم ، لأننا لم نظفر بهم ، فلما سار شبيب سار الجزل في أثره يطلبه ، وجمل لا يسير إلا على تعبئة وترتيب ، ولا ينزل إلا على خندق ؛ وأما شبيب فضرب في أرض جَوْحَى ، وترك الجزل ، فطال أمره على الحجاج ، فكتب إلى الجزل كتاباً قرئ على الناس وهو :

أما بعد ، فإنى بعثتك في فرسان [أهل] ^(١) المضر ووجوه الناس ، وأمرتك بالتباعد هذه ^(٢) المارقة ، وألا تقلع عنها حتى تقتلها وتغنيها ^(٣) ؛ فجعات ^(٤) التمريس في القرى ، والتخيم في الخنادق ، أهون عليك من المضي لمانهضتهم ومناجزتهم . [والسلام] ^(٥) .

قال : فشق كتاب الحجاج على الجزل ، وأرجف الناس بأمره ؛ وقالوا : سيعزله ، فما لبث الناس أن بعث الحجاج سعيد بن الجالد أميراً بدله ، وعهد إليه : إذا لقي المارقة أن يزحف إليهم ، ولا يناظرهم ، ولا يطاولهم ، ولا يصنع صنع الجزل ^(١) ، وكان الجزل يومئذ قد انتهى في طلب شبيب إلى النهروان ، وقد لزم عسكره ، وخندق عليهم ؛ فجاء سعيد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميراً ، فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد مجزتم ووهنتم ، وأغضبتكم عليكم أميركم ، أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين ، قد أخبروا بلادكم ، وكسروا خراجكم ؛ وأنتم

(١) من الطبرى .

(٢) الطبرى : « حتى أصبحنا » .

(٣ - ٣) الطبرى : « المارقة الضالة المضلة ؛ حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتغنيها » .

(٤) الطبرى : « وجدت » .

(٥) في الطبرى ، بعدها : « فقرأ الكتاب علينا ، ونحن بقطرنا ودير ابن مريم » .

(٦) بعدها في الطبرى : « واطلبهم طلب السبع ، وحد عنهم جندان الضبم » .

حَذِّرون في جوف هذه الخنادق لا تُزايِلونها إِلَّا أن يبلَنفكم أَنهم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا
بلداً سوى بلدكم ؛ اخرجوا على اسم الله إليهم .

ثم خرج وخرج الناس معه ^(١) ، فقال له الجزل : ماتريد أن تصنع ؟ قال : أقدم على
شبيب وأصحابه في هذه الخيل ؛ فقال له الجزل : أقيم أنت في جماعة الناس ^(٢) ، فارسلهم
وراجلهم ^(٣) ؛ ولا تفرق أصحابك ، ودعني أضحر له ^(٤) ؛ فإن ذلك خير لك وشر لهم ^(٥) .
فقال سعيد : بل تقف أنت في الصف ، وأنا أضحر له ، فقال الجزل : إني برئ من
رأيتك هذا ؛ سمع الله ومن حضر من المسلمين ! فقال سعيد : هو رأيي ؛ إن أصبت فيه ،
فالله وقفي ، وإن أخطأت ^(٦) فيه فأنتم برآء .

فوقف الجزل في صف [أهل] ^(٧) الكوفة ، وقد [أخرجهم من الخندق و] ^(٨) جعل
على يمينهم عياض بن أبي لينة الكندي ، وعلى يسرهم عبد الرحمن بن عوف
أبا حميد الراسبي ^(٩) ؛ ووقف الجزل في جماعتهم ، واستقدم سعيد بن مجالد فخرج
[وأخرج] ^(١٠) الناس معه ؛ وقد أخذ شبيب إلى براز الروز ^(١١) ، فنزل قطفًا ^(١٢) ،
وأمر دهقانها أن يشوي لهم غنما ، ويعد لهم غداء ففعل ، وأغلق مدينة قطفًا ، ولم يفرغ

(١) في الطبري بعدها : « وجمع إليه خيول أهل الصكر » .

(٢) الطبري : « الجيش » .

(٣ - ٣) عبارة الطبري : « وأصحر له ، فواقه ليتقدم عليك ؛ فلا تفرق أصحابك ؛ فإت ذلك

شئ لهم وخير لك » .

(٤) أصحر القوم ؛ إذا برزوا في الصحراء ؛ لا يواريهم شيء .

(٥) الطبري : « وإن يكن غير صواب » .

(٦) من الطبري .

(٧) في الأصول : « وأبا حميد » ، والصواب ما أثبتته من الطبري .

(٨) براز الروز ، بالزاي ، وألف ولام وراء مضمومة : من طسايح السواد ببغداد ؛ من الجانب
الشرقي من أستان البهباذ ، كان للمتضد به أبنية جليلة . (مراد الاطلاع) .

(٩) قطفًا : محلة غربي بغداد .

الدَّهْقَانُ من طَعَامِهِ حَتَّى أَحَاطَ بِهَا ابْنُ مَجَالِدٍ ، فَصَعِدَ الدَّهْقَانُ ، ثُمَّ نَزَلَ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَقَالَ شَيْبٌ : مَا بَالُكَ ؟ قَالَ : قَدْ جَاءَكَ جَمْعٌ عَظِيمٌ ، قَالَ : أَبْلَغُ ^(١) شَوَاؤُكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : دَعْنِي يَبْلُغُ ، ثُمَّ أَشْرَفَ الدَّهْقَانُ إِشْرَافَةً أُخْرَى ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ : قَدْ أَحَاطُوا بِالْجَوْسِقِ ، قَالَ : هَاتِ شَوَاءَكَ ؛ فَجَعَلَ يَأْكُلُ غَيْرَ مَكْتَرٍ بِهِمْ وَلَا فَرْعٍ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ، قُومُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَامَ فِتْنُضًا ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْأُولَى ، وَلَبِسَ دَرْعَهُ ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَأَخَذَ عُمُودَهُ الْحَدِيدَ ، ثُمَّ قَالَ : أَسْرِجُوا لِي بِنَظَرِي ، فَقَالَ أَخُوهُ : أَفَى مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ تَرْكَبُ ^(٢) بَغْلَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَسْرِجُوهَا ، فَرَكَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا فُلَانُ ، أَنْتَ عَلَى الْمِيمَنَةِ ، وَأَنْتَ يَا فُلَانُ عَلَى الْمِيسَرَةِ ، وَأَنْتَ يَا مَصَادَ - يَعْنِي أَخَاهُ - عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَمْرُ الدَّهْقَانِ فَفَتَحَ الْبَابَ فِي وَجْهِهِمْ .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَحْكُمُ ^(٣) ، وَحَمَلَ حِمْلَةً عَظِيمَةً ، فَجَعَلَ سَعِيدٌ وَأَصْحَابُهُ يَرْجِعُونَ الْقَهْقَرَى ، حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّيْرِ مِيلٌ ، وَشَيْبٌ يَصِيحُ : أَنَا كَمِ الْمَوْتِ الزَّوَامُ ! فَاتَّبَعُوا ، وَسَعِيدٌ يَصِيحُ : يَا مَعْشَرَ هَذَانِ ، إِلَى إِلَيَّ ، أَنَا ابْنُ ذِي مَرَّانٍ ! فَقَالَ شَيْبٌ لِمَصَادَ : وَنَحْنُ كَمِ اسْتِعْرَاضِهِمْ اسْتِعْرَاضًا ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ تَقَطَّعُوا ، وَإِنِّي حَامِلٌ عَلَى أَمِيرِهِمْ ، وَأُنْكَلَنِيكَ اللَّهُ إِنْ لَمْ أَتُكِلْهُ وَلَدَهُ ؛ ثُمَّ حَلَّ عَلَى سَعِيدٍ فَعَلَاهُ بِالْعُمُودِ ؛ فَسَقَطَ ^(٤) مَيِّتًا وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَلَمْ يَقْتُلْ يَوْمئِذٍ مِنْ الْخَوَارِجِ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا .

وَانْتَهَى قَتْلُ سَعِيدٍ إِلَى الْجَزْلِ ، فَنَادَاهُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِلَى إِلَيَّ ؛ وَصَاحَ عِيَاضُ ابْنُ أَبِي لَيْثَةَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ يَكُنْ أَمِيرُكُمْ هَذَا الْقَادِمُ هَلَاكَ ، فَهَذَا أَمِيرُكُمْ الْمَيِّمُونَ النِّقْيِيَّةَ ، أَقْبِلُوا إِلَيْهِ ؛ فَهُمْ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَكِبَ فَرَسَهُ مِنْهَزِمًا ، وَقَاتَلَ الْجَزْلَ يَوْمئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى صُرِعَ ، وَحَامَى عَنْهُ خَالِدُ بْنُ تَمِيمٍ ، وَعِيَاضُ بْنُ أَبِي لَيْثَةَ ؛ حَتَّى اسْتَنْقَذَاهُ

(١) الطبري : « أبلغ الشواء » وبلوغ الشواء : نضجه .

(٢) الطبري : « تسرج » .

(٣) التحكميم : قول الخوارج : « لا حكم إلا لله » .

(٤) في الأصول : « ثم سقط » ، والأجود ما أثبتته من الطبري .

مرتنا ، وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة ، وأتى بالجزل جريحا حتى دخل المدائن ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ؛ فإنى أخبر الأمير - أصلحه الله - أنى خرجتُ فيمن قبلى من الجند الذى وجهنى فيه إلى عدوه ، وقد كنتُ حفظتُ عهدَ الأمير إلى فيهم ورأيه ؛ فكنتُ أخرجُ إلى المارقين ^(١) إذا رأيتُ الفرصة ، وأحبس [الناس] ^(٢) عنهم إذا خشيتُ الورطة ، فلم أزل كذلك أديرُ الأمر ، وأرفقُ فى التدبير ؛ وقد أراذنى العدو بكل مكيدة ، فلم يُصب منى غرة ، حتى قدم على سعيد بن بجالد ، فأمرته بالتؤدة ، ونهيته عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا فى جماعة الناس عامة ، فصانى وتعبل إليهم فى الخيل ، فأشهدتُ الله عليه وأهل المصرين أنى برىء من رأيه الذى رأى ، وأنى لا أهوى الذى صنع ، فضى فقتل ، تجاوز الله عنه ، ودفع ^(٣) الناس [إلى] ^(٤) فنزلت ودعوتهم إلى نفسى ^(٥) ورفعتُ رايى ، وقاتلت حتى صرعت ، فحملنى أصحابى من بين القتلى ، فساأفتُ ألا وأنا على أيديهم ؛ على رأس ميلٍ من المعركة ، وأنا اليوم بالمدائن ، وفى جراحات ^(٦) قد يموت الإنسان من دونها ؛ وقد يعافى من مثلها ؛ فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتى له ولجلده ، وعن مكايدي عدوه ، وعن موقفى يوم البأس ؛ فإنه سيبين ^(٧) له عند ذلك أنى صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

-
- (١) الطبرى : « إليهم » .
 - (٢) من الطبرى
 - (٣) دفع الناس ، أى جاءوا مرة مجتمعين .
 - (٤) الطبرى : « ودعوتهم إلى » .
 - (٥) الطبرى : « جراحة » .
 - (٦) الطبرى : « يستبين » .

أما بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، ^(١) وفهمت كل ما ذكرته فيه من أمر سعيد وأمر نفسك ، وقد صدقتك في نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ، وقد رضيت بحجة سعيد وتؤدتك ^(٢) . فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك ^(٣) فإنها ما لم تدع الفرصة إذا أمكنت حزم ^(٤) ؛ وقد أحسنت وأصبت وأجرت ، وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والنصيحة ؛ وقد أشخصت إليك حيان بن أبجر ^(٥) الطبيب ليداويك ، ويعالج جراحاتك ؛ وقد بعثت إليك بألفي درهم نفقة تصرفها في حاجتك وما ينوبك ^(٦) . والسلام .

وبعث عبد الله بن أبي عصفير وإلى المدائن إلى الجزل بألف درهم ؛ وكان يعودہ ويتماهدہ بالأنطاف والهدايا .

وأما شبيب ، فأقبل حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وأخذ بأصحابه نحو الكوفة . وبلغ الحجاج مكانه بحمام أعين ؛ فبعث إليه سويد بن عبد الرحمن السعدى ، فجهزه بألفي فارس منتخبين ، وقال له : اخرج إلى شبيب فآلقه ولا تتبعه ؛ فخرج بالناس بالسبحة ^(٧) ؛ وبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فسار نحوه كأنما يساق إلى الموت هو وأصحابه ، وأمر الحجاج عثمان بن قطن ، فعسكر بالناس في السبحة ، ونادى : ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند ، بات الليلة بالكوفة ؛ ولم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبحة ، فبينما سويد بن عبد الرحمن يسير في الألفين الذين معه ؛ وهو يعيهم ويحرضهم ؛ إذ قيل له :

(١ - ١) الطبرى : « وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته إلى عدوه وتؤدتك . »

(٢ - ٢) الطبرى : « فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ، وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم . »

(٣) ب : « جبار بن الأعز » .

(٤) في الطبرى بسدها : « فقدم عليه حيان بن أبجر الكنانى ، من بنى فراس ؛ وهم يعالون الكى وغيره ، فكان يداويه . »

(٥) السبحة : موضع بالبصرة .

قد غشيك شبيب؛ فنزل ونزل معه جُل أصحابه ، وقدّم رايته ؛ فأخبر أن شبيباً لما علم بمكانه تركه ، ووجد مخاضة^(١) فعبّر الفرات ؛ يريد الكوفة من غير الوجه الذي سويد ابن عبد الرحمن به ، ثم قيل : أما تراهم افنأدى في أصحابه ، فركبوا في آثارهم ، فأنى شبيب دار الرزق فنزلها ، وقيل له : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون ، فلما بلغهم مكان شبيب ، ماج الناس بعضهم إلى بعض ، وجالوا وهتموا بدخول الكوفة ، حتى قيل : هذا سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم ؛ وهو يقاتلهم في الليل ، ومضى شبيب حتى أخذ على شاطئ الفرات ، ثم أخذ على الأنبار ، ثم دخل دقوقاء^(٢) ، ثم ارتفع إلى أدانى أذربيجان .

• وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة حيث بعد شبيب ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فإشعر الناس إلا بكتاب [من]^(٣) مادارست^(٤) ، دهنان بابل مهروز إلى عروة بن المغيرة بن شعبة ، أن تاجرأ من تجار [الأنبار من]^(٣) أهل بلادى

(١) المخاضة : موضع الخوض في الماء .

(٢) دقوقاء ، بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو كاف أخرى وألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين لابل وبغداد معروفة ؛ قال ياقوت : لها ذكر في الأخبار والفتوح ، كان بها وقعة للخوارج فقال الجعدي بن أبي حماد الذهلي يرثيهم :

شباب أطاعوا الله حتى أحبهم
فلمّا تبوّؤا من دقوقاء بمنزل
دعوا خصمهم بالحكمات وبينوا
بنفسى قتلى في دقوقاء غودرت
لثقتك نساء المسلمين عليهم
وكلهم شارب يخاف وبطامع
لميعاد إخوانه تداعوا فأجمعوا
ضلاتهم ، والله ذو العرش يسمع
وقد قطعت منها رؤوس وأذرع
وفي دون ملاقين مبكى ومجزع

(٣) من الطبرى .

(٤) الطبرى : « ما ذروا سب » .

أتانى يذكر أن شيبك يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل ، وأحببت إعلامك [ذلك]^(١) ترى رأيك ؛^(٢) وإني لم ألبث بعد ذلك إذ جاءني اثنان من جيراني^(٣) فحدثاني أن شيبك قد نزل خانيجار^(٤) .

فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرّح به إلى الحجاج إلى البصرة . فلما قرأ الحجاج أقبل جاداً^(٥) إلى الكوفة ، وأقبل شيبك [يسير]^(٦) حتى انتهى إلى قرية حرّبي^(٧) على شاطئ دجلة ، فعبرها وقال^(٨) لأصحابه : يا هؤلاء ، إن الحجاج ليس بالكوفة ، وليس دون أخذها شيء إن شاء الله . فسيروا بنا ، نخرج يُبادر الحجاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحجاج : إن شيبك قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة ، فالمجلّ العجل .

فطوى الحجاج للنازل مسابقاً^(٩) لشيبك إلى الكوفة ، فسبقه ونزلها صلاة العصر ، ونزل شيبك السبّخة صلاة العشاء الآخرة ، فأصاب هو وأصحابه من الطعام شيئاً يسيراً ، ثم ركبوا خيولهم ، فدخل شيبك الكوفة في أصحابه حتى انتهى إلى السوق ، وشدّ حتى ضرب باب القصر بعموده ، فحدث جماعة^(١٠) أنهم رأوا أثر ضربة شيبك بالعمود بباب القصر ، ثم أقبل حتى وقف عند باب المصطبة ، وأنشد :

(١) من الطبري

(٢ - ٢) الطبري : « ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جانيان من بجاني » .

(٣) خانيجار : بلدة قريبة من دقوقة .

(٤) الطبري : « جوادا » .

(٥) قال ياقوت : « حربي مقصور ، والعامّة تتلفظ به بمالا : بلدة في أقصى دجيل ، بين بغداد وتكرت مقابل الحظيرة » .

(٦) في الطبري بعدها : « فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حربي ، فقال : حرب يصل بها عدوك ، وحرب (بالفتح) تدخلونه بيوتهم ؛ إنما يتطير من يقوف ويعيف . ثم ضرب رايته ، وقال لأصحابه : سيروا ، فأقبل حتى نزل عقرقوفا ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ؛ لو تحولت بنا من هذه القرية المشعومة الاسم ؟ قال : وقد تطيرت أيضاً ! والله لا تحول عنها حتى أسير إلى عدوى منها ؛ إنما شوّمتها لأن شاء الله على عدوك ، تحملون عليهم فيها فالمقر لهم » .

(٧) « واستبقا إلى الكوفة » .

(٨) الطبري : « قال أبو المنذر ؛ رأيت ضربة شيبك . . . »

وَكَانَ حَافِرَهَا بِكَلِّ ثَنِيَّةٍ فَرَّقَ بِكَيْلٍ بِهِ شَحِيحٌ مُعْدِمٌ^(١)
^(٢) ثم أقحم هو وأصحابه المسجد الجامع ، ولا يفارقه قومٌ يصلون^(٢) فيه ، فقتل منهم
 جماعة، ومرّ هو بدار حَوْشَب - وكان هو على شُرْطَةِ الحجاج - فوقف على بابه في جماعة ،
 فقالوا: إن الأمير - يعنون الحجاج - يدعو حوشبا، وقد أخرج ميمون غلامه بِرْذَوْنَه ليركب ،
 [فكأنه أنكرهم ، فظنوا أنه قد اتهمهم]^(٣) فأراد أن يدخل إلى صاحبه ، فقالوا له: كما
 أنت حتى يخرج صاحبك إليك، فسمع حوشب الكلام ، فأنكر القوم، وذهب لينصرف
 فعجلوا نحوه ، فأغلق الباب دونه ، فقتلوا غلامه ميمونا ، وأخذوا بِرْذَوْنَه ، ومضوا حتى
 مرّوا بالجحّاف بن نبيط الشيباني، من رهط حَوْشَب. فقال له سويد : انزل إلينا ، فقال :
 ما تصنع بنزولي فقال : انزل، إني لم أقضك ثمن البكرة التي ابتمها منك بالبادية ، فقال
 الجحّاف : بئس ساعة القضاء هذه ! وبئس المكان لقضاء الدين هذا . ويحك ! أما ذكرت
 أداء أمانتك إلا والليل مظلم ، وأنت على متن فرسك ! قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا
 يتم إلا بقتل الأنفس^(٤) وسفك الدماء . ثم مرّوا بمسجد بني ذهل، فلقوا ذهل بن الحارث،
 وكان يصلي في مسجد قومه ، فيطيل الصلاة إلى الليل، فصادفوه منصرفا إلى منزله فقتلوه^(٥)
 ثم خرجوا متوجّهين نحو الردمة^(٦)؛ وأمر الحجاج اللنادي : يا خيل الله اركبي وأبشري،
 وهو فوق باب القصر ؛ وهناك^(٧) مصباح مع غلام له قائم .

(١) الفرق : مكيال يسع ثلاثة آصع ، أو ستة عشر رطلا . وفي الطبري : « كيل يكيل به » ؛
 وبمده :

عَبْدٌ دَعِيَ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ

(٢ - ٢) الطبري : « ثم اقتحموا المسجد الأعظم ؛ وكان لا يفارقه قوم يصلون به » .
 (٣) من الطبري .

(٤) الطبري : « بقتل ذوى القرابة وسفك دماء هذه الأمة » .

(٥) في الطبري : « فشدوا عليه ليقتلوه ؛ فقال : اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظالمهم وجهلهم ؛ اللهم
 إني عنهم ضعيف فانتصر لي منهم ؛ فضرّبوه حتى قتلوه » .

(٦) الردمة . (٧) الطبري : « وثم » .

وكان أول من جاء من الناس عثمان بن قطن ، ومعه مواليه وناس من أهله ، وقال :
أعلموا الأمير مكاني ، أنا عثمان بن قطن ، فليأمرني بأمره . فناداه الغلام صاحب المصباح :
قف مكانك حتى يأتيتك أمر الأمير ، وجاء الناس من كل جانب ، وبات عثمان مكانه
فيمر اجتمع إليه من الناس ؛ حتى أصبح .

وقد كان عبد الملك بن مروان بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب
له عهداً عليها ، وكتب إلى الحجاج : إذا قدم عليك محمد بن موسى الكوفة ، فجهز معه ألفي
رجل ، وتجهل سراحه إلى سجستان .

فلما قدم الكوفة ، جعل يتجهز^(١) ؛ فقال له أصحابه ونصحاؤه : تعجل أيها الرجل إلى
عملك ، فإنك لا تدري ما يحدث ، وعرض أمر شبيب حينئذ ودخوله الكوفة ، فقيل
للحجاج : إن محمد بن موسى إن سار إلى سجستان مع نجلته وصهره لأمر المؤمنين
عبد الملك ، فلجأ إليه أحد من تطلبه ، منعك منه . قال : فما الحيلة ؟ قالوا : أن تذكر له أن
شبيباً في طريقه وقد أعياك ، وأنك ترجو أن يريح الله عنه على يده ، فيكون له ذكر
ذلك وشهرته .

فكتب إليه الحجاج : إنك عامل على كل بلاد مرت به ، وهذا شبيب في طريقك
تجاهده ومن معه ، ولك أجره وذكره وصيته ، ثم تمضى إلى عمك ؛ فاستجاب له .

وبعث الحجاج بشر بن غالب الأسدي في ألفي رجل ، وزباد بن قدامة في ألفين ،
وأبا الضريس مولى تميم في ألف من الموالى ، وأعين صاحب حمام أعين مولى لبشر بن
مروان في ألف ، وجماعة غيرهم ؛ فاجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، وترك شبيب
الوجه الذي فيه جماعة هؤلاء القواد ، وأخذ نحو القادسية ، فوجه الحجاج زحر بن قيس

(١) الطبري : « جل يتجهس في الجهاز » ، والتعيس : التوقف واللباؤ .

في جريدة خيل، نُقاوة^(١)، عدتها ألف وثمانمائة فارس، وقال له : اتبع شبيبا حتى تواقعه
حيثما أدركته ؛ فخرج زحر بن قيس حتى انتهى إلى السيلحين^(٢) ، وبلغ شبيبا مسيره
إليه فأقبل نحوه ، فالتقيا ، وقد جعل زحر على ميمنته عبد الله بن كفتاز ، وكان شجاعا ،
وعلى ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي ، وجمع شبيب خيله كلها كبكبة^(٣)
واحدة ، ثم اعترض بها الصفّ يُوجف^(٤) وجيفا ، حتى انتهى إلى زحر بن قيس ، فنزل
زحر ، فقاتل حتى صُرع وانهمزم أصحابه ، وظن أنه قد قتل .

فلما كان الليل وأصابه البرد ؛ قام يمشى حتى دخل قرية ، فبات بها ومحل منها إلى
الكوفة ، وبوجهه أربع^(٥) عشرة ضربة ، فمكث أياما ، ثم أتى الحجّاج ، وعلى وجهه
[وجراحه]^(٦) القطن ، فأجلسه معه على السرير^(٧) . وقال أصحاب شبيب لشبيب ؛

(١) نقاوة الشيء : خياره .

(٢) قال ياقوت : « ذكر سيلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب الحيرة ضاربة في البر
قرب القادسية ؛ ولذلك ذكر الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية ؛ فقال سليمان بن ثمامة حين سير
امرأته من اليمامة إلى الكوفة :

فمرت بباب القادسية غدوة وراحتها بالسيلحين العباثر
فلما انتهت دون الخورنق عادهما وقصر بني النعمان حيث الأواخر
إلى أهل مصر أصلح الله حاله به المسلمون والجهود الأكابر
فصارت إلى أرض الجهاد وبلادة مباركته والأرض فيها مصائر
فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(٣) الكبكية : الجماعة من الناس

(٤) أوجفت الخيل في السير : سارت سيرا فسيحا واسعا . وق الطبرى : « فوجف وجيفا » .

(٥) الطبرى : « وبوجهه بضع عشرة جراحة ؛ من بين ضربة وطلعة » .

(٦) من الطبرى .

(٧) في الطبرى بعدها : « وقال لمن حوله : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمضى بين الناس

وهو شهيد ؛ فلي نظر إلى هذا » .

وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً : قد هزمتنا جندهم ؛ وقتلنا أميراً من أمرائهم عظيماً ؛
فانصرف بنا الآن موفورين^(١) . فقال لهم : ^(٢) « إن قتلتم هذا الرجل ^(٣) وهزمتكم هذا
الجند قد أربع هؤلاء الأمراء^(٤) ؛ فاقصدوا بنا قصدكم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم مادون
قتل الحجاج وأخذ الكوفة شيء . فقالوا له : نحن طوع لأمرك ورأيتك ، فاقض بهم
جأداً^(٥) ؛ حتى أتى ناحية عين^(٦) التمر ؛ واستخبر عن القوم ، فعرف اجتماعهم في رُوذبار^(٧)
في أسفل الفرات ، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة .

وبلغ الحجاج مسير شبيب إليهم ، فبعث إليهم^(٨) : « إن جمعكم قتال ، فأمر الناس
زائدة بن قدامة .

فانتهى^(٩) إليهم شبيب ، وفيهم سبعة أمراء ، على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد
عقب كل أمير أصحابه على حدة ، وهو واقف في أصحابه ، فأشرف شبيب على الناس ،
وهو على فرس أغر كميته^(١٠) ؛ فنظر إلى تعبيتهم ، ثم رجع إلى أصحابه ، وأقبل في ثلاث
كتائب يزحف^(١١) بها ، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم ،

(١) الطبرى : « وافرين »

(٢ - ٣) الطبرى : « فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ؛ وهزمتنا هذا الجند قد أربعت هذه الأمراء
والجنود التي بعثت في طلبهم » .

(٣) الطبرى : « مادون الحجاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله » .

(٤) الطبرى : « جواداً » .

(٥) فى الطبرى : « نجران الكوفة ناحية عين التمر » . ونجران الكوفة ، على يومين منها ؛ فبابنا
وبين واسط « على الطريق ؛ سكنه أهل نجران لما أجلاهم عمر ؛ فسموا الموضع باسمهم . وعين التمر : بلدة فى
طرف البادية على غربي الفرات ؛ أكثر نخلها القصب ، ويحمل إلى سائر الأماكن . (مرصداً للاطلاع) .
(٦) رُوذبار ؛ ضبطه صاحب مرصداً للاطلاع ، بضم أوله وسكون ثانية وذال معجمة ، وباء موحدة ،
وأخره راء ؛ قال : ويطلق على عدة مواضع .

(٧) فى الطبرى : « فبعث إليهم عبد الرحمن بن الفرق ، مولى ابن أبي عقيل ، وكان على الحجاج كريماً » .

(٨) الكلام فى الطبرى ، عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب .

(٩) الكميته من الخيل : ما بين الأسود والأحمر . والأغر : ما كان يجبهته غرة .

(١٠) فى الطبرى : « يوجفون بها » .

فوقفت بإزاء ميمنة زائدة بن قدامة ؛ وفيها زياد بن عمرو العتكي ، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب ، فوقفت بإزاء الليسة ، وفيها بشر بن غالب الأسدي ، وجاء شبيب في كتيبة ؛ حتى وقف مُقابل القوم في القلب ، فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس بين الميمنة والليسة ، يحرّض الناس ، ويقول : عباد الله ؛ إنكم الطيبون الكثيرون ، وقد نزل بكم الخبيثون القليلون ؛ فاصبروا جعلت لكم الفداء ؛ إنما هي حُلتان أو ثلاث ؛ ثم هو النصر ليس دونه شيء ؛ ألا ترونهم والله لا يكونون مائتي رجل ، إنما هم أكلة رأس^(١) وهم الشراق المراق ؛ إنما جاءوكم ليُهريقوا دماءكم ، ويأخذوا فيكم ؛ فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه ؛ وهم قليل وأنتم كثير ؛ وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة ، غضبوا الأبصار واستقبلوهم بالأسنة ؛ ولا تحملوا عليهم حتى آمركم .

ثم انصرف إلى موقفه ، فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو العتكي ، فكشف صفّه ، وثبت زياد قليلا ثم ارتفع سويد عنهم يسيرا ثم كثر عليهم ثانية^(٢) .

فقال فروة بن لقيط الخارجيّ^(٣) : اطعنا ذلك اليوم ساعة فصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا^(٤) ، ولقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشدّ العرب قتالا وأشجعهم ؛ وهو واقف لا يعرض لم ؛ ثم ارتفعنا عنهم ؛ فإذا هم يتقوّضون ، فقال بعض أصحابنا لبعض : ألا ترونهم يتقوّضون ؟ اجملوا^(٥) عليهم ، فأرسل إلينا شبيب ؛ خلّوهم لا تحملوا عليهم حتى يخفّوا ، فتركناهم قليلا ، ثم حملنا عليهم الثالثة فانهمزوا ، فنظرت إلى زياد بن عمرو ، وإنه ليضرب بالسيوف^(٦) ، ومامن سيف يضرب به

(١) يقولون : هم أكلة رأس ؛ أي هم قليل يشبههم رأس واحد .

(٢) في الطبري بعدها : « فاطمنا ساعة »

(٣) في الطبري : « قال أبو مخنف : خدتنى فروة »

(٤) في الطبري بعدها : « وجل يتادى : ياخيل ، ويشد بالسيف ، فيقاتل قتالا شديدا » .

(٥) الطبري : « اجمل عليهم » . (٦) الطبري : « بالسيف » .

إِلَّا نَبَأَ عَنْهُ ؛ وَلَقَدْ اعْتَوْرَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ سَيْفًا وَهُوَ بِحَقْفٍ ، فَنَاضَرَهُ شَيْءٌ مِنْهَا ،
ثُمَّ انْهَزَمَ ^(١) .

وَانْتَهَيْنَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ أَمِيرِ سَجِسْتَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ؛ وَهُوَ قَائِمٌ فِي أَصْحَابِهِ ؛
فَقَاتَلْنَاهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَبَّرَ لَنَا .

ثُمَّ إِنْ مَصَادًا حَمَلَ ^(٢) عَلَى يَشَرَ بْنِ غَالِبٍ فِي الْمَيْسِرَةِ فَصَبَّرَ وَكُرِّمَ وَأَبْلَى ، وَنَزَلَ مَعَهُ
رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ نَحْوَ خَمْسِينَ ، فَضَارِبُوا بِأَسْيَافِهِمْ ^(٣) حَتَّى قَتَلُوا ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَشَدَّدْنَا عَلَى
أَبِي الضَّرِيرِ فَهَزَمْنَاهُ ، ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى مَوْقِفِ أُعَيْنَ ، ثُمَّ شَدَدْنَا عَلَى أُعَيْنَ ؛ فَهَزَمْنَاهُمْ حَتَّى
انْتَهَيْنَا إِلَى زَائِدَةَ بْنِ قَدَامَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ ، نَزَلَ وَنَادَى : يَا أَهْلَ الْإِسْلَامَ ، الْأَرْضَ
الْأَرْضَ ! أَلَا لَا يَكُونُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ . فَقَاتَلُوا عَامَّةَ اللَّيْلِ
إِلَى السَّحَرِ .

ثُمَّ إِنْ شَيْبِيًّا شَدَّ عَلَى زَائِدَةَ بْنِ قَدَامَةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ رِبِضَةً ^(٤)
حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ ، وَنَادَى شَيْبِيٌّ فِي أَصْحَابِهِ : ارْفَعُوا السَّيْفَ ، وَادْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ ،
فَدَعَوْهُمْ عِنْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْبَيْعَةِ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(٥) بْنُ جَنْدَبٍ : فَكَانَتْ فِيمَنْ تَقَدَّمَ فَبَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَهُوَ وَقَفَ عَلَى

(١) فِي الطَّبَرِيِّ بَعْدَهَا . « وَقَدْ جَرَحَ جِرَاحَةً بَسِيرَةً ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ شَدَدْنَا عَلَى عَبْدِ الْأَعْلَى
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ؛ فَهَزَمْنَاهُ وَمَاتَ قَتْلًا كَثِيرًا ؛ وَقَدْ ضَارِبَ سَاعَةً ؛ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ جَرَحٌ ثُمَّ لَحِقَ
بِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو فَضَيَّا مِنْهُمْ مِيزِينَ ؛ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى . . . » .

(٢) الْكَلَامُ مِنْ هُنَا فِي الطَّبَرِيِّ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِي خُفَيْفٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ وَفُرُوقِ بْنِ لَقِيطٍ .
(٣) فِي الطَّبَرِيِّ بَعْدَهَا : « حَتَّى قَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ؛ وَكَانَ فِيهِمْ عُرْوَةُ بْنُ زَهْرٍ بْنُ نَاجِدِ الْأَزْدِيِّ ، وَأُمُّهُ
زُرَّارَةُ ؛ امْرَأَةٌ وَلَدَتْ فِي الْأَزْدِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ بَنُو زُرَّارَةَ ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، مَالُوا فَشَدَدُوا عَلَى
أَبِي الضَّرِيرِ » .

(٤) فِي الطَّبَرِيِّ : « وَتَرَكَهُمْ رِبْضَةً حَوْلَهُ » ، وَالرِبْضَةُ : كُلُّ قَوْمٍ قَاتَلُوا فِي مَوْقِعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَفِي
الْحَدِيثِ : « الَّذِينَ قَاتَلُوا يَوْمَ الْجَنْجَامِ كَانُوا رِبْضَةً وَاحِدَةً » .

(٥) فِي الطَّبَرِيِّ بَعْدَهَا عَنْ أَبِي خُفَيْفٍ : « وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ قَالَ : سَمِعْتُ زَائِدَةَ بْنَ قَدَامَةَ
لِيَلْتَشِدَ رَأْفًا صَوْتَهُ ، يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ . ثُمَّ مَا بَرَحَ يَقَاتِلُهُمْ مَقْبَلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ حَتَّى قَتَلَ » .

فرسٍ أغرَ كَمَيْتٍ ؛ وخيله واقفةٌ دونه وكلٌّ مَن جاء لِيُبايِعَهُ يُنزِعُ سيفه عن عاتقه ؛ ويؤخذ سلاحه ؛ ثم يدنو من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ؛^(١) ثم يبايع ؛ فإننا كذلك إذا ضاء الفجر^(٢) ومحمد بن موسى بن طلحة في أقصى العسكر مع أصحابه ؛ وكان الحجاج قد جعل موقفه آخر الناس ، وزائدة بن قدامة بين يديه ، ومقام محمد بن موسى مقام الأمير على الجماعة كلها ، فأمر محمد مؤذنه فأذن ؛ فلما سمع شبيب الأذان ، قال : ما هذا ؟ قيل : هذا ابنُ طلحة لم يبرحْ ، قال : ظنيتُ أن حقه وخيلاءه سيحملانه على هذا ، نحووا هؤلاء عنا ، وانزلوا بنا فلنصل ، فنزل وأذن هو ؛ ثم استقدم فصلى بأصحابه ، وقرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ، ثم سلم وركب^(٣) ؛ وأرسل إلى محمد بن موسى بن طلحة : إنك امرؤٌ مخدوعٌ قد اتقى بك الحجاج المنية ، وأنت لى جاربٌ بالكوفة ، ولك حقٌّ فانطلق لما أمرت به ؛ ولك الله ألا أسوءك^(٤) ؛ فأبى محاربته^(٥) فأعاد عليه الرسول فأبى إلا قتاله ؛ فقال له شبيب : كآنى بأصحابك لو التقت حلقتهما^(٦) البطان قد أسلوك ، وصُرِعت مصرع أمثالك ؛ فأطعنى وانصرف

(١) في الطبرى : « ثم يخلى سبيله » .

(٢) في الطبرى : « إذا أضاء الفجر » .

(٣) في الطبرى : « ثم ركبوا لحمل عليهم ، فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبتت طائفة ؛ قال خروء : فما أنسى قوله ؛ وقد غشينا وهو يقاتل بسيفه ؛ وهو يقول : ﴿أَلَمْ أَحِسَّبَ النَّاسُ أَنْ يُبْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ . قال : وضارب حتى قتل ، فسمعت أصحابا يقولون : إن شيبا هو الذى قتله . ثم لما نزلنا فأخذنا ما كان فى العسكر من شئ ، وهرب الذين كانوا يابوا شيبا ، فلم يبق منهم أحد . . . » .

(٤) الطبرى : « ولك الله لا آذيتك » .

(٥) الكلام هنا يختلف عما فى الطبرى ؛ بالتقديم والتأخير واختلاف العبارات .

(٦) البطان : حزام الرجل أو القتب الذى على البطن ، له حلقتان فى كل طرف حلقة ؛ يصعب التقاؤهما ؛ فإذا التقتا ، بلغ الشد غاية ؛ يريدون أن الشدة بلغت نهاها ؛ وهو مثل ، ومنه قول أوس : وَإِذَا التَقَّتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ بِأَقْصَامٍ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَعًا

لشأنك ؛ فإني أنفسُ بك عن القَتْل ؛ فأبى وخرج بنفسه ؛ ودعا إلى البراز ، فبرز له البطّين ثم قَعَبَ بن سويد ؛ وهو أبى إلا شيبكاً . فقالوا لشيب : إني قد رَغِبَ عَنَّا إليك ؛ قال : فما ظنكم بمن يرغب عن الأشراف ! ثم برز له ، وقال له : أنشدك الله يا محمد في دمك ، فإن لك جواراً ! فأبى إلا قتاله ، فحمل عليه بعموده الحديد ؛ وكان فيه اثنا عشر رطلاً ، فحشم رأسه وبيضه كانت عليه فقتله ؛ ونزل إليه فكفنه ودفنه ، وتلتع ما غم الخوارج من عسكره ؛ فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ، وقال : هو جارِي بالكوفة ؛ ولي أن أهب ما غنمت . فقال له أصحابه : ما دون الكوفة الآن أحد يمتنع ؛ فنظر فإذا أصحابه قد قُتِلَ فيهم الجراح ؛ فقال : « ليس عليكم أكثر مما قد فعلتم » .

وخرج بهم على نفر^(٢) ، ثم خرج بهم نحو بغداد^(٣) ؛ يطلب خانيجار^(٤) . وبلغ الحجاج أن شيبكاً قد أخذ نحو نفر ؛ فظن أنه يريد المدائن ؛ وهي باب الكوفة ؛ ومن أخذ المدائن كان ما في يديه من أرض الكوفة أكثر ؛ فهاهنا ذلك الحجاج ، وبعث إلى عثمان بن قطن ، فسرّحه إلى المدائن ، وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخي كلها ، وخارج الأستان ، فجاء مسرعاً حتى نزل المدائن ، وعزل الحجاج ابن أبي عصفير عن المدائن ، وكان الجزل مقيماً بها يدأوي جراحاته ، وكان ابن أبي عصفير يعود ويكرمه ، ويُطِفُّه^(٥) ، فلما قدم عثمان بن قطن لم يكن يتعاهده ولا يُطِفُّه بشيء ، فكان الجزل يقول : اللهم زد ابن أبي عصفير فضلاً وكرماً ، وزد عثمان بن قطن ضيقاً وبخلًا .

(١ - ١) الكلام هنا يختلف عما في الطبري ، بالتقديم والتأخير واختلاف العبارات .
(٢) نفر ، بكسر أوله وتشديد ثانيه وفتح وراء : بلدة أو قرية على نهر الترس ، من بلاد الفرس ، عن الخطيب ، فإن كان عني أنه من بلاد الفرس قديماً جاز ، فأما الآن فهو من نواحي بابل بأرض الكوفة (ياقوت) .

(٣) في الطبري : « ثم على الصراة ، ثم على بغداد » .

(٤) بعدها في الطبري : « فأقام بها » .

(٥) أَلطف فلان فلانا : أكرمه وبره وأحفه .

ثم إنَّ الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقال له : انتخب الناس ؛ فأخرج ستمائة من قومه من كِنْدَةَ ؛ وأخرج من سائر الناس ستة آلاف ، واستحثه الحجاج على الشخوص ؛ فخرج بمسكركه بدير عبد الرحمن ؛ فلما استقمتوا هناك كتب إليهم الحجاج كتاباً قرئ عليهم :

أما بعدُ فقد اعتدتم عادة الأذلاء ، وولَّيتم الله بُرَّ يوم الزَّخَف ؛ دأب الكافرين^(١) وقد صَفَحْتُ عنكم مرَّةً بعد مرَّة ، وتارة بعد أخرى ؛ وإني أقسم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عُدْتُمْ لذلك لأَوْقِعَنَّ بكم إيقاعًا يكون أشدَّ عليكم من هذا العدو الذي تنهزمون^(٢) منه في بطون الأودية والشعاب ، وتستترون منه بأثناء^(٣) الأنهار وألواذ^(٤) الجبال ؛ فليخَفَنَّ مَنْ كان له معقول^(٥) على نفسه ، ولا يجعل عليها سبيلا ، فقد أعذَرَ مَنْ أُنذِر . والسلام .

وارتحل عبدُ الرحمن بالناس حتى مرَّ بالمدائن ، فنزل بها يوماً ليشترى أصعباً منها حوائجهم ؛ ثم نادى في الناس بالرحيل ؛ وأقبل حتى دخل على عثمان بن قطن مودعاً ؛ ثم أتى أبجل عائداً ، فسأله عن جراحته ، وحادثه ، فقال الجزل : يابن عمِّ ؛ إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس^(٦) الخيل ؛ والله لكأتما خُلِقُوا من ضلوعها ؛ ثم رُبُّوا^(٧) على ظهورها ؛ ثم هم أسدُّ الأَجَمِّ ؛ الفارسُ منهم أشدُّ من مائة ؛ إن لم يُبدَأ به

(١) الطبري : « وذلك دأب الكافرين » .

(٢) الطبري : « تهربون »

(٣) الأثناء : جمع ثني ، وهو للتعطف .

(٤) الألواذ : جمع لود ، وهو جانب الجبل .

(٥) المعقول هنا : العقل ، وهو مصدر من المصادر التي وردت على اسم المفعول ، كالمجهود والميسور ، وفي

المثل : « ماله حول ولا معقول » .

(٦) المجلس في الأصل : كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرّج ، كالمشعة تكون

تحت اللبد . ويقال : فلان من أحلاس الخيل ، أي من راضتها وساستها والملازمين لظهورها ، على التشبيه بالمجلس .

(٧) في الطبري : « بنوا » .

بدأ هو ، وإن هُجِّج^(١) أقدم ؛ وإني قد قاتلتهم وبلوتهم ؛ فإذا أصحرت لهم انتصفوا متى ؛ وكان لهم الفضل على ، وإذا خندق أو قاتلت في مضيق نلت منهم ما أحب ؛ وكانت لي عليهم ؛ فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا وأنت في نمية أو خندق ؛ ثم ودعه ، وقال له : هذه فرسى الفسيساء خذها فإنها لا تجارى ؛ فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع شبيب عنه إلى دقواء وشهرزور ؛ فخرج عبد الرحمن في طلبه ؛ حتى إذا كان على نحو تلك الأرض أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ؛ فليقاتل أمير الموصل وأهلها عن بلادهم أو فليدعوا .

وبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إليه :

أما بعد فاطلب شيبا واسلك في أثره^(٢) أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه عن الأرض ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين ، والجند جنده . والسلام .

فلما قرأ عبد الرحمن كتاب الحجاج خرج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدعه ، حتى إذا دنا منه ليبيته فيجده قد خندق وحذر ، فيمضى ويتركه ، فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغ شيبا أنه قد تحمل وسار يطلبه كثر في الخليل نحوه ، فإذا انتهى إليه وجده قد صَفَّ خيله ورجاله المرامية ، فلا يصيب له غيرة ولا غفلة^(٣) ، فيمضى ويدعه .

ولما رأى شبيب أنه لا يصيب غرته ، ولا يصل إليه ، صار يخرج كلما دنا منه عبد الرحمن ، حتى ينزل على مسيرة عشرين فرسخا ، ثم يقيم في أرض غليظة وعرّة ، فيجىء عبد الرحمن في ثقله وخيله ، حتى إذا دنا من شبيب ارتحل ، فسار عشرين أو خمسة عشر فرسخا ؛ فنزل منزلا غليظا خشنا ، ثم يقيم حتى يبلغ عبد الرحمن ذلك المنزل ، ثم يرتحل ، فعذب العسكر ، وشق عليهم ، وأخفى دوابهم ، ولقوا منه كل بلاء .

(١) هجج : صبح به .

(٢) ج : « واسلك أينما سلك » .

(٣) الطبرى : « ولا له علة » .

فلم يزل عبد الرحمن يتبعه ؛ حتى صار إلى خانقين وجولاء ، ثم أقبل على تأمرأ^(١) ، فصار إلى البت^(٢) ، ونزل على نخوم الموصل ليس بينه وبين الكوفة إلا نهر حولايا^(٣) ، وجاء عبدُ الرحمن حتى نزلَ بشرق حولايا ، وهم في راذان^(٤) الأعلى من أرض جُوخى ، ونزل في عواقل^(٥) من النهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها ، وهى تعجبه ، يرى أنها مثل الخندق الحصين .

فأرسل شبيب إلى عبد الرحمن أن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم ؛ فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضى هذه الأيام فملتم ؛ فأجابه عبد الرحمن إلى ذلك ؛ ولم يكن شئ أحبَّ إلى عبد الرحمن من المطاولة والمواذعة ، فكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج :
أما بعد ؛ فإني أخبرُ الأميرَ أصلحه الله ؛ أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد حفر جُوخى كلها عليه خندقا واحدا ، وخطى شيبا ، وكسر خراجها ، فهو يأكل أهلها ، والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

قد فهمتُ ما ذكرت ؛ وقد لعمري فعل عبد الرحمن ، فيسرُ إلى الناس ، فأنت أميرُهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم ، [فإن الله إن شاء ناصرُك عليهم]^(٦) ، والسلام .
وبعث الحجاج على اللدائن مطرف بن المفيرة بن شعبة ، وخرج عثمان حتى قدم على

(١) تأمرأ ، بفتح الميم وتشديد الراء ، والقصر : نهر كبير تحت بغداد ، شرقيها ، خرج من جبال شهرزور . (مراد الاطلاع) .
(٢) البت : قرية من قرى الموصل (الطبرى) .
(٣) حولايا ، بفتح الحاء وسكون الواو وآخره ياء وألف : قرية كانت بالنهر وان خربت بخرابه . (مراد الاطلاع) .
(٤) في الأصول : « راذان » تصحيف ، وصوابه من الطبرى ، قل في مراد الاطلاع : راذان بعد الألف ذال معجمة وآخره نون : راذان الأعلى وراذان الأسفل : كورتان ببغداد تشتمل على قرى كثيرة .
(٥) العواقل : جمع عاقل ، وهو منعطف النهر .
(٦) من الطبرى .

عبد الرحمن ومن معه ؛ وهم معسكرون على نهر حولايا ، قريبا من البت ؛ وذلك يوم التروية ^(١) عشاء ؛ فنأدى في الناس ، وهو على تلمة ^(٢) : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم . فوثبوا إليه ، وقالوا : نشدك الله ! هذا المساء قد غُشينا ، والناس لم يوطئوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم أخرج على تعبئة ، فجعل يقول : لأناجزنهم الليلة ، ولتكونن الفرصة لي أو لهم ، فأتاه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فأخذ بعنان بقلته ، وناشده الله لما نزل ، وقال له عقيل بن شداد السلوي : إن الذي تريده من مناجرتهم الساعة أنت فاعله غدا ، وهو خير لك وللناس ، إن هذه ساعة ريح قد اشتدت مساء ، فأنزل ، ثم أبكر بنا غدوة . فنزل وسقت عليه الريح ، وشق عليه الغبار ، فاستدعى صاحب الخراج علوجا ، فبنوا له قبة ، فبات فيها ؛ ثم أصبح نخرج بالناس ؛ فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، وقالوا : نشدك الله ألا تخرج بنا في هذا اليوم ! فإن الريح علينا ، فأقام ذلك اليوم . وكان شبيب يخرج إليهم ، فلما رآهم لا يخرجون إليه أقام ، فلما كان الغد خرج عثمان يعي الناس على أرباعهم ، وسألهم : من كان على ميمنتكم وميسرتكم ؟ فقالوا : خالد بن نهيك بن قيس الكندي على ميسرتنا ، وعقيل بن شداد السلوي على ميمنتنا ، فدعاهما وقال لهما : قفاني مواقفكما التي كنتما بها ، فقد وليتكما المَجَبَّتَيْنِ ، فاثبتا ولا تفرّا ، فوالله لأزولن حتى تزول نخيل راذان عن أصولها . فقالا : نحن والله الذي لا إله إلا هو لا نفر حتى نظفروا وقتل ؛ فقال لهما : جزا كما الله خيرا ! ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ، ثم خرج بالخليل ، فنزل يمشي في الرجال ، وخرج شبيب ومعه يومئذ مائة وأحد وثمانون رجلا ، فقطع إليهم النهر ؛ وكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على الميسرة سويد بن سليم ، وجعل في القلب مصادا أخاه وزحفوا ، وكان عثمان بن قطن يقول لأصحابه فيكثر : ﴿ قُلْ لَنْ

(١) يوم التروية : الثامن من ذي الحجة .

(٢) التلمة هنا : ماعلا من الجبل ، وفي العاصي ؛ « على بقلته » .

يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْقِمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) .
ثم قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرتهم ؛ مما يلي النهر ؛ فإذا هزمناها
فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحبُ القلب حتى يأتيه أمرى ، ثم حل في
ميمنة أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن ؛ فانهزموا ، ونزل عقيل بن شذاد مع
أئمة من أهل الحِفاظ ؛ فقاتل حتى قُتِل ، وقتلوا معه ^(٢) .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن
فهزمها ، وعليها خالد بن نهيك الكِنْدِيُّ ، فبزل خالد ، وقاتل قتالا شديدا ، فحمل عليه
شبيب من ورائه ، فلم يثن حتى علاه بالسيف فقتله ، ومشى عثمان بن قطن ؛ وقد نزلت
معه العرفاء والفرسان وأشرفُ الناس نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين
رجلا ، فلما دنا منهم عثمان ، شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر ، فضربهم مَصَاد
وأصحابه ، حتى فرَّقوا بينهم ، وحل شبيب من ورائهم بالخيال ، فاشعروا إلا والرماح
في أكتافهم تكبَّتهم لوجوههم ؛ وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ، وقاتل عثمان
فأحسن القتال .

ثم إن الخوارجَ شدُّوا عليهم ؛ فأحاطوا بثمان ، وحل عليه مَصَاد أخو شبيب :
فضربه ضربةً بالسيف فاستدار لها ، وسقط ، وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ ^(٣) ،
فقتل وقُتِل معه العرفاء ووجوه الناس ، وقُتِل من كِنْدَةٍ يومئذ مائة وعشرون رجلا ،
وقتل من سائر الناس نحو ألف ، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الأرض ، فعرَّفه

(١) سورة الأحزاب ١٦

(٢) و الطبرى : وقتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ، ثم الرهبي ، عم عياش بن عبد الله بن عياش
النتوف ، وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يجادلهم :

لأضربن بالْحَسَامِ الباتِرِ ضَرْبَ غَلَامٍ من سُلُولِ صَابِرِ

(٣) سورة الأحزاب ٣٣

ابن أبي سبرة ، فنزل وأركبه ، وصار رديفاً له^(١) . وقال له عبد الرحمن : نادِ في الناس ،
الحقوا بذيّر ابن أبي مریم ؛ فنادی بذلك ؛ وانطلقا ذاهبين ، وأمر شبيب أصحابه ،
فرفعوا عن الناس السيف ؛ ودعاهم إلى البيعة ، فأناه مَنْ بَقِيَ من الرجال ، فبايعوه ، وبات
عبدُ الرحمن بدير اليعار ، فأناه فارساً ليلاً ، فغلا به أحدهما بناجيه طويلاً ، وقام الآخر
قريباً منهما ، ثم مَضَيَا ولم يعرفا ؛ فتحدث الناس أن المناجى له كان شيبياً ؛ وأن الذي
كان يُرْقِبُهُما كان مصاداً أخاه ؛ وأنهم عبد الرحمن بمكاتبة شبيب من قبل .

ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل ، فسار حتى أتى دير ابن أبي مریم ؛ فإذا هو بالناس
قَبْلَهُ قد سَبَقُوهُ ، وقد وضع لهم ابن أبي سبرة صُبْرَ الشعير والْقَتَّ^(٢) كأنها القصور ؛
ونحروا لهم من الجزور ماشاءوا ، واجتمع الناس إلى عبد الرحمن ، فقالوا له : إن علم شبيب
بمكانك أتاكَ فكنت له غنيمَةً ؛ قد تفرق الناس عنك ، وقُتِلَ خيارهم ، فالحق أيها
الرجل بالكوفة .

فخرج وخرج معه الناس ؛ حتى دخل الكوفة مستترا من الحجاج ، إلى أن أخذ له
الأمان بعد ذلك .

ثم إن شيبياً اشتدَّ عليه الحرّ وعلى أصحابه ، فأتى ماء بهراذان ، فصَيَّفَ^(٣) بها ثلاثة
أشهر ، وأناه ناسٌ ممن كان يطلب الدنيا والغنيمة كثير ، ولحق به ناسٌ ممن كان يطلبهم

(١) في الطبرى : « فقال عبد الرحمن بن محمد : أينما الرديف ؟ قال ابن أبي سبرة : سبجان الله ! أت
الأمير تكون القدم ، فركب » .

(٢) في الأصول : « القيت » ، وما أثبتته من الطبرى ، وفيه : « بعضه على بعض » .

(٣) صيف بالمكان : أقام به صيفاً ، وفي الطبرى : « تصيف » ، وهما بمعنى .

الحجاج ببال وتبعة^(١) ، فنهزم رجل يقال له الحرّ بن عبد الله بن عوف ، كان قتل دُهقانين من أهل نهر درقيط ، كانا أساءا إليه ، ولحق بشيب حتى شهد معه موطنه إلى أن هلك ، وله مقام عند الحجاج ، وكلام سليم به من القتل ، وهو أن الحجاج بعد هلاك شيب ، آمن كل من خرج إليه ممن كان يطلبهم الحجاج ببال ، أو تبعة ، فخرج إليه الحرّ فيمن خرج ، فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج ، فأحضره ، وقال : يا عدو الله ، قتلت رجلين من أهل الخراج ؛ فقال : قد كان أصلحك الله مني ما هو أعظم من هذا ، قال : وما هو ؟ قال : خروجي عن الطاعة ، وفراق الجماعة ، ثم إنك أمنت كل من خرج عليك ، وهذا أمانى وكتابك لى .

فقال الحجاج : قد لعمري فعلت ، ذلك أولى لك ! وختلى سبيله .
ثم لما باخ الحرّ^(٢) ، وسكن عن شيب خرج من ماه نهران في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن ، وعليها المطرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء حتى نزل قناطر حذيفة^(٣) بن اليمان فكتب ما ذرأب^(٤) وهو عظيم بابل مهروذ إلى الحجاج يخبره خبر شيب وقدمه إلى قناطر حذيفة ، فقام الحجاج في الناس وخطبهم ، وقال :
أيها الناس ، اتقائكن عن بلادكم وفيكنم ، أولأبعثن إلى قومهم أطوع وأسمع ، وأصبر على البلاء^(٥) منكم ، فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيكنم - يعنى جند الشام .
فقام إليه الناس من كل جانب ، يقولون : بل نحن نقاتلهم ، ونغيث^(٦) الأمير ، فليندبنا إليهم ، فإننا حيث يسره .

-
- (١) في الطبرى : « التباعات » .
(٢) باخ الحر : سكن وفتر . وفي الطبرى : « اتسح » .
(٣) قناطر حذيفة : بسواد بغداد .
(٤) في الطبرى : « ماذرواسب » .
(٥) الطبرى : « اللاؤاء » .
(٦) الطبرى : « ونصب » .

وقام إليه زهرة بن حوية - وهو يومئذ شيخ كبير لا يستقيم قائما ، حتى يؤخذ بيده - فقال : أصلح الله الأمير ! إنك إنما تبعث الناس متقطعين ، فاستنفر إليهم الناس كافة ، وابعث عليهم رجلا متينا شجاعا مجربا ، يرى الفرار هضمًا وعارا ، والصبر مجدا وكرما .
فقال الحجاج : فأنت ذاك ، فأخرج .

فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح لهذا الموقف رجل يحمل الرمح والدرع ، ويهز السيف ، ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق ذلك ، قد ضعفت وضُف بصرى^(١) .
ولكن ابغني مع أميرٍ تعتمده ، فأكون في عسكره ، وأشير عليه برأيي^(٢) .
فقال : « جزاك الله عن الإسلام والطاعة خيرا^(٣) » ، لقد نصحت وصدقت ، وأنا أخرج الناس كافة ، ألا فسيرُوا أيها الناس .

فانصرف الناس يجهزون وينتشرون ، ولا يدرون من أميرهم .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ، أن شبيبا قد شارف المدائن ، وإنما يريد الكوفة ، وقد تجزأ أهل العراق عن قتاله في مواطن كثيرة ، في كلها تُقتل أمراؤهم ويُقَلَّ خيولهم^(٤) وأجنادهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى جندا من جند الشام ليقاتلوا عدوهم ، ويأكلوا بلادهم فعمل إن شاء الله .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيب ابن عبد الرحمن [الحكمي]^(٥) من^(٦) مذجج في ألفين وسرّحهم نحوه حين أتاه الكتاب^(٧) .

(١ - ١) الطبري : « ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فإني إنما أثبت على الرحلة ، فأكون مع الأمير في عسكره ، وأشير عليه برأيي » .

(٢ - ٢) الطبري : « جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيرا ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرا » .

(٣) الطبري : « جنودهم » .

(٤) من الطبري .

(٥) في الأصول . « ابن » ، وما أثبتته من الطبري . (٦) بمدحا في الطبري : « من الحجاج » .

وقد كان الحجاج بعث إلى عتاب بن ورقاء الرُّياحِيّ ليأتيه ، وكان على خيل الكوفة مع المهلب ، ودعا الحجاجُ أشراف أهل الكوفة ، منهم زُهرة بن حَوَيْة ، وقبيصة بن والقي ، فقال : مَنْ ترون أنْ أبعث على هذا الجيش ؟ قالوا : رأيك أيها الأمير أفضل ؛ قال : إنّي قد بعثتُ إلى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة ، فيكون هو الذى يسير بالناس ، فقال زُهرة بن حَوَيْة : أصلح الله الأمير ارميتهم بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفروا أو يقتل .

فقال قبيصة بن والقي : وإنّ مشيرٌ عليك أيها الأمير برأى اجتهدته ، نصيحة لك ولأمر المؤمنين ولعامة المسلمين ؛ إنَّ الناس قد تحدُّثوا أنْ جيشاً قد وصل إليك من الشام ؛ لأنَّ أهل الكوفة قد هُزموا ، وهان عليهم الفرار والعار من الهزيمة ، فكأثما قلوبهم فى صدور قوم آخرين ، فإنْ رأيت أنْ تبعث إلى الجيش الذى قد أمِدَّت به من أهل الشام ، فليأخذوا حذرهم ، ولا يثبتوا بمنزل إلا وهم يرون أنهم يبيتون فعلت ، فإن فعلت فإنك إنما تحارب حَوْلَ قُلُوبٍ مَحَلَّالَةٍ مَظْمَانَةٍ^(١) ؛ إنَّ شبيباً بينا هو فى أرض إذا هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيهم وهم غارون ، فإن يهلكوا يهلك العراق كله .

فقال الحجاج : لله أبوك ما أحسنَ ما رأيت ! وما أصحَّ ما أشرت به ا فبعث إلى الجيش الوارد عليه من الشام كتاباً قرءوه وقد نزلوا هيت ؛ وهو :
أما بعد ؛ فإذا حاذيتم هيت ، فدعوا طريق الفرات والأنبار ، وخذوا قَلَى عَيْنِ التمر ، حتى تقدموا الكوفة ، إن شاء الله^(٢) .

فأقبل القوم سراعاً ، وقدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج إنه فيها قادم ؛ فأمره الحجاج ؛ نفرج بالناس ، وعسكر بمحتم^(٣) أعين ، وأقبل شبيب حتى انتهى

(١) الطبرى : « ظمانا رحالا » .

(٢) فى الطبرى بعدها : « وخذوا حذرکم ومجبلوا السير ، والسلام » .

(٣) حمام أعين : موضع بالكوفة ، منسوب إلى أمين مولى سعد بن أبى وقاص .

إلى كِلْوَاذى^(١)، فقطع منها دجلة، وأقبل حتى نزل بهر سِير^(٢)، وصار بينه وبين مطرف ابن المغيرة بن شعبة جسر دجلة، فقطع مطرف الجسر، ورأى رأيا صالحا كاد به شبيبا؛ حتى حبسه عن وجهه، وذلك أنه بعث إليه: أن ابعث إلى رجالا من فقهاء أصحابك وقرأهم؛ وأظهر له أنه يريد أن يدارسهم القرآن، وينظر فيما يدعون إليه، فإن وجدنا اتبعه؛ فبعث إليه شبيب رجلا؛ فيهم قعنب وسويد والمحلل، ووصاهم ألا يدخلوا السفينة حتى يرجع رسوله من عند مطرف، وأرسل إلى مطرف: أن ابعث إلى من أصحابك ووجوه فرسانك بعدة أصحابي؛ ليكونوا رهنا في يدي، حتى ترد علي أصحابي. فقال مطرف لرسوله: الله، وقل له: كيف آمنك الآن على أصحابي، إذ أبعثهم إليك، وأنت لا تأمنني على أصحابك! فأبلغه الرسول، فقال: قل له: قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا، وأنتم قوم غدر تستحلون الغدر وتفعلونه. فبعث إليه مطرف جماعة من وجوه أصحابه، فلما صاروا في يد شبيب، سرح إليه أصحابه، فعبروا إليه في السفينة، فأتوه، فسكثوا أربعة أيام يتناظرون، ولم يتفقوا على شيء، فلما تبين لشبيب أن مطرفا كاده، وأنه غير متابع له، تعبى المسير، وجمع إليه أصحابه، وقال لهم: إن هذا الثقيف قطعني عن رأيي منذ أربعة أيام، وذلك أتى هممت أن أخرج في جريدة من الخيل، حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام، وأرجو أن أصادف غيبتهم قبل أن يحذروا، وكنت ألقاهم منقطعين عن مصر، ليس عليهم أمير كاللجج يستندون إليه، ولا لهم مضر كالكوكة يمتصمون به، وقد جاءني عيون^(٣) أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر، فهم الآن قد شارفوا الكوفة، وجاءني أيضا عيون من نحو عتاب^(٤) أنه نزل بجمام أعين بجماعة أهل الكوفة^(٥) وأهل البصرة، فما أقرب ما بيننا وبينهم! فتيسروا بنا للمسير إلى عتاب.

(١) كلواذى: موضع قرب بغداد.

(٢) بهر سِير: من نواحي بغداد قرب المدائن.

(٣) الطبرى: «عيون».

(٤) الطبرى: «بجماعة أهل الكوفة الصراة».

وكان عتاب حينئذ قد أخرج معه خمسين ألفاً من المقاتلة، وهذّدهم الحجاج إن هربوا كعادة أهل الكوفة، وتوعّدهم، وعَرَضَ شبيب أصحابه بالمداخن، فكانوا ألف رجل فخطبهم وقال: يا معشر المسلمين، إن الله عز وجلّ كان ينصركم وأنتم مائة ومائتان، واليوم فأنتم مئون [ومئون] ^(١)، ألا وإني مصلّي الظهر، ثم سائر بكم إن شاء الله. فصلّي الظهر، ثم نادى في الناس، فتخلّف عنه بعضهم.

قال فروة بن ^(٢)لقيط: فلما جاز ساباط، ونزلنا معه، قصّ علينا، وذكرنا بأيام الله، وزهّدنا في الدنيا، ورغبنا في الآخرة. ثم أذن مؤذنه فصلّي بنا العصر، ثم أقبل حتى أشرف على عتاب بن ورقاء، فلما رأى جيش عتاب نزل من ساعته، وأمر مؤذنه، فأذن ثم تقدّم، فصلّي بأصحابه صلاة للغرب ^(٣)، وخرج عتاب بالناس كلهم فقتلهم، وكان قد خندق على نفسه مذ يوم نزل.

وجعل على ميمته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، قال له: يا بن أخي إنك شريف، فاصبر وصابر، فقال: أما أنا فوالله لأقاتلن مائتة معي إنسان. وقال لقيصة بن والقي تغلب ^(٤): اكفني الميسرة، فقال: ^(٥)أنا شيخ كبير، غايي أن أثبت تحت رايتي، أما تراني لا أستطيع القيام إلا أن أقام، وأخي نعيم بن عليم ذو غناء، فابعثه على الميسرة. فبعثه عليها ^(٥). وبعث حفظة بن الحارث الرياحي ابن عمه، وشيخ

(١) من الطبري.

(٢) راوى الخبر في الطبري.

(٣) في الطبري: «وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني».

(٤) في الطبري: «وكان على ثلث بني تغلب».

(٥ - ٥) الطبري: «أنا شيخ كبير، كثير مني أن أثبت تحت رايتي، قد أثبت من القيام، ما أستطيع القيام إلا أن أقام، ولكن هذا عبيد الله بن الحليس، ونييم بن عليم التغلبيان، وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب، اثبت أيهما أحببت، فأيهما بعثت فلتبعن ذا حزم ومزم وغناء، فبعث نعيم بن عليم على ميسرته».

أهل بيته على الرجال، وبعث معه ثلاثة صفوف : صف فيه الرجال ومعهم السيوف، وصف ثم أصحاب الرماح ؛ وصف فيه الرماية .

ثم سار عتّاب بين الميمنة واليسرة يمرّ بأهل راية راية، ؛ فيحرض من تحتها على الصبر ؛ ومن كلامه يومئذ : إن أعظم الناس نصيباً من الجنة الشهداء ؛ وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البنى ؛ ألا ترون عدوّكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ؛ لا يرى ذلك إلا قرينة لهم فهم شرار أهل الأرض ، وكلاب أهل النار . فلم يجبه أحد ، فقال : أين القصاص يقصون على الناس ، ويحرضونهم ؟ فلم يتكلم أحد ، فقال : أين من يروى شعر عنتره ، فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ولا ردّ عليه كلمة ؛ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ والله لسكّاني بكم وقد تفرقتم عن عتاب وتركتموه تسفي في استنّه الريح ؛ ثم أقبل حتى جالس في القلب ، ومعه زهرة بن حويّة ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

وأقبل شبيب في ستمائة ، وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : إنّه لم يتخلف عني إلا من لا أحب أن أراه معي ؛ فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى اليسرة ، وبعث الحنّ بن وائل في مائتين إلى القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة ؛ وذلك بين المغرب والعشاء الآخرة ؛ حين أضاء القمر ؛ فناداهم : لمن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات همدان . فقال : رايات طالما نصرت الحقّ، وطالما نصرت الباطل ؛ لها في كلّ^(١) نصيب ؛ أنا أبو المدلّه اثبتوا إن شئتم . ثم حمل عليهم ؛ وهم على مسنّة أمام الخندق ، ففضّهم ، وثبت أصحاب رايات قبيصة بن وقّ .

فجاء شبيب فوقف عليه ، وقال لأصحابه : مثل هذا قوله تعالى : ﴿ وَأَنزِلْ عَلَيْهِمُ

(١) بعدما في الطبري : « والله لأجاهدنكم محتسباً للخير في جهادكم ، أتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّه لأحكم إلا لله »

نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِينَ ، (١)
ثم حمل على الميسرة ففّضها ، وصمد نحو القلب ، وعُتاب جالس على طِنْفَسَةٍ ، هو وزهرة
ابن حَوِيَّة ، ففشيهم شبيب ، فانفضّ الناسُ عن عتاب وتركوه ؛ فقال عتاب : يا زهرة ،
هَذَا يَوْمٌ كَثُرَ فِيهِ الْعَدَدُ ؛ وَقَلَّ فِيهِ الْغَنَاءُ ، لَهْفَى عَلَى خِصْمَائِهِ فَارِسٍ مِنْ وُجُوهِ النَّاسِ ؛
أَلَا صَابِرٌ لَعْدُوهُ ! أَلَا مَوَاسٍ بِنَفْسِهِ ! فَمَضَى النَّاسُ كُلِّي وَجُوهِمْ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ شَبِيبٌ وَتَبَّ
إِلَيْهِ فِي عَصَابَةٍ قَلِيلَةٍ صَبَرَتْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَنَ الْأَشْعَثَ
قَدْ هَرَبَ ؛ وَانْصَفَقَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ فَرَّ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ
الْفَتَى ؛ مَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ سَاعَةً ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطَّ مَوْطِنًا
لَمْ أَبْلُ بِمِثْلِهِ ، أَقَلَّ نَاصِرًا ، وَلَا أَكْثَرَ هَارِبًا خَاذِلًا ؛ فَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ مِنْ أَصْحَابِ
شَبِيبٍ - وَكَانَ أَصَابَ دِمَا فِي قَوْمِهِ ، وَالتَّحَقَّقَ بِشَبِيبٍ : فَقَالَ : إِنِّي لِأُظَنَّ هَذَا التَّكَلَّمَ عِتَابُ
ابْنِ وَرْقَاءَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ ؛ فَوَقَعَ وَقُتِلَ ، وَوُطِئَتْ اخْلِيلُ زُهْرَةَ بِنِ حَوِيَّةَ ، فَأُخْذِيذَبُ
بَسِيفِهِ ؛ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْهَضَ ؛ فَجَاءَهُ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرِ الشَّيْبَانِيِّ فَقَتَلَهُ ،
وَاتَّهَى إِلَيْهِ شَبِيبٌ ؛ فَوَجَدَهُ صَرِيحًا فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟ قَالَ الْفَضْلُ : أَنَا قَتَلْتُهُ ،
فَقَالَ شَبِيبٌ : هَذَا زَهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ كُنْتُ قُتِلْتُ كَلَى ضَلَالَةٍ ؛ لَرَبِّ يَوْمٍ مِنْ
أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَسُنَ فِيهِ بِلَاؤُكَ ، وَعَظُمَ فِيهِ غَنَاؤُكَ ، وَلَرَبِّ خَيْلٍ لِلْمَشْرُكِينَ هَزْمَتَهَا ،
وَسَرِيَّةٍ لَمْ ذَعَرَتْهَا ، وَمَدِينَةٍ لَمْ فَتَحَتْهَا ! ثُمَّ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ تُقْتَلَ نَاصِرًا لِلظَّالِمِينَ .
وَقَتْلَ يَوْمِئِذٍ وَجُوهُ الْعَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ الْعِرَاقِ فِي الْمَرْكَةِ : وَاسْتَمَكَنَ شَبِيبٌ مِنْ أَهْلِ
الْعَسْكَرِ ، فَقَالَ : ارْفَعُوا عَنْهُمْ السَّيْفَ ، وَدَعَاكُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَةً مِنْ سَاعَتِهِمْ ،
وَاحْتَوَى عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْعَسْكَرِ ، وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ وَهُوَ بِالْمَدَائِنِ ؛ فَأَتَاهُ فَأَقَامَ بِمَوْضِعِ الْمَرْكَةِ
يَوْمَيْنِ ، وَدَخَلَ سَفِيَّانُ بْنُ الْأَبْرَدِ السَّكَلَجِيُّ ، وَحَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيمَنْ مَعَهُمَا

إلى الكوفة ، فشدوا ظهرَ الحجاج ، واستغنى بهم عن أهل العراق ؛ ووصلته أخبار عتاب وعسكره ، فصعد المنبر ، فقال : يا أهل الكوفة ؛ لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصّر من أراد منكم النصر ؛ اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتالَ عدونا ، والحقوا بالخيرة ، فانزلوا مع اليهود والنصارى ،^(١) ولا يقاتلن معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء^(٢) .

وخرج شبيب يريد الكوفة ، فأنتهى إلى سورا^(٣) ، فقال لأصحابه : أيكم يأتيني برأس عاملها ، فانتدب إليه قطين ، وقعنّب ، وسويد ، ورجلان من أصحاب شبيب ، فكانوا خمسة ، وساروا حتى انتهوا إلى دار الخراج ، والعمال فيها ، فقالوا : أجيئوا الأمير ؛ فقال الناس : أى أمير ؟ قالوا : أمير قد خرج من قبل الحجاج ، يريد هذا الفاسق شيبيا ، فاغتر بذلك عامل سورا ، فخرج إليهم ، فلما خالطهم شهروا السيوف ، وحكموا وخبطوه بها حتى قتلوه ، وقبضوا ما وجدوا في دار الخراج من مال ؛ ولحقوا بشبيب .

فلما رأى شبيب البدر ، قال : أتيتمونا بفتنة المسلمين أهلم يا غلام الحربة ، نفترق بها البدر ، وأمر أن تنخس الدواب التي كانت البدر عليها ، فمرت رائحة ، والمال يذناثر من البدر ، حتى وردت الصراة ، فقال : إن كان بقي شيء فاقذفوه في الماء .

وقال سفيان بن الأبرد للحجاج : ابعثنى إلى شبيب أستقبله قبل أن يرد الكوفة ، فقال : لا ؛ ما أحب أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم ، والكوفة في ظهرنا ؛ وأقبل شبيب حتى نزل تمام أعين ؛ ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس لم يكونوا شهدوا يوم عتاب . فخرج في ألف رجل ؛ حتى انتهى إلى شبيب ليدفعه عن الكوفة ؛ فلما رآه شبيب حمل عليه فقتله ؛ وفل أصحابه . فجاءوا حتى دخلوا

(١-١) الطبرى : « ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ، ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء » .

(٢) سورا : كورة قريبة من الفرات .

الكوفة ، وبمَث شبيب البطين في عَشْرَة فوارس يرتادون له منزلاً على شاطئ الفرات ، في دار الرزق ، فوجه الحجاج حوْش بن يزيد ، في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواه السكك ، فقاتلهم البطين فلم يَقوَ عليهم ، فبعث إلى شبيب ، فأمدّه بفوارس من أصحابه ، فعقروا فرس حوْش وهزموه ، فدجا بنفسه ، ومضى البطين إلى دار الرزق في أصحابه ، ونزل شبيب بها ، ولم يوجه إليه الحجاج أحداً ، فابتنى مسجداً في أقصى السَّبْحَة ، وأقام ثلاثاً لم يوجه إليه الحجاج أحداً ، ولا يخرج إليه من أهل الكوفة ، ولا من أهل الشام أحدًا ، وكانت امرأته غزاة نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين ، تقرأ فيهما بالبقرة وآل عمران ^(١).



لجاء شبيب مع امرأته حتى أوفت بنذرهما في المسجد ؛ وأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه إليه ، فقال لقتيبة بن مسلم : إني خارج ، فأخرج أنت ، فارتد لي معسكرا ، فخرج وعاد ؛ فقال : وجدت اللدّى سهلاً ، فسر أيها الأمير على اسم الله والطائر الميمون ؛ فخرج الحجاج بنفسه ، ومرّ على مكان فيه كناسة وأقذار ؛ فقال : ألقوا لي هنا بساطاً ، فقبل له : إنّ الموضع قدير ، فقال : ما تدعوني إليه أقدر ، الأرض تحته طيبة ، والسماء فوقه طيبة . ووقف هناك وأخرج مولى له يعرف بأبي الورد ، وعليه تجفاف ^(٢) ، وأحاط به غلمان كثير ؛ وقيل : هذا الحجاج ؛ فحمل عليه شبيب فقتله ؛ وقال : إن يكن الحجاج ، فقد أرحت الناس ^(٣) منه ؛ ودلف الحجاج نحوه حينئذ ، وعلى ميمته مطر بن ناجية ، وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء ؛ وهو في زهاء أربعة آلاف ؛ فقبل له : أيها الأمير لا نعرف

(١) بعدها في الطبرى : « ففعلت » .

(٢) التجفاف : آلة للحرب يلبسها الفارس في الحرب للوقاية ؛ كأنها درع .

(٣) الطبرى : « أرحكم » .

شبيبا بمكانك ، فتتكر ، وأخفى مكانه ، وتشبه به مولى آخر للحجاج في هيئته وزيه ، فحمل عليه شبيب ، فضر به بالعمود فقتله ؛ ويقال إنه قال لما سقط : « أخ » بالحاء المعجمة فقال شبيب : قاتل الله ابن أمّ الحجاج ! اتقى الموت بالمبيد ؛ وذلك أن العرب تقول عند التأوه « أح » بالحاء المهملة .

ثم تشبه بالحجاج أعين صاحب حمام أعين ، ولبس لبسته ، فحمل عليه شبيب فقتله ، فقال الحجاج : على بالبغل لأركبه ، فأني ببغل محجل ؛ وقيل : أيها الأمير ، أصلحك الله إن الأعاجم كانت تتطير أن تركب مثل هذا البغل في مثل هذا اليوم ؛ فقال : أدنوه مني فإنه أغر محجل ؛ وهذا يوم أغر محجل ، فركبه ، ثم سار في الناس يمينا وشمالا ثم قال : اطرحوا لي عباءة ، فطرحته له ، فبزل فجلس عليها ، ثم قال : اثنوني بكرسي ، فأني به ، فقام فجلس عليه ، ثم نادى أهل الشام ، فقال : يا أهل الشام ؛ يا أهل السمع والطاعة ، لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم ؛ غضوا الأبصار ، واجنوا على الركب ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسيّة ، فجنوا على الركب ، وكانهم حرّة سوداء .

ومنذ هذا الوقت ركدت ربح شبيب ، وأذن الله تعالى في إدبار أمره ، وانقضاء أيامه فأقبل ، حتى إذا دنا من أهل الشام عتي أصحابه ثلاثة كراديس ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع الحلال بن وائل ، وقال لسويد : احمل عليهم في خيلك ، فحمل عليهم فثبتوا له حتى إذا غشي أطراف أسنهم ، وثبوا في وجهه ، فقاتلهم طويلا ، فصبروا له ؛ ثم طاعنوه ؛ قدما قدما ؛ حتى ألحقوه بأصحابه .

فلما رأى شبيب صبرهم ، نادى : يا سويد ، احمل في خيلك في هذه الرايات الأخرى ، لعلك تزيل أهلها ؛ فتأني الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل سويد على تلك الرايات ، وهى بين جدران الكوفة ، فرمى بالحجارة من سطوح البيوت ، ومن أفواه السكك ، فانصرف ولم يظفروا .

ورماه عروة بن المغيرة بن شعبة بالسهم ، وقد كان الحجاج جعله في ثلاثمائة رايم من أهل الشام رذءاً له كي لا يؤتى من ورائه ، فصاح شبيب في أصحابه :
يا أهل الإسلام ! إنما شربتم الله ، ومن يكن شراؤه لله لم يضره ما أصابه من ألم وأذى ^(١) ، الله أبوك الصبر الصبر ، شدة كشدائكم الكريمة في مواطنكم المشهورة .
فشدوا شدة عظيمة ، فلم يزل أهل الشام عن مراكرهم ، فقال شبيب : الأرض !
دبوا ديباً تحت ترأسكم ، حتى إذا صارت أسنة أصحاب الحجاج فوقها ، فأذلقوها صمداً ،
وادخلوا تحتها ، واضربوا سوقهم وأقدامهم ، وهي الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدبّون ديباً
تحت الحجب : صمداً صمداً ، نحو أصحاب الحجاج .

فقال خالد بن عتاب بن ورقاء : أيها الأمير ، أنا موتور ، ولا أتهم في نصيحتي ^(٢) ،
فأذن لي حتى آتيهم من ورائهم ، فأغير على معسكرهم وقلمهم ، فقال : افعل ذلك ^(٣) ،
فخرج في جمع من مواليه وشاكريته ^(٤) وبني عمه ، حتى صار من ورائهم ، فالتقى بمصاد أخى
شبيب فقتله ، وقتل غزاة امرأة شبيب ، وألقى النار في معسكرهم ، والتفت شبيب
والحجاج ، فشهدا النار ، فأما الحجاج فكبر وكبر أصحابه ، وأما شبيب ، فوثب هو
وكل راجل من أصحابه على خيولهم مرعوبين ، فقال الحجاج لأصحابه : شدوا عليهم ،
فقد أتاها ما أرعبهم؛ فشدوا عليهم ، فهزموهم ، وتخلف شبيب في خاصة الناس ، حتى خرج
من الجسر ، وتبعه خيل الحجاج ، وغشيه النعاس ، فجعل يخفق برأسه ، والخيل تطلبه .
قال أصغر الخارجي ^(٥) : كنت معه ذلك اليوم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، التفت

(١) الطبري : « ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى » .

(٢) الطبري : « في نصيحة » .

(٣) الطبري : « ما بدالك » .

(٤) الشاكرية : جمع شاكرى . وهو الأجير .

(٥) في الطبري : « قال هشام : لحدثني أصغر الخارجي ، قال : حدثني من كان مع شبيب . . . »

فانظر مَنْ خَلَقَ؛ فالتفتَ غيرَ مكترِثٍ ، وجعل^(١) يَخْفِقُ برأسه . قال : ودنوا منا ، فقلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قد دنا القوم منك ، فالتفتَ والله ثانيةً غيرَ مكترِثٍ بهم ، وجعل يَخْفِقُ برأسه ، وبعثَ الحجاجَ خيلاً تركضُ تقول : دعوه يذهب في حرقِ الله ، فتركوه وانصرفوا عنه^(٢) .

ومضى شبيب بأصحابه ، حتى قطعوا جسرَ المدائن ، فدخلوا دَيْرًا هناك ، وخالد بن عتاب يَتَقَفُوهم ، فحصرهم في الدير ، فخرج شبيب إليه فهزمه وأصحابه نحوًا من فرسخين ، حتى أَلْقَى خالد نفسه في دجلة هو وأصحابه بخيولهم ، فَرَّ به شبيب ، فرآه في دجلة ، ولواؤه في يده ، فقال : قاتله الله فارسًا ، وقاتل فرسه ! فرس هذا أشدُّ الناس قوةً ، وفرسه أقوى فرس في الأرض ، وانصرف ، فقليل له بعد انصرافه : إنَّ الفارس الذي رأيت هو خالد بن عتاب بن ورقاء ، فقال : معرق في الشجاعة ! لو علمت لأفحمت خلفه ، ولو دخل النار . ثم دخل الحجاج الكوفة بعد هزيمة شبيب ، فصعد المنبر ، وقال : والله ما قُوتل شبيب قطَّ قبل اليوم ، ولَّى هاربا ، وترك امرأته يُكْسِرُ في استِها القصب .

ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، وقال : احذر بيَّاته ، وحيثما لقيته فنازله ؛ فإنَّ الله تعالى قد قَلَّ حَدَّه ، وقصم نابه . فخرج حبيب في أثره ، حتى نزل الأنبار ، وبعث الحجاج إلى العمال : أن دُشُوا إلى أصحاب شبيب ؛ مَنْ جاءنا منك فهو آمن ، فكان كلُّ مَنْ لَيسَتْ له بصيرة في دين الخوارج ، ممن هُزِمَ^(٣) القتال . وكرهه ذلك اليوم يحىء فيؤمن . وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هُزِمَ شبيب : من جاءنا فهو آمن ، ففتفرق عن شبيب ناسٌ كثير من أصحابه .

(١) الطبري : « ثم أ كب يَخْفِقُ برأسه » .

(٢) الطبري : « ورجعوا » .

(٣) الطبري : « هذه القتال » .

وبلغ شيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن بالأخبار ، فأقبل بأصحابه حتى دنا منه ؛ فقال يزيد السكسكى^(١) : كنت مع أهل الشام بالأخبار ليلة جاءنا شبيب ، فبيتنا ، فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن ، فجعلنا أرباعاً ، وجعل على كل رُبع أميراً ، وقال لنا : ليحجم^(٢) كل رُبعٍ منكم جانباً ، فإن قُتل هذا الربع فلا يُعْصَمُ الرُبع الآخر ، فإنه يُلْقَى أن الخوارج منكم قريب ؛ فوطئوا أنفسهم على أنكم مبيتون فقاتلون ، قال : فما زلنا على تبيتنا حتى جاءنا شبيب تلك الليلة فبيتنا ، فشده على رُبعٍ منّا فصارهم طويلاً ، فما زالت قدمُ إنسانٍ منهم . ثم تركهم وأقبل إلى ربيع آخر ، فقاتلهم طويلاً فلم يظفر بشيء ، ثم طاف بنا يحمل علينا رُبْعاً رُبْعاً ، حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل^(٣) ولصق بنا^(٤) حتى قلنا : لا يفارقنا ، ثم ترجل فنازلنا راجلاً نزالاً طويلاً هو وأصحابه ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي والأرجل ، وفُتِيت الأعين ، وكثُرَت القتلى ، فقتلنا منهم نحو ثلاثين ، وقتلوا منّا نحو مائة ، وإيم الله لو كانوا أكثر من مائتي رجل لأهلكونا ، ثم فارقونا وقد مللناهم ومَلُّوا ، وكرهناهم وكرهونا ، ولقد رأيتُ الرجل منّا يضرب الرجل منهم بالسيف فما يضرّه من الإعياء والضعف ، ولقد رأيتُ الرجل منّا يقاتل جالساً ينفخ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء والبُهر . حتى ركب شبيب ، وقال لأصحابه الذين نزلوا معه : اركبوا ؛ وتوجه بهم مُنْصَرِفاً عَنَّا .

فقال فروة بن قبيط الخارجي - وكان شهد معه موطنه كلها - قال لنا ليلتئذ ، وقد رأى

(١) ق الطبري : « قال أبو غنم ، حدثني أبو يزيد السكسكى قال » .

(٢) الطبري : « ليجز كل ربع » .

(٣ - ٣) الطبري : « فشده على ربع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد المذري ، فصارهم طويلاً ، فما زالت قدم الإنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر ، وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري ، فقاتلهم فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر ، وعليهم النعمان بن سعد الحميري ، فما قدر منهم على شيء . ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أبيهرير الخثمي ، فقاتلهم طويلاً ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا ، حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل » .

(٤) الطبري : « وألربنا » .

بنا كآبة ظاهرة ، وجراحاتٍ شديدة : ما أشدَّ هذا الذى بنا لو كنا نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا فى طاعة الله وثوابه ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين .

قال قُروة بن لقيط : وسمعتُ تلك الليلة يحدثُ سويد بن سُلَيم ، ويقول له : لقد قتلتم منهم أُمسَ رَجُلَيْنِ من أشجع^(١) الناس ، خرجت عشيّة أُمس طليعة لكم ، فلقيتُ منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم ، فاشتري أحدهم حاجته ، وخرج قبل أصحابه فخرجت معه ، فقال لى : أراك لم تشتري علفاً^(٢) ؟ فقلت : إن لى رُفقاء قد كفّوني ذلك ، ثم قلت له : أين ترى عدوّنا [هذا نزل]^(٣) ؟ فقال : بلغنى أنه قد نزل قريباً منا ، وإيمُ الله لو دِدْتُ أنى لقيتُ شبيبهم هذا ، قلت : أفنحِبّ ذلك ؟ قال : إى والله ، قلت : فخذ حِذْرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتضيتُ السيف ، فخرّ والله ميتاً [فقلت له : ارتفع ويحك ! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات]^(٤) فانصرفت راجعاً ، فاستقبلت الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهبُ هذه الساعة التى يرجع فيها الناس إلى معسكرهم ؟ فلم أكلّمه ، ومضيت ، فنفرتُ بى فرسى ، وذهبت تتمطر^(٥) ، فإذا به فى أثرى حتى لحقنى ، فعطفت عليه ، وقلت : ما بالك ؟ قال : أظنك والله من عدوّنا . قلت : أجل والله ، قال : إذا لا تبرح حتى أقتلك أو تقتلنى ؛ فحُمات عليه وسَحَل على ، فاضطربنا بسيفينَا ساعة ، فو الله ما فضلتُهُ فى شدّة نفَس ولا إقدام ، إلّا أن سيفى كان أقطع من سيفه فقتلته .

وبلغ شبيباً أن جند الشام الذى مع حبيب حملوا معهم حجراً ، وحلفوا لا يفرّون حتّى يفرّ هذا الحجر ، فأراد أن يُكذّبهم ، فعمد إلى أربعة أفراس ، وربط فى أذانبها ترسّة ،

(١) الطبرى : « قتلتم منهم أُمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس » .

(٢) الطبرى : « كأنك لم تشتري علفاً » .

(٣) من الطبرى .

(٤) تتمطر : تسرع وجرىها .

في ذنب كل فرس تُرْسِين، ثم نَذَب ثمانية نفر من أصحابه ، وغلاما له يقال له حَيَّانَ- كان شجاعا فاتكا- وأمره أن يحمل معه إِدَاوَةً من ماء ، ثم سار ليلا حتى أتى ناحية من عَسْكَرِ أهل الشام ، فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر الأربع ، وأن يكون مع كل رجلين فرس : ثم يلبسوها الحديد حتى تَجِدَ حَرَّهُ ، ثم يخلوها في العسكر ، وواعدهم ثَلَاثَةَ قَرِيبَةٍ من العسكر ، وقال : مَنْ نَجَا مِنْكُمْ ؛ فَإِنْ مَوْعَدُهُ الثَّلَاثَةُ ؛ فَكِرِهَ أصحابُهُ الإِفْدَامَ على ما أمرهم ؛ فنزل بنفسه حتى صَنَعَ بِالْخَيْلِ ما أمرهم به ؛ حتى دخلت في العسكر ، ودخل هو يتلوها ، ويشد خلفها شَدًّا مُحْكَمًا ؛ فتفرقت في نواحي العسكر ، واضطرب الناس ، فضرب بعضهم بعضا ، وماجوا ، ونادى حبيبُ بن عبد الرحمن : وبِحْكَمِ إنها مكيدة ! فالزَمُوا الأرضَ حتى يتبين لكم الأمر ؛ ففعلوا ، وحصل شيب بينهم ، فلزم الأرضَ معهم ، حتى رَأَوْهم قد سَكَنُوا ، وقد أصابته ضربة عمود أَوْهَنَتْهُ .

فلما هَدَأَ الناس ورجعوا إلى مراكرهم خرج في عُمارهم ، حتى أتى الثَّلَاثَةَ ، فإذا مولاه حَيَّانُ ؛ فقال : أفرغ وَيَحْكُكْ على رأسِي مِنْ هَذِهِ الإِدَاوَةِ ! فلما مَدَّ رأسَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ هَمَّ حَيَّانُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ؛ وقال لنفسه : لَا أَجِدُ مَكْرَمَةَ لِي ، وَلَا ذِكْرًا أَرْفَعُ مِنْ هَذَا ! هَذِهِ اتَّخَلَّوْهُ ، وَهُوَ أَمَانِي مِنَ الْحِجَااجِ ؛ فَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ حِينَ هَمَّ بِمَا هَمَّ بِهِ ؛ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : وَيَحْكُكْ ! مَا أَنْتَ ظَارِكُ بِحَايَا ! نَاوِلْنِيهَا ، وَتَنَاوَلِ السَّكَّانَ مِنْ مَوْزِجِهِ ^(١) فخرقها به ، ثم ناوله إِيَّاهَا ، فأفرغ عليه من الماء ، فكان حَيَّانُ بِعَدْلِكَ يَقُولُ : لَقَدْ هَمَمْتُ فَأَخَذْتَنِي الرَّعْدَةُ فَجَبُنْتُ عَنْهُ ؛ وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ نَفْسِي جَبَانًا .

ثم إن الحجاج أخرج الناس إلى شيب ، وقَسَمَ فِيهِمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، وَأَعْطَى الْجَرْحَى وَكُلَّ ذِي بَلَاءٍ ، وَأَمَرَ سَفِيَّانَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى حَبِيبٍ

(١) اللوزج : الحف .

ابن عبد الرحمن ، وقال : تبعث سفیان إلى رجل قد فلأته ، وقتلتُ فرسانه ا وكان شبيب قد أقام بـكرمان حتى جبر ، واستراش هو وأصحابه ؛ فمضى سفیان بالرجال ، واستقبله شبيب بدُجیل الأهواز ؛ وعليه جسر معقود ، فعب إلى سفیان ، فوجده قد نزل بالرجال ، وجعل مهاصر^(١) بن صبیّ علی خيله ، وبشر بن حسان^(١) الفهمريّ علی میمنته ، وعمر بن هبيرة الفزاری علی میسرته ، وأقبل شبيب فی ثلاثة کراديس ؛ هو فی کتيبة ، وسويد بن سليم فی کتيبة ، وقعب فی کتيبة ؛ وخلف الحال فی عسكره ؛ فلما حَلَّ سويد وهو فی میمنته علی میسرة سفیان وقعب وهو فی میسرته علی میمنة سفیان ، حَلَّ هو علی سفیان ، ثم اضطربوا ملياً ، حتى رجعت الخوارج إلى مكانها الذي كانوا فيه .

فقال يزيد السكسكى - وكان من أصحاب سفیان يومئذ : كَرَّ علينا شبيب وأصحابه أكثر من ثلاثين كَرَّة ، ولا يزول من صفنا أحدٌ ، فقال لنا سفیان : لا تحملوا عليهم متفرقين ؛ ولكن ترحف عليهم الرجال زحفاً ، ففعلنا ، ومازلنا نطاعنهم حتى اضطربوا من الجسر ، فقاتلونا عليه أشدَّ قتال يكون لقوم قط . ثم نزل شبيب ، ونزل معه نحو مائة رجل ؛ فها هو إلا أن نزلوا حتى أوقفوا بنا من الضرب والطعن شيئاً ما رأينا مثله قط ؛ ولا ظنناه يكون ؛ فلما رأى سفیان أنه لا يقدر عليهم ، ولا يأمن ظفرهم ، دعا الرماة فقال : اشقوهم بالنبل ؛ وذلك عند المساء ، وكان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار ، فرشقهم أصحابه ؛ وقد كان سفیان صفهم علی حدة ، وعليهم أمير ، فلما رشقوهم شدوا عليهم ، فشددنا نحن ، وشفلناهم عنهم ، فلما رأوا ذلك ركب شبيب وأصحابه ، وكرّوا علی أصحاب القبل كَرَّة شديدة ، صرعوا منهم فيها أكثر من ثلاثين رامياً ، ثم عطف علينا يطاعنا بالرماح ، حتى اختلط الظلام ، ثم انصرف عنا ، فقال سفیان بن الأبرد لأصحابه :

(١) ب : « مضان » .

ياقوم ، دعوم لا تتبعوم ؛ ياقوم دعوم لا تتبعوم حتى نُصَبِّحَهُمْ . قال : فكففنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا .

قال فروة بن لقيط الخارجي : فلما انتهينا إلى الجسر ، قال شبيب : اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا بكرناهم إن شاء الله تعالى ، قال : فعبرنا أمامه ، وتخلف في آخرنا ، وأقبل يعبر الجسر ، وتحتة حصان جحوح ، وبين يديه فرس أثني ما ذيانة ، فزاحصانه عليها وهو على الجسر ؛ فاضطربت الماذيانة ، وزلّ حافر فرس شبيب عن حَرَف السفينة ، فسقط في الماء ، فسمعتاه يقول لما سقط : ﴿ لَيْقُضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(١) واغتمس ^(٢) في الماء ثم ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(٣) ثم اغتمس في الماء ، فلم يرتفع .

هكذا روى أكثر الناس . وقال قوم : إنه كان مع شبيب رجال كثيرٌ بايعوه في الوقائع التي كان يهزم الجيش فيها ، وكانت بيعتهم إياه على غير بصيرة ، وقد كان أصاب عشائهم وساداتهم ؛ فهم منه موتورون ، فلما تخلف في أخريات الناس يومئذ ، قال بعضهم لبعض : هل لكم أن تقطع به الجسر ، فنذكر ثأرنا الساعة ! فقالوا : هذا هو الرأي ، فقطعوا الجسر ، فالت به السفينة ، ففزع حصانه ونقر ، فسقط في الماء وغرق .

والرواية الأولى أشهر ؛ فحدث قومٌ من أصحاب سُفْيَان ، قالوا : سمعنا صوت الخوارج يقولون : غرق أمير المؤمنين ، فعبّرنا إلى عسكرهم ، فإذا هوليس فيه صافر ^(٤) ولا أثر ؛ فنزلنا فيه ، وطلبنا شبيباً حتى استخرجناه من الماء ، وعليه الدرع ؛ فيزعم الناس أنهم

(١) سورة الأنفال ٤٢

(٢) الطبري : « ارتس » ، وهما بمعنى .

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) هو مثل ، يقال : « ما بالدار من صافر » أي أحد .

شقوا بطنه وأخرجوا قلبه فكان مجتمعا صلبا كالصخرة ؛ وأنه كان يضرب به الأرض
 فينبو ، ويثب قامة الإنسان .
 ويحكى أن أم شبيب كانت لا تصدق أحدا نعاها إليها ، وقد كان قيل لها مرارا إنه
 قد قتل فلا تقبل ، فلما قيل لها : إنه قد غرق بكى ؛ فقيل لها في ذلك ، فقالت : رأيت
 في المنام حين ولدته أنه خرج من فرجى نارٌ ملأت الآفاق ، ثم سقطت في ماء فجمدت ،
 فعلمت أنه لا يهلك إلا بالغرق ^(١) .

وهذا آخر الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
 ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله ^(٢)

—————

(١) وفي رواية أخرى ذكرها الطبري : « كان شبيب ينمى لأمه ، فيقال : قتل ، فلا تقبل ،
 فقيل لها : إنه غرق ، فقبلت وقالت : إنى رأيت حين ولدته أنه خرج منى شهاب نار ، فعلمت أنه لا يطفئه
 إلا الماء » .
 (٢) هذا آخر ماورد في نسخة (ج) ، وجاء في آخر نسخة (ب) : « وهذا آخر الجزء الرابع من
 شرح نهج البلاغة ، ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد
 الأنبياء وسند الأصفياء محمد وآله الطيبين الطاهرين » .

فهرس الخطب (*)

صفحة	
٣	٥٢ - من كلامه عليه السلام في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية (١)
٦	٥٣ - ومن كلام له في ذكر البيعة
١٢	٥٤ - ومن كلام له وقد استبطا أصحابه إذنه لهم في القتل بصنيين
٣٣	٥٥ - ومن كلام له يذكر حروبه مع الرسول عليه السلام
	٥٦ - ومن كلام له مع أصحابه يخبر عما سيكون من شأن رجل
٥٤	يأمر بسبه والبراءة منه
١٢٩	٥٧ - من كلام له كلم به الخوارج

(*) وهي الخطب التي وردت في كتاب نهج البلاغة .
(١) وهي تمة الخطبة الثانية والتحسين ، وأولها في الجزء الثالث من ٣٣٢

فهرس الموضوعات (*)

صفحة	
٣ - ٥	اختلاف الفقهاء في حكم الأضحية
٧ - ١١	بيعة على وأمر للتخلفين عنها
١٣ - ٣٢	من أخبار يوم صفين
٣٤ - ٥٣	فتة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة
٥٥ ، ٥٦	مسألة كلامية في الأمر بالشئ مع العلم بأنه لا يقع
٥٦ - ٦٣	فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لملى
٦٣ - ٧٣	فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم على
٧٤ - ١١٠	فصل في ذكر المنعرفين عن على
١١١ - ١١٢	فصل في معنى قول على : « فسبونى فإنه لى زكاة »
١١٣ ، ١١٤	فصل في اختلاف الرأى في معنى السب والبراءة
١١٤ - ١١٦	فصل في معنى قول على : « إنى ولدت على الفطرة »
١١٦ - ١٢٥	فصل فيما قيل من سبق على إلى الإسلام
١٢٥ - ١٢٨	فصل فيما قيل من سبق على إلى الهجرة
	أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم
١٣٢	عروة بن حدير
١٣٢ - ١٣٤	نجدة بن عويمر الحنفي
١٣٤	المستورد بن سعد التميمي
١٣٤ - ١٣٥	حوثرة الأسدي
١٣٥ ، ١٣٦	قريب بن مرة وزحاف الطائي
١٣٦ - ١٤١	نافع بن الأزرق الحنفي
١٤١ - ١٤٤	عبد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي
١٤٤ - ١٦٧	الزبير بن على السليطي وظهير أمر المهلب
١٦٧ - ٢٠٣	قطري بن النجاء المازني
٢٠٣ - ٢١٢	عبد ربه الصغير
٢١٢ - ٢١٣	طراف من أخبار المهلب
٢٢٥	شبيب بن يزيد الشيباني
٢٣٢ - ٢٧٨	دخول شبيب الكوفة وأمره مع الحجاج

(*) وهى الموضوعات التى وردت أثناء شرح نهج البلاغة .

